

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية

قسم: التاريخ

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه تخصص تاريخ المغرب الاسلامي

الموسومة بـ:

المظاهر الحضارية في القيروان و تيهرت
إبان القرنين الثاني و الثالث الهجريين
دراسة مقارنة

إعداد الطالبة:

فطيمة مطهري

تحت إشراف:

أ.د. معروف بلحاج

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. معروف بلحاج	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا و مقبرا
د. مكويي محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مشرفا مساعدا
أ.د. بجاز ابراهيم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	عضوا مناقشا
أ.د.ة بلهوارى فاطمة	أستاذة التعليم العالي	جامعة وهران 2	عضوا مناقشا
د. بورقبة محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة وهران 2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1435-1436 هـ / 2014-2015م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى روح والدتي رحمها الله و جميع المسلمين برحمته الواسعة آمين.

إلى والدي الغالي أطال الله في عمره و زوجته الكريمة.

إلى من وقف بجاني و كان لي خير سند طوال مدة البحث زوجي السيد بن طلحة مصطفى

إلى ولدي العزيزين و قرّة عيني محمد آدم و أسامة الذي سهر و تحمل عناء كتابة و إخراج

هذا العمل.

إلى أفراد عائلتي الكريمتين "بن طلحة" و "مطهري" كل باسمه خاصة أختي العزيزة "نورة"

وابنتيها "مريم حور" و "شهد وصال"

إلى كل من شجعني بالكلمة الطيبة و الدعاء و النصيح، أخواتي و أمهاتي و بناتي بدار

الحديث، وزملائي و أقاربي

إلى من أدين لهم بالفضل في نجاحي، أساتذتي الكرام.

شكر و تقدير

أحمد الله عز و جل و أشكره بكرة و أصيلا على ما أنعم علي و وفقني لإنجاز هذا العمل

و أتوجه بالشكر الخالص و العرفان إلى الأستاذ الفاضل الدكتور معروف بلحاج و الأستاذ المساعد الدكتور محمد مكيوي اللذين تتبعا خطوات هذا البحث و لم يبخلا علي بتوجيهاتهما و نصائحهما القيمة.

و أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني و قدم لي يد العون، أساتذتي الكرام، و أخص بالذكر الدكتور مبخوث بودواية، و الدكتور بن داوود نصر الدين اللذين أتقدم لهما بأسمى عبارات الاعتزاز والشكر على نصائحهما السديدة، و زملائي بقسم التاريخ و قسم الآثار بجامعة تلمسان و أخص بالذكر الأستاذة هوارية بكاي و الأستاذة جلجال فاطمة التي ساعدتني و وقفت بجاني يوما كاملا أثناء زيارتي الميدانية لموقع تيهرت تاقدمت الأثري و الطالبين بلعربي محمد و بلعربي عادل.

و أتوجه بالشكر الجزيل إلى مسؤولي و عمال المكتبات الوطنية و عمال مختلف المكتبات بتونس على التسهيلات التي منحوني إياها لإتمام هذا البحث.

و الشكر و العرفان و الامتنان إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة الموقرة التي ستشرفني بمناقشة هذا العمل.

لا يختلف اثنان على أن عملية الفتح الاسلامي لبلاد المغرب بداية من القرن الأول الهجري والصراعات و الفتن التي سادت المغرب خلال القرنين الثاني و الثالث الهجريين أسهمت بدور فعال في نهضة حضارية و خاصة العمرانية، حيث تميزت هذه الفترة بتعدد المدن إلى حد بروز شبكة حضارية متكونة من مدن كبرى و أخرى متوسطة و أخرى صغيرة.

و اشتهرت المدن الكبرى أو ما كان يعرف بالحوضر الاسلامية بتنوع خصوصياتها المعمارية والحضارية، اتخذها مؤسسوها كعواصم لدولهم أو قواعد لجيوشهم، فشيّدوا فيها مباني تتماشى مع الحضارة الاسلامية، مثل بناء المسجد الجامع و دار الإمارة و السوق، و من هذه الحواضر مدينتا القيروان و تيهرت، فالأولى مثلت أول عاصمة إسلامية في افريقية و المغرب الاسلامي، أما الثانية فكانت تمثل عاصمة لأول دولة مستقلة في المغرب الأوسط و المغرب الإسلامي.

فبقدر ما تعددت التآليف عن القيروان في المشرق و المغرب، و صورت هذه الكتابات ما بلغته المدينة من ازدهار علمي و ثقافي و اقتصادي و عمراي، آخرها كتاب "القيروان" لمنجي الكعبي، و كتاب "موسوعة القيروان" لمجموعة من الأساتذة و الباحثين، إضافة إلى الدراسات الأثرية الحديثة منها دراسة الجغرافي الفرنسي جون دييوا، و العالم الإنجليزي كريس ويل، و جورج مارسلي، و سولينياك و غيرهم، يكاد يقتصر وجود الحاضرة تيهرت بين دفتي المصادر التاريخية و الجغرافية التي نجح أصحابها في تصويرها كحاضرة من أهم حواضر المغرب الأوسط، و إليهم يرجع الفضل في معرفة مدى الرقي الذي بلغته في عهد بني رستم، غير أن تلك المصادر سكتت عن التفاصيل العمرانية و ترتيبها و مدى قيمتها خاصة و أن المدينة اندثرت وانطمست معالمها الحضارية.

فاختيارنا لهذه الدراسة الموسومة ب: المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان و تيهرت خلال القرنين الثاني و الثالث الهجريين (دراسة مقارنة)، إنما بهدف إكمال الدراسات التي تناولت التاريخ السياسي والعسكري للمدينتين، ثم كشف النقاب عن حضارة المدينة الرستمية بالتركيز على الشواهد

المادية التي يحتضنها موقع المدينة الأثري و التي ما زالت بحاجة إلى دراسات أثرية منظمة و شاملة تكشف لنا عن حضارة هذه المدينة، ثم محاولة المقارنة بين مظاهر المدينتين الحضارية.

أما أسباب اختيارنا لهذه الدراسة فمنها ما هو موضوعي و منها ما هو ذاتي:

إن من أسباب اختيار هذه الدراسة هو أنه لما اجتمعت لدينا عدة أفكار عامة و معطيات عن الحواضر الاسلامية في بلاد المغرب و دورها في الجوانب السياسية و الحضارية، و على رأسها الحاضرتان، الأولى في المغرب الاسلامي ككل مدينة القيروان، و الأولى في المغرب الأوسط و الثانية في المغرب الاسلامي، مدينة تيهرت الرستمية، و نحن نعد مذكرة الماجستير حول هذه المدينة، فقد لاحظنا أن هناك عدة نقاط اختلاف بين الحاضرتين و في نفس الوقت توجد نقاط أخرى للتقارب والتطابق بينهما، خاصة و أن المدينتين قامتا في منطقة واحدة و تقدمان نفس النموذج للمدن الاسلامية المشيدة خلال الفترة المبكرة للتاريخ الاسلامي على غرار الكوفة والبصرة و الفسطاط.

ضف إلى ذلك أن موضوع المقارنة هو موضوع هام و شيق و شاق في نفس الوقت، هو جدير بالبحث و الدراسة لعدة عوامل منها أنه موضوع بكر لم يطرق بعد، إذ لم ينل حظه الكافي من البحث العلمي الجاد، حيث أن ما كتب حول المدينتين لم يتطرق إلى موضوع المقارنة، فجل الأعمال كانت في شكل مساهمات تناولت كل مدينة على حدى دون التعرض إلى المقارنة بينهما و الذي هو صلب بحثنا هذا.

و من هنا تتحدد إشكالية هذا الموضوع حول البحث عن المنجزات الحضارية من منشآت عمرانية ومظاهر ثقافية و اقتصادية و بنيات اجتماعية، ثم المقارنة بينها لإبراز مدى التأثير و التأثير وكذا التكامل والتداخل بين هذه المظاهر في المدينتين.

مما لا شك فيه أن الظروف التي سادت بلاد المغرب قبل و بعد عملية الفتح الاسلامي ساعدت على تأسيس هاتين المدينتين، فيما تمثلت الأوضاع التي شهدتها بلاد المغرب قبل و بعد تأسيس المدينتين؟ وما هي أهم المظاهر الحضارية فيهما؟

من الواضح أن هناك عدة نقاط تلتقي و تتشابه فيها حضارة المدينتين، و نقاط تتباين وتختلف فيها، فما هي أوجه التشابه و أوجه الاختلاف بينهما؟ و هل وجدت علاقات تواصل حضاري و معالم تأثير و تأثير بينهما؟

و للإجابة على هذه التساؤلات، اعتمدنا على مناهج أساسية هي:

المنهج التاريخي الذي وضعنا من خلاله الأحداث و الوقائع التاريخية التي شهدتها المنطقة عامة، و مدينتنا القيروان و تيهرت خاصة، ثم المنهج الوصفي و المنهج التحليلي للمادة التاريخية للوصول إلى الأحكام و القوانين العامة.

و المنهج المقارن الذي لا يكتفي بالتاريخ السردي الوصفي، بل يستلزم وجود عدة قضايا مشتركة و مختلفة بين الأطراف المقارن بينها، فالمنهج المقارن يجيب على التساؤل لماذا حدث؟ أما المنهج الوصفي التحليلي فيجيب على التساؤل كيف حدث؟

و قد قسمنا دراستنا هذه إلى مقدمة و فصل تمهيدي و أربعة أبواب، و في كل باب فصول و مباحث و مطالب، و خاتمة، و أرفقنا هذه الدراسة بملاحق لإثراء الموضوع.

استعرضنا في الفصل التمهيدي أوضاع بلاد المغرب العامة خلال القرنين الثاني و الثالث الهجريين بما فيها الأوضاع الإدارية و السياسية و الأحوال الجغرافية و البشرية، هذه الظروف التي أسهمت في نشوء الحواضر الإسلامية و منها الحاضرتان القيروان و تيهرت.

تناولنا في الباب الأول الجانب التأسيسي و العمراني للمدينتين، و خصصنا الفصل الأول منه لنشأة المدينة الإسلامية و تطورها، و تطرقنا في الفصل الثاني لتأسيس المدينتين و بنيتها العمرانية، و أنهيينا الباب الأول بالفصل الثالث لابرز الأوضاع السياسية و الإدارية للمدينتين في عصري الولاية والأغالبة بالنسبة للقيروان، و عصر الرستميين بالنسبة لمدينة تيهرت.

و في الباب الثاني تناولنا الحياة الاجتماعية و الاقتصادية للمدينتين، خصصنا الفصل الأول للأوضاع الاجتماعية من تركيبة بشرية و فئات و ظاهرات اجتماعية، و في الفصل الثاني درسنا الأوضاع الاقتصادية للمدينتين من نشاطات زراعية و صناعية و تجارية و تنظيمات جبائية و مالية، و في الفصل الثالث تحدثنا عن العلاقات التجارية للمدينتين مع المغرب و المشرق و الأندلس.

و خصصنا الباب الثالث للحياة الثقافية و الفكرية في المدينتين، في الفصل الأول درسنا العوامل المحفزة و المساعدة على ازدهار الحركة الفكرية و الثقافية، أما الفصل الثاني فكان حول المظاهر الثقافية من علوم و معارف و مؤسسات و مراكز و علماء، و أنهينا الباب الثالث بابرار الروابط و علاقات الثقافة للمدينتين مع باقي المراكز الفكرية الاسلامية و العربية.

و في الباب الرابع المعنون ب: المقارنة بين المظاهر الحضارية في المدينتين، تناولنا في فصله الأول أوجه الاختلاف و التباعد بين المدينتين، و أبرزنا في فصله الثاني أوجه التقارب بينهما، وخلصنا في الفصل الثالث إلى مجموعة من النتائج و الاستنتاجات.

أما الخاتمة فكانت عبارة عن خلاصة لمحمل النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة. و كانت مصادرنا لهذا البحث متنوعة، فمنها المصادر التاريخية و الجغرافية و كتب الرحلة و الطبقات و التراجم و كتب البلدان و المسالك، و كتب الفقه و الفتاوى و الأحكام، فضلا عن تقارير البحث الأثري و المسالك و المواقع التي ذكرتها النصوص، خاصة موقع تيهرت الأثري، و عن طريق زيارة ميدانية لالتقاط الصور و مشاهدة المعالم الحضارية، و قد تفاوتت هذه المصادر في قيمتها التاريخية و الحضارية، حيث أن بعضها لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة و كذا من حيث قربها الزمني من الأحداث، و من أهم هذه المصادر:

كتب الحوليات و الفتوح

و هي في معظمها مصادر مغربية سنية و هي كثيرة و متنوعة رغم ضياع العديد منها، لكنها كما ذكر جودت عبد الكريم و كذا ابراهيم بحاز: "لم تتعرض للرستمين إلا ببعض العبارات القليلة رغم معاصرة بعضها لهم"، هذه الكتب نقلت عن المصادر السابقة و عن غيرها من الموروث الشفوي، فهي تمدنا بأهم أخبار القيروان و تيهرت، و من أهمها:

* كتاب "فتوح مصر و المغرب و الأندلس" لابن عبد الحكم (ت 257هـ/871م) و هو مؤرخ مصري معاصر للأحداث على اتصال بكثير من مشاهير المغاربة الذين كانوا يقدون على مصر للدراسة أو الحج وروايته للأحداث رواية كاملة تغطي فترة الولاة، و كان محدثا فقيها عني بتدوين أخبار فتح مصر و المغرب و الأندلس معتمدا على رواة موثوق فيهم، روى عن أبيه عبد الحكم بن أعين بن الليث القرشي مولاهم قال عياض: "سمع مالكا و الليث و ابن بكير و القعني، و عن جماعة من أصحاب مالك".

* كتاب "فتوح البلدان للبلاذري" (ت 279هـ/892م) والذي يعتبر أول من أشار إلى حادثة العباسية و عنه أخذها المؤرخون كابن الأثير و ابن خلدون وغيرهم، و أمدنا بأخبار الفتح و تمصير القيروان و الجيوش الوافدة و بناء ابراهيم بن الأغلب للعباسية و مسجدتها كما مكنا من المقارنة بين القيروان و الكوفة والبصرة.

* كتاب "كتاب تاريخ الرسل و الملوك" للطبري حيث أفادنا في مقارنة القيروان مع الكوفة والبصرة، و تبقى نصوصه على قلتها هامة، لتمييزه بالأمانة في النقل.

* كتاب "مروج الذهب و معادن الجواهر" للمسعودي (ت 346هـ/958م) تناول لأحداث المشرق و إنجازاته تفيدنا لوجود امتدادات لها في افريقية و كذلك المقارنة مع مدينتي البصرة و الكوفة.

* كتاب "افتتاح الدعوة" للقاضي النعمان بن حيون (ت 363هـ/974م) الذي خدم الخلفاء الفاطميين حول المعالم و المواقع و سيرة أمراء بني الأغلب و قادتهم و أملاكهم.

* كتاب "تاريخ افريقية و المغرب" لابن ابراهيم بن القاسم المشهور بالرقيق القيرواني (ت. بعد 417هـ/1026م) يحتوي مؤلفه أحداث أواخر القرن الأول الهجري و ينتهي أواخر القرن الثاني الهجري أي فترة الفتح الإسلامي إلى بداية ثورات الخوارج، و يتناول عهد الولاة ابتداء من ولاية عقبة بن نافع إلى ولاية أبي العباس عبد الله الأعلي، فهو أقدم مؤلف تعرض لحادثة طبنة و أول من أشار إلى معاهدة السلم و حسن الجوار المبرمة بين الإمام عبد الوهاب و الأمير روح بن حاتم، كما أنه يذكر أخبار دخول الإباضية إلى طرابلس و القيروان بقيادة أبي الخطاب و أمدا بأخبار عن الفتوحات و تنظيم ولاية افريقية والثورات الخارجية و أخبار الولاة و القضاة في عهود الفهريين و المهالبة و عهد ابراهيم بن الأغلب و قد اعتمد القيرواني على مصادر معاصرة للرستمين مما جعله أيضا مصدرا لمن جاء بعده، كابن عذارى المراكشي و ابن خلدون...

و من الكتب المتأخرة نذكر:

* كتاب "الملل و النحل" للشهرستاني (ت. سنة 548هـ) يعتبر هذا المؤلف من أهم المصادر التي درست نشأة الفرق و المذاهب الإسلامية و تطوراتها و كذا الأفكار و المبادئ التي قامت عليها هذه المذاهب، و قد اعتمدت على الجزء الثاني منه الذي تناول تاريخ ظهور الفرق الإسلامية والتي انتشرت في المغرب الإسلامي.

* كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (630هـ/1231م)، و يصنف هذا الكتاب ضمن المصادر التاريخية العامة، تناول تاريخ المشرق الاسلامي، و قد خصص جانبا منها لبعض الأحداث التاريخية في المغرب لكن بشكل نادر، و قد اعتمدت خاصة على الأجزاء الرابع و الخامس والسادس.

* كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب" لأبي العباس أحمد بن عذارى المراكشي (ت: 712هـ/1312م) تناول فيه تاريخ المغرب و الأندلس منذ الفتح، و الدول التي نشأت في هذه الفترة كالمرابطين و الموحيدين و المرينيين و رغم أن الدولة الرستمية لم تخط بالتفعيل الواسع الذي خطيت به دول المغرب السنية المعاصرة لها إلا أن هذا المؤلف وصف مدينة تيهرت و ذكر أئمتها ابتداء من مؤسسها عبد الرحمن بن رستم حتى سقوطها بشكل موجز، كما تضمن هذا الكتاب

بعض العبارات في مجال العلاقات الخارجية، فذكر نزول جيش هرثمة بن أعين تيهرت، و صلة النسب بين تيهرت و سحلماسة و كذا نزول شخصيات رستمية بالأندلس و مكانتهم هناك.

إضافة إلى مصادر أخرى الذين يجمعون على موقف واحد من الدولة الرستمية القائم على ذكرها ببعض العبارات القليلة و منهم:

* كتاب "المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد المغربي (ت.673هـ/1274م) و الذي ضاع معظمه ولم يبق منه إلا أجزاء بسيطة تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة في الأندلس في العصر الأموي وعن تيهرت رغم أنه لم يهتم بعلاقات قرطبة معها إلا أنه ينفرد بذكر قدوم أبناء الإمام عبد الوهاب إلى البلاط القرطبي و الاحتفال بهم و انفاق ألف دينار.

* كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس" لابن القوطية (ت.367هـ/927م) حيث أشار إلى وجود مذهب الخارجية في الأندلس، و ذكر ظهور عمر بن حفصون في تيهرت و شخصيات رستمية في قرطبة.

* كتاب "العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمن بن خلدون (808هـ/1406م) و هو من المؤرخين الذين يشهد لهم بالموضوعية إلا أنه ضرب صفحا عن الدولة الرستمية ذكرها بإشارات عابرة فقط و لم يول لها اهتمامه مثل اهتمامه بدول المغرب السنية كالأغالبة و الأدارسة و أمويي الأندلس، و رغم ذلك كانت تلك الإشارات العابرة على قلتها مفيدة لنا، فقد انفرد بتقديم معاهدة السلم بين تيهرت والقيروان إلى عهد عبد الرحمن بن رستم و يكاد ينفرد أيضا بذكر وقوع عمل عسكري بين الرستمين والأدارسة. و مع ذلك يظل كتاب "العبر و ديوان المبتدأ و الخبر" مصدرا هاما لكل باحث في تاريخ المغرب الإسلامي، كما تعد المقدمة و هي الجزء الأول لكتاب العبر من المصادر الهامة لهذه الدراسة لكونها تضم الجانب الثقافي و العلمي و كل ما يتصل بال عمران البشري من فنون و صنائع و علوم في الدول الإسلامية عموما و هذا ما أفادنا كثيرا خاصة في شرح المفاهيم والمصطلحات الحضارية والعلمية.

و نضيف إلى كتب الحوليات كتاب "الإمامة و السياسة" لابن قتيبة (ت 276هـ / 898م) وقد اهتم خاصة بولاية موسى بن نصير، و على العموم مكنتنا هذه الكتب من معرفة أهم الأحداث التي مر بها المغرب و كذا معلومات واضحة عن تاريخ القيروان و بعض المدن الأميرية مثل العباسية و رقادة.

كتب البلدان و المسالك

* كتاب "المسالك و الممالك" لابن خرداذبة، و الذي يعتبر أقدم كتب الجغرافيا، و قد كان ابن خرداذبة موظفا في إدارة البريد العباسية، مما أتاح له سعة الاطلاع، إلا أنه اهتم بالمشرق دون المغرب الاسلامي، ومع هذا فقد أورد بعض المعلومات المفيدة على قلتها، فذكر مشاهير مدن المغرب والمسافات بينها، و وضع حدودا لدوله، و زدنا بمعطيات حول القبائل البربرية و البضائع التجارية القادمة من المغرب أو الواردة عليه، و تجدر الإشارة أنه لم يصل بلاد المغرب، بل اعتمد على التقارير التي وصلت إليه و على التجار أيضا، فقد أشار إلى وجود الإباضية في تيهرت، و أن بينها و بين افريقية مسيرة شهر على الإبل و منها إلى فاس مسيرة أربع و عشرون ليلة.

* كتاب "البلدان" لليعقوبي (ت. 284هـ / 897م) و هو أول من أفسح المجال للمغرب الإسلامي بذكر مدن المغرب و وصفها كما ضمنها بعض المعلومات التاريخية الهامة و أشار إلى اتصال بلاد المغرب بالسودان الغربي و تكمن أهميته في كونه معاصرا للرسامين و زار القيروان و كتب عنها و عن سكانها و سكان افريقية و مدنها و المراحل التي تفصل بين هذه المدن و انتاجها الزراعي و المعدني، و مروره بتيهرت عندما وصل إلى المغرب، فمعلوماته عنها نتيجة المشاهدة.

* كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل (ت بعد 367هـ / 977م) و هو جغرافي مشرقي اعتنق المذهب الشيعي و قد زار هذا الرحالة المغرب الاسلامي في إطار الجولة التي قادته إلى مختلف مناطق العالم الاسلامي شرقا و غربا، حيث انطلق من بغداد سنة 331هـ، و استغرقت رحلته حوالي ثلاثين سنة، و يعتقد أنه فرغ من تأليف كتابه سنة 367هـ، فوصف القيروان و مدن افريقية أخرى، و وصف تيهرت، و أكثر ما عني به الناحية الاقتصادية للمدن و للمناطق التي زارها، بحكم مهنة التجارة التي

كان يمارسها، حيث أكد في وصفه لتيهت على وفرة المياه و كثرة الانتاج الحيواني و النباتي و الرواج التجاري، كما قدم عبارات مفيدة في علاقات تيهت الخارجية و تأثر به الإدريسي و القلقشندي وغيرهما.

* كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي (ت 378هـ / 977م) الذي بظهور كتابه تقدمت الجغرافيا الوصفية تقدما كبيرا في القرن الرابع الهجري، فقد دون ملاحظات حول القيروان ووفرة مواد المعيشة بها و رخصها و مواجل الماء و طول المدينة و عرضها و مواد البناء المستعملة وأبوابها ودروبها، كما و عرف بانتاجها الزراعي و مكابيل القيروان و عملتها و المراحل التي تفصل بينها و بين بقية المدن، وخص تيهت بوصف جميل، جعلها من الأمصار الكبيرة و سماها "بلخ المغرب" و نسب إليها عدة مدن مثل وهران، تنس، شلف و غيرها.

* كتاب "المسالك و الممالك" لأبي عبيد البكري (ت 487هـ / 1094م) و هو كتاب لا غنى عنه لمن رام دراسة مدن المغرب و تاريخها، فقد جمع بين المعطيات الجغرافية و التاريخية، و الجغرافيا الطبيعية والبشرية، فقد اشتهر هذا الكتاب كثيرا إلى درجة أن أمراء الأندلس كانوا يتهافتون على اقتنائه، والبكري رغم أنه لم يزر القيروان أو تيهت و رغم تأخره، إلا أنه أمدنا بمعطيات دقيقة في معظمها لأنه ينقل عن محمد بن يوسف الوراق الذي نشأ و تعلم بالقيروان، ثم انتقل إلى الأندلس و عمل في بلاط المستنصر الأموي، وألف له "مسالك افريقية و ممالكها" و هو الكتاب الذي أخذ منه البكري معظم ما دونه عن القيروان و تاريخها، و قد قدم البكري معلومات أكثر استفادة عن تيهت من ابن حوقل، حيث حدد موقع المدينة، و ذكر أبوابها و سورها، و القبائل المحيطة بها، و أورد معلومات عن مناخها و إنتاجها النباتي و أسواقها و حماماتها و غيرها، و أصبح كتاب البكري مصدرا لغيره فتأثر به الحموي و ابن خلدون و ابن عذارى و ابن الخطيب في ذكره دولة بني مدرار.

* كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لأبي عبيد الله الشريف الإدريسي (ت 560هـ / 1164م) في جزئه الخاص بافريقيا و الأندلس و الذي حققه اسماعيل العربي، و يعتبر هذا الكتاب من أمهات الموسوعات الوصفية في العهود الوسطى لما تضمنه من تعريفات و مصطلحات و اشتمل عليه من

أماكن و أعلام، فقد أمدنا بمعطيات هامة حول القيروان و رقادة و المراحل بينهما و بين بقية المدن والقرى، و اعتمد في وصفه لمدينة تيهرت على ابن حوقل و دل على ذلك بقوله "حكى الحوقلي".

* كتاب "الاستبصار في عجائب الأمصار"، وصف مكة و المدينة، و مصر، و بلاد المغرب، لمؤلف مراكشي مجهول من أهل القرن السادس الهجري، كتب سنة 587هـ / 1191م)، و قد نقل ما كتبه البكري حرفيا أحيانا و لم يتضمن معلومات جديدة في النص الذي أورده عن مدينة تيهرت.

و عدنا إلى كتب بلدان و رحلات أخرى ذات قيمة ثانوية أو متأخرة عن فترة دراستنا مثل "الروض المعطار" للحميري (ت 727هـ / 1327م) و "الرحلة" للعبدي (ت بعد 1290م) و "مراصد الإطلاع" للبغدادي (ت 739هـ / 1339م) و "آثار البلاد و أخبار العباد" للقزويني (ت 680هـ / 1281م)، و "المسالك و الممالك" للاصطخري، و كتاب "تقويم البلدان" لاسماعيل أبي الفدا الذي أكمل به كما يروي النقص الذي ظهر في كتب الجغرافيا التي سبقته.

* كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت. 626هـ / 1228م) اعتمد و تأثر بكتاب "المسالك و الممالك" لابن خرداذبة (ت. 272هـ / 885م)، و ينقل أيضا عن البكري، و قد أفادنا في التعريف بالمواقع الجغرافية من مدن و أقاليم في المغرب خاصة الأجزاء 1 - 2 - 3 - 4 منه.

كتب الطبقات و التراجم و السير و الأنساب

تكسني أهمية بالغة مثل كتاب "طبقات علماء افريقية و تونس" لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي (ت 333هـ / 944 - 945م)، و هو حسب الدباغ رافع لواء التاريخ بافريقية مع تقدمه في علم الأثر و بصره بالفقه و معاني الحديث، و قد أفادنا في تاريخ الفتح و رجاله و القبائل المشاركة فيه و طبقات الفقهاء و الزهاد في علاقة مع مجتمع القيروان في القرون الثلاثة الأولى و الحياة اليومية لسكان هذه المدينة و ناحيتها مع ذكر أخبار القضاة و علاقتهم بالولاة و أنواع الحرف و الأغذية، و هو يقدم لنا فكرة و إن كانت بسيطة عن حياة الناس و هو ما تكلمه كتب الطبقات الأخرى مثل "طبقات علماء افريقية" للخشني (ت 371هـ / 981م)، و خاصة "رياض النفوس"

للمالكي (ت 450هـ / 1058م) الذي يتميز بذكر مصادره المشرقية (ابن خياط، ابن عبد الحكم، الطبري) و الافريقية الموجودة و المفقودة (ابن أبي حسان، محمد بن سحنون..)، و "معالم الإيمان" للدباغ (605 - 696هـ / 1029 - 1297م) الذي أكمله و علق عليه ابن ناجي (ت 839هـ / 1435 - 1436م)، و "ترتيب المدارك" للقاضي عياض (ت 544هـ / 1149م)، و "الحلة السيرة" لابن الأبار (ت 658هـ / 1260م) حيث احتفظ بأبيات الشاعر بكر بن حماد التيهري التي قالها في مدح الأمير الأغلب ابراهيم الثاني و أشار أيضا إلى وجود شخصيات رستمية في الأندلس، و ذكرهم مثلا لبكر بن حماد، و ذكرهم مثلا لبكر بن حماد كان من باب اعتباره عالما وشاعرا مالكيًا سكن القيروان وليس من باب اهتمامهم بالرستميين.

و لا تخلو كتب السير الإباضية من الفائدة، و نخص بالذكر:

* كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" لصاحبه ابن الصغير، عاش في القرن 3هـ، و ترجح و داد القاضي أن ولادته كانت ما بين 265 - 270هـ / 878 - 883م، كان في شبابه يملك دكانا في الرهانة وكان يتردد على مسجد هذا الحي و هذا ما ذكره هو نفسه في كتابه: "أن لي في الرهانة دكانا أبيع فيه و أشترى"، ويقال أنه كان وراقا أو نساخا، مما ساعده على توسيع مداركه اللغوية التي مكنته من القدرة على المناظرة والمجادلة مع الإباضيين.

و رغم أن ابن الصغير لم يكشف عن المذهب الذي ينتمي إليه لكنه نفى انتماءه للمذهب الإباضي، ويشير مثلا سليمان الباروني إلى أنه مالكي، أما لويكي فيشير إلى أنه شيعي، و بغض النظر عن انتمائه ومذهبه، ما زال مؤلفه يعتبر إلى أيامنا هذه أقدم وثيقة وصلتنا عن إباضي شمال افريقية. و تأتي أهميته في أن ابن الصغير سكن بتيهت و عاصر بعض الأئمة الرستميين و عاش فترة من الزمن تحت حكم أبي اليقظان حيث يذكر: "قد لحقت أنا بعض أيامه... و حضرت مجلسه" كما عاش تحت حكم الإمام أبي حاتم و في عهده يرجع ليفتسكي أنه كتب مؤلفه أي حوالي العام 290هـ / 902م.

* كتاب "سير الأئمة و أخبارهم" لأبي زكرياء ابن أبي بكر السدراتي الورداني، (ت. سنة 471هـ/1078م)، و كان ينتمي بحسب الدرجيني إلى الطبقة العاشرة، تابع دروس الراوي الشهير و المؤرخ الإباضي أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي و من تلامذته من المؤرخين وكاتب السير البارزين كأبي الربيع عبد السلام الوسياني و أبي نوح و غيرهما، و يعتبر مؤلف أبي زكرياء عملا تاريخيا و سيريا في الوقت نفسه يزودنا هذا الكتاب الذي هو من أقدم المصنفات الخاصة بتاريخ الإباضيين في المغرب بمعلومات هامة عن دخول الإباضية إلى المغرب و تطورها فيه، و عن تاريخ الرستميين وسقوطهم ، و عن مقاومة الإباضيين للفاطميين و ثورة أبي مخلد بن كيداد من جهة، كما يزودنا من جهة أخرى بسير عدد من الأعلام الإباضية، إذن ينقسم هذا العمل إلى قسمين أولهما ذو محتوى تاريخي، بينما يحتوي القسم الثاني على تراجم عدد من الإباضيين البارزين من المغرب، أضف إلى ذلك أن هذا الكتاب هو أحد المصادر الرئيسية لكتاب طبقات المشائخ للدرجيني كما يذكره الشماخي في عشرات المواضع.

اعتمد أبو زكرياء في كتابه هذا على عدد من المؤرخين الإباضيين عبر عنهم بقوله: "ذكر بعض أصحابنا" وعلى غيرهم من المؤرخين مثل ابن الصغير، و الرقيق القيرواني في حادثة دخول الإباضيين القيروان و مغامرة ابن طولون، كما نقل البكري ما يتعلق ببناء مدينة تيهرت.

* كتاب "سير المشائخ في المغرب" لأبي الربيع سليمان عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني (ت571هـ/1175م)، ينتمي المؤلف إلى قبيلة بني وسيان الزناتية، التي كانت مضاربها بإقليم قسطالية من بلاد الجريد التونسية، و يتضمن الكتاب ثلاثة أجزاء، الجزء الأول في مآثر أعلام الإباضية بالإضافة إلى قضايا فقهية و اجتماعية، و هذا الكتاب ثبت انتسابه للوسياني، أما الجزء الثاني الذي يحتمل أن أحد تلامذته هو الذي ألفه فيتضمن أخبارا و قضايا مختلفة مع تراجم لبعض أعلام الإباضية، بينما يرجح أن يكون الجزء الثالث مأخوذا من سير أبي زكرياء و نسب للوسياني خطأ. إن هذا الكتاب يعتبر حلقة وصل بين ما ألفه بن الصغير و أبو زكرياء قبله في تاريخ الإباضية ومن جاء بعده كالشماخي و الدرجيني.

* كتاب "سير المشائخ" للإمام أبي العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي (ت. سنة 928هـ/1522م)، و يعتبر الشماخي كاتب سير و مؤرخ و فقيه بارز يعود أصله إلى جبل نفوسة وينتمي لعائلة أنجبت الكثير من المشاهير و العلماء، كان يسكن يفرن و لهذا نجد في اسمه الشماخي نسبا و اليفرنيني بلدا.

و قد ترك أبو العباس مصنفات كثيرة أشهرها هذا الكتاب "سير المشائخ" و هو عمل ضخم في سير أعلام الإباضية البارزين و ذلك منذ تأسيس الفرقة و حتى نهاية القرن (التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) كما نجد فيه بالإضافة إلى التراجم و المعطيات السيرية، روايات تاريخية طويلة تتعلق بأصول الفرقة الإباضية و الحركات الإباضية في شمال إفريقية و نجد فيه أيضا تفاصيل كثيرة عن حياة البربر الاجتماعية وعاداتهم.

و مهما يكن فقد أفادني كتاب السير للشماخي في تراجم و سير الأئمة و أعلام الإباضية وكذا في الناحية الثقافية.

* كتاب "طبقات المشائخ في المغرب" لأبي العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني (ت670هـ/1272م)، ولد الدرجيني بنفطة من بلاد الجريد، ثم انتقل إلى وارجلان سنة 616هـ/1220م، ثم عاد بعد سنتين إلى منطقة الجريد، و واصل تعلمه بتوزر و توفي و دفن بها، ألف كتابه هذا نزولا عند طلب بعض مشائخ الإباضية أثناء إقامته بينهم في جربة، و هو فقيه وشاعر و مؤرخ إباضي، عاش في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، و يتألف هذا الكتاب من قسمين، القسم الأول هو مجرد إعادة نقل و سبك كتاب السير و أخبار الأئمة لأبي زكرياء يحيى، أما القسم الثاني، فهو أكثر أهمية من القسم الأول كونه العمل الأصلي للدرجيني و يشمل مجموعة سير حكماء و علماء إباضيين مشهورين مقسمة إلى اثني عشر طبقة، تغطي كل طبقة حقبة ذات خمسين سنة، فبلغ من ترجم لهم مائة وعشرين ترجمة من المشاركة و المغاربة.

و تضم الطبقات الأربع الأولى من المؤلف تراجم علماء الإباضية بالمشرق في القرنين الأول والثاني الهجريين، و اقتصر على ما أورده أبو زكرياء فيما يخص تراجم أعلام المغرب مثل عبد الرحمن بن رستم و بقية الأئمة، لهذا اعتمدت أكثر على الجزء الأول منه.

* كتاب "الجواهر المنتقاة فيما أحل به كتاب الطبقات" لأبي القاسم ابراهيم البرادي (ق8هـ) الذي هذب و أكمل به كتاب الطبقات للدرجيني.

كتب الفقه و الفتاوى و النوازل و الأحكام

التي أمدتنا بمعطيات هامة حول المساجد و المنشآت المدنية و العسكرية و الساحات والأرباض والأسواق و المقابر و القبائل العربية التي اختطت في القيروان وكذلك حول الحرف والصنائع و وضعية أصحابها و المجتمع الزراعي و الحياة داخل الأسواق و الأسعار و الحسبة و الجباية و طبعا حول العلماء والقضاة و الأمراء و أهل الذمة و العلاقات بين هذه الفئات الاجتماعية و بعض المظاهر الاجتماعية كالمجاعات و الأوبئة و الجفاف و الزلازل و الفيضانات، كما تنقل لنا صورا عن العلاقات الأسرية من زواج و طلاق و ميراث و مختلف العلاقات الاجتماعية، كعلاقات العمل، وأعمال التكافل الاجتماعي من بر و وقف، و النسيج العمراني، وتخبنا عن النشاط المذهبي، وأصحاب البدع و الأهواء، و المعارك العسكرية و ساحات القتال و غيرها من مناحي الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الفكرية، و كل هذه القضايا على تشعبها تشكل المدينة فضائلها.

و تكتسي كتب الفتاوى و النوازل أهمية كبرى باعتبارها مصادر للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي و الثقافي العربي بوجه عام و المغربي بوجه خاص، و هذا ما أبرزه كل من عبيد بوداود في مجلة منبر التراث و فاطمة بلهوارى في مجلة عصور، و يعود الفضل في لفت الانتباه إلى هذه الأهمية إلى مجموعة من المستشرقين الذين ترجموا النصوص الفقهية و استنبطوا منها الأخبار التاريخية والاقتصادية والاجتماعية، ومن الكتاب المغاربة الذين تنبهوا لأهمية المصادر الفقهية عامة و الفتاوى خاصة، نجد محمد الطالبي الذي استقى معلوماته من هذه الكتب في دراسته لتاريخ افريقية الاقتصادية

و الاجتماعي في القرن 3هـ / 9م، معتمد بوجه الخصوص على المدونة في تحليل جوانب من الحياة الزراعية مثل القسمة و الشفعة والمساقاة... وغيرها.

و نحن بدورنا اعتمدنا على مدونة سحنون (ولد 160هـ / 776م و توفي 240هـ / 854م)، كما رجعنا إلى أجوبة محمد بن سحنون (202 - 256هـ / 818 - 870م) و الذي أفادنا بمعلومات حول الحياة اليومية و البيوع و الانتاج الزراعي و ملكية الأرض و الأحباس، و كتاب "النوادر و الزيادات" لابن أبي زيد القيرواني (310 - 386هـ / 922 - 996م) و الذي تكمن أهميته في البيوع و المواد المتبادلة النباتية و المعدنية و كذلك ملكية الأرض و الصلح و العنوة و إحياء الموات، و عموما يكمل كتاب "النوادر" مدونة سحنون، و هو هام في الملكية و يبين محاولة التشريع مواكبة الواقع في المعاملات اليومية في الأسواق و المزارع، كما استعملنا كتاب "التبصرة" لأبي الحسن اللخمي (ت 478هـ / 1086م) و الذي أمكننا الاستفادة منه في مسائل تضمنين الصناع و الإجارة و الشركة و الحيازة و التجارة.

كتب الأموال و الحسبة

لها أهميتها أيضا لأنها تتناول موارد الدولة مثل الغنائم و الخراج و الجزية والزكاة و الصدقات، و تطرح كتب الخراج اشكاليات كثيرة حول الصلح و العنوة و إحياء الموات و غيرها من القضايا، و قد رجعنا إلى كتاب "الخراج" ليحيى بن آدم القرشي (ت 203هـ / 818م) و كتاب "الأموال" لأبي عبيد، و كتاب "أحكام السوق" ليحيى بن عمر (ت 289هـ / 902م) و هو من أقدم كتب الحسبة، و الذي أمدنا بمعطيات هامة حول الأسواق و المكاييل و الموازين و التسعير و الغش و التطفيف و الاحتيال و المظاهر الاجتماعية (الولائم، البكاء على الموتى...).

كما استعملنا "آداب الحسبة" للسقطي (ت في نهاية القرن 5هـ / 11م أو أوائل القرن 6هـ / 12م) و كتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" للشيزري (ت حوالي 589هـ / 1193م).

كما اعتمدنا على مصنفات متفرقة مثل كتاب "آداب المعلمين" لمحمد بن سحنون و كتاب "الرسالة المفصلة" لأبي الحسن القابسي (ت 403هـ / 1012م) (ت بعد منتصف القرن 4هـ / 10م)

و"أدب القاضي و القضاء" لأبي المهلب هيثم بن سليمان القيسي (ت 275هـ / 888م) و هو فقيه حنفي تولى قضاء مدينة تونس في أواسط القرن 3هـ / 9م.

و تكملة لما أوردته المصادر حول الموضوع، استعنا بمجموعة من المراجع و الدراسات الحديثة المنشورة و غير المنشورة المتخصصة في تاريخ حضارة مدينتي القيروان و تيهرت و منها:
فقد اهتمت الدراسات الحديثة بالمدينتين منذ بداية القرن العشرين و منهم: محمد الشابي في "أضواء على الآثار الاسلامية"، "الأغالبية، نظامهم الإداري و السياسي"، "خزف رقادة"، "رقادة افريقية"، حسن حسيني عبد الوهاب في "ورقات عن الحضارة العربية"، "بساط العتيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق"، "شهيوات التونسيات"، محمد طالي في "الدولة الأغلبية"، "دراسات في تاريخ افريقية و في الحضارة العربية الاسلامية"، "تأسيس القيروان و تمصيرها، الحياة الثقافية"، أحمد فكري في "المسجد الجامع بالقيروان"، "آثار تونس الاسلامية و مصادر الفن الاسلامي"، نجوى عثمان في "مساجد القيروان".

أما عن مدينة تيهرت و الدولة الرستمية:

* كتاب "الدولة الرستمية: دراسة في الأوضاع الإقتصادية و الحياة الفكرية" لابراهيم بحاز، رصد فيه تاريخ الدولة الرستمية و الجوانب الإقتصادية و الفكرية، كما تعرض للعوامل التي ساعدت على النهضة الفكرية و أهم العلوم و النشاطات الإقتصادية و كذا العلاقات الخارجية وهو ما أفادني كثيرا في هذا البحث، إضافة إلى كتابه "عبد الرحمن بن رستم" و الذي يستعرض و يترجم فيه سيرة الإمام عبد الرحمن بن رستم من نشأة و ثقافة و جهوده في تأسيس الدولة الرستمية.

* كتاب "العلاقات الخارجية للدولة الرستمية" لجودت عبد الكريم يوسف، اختص هذا الكتاب في مكانة الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي، و علاقاتها بالدول المجاورة و دورها في تنشيط الحركة الفكرية في المغرب الأوسط، لاسيما العلاقات المذهبية، و كذا كتابه "الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3- 4هـ / 9- 10م" و الذي استفدت منه في رصد بعض المظاهر الاقتصادية والاجتماعية.

* كتاب "المغرب العربي الكبير" لسعد زغلول عبد الحميد خاصة الجزء الثالث الذي خصصه للتاريخ السياسي و الفكري لدول المغرب الإسلامي بالتفصيل، و قد اعتمدت عليه في انتقاء المعلومات المتعلقة بثورات الخوارج و كذا الإفتراق الذي حدث في الإباضية، خاصة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم.

* كتاب "تاريخ المغرب العربي الكبير، تاريخه و ثقافته" لرابح بونار، و الذي يتميز بغزارة المادة في الجانب الثقافي للمغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى عهد المرابطين، و قد أفادني في انتقاء المعلومات الخاصة بسير الفقهاء و العلماء في الدولة الرستمية.

* كتاب "الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ - 296هـ" لمحمد عيسى الحريري، اعتمدت عليه في انتقاء المادة العلمية المتعلقة بالجوانب السياسية و التاريخية حيث تعرض لمختلف الأحداث و التطورات قبل نشأة الدولة الرستمية، و أعمال أئمتها و كذا علاقاتها الخارجية.

و بما أن موضوع الدراسة موضوع حضاري، فقد استعنت ببعض المعاجم لشرح المفاهيم،
أهمها:

* "لسان العرب" لابن منظور، خاصة المجلد 2 - 3 - 4.

* "المعجم العربي الأساسي" لمجموعة من المؤلفين من طبع المنظمة العربية للثقافة و العلوم.

و استعنا أيضا بدراسات أجنبية منها:

H.Saladin : Tunis et kairouan.

G.Marçais : feuilles à al-'abbasiyya, près de kairouan

Tunis et kairouan

M.Solignac : recherches sur les installations hydrauliques de kairouan et des steppes tunisiennes du 7 au 11^{ème} siècle, Alger 1952.

Chikh Bekri: Le royaume rostemide le premier Etat Algerien.

تحدث فيه عن بداية ظهور الخوارج في المغرب و عن قيام الدولة الإباضية في تيهرت عاصمة

المغرب الأوسط و يستعرض كذلك حكم الأئمة الرستميين و الحياة الثقافية و علاقة الرستميين بالدول المجاورة.

Gautier.Emil.Felix: Le passé de l'afrique du nord.

و الذي تميز بعرض للظروف السياسية التي أحاطت بتأسيس الدول المستقلة في المغرب الإسلامي، كما أشار فيه إلى انتشار المذاهب و الفرق الدينية منذ القرن 2هـ/8م.

Brahim Zerouki, L'imamat de tahert, premier état musulman du maghreb (144/296 de l'hegrie

يعني هذا المرجع بالتطرق إلى مدينة تيهرت باعتبارها حاضرة إباضية، و أول عاصمة في المغرب الاسلامي، و قد أتى المؤلف على ذكر أوضاعها السياسية و الاجتماعية و تعاقب أئمتها، و قد استفدنا من هذه الدراسة في معالجة نقاط عديدة من هذا البحث.

Rachid Bourouiba : cités disparues, tahert, sedrata, achir, klaa des béni-Hammad

يسلط المؤلف من خلال هذا المرجع الضوء على المدن الاسلامية الأولى في المغرب الأوسط، و يتعلق الأمر بكل من مدينة تيهرت، سدراتة، أشير، و قلعة بني حماد، و تشترك جميع هذه المدن في كونها مندثرة كما جاء في سياق العنوان أي أنها عبارة عن مواقع أثرية، و في الدراسة التي تقدم بها الباحث حول تيهرت ما يضيف أهمية على خصوصية عمرانها.

G. Marçais et D.Lamar : recherche d'archéologie musulmanen tahert- tegdempt
يعتبر هذا المقال لبنة أساسية من اللبنة التي يقوم عليها البحث، كونه يمثل تقريرا شاملا لنتائج الأبحاث التي قام بها مارسى و لامار في موقع تيهرت الأثري سنة 1841م، و هي عموما ذات نتائج قيمة استطاع من خلالها الباحثان رسم التخطيط العام للقنينة الرسمية و أحواض المياه والوقوف على بعض تقنيات البناء المستعملة.

P.cadenat : recherche à tihert- tagdempt

تمثل هذه الدراسة خلاصة الأبحاث التي قام بها كادنا في الموقع الأثري ما بين سنتي 1952م و1953م، و لا تقل هذه الأخيرة أهمية عن سابقتها باعتبار أن اثنين من أسبارها استهدفت الكشف عن بعض مرافقها المعمارية، و قد أسفرت نتائج هذه الأبحاث عن رسم مخططات لهياكل المعمارية المكتشفة كانت مهمة في الدراسة و الاستنباط على أصعدة مختلفة.

Abdallah Laraoui: L'histoire du maghreb.

جاء في هذا الكتاب دراسة نقدية تحليلية لتاريخ المغرب الإسلامي في مختلف عصوره. و من خلال زيارتنا لمدينتي القيروان و تيهرت، فقد قمنا شخصيا بمعاينة بعض المعالم الأثرية وأخذنا صوراً عن تلك الآثار كجامع عقبة، فسقية الأغالبة، و مقبرة قريش في القيروان و عن بقايا السور، وأحواض المياه، و الجامع و القصبه في تيهرت.

أما صعوبات البحث فقد صادفتنا البعض منها، فحاولنا تجاوزها حتى تخرج هذه الدراسة بصورة طيبة، و أهم هذه الصعوبات: طول فترة البحث التي تمتد على مدى قرنين و خاصة و أنها تستقصي كل المجالات الحضارية، الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و الدينية لحاضرتين بارزتين كالقيروان و تيهرت، وهاذ شكل عبئا و ضغطا في تناول هذه المادة من خلال منظور هذا البحث.

كما أن دراسة المظاهر الحضارية في المدينتين دراسة مقارنة يتطلب بالضرورة الرجوع إلى مصادر ومراجع متنوعة و عديدة، و لقد كانت المشكلة التي واجهتنا هي التعامل مع المصادر الفقهية من كتب النوازل و الفتاوى خاصة في دراسة حضارة القيروان، و كذا المصادر الجغرافية و كتب الرحالة و التي تعد من أهم المصادر لكتابة تاريخ المدينة الإسلامية في العهد الوسيط، إلا أن ثمة مشاكل تطرحها هذه المصادر، من بينها حاجتها إلى تحقيق علمي يقتضي المقابلة بين عدة نسخ، و رفع التصحيف عنها، فأغلبها منشور دون تحقيق، و يتضمن الكثير من الأخطاء لا سيما في أسماء الأماكن و القبائل، و كذلك مقابلة هذه المصادر بمصادر أخرى للوقوف عند حقيقة المعلومات الواردة فيها، كما أن المادة الخبرية التي تتضمنها هي في شكل عموميات و إشارات و انطباعات أكثر من أي شيء آخر، و نعتقد أننا في حاجة إلى تطوير الحفريات و علم الآثار أكثر من أي وقت مضى لدراسة أكثر عمقا لتاريخ مدننا.

صعوبة البحث في التأثير و التأثير بين المدينتين، حيث تداخلت هذه التأثيرات بشكل شديد خاصة في الجانبين الثقافي و المذهبي، لكنه التشابك و التعقيد الطبيعي في الظواهر الحضارية.

صعوبة استنباط الحقيقة التاريخية و المادة العلمية من بعض الكتابات التي طغت عليها النزعة المذهبية خاصة تجاه الدولة الإباضية الرستمية، إضافة إلى فقدان و ضياع الكثير من الوثائق و المصادر الخاصة بهذه الدولة و صعوبة الوصول إلى ما بقي منها.

إن ثمة صعوبات حقيقية باتت تواجه الباحثين في التأريخ للمدن لا سيما على العهد الوسيط، في حدود ما هو متوفر حاليا من مصادر و معلومات، و إذا وفرت الكتب الجغرافية و مؤلفات الرحالة بصيص أمل فإنها غير قادرة لوحدها على سد هذه الثغرة في مجال البحث التاريخي، و هي في حاجة إل إسناد و توظيف لمصادر أخرى مثل كتب النوازل و غيرهما، كما هي في حاجة أكيدة إلى تطوير الحفريات للكشف على ما تحتزنه الأرض من آثار و شواهد.

و من واجب الاعتراف بالجميل و الفضل لا يفوتني أن أجدد شكري الجزيل و امتناني العظيم للمشرف الأستاذ الفاضل الدكتور بلحاج معروف و الأستاذ المساعد الدكتور محمد ميكوي، اللذان تتبعوا خطوات هذه الدراسة بكل إمعان و تدقيق، و منحاني الكثير من وقتهم و توجيهاتهما و تحملا عناء قراءة كل الفصول و تصحيحها، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

المبحث الأول: البيئة الجغرافية و الطبيعية و البشرية لبلاد المغرب

أولاً- الجغرافية و الطبيعية

قامت مدينة القيروان و تيهرت في بلاد المغرب¹، كما سمي بإفريقية² التي كانت تعني ممتلكات قرطاجة³ الفينيقية على الساحل التونسي، أطلقها العرب الفاتحون على بلاد المغرب، وبامتداد حركة الفتح الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي و منها إلى بلاد الأندلس⁴، أصبح لفظ

1- المغرب: يطلق لفظ المغرب على البلاد العربية الممتدة من الحدود المصرية الليبية إلى المحيط الأطلسي، و قد كان يدخل تحت هذا النطاق أيضا، صقلية أي جنوب إيطاليا، و البلاد الأندلسية بما فيها اسبانيا و البرتغال، و كل بقعة حلها المسلمون في أوروبا الغربية، ينظر، ابن عبد الحكم: فتوح افريقية و الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص37، ابن أبي دینار: المؤنس في أخبار افريقية و تونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1957، ص20، ابن أبي عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق ج.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة2، 1980، ص5، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص342، و يراد به كما ذكر حسين مؤنس: "البلاد الإسلامية الواقعة من حدود برقة شرقا حتى ساحل المحيط الأطللسي غربا"، حشين مؤنس: المغرب و الأندلس، مكتبة الأسرة، مصر 2003، ص24، أو كما عرفه عبد الله القيسي الغرناطي: "المغرب ضد المشرق على أحد التأويلات"، أبو عبد الله القيسي الغرناطي: تحفة الألباب، مخطوط، ورقة رقم3.

2- إفريقية: أوسط بلاد المغرب، و عند أهل العلم تعني القيروان، و قيل سميت إفريقية لأنها فرقت بين المشرق و المغرب، أو باسم أهلها الأفارقة من ولد فاروق بن مصرلم أو نسبة إلى إفريقيش بن قيس بن صفى الحميري، ينظر، ابن أبي دینار: المصدر السابق، ص19، الحموي: معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995، ص300.

3- قرطاجة: بلد قديم في نواحي افريقيا، كانت مدينة شاحخة عظيمة البناء، أسوارها من الرخام الأبيض، و على ساحل البحر بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج7، ص52، و قال بعضهم أنها بنيت في زمن داوود عليه السلام أو قبل ذلك بكثير، ينظر، ابن أبي دینار: المصدر السابق، ص22.

4- الأندلس: هي رقعة جغرافية دعاها اليونانيون هيسبيريا Hesperia و منها أتى مصطلح إيبيريا، ثم دعاها الرومان هيسبانيا Hispania و منها أتى مصطلح إسبانيا أي إشبانيا عند العرب أو الأندلس، و تسمى أيضا شبه جزيرة الأندلس لأنها عبارة عن شكل مثلث يحيط به البحر من جميع جهاته الثلاث، فجنوبها يطل على البحر المتوسط و شمالها و غربها يطل على المحيط الأطلسي، وحدها الشرقي جبال البيرينييه التي تفصلها عن أوروبا، و يفصلها عن افريقية مضيق جبل طارق، ينظر، الإدريسي: المصدر السابق، ص- ص 255- 258، عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2006، ص 13- 14، ابن حوقل: المصدر السابق، ج1، ص62، القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص212، و قيل سميت بالأندلس نسبة إلى الأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح الذي نزلها، المقرئ: المصدر السابق، ص123، و منهم من قال أنها سميت نسبة للويندال، فأطلقوا إسمهم عليها "فندالوسيا" و لما قدم المسلمون سموها الأندلس، القلقشندي: المصدر نفسه، ص211، شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، م1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص32.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

إفريقية غير كاف لتحديد هذا المجال الواسع الذي انطلق فيه المسلمون، ويتقدم النفوذ الروماني في المنطقة، تطورت كلمة إفريقية واتسعت لتشمل كل النطاق الساحلي الذي يمتد من طرابلس¹ إلى طنجة² بل إلى سبتة³.

و مع توسع الفتح الإسلامي، أخذ لفظ إفريقية يتقلص شيئاً فشيئاً، بينما أخذ لفظ المغرب في الظهور⁴ و أصبح مدلول إفريقية يقتصر على الإقليم الذي يتوسطه القيروان.

و هناك من ربط لفظ بلاد المغرب بعصر الفتنة بين علي كرم الله وجهه و معاوية رضي الله عنه، أي منتصف القرن الأول الهجري، و كان يدل على الجزء الغربي من العالم الإسلامي الذي يتضمن الشام ومصر و ما اتصل بهما، في مقابل المشرق الذي يشمل العراق و إيران و ما جاورهما⁵، و ما يؤكد هذه الحقيقة أن علي بن أبي طالب في رسالة أرسلها إلى ابن عباس في البصرة قال فيها: "قد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب"⁶.

و المغرب عند الكتاب الأوائل يبدأ مما يلي إفريقية غرباً إلى سواحل المحيط الأطلسي، فقد ولي يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج ابن يوسف الثقفي إفريقية و المغرب، و هذا معناه أن المغرب غير

1- طرابلس: من مدن إفريقية، تقع في أقصى شرقها على ساحل البحر، و منها تبدأ إفريقية، ينظر، الحميري: المصدر السابق، ص44، طرابلس بالأعجمية الإفريقية ثلاثة مدن، و سماها اليونانيون طربليطة [طر= ثلاث و بليطة= مدينة] ، و يذكر أن أشاروس قيصر هو الذي بناها، و تسمى أيضاً مدينة أناس، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص6-7.

2- طنجة: مدينة بينها و بين سبتة مسيرة يوم واحد، و طنجة آخر حدود إفريقية من الغرب بينها و بين القيروان ألف ميل، ينظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص43.

3- سبتة: مدينة قديمة على بحر الزقاق من ناحية المغرب، و كان صاحبها أليان هو الذي أعان طارق بن زياد على دخول بلاد الأندلس، ابن أبي دینار: المصدر السابق، ص30-31، و يقال أنه نزلها سبت بن طوبال بن يافث بن نوح و إليه نسبت، المقرئ: المصدر السابق، ص123.

4- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص2.

5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، د.ت، ج3، ص172، موسى لقبال: المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، طه، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981، ص14.

6- ابن الأثير: المصدر نفسه، ص نفسها.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

إفريقية¹، أي أنه كان يضم كل الأقاليم الواقعة بين مصر شرقا و المحيط الأطلسي غربا².

يطلق عموما مصطلح بلاد المغرب على البلاد الإسلامية التي تمتد من حدود مصر الغربية حتى ساحل المحيط الأطلسي، بحيث تنتشر بمحاذاة البحر المتوسط، و تتوغل حتى عمق الصحراء الكبرى إلى الجنوب³.

و قد اختلف مفهوم بلاد المغرب من عصر إلى عصر، و قد اتجه فريق من المؤرخين إلى تقسيمها إلى أربعة أقسام و هي:

1- إقليم طرابلس

2- إفريقية (تونس حاليا و بعض المناطق الشرقية من الجزائر) و هذا يسمى: المغرب الأدنى

3- المغرب الأوسط، و أشهر مدنه: تاهرت، حيث اتخذها الخوارج الإباضيون عاصمة لدولتهم، ثم كانت (تلمسان) عاصمة بني زيان، و الجزائر عاصمة بني مزغنة، و المغرب الأوسط يعني حاليا الجزائر.

4- المغرب الأقصى، و يعني حاليا المملكة المغربية، و أشهر المدن: فاس عاصمة الأدارسة، ومراكش عاصمة المرابطين، و الموحدين، و السعديين، و في العصر الحديث أصبحت الرباط هي العاصمة للمملكة المغربية⁴.

و هناك من قسم بلاد المغرب إلى ثلاث أقاليم كبرى⁵، و ما يهمنا في هذه الدراسة هو المغربان الأدنى و الأوسط:

1- محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي في المغرب العربي، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1966، ص14.
2- وديع أبو زيدون: تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة في قرطبة، دار الأهلية للنشر و التوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص43، كما كانت تضاف إليه الأندلس و مصر.
3- يوسف علي بدوي: عصر الدويلات الإسلامية في المغرب و المشرق من الميلاد إلى السقوط، صفحات من التاريخ الإسلامي، تاريخ و رجال الناشئة، دار الأصالة، الجزائر، ط1، 1431هـ/ 2010م، ص9.
4- نفسه، ص نفسها.
5- و هي: المغرب الأدنى، المغرب الأوسط، و المغرب الأقصى، و للمزيد، ينظر: ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج3، ص230، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص- ص 195- 196، أحمد بن أبي راس الناصر، عجائب الأسفار=

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

• **المغرب الأدنى:** و كان يسمى افريقية و يمتد من طرابلس شرقا إلى بجاية غربا¹، و قد تم فتح أجزائه على يد عقبة بن نافع الذي بنى عاصمته الأولى القيروان عام 50 - 55هـ / 668 - 672م، ثم تونس².

• **المغرب الأوسط:** و يمتد من ملوية غربا إلى بجاية شرقا³، و ذكر ابن عذارى اسم بلاد الزاب⁴، و ذكر أنه يمتد من طرابلس شرقا إلى مدينة تهودة⁵، أو كما جعله أبو عبد الله القيسي الغرناطي في الصقع الثاني بقوله: "الصقع الثاني هو المغرب الأوسط وأوله تاهرت إلى سبتة إلى جبال درن"⁶.

و تعد بلاد المغرب من الناحية الطبيعية و الجغرافية و المناخية إقليميا واحدا، من حيث الخصائص والمميزات، و مهما حدث من تقسيمات سياسية، فإن الوضع الأساسي له هو الوحدة الجامعة، حتى في عصور الاغريق و الرومان و البيزنطيين، فبالنسبة للمغرب الأدنى و الذي أقيمت فيه مدينة القيروان، فيبلغ متوسط ارتفاعه 300 متر، و تشغل السهول و التلال به حوالي 50% أي نصف المساحة الإجمالية، أما الجبال فلا يتجاوز ارتفاعها 1200 متر إلا نادرا⁷، و منها مثلا الجبال

=ولطائف الأخبار، تقديم و تحقيق محمد غالم، ج1، منشورات مركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، وهران، د.ت، ص61.

1- ابن الأثير : الكامل، المصدر السابق، ج3، ص230.

2- نفسه، ص نفسها.

3- نصر الله سعيدون: تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة 20- 640هـ/788 - 1492م، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص14.

4- الزاب: إسم يطلق على المنطقة التي تقع بين بسكرة و طولقة و تودر و قفصة و غيرها، كما يطلق على نهر كان يجري بين سحلماسة و تلمسان، و يوجد زاب أعلى و زاب أسفل، ينظر، ابن حوقل: صورة الأرض، دار صادر، ط2، بيروت، 1938، ص85، ابن عذارى: المصدر السابق، ص5، و يبتدئ الزاب من تخوم المسيلة و يمتد شرقا إلى إقليم الجريد بتونس و هو منطقة رملية شديدة الحرارة، حسن الوزان: وصف افريقية، ج2، ط2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص138.

5 - تهودة: إسم لقبيلة من البربر بناحية إفريقية، لهم ارض تعرف بهم، ينظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص432.

6 - أبو عبد الله القيسي الغرناطي: المصدر السابق، ورقة 4.

7- جموعي مشري : الجغرافيا بالمغرب العربي، ترجمة الأخضر ادريس، مراجعة لجنة من الأساتذة، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، د.ت، ص253.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

المحيطة بمدينة القيروان كجبل وسلات في شمال غرب القيروان بارتفاع يصل إلى 895م، و جبل طرزة بارتفاع يصل إلى 997م¹، و هذا ما يمكن من عبور المغرب الأدنى بسهولة.

و تمتد السلاسل الجبلية التلية و الأطلسية العابرة للمغرب الأوسط حتى يتم التحامها بالمغرب الأدنى، و على العكس من المغرب الأوسط فلا توجد بالمغرب الأدنى تلك السهول المرتفعة الشاسعة فسهل قمونية بالقيروان مثلاً لا يتعدى ارتفاعه 60 م².

و يمكن تقسيم الأشكال التضاريسية في المغرب الأدنى إلى ثلاث مجموعات كبرى و هي: مجموعة السهول و التلال الساحلية، مجموعة المرتفعات الجبلية، و جزء من السهول الصحراوية (الصحراء).

* **السهول و التلال الساحلية:** ففي الشمال يوجد سهول (ماطر و بنزرت حالياً) و الذي كان فيما مضى عبارة عن خليج بحري قبل أن يملأ بالرواسب الفيضية التي حملتها إليه الأودية، و هناك سهول "مجردة" المحادية لوادي مجردة و سهول تونس التي لا زالت تملأها الرواسب³، و تمثل التلال الفاصلة بين السهول والمكونة لشبه جزير "رأس الطيب" نهاية السلاسل التلية و الأطلسية في اتجاه البحر⁴، وابتداء من هذا الرأس يمتد سهل شاسع يضم أراضي استيسية بدون انقطاع، و بعده من الداخل منحدر ينحدر إلى الأجزاء السفلى و التي تنتهي بمنخفضات مغلقة مثل المنخفض الذي يضم بحيرة الكالبية (أو سبخة الكالبية) الواقعة بالشمال الشرقي من القيروان⁵، و في أقصى الجنوب يوجد سهل

1- محفوظ الغديفي: مدينة القيروان و ناحيتها إلى نهاية القرن الثالث الهجري، دراسة في العمران و المجتمع، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ جامعة تونس، سنة 2001-2002، ص16.

2- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص16.

3- جموعي مشري: المرجع السابق، ص253.

4- نفسه، ص نفسها.

5- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص16، ملحق رقم ، ص رقم

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

ساحلي كبير تتخلله عدة منخفضات مغلقة (أو سبخات) منها: سبخة الشريطة و سبخة سيدي الهاني¹.

و يتميز الساحل الشرقي بانخفاضه و تقتطعه بعدة خلجان محمية بواسطة رؤوس بحرية، و من جهة أخرى فهو ممتد على شكل رصيف قاري ساحلي تنتشر خلاله بعض الجزر ذات المنافذ السهلة²، و هو ما يلائم الحياة البحرية و استفادت منه القيروان في اتصاله بالعالم الخارجي عن طريق البحر.

* **المرتفعات الجبلية:** و تتمثل في السلاسل التلية و الجبال الساحلية و هي ذات تكوين صخري و ذات انحدار وعر و من أهمها جبال الظهيرية التونسية التي تنتهي إلى منطقة منخفضة تتخللها أحواض داخلية متصلة فيما بينها كنهر مجردة و روافده مثل وادي الملاق³.

* **الصحراء:** تتكون من حوض رسوبي واسع و فيه تقع مدينة القيروان، تتخلله عروق و منخفضات و شطوط مثل شطي الجريد و الفجيج المغلقة⁴، و يمتد هذا الحوض نحو الغرب في المغرب الأوسط مستندا على هضاب مطماطة و الظهر شرقا حيث يتراوح ارتفاعه ما بين 500 و 600م، و تنتهي هذه المنطقة من المساحة الشرقية بانحدار مشرف على السهل الساحلي⁵، و على أودية تحيط بالقيروان أهمها وادي نهبانة في شمالها الغربي، و وادي مرق الليل في جنوبها الغربي، و وادي زرود في قبلتها، بينها و بينه أميال يسيرة، فإذا انتهى إلى الأضنام انتشر في سبخة الكالبية، هناك متسعة ضاع ماؤها فلم ينتفع به أحد⁶.

1- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص16.

2- جموعي مشري: المرجع السابق، ص254.

3- نفسه، ص نفسها.

4- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص16.

5- جموعي مشري: المرجع السابق، ص255.

6- محمد حسن: الجغرافيا التاريخية لأفريقية، دار الكتب الجديدة، بيروت، 2003، ص113.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

أما فيما يخص المناخ فنظرا لموقع المغرب الأدنى الشرقي البعيد عن مؤشرات المحيط الأطلسي الرطبة، و لانعدام الجبال المرتفعة، فإن المناخ بالمغرب الأدنى يميل إلى الجفاف أو شبه الجفاف في أكبر جزء من المنطقة، فندرة الأمطار تتجلى كل ما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب، فيتفاوت سقوط المطر في السلسلة التلية و السهول الشمالية الشرقية و أحواض نهر مجردة ما بين أكثر من 800 ملليمتر على السلاسل الساحلية، إلى 400 أو 500 ملليمتر في السهول و المنخفضات مع فصل جاف تبلغ مدته في المتوسط 3 أشهر، بينما لا يقل فصل الجفاف على 5 أو 6 أشهر في جنوب جبال الظهرة التونسية، و مجموع ما يسقط من مطر يقل عن 200 ملليمتر¹.

و تخضع المنطقة الساحلية للمؤثرات البحرية المنعشة، فمتوسط حرارة شهر جانفي يتراوح ما بين 9 و 11 درجة، و متوسط حرارة شهر جويلية يتراوح ما بين 25 و 28 درجة².

و من خصائص المغرب الأدنى اتجاهه البحري الذي تبرره أهمية سواحل ذات الاستصلاح السهل و موقعها الممتاز كملتقى الطرق بين حوضي البحر المتوسط الغربي و حوض البحر المتوسط الشرقي.

أما فيما يخص المغرب الأوسط الذي أصبحت المدينة تيهرت عاصمة واجهته الشمالية، تطل على البحر المتوسط وتمتاز بساحلها الصخري³، بحيث يتعذر على السفن المحادية الاستقرار على الساحل، إضافة إلى توفر الخلجان التي استغلها الرستميون في إقامة الموانئ التي ربطت بلادهم ببلاد

1- جموعي مشري: المرجع السابق، ص 256-257.

2- نفسه، ص 258.

3 - كانت بلاد المغرب في معظمها عبارة عن هضبة كبيرة تخترقها سلسلتان جبليتان، و تختلف أسماؤها من منطقة لأخرى، وعلى الجبال جنوبا نطاق صحراوي شاسع، رضا كحالة: المرجع السابق، ص 16، عبد القادر بوحسون: المرجع السابق، ص 2.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

المغرب و الأندلس¹، وتمتد هذه الخلجان على هيئة أنصاف دوائر، مثل خليج وهران² ومستغانم³ وتنس⁴ و شرشال.

و تمثل الصحراء الحدود الجنوبية للمغرب الأوسط و قد ساهمت في قيام علاقات تجارية وثقافية وطيدة بين الرستميين و جيرانهم في السودان الغربي⁵، إذ توفرت على منابع المياه و الواحات التي مكنت القوافل التجارية من القيام بمهامها الاقتصادية، و الرستميين من جني الأرباح الطائلة لتدعيم أركان دولتهم، و أشهر هذه الواحات و القواعد الصحراوية في صحراء المغرب الأوسط، قاعدة ورجلان⁶.

و تتميز الحدود الشرقية للمغرب الأوسط بالانفتاح و عدم وجود حواجز طبيعية و جبال مرتفعة، مما ساعد و سهل الانتقال بين المغرب الأوسط و هذه الجهات، كما أفادت دعاة الإباضية إلى الانتقال من هذه الجهات نحو المغرب الأوسط بعد فشلهم في إقامة دولة لهم في طرابلس، بجانب هذه الحدود الطبيعية التي يتمتع بها المغرب الأوسط، وجدت تضاريس متنوعة بسط الرستميون نفوذهم عليها، بحيث تمتد من شمال المغرب الأوسط سلسلتان جبليتان متوازيتان تعرفان باسم:

1- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987، ص13.

2- وهران: مدينة حصينة ذات مياه و أرحاء ماء و بساتين، بناها محمد بن أبي عون و محمد بن أبي عبدون و جماعة من الأندلسيين، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص70، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، ج2، ط3، دار البحث، قسنطينة، الجزائر، 2002، ص65، و للإدريسي وصف لمدينة وهران في الفصل الثاني من هذا الباب.

3- مستغانم: مدينة قديمة مسورة ذات عيون و بساتين و طواحين ماء، ويبرز في أرضها القطن و هي بقرب مصب نهر شلف في البحر، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص69.

4- تنس: مدينة مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة و مسجد جامع و أسواق كثيرة، بينها و بين وهران ثمانية أيام و بينها و بين تيهرت خمسة مراحل، ينظر، الحموي: المصدر السابق، ج2، ص48، البكري: المصدر نفسه، ص66.

5- السودان الغربي: العرب أول من أطلقوها على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى، يحددها من الشمال الصحراء الإفريقية الكبرى، و من الجنوب 10 درجات شمالي خط الاستواء و المحيط الأطلسي من الغرب، ينظر، مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة تلمسان، قسم التاريخ، 2005-2006، ص35، هامش ابن الصغير: المصدر السابق، ص32.

6- ورجلان: كورة بين إفريقية و بلاد البربر صارية في البر، ينظر، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص13، سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص16.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

الأطلس التلي و الأطلس الصحراوي¹، فتقسم شمال المغرب الأوسط إلى ثلاثة مناطق متباينة فيما بينها و هي: المنطقة الساحلية، وتكثر بها سهول ضيقة غنية وكثيرة السكان، و المنطقة التلية، و هي الوجه الجبلي من جبال الأطلس الذي يلي البحر، و هي أخصب جهات المغرب الأوسط و أغناها من حيث التربة و الغابات، و منها خرجت كثير من المحاصيل الزراعية وغيرها عن طريق الموانئ الرستمية إلى بلاد الأندلس².

و تقع المنطقة الثالثة بين سلسلي جبال الأطلس التلي و الصحراوي، و هي منطقة لانتشار النجود والشطوط، كما أنها فقيرة التربة و قليلة المياه، لذا فهي قليلة السكان، ضعيفة العمران³، وتمتد سلاسل جبال الأطلس الصحراوي بانحدار شديد نحو الصحراء و تمثل منابع لبعض المجاري المائية القصيرة، و التي بدورها تغذي عددا من واحات الصحراء⁴، فازدهرت في هذا الإقليم المراعي التي أمدت الدولة الرستمية بثورة رعوية كبيرة⁵، كما ساهمت هذه المناطق الجبلية في حماية الدولة الرستمية عند قيامها. أما من حيث مصادر المياه، فإن المغرب الأوسط لم يحظ بعدد كبير من الأنهار، فهي قليلة وصغيرة، و بعضها لا تكثر فيها المياه إلا في فصل الشتاء عندما تهطل الأمطار⁶، إلا أن هذه الأنهار عن قلتها كان لها أثر إيجابي في ازدهار العمران بالمغرب الأوسط و في الدولة الرستمية بصفة خاصة، حيث أسس عبد الرحمن بن رستم عاصمة دولته على نهر مينة⁷.

و كان من أهم أنهار المغرب الأوسط:

-
- 1- ابراهيم أحمد العدوي: بلاد الجزائر، تكوينها الإسلامي و العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970، ص11، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص14، رضا كحيلية: المرجع السابق، ص16.
 - 2- رضا كحيلية: المرجع السابق، ص16.
 - 3- مجهول، لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958، ص133، ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص142.
 - 4- محمد أحمد حسونة: أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، 1960، ص53.
 - 5- البكري: المصدر السابق، ص15-16.
 - 6- سعد زغلول: المرجع السابق، ص14.
 - 7- البكري: المصدر السابق، ص16.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

نهر الشلف: و ينبع من الونشريس، و يصب في البحر المتوسط إلى الشرق من مدينة مستغانم¹.
نهر سيرات: و يجري هذا النهر قرب قلعة هواة من الجهة الجنوبية، و يسقي هذا النهر فحص سيرات الذي يبلغ طوله نحو أربعين ميلا، و يقول البكري: "ليس منه شيء إلا يناله ماء هذا النهر، إلا أنه اليوم غامر غير عامر و لا أهل لان الحزب أجل أهله"².

نهر مينة: و هذا النهر يأتي من جهة القبلة لمدينة تيهرت عاصمة الرستميين³.
إلى جانب هذه الأنهار، هناك وديان صغيرة يأتيها الماء من العيون أو من قمم الجبال ومنها: نهر تاتش الذي اعتمد عليه أهل تيهرت في شربهم و ري بساتينهم، و نهر تامسن الذي ينبع من جبال من جبال في جنوب تنس، و عليه اعتمدت مزارع تنس التي اشتهرت بزراعة الحبوب، و منها القمح⁴، هذه الأنهار و الوديان و العيون هيأت الاستقرار للرستميين و ساعدتهم على قيام حياة زراعية هامة، كما مثلت مصدرا حيويا من مصادر رخاء الدولة الرستمية و ازدهارها اقتصاديا. و قد أدى تباين و تنوع عناصر السطح في المغرب الأوسط من سهول ساحلية و هضاب و جبال وصحارى إلى تنوع في عناصر المناخ من حرارة و رطوبة و كميات الأمطار، و هذا ما أثر بدوره في تعدد النشاط البشري في كل المغرب الأوسط⁵.

فالمنطقة الساحلية ذات طقس معتدل لطيف في الشتاء، خفيف في الصيف، كثير الرطوبة، كما تشتد الحرارة في السهول المرتفعة الداخلية⁶، و في هتين المنطقتين تغزر الأمطار، فيشتغل السكان

1- ذكره البكري في موضع آخر بوادي شلف و قيل هو من أهم أنهار بلاد المغرب، و لو لم يكن لتيهرت غير هذا النهر الكبير الغزير المياه لكفاها عمرانا إذ كان يفيض كما يفيض السيل و تزرع عليه أنواع الحبوب، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص 69، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 114.

2- البكري: المصدر السابق، ص 69-70، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 1، ص 77.

3- البكري: نفسه، ص 66.

4- سعد زغلول: المرجع السابق، ص 19، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 142، كاتب مجهول مراكشي: المصدر السابق، ص 133.

5- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 17.

6- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 172-173.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

السكان بالزراعة ويعيشون حياة الاستقرار و التحضر¹، أما منطقة الأندلس و الشطوط فجوها بارد في الشتاء، حار في الصيف، بحيث يستمر ارتفاع الحرارة كلما تقدمنا نحو الصحراء، فتقل كمية الأمطار حتى تكاد تنعدم، لذا فالنشاط البشري الذي يمارسه السكان في هاتين المنطقتين يتركز على حرفة الرعي، و بالتالي يعيشون حياة التنقل و الترحال بحثا عن العشب والمراعي².

و خلاصة القول من خلال استعراضنا للأحوال الطبيعية والبيئية الجغرافية لإقليمي المغرب الأوسط الأدنى نستنتج أنهما يشكلان وحدة جغرافية و طبيعية متماسكة تتمتع بمناخ معتدل و أمطار وفيرة وخصب كثير لذا وفد عليه أجناس مختلفة، إما طلبا للعيش أو للتجارة، و إما قصدا للغزو والسيطرة والاستيلاء على خيراته³، مما أثر بذلك في صنع الأحداث والتطورات حتى قيام الدول المستقلة.

ثانيا- التركيبة البشرية

تتضح معالم التركيبة البشرية التي كانت سائدة في المغرب في النصف الأول من القرن الثاني الهجري في انقسام السكان إلى أربعة عناصر و هي:

1- يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج1(الجزائر القديمة و الوسيطة)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، وهران، الجزائر، 1995، ص20.

2- إحسان حقي: المرجع السابق، ص13، أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص173، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص17.

3- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص4، محمد عمرو الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص31.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

أ/ البربر¹:

و هم السكان الأصليون لبلاد المغرب و أقدمهم فيه، أما أصل كلمة بربر في قاموس العرب تعني اختلاط الأصوات الغير مفهومة، أي علا صوته عند الهياج، بربر فلان، أكثر الكلامة في جلبة وصاح، وبربر أي أخلط في الكلام مع غضب و نفور²، أما المؤرخ الأوروبي بوسكي فيقول بأنها كلمة من أصل لاتيني و تعني الشخص الذي لا ثقافة له و الذي ينتمي إلى الشعوب المتخلفة التي تعيش خارج نطاق Barbarus روما و هي أقل منهم حضارة³، و يرى بعض المؤرخين أن لفظ البربر جاءنا من اليونان، فهم الذين أطلقوا هذه التسمية على سكان الشمال الإفريقي ظنا منهم أن هذه التسمية تطلق على الشعوب التي لا تخضع لنفوذهم أي الشعوب الأجنبية⁴، و لا يمكن التفاهم معهم، لأنهم متمردون على سلطتهم، وأكثر من ذلك، فقد اعتبروهم شعبا متوحشا و غير متحضر، و هي كلمة عنصرية و غير لائقة و غير واقعية، و هي نعت تحضيري فرضها الاستعمار الروماني على الشعوب المستضعفة في شمال إفريقيا⁵، و يرى هيروودوث أن هذه التسمية خاطئة، أما الأصل الصحيح

1- البربر (Barbares): إسم أطلقه اليونان ثم الرومان على الأجنب من الأمم، و البربر أيضا الشعوب الجرمانية و المغولية التي اجتاحت الإمبراطورية في القرن الثالث و الرابع و الخامس، أما البربر (Berberes) سكان بلاد البربر في إفريقية الشمالية الأصليين من الجنس الأبيض، لا يعرف من أين نزحوا، يعيشون في جبال الأطلس، اختلطوا بالفينيقيين على عهد قرطاجنة ثم بالرومان ثم بالقبائل والجيوش العربية بعد الفتح الإسلامي، ينظر، ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص27، و للمزيد عن البربر، ينظر عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص2408.

2- فريد داودي: الأصوات اللغوية في اللهجات البربرية القبائلية نموذجاً، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2000-2001، ص7.

3- عمار عمورة: المرجع السابق، ص13، G ssel, histoire ancienne de l'afrique du nord, otto zell en velag, osnabauck 1972, tome5, p115.

4- Strabon, géographie, traduction amédée tandiew, 2^{ème} édition, paris, hachette, 1894, tome3, livre 14, p155.

5- Alein Rey, dictionnaire historique de la langue française, dictionnaire Robert, -5 paris 1992, tome1 , p179.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

للتسمية فهم قطعاً الساميون من أبناء مازيغ بن كنعان، و من تم فالأمازيغ هو الاسم الصحيح لسكان هذه المنطقة.

يضيف العربي بوجلال: "أن طائفة من هؤلاء البربر قدمت المدينة المنورة و مثلت أمام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسألهم عن نسبهم فقالوا: إنما نحن منسوبون إلى مازيغ، ولما سألهم عن بلدهم قالوا: البلاد الواقعة بين خليج العرب، و يقصدون بذلك البحر الأحمر و البحر المتوسط والمحيط، و نسبوا أنفسهم إلى مازيغ و لم يذكروا بربر إطلاقاً"، و كلمة أمازيغ جمعها أمازيغن تعني بالترقية "التوارق" الساكن بشمال إفريقيا، و تعني الرجل الحر النبيل¹.

و قد اختلف في نسبهم اختلافاً كبيراً، فذهبت طائفة إلى أنهم من العرب، ثم قيل: "أوزاع من اليمن و أنهم أبناء النعمان بن حمير بن سبأ، و أنهم من غسان، تفرقوا عند السبيل العرم، و قيل أيضاً من لحم و جذام، كانوا نازلين بفلسطين من الشام، إلى أن أخرجهم منها بعض ملوك فارس، فلجئوا إلى مصر، فمنعهم ملوكها من نزولها، فذهبوا إلى المغرب فنزلوا"²، و يقول أبو الفداء أنه اختلف في البربر اختلافاً كثيراً فقليل أنهم من ولد فارق بن يبصر بن حام، و البربر يزعمون أنهم من ولد قيس غيلان³، و يقول بن خرداذبة: "أن البربر ينسبون إلى جدهم بر كما ينسب العرب إلى جدهم يعرب بن قحطان، سكنوا فلسطين منذ 670 ق.م بعد الطوفان، و أخرجهم منها النبي داوود عليه السلام في القرن 10 ق.م بعد أن قتل ملكهم جالوت، فاتجهوا نحو المغرب حيث نزلوا الجبال و الرمال لأنهم أصحاب مواشي و خيام"⁴.

1- صالح بلعيد: في المسألة الأمازيغية، دار هومه، الجزائر، 1999، ص17، عمار عمورة: المرجع السابق، ص13.
2- القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1991، ص119.
3- ابن أبي الفداء اسماعيل ابن علي: المختصر في أخبار البشر، تعليق محمود دبوب، ج1، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص118.
4- ابن خرداذبة: المسالك و الممالك، بريل ليدين، 1989، ص61.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

و ما أن جاء القرن الرابع الهجري حتى دونت أنساب البربر بالعربية، بل اشتهر عدد من النسابة¹ البربر و اتخذوا شجرة الأنساب العربية التي تقسم العرب إلى شعبين كبيرين ينحدران من عدنان و قحطان نموذجاً يحتذى به في تقسيم البربر إلى مجموعتين كبيرتين هما البتر والبرانس² بقولهم: "إن البربر يجمعهم جذمان عظيمان هما برنس ومضغيس الذي يلقب بالأبتر، فلذلك يقال لشعوبه البتر، و يقال لشعوب برنس البرانس"³.

و ينقسم البربر من الوجهة الاجتماعية إلى مجموعتين مختلفتين، البربر الحضري الذين يسكنون السهول الخصبة والمدن و الهضاب المزروعة، و يعتمدون في معيشتهم على الزراعة والصناعة، لذلك كانوا أكثر احتكاكاً بالشعوب و الحضارات، و من أشهر قبائل البرانس: كتامة و صنهاجة ومصمودة وزواوة وهوارة و أورابة و ازداجة و عجيسة، و البربر الرحل و هم البتر الذين يعيشون على الرعي ويميلون إلى الإغارة على السهول، و أشهر مجموعات البتر: زناتة و لواتة و نفوسة و مزاتة ومطغرة و مكناسة⁴.

و قد تحدث ابن خلدون مطولاً عن هاتين المجموعتين فقال: "أن هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم..."⁵.

لكن السؤال المطروح هنا هو كيف تنقل البربر في بلاد المغرب؟ و هل كان لعمليات الفتح دورها في هجرة البربر في بلاد المغرب؟

-
- 1- سالم بن سليم، سابق المطماطي، هاني بن مسدور الكومي، أيوب بن يزيد الكهلان، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد2، ص2408، سعد زغلول، المرجع السابق، ص24-25.
 - 2- حسن أحمد محمود: تاريخ المغرب و الأندلس، دار الفكر العربي، د.ت، ط1، ص13.
 - 3- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد2، ص2408، موسى لقبال و آخرون: الجزائر في العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص15.
 - 4- عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص2411.
 - 5- نفسه، م1، ص2402، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص20.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

مما لا شك فيه أن الفتوحات ساهمت في نقل البربر من مواطنهم الأهلية إلى بقاع أخرى، وإثبات ذلك يأتي من انتقال البربر و القبائل الليبية في حد ذاتها مثل هوارة و زناتة و لواتة إلى الأندلس¹، و كان ذلك لأسباب منها:

– المشاركة في الفتح و يكون حالهم عندئذ كمال العرب حيث يستقرون في المناطق المفتوحة في المدن أو على أراضي الفيء، و قد رأينا أمثلة على ذلك العنف الذي مارسه العرب الفاتحون على هذه القبائل التي يقال أنها ارتدت عديد المرات دفعها إلى الفرار، و قد رأينا كيف طارد موسى بن نصير قبائل أوربة إلى المغرب الأقصى، فقبيلة جراوة مثلا و هي إحدى قبائل زناتة، و قد نفى إيف موديران Yves Moderan إمكانية وجودها في الزاب زمن الفتح²، نجد بين برقة و إجدانية موضعا يعرف باسم "جراوة"³، أما في افريقية فالرقيق يشير إلى أصنام جراوة⁴، أما ياقوت فيحدد موضعا باسم جراوة بين قسنطينة و قلعة بني حماد⁵، ثم "جراوة" بالمغرب الأقصى غرب لكور⁶ و أخيرا جراوة ناحية بالأندلس من أعمال فحص البلوط⁷.

– الفتن الخارجية التي جمعت بين قبائل البربر من طرابلس إلى طنجة و قد جوّهت هذه الثورات برد فعل قوي من طرف الخلافة، كل ذلك ساهم و لا شك في اخلاط البربر و في انتقالهم من مجال إلى آخر⁸.

1- Guichard (p), structures sociales et orientales et occidentale dans l'Espagne musulmane, paris, 1977, p249 à 276.

2- (Y)Moderan, Debellis libycis et bysantins en Afrique du 6^{ème} siècle, these de doctorat d'histoire, université de paris 5, Nauterre 1990, p.p 794- 806.

3- ابن حوقل: المصدر السابق، ص66.

4- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص118.

5- ياقوت الحموي: المصدر السابق، م2، ص117.

6- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص 829- 830.

7- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص117.

8- أحمد الأسود : المرجع السابق، ج2، ص639.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

و لكن ذلك لا ينفي أن تكون هجرة البربر من الشرق إلى الغرب سابقة للفتوحات الإسلامية، فالبيزنطيون و الوندال عاملوا البربر بعنف أشد و يكفي أن نستشهد ببروكوب و قد عرف البربر بداية تحركاتهم نحو افريقية بصفة ملموسة منذ أواخر الفترة الوندالية¹.

أما تحركات البربر في الفترة البيزنطية فهي ليست مجرد حرب أو حالة ظرفية و إنما هي نوع من الهجرة إذا لم يكن يوجد حاجز يمنع انتقال هذه القبائل من مجالاتها الصحراوية إلى أراضي المغرب الأوسط والأقصى و جبال الأوراس و الزاب و غرب افريقية كما يبدو من جغرافية انتشارها في القرون الموالية².

ب/ الأفرقة:

هم أهالي افريقيا سكان المدن و على الأرجح مزدوجو اللغة و متنصرون³ كانوا يشكلون بوجه عام سكان المدن أو المراكز القريبة من المدن، و هم مزيج من بقايا الأمم التي احتلت بلاد المغرب، أي هم الطارثون و الدخلاء، و هم حسب الترتيب التاريخي القرطاجيون، و هم عناصر فينيقية سامية ثم الرومان والوندال و الروم البيزنطيون و هم عناصر آرية، ثم عنصر خليط من أولئك وهؤلاء، كان يدين معظم أفرادهم بالمسيحية و يأخذ بأساليب الحضارة الرومانية، و هم الأفرقة أو الأفارق، و كانوا خدما وزراعا، و مثلوا دورا مشبوها إذ قاوموا الفتح العربي الإسلامي منذ معركة سبينة 88هـ/649م⁴، و هؤلاء لا يرجع أصلهم إلى البربر، و لا تجمعهم أصول دموية واحدة و لا جد أعلى ينحدرون منهم و إنما انصهروا في الحياة الجديدة في مدن المغرب و استقروا به، و كانوا مختلطين بمن تحضر من البربر و أصبحت تجمعهم حياة مشتركة من استقرار في الأرض و ما يتصل بها من أرباض ومزارع⁵، حيث كانوا يساعدون العرب في عدة أعمال خاصة و أنهم كانوا أكثر الناس

1- أحمد الأسود: المرجع السابق، ص 639.

2- نفسه، ص 640.

3- عبد الله العروي : تاريخ المغرب، ترجمة ذوقان قرقوط، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت، 1977، ص 85.

4- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 14.

5- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص 5، شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 180.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

معرفة بالحرف الضرورية للمصر الجديد مثل البناء و النجارة والحداة و النسيج و الجلد و الحرف وغيرهما و هي صناعات اشتهرت بها أكثر مدن بلاد المغرب في العهد الروماني¹.

ج/ العرب:

جاء العرب إلى بلاد المغرب في ثلاث موجات، فكانت أولها هجرة الخوارج سنة 39هـ/661م بعدما هزمهم الإمام علي كرم الله وجهه، فهربوا إلى ساحل تونس، و لا تزال سلالتهم باقية حتى اليوم في جزيرة جربة و في الواحات الجنوبية، و من بقاياهم المزابيون في واحات جنوب وسط الجزائر.

و كانت الموجة الثانية و هي الرئيسية موجة الفتح العربي الإسلامي، جاءت هذه الأخيرة من بلاد العرب مباشرة من الحجاز و اليمن، و معظمهم جنود و فرسان بلا زواج، فلما استقروا في بلاد المغرب تزوجوا من نساء البربر الأمازيغ، فنشأ عنصر اختلطت فيه الدماء السامية بالدماء الحامية، وقد وصلت هذه الموجة إلى ساحل المحيط الأطلسي و وادي سوس، و الموجة الثالثة هي فتح الأندلس ودخول الفاتحين العرب إليها²، و كان لهذه الموجة الفضل الكبير في نشر اللغة العربية و الدين الإسلامي الحنيف على أيديهم.

انتشر الإسلام في المغرب انتشارا واسعا و أصبح هذا الدين الجديد عنصر خلاص للبربر من العبودية و القهر، و تحمسوا للفتحين العرب و شكلوا كتلة موحدة لا تميز بينهما، و انصهرت العبقرية العربية الإسلامية مع العنصر البربري في المغرب انصهارا نهائيا³ قبل انشاء الدولة الرستمية بحوالي قرن، وأصبحت هناك مدن إسلامية خالصة استقر فيها العنصر العربي كمدينة القيروان.

و هم الجند الذين وفدوا إلى بلاد المغرب في إطار الفتح الإسلامي، إلى جانب الذين انتقلوا إلى هذه البلاد بعد إتمام عملية الفتح و اتخذوا منها موطناً لهم فاستقروا فيها و أقاموا فيها، ومنهم

1- DECRET Funtar, l'afrique de nord dans l'antiquité, op.cit, p219.

2- محمد بوركة: البنية الاجتماعية في العهد الرستمي، مجلة الخلدونية، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، عدد خاص، 2009، ص126.

3- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص96.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

أيضا الذين أرسلهم الخلفاء لبث تعاليم الإسلام و نشره بين سكان المغرب إلى جانب الخوارج الذين لجأوا لنشر مبادئهم وآرائهم، إذ وجدوا في هذه الأرض منطقة خصبة لذلك، و ظل هؤلاء العرب في المجتمع التيهري يمثلون طبقة معروفة لدى الجميع و هي طبقة العرب¹.

د / العجم و الروم:

و هم الفرس الذين استقروا في المغرب الاسلامي، فالبعض يرى أنهم جاءوا من المشرق الاسلامي إلى المغرب مع جيوش الخلافة لإخماد ثورات البربر، حيث ذكر النويري أن جيش محمد بن الأشعث الذي أوفده أبو جعفر المنصور ضم ثلاثين ألف فارس من أهل خراسان²، لأن الدولة العباسية اعتمدت على الفرس الخراسانيين في قيامها بقيادة أبي مسلم الخراساني.

أما الروم فهناك من عرفهم كما يلي: هم أبناء و عقب الجيش البيزنطي و موظفو الحكم البيزنطي الذين جاؤوا من بيزنطة (آسيا الصغرى) إلى المغرب لخدمة حكم إمبراطوريتهم و استقر انتشارهم في مناطق التحصينات بقسطيلية و طبنة و باغاية و الجريد و توزر، و دخلت أفواج منهم إلى الإسلام³، وكانوا قبل مجيء العرب هم الماسكين للسلطتين العسكرية و الإدارية⁴.

المبحث الثاني: مسار و مراحل الفتح الاسلامي لبلاد المغرب

تركزت المحاولات التمهيدية الأولى للفتح العربي في بلاد المغرب منذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه و حتى قيام الدولة الأموية في برقة باعتبارها جزءا من أرض مصر أو ولاية مصرية⁵،

1- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 37-38.

2- النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج22، تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ص19، الشماخي: السير، المصدر السابق، ص131.

3- هاشم العلوي: مجتمع المغرب الأقصى، المرجع السابق، ج1، ص302، محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص334.

4- عبد الله العروي: تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص85.

5- يوسف علي بديوي: المرجع السابق، ص13.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

وطرابلس وافريقية فقط¹، و لم تكن هذه المحاولات سوى غارات سريعة لم يحظ المغرب الأوسط بشيء منها، فهي لم تحقق للمسلمين استقرارا يمكنهم من تعريف أهل البلاد بالإسلام و ما يحمله من مبادئ سامية، كما أن هذه الغارات لم تقض على مقاومة الروم التي مثلت عقبة في سبيل انتشار الاسلام وتثبيت دعائم الفتح².

و تعد حملة معاوية بن حديج السكوني³ آخر غزوة من الغزوات التمهيديّة التي قام بها العرب في المغرب قبل أن يتخذوا قرارا نهائيا بفتح هذه البلاد فتحا دائما ثابتا⁴، لذلك فقد كان على الخلافة الأموية بعد أن استتبت الأمور في يد معاوية بن أبي سفيان (41هـ/661م) أن تتبنى سياسة جديدة تستهدف الفتح المنظم لبلاد المغرب.

لقد تنبّهت الخلافة الأموية إلى أهمية افريقية و ضرورة مواصلة الفتوح فيها، إذ أنّها كانت ميدانا مفتوحا لا يعترض تقدم العرب فيه مانعا كبيرا، ثم إن كثيرا من البربر كانوا قد أسلموا في ذلك الحين ولا يستبعد أن يكون الكثيرون من العرب قد تحلفوا في افريقية لتعليم البربر قواعد الإسلام⁵.

و لكي يبدأ الفتح المنظم و المستمر لافريقية، كان لا بد لها من وال خاص بها يتولى قيادة الفتوح فيها، و يقوم بوضع أسس الحكم الاسلامي فيها و أن يجعلها ولاية من ولايات دولة الاسلام،

1- للمزيد عن هذه الفتوحات و عن المحاولات التمهيديّة في كل من برقة و طرابلس و افريقية، ينظر، ابن عبد الحكم: فتوح افريقيا والأندلس، تحقيق و تقديم عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت، 1964، ص- ص 27-36.

2- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص25.

3- هو أمير صحابي والي مصر، و ممن شهد حرب صفين في جيش معاوية بن أبي سفيان، و ولي فتح المغرب مرارا، و استولى على صقلية، و فتح بنزرت، و كان أعورا، عاقلا، واسع العلم، مقداما، توفي سنة 52هـ، ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، تحقيق و تعليق محمد الشام، المكتبة العتيقة، تونس، ص 27-28، و يسميه ابن خلدون بابن خديج السكوني، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1571.

4- يوسف علي بديوي: المرجع السابق، ص17.

5- نفسه، ص نفسها.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

فكانت البادرة الأولى في هذه السياسة الأموية أن ولي معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع¹ قيادة عمليات الفتح في بلاد المغرب سنة 51هـ/670، و أمده بعشرة آلاف فارس²، فكانت تلك بداية مرحلة الفتح المنظم لبلاد المغرب و امتداد تلك الفتوح إلى بلاد المغرب الأوسط و الأقصى والأندلس، و من أبرز الولاة الذين قادوا عمليات هذا الفتح المنظم نذكر:

1- ولاية عقبة بن نافع الأولى (51-55هـ/670-675هـ):

وصل عقبة بن نافع الفهري إلى افريقية في عشرة آلاف من المسلمين فافتتحها و دخلها، فوضع السيف في أهلها، فأفنى من بها من النصارى و رأى عقبة أن فتح تلك البلاد ينبغي أن يتم في إطار خطة عامة تقوم على تأسيس قاعدة ثابتة يستقر فيها المسلمون، ثم يتابعون منها الغزو و نشر الاسلام حيث قال: "إن افريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الاسلام، فإذا خرج منها، رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأزكى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"³، و وقع اختيار عقبة على مكان لهذه القاعدة التي سماها القيروان⁴، و شرع في بنائها بعد أن فرغ من فتح افريقية وقضى على مقاومة الروم و البربر بها سنة 51هـ/670م⁵.

و بعد فراغ عقبة بن نافع من انشاء تلك القاعدة بدأ يستعد لمواصلة الفتوح، إذ أنه اطمأن إلى أنه أنشأ للمسلمين قاعدة يحكم منها البلاد التي يفتحها و تصدر منها بقية عمليات الفتح، أي أن عقبة بعمله هذا قد جعل افريقية ولاية اسلامية جديدة لأنه ما دام قد أنشأ بها مسجدا جامعاً، وداراً للإمارة، فقد أصبحت المنطقة كلها جزءاً من الدولة الاسلامية و لا يجوز بعد ذلك للمسلمين

1- عقبة بن نافع، فاتح من كبار القادة في صدر الاسلام، و هو باني القيروان، و شهد فتح مصر و بنى مسجد عقبة بن نافع في القيروان، قتل سنة 63هـ في مدينة تمودا، ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص 19-20، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص32.

2- النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ج22، ص95، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص29.

3- ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص19.

4- سنتطرق لبناء القيروان بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الأول.

5- الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد ماضور و محمد الأحمدى أبو النور، مكتبة الخانجي، مصر، د.ت، ج1، ص8.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

أن يتخلوا عنها¹، فقد انسحب العرب قبل ذلك من افريقية إلى برقة، أو إلى مصر، أما الآن فلا بد لهم أن يثبتوا ويدافعوا عن قاعدتهم و إن فقدوها لسبب ما فيجب عليهم أن يستعيدوها مرة أخرى لأنها جزء من الديار الاسلامية.

و من هنا يتبين لنا أهمية العمل الذي قام به عقبة بن نافع و الذي يعد بحق من أعظم فاتحي المغرب، و واحد من أكبر بناء الدولة الاسلامية و لا يقارن عقبة في هذا المجال إلا ب "قتيبة بن مسلم الساهلي"² الذي تولى مهمة الفتح في الجناح الشرقي لدولة الاسلام، و إليه يرجع الفضل في التغلب على مقاومة الترك، و فتح بلادهم للإسلام، و الوصول إلى كاشغر سنة 96هـ و هي أدنى مدائن الصين³ في اقليم ستيكيانج في غرب الصين الحالية، أي أن عقبة بن نافع وصل بحدود دولة الاسلام إلى أقصاها غربا، بينما قتيبة بن مسلم وصل بها إلى أقصاها شرقا⁴.

انشغل عقبة بتأسيس القيروان أكثر من أربع سنوات، تغيرت خلالها الأمور في بلاد المغرب وأصبحت الأوضاع تقتضي تغييرا في القيادة العليا هناك⁵ و كان مسلمة بن مخلد الأنصاري⁶ والي مصر أول من أحس لقربه من بلاد المغرب أن الأمور تتغير في تلك البلاد لغير صالح المسلمين نتيجة للسياسة الجديدة التي اتبعها الامبراطور "قسطنطين الرابع"، إذ أصدر أوامره بمنع الاضطهاد الديني بأهالي المغرب، أملا في تكوين جبهة داخلية قوية لمقاومة المسلمين، تضم الروم مع بربر المغرب

1- يوسف علي بديوي : عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص20.

2- قتيبة بن مسلم: ولاء الحجاج واليا على خراسان سنة ستة وثمانين، فعرض الجند و حث على الجهاد و سار غازيا، فتح كاشان وأورشث من فرغانة و سومان من طخرستان و قام بغزو بخارى، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص 1017-1018.

3- نفسه، م1، ص1024.

4- يوسف علي بديوي: المرجع السابق، ص20.

5- محمد عيسى الحريري : المرجع السابق، ص27.

6- كان من كبار الأمراء و أنصار البيت الأموي، وفد على معاوية بن أبي سفيان قبل أن يستتب له الأمر، و شهد معه معارك صفين، وأعانته على الوصول إلى الخلافة، فولاه إمرة مصر سنة 47هـ بعد وفاة عمرو بن العاص، ثم أضاف إليه المغرب فأقام بمصر وسير الجيوش إلى المغرب، و هو أول من جعل بنيان المنائر التي هي محل التأذين في المساجد، توفي سنة 62هـ، يوسف علي بديوي: عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص21، ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص21.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

الأوسط، و أمام هذه التطورات سعى مسلمة بن مخلد إلى عزل عقبة عن المغرب و تولية رجل من أتباعه يسمى دينارا أبا المهاجر سنة 55هـ/ 676م¹.

2- ولاية أبي المهاجر دينار الأنصاري:

لقد أجمعت المصادر على أن أبا المهاجر أساء عزل عقبة، أخرجه إلى المشرق في حراسة مشددة، وكره أن ينزل الموضع الذي اختطه عقبة و بعد عن القيروان، و بنى مدينة أسماها تيكروان وأخلى وخرّب قيروان عقبة و أمر الناس بعمارة مدينته².

و لكن بالرغم من تصرفه هذا مع عقبة بن نافع، إلا أنه تبين أن أبا المهاجر بن دينار من خيرة الولاة، فقد انتهج سياسة جديدة في الفتح، فتقرب من البربر لخرّب تحالفهم مع البيزنطيين من جهة وكسب مودّتهم من جهة أخرى³، و نجح أبو المهاجر في نقل عملياته العسكرية إلى القسم الشرقي من المغرب الأوسط حتى بلغ تلمسان⁴، أين كانت توجد منازل أكبر قبائل البربر البرانس وهي وهي أوربية⁵ التي كانت تسيطر على كامل المغرب الأوسط، يتزعمها زعيم بربري سمي "كسيلة بن ملزم"، ونظرا لحسن سياسته أي المهاجر، استطاع استمالة و اجتذاب كسيلة إلى الدخول في الاسلام هو وعدد كبير من البربر⁶ في سنة 59هـ/ 678م، اتجه أبو المهاجر إلى قرطاجنة التي كانت تمثل أقوى معاقل الروم في الشمال الافريقي وحاصرها حصارا شديدا، و لم يرفع عنها الحصار إلا بعد أن

1- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص 21، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص29، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1571.

2- ابن عذارى المراكشي: نفسه، ص22، عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص1571، ابن أبي دينار: نفسه، ص29.

3- محمد علي الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص28، يوسف علي بديوي: عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص21.

4- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1571، فنزل عيوننا عند تلمسان تعرف حاليا بعيون أبي المهاجر، ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، المصدر السابق، ص28.

5- أوربية: قبيلة برنسية أي من قبائل الحضرة الذي يسكنون السهول الخصبية و المدن، توجد مساكنهم قرب فاس، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص371، ابن خلدون: المصدر نفسه، م2، ص2411.

6- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص28، ابن خلدون: العبر، المصدر نفسه، م1، ص2571.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

تنازل الروم عن جزيرة شريك¹ التي اتخذها مركزا لمراقبة الروم و معرفة تجمعاتهم و تحركاتهم، و بعد ذلك اتجه أبو المهاجر إلى ميلة²، و افتتحها و أقام بها سنين عاد بعدها إلى مقدمه في تيكروان بعد أن حقق أهدافه في المغرب الأوسط³.

3- ولاية عقبة بن نافع الثانية على افريقية 62هـ/ 682م:

لقد أثمرت جهود أبي المهاجر دينار في المغرب الأوسط بدخول الكثير من أهله في الاسلام إلا أن عقبة بن نافع كان قد استطاع اقناع السلطات المركزية في دمشق بالعودة إلى القيادة في بلاد المغرب⁴ بدلا من أبي المهاجر، فسار عقبة نحو افريقية خنقا على أبي المهاجر، فلما بلغها، أوثق أبا المهاجر في الحديد وأمر بتخريب مدينته التي بناها و أعاد الناس إلى القيروان و عمروها، و أجمع عقبة على الغزو في سبيل الله، واستخلف زهير بن قيس البلوي على القيروان⁵، و اندفع عقبة بن نافع في عسكر عظيم و أحرز النصر تلو النصر في قتاله الروم و الفرنجة و فتح حصونهم مثل لميس⁶ و باغاية⁷

1- شريك: كورة بافريقية بين سوسة و تونس، سميت نسبة إلى شريك العبسي الذي كان واليا عليها، كانت عامرة، بها قصور كبيرة وخيرات و مزارع حسنة، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص29، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص99.

2- ميلة: مدينة صغيرة بأقصى افريقية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج8، ص226.

3- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص29.

4- و قد ذكر بن أبي دينار أن عقبة لما رجع إلى المشرق شكى إلى معاوية ما فعله أبو المهاجر به فوعده بالرجوع إلى عمله، وبعد وبعد وفاة معاوية سنة 60هـ، و تولى الخلافة من بعده يزيد الذي ولى سنة 62هـ على بلاد افريقية و المغرب كله عقبة بن نافع الفهري وهي ولايته الثانية، ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص23، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص29-30.

5- ابن عذارى: المصدر السابق، ص23، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص30.

6- لميس: من أعظم مدائن الروم و أكثر أشجارها التين و العنب و الخوخ و الجوز، ابن أبي دينار: نفسه، ص30، و ذكرها البكري بأنها موضع بينه و بين مطماطة أمسكور على وادي ملوية مرحلة، البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، نشر ديسولان، باريس 1965، ص147.

7- مدينة كبيرة في أقصى افريقية بين مجانة و قسنطينة، و هي قرية من جبال الأوراس، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج2، ص41.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

و تيهرت¹ و فتح اذنة قاعدة الزاب بعدما هزم ملوكها وأصاب من غنائمهم²، ثم توجه إلى المغرب ففتح مدينة سبتة و طنجة فأطاعه الملك يليان و هاداه و أتخفه و دله على بلاد البربر و رآه بالمغرب مثل بلاد المصامدة و بلاد السوس³ حتى وصل إلى البحر المحيط وقفل راجعا و أذن لجيوشه اللحاق بالقيروان.

اعتقد عقبة عندما وصل إلى شاطئ المحيط أن عملياته الحربية قد انتهت، فارتد بسرعة إلى افريقية، ويبدو صحيحا أن عقبة وقع في تأثير الاغراء الجغرافي لامتداد المغربين الأوسط و الأقصى، فتقدم بقواته دون أن يوفر لها حماية بحرية، و دون أن يضع لنفسه خطة محددة الأهداف تؤمن ظهر قواته في تقدمها ورجوعها، و ترك بذلك جيوبا كثيرة للأعداء يتحصنون بها خلف ظهره، تجمعت هذه الجيوب بعد ذلك، و قضت عليه في يسر و سهولة⁴، و في طريق عودته إلى افريقية عندما وصل وصل إلى مدينة طبنة⁵، و حتى بتواطئ الروم مع البربر، حيث طمروا آبار المياه في طريق عودته، لذا أمر جنوده أن يتقدموا فوجا بعد فوج إلى القيروان و سار هو إلى تلموذة⁶ لحراسة مؤخرة جنده، فلما توسط البلاد بعث الروم إلى كسيلة الأوربي الذي كان ضمن قوات عقبة، و كان قد ضاق ذرعا بسوء معاملة عقبة له و كما يذكر بن خلدون: "و كان كسيلة ملك أوربة و البرانس من البربر، قد اظطنغ عليه (عقبة بن نافع) بما كان يعامله به من الاحتقار، يقال: إنه كان يحاصره في كل يوم، و يأمره

1- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1572.

2- الدباغ: معالم الإيمان، المصدر السابق، ج1، ص 48-49، النويري: نهاية الأرب، المصدر السابق، ج1، ص6، السلاوي: الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، و محمد الناصري، دار الكتاب المغرب، الدار البيضاء، 1954-1956، ج1، ص38.

3- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1572، ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، المصدر السابق، ص26.

4- النويري: نهاية الأرب، المصدر السابق، ج22، ص7، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج4، ص106.

5- طبنة: بلدة في أصرف افريقية على ضفة الزاب، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج6، ص25.

6- تقع جنوبي واحة بسكرة الحالية، اسم لقبيلة من البربر بناحية افريقية، لهم أرض تعرف بهذا الاسم، ياقوت الحموي: نفسه، ج2، ص438، ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص20.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

بسليخ الغنم إذا ذبحت لمطبخه¹ فانتهاز فيه الفرصة، و اتفق كسيلة مع البربر و اعترضوا عقبة في تلموذة، وقتلوه هو و ثلاثمائة من أصحابه من بينهم دينار أبو المهاجر سنة 64هـ / 684م².

تطورت الأحداث بسرعة في القيروان فقد وصلتها أنباء وقعة تھوذة و كان لها وقع سيء على المسلمين و عظم البلاء عليهم، و كان الجنود العائدون قد نالهم التعب و الارهاق، لذلك فضلوا العودة إلى المشرق و ترك القيروان، و كان على رأسهم حنش الصنعاني³ قائد حامية جزيرة شريك، وينقل لنا ابن عذارى الحوار الذي دار بين زهير بن قيس و حنش الصنعاني حين قام زهير بن قيس خطيبا في الناس يدعوهم إلى القتال دفاعا عن القيروان: "فقام زهير بن قيس خطيبا في الناس فقال: يا معشر المسلمين إن أصحابكم قد دخلوا الجنة، و قد من الله عليهم بالشهادة فاسلكوا سبيلهم ويفتح الله لكم دون ذلك، فقال حنش الصنعاني: لا و الله ما نقبل قولك و لا لك علينا ولاية، و لا عمل أفضل من النجاة بهذه العصابة من المسلمين إلى مشارقتهم، ثم قال: يا معشر المسلمين من أراد منكم القفول إلى مشرقه فليتبعني، فاتبعه الناس و لم يبق مع زهير إلا أهل بيته"⁴.

و اجتمع إلى كسيلة أهل المغرب من الروم و البربر، و فضل زهير بن قيس الانسحاب إلى برقة بينما واصل كسيلة زحفه إلى القيروان فاستولى عليها و لم يبق بها إلا أصحاب الأتقال و الذراري والضعفاء من المسلمين فطلبوا الأمان من كسيلة فأمنهم⁵.

و على الرغم من فشل حملة عقبة في تحقيق أهداف سياسية، و هزيمتها العسكرية، إلا أنها كانت بعيدة الأثر في اسلام افريقية و المغرب، فظهرت عناصر اسلامية جديدة و خاصة بين القبائل

1- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص2072، ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص29.

2- ابن خلدون: نفسه، ص نفسها.

3- نفسه، م1، ص1572.

4- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص31، السلاوي: الاستقصا، المصدر السابق، ج1، ص39، ص39، محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص32.

5- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص32، النويري: نهاية الأرب، ج27، ص7، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، السابق، م1، ص1572.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

التي أعلنت العصيان على كسيلة و رفضت الانصياع له¹.

و في سنة 65هـ/ 684م ولي الخلافة عبد الملك بن مروان بعد وفاة والده مروان بن الحكم، فلما اشتد سلطانه، اجتمع أكابر المسلمين عليه فسألوه النظر في أحوال افريقية و تخليصها و من بها من المسلمين من يد كسيلة، و ينقل لنا كل من ابن عذارى و ابن أبي دينار الكيفية التي وقع بها اختيار زهير بن قيس البلوي²، استقر رأي الجميع على اختيار نظرا لما يتمتع به من خيرة في الميدان الافريقي وشؤونه، فامتده عبد الملك بجيش عظيم و أموال كثيرة و حشد إليه وجوه العرب و أمره بالتوجه إلى افريقية³.

4- ولاية زهير بن قيس البلوي 69هـ/ 688م:

تقدم زهير بن قيس إلى افريقية بقواته في سنة تسع وستين من الهجرة و قيل سبع و ستين من الهجرة⁴، ولما بلغ كسيلة خير تقدمه خشى البقاء بالقيروان لأن بها خلقا كثيرا من المسلمين، كما أنها محاطة بطوائف البربر الموالين للعرب لذلك فضل أن تكون أرض المعركة في ممسه و يذكرها ابن الأثير "ممسه"⁵ وابن خلدون ب"ميسه"⁶ التي تقع بحصنها على هضبة تتصل بجبال الأوراس، مما يسهل عليه

1- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص32، يوسف علي بدوي: عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص25.

2- عندما سئل عبد الملك بن مروان عن انقاذ و تخلص افريقية من يد كسيلة رد بقوله: "لا يصلح بالطلب بدم عقبة من الروم والبربر إلا من هو مثله دينا و عقلا" فاستشار مع وزرائه، فاجتمع رأيهم على تقلد زهير بن قيس البلوي و قالوا: "هذا صاحب عقبة و أعلم الناس بسيرته و تدبيره و أولاهم بطلب دمه"، فوجه عبد الملك إلى زهير و هو ببرقة بأمره بالخروج على أعنة الخيل إلى افريقية ليستنقذ من القيروان"، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص31، و يذكر بن أبي دينار أنه عندما سئل عبد الملك انقاذ افريقية قال: "ما أرى لها إلا زهيرا لدينه و ورعه و هو أعرف الناس بسيرته عقبة، فبحث إلى زهير و أمده بالجيوش و الأموال وأرسله إلى افريقية"، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص32.

3- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص33، يوسف علي بدوي: المرجع السابق، ص26.

4- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1572.

5- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج4، ص109.

6- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1572.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

عليه الحصول على العتاد و المؤن والماء، و لأن ضيعة المنطقة الجبلية تمكنه من الهرب إلى موطنه إذا هزم أمام زهير¹.

و لما وصل زهير إلى القيروان لم يدخلها و أقام بظاهرها ثلاثة أيام، و في اليوم الرابع تقدم للقاء كسيلة، و دارت بينهما معركة عنيفة، أحكم فيها زهير حصار كسيلة و الروم و مطاردهم حتى وادي ملوية بالمغرب² و يذكر بن أبي دينار و المالكي أن زهيرا اتجه بعد قضائه على كسيلة إلى الشمال ففتح شقبنارية³ و باجة و بعض القلاع الأخرى⁴.

لقد كان لجهود زهير بن قيس نتائج إيجابية على عملية الفتح إذ نجح العرب في استرداد المغرب الأوسط و ضمه إلى حوزتهم، و كسروا شوكة أوربة البرانس حليفة الروم، حيث تركت أوربة المغرب الأوسط لتستقر حول مدينة ويلي بالمغرب الأقصى⁵.

و تذكر لنا المصادر أن زهيرا كان من كبراء الزاهدين و رؤساء العابدين، فلما رأى بافريقية ملكا عظيما، كره الإقامة بها لرفاهية عيشها و قال: "إنما جئت للجهاد و أخاف أن تميل بي نفسي إلى الدنيا فأهلك"⁶ فترك القيروان و سار نحو الشرق، و لما وصل إلى برقة رأى ضرورة مطاردة غارات الروم والقضاء عليها، فانقض بمن معه على الروم، و إذا هم في عدد عظيم، و استطاعوا إيقاعه هو وبعض جنوده في كمين أعدوه له على الساحل و تكاثروا عليه فاستشهد هو و أشرف من كان معه

1- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص24.

2- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص32، السلاوي: الاستقصاء، المصدر السابق، ج1، ص42.

3- شقبنارية: أماكن بافريقية سمي الكاف و الأريص، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج2، ص25، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص33.

4- ابن أبي دينار: نفسه، ص نفسها، المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية و زادهم نساكهم و سير من من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981، ج1، ص30.

5- السلاوي: الاستقصاء، المصدر السابق، ج1، ص42، محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص34.

6- ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص32، السلاوي: الاستقصاء، المصدر السابق، ج1، ص42.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

من العرب¹، أما الروم فقد سجلوا على أنفسهم غدرا لا يقل شراسة عما فعلوه مع عقبة في تهوذة². و هكذا أصيب المسلمون بكارثة ثانية في فتوح افريقية و انسحب الباقون من رجال زهير إلى برقة وأرسلوا يطالبون المدد من دمشق للعودة إلى افريقية، و لما انتهى الخبر إلى عبد الملك بن مروان، عظم عليه ذلك لفضل زهير و دينه، و كانت مصيبة مثل مصيبة عقبة قبله، و عندما سأله النظر في أمر إصلاح افريقية قال: "ما أرى أحدا كفوء الافريقية كحسان بن النعمان"³، فأرسل حسانا بن النعمان على رأس قوات ضخمة لإقرار الأوضاع بالمغرب و استكمال فتحه.

5- ولاية حسان بن النعمان الغساني 76هـ / 696م:

كان حسان من كبار رجال عبد الملك بن مروان، و كان رجلا شريفا ينتسب إلى آل غسان⁵، ومع تقدم سنه إلا أن شخصيته و سيرته و أمانته مكنته من القيام بمهمة استكمال عملية الفتح التي وكتلتها إليه الخلافة، لقد حمل حسان بن النعمان عبئ المرحلة الجديدة في فتح بلاد المغرب، و قد عمل عبد الملك بن مروان على تجهيزه بجيش عظيم، تقدم حسان بهذا الجيش فاخترق برقة وطرابلس و وصل إلى القيروان دون أية مقاومة، و تمكن أن يحرز نصرا كبيرا على الروم فهزمهم في قرطاجنة ثم في وصطفورة⁶ و بنزرت، و فرت بقاياهم إلى صقلية و الأندلس⁷.

1- ابن أبي دينار : المؤنس، المصدر السابق، ص33، ابن عذارى: المغرب، المصدر السابق، ج1، ص33، النويري: نهاية الأرب، المصدر السابق، ج22، ص8،

Fournel (H) : Etude sur la conquête de l'Afrique de Nord par les arabes, Paris, -2 1927, p- p 28- 29.

3- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص33، ابن أبي عذارى: المغرب، المصدر السابق، ج1، ص33.
4- قيل سنة ثلاث و سبعين، ست و سبعين و سبع و سبعين، و قيل ثمانية و سبعين و تسع و سبعين، ابن عذارى: نفسه، ج1، ص34، ابن أبي دينار: نفسه، ص33، ابن عبد الحكم: فتوح مصر و الأندلس، المصدر السابق، ص62.
5- هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن الأزد، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص34.

6- صطفورة بلدة من نواحي افريقية، ياقوت الحموي : معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص356.

7- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج4، ص369، النويري: نهاية الأرب، المصدر السابق، ج22، ص8.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

و بعد إحرازه هذه الانتصارات، سار حسان لخوض معركة مع قبيلة جراوة التي كانت تقودها امرأة تدعى "الكاهنة" و هي كما ذكر بن خلدون يومئذ أعظم ملوك البربر¹ و كانت بجبل الأوراس تحافها النصرى و البربر، و قد مني حسان بالهزيمة عند نهر نيني² فقتل من العرب خلق كثير، وأسرت الكاهنة ثمانين رجلا من أصحاب حسان، و طارده حتى خرج من قابس منسحبا إلى برقة بمكان يعرف به يقال له قصور حسان³، و مكث هنالك خمسة أعوام، و أرسل للخليفة بطلب المدد و فعلا فعلا أمده عبد الملك بن مروان بالمال و الرجال⁴.

و قد اطمأنت الكاهنة إلى أن العرب قد ابتعدوا عن بلادها فعادت إلى مواطنها و ظنت أن العرب لا يطلبون من هذه البلاد إلا المغنم، و اتبعت سياسة تدل على عدم فهمها لمجريات الأحداث والآثار الطيبة التي تركتها موجات الفتح الاسلامي المتعاقبة في نفوس الأهالي⁵ ذلك أنها شرعت في تخريب المدن و قطع الأشجار و تبديد العمران ظنا منها أن ذلك يقطع أطماع العرب عن هذه البلاد⁶، ولكن الذي حدث غير ذلك حيث ثار البربر و رفضوا الانصياع لها و البقاء تحت سيطرتها، و خرج الكثير من النصرى و الأفارقة مستعئين مما نزل بهم من الكاهنة⁷، و قد استفاد حسان بن النعمان عندما استأنف الزحف على افريقية و بلاد المغرب سنة 81هـ⁸ فاستطاع بمساعدة البربر

1- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1572.

2- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج4، ص370، قال ابن عذارى: "ذلك الوادي وادي العذارى" و ذكر ابن عبد الحكم أنه يسمى اليوم "نهر البلاء"، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص36، ابن عبد الحكم: فتوح مصر و الأندلس، المصدر السابق، ص63.

3- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص34، ابن عبد الحكم، نفسه، ص نفسها.

4- ابن أبي دينار: نفسه، ص نفسها، يوسف علي بديوي: عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص29.

5- يوسف علي بديوي: نفسه، ص نفسها، محمد علي الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص37.

6- ذكر ابن عذارى و بن أبي دينار أن الكاهنة ملكت المغرب كله بعد حسان خمس سنين، فقالت البربر: "إن العرب إنما يطالبون من افريقية المدائن و الذهب و الفضة و نحن إنما نريد منها المزارع و المراعي، فلا نرى لكم غلا خراب بلاد افريقية كلها حتى يئس منها العرب، فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر"، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص36، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص34.

7- ابن عذارى: نفسه، ج1، ص37، محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص37.

8- ابراهيم العدوي: الأمويون و البيزنطيون، المكتبة الأنجلو المصرية، ط2، مصر، 1963، ص256.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

الذين ضاقوا ذرعا بأعمال الكاهنة أن يهزم الكاهنة و يحرز نصرا نهائيا و يقتلها سنة 82هـ/ 701م بمكان سمي "بيئر الكاهنة" في جبال الأوراس¹ وطلب أصحابها الأمان فلم يقبل حسان أمانهم حتى أعطوه اثني عشر فارسا من جميع قبائلهم، دخلوا بعد ذلك في الاسلام، فقسمهم حسان إلى فرقتين جعل على كل فرقة منهما ولدا من ولدي الكاهنة الذين دخلوا في الاسلام و استأمنوا لحسان على يد يزيد بن خالد القيسي الذي كان أسيرا عندا الكاهنة² وكانت هذه بادرة، إيجابية في مجال الاتصال الاجتماعي بين العرب والبربر لتحقيق الهدف الأسمى من الفتح و هو نشر الاسلام.

و هكذا لم يبق أمام حسان سوى قرطاجنة التي استعادها أسطول الروم بقيادة البطريق يوحنا مرة ثانية عندما انهزم حسان أمام الكاهنة، و كادت سيطرة الروم من جديد على المناطق الساحلية، فزحف إليها حسان مستعينا بأسطول اسلامي كان الأول من نوعه يظهر في الساحل الافريقي³، ودارت في البر والبحر معركة كبيرة أسفرت عن تدمير قرطاجنة و هزيمة الروم و خروجهم نهائيا من افريقية⁴.

استقامت بلاد المغرب لحسان بن النعمان، فعكف على تنظيمه و سعى إلى تحقيق الاندماج بين العرب و البربر لخلق الاستقرار و الأمن، و ضم البربر إلى الجيش العربي و أخرجهم كما ذكر

1- ابن عبد الحكم: فتوح افريقيا و الأندلس، المصدر السابق، ص64، و يضيف ابن أبي دينار: و قيل طرقة و بعث برأسها إلى عبد الملك بن مروان، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص35.

2- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج1، ص36، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص38، و ذكر بن أبي أبي دينار أن الكاهنة أطلقت من أسرته عن العرب إلا واحدا اسمه خالد، فأخت بينه و بين ولديها و قالت لهم: إني مقتولة... ثم أمرتهم أن يمضوا إلى حسان و يستأمنوه، فتوجهوا إليه و أعلموه بالخبر، ابن أبي دينار: نفسه، ص34.

3- شكري فيصل: حركة الفتح الاسلامي في القرن الأقل، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت، ص174.

4- ابراهيم العدوي: الأمويون و البيزنطيون، المرجع السابق، ص258، محمد عيسى الحريزي: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص38.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

المالكي "مع العرب يفتحون افريقية، و يقتلون الروم و من كفر من البربر"¹، و دون الدواوين و صالح على الخراج، وكتبه على عجم افريقية و على من أقام معهم على النصرانية من البربر². و رغم ضخامة التنظيمات³ و الأعمال الادارية و السياسية التي قام بها حسان، إلا أن ولى مصر عبد العزيز بن مروان و الذي كان يتطلع إلى فتح شامل للمغرب، رأى أن حسانا لم يتحقق هذا الهدف، فبادر إلى عزله و تولية قائد جديد هو موسى بن نصير⁴.

6- ولاية موسى بن نصير 705م/ 86هـ:

قدم موسى بن نصير إلى المغرب في أواخر 85هـ/ 704م⁵ في عهد الوليد بن عبد الملك، بدأ موسى بن نصير أولا بتطهير افريقيا و اقليم الزاب من الروم و عملائهم من البربر و أكد ذلك موسى بن نصير بقوله: "فإن كل من كان قبلي يعمد إلى العدو الأقصى و يترك عدوا منه أدنى ينتهز منه الفرصة، ويدل منه على العورة و يكون عونا عليه عند الذكبة"⁶، فأرسل حملة بقيادة عبد الملك الحشيني إلى قلعة زغوان (أو جبل زغوان إلى الغرب من مدينة تونس الحالية)، و في نفس الوقت بعث ابنه عبد الرحمن إلى بعض نواحي القيروان و وجه ابنه الثاني مروان إلى منطقة أخرى من افريقية و بلغ الخمس من السبي يومئذ ستين ألفا⁷، و ذكر ابن قتيبة أن موسى ابن نصير فتح سجومة (على مقربة من تطوان الحالية) وقتل ملوكها⁸، ثم فتح هواره و زناتة و كتامة و صنهاجة و قام موسى بن نصير

1- المالكي : رياض النفوس، المصدر السابق، ج1، ص36.

2- ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص38، ابن عبد الحكم: فتوح مصر و الأندلس، المصدر السابق، ص64-65.

3- سنتطرق لهذه التنظيمات في المبحث الثالث (أوضاع المغرب الادارية و السياسية).

4- ابن عذارى: البيان، نفسه، ج1، ص38-39.

5- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1573، يخالفه كل من بن أبي دينار الذي يذكر أنه قدم سنة ثمان و ثمانين، و يذكر بن الأثير سنة 89هـ، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص35، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج4، ص32.

6- ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، ط3، القاهرة 1963، ج1، ص63.

7- ابن عذارى : البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص40، يذكر بن أبي دينار أن السبي بلغ عشرة آلاف و كان أول سبي سبي دخل القيروان في ولاية موسى، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص35.

8- ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص64.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

بجهود كبيرة لإخضاع قبائل المغرب الأقصى للإسلام، وفتح طنجة بنفسه، فكان أول من نزلها واخطط فيها للمسلمين¹، وترك طارق بن زياد واليا عليها و معه اثنا عشر ألفا من البربر²، و بعدما تأكد موسى بن نصير أن سلامة الفتوح الاسلامية في بلاد المغرب تتطلب تعزيزا بحريا، بدأ يخطط لفتح الأندلس و قد أثمرت جهوده مع مولاه طارق بن زياد بفتحها عام 92هـ / 711م³، و عمد موسى بن نصير إلى انجاز أكبر وهو استكمال الفتح والوصول إلى القسطنطينية، لكن الوليد بن عبد الملك أرسل إليه رسولا يدعو إلى العودة إلى دمشق سنة 95هـ / 713م⁴، و في 97هـ / 716م، ولي ولي سليمان بن عبد الملك عبد الله بن موسى بن نصير على افريقية، ثم استعمل عليها محمدا بن يزيد القرشي⁵، و في نهاية ولاية موسى بن نصير تنتهي فترة الفتح في تاريخ المغرب الاسلامي، و هي فترة طويلة تصل إلى فوق السبعين سنة، امتدت من سنة 21هـ / 642م إلى غاية 98هـ / 716م، و لهذا يمكن أن نعتبر فتح المغرب عصرا قائما بذاته من عصور تاريخ المغرب، في حين أن فتح مصر استغرق سنتين فقط، و فتح الشام استغرق حوالي أربع سنوات، و فتح العراق و إيران لم يستغرق أكثر من تسع سنوات، و لم تكن طبيعة المغرب الجغرافية، والاجتماعية هي السبب الوحيد في طول مدة الفتح، و إنما توجد أسباب أخرى اتصلت بالأحوال الداخلية للخلافة الأموية من حيث انشغالها بإخماد الفتن و الثورات التي واجهتها في المشرق ضف إلى ذلك سوء الأوضاع السياسية و الادارة العربية في بلاد المغرب و بالخصوص في فترة عصر الولاة و هذا ما سنتطرق إليه في المبحث الثالث.

1- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ج1، ص272، ابن عبد الحكم: فتوح افريقيا و الأندلس، المصدر السابق، ص71.

2- ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، تحقيق عبد المنصم عام، لجنة البيان العربي 1961، ص276، السلاوي: الاستقصا، الاستقصا، المصدر السابق، ص44، و ذكر النوري أن عددهم كان تسعة عشر ألفا، النوري: نهاية الأرب، المصدر السابق، ج22، ص10.

3- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص43، و يقول بن خلدون: " و ولي سليمان سنة ست و تسعين فسخط موسى وحبسه، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1573.

4- عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الحلفاء الأمويين، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، 1966، ج2، ص207.

5- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج4، ص144.

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية و الإدارية و اثرها في قيام الدولة المستقلة

بعدما استقامت الأمور لحسان بن النعمان في المغرب و بعد اتمامه لفتح افريقية و المغرب الأوسط، رأى أن عليه قبل مواصلة الأعمال العسكرية أن ينظم الشؤون الادارية و المالية لهذه البلاد الواسعة، و عمد موسى بن نصير من بعده إلى سياسة هدفت إلى تثبيت سلطان هذه الادارة الاسلامية في بلاد المغرب، ففي عهدهما حدث التنظيم الجديد و الجذري في الادارة الاسلامية في المغرب و بدأ التحول لأهل البلاد إلى الاسلام، فما هي معالم و مظاهر هذه التنظيمات الجديدة؟ وهل نجح كل من حسان بن النعمان و موسى بن نصير و الولاة من بعدهم في تثبيت و ارساء قواعد هذه التنظيمات؟

أولاً- تنظيم الإدارة في عهدي حسان بن النعمان و موسى بن نصير

1- في عهد حسان بن النعمان:

أرسى حسان بن النعمان الوجود الاسلامي في بلاد المغرب بانتصاره على الكاهنة سنة 84هـ / 691م¹، وأصبحت بلاد المغرب اقليما من أقاليم الدولة الاسلامية فعكف حسان على تنظيمه و صبغه بالصبغة العربية الاسلامية مثله في ذلك مثل كل الأقاليم التي فتحها العرب، واستقروا بها، فانتهج سياسة تهدف إلى إدماج العرب و البربر لخلق حالة من الاستقرار الدائم تستند إلى قاعدة شعبية من البربر²، وأكثر من ذلك ضمهم إلى الجيش العربي، و أخرجهم مع العرب يفتحون افريقية و يقتلون الروم و من كفر من البربر³، و جعل لهم منصبا في الخطط، فلكل قبيلة خطة تؤدي عنها

1- رايح بونار: المغرب العربي، تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1968، ص17، محمد عليلي: الاشعاع الفكري في عهد الأغالية و الرستميين خلال القرنين 2- 3هـ / 8- 9م، ماجستير تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007-2008، ص9.

2- محمد عليلي: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص38.

3- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج1، ص36.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

المال، و قسم بينهم الفيء و الأرض¹، و عندما شرع حسان في بناء قاعدة "ترشيش"² (تونس حاليا) جعل البربر يساهمون بنصيب كبير في تأسيسها، فقد جروا الخشب اللازم لبناء السفن والمراكب الكثيرة³، إلى جانب ذلك اتخذ حسان بعض التنظيمات الادارية و المالية فدون الدواوين و نظم الخراج⁴، و جدد المسجد الجامع في القيروان⁵ و بعث العمال إلى سائر الجهات كما وزع الفقهاء ينشرون الاسلام و اللغة العربية بين البربر، فشعر البربر إزاء هذه السياسة أن انضمامهم إلى العرب الفاتحين يعلي من شأنهم و يساويهم في الحقوق والواجبات، فأقبلوا على الاسلام و بنوا المساجد واستعملوا المنابر فيها، و لم تقف هذه الظاهرة عند حدود افريقية و المغرب الأوسط بل امتدت لتشمل أجزاء من المغرب الأقصى⁶.

و بعد تنظيم مدينة القيروان و إعادة بناء مجدها نظر حسان إلى أنه لم يسبق تنظيمها لا إداريا ولا ماليا، و القبائل لم تعرف العواصم و لا الضرائب لأن القبائل بطبيعتها لا يمكن ضبطها كما يضبط أهل الأراض المزروعة⁷، رأى الفاتح حسان أن أحسن الطرق لتنظيم هذه البلاد هو أن يعتمد على الخطوط الرئيسية للتنظيم السياسي القديم، الذي كان لا يشمل إلا على جزء صغير من الساحل، فأقر تنظيمه على ما جرى الأمر عليه، مع تعديل اقتضت ظروف الدولة مثل نقل العاصمة من قرطاجنة إلى القيروان⁸ و كان تقسيمها على الشكل التالي:

1- المالكي: المصدر السابق، ج1، ص36.

2- يذكر البكري: "و اسم مدينة تونس في الأول ترشيش و يقال لبحرها بحر رادس و كذلك سمي مرساها مرسى رادس وافتتحها حسان بن النعمان..."، أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر افريقية و المغرب، المصدر السابق، ص37، محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص38.

3- البكري: نفسه، ص38.

4- ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص38، السلاوي: الاستقصا، المصدر السابق، ج1، ص43، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص35.

5- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج1، ص37.

6- يوسف علي بديوي: عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص31.

7- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، القاهرة، ص 198-199.

8- يوسف علي بديوي: المرجع السابق، ص32.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

- اقليم برقة: عرف في القديم باسم سيريناىكا (حاليا اقليم بنغازي) يمتد من ساحل البحر إلى زويلة في المداخل الشرقية لاقليم فزان قاعدته السياسية، مدينة برقة، و امتدت حدوده من سرت إلى السلوم و هو المدخل إلى مصر، عاشت فيه قبائل لواتة و هوارة و من نزل من مهاجرة العرب، كما هاجرت مع الفتح جماعات من لواتة و هوارة غربا¹.

- اقليم طرابلس: يمتد من سرت إلى صبرة غقرب حدود تونس حاليا، عاصمته طرابلس و ينقسم إلى عمل سرت، طرابلس، صبرة، و عمل جبل نفوسة، هذا الأخير الذي كانت تسكنه أكبر القبائل قبيلة نفوسة والتي اعتنقت المذهب الإباضي و كان لها دور في تاريخ دولة بني رستم التي نحن بصدد دراسة حاضرتها تيهرت.

- اقليم افريقية: عاصمته القيروان و يبدأ عند بلدة قابس، و يمتد غربا حتى حدود قسنطينة حاليا، ويطلق هذا المصطلح (افريقية) في التقسيم الإداري العربي على ثلاثة أقسام: أولها عمل طرابلس بحدوده التي ذكرناها، ثم عمل افريقية الذي يقابل بلاد تونس الحالية، و يلي ذلك شرقا عمل الزاب (قاعدته طبنة) و هو الجزء الشرقي من الجزائر الحالية، و حده الغربي مجرى نهر الشلف، و المجرى الأعلى من هذا النهر الذي يسير من الجنوب إلى الشمال(هو الذي يمثل الحد الفاصل بين اقليم افريقية بأقسامه الثلاثة (طرابلس، افريقية، الزاب) و المغرب الأوسط.

- اقليم فزان: و هو في الداخل على بعد نحو 800 كلم من الساحل و يمتد حتى يتصل باقليم كوار، وهو اقليم واحات يصل المغرب العربي بافريقية المدارية عند اقليم تشاد الحالي و كانت فزان اقليما عامرا بالواحات و المدن و القرى و المياه لهذا اهتم بها العرب و نشروا فيها الاسلام.

- اقليم المغرب الأوسط: يمتد من المجرى الأعلى لنهر الشلف إلى مجرى نهر ملوية و هو الحد الفاصل الطبيعي بين المغربين الأوسط و الأقصى.

- اقليم المغرب الأقصى: و هو ما يلي نهر ملوية إلى الغرب و حتى المحيط².

1- يوسف علي بديوي: المرجع السابق، ص33.

2- علي بديوي : عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص 33-34.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

و هناك تقسيم آخر على الشكل التالي¹:

- تونس و المناطق الواقعة شمالها.

- الزاب و قاعدتها طبنة.

- قسطيلة (بلاد الجريد حاليا) قاعدتها توزر.

- طرابلس إلى برقة، قاعدتها طرابلس.

- المغرب الأقصى إلى مناطق السوس الأعلى و ليلي أو طنجة².

و رأى حسان أن افريقية لا تستغني عن ميناء لأنها في جملتها عبارة عن شبه جزيرة داخل البحر وسواحلها الشرقية و الشمالية مليئة بالموانئ الطبيعية، و لهذا لا بد لحسان أن ينشيء لافريقية ميناء يحل محل ميناء قرطاجنة، فاختار موقعا يقع إلى الجنوب الغربي من قرطاجنة، و هو موضع سبخة تقع على الساحل و تمتد في الداخل، و كانت تقع على خليج واسع سمي خليج راديس³، و قد بدأ حسان بانشاء دار الصناعة حول السبخة و استعان في انشائها بعدد من أقباط مصر أرسلهم إليه والي مصر، و ينقل لنا البكري هذا بقوله: "فوصل القبط إلى حسان و هو مقيم بتونس فاجرا البحر من مرسى راديس إلى دار الصناعة و جر البربر الخشب، و جعل فيها المراكب الكثيرة و أمر القبط بعمارتهما⁴، و قد عمر البناء بسرعة، و تحول إلى مدينة من أعمر مدن افريقية و ميناء من أكبر موانئ الاسلام في البحر المتوسط، إن هذا التنظيم الاداري الجديد الذي وضعه حسان بن النعمان لافريقية حولها إلى قاعدة اسلامية ينطلق منا العرب إلى ما يليها غربا و جعل من حسان من أكابر بناء الدولة الاسلامية.

1- محمد عليلي: الاشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستميين، المرجع السابق، ص9.

2- محمد الفاضل بن عاشور: المحاضرات المغربية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس، ص13.

3- البكري: المغرب في ذكر افريقية و المغرب، المصدر السابق، ص38.

4- نفسه، ص 38-39، و يذكر يوسف علي بديوي أن الميناء يسمى "تونس" لأنه كانت توجد قرب موضعها قرية قديمة تسمى "تينس"، يوسف علي بديوي: عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص36.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

2- عهد موسى بن نصير:

استطاع موسى بن نصير في عهده أن يتم ما بدأه حسان بن النعمان في خلق اندماج واختلاط بين العرب و البربر، ثم القضاء على كل مظاهر الفوضى الباقية من العصر الروماني، فقرب البربر إليه وحببهم في الحكومة الجديدة و أشركهم في الأعمال و في إدارة البلاد مع العرب¹، ولكسب ثقة البربر وكسب رضاهم، اعتبرت الادارة الجديدة أرض الروم مفتوحة عنوة، و اعتبرت من تبقى من الروم موالي تتصرف في شؤونهم كما تشاء، بينما اعتبرت الأراضي التابعة للبربر مفتوحة صلحا، وتركتها في يد أصحابها على أن يؤدوا المال عنها للدولة، و اعتبرت البربر المسلمين أحرارا كالعرب، فيما لهم من حقوق و ما عليهم من واجبات²، كما واصلت إدارة موسى بن نصير فتح الفرص للبربر للاشتراك في الجيوش العربية و الانضمام إليها، بل أن طارق بن زياد و هو من البربر تولى منصب القيادة في ولاية طنجة ومعه اثنا عشر ألفا من البربر³ يرافقهم عدد من فقهاء المسلمين يعلمونهم القرآن و الفرائض، و قد ذكر بن عذارى هذا بقوله: "البربر الذين أخذهم من افريقية و المغرب وكانوا على طنجة، و جعل عليهم مولاه طارق... و ترك موسى سبعة عشر رجلا من العرب، يعلمونهم القرآن و شرائع الاسلام، و قد كان عقبة بن نافع ترك فيهم بعض أصحابه يعلمونهم القرآن و الاسلام منهم شاكر الرياط و غيرهم"⁴، هذا ما يظهر لنا اهتمام الادارة الجديدة بنشر الاسلام و الثقافة العربية بين البربر و الذين بدورهم قاموا بنشر هذا الدين بين قبائلهم، فبنوا المساجد و حولوا الكنائس التي بناها المشركون قبل ذلك إلى القبلة، و قد تعدى نشاطهم الديني هذا حدود افريقية و المغرب الأوسط ليشمل المغرب الأقصى أيضا⁵.

1- حسن أحمد محمود: الاسلام و الثقافة العربية في افريقية، دار النهضة المصرية، مصر، د.ت، ج1، ص98.

2- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص44.

3- ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص276، السلاوي: الاستقصا، المصدر السابق، ص44، و يذكر بن أبي دينار: "و استعمل على بلاد طنجة طارق بن زياد مولاه و ترك معه سبعة عشر ألف فارس من العرب و البربر"، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص35.

4- ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص42.

5- ابن قتيبة: الامامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص- ص 63- 71.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

و لتأمين الفتوح الاسلامية و حماية خطوط المواصلات البرية التي تحمل الامدادات و التموين، اهتمت إدارة موسى بن نصير بعمران تونس، و توسيع دار صناعتها و بنى بها مائة مركب أو سفينة حربية¹ و شق القناة التي توصل ميناءها بالمدينة، فاستطاع المسلمون بذلك شل تهديدات أسطول الروم و السيطرة على جزيرتي ميورقة و منورقة و غزو صقلية².

و في الجانب الاداري و بعد اخضاع موسى بن نصير لقبائل المغرب الأوسط و فتحه لمدن المغرب الأقصى، أنشأ موسى بن نصير في بلاد المغرب ولايتين اسلاميتين جديدتين:

- الأولى: في المغرب الأوسط، و تبدأ من نهر الشلف إلى نهر الملوية، و سميت بالمغرب الأوسط، قاعدتها تلمسان، و أقيم عليها وال و معه حامية من العرب و البربر³.

- الثانية: تمتد من نهر الملوية إلى ساحل المحيط، و تمتد جنوبا إلى وادي أم الربيع و تسمى بالمغرب الأقصى، أو ولاية طنجة و قاعدتها طنجة، و يقيم فيها وال و معه قوة عسكرية عربية و بربرية⁴.

و بعد توسع المسلمين إلى السوس الأدنى⁵ أنشأ موسى الولاية الاسلامية الثالثة التي تسمى السوس أو سجلماسة عاصمتها عند منابع نهر الملوية و تمتد هذه الولاية إلى الجنوب و هي عبارة عن واحة كبرى (تافلات حاليا) و يتكون منها اقليم زراعي خصيب، وافر المياه على أبواب الصحراء الكبرى.

إننا نساند فكرة أن موسى بن نصير هو أول وال لافريقية، على الأقل حسب الشروط التي تتطلبها الولاية و منها: وجود قاعدة، و هي مدينة عسكرية و إدارية تشرف على كامل المصر، وجود وال معين من طرف الخليفة، وجود مؤسسات عسكرية و جبائية و إدارية، مع ضرورة تحول الولاية من

1- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص36، محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص42.
2- أرشيبالد لويس: القوى البحرية و التجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسوي، مراجعة و تقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، د.ت، ص101.
3- يوسف علي بديوي: عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص40.
4- يوسف علي بديوي: المرجع السابق، ص40، محمد الفاضل بن عاشور: المحاضرات المغربية، المرجع السابق، ص13.
5- السوس بالمغرب كورة مدينتها طنجة، و هناك السوس الأقصى، كورة أخرى مدينتها طرفلة، ابن عبد الحكم: فتوح افريقيا والأندلس، المصدر السابق، ص71.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

دار حرب إلى دار إسلام إضافة إلى انتشار الأمن و السلم على حدودها، و هو ما يجعلها تختلف عن الثغر، و لم تتوفر هذه الشروط إلا بعد موت عبد العزيز بن مروان والي مصر، و بعد الانتهاء من القضاء على بعض القوى القبلية المتمردة و بعد فتح تلمسان و المغرب الأقصى و تمصير طنجة و تحولها إلى ثغر متقدم في بلاد المغرب.

و حسب هذه الشروط اعتبر كل من هشام جعيط و أحمد الأسود موسى بن نصير أول وال لأفريقية من أن ذلك لم يكن ممكنا إلا بعد سنوات من توليته، و لكن في حدود معينة يمكن اعتبار عقبة بن نافع أولا و حسان بن النعمان ثانيا كولاة حقيقيين لولاية أفريقية¹.

و ما ينبغي أن نشير إليه في سياسة موسى بن نصير و خاصة المالية هو الانخراط في أخذ الرهائن والسبايا و الغنائم، تلك السياسة التي أفاضت المصادر في الحديث عنها و حتى المبالغة فيها بدليل التناقض الذي نجده في روايات المؤرخين حول أرقام و مبالغ السبي، فمثلا بن خلدون يذكر أن خمس السبي في المعارك الأولى قبل فتح طنجة كان سبعين ألفا²، و نجد النويري يقول أن الخمس منها كان سبعين ألفا³، بينما بن عذارى يذكر أن الخمس من معارك أفريقية مستبعدا المغرب الأوسط كان ستين ألفا⁴، و بن عبد الحكم يذكر أن هذا الخمس كان عشرين ألفا⁵، و يتفق كل من القيرواني و بن أبي دينار على أن سبي زغوان كان عظيما في حدود عشرة آلاف⁶، و هذا التناقض و الاختلاف في الروايات يدل على كثرة السبي و أن جزءا كبيرا من هذا السبي بقي في المغرب فكان له دور كبير و مساهمة فعالة في حركة التعريب اللغوي و انتشار الإسلام لأنهم خالطوا المسلمين و تعاملوا معهم⁷.

1- أحمد الأسود : أفريقية في عصر الولاة، المرجع السابق، ج1، ص189، Djait (H), la fondation du maghreb islamique, amal edition, tunis, 2004, p42.

2- ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، م1، ص2573.

3- النويري: نهاية الأرب، المصدر السابق، ج22، ص10.

4- ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص40.

5- ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص275، فتوح أفريقيا و الأندلس، المصدر السابق، ص69.

6- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص35، و للمزيد عن السبايا و الغنائم التي جمعها موسى بن نصير و عاد بها من المغرب إلى المشرق، ينظر، ابن قتيبة: الامامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص- ص63- 71.

7- شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية، المرجع السابق، ص186.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

إلا أن سياسة أخذ الرهائن و السبي و الغنائم التي ابتدعتها حسان بن النعمان¹ و توسع فيها موسى بن نصير²، قد أدت إلى نمو حركة التعريب و انتشار الإسلام من جهة، و من جهة أخرى تركت آثارا بالغة السوء في نفوس البربر، و غرست في نفوسهم بذور الثورة، خاصة في عهد ما بعد موسى، حيث أزهق الولاة البربر بابتزاز أموالهم و خيراتهم و تقديمها إلى الخلفاء طمعا في نيل رضاهم³.

إن الفترة التي تلت رحيل موسى بن نصير إلى دمشق و نهاية ولايته، مثلت مرحلة جديدة اصطلاح عليها بعصر الولاة، فما هو مفهوم هذا العصر؟ و ما تحديده؟ و كيف سارت أحوال و أوضاع المغرب السياسية و الإدارية في ظله؟ و هل كانت تلك الأوضاع سببا في دخول الحركة الإباضية لبلاد المغرب؟

ثانيا- عصر الولاة و اضطراب أحوال المغرب السياسية و الادارية

تعاقب على المغرب الاسلامي منذ الفتح إلى سقوط الدولة الأموية العديد من الولاة و العمال الذين تولوا إدارة شؤونه السياسية و الاقتصادية إلا أن الفترة التي سبقت سقوط الخلافة الأموية اتسمت بمخالفة بعض الولاة المبادئ الشريفة التي من أجلها أسلم البربر و انتهجهم سياسة التمييز العرقي و الارهاق المادي و المعنوي.

إن الاسلام الذي عرفه البربر عن طريق الفاتحين الأوائل أصبح شيئا من الماضي مع آخر ولاة بني أمية الذين تجاوزوا كل الشرائع و الأعراف، و أوجدوا حالة من الاستغلال و الاضطهاد لم يألفها البربر سابقا، هذه الحالة أسست لنوع من القطيعة بين الخلافة المركزية و بلاد المغرب الاسلامي

1 - حسان ابن النعمان الغساني: 74 - 84/693 - 704م، أشرف على المرحلة الأخيرة لعملية الفتح و استحدث التنظيمات الإدارية و نظم الدواوين و الخراج، ينظر، ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص269، المالكي: المصدر السابق، ص37.

2 - كانت ولايته سنة 86 - 95هـ، و يذكر ابن الأثير سنة 89هـ، ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص32، ابن عبد الحكم فتوح مصر، المصدر نفسه: ص274، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1573.

3- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص52.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

استغللتها الحركات المعارضة لتأليب البربر على بني أمية، و للدعوة لتأسيس نظام سياسي يخدم توجيهاتها السياسية و الدينية.

و يطلق عصر الولاة في بلاد المغرب على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي "الوليد بن عبد الملك" لموسى بن نصير من الأندلس و المغرب سنة 96هـ/714م¹ حتى قيام الدول المستقلة بتلك البلاد، أي بانتهاء ولاية موسى بن نصير تنتهي فترة فتوح المغرب، فتميز عصر الولاة تارة بالهدوء والاستقرار و إن كان نسييا، و تارة أخرى تحول إلى اضطرابات بسبب جور و ظلم بعض الولاة و تطبيقهم لسياسة العنف، و من هؤلاء الولاة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

* يزيد بن أبي مسلم (101هـ/719م)²:

كان ظلوما غشوشا على قدم مولاه الحجاج بن يوسف، اتخذ البربر لحراسته و أدنى منزلتهم وأعاد الجزية عليهم و هم مسلمون، فقال ابن خلدون: "لقد أساء السيرة في البربر، ووضع الجزية على من اسلم من أهل الذمة منهم، تأسيا بما فعله الحجاج بالعراق، فقتله البربر لشهر من ولايته"³، سنة 102هـ/720م⁴، وأكثر من ذلك فقد أخذ موالي موسى بن نصير من البربر، فوشم أيديهم، وأحصى أموالهم و أولادهم، ثم جعلهم حرصه و بطانته و أخذ محمد بن يزيد القرشي، فعذبه و جلده⁵.

* بشر بن صفوان الكلبي (103هـ/721م)⁶:

سوى بين العرب و البربر، فنجح في تهدئة الأوضاع في المغرب، غزى بنفسه صقلية سنة 107هـ/725م، فعاد منها بسبي كثير⁷، استصفى بقايا آل موسى، و وفد بأموالهم إلى الخليفة يزيد،

1- إبراهيم أحمد العدوي: بلاد الجزائر، المرجع السابق، ص164.

2- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1573، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص39.

3- عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص نفسها.

4- يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص92.

5- ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص288.

6- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1573.

7- ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية و الأندلس، المصدر السابق، ص91.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

يزيد، فبلغه في الطريق وفاة الخليفة في 105هـ/723م¹، فأقبل بهديته إلى هشام بن عبد الملك، فرده إلى عمله بإفريقية، فعذب مواليه². توفي بشر بن صفوان في شوال 109هـ/727م³.

و قد عاصر سوء الإدارة في بلاد المغرب في أواخر العصر الأموي انتشار التنافس البغيض بين سكانه العرب من اليمانية و القيسية، و كان غلبة أي منهما على الآخر تتوقف على ميول الخلفاء أنفسهم، و لما كان أكثر عرب المغرب يكاد يكون يمينا خالصا، فكانوا يلتزمون الهدوء حين يكون ولائهم من اليمينيين، أما إذا كان الولاة من القيسية، فإن المغرب يصبح مسرحا للاضطرابات العنيفة، و ذلك ما حدث بعد وفاة بشر بن صفوان، إذ صادف تحول ميول الخليفة هشام بن عبد الملك عن اليمانية إلى القيسية، و من ثم ولى على المغرب عبيدة بن عبد الرحمن السلمي⁴.

* عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (110هـ/728م)⁵:

اضطهد أتباع الوالي بشر بن صفوان و حبسهم و أغرمهم الأموال، كما لقي البربر نفس المعاملة،

حيث سبى نساءهم و أصرف في غزو قبائلهم، مما دفع الكثير من البربر إلى اعتناق مبادئ الخوارج⁶ ثم غادر المغرب سنة 114هـ/732م متوجها إلى دمشق يحمل إلى الخليفة هشام بن عبد الملك ما جمعه من أموال وهدايا، فطلب من الخليفة أن يعفيه من ولاية المغرب فأعفاه⁷.

1- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص111.

2- السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، المرجع السابق، ص 195-196.

3- رينهرت دوزي: تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة حسن حبشي، ج1، الحروب الأهلية، دار المعارف، 1963، ص134، ابن عذارى: المصدر السابق، ص49.

4- رينهرت دوزي: المرجع نفسه، ص143.

5- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1574، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص50.

6- السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، المرجع السابق، ص297، ابن عذارى: نفسه، ص51.

7- ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية و الأندلس، المصدر السابق، ص93.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

* عبيد الله بن الحبحاب¹ (116هـ/734م):

مولى بني سلول بن قيس²، كان واليا على مصر، فمضى إلى المغرب بعد أن استخلف على مصر إبنه القاسم³، تمتع بثقافة عالية أشار إليها ابن عذارى بقوله: "هو مولى بني سلول، و كان رئيسا نبيلًا وأميرا جليلا، بارعا في الفصاحة و الخطابة، حافظا لأيام العرب و أشعارها و وقائعها"⁴. و من إنجازاته الحضارية الجليلة، بناء جامع الزيتونة و دار الصناعة لإنشاء المراكب الحربية بتونس⁵، و ما أن استلم ولايته حتى قسمها بين بنيه و أنصاره، فاستعمل على الأندلس، عقبة بن الحجاج السلولي، واستعمل على طنجة إبنه اسماعيل و معه عمر بن عبد الله المرادي⁶. انتهج سياسة قوية متشددة مع البربر، ويروي المؤرخون أن والي طنجة عمر بن عبد الله المرادي أساء السيرة و تعدى في الصدقات وأراد تخميس من أسلم من البربر، فأجمعوا الانتقام منه، ولهذا تميزت ولايته بأكبر ثورة قام بها البربر في طنجة سنة 122هـ/740م⁷ بزعامة ميسرة المطغري، فكانت هذه أول ثورة للخوارج، للخوارج، تلتها ثورات أخرى هزت أركان المغرب، خاصة غزوة الأشراف⁸، التي قال على إثرها الخليفة الخليفة هشام بن عبد الملك: "و الله لأغضببن للعرب غضبة، و لأبعثن لهم جيشا أوله عندهم و آخره

1- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص51.

2- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957، ص40، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المصدر السابق، المجلد1، ص1574.

3- ابن القوطية: نفسه، ص نفسها، أما ابن و خلدون فيذكر أن اسمه "أبا القاسم"، ابن خلدون، نفسه، ص نفسها.

4- ابن عذارى: المصدر السابق، ص51، النويري: المصدر السابق، ج22، ص15.

5- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص107، ابن عذارى، نفسه، ص نفسها، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1574.

6- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر نفسه، ص نفسها، ابن عذارى: المصدر نفسه، ص52.

7- عبد العزيز التعالي: تاريخ شمال إفريقيا، تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم و مراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب العرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص118.

8- ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص40، علي دبور: تاريخ المغرب الكبير، ج2، دار إحياء التراث العربي، عيسى البابي الحلبي الحلبي وشركاه، 1963، ص218.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

عندي¹، ثم استقدم بن الحبحاب، فخرج في جمادى الأولى 123هـ/741م، وولى مكانه كلثوم بن عياض.

* كلثوم بن عياض القشيري (123هـ/741م)²:

سير معه جيشا كثيفا لقتال البربر، تكون من اثني عشر ألفا على رأسه بلج بن كلثوم بن عياض³، و هو ابن أخ كلثوم بن عياض الذي أساء معاملة أهل القيروان، هذه التصرفات كانت أحد العوامل للهزيمة الكبرى التي تلقاها العرب في مواجهة البربر بوادي سيو بطنجة، و التي قتل فيها كلثوم بن عياض سنة 124هـ/742م⁴، و لما بلغ هشام بن عبد الملك قتل كلثوم و أصحابه وتشتت جموعهم، بعث إلى إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي.

* حنظلة بن صفوان الكلبي⁵ (124هـ/742م):

كان عامل هشام بن عبد الملك على مصر⁶، فأمدته بثلاثين ألفا من الجند لمحاربة الخوارج الصفرية التي تلقت هزيمة نكراء في معركتي القرن و الأصنام، سنة 125هـ/743م⁷، و قتل زعيما المعركتين و هما عكاشة بن أيوب الفزازي، و عبد الواحد بن يزيد الهواري⁸. في هذه الفترة أصبحت الخلافة الأموية في ضعف، حيث كانت الدعوة إلى آل البيت على أشدها في المشرق، فانشغل

1- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص113، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1574.

2- المقرئ: المصدر السابق، ج3، ص299، ابن أبي دینار: المصدر السابق، ص60

3- اسماعيل العربي: دولة الادارسة ملوك تلمسان و فاس و قرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص27، و قد ذكره بن خلدون "بلخ"، ينظر عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1 ص 1574-1575.

4- ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية و الأندلس، المصدر السابق، ص93، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص57.

5- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص113، ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص192-193.

6- مصطفى أبو ضيف أحمد: القبائل العربية في عصري الموحدين و المرينيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص198.

7- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج3، ص65، و ينظر أيضا: Gautier E.F:le passe de l'afrique du nord:les siecles obscurs,edition payot,paris,1964,p283.

8- السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، المرجع السابق، ص340، ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية و الأندلس، المصدر السابق، ص104.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

الأمويون في الصراع مع هذه الدعوة مما أثر سلبا على بلاد المغرب من ذوي النفوذ و السلطان، و التي أصبحت مرتعا للمتغلبين عليها من الخوارج و المغامرين من ذوي النفوذ و السلطان¹، و كان عبد الرحمن بن حبيب أحد هؤلاء المغامرين من القادة العسكريين الذين عملوا في ميدان المغرب². أراد حنظلة أن يخرج لقتال عبد الرحمن بن حبيب، لكنه كره قتال المسلمين، و كان رجلا ذا ورع و دين، لذا قرر حنظلة التنازل عن الإمارة والرحيل إلى دمشق في جمادى الأولى سنة 127هـ/744م³. وما إن إن ولي مروان بن محمد على الخلافة، حتى أمر مروان بن حبيب واليا على المغرب تفاديا للانقسامات والفتن⁴.

و أصبح بذلك عبد الرحمن بن حبيب أول أمير استيلاء⁵ على ولاية المغرب. ظل واليا رغم سقوط الدولة الأموية و قيام الدولة العباسية سنة 132 هـ/750م، إذ اعترفت هذه الأخيرة بهذا الوالي.

* عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن حبيب الفهري:

قدم من الأندلس و نزل في تونس في عهد يزيد بن عبد الملك 127هـ/744م⁶، فالتفت حوله القبائل المضرية، و عاونه على ذلك العرب و الأفارقة و البربر الزناتيين، و قد دفعهم إلى ذلك شعورهم بانتمائه إلى أقدم بيوت العرب الفاتحين، فجدده عقبة بن نافع مؤسس القيروان و أبوه حبيب

1- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص278.

2- كان قد هرب إلى الأندلس بعد أن هزم في سيبو "بقدورة"، و قتل كلثوم بن عياض حيث حاول الوصول إلى الغمارة، لكنه فشل فركب البحر نحو تونس في جمادى الأولى، 127هـ، و دعى الناس إليه فأجابوه، و من ثم ظهور الدعوة للخلافة العباسية، ينظر، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1575، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص60.

3- ذكر ابن خلدون: "و منع حنظلة من قتاله، و بعث إليه وجوه الجند، فانتهمز عبد الرحمن بن حبيب الفرصة فيهم، و أوثقهم لئلا يقاتلهم أصحابهم، و اعد السير إلى القيروان، فرحل حنظلة من إفريقية نحو المشرق 172هـ و استقل عبد الرحمن بملك إفريقية، وولي مروان بن محمد، فكتب له بولايته، ينظر عبد الرحمن بن خلدون: المصدر نفسه، المجلد1، ص نفسها.

4- إحسان عباس: تاريخ ليبيا، دار ليبيا للنشر و التوزيع، بن غازي، ليبيا، ط1، 1967، ص42.

5- أطلق هذا الاسم فقهاء المسلمين على نفر من قادة الجيوش، جنحوا إلى الانفراد بالأمر دون رضاء الخلافة، أما الذين انفردوا بإدارة البلاد برضاء و تفويض من الخلافة سموهم باسم أمراء الاستكفاء، ينظر، ابراهيم العدوي: المرجع السابق، ص174.

6 - عبد الحميد حاجيات و آخرون: المرجع السابق، ج3، ص 65-66.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

و جده أبو عبيدة بن عقبة ساهما بنصيب كبير في الفتح الإسلامي، و لما قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وسقطت الدولة الأموية، خطب عبد الرحمن بن حبيب للعباسيين و أطاع أبا العباس السفاح، فيكون بذلك الوالي المخضرم¹.

ما نستنتجه أن الأحوال لم تهدأ لعبد الرحمن بن حبيب، حيث توالى الثورات من كل ناحية، وقد أجمل بن عذارى هذه الثورات في قوله: "و لما ولي عبد الرحمن، ثار عليه جماعة من العرب و البربر، ثم ثار عليه عروة بن الوليد الصديقي، فاستولى على تونس، و ثار عليه عرب الساحل، فقام عليه بن عطاف الأزدي، و ثارت البربر في الجبال، و ثار ثابت الصنهاجي بباجة، فأخذها"².

إن أسباب ثورات البربر في عهد الدولة الأموية ترجع بالدرجة الأولى إلى سياسة الخلفاء وولائهم في المغرب، حيث ارتكزت اهتماماتهم و نشاطاتهم على تثبيت أركان الدولة و انتهاج سياسة داخلية هدفت إلى استئصال بقايا الخصوم مثلما قام به محمد بن يزيد القرشي في تصفية آل موسى بن نصير، وكذا تطبيق يزيد بن أبي مسلم سياسة الحجاج العنيفة، إضافة إلى اهتمامهم بجمع الأموال من البربر بطرق غير مشروعة، همهم في ذلك إرسال الأموال و الهدايا إلى الخلافة التي كانت تواجه ارتباكا ماليا خطيرا في ميزانياتها³، وبالتالي تخميس البربر الذين اعتنقوا الإسلام في عهد عبيد الله بن الحبحاب.

إن تجاهل كثير من الولاة لطبيعة سكان هذه المنطقة المقاومة لأي تسلط واعتبار بلاد المغرب موردا أساسيا للأموال، دفع أغلبهم إلى الشطط في تحصيلها، فتحول غضب هؤلاء إلى ثورات وجدت

1- محمد علي دبور: المرجع السابق، ج2، ص12، و يذكر ابن خلدون: "و بعث عبد الرحمن بطاعته إلى السفاح، ثم إلى أبي جعفر من بعده"، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1575.

2- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص61، سليمان داوود: المرجع السابق، ص52، أما ابن خلدون فيقول: "ثم ثارت عليه الخوارج في كل جهة... و عبد الجبار و الحارث بطرابلس، فزحف عبد الرحمن إليهما سنة131هـ، فظفر بهما، و قتلها، و سرح أخاه إلياس لابن عطاف فهزمه و قتله، ثم زحف إلى عروة بتونس و قتله، و انقطع أمر الخوارج"، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: المصدر نفسه، م1، ص نفسها، ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص312-313.

3- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص53.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

سندها من الأطراف المناوئة للسلطة المركزية، ممثلة في الخوارج، لذلك اتخذت أبعادا مذهبية و سياسية أكثر منها اقتصادية¹.

و أكثر من ذلك هناك من استغل هذه الظروف المضطربة في المروق عن الدين و الخروج عن الملة، منهم صالح بن طريف البرغواطي في برغواطة بالمغرب الأقصى "منطقة الشاوية حاليا"²، والذي ألف كتابا باللغة البربرية سماه القرآن و هو ما يمكن اعتباره، بريرة الإسلام³، و بفضل جهوده الكبيرة، تمكن عبد الرحمن بن حبيب من إخماد هذه الثورات، و في سنة 135هـ/753م، وجه أنظاره نحو المغرب الأوسط، و جاهد في جعله ضمن ولايته⁴، فغزا أرض زناتة بنواحي تلمسان، ثم بعث جيشا إلى صقلية و آخر إلى سردينيا⁵.

لكن سرعان ما دب الخلاف في الأسرة الفهرية، و وصل الحقد إلى قتل عبد الرحمن بن عبد الحبيب، نتيجة مؤامرة نسجها أخواه إلياس و عبد الوارث 137هـ/755م⁶، و تردت الأسرة الفهرية في صراع دموي قتل فيه إلياس بن حبيب سنة 138هـ/756م على يدي حبيب بن عبد الرحمن انتقاما لأبيه⁷، كانت هذه فرصة للصفرية لتحقيق أهدافهم السياسية بالاستيلاء على القيروان، و قد تم لهم ذلك سنة 138هـ/755م، و تمكن عبد الملك بن أبي الجعد⁸ من قتل حبيب بن عبد الرحمن في محرم سنة 140هـ/757م، فانتهى بذلك حكم أسرة الفهريين في إفريقية⁹. و قد استفاد دعاة

1- محمد عليلي: المرجع السابق، ص12.

2- Gautier E.F:op.cit,p217.

3- Robert Cornevin:Histoire de l'afrique,Tome1desorigines au XVI siecle,nouvelle edition, Payot,paris,p264.

4- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص293، ابراهيم العدوي، المرجع السابق، ص174.

5- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1575.

6- عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص66، صالح باجية: المرجع السابق، ص33.

7- سليمان داوود: المرجع السابق، ص53، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص69.

8- هو الذي خلف عاصم بن جميل و قام بأمر ورفجومة و القيروان، و قد فعل في أهل القيروان ما كان يفعل عاصم من الفساد الفساد والظلم بل أسوأ منه، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1576.

9- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص80-81، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص338.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

الإباضية من هذه الأحوال المضطربة، خاصة و أن سنة 140هـ هي التي ولي فيها أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري¹ إماما للإباضية بطرابلس، و هو الذي تمكن من تخليص و تحرير مدينة القيروان من جور ورفجومة بعد مقتل عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي في سنة 141هـ / 758م، و استخلف عليها عبد الرحمن بن رستم².

إن سيطرة قبيلة ورفجومة على القيروان لأكثر من سنة و بضعة أشهر يوحي بضعف الولاة وهو ما يعني غياب سلطة العباسيين في المغرب، و نفوذ إباضية طرابلس في المغرب من خلال دور أبي الخطاب في هذه الأحداث و الذي أصبح بعدها ذا نفوذ كبير لدى إباضية المغرب³، لكن سرعان ما ما استطاع الوالي الجديد محمد بن الأشعث⁴ في هذه المعركة من تحقيق نصر كبير على أبي الخطاب في موقعة تورغا شرق طرابلس في 144هـ فقتله و عامة أصحابه⁵، و يخبرنا بن أبي الضياف : "أن محمد بن الأشعث لما هزم البربر و الثوار و دخل القيروان و أمر ببناء سورها، و ضبط البلاد و أمن العباد وانتظم حاله بالقيروان ثار عليه عيسى بن عجلان الخرساني أحد قواد عسكره و أخرجه من القيروان في ربيع الأول سنة 148هـ / 765م، فكانت ولايته ثلاثة أعوام و عشرة أشهر⁶، و بقي عيسى متغلبا على القيروان من غير مد المنصور و لا رضى العامة ثلاثة أشهر، و لما علم المنصور ذلك ولى على افريقية، الأغلب بن سالم بن عقال التميمي.

1- أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري: أحد رجال الإباضية في طرابلس و تكون في البصرة، ذكره القيرواني بأبي الخطاب عبد العالي، أما بن خلدون فذكره عبد الأعلى السمح المعافري، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص141، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1576.

2- ابن خلدون: نفسه، ص نفسها، عبد الحميد حاجيات: الجزائر عبر التاريخ، المرجع السابق، ج3، ص67.

3- محمد عليي : الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص14.

4- محمد بن الأشعث: ولاء أبو جعفر المنصور على مصر و افريقية عام 142هـ / 759م و أمره باستنقاذ افريقية فوجه لها أبو الأحوص عمرو بن الأحوص العجلي، فهزمه الثوار و رجع إلى مصر مهزوما، بن أبي الضياف تحاف الزمان، المصدر السابق، ص118، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1576.

5- يذكر بن خلدون أن المعركة و هي الثانية كانت في سرت، ابن خلدون: نفسه، م1، ص نفسها، عبد العزيز صالح: المغرب الكبير، المرجع السابق، ص344.

6- ابن أبي الضياف: تحاف الزمان، المصدر السابق، ص118، احسان حقي: تونس العربية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت، ص47.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

* الأغلّب بن سالم بن عقّال التميمي (148هـ/765م):

كان ذا حزم و رأي و مشورة من أصحاب أبي مسلم الخرساني، وقف هو الآخر في وجه ثورات البربر حيث حزن عليه أبو قرّة اليفرني الصفري في كثير من البربر، و في حربه على الحسن بن جرب الكندي أصابه سهم فمات في شعبان من سنة 150هـ/767م¹ فولي بعده على افريقية عمرو بن حفص بن قبيصة بن أبي صفرة الأزدي (هزار مرد)².

* عمرو بن حفص بن قبيصة بن أبي صفرة الأزدي:

وصل إلى القيروان سنة 151هـ/768م، كان بطلا، عرف بشجاعته في الحروب و القتال لهذا لقب بهزار مرد³، ثار عليه الاباضية بزعامة عبد الرحمن بن رستم و الصفرية بزعامة أبي قرّة اليفرني⁴، فحوصر في طبة لكنه استطاع أن يفرق كلمتهم و جمعهم بأن أعطى لأصحاب أبي قرّة مالا (قدره 40 ألف درهم)⁵، لكنه لم ينجح في اخماد هذه الحركة نهائيا، إذ خرج أبو قرّة في جمع كبير من البربر و أبو حاتم الإباضي في جموع كثيرة أيضا لمحاصرته بالقيروان، فخرج عمرو بن حفص من القيروان يقاتل حتى قتل في ذي الحجة سنة 154هـ/771م⁶ ليأتي بعده يزيد بن حاتم بن قبيصة قبيصة بن المهلب سنة 155هـ/772م⁷، كان من خواص أبي جعفر المنصور (جدد بناء الجامع

1- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص62، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج6، ص232، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1577، ابن أبي الضياف: تحاف الزمان، المصدر السابق، ص119.

2- هزار مرد: كلمة فارسية تعني ألف رجل، محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص87.

3- ابن أبي الضياف: تحاف الزمان، المصدر السابق، ص119، محمد عيسى الحريري: المرجع نفسه، ص نفسها.

4- يذكر بن خلدون و بن عذارى: "ثاروا عليه في طبة، فيهم أبو قرّة في أربعين ألفا من الصفرية و عبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفا من الاباضية و المسور الزناتي في عشرة آلاف من الاباضية و أمم من الخوارج من صنهاجة و زناتة و هواره ما لا يحصى..."، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1577، ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص75.

5- ابن خلدون: نفسه، ص نفسها، (E.F) Gautier, opcit,p279.

6- ابن أبي الضياف: تحاف الزمان، المصدر السابق، ص120، رابح بونار: المغرب العربي، المرجع السابق، ص196-197. 197.

7- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي، تعريف المنجي العيادي، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1985، ص26.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

الأعظم بالقيروان سنة 157هـ / 773م، ثارت عليه البربر فرحف لهم و أوقع بهم¹، و يذكر أنه كان ذا سيرة حسنة و له آثار جميلة، توفي في رمضان سنة 171هـ / 788م² في خلافة هارون الرشيد الذي بعث واليا على افريقية و هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، فقدمها منتصف احدى و سبعين ومائة³، أتاها على كبر، كان أسن من أخيه يزيد، و كان من الوهبية لهذا رغب في موادة الامام عبد الوهاب بن رستم و إقامة علاقة سلم معه 171هـ / 788م⁴، توفي في رمضان 174هـ / 791م.

* الفضل بن روح 177هـ / 793 - 794م:

كان جاهلا، قبيح السيرة، ضعيف السياسة، استخف بالهند و ظلم الناس فثار عليه الجند العربي بقيادة عبد الله بن الجارود الذي سيطر على القيروان بعدما قتل الفضل بن روح و أتباعه في شعبان سنة 178هـ / 794م⁵.

فانقضت به أيام بني المهلب بافريقية، و في سنة 179هـ / 795م بعث الرشيد هرثمة بن أعين إلى افريقية⁶ سار في الرعية سيرة حسنة، سيطر العدل و الاحسان أنشأ العديد من الانجازات العمرانية، العمرانية، حيث بنى القصر الكبير بالمنستير و سور طرابلس و دانت البربر بطاعته⁷، و لما رأى كثرة الثوار والخلاف بافريقية، استعرض الرشيد من ولايته فأعفاه و رجع إلى العراق لسنتين و نصف من ولايته، و يذكر بن أبي الضياف أنه مات قتيلا بجنب المأمون سنة 200هـ / 815م.

1- ابن أبي الضياف: تحاف الزمان، المصدر السابق، ص120.

2- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص120، يحدد بن خلدون سنة وفاته ب 170هـ / 787م، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1578.

3- ابن خلدون: نفسه، نفسها.

4- محمد عليلي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص15.

5- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص152.

6- ابن أبي الضياف: تحاف الزمان، المصدر السابق، ص123، و يقول ابن خلدون سنة سبع و سبعين، كما سماه "خزيمة بن أعين"، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1579.

7- ابن خلدون: نفسه، ص نفسها، ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص123.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

* محمد بن مقاتل العكي 181هـ/797م: هو أخ لهارون الرشيد من الرضاة، كان سيء السيرة أساء للرعية و الجند فاحتل أمره و ثار عليه عامله بتونس تمام بن تميم التميمي¹، فكره أهل البلاد ولايته وداخلوا ابراهيم بن الأغلب² أن يطلب من الرشيد الولاية عليهم، فكتب له بالولاية عام 184هـ/800م³.

لينتهي بذلك عصر الولاية في المغرب، علما أن الاستقلال عن الخلافة العباسية بدأ بتأسيس الدولة الرستمية في المغرب الأوسط 160هـ/777م، و الدولة الادريسية في المغرب الأقصى 172هـ/788م.

نستنتج من خلال استعراضنا لعصر الولاية، إلى غاية بواد ظهور الدولة الإباضية الرستمية وإمامة أبي الخطاب لها، أن عدم الاستقرار هو الميزة التي طبعت هذه المرحلة، فمهام الوالي ارتكزت بالدرجة الأولى على الحفاظ على الأمن، و مقياس نجاحه هو إخماد الثورات مثلما حدث في عهد كل من كلثوم بن عياض وحنظلة بن صفوان و عبد الرحمن بن حبيب، إلا أن هذه الأوضاع التي تميزت بمعارضة البربر لسلطة الولاية لم تمنع هؤلاء بالقيام بأعمال جليلة لتثبيت أركان الدولة، فمعظمهم قد قدم إسهامات في المجال الحضاري والسياسي خاصة في ميدان النشاط البحري و مد سلطان العرب في جزر البحر مثل سردينيا و صقلية، وكذا في ميدان الخدمات الدينية و الثقافية لأن قدوم الجيوش من المشرق إلى المغرب، غالبا ما كان يصاحبه عدد من الفقهاء و العلماء، استقروا في هذه الربوع، وأخذوا على عاتقهم تعليم البربر مبادئ الدين الإسلامي و اللغة العربية⁴، أي أن رغبة الخلفاء الأمويين أو العباسيين لم تكن تهدف فقط إلى توسيع نفوذهم في المغرب، بل إنهم حرصوا على أن

1- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج6، ص252، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص124، و ذكره ابن خلدون باسم محمد بن مقاتل الكعبي، ابن خلدون: نفسه، ص نفسها.

2- ابراهيم بن الأغلب: مؤسس الدولة الأغلبية، كان واليا على الزاب، أكثر ملاطفة هرثمة بن أعين و تقدم الهدايا له فولاه ناحية الزاب و حسن أثره فيها، منى عثمان: مساجد القيروان، المرجع السابق، ص17، و سيأتي الحديث عن ابراهيم بن الأغلب في الفصل الثالث من هذا الباب (القيروان في عهد الأغالبة).

3- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، 1580، منى عثمان، المرجع السابق، ص116.

4- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص28، محمد عليلي: المرجع السابق، ص16.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

يكون الإسلام دين أهل المغرب كلهم، لهذا لم تكن تخلوا حملة عسكرية من الفقهاء و العلماء، فقد جاء مع الولاة و قادة الجيش أدباء و كتاب لتحرير الرسائل الرسمية، وتعليم أبنائهم و أبناء الأسر العربية القادمة من المشرق، و لم يستثن من هذه المزايا أبناء البربر¹، فكان مثلا بناء المساجد تدعيما لهذه السياسة التعليمية و الثقافية عكس ما يذكره بعض المستشرقين و المؤرخين الاستعماريين الذين ركزوا على الجانب السلبي و على بعض أخطاء بعض الولاة و جعلها سياسة عامة.

ثالثا- ظهور الحركات الخارجية و انتشارها

عرف أهل الملل الخوارج بتعريفات منها ما بينه:

أبو الحسن الأشعري: بقوله: " و السبب الذي سما له الخوارج، خروجهم عن علي² رضي الله عنه لما حكم"³.

ابن حزم: بين أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك نفر الذين خرجوا عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، و شاركهم في معتقدهم حيث قال: " و من وافق الخوارج من إنكار التحكيم و تكفير أصحاب الكبراء و القول بالخروج على أئمة الجور، و أن أصحاب الكبراء مخلدون في النار، و أن الإمامة جائزة في غير قريش، فهو خارجي و إن خالفهم، فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون و خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجا"⁴.

1- عمر رضى كحالة: دراسات إجتماعية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1973، ص 57.

2- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن رابع الخلفاء الراشدين، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم و صهره، ولد بمكة سنة 23 ق هـ/600م، توفي سنة 40هـ/661م، ينظر النسائي: خصائص من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، تحقيق، أحمد ميرين البلوشي، مكتبة الخلا، الكويت، 1986، ص 140، و ينظر أيضا، اليعقوبي: البلدان، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص 104-105، قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم (أنت مني وأنا منك)، البخاري: صحيح البخاري، ج3، ص 1357، البخاري: فضائل الصحابة من فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق خالد عبد الفتاح شبل، الشركة العلمية للكتاب، بيروت، ط1، 1990، ص 140.

3- أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، الجزء1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص 207، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، خليل مأمون شيحة، ج1، دار معرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص 19.

4- ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل و الأهواء و النحل، الجزء2، المطبعة الأدبية، مصر، 1320هـ، ص 113.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

أما الشهرستاني: فقد عرف الخوارج بتعريف عام حيث قال: "كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى خارجياً، سواء كان هذا الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أم كان بعدهم على التابعين بإحسان و الأئمة في كل زمان..."¹.

ابن حجر: يعرفهم قائلاً: "و الخوارج هم الذين أنكروا على علي كرم الله وجهه التحكيم و تبرؤوا منه، ومن عثمان و ذريته و قاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة²، و في تعريف آخر قال: أما الخوارج فهم جماعة خارجة أي طائفة، و هم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين، و خروجهم على خيار المسلمين³.

أما أبو الحسن الملقب: فيرى أن أول الخوارج المحكمة الذين ينادون (لا حكم إلا لله) و يقولون: (علي كفر) فرقة الخوارج سمية خوارج لخروجهم على علي رضي الله عنه يوم الحكمين حين كرهوا التحكيم وقالوا: (لا حكم إلا لله)⁴. و هناك من قال: "الخوارج هم الذين يكفرون بالمعاصي، و يخرجون على أئمة الجور"⁵.

و للخوارج ألقاب أخرى عرفوا بها، و من تلك الألقاب: الحرورية- الشراة- المحكمة- المارقة، و هم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة، فغنهم ينكرون أن يكونوا مارقين من الدين كما يمرق

1- الشهرستاني : الملل و النحل، المجلد1، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1980، ص114، المبرد : الكامل، ج3، علق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم، دار النهضة، مصر للطبع و النشر، د.ت، ص76.
2- ابن حجر العسقلاني : هدى الساري في مقدمة فتح الباري، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة، د.ت، ص459، ينظر أيضاً، ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، ص1087.
3- ابن حجر العسقلاني: نفسه، ص83.
4- أبو الحسن الملقب: التنبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع، مكتبة المثنى، بغداد، 1968، ص47، الشهرستاني: المصدر السابق، ص- ص 114- 138، علي جفال : الخوارج، تاريخهم و أدبهم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990، ص20.
5- ناصر العقل: الخوارج، دار الوطن، الرياض، ط1، 1995، ص28.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

السهم من الرمية¹، و لقب الشراة معناه بيع النفس لله مقابل الجنة² تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾³، و هو المعنى نفسه الذي يرد في بيت من الشعر ينسب لقطري بن الفجاءة يقول فيه:

رأيت فتية باعوا الإله نفوسهم
بجنات عدن عنده و نعيم⁴

و قد ظهر لقب الشراة على ما يبدو بعد خروج الجماعة إلى النهروان و انفصالها عن علي بن أبي طالب⁵.

ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه⁶ بإحداثهم بإحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتله و هو ابن اثنتين و ثمانين سنة⁷، ظلماً و عدواناً، و سميت تلك الفتنة بالفتنة الأولى⁸، وقال شارح الطحاوية: "الخوارج و الشيعة حدثوا في الفتنة الأولى"⁹، و قد أطلق

1- الخوارج سموأ أولاً بالمحكمة لقولهم عندما اعترضوا على التحكيم: (لا حكم إلا لله)، كما سموأ أيضاً بالحرورية نسبة إلى حروراء، وهي قرية قرب الكوفة خرجوا إليها أول الأمر، و من أسمائهم أيضاً الشراة لقولهم: "شربنا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة"، أما الاسم الذي غلب عليهم، فهو الخوارج لخروجهم على علي كرم الله وجهه، ينظر، أبو الحسن الأشعري: المصدر السابق، ج1، ص207، علي محمد الصلابي: فكر الخوارج و الشيعة في ميزان أهل السنة و الجماعة، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، ط1، الفسطاط، 2005، ص14،

(H) Djait, Al kufa, op.cit, p286.

2- ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م2، ص309.

3- سورة البقرة، الآية 207.

4- المبرد: الكامل، المصدر السابق، ص124.

5- مما يدل على ظهور هذا اللقب في النهروان أبيات من الشعر تنسب لعبد الله بن وهب الراسبي يقول فيها: أنا ابن وهب الراسبي الشاري أضرب في القوم لآخذ بالثار، إحسان عباس: شعر الخوارج، طبعة بيروت 1974، ص31.

6- عثمان بن عفان: يكنى بأبي عبد الله، و هو ذو النورين و أمير المؤمنين، أسلم في أول الإسلام و كان يقول: "إني لرابع أربعة أربعة في الإسلام"، ابن الأثير: أسد الغابة، المصدر السابق، ص215، قال النبي صلى الله عليه و سلم: "من يحفر بئر رومة فله الجنة، فحفرها عثمان، و من جهز جيش العسرة فجهزه عثمان"، البخاري: المصدر السابق، ج3، ص1352.

7- المسعودي: مروج الذهب و معادن الجواهر، تحقيق مصطفى السيد بن أبي ليلى، ج2، المكتبة التوفيقية، د.ت، ص314.

8- ناصر علي عائض: عقيدة أهل السنة و الجماعة في الصحابة الكرام، ج3، مكتبة الرشد، ط1، 1999، ص1141.

9- محمد بن علي الأذري: شرح العقيدة الطحاوية، أخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، ج1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1391هـ، ص67.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه و قتلوه، اسم الخوارج حيث قال: "وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدا¹.

إن مصطلح الخوارج لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي و آراؤها الخاصة، أحدثت أثرا فكريا عقائديا واضحا بعكس ما سبقها من حالات²، فالعديد من الدارسين اعتبروا حركة الخوارج حركة ديمقراطية لأنها تنادي بالشورى بالشورى و تدعو إلى الخروج على الإمام الجائر و تساوي بين العرب و غيرهم من الأجناس، و قد اتخذ بعضهم هذه الحركة نموذجا للتأكيد على ديمقراطية الإسلام³.

إن ما يهمنا في هذه الدراسة ليس مفهوم مصطلح الخوارج و بداية ظهورهم بقدر ما يهمنا كيفية وصولهم إلى المغرب و نشر أفكارهم و تأسيسهم كيانات سياسية خاصة بهم، فكيف تم لهم ذلك؟ و ما هي أفكارهم و آراؤهم؟

يعود ظهور الخوارج إلى أخطر شقاق في الإسلام، عقب معركة صفين⁴، التي دارت رحاها

1- ابن كثير: البداية و النهاية، دار الريام، ط1، 1988، ج7، ص202.

2- علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص16.

3- ABHANI Koribaa, Les Kharidjites démocrates de l'islam, paris 1991

و توضح لطيفة البكاي أسباب تأكيد أغلب المستشرقين على الجانب الديمقراطي للحركة في مقابل تأكيد أغلب الباحثين العرب عن الجوانب القبلية والعنصرية لها، لطيفة بكاي: الخوارج، المرجع السابق، ص6.

4- صفين: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجهة الغربية بين الرقة و بالس، ينظر، الطبري: تاريخ الأمم و الملوك، الجزء 6، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، د.ت، ص330، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ص190،

Amar Dhina : Grands tournants de l'histoire de l'Islam de La Barbar a l'attaque d'edition et de d'Alger par Charles Quint , 2eme edition , societe national diffusion Alger , 1982 , p 48 – 50.

و للمزيد، توجد وقائع حرب صفين في كتاب نصر بن مزاحم: وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة القاهرة 1982، ص115، و في كتاب مجهول منسوب للبلادري: أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقي الحمودي، طبعة بيروت 1974، ج2، ص275-340.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

على شاطئ الفرات سنة 37هـ/657م¹، بين الإمام علي كرم الله وجهه، و معاوية بن أبي سفيان² رضي الله عنه، توقفت الحرب بسبب رفع جيش معاوية للمصاحف مناديا بتحكيم كتاب الله تعالى³، هذه الحادثة كانت سببا في انقسام صف علي كرم الله وجهه إلى مناصرين له وهم الشيعة، و رافضين للتحكيم و هم الخوارج الذين اعتزلوا عليا، و بقوا أعداء لمعاوية و أتباعه من الشاميين⁴، و نادوا بشعارهم "لا حكم إلا لله"⁵، و قد جاء في صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحرورية لما خرجت و هو مع علي كرم الله وجهه قالوا لا حكم إلا لله، رد عليهم بقوله: "كلمة حق أريد بها باطل"⁶.

لقد كان أمير المؤمنين علي حريصا على إرجاعهم إلى جماعة المسلمين حيث أبدى كثيرا من الحلم وسعة الصدر، حتى أنه بعث عبد الله بن عباس إليهم لمناظرتهم حيث استجاب له حوالي ألفين

1- محمد بن عميرة: دور زنادة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص47، أبو زكرياء يحيى: سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص1 و أيضا:

Robert Mantrant : L'expansion Musulmane vll-xl siecle , presses universitaires de France , 1ere edition , p116 .

2 - ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة و تحقيق و تعليق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص120.

3- قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج : الظروف السياسية لنشأة الفرقة الإباضية، المطبعة العربية، غرداية، 1998، ص9، محمود اسماعيل: الخوارج و قضية التحكيم، المحلة التاريخية المصرية، المجلد 20 سنة 1973، ص 47-69، سليم النعيمي: ظهور الخوارج، مجلة المجتمع العلمي العراقي، عدد 15، سنة 1967، ص10-35.

4- سليمان داود بن يوسف : الخوارج هم أنصار الإمام علي، ج1، مكتبة البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، 1983، ص92.

5- نصر بن مزاحم : وقعة صفين، المصدر السابق، ص512-513، البلاذري: أنساب الأشراف، المصدر السابق، ج2، ص336، المبرد: الكامل، المصدر السابق، ص22-29، و تقول لطيفة البكاي: أن هذا الشعار سيصبح انطلاقا من هذه اللحظة وعلى امتداد قرون الشعار الأساسي للخوارج و القاعدة التي ستقوم عليها عقيدتهم، و باتفاق جل الباحثين أنه يعبر عن رفض هذه المجموعة للتحكيم باعتباره من مشمولات الله وحده لا دخل للبشر فيه، لطيفة بكاي: حركة الخوارج، نشأتها و تطورها إلى نهاية العهد الأموي (132هـ/749م)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة تونس الأولى، قسم التاريخ، سبتمبر 1995، ص33.

6- معناها: أن الكلمة أصلها صدق لقوله تعالى: "إن الحكم إلا لله" [سورة يوسف، الآية40]، لكنهم أرادوا بها الإنكار على علي في تحكيمه، ينظر، الإمام مسلم: صحيح مسلم، بشرح النووي، المطبعة المصرية الأهرام، ط1، 1929، ج7، ص173، WM (Watt), Kharijit thought in the umayyad period dansdder islam, volume 36, part3, 1961, p218.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

منهم، ثم خرج هو بنفسه لمناظرة بقية الخوارج¹، لكن دون جدوى، حيث انفصل الخوارج في جماعة كبيرة قدر عددها ابن الكثير بثمانية آلاف²، وولوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي³، الذي خطبهم خطبة بليغة، زهدهم في الدنيا و رغبهم في الآخرة و الجنة ، و حثهم على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و يذكر ابن كثير، أنه لما عرض الخوارج الإمارة على عبد الله بن وهب الراسبي، قبلها وقال: "أما و الله لا أقبلها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقا من الموت"⁴، و من اسمه أخذت الطائفة تسمية الوهبية، وانسحبوا بعد ذلك إلى قرية الحروراء و منها أخذ الخوارج إسم الحرورية⁵.

و لما اشتدت شوكتهم، و ذلك بالتحاق الكثير من أتباع علي كرم الله وجهه، و التحاقهم بجيش عبد الله بن وهب الراسبي، الذي احتل موقعا استراتيجيا على الضفة اليسرى لنهر دجلة، على طول ترعة نهران⁶، و نتيجة لشعورهم بالقوة، أخذت حركتهم تزداد تطرفا و تعصبا، و اتصف عندهم بالكفر و الردة كل من لا يرى رأيهم⁷، و لا يتبرأ من علي و عثمان رضي الله عنهما⁸، و لم

1- النسائي : المصدر السابق، ص200، علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص 24-25.

2- ابن الكثير : البداية و النهاية، المصدر السابق، ج7، ص 280-281.

3- عبد الله بن وهب الراسبي بن يدعان بن مالك، من قبيلة الأزد، كان من أنصار علي كرم الله وجهه في معركة صفين ثم أنكر: التحكيم، بايعه المحكمة سنة 37هـ/ 657 م، قتله بن الخطاب الأرجيني و زياد بن حفص في معركة النهروان، ينظر فرحات الجعبري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، نشر جمعية التراث، القرارة، 1987، ص47، بلحاج معروف: العمارة الدينية الإباضية بوادي ميزاب، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2002، ص23، نايف معروف: الخوارج في العصر الأموي، طبعة بيروت، 1986، ص32.

4- ابن الكثير : البداية و النهاية، المصدر السابق، ج7، ص312.

5- الحروراء: هي كورة واسعة بين بغداد و واسط غير بعيد من الكوفة، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، دار صادر بيروت، لبنان، 1995، ص 316-317.

6- نهران : مدينة صغيرة ببغداد "العراق" ، لها نهر جليل تجري فيه المراكب العظام، ينبعث من جبال أرمينيا بالجانب الغربي، بها مسجدا جامع، و في الجانب الشرقي مسجد جامع أيضا و أسواق كثيرة، ينظر، محمد بن المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، ط1، بيروت، 1990، ص740، يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص44.

7- ابن حجر : فتح الباري، المصدر السابق، ج12، ص301، حيث يقول: "إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم، و تركوا أهل الذمة"، الشماخي: السير، المصدر السابق، ج1، ص51،

(H) Djait, la grande disconde, édition Gallimard, paris, 1989, p292.

8- الشهرستاني : المصدر السابق، ج1، ص117.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

يتورعوا عن قتل الصحابة والنساء كقتلهم عبد الله بن خباب¹، و بالرغم مما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين إلى قتلهم، بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم فأجابوه: "كلنا قتلة"².

و عقب ذلك و في 9 من سفر 38هـ/658م، كانت موقعة النهروان، حيث هزمهم علي كرم الله وجهه، و قتل عبد الله بن وهب الراسي وعدد كبير من أصحابه . فتفرق بعد ذلك الخوارج وقرروا قتل علي وعثمان وعمر بن العاص رضي الله عنهم، و فعلا كان لهم ذلك بقتل الأول سنة 40هـ/661م³.

استمرت حركة الخوارج في مهاجمة الدولة الجديدة في الكوفة و البصرة، لكنها باءت بالفشل لهزيمتهم و قتل زعيمهم الثاني أبو بلال⁴، و ذلك سنة 61هـ/680م.

و بينما كان تعليم الناس دينهم الجديد يجري في المناطق الخاضعة فعلا لسلطة الدولة الأموية بصورة طبيعية، مع الإلحاح على ضرورة طاعة أولي الأمر، أي الخلفاء الأمويين و عمالهم بعد ثبوت شرعية تعيينهم، فإن دعاة الفرق المعادية لهم كانوا يتوغلون في المناطق التي لم تكن خاضعة لهم، وينشرون فيها تعاليم الإسلام، مع شرح نظريتهم السياسية و إثبات شرعيتهم للأمويين، و كانت الأسبقية في ذلك بالمغرب للخوارج الصفرية الذين قدموا إليه في أوائل القرن الثاني الهجري⁵.

1- ابن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث و الآثار، طبع الدار السلفية، ط1، بومباي، الهند، 1403هـ، ج15، ص310-311.

2- نفسه، ج15، ص308-309.

3- محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص84، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 1، ص1086.

4- أبو بلال مرداس بن حدير التميمي: شهد صفين و أنكر التحكيم، و شارك في معركة نهروان، ثم سجنه بن زياد، و لما أطلق سراحه، خرج في ثلاثين رجلا، استطاعوا أن يهزموا أسلم بن زرة الذي أرسله إليهم بن زياد في ألفي رجل، لكن هذا الأخير بعث إليهم عباد بن الأحضر في أربعة آلاف، فهزمهم و قتل أبو بلال، ينظر، المبرد: الكامل، ج3، دار تحفة مصر، د.ت، ص217، فرحات الجعبري: المرجع السابق، ص49، و ينظر أيضا: Chikh Bekri : Le Royaume Rostemide, Le premier etat Algerien , Edition, ENAG, Alger, 2005, p60 .

5- رشيد بورويبة و آخرون: الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ج3، ص62.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

و كانت الأوضاع السياسية آنذاك في سائر العالم الإسلامي تمتاز بتزايد سخط الشعوب المفتوحة على ولاية بني أمية، و السياسة الجائرة التي سرى عليه الخلفاء قد جعلتهم في نظر كثير من أتقياء المسلمين منحرفين عن تعاليم الإسلام و مبادئه القائمة على العدل و المساواة و الشورى، فقد استبدوا بالخلافة و لم يطبقوا النظام الشوري في اختيار الخلفاء و حادوا عن الإنصاف الذي نادى به الإسلام والذي يقوم على إنفاق مال الدولة في مصالح المسلمين، حيث أصبحت الأموال في العصر الأموي تنفق على الشهوات والنزوات¹.

و نتيجة لهذا، شعر زعماء الأحزاب المناهضة لبني أمية من شيعة و خوارج بتدهور الأوضاع في مختلف الأنحاء، فراحوا يثون دعوتهم فيها، و يألبون شعوبها ضد بني أمية، في هذا الإطار تندرج دعوة الخوارج في المغرب، و قد لقيت هذه الدعوة ميدانا خصبا في مناطق عدة من المغرب².

لقد نجم عن سياسة الأمويين الأواخر موجة من السخط عمت كافة الولايات الإسلامية، فقد استغل الهاشميون و الخوارج ذلك لتأليب الجماهير الفاطمية على الحكم، و بينما اتجه الهاشميون بدعوتهم نحو المشرق في فارس و خراسان، اتجه الخوارج نحو بلاد المغرب التي كانت ميدانا خصبا لتقبل دعوتهم³.

و ترجع بداية ظهور حركة الخوارج في المغرب إلى أواخر القرن الأول و بداية القرن الثاني للهجرة، حيث انتقل من المشرق بواسطة الخوارج الهاريين من قمع الأمويين، و منهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، الداعية الإباضي اليميني الأصل⁴، و يقول بوزيان الدراجي: "أنه كان من

1- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية و عمرانية و أثرية، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص533.

2- محمود اسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1985، ص 31-124.

3- نفسه، ص نفسها.

4- ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستمين، تحقيق و تعليق محمد الناصر و ابراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986، ص57، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص22، ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ص170، ذكره القيرواني بعبد العالي، القيرواني: المصدر السابق، ص141.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

أولئك الخوارج أيضا من كان مندسا في صفوف جيوش الخلافة الزاحفة إلى بلاد المغرب، و منهم عكاشة بن أيوب الفزاري الذي كان ضمن جيش عبيد الله بن الحبحاب¹، إضافة إلى دور عكرمة² بن عبد الله مولى بن عباس، حيث تذكر المصادر الإباضية أنه قدم من أرض البصرة و معه سلمة بن سعيد على بغير واحد، فسلمة يدعو إلى مذهب الإباضية، و عكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية³.

و مما ساعد على انتشار مذهب الخوارج في المغرب، تقارب نظريته في مسألة الإمامة المبنية على مبدأ الاختيار و نظام تعيين أشياخ القبائل فيه، أضف إلى ذلك شروع ولاة بني أمية في تنفيذ مشروع توظيف الخراج على الرعايا المسلمين عن مبدأ المساواة بين سائر الفئات.

بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز، فقد سببا سخط و غضب الأهالي، فكان لتحريض دعاة الخوارج صدى كبير خصوصا في جبل نفوسة⁴، و ناحية قابس⁵، و بعض الجهات في مناطق أوراس و في المغرب الأوسط و الأقصى، و كان ظهور حركتهم و بداية نشاطها على يد الصفرية.

1- يقول القيرواني: (كان صفرية يعبد الله و هو الذي قدم على طليعة أهل الشام مع عبيد الله ابن الحبحاب)، القيرواني: المصدر السابق، ص114، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، ج4، 1979، ص223، بوزيانبي الدرارجي: دول الخوارج و العلويين في بلاد المغرب و الأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص32، و ذكر صلاح الدين شعباني مولى ابن العباس خالط كبار الفقهاء و المحدثين كأبي هريرة و عائشة رضي الله عنهم و سمع منهم و أخذ عنهم حتى أضحى من الأعلام الثقاة، ثم أخذ المذهب الصفري و صار من فحول فقهاءه، صلاح الدين شعباني: التربية و التعليم عند الإباضية بالمغرب الاسلامي بين القرنين الثالث والخامس الهجريين (9-11م) ماجستير في التاريخ الاسلامي، كلية التاريخ، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص47.

2- قال المالكي: (دخل عكرمة إفريقية و أقام بالقيروان، و بث بها العلم، و كان مجلسه في مؤخر جامع القيروان...)، ينظر، المالكي: المصدر السابق، ج1، ص146، و ذكره الشهرستاني بين رجال الخوارج دون أن يحدد أي فرقة منهم، ينظر، الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص137، أما بن خلكان، فقال فيه: (و قد تكلم الناس فيه لأنه يرى رأي الخوارج، ينظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970، ج3، ص265).

3- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص11، صالح باجية: الإباضية بالجريد، دار بو سلامة للطباعة و النشر و التوزيع، ونس، د.ت، ص24-25، ابراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص11.

4- نفوسة: جبال في المغرب (ليبيا حاليا)، و فيها منبران في مدينته، احدهما سروس في وسط الجبل، و بها خبز الشعير ألد من كل طعام، و الأخرى يقال لها جادو من ناحية نفاوة، ينظر، اليعقوبي: المصدر السابق، ص184.

5- مدينة بين طرابلس و صفاقس، ثم المهديّة على ساحل البحر، و هي مدينة جليلة عامرة، حفت بها من نواحيها غابات جنات ملتفة و حدائق مصطفة و فواكه عامة رخيصة، و بها من التمر و الزروع و الضياع ما ليس بغيرها من البلاد،=

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

انقسم و تفرق الخوارج إلى عدة فرق و مذاهب¹، نذكر منها:

- الأزارقة:

هم أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق الحنفي² الذين خرجوا معه من البصرة إلى الأهواز³، فغلبوا عليها و على كورها و ما وراءها من بلدان فارس، و كرمان في أيام عبد الله بن الزبير و قتلوا عماله بهذه النواحي، و كان معه أمراء من الخوارج⁴، ثم بايعوا بعد موت نافع قطري بن الفجاءة المازني و سموه أمير المؤمنين⁵.

و تتلخص آراءهم في: كفروا عليا و المسلمين جميعا ما عدا الأزارقة، غلوا في الحكم على مخالفيه و قضوا بتكفيرهم، فاستحلوا قتلهم و استحلوا قتل أطفالهم و شيوخهم⁶، رفضوا القعود أو التقية و كفروا المؤمن، و اعتبروا المناطق التي يمارسون فيها سلطتهم دار هجرة و باقي المناطق دار كفر⁷.

=الإدرسي: المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق، حققه و نقله إلى الفرنسية، محمد بلحاج صادق، المؤسسة العامة للنشر والإشهار، حيدرة، الجزائر، 1983، ص141.

1- مبارك ميلي: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ج2، ص56، يقول ابن خلدون: "افترقت الخوارج على أربع فرق: الأزارقة، النجدية، الإباضية، الصفرية"، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1090، لطيفة البكاي: حركة الخوارج نشأتها و تطورها إلى نهاية العهد الأموي (132هـ/ 749م)، رسالة دكتوراه، جامعة تونس الأولى للآداب والفنون والعلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، سبتمبر 1995، ص- ص150-152.

2- هو أبو راشد نافع ابن الأزرق بن قيس بن نهار، أحد بني حنيفة، كان أول خروجه بالبصرة في عهد عبد الله بن الزبير، وفي سنة 65 هـ، اشتدت شوكته، فبعث إليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عيسى بن كزيز بن ربيعة على رأس جيش كثيف، فقتل نافع في جمادى الأخيرة، ينظر، اليعقوبي: المصدر السابق، ص68، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1090.

3- الأهواز: جمع هوز، و أصله حوز، لكن الفرس غيروها إلى هوز، و كان اسمه أيام الفرس خوزستان و هو عشرة مواضع، ينظر، محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص49.

4- منهم عطية بن الأسود الحنفي، عبد الله بن المجوز و اخواه عثمان و الزبير، عمر بن عميرة الغنبرين قطري بن الفجاءة المازني، عبيدة ابن هلال اليشكري و أخوه بن هلال صخر بن حبيب التميمي... في زهاء 30 ألف فارس ممن يرى رأيهم، ينظر، الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص96.

5- الشهرستاني: المصدر نفسه، ص- ص95-97.

6- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1090.

7- Laoust henri: Les schismes dans l'islam, édition payot, paris, 1965, p45.

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

- النجدية:

أصحاب نجدة بن عامر الحنفي¹، و قيل عاصم خرج من اليمامة مع عسكره للحاق بالأزارقة، فاستقبله عطية بن الأسود الحنفي و أبو فديك و بايعوه و سموه أمير المؤمنين، ثم اختلفوا عليه فكفره قوم منه لأمر نقموها عليه²، يرون أن إقامة إمام ليست واجبا شرعيا، بل هي واجب وجوبا مصلحيا بمعنى أنه إذا أمكن المسلمين أن يتواصوا بالحق فيما بينهم و ينفذوه، لم يكونوا بحاجة إلى إقامة إمام³، كما يرون أن الناس معذورون فيه إلى أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام، وقالوا: وقالوا: و من جوز العذاب على المجتهد المخطئ في الأحكام قبل قيام الحجة عليه فهو كافر⁴، و هم يخالفون الأزارقة كلية و لا يكفرون مرتكب الذنب⁵.

- الصفيرية:

تنسب إلى زياد بن الأصفر⁶ أو عبد الله بن الصفار⁷، استعملوا كل الطرق لنشر آرائهم مثل التجارة و الرحلات، و كذا الدعوة باسم الدين، و هو ما يتفق مع مزاج البربر⁸، الذين اعتنقوا هذا المذهب لما فيه من مبادئ قائمة على المساواة.

إن الصفيرية أقرب في تعاليمها إلى الأزارقة، لكنهم خالفوهم في بعض المبادئ، فهم لم يكفروا القعدة عن القتال، و اعتمدوا على مبدأ التقية والكتمان⁹، بدأت الدعوة الصفيرية من طرابلس ثم

1- نجدة بن عمر الحنفي: استولى على اليمامة و البحرين سنة 66هـ، و في سنة 69هـ قتله أصحابه، ينظر البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2005، ص71.

2- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص99.

3- محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص71، لطيفة بكاي: المرجع السابق، ص- ص 52-56.

4- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص- ص 99-100.

5- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1090، محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص71.

6- أحمد شليبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، الدولة الأموية و الحركات الثورية و الفكرية خلالها، ج2، مكتبة النهضة الإسلامية، الإسلامية، ط9، ص278.

7- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص134، يوجد اختلاف في سبب التسمية، فقد قيل أنهم سموا كذلك بسبب كثرة العبادة التي أتت وجوههم فجعلتها مصفرة، ينظر، المبرد: المصدر السابق، ج3، ص275.

8- موسى لقبال: تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة للنشر و التوزيع، ط4، الجزائر، 2001، ص176.

9- حنا فاحوري و خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، ج1، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص138، و ينظر أيضا: =

الفصل التمهيدي — أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة

تحولت إلى ثورات نجحت في تأسيس إمارات منها: إمارة بني قرّة اليفرني بتلمسان سنة 122-162هـ/740-780م ، و إمارة سجلماسة سنة 140-366هـ/757-976م¹، لقد انتشر المذهب الصفري، بعد عودة الوفد البربري من المشرق يائسا من الخليفة و ولاته و تبين له أن سياستهم تجاه البربر لن تتغير إن لم تسوى فانتحلوا المذهب الصغرى و خلعوا طاعة بني أمية وتعاهدوا على قتال العرب ككفار مرتدين، وقاموا ليكون البربر للثورة فتداعوا إليهم من كل صوب مسلمهم وكافرهم²، فدخلوا مع العرب في حروب ضارية إلى أن تمكن حنظلة بن صفوان والي افريقية من القضاء على طموحهم في معركتي الأصنام و القرن³.

- الإباضية⁴:

أما عن انتشار المذهب الإباضي في المغرب، فقد تعذر عليهم نشره في المشرق بعد المحن التي واجهوها في البصرة و في عمان مستغلين سوء تصرف عمال الدولة الأموية مع البربر و عدم اقرار المساواة بين العرب و البربر و النظر إليهم على أنهم أقل منهم⁵ للدعوة لمبادئهم التي روجوا لها على أساس ديني محض يرفض الذل و يدعو إلى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و يقابلوا عند البربر شدة المراس و قوة البأس و الميل إلى التطرف أحيانا⁶.

Louis Gardet : Les hommes de L'islam, édition hachette, 1971, p213. =

1 - ذكر البكري ان الشروع في بناء سجلماسة كان في 104هـ، و هذا لا يتطابق مع ما أجمعت عليه بقيت المصادر، لهذا الراجح يكون ما ورد في مصدره، تحريفا في النسخ أو خطأ مطبعيا لا غير، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص149، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م 2، ص2406، علي يحيى معمر: المرجع السابق، ص133.

2- عبد العزيز الثعالبي : تاريخ شمال افريقية، المرجع السابق، ص137.

3- أم كلثوم بن يحيى: المرجع السابق، ص125.

4- سنتطرق إليها بالتفصيل في الباب الثالث (الحياة الثقافية و الفكرية في تيهرت)

5- عوض الشرقاوي: التاريخ السياسي و الحضاري بجبل نفوسة في القرنين الثاني و الثالث هجريين، منشورات مؤسسة تاولة الثقافية، المغرب، 2011، ص41، و للمزيد عن تلك الأوضاع السيئة و سياسة الحلفاء التعسفية تجاه البربر (سبي النساء، التجسس، الازهاق المادي، الجزية، الوشم، التمييز في الوظائف و في الجيش..). ينظر، أم كلثوم بن يحيى: المرجع السابق، ص116-125.

6- محمد اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص41.

الفصل الأول: نشأة المدينة الاسلامية و تطورها

إن موضوع الدراسة الحضارية لأي أمة أو مجتمع، أو مدينة خصب واسع، غزير المادة، وكثير ومتشعب النواحي، فحضارة الأمة تنبع من عقائدها و مزاجها، هذا المزاج هو بدوره وليد البيئة الطبيعية، والثقافة، و الاختلاط بالشعوب، و مدينتا القيروان و تيهرت تشبثت كل منهما بدينها وخلقها وعلمها، والدين و العلم و الخلق تمثل رأس الحضارة في كل أمة، فإذا عرفناها، عرفنا درجة رقيها في كل نواحي الحياة المادية و المعنوية. و نشأة هاتين المدينتين الاسلاميتين الجديتين دشنت عهدا جديدا لأبناء المغرب الإسلامي، سمحت لهم بإقامة صرح الحضارة، و دخول معترك العلوم والبناء، كانت نتيجة بروز كفاءات فنية و علمية و اقتصادية، أنارت بقدراتها و علمها أرض المغرب في القرنين الثاني و الثالث الهجريين، حتى أصبحت المدينتان تضاهيان حواضر العالم الإسلامي. و دراسة المظاهر الحضارية للقيروان و تيهرت ثم المقارنة بينها يقتضي منا تحديد مفاهيم ذات علاقة بنشأة المدينة الاسلامية و تخطيطها و تطورها.

المبحث الأول: تعريف المدينة

مما لا شك فيه أن المدينة هي نتاج الاجتماع البشري و ثمرة التدبير و الفكر الانساني الذي لا يمكن أن ينضب في تجدد و ابداعه، فلفظ المدينة له دلالات متعددة، و لاستنتاج مفهوم شامل يجب علينا معرفة مفهومها اللغوي و الاصطلاحي، و سنحاول تحديد مفهوم المدينة من حيث أنها فضاء جغرافي و من حيث علاقة ذلك بالموضع و من حيث الوظائف المتعددة و علاقتها بالأهداف المرسومة لهذه المدينة ودورها الحيوي في مختلف المجالات و المظاهر الحضارية.

أولا- المفهوم اللغوي

المدينة عند ابن منظور مدن بالمكان أي أقام فيه، و منه المدينة، و قيل هي من دنت أي ملكت و نقل عن الفسوي قوله: "هي من قولك مدن بالمكان، أي أقام به"، ثم قال: "و المدينة

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الحصن تبنى في أصطمة الأرض - أي وسطها- و كل أرض يبنى بها حصن في أسطمتها فهي مدينة، و الجمع مدائن ومدن¹.

و هناك معنى آخر مأخوذ من معنى مدّن في المكان أي أقام به أو أن معنى مدّن المدائن أي مصّرها²، ومن هنا يظهر المعنى الأخير للمدينة بوصفها مكان استقرار³ للصناعة و انشاء عمارة وبيوت⁴، و هذا ما تدل عليه الآية الكريمة ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾⁵، أي أذن لكم في عمارتها و جعلكم عمارا تعمرونها و تستغلونها⁶، و كلفكم بعمارتها بالحق والعدل والعمل الصالح⁷، و عمارة المكان هي أن يصبح مسكونا أو مستقرا أو مزروعا، أي عامرا بالناس والحيوانات

-
- 1- ابن منظور: لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان 1994، ج13، ص402، مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة و تطور المدن العربية الاسلامية، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982، ص15.
 - 2- المصر: هو كل بلد جامع تقام فيه الحدود و يحله أمير و يقوم بنفقتة و بجمع رستاقه، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة لندن، 1906، ص47، أي أن المصر هو ذلك المكان الذي يوجد فيه سلطان يقيم الحدود و قاض ينفذ الأحكام، عبد الجبار ناجي: مفهوم العرب للمدينة الاسلامية، مجلة المدن العربية، نشر المنظمة العربية للمدن، العدد 14، السنة 3 1984، ص53، محمد جمال الدين القاسمي: اصلاح المساجد من ابداع و العوائد، نشر المكتب الاسلامي، ط4، 1399هـ، ص- ص 49- 54، وجاء في القرآن بمعنى البلد ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾، البقرة، الآية 61، و المراد البلد أي مصر من الأمصار و ليس مصر فرعون، ابن كثير الدمشقي: تفسير القرآن الكريم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006، ص101.
 - 3- استقرار: مشتق من قر، يقر، قرارا، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾، سورة غافر، الآية 64، أي مستقرا، أبو القاسم الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرف، بيروت، د.ت، ص64.
 - 4- مصطفى شاعر: المدن في العالم حتى العصر العثماني، ط1، الكويت، 1988، ص30.
 - 5- سورة هود: الآية 61.
 - 6- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المجلد3، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، ط2، بيروت، لبنان، 2006، ص425.
 - 7- محمد سعيد رمضان البوطي: منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر، ط1، سوريا، 1984، ص26، أبو القاسم الزمخشري: الكشاف المصدر السابق، ص85.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

والنبات، فيصبح بحالة حسنة، وهو شيء يخالف الفقر و الضياع و الخراب، و يشمل ذلك الزراعة أو البناء أو الأشياء¹.

و قد أشار البحث اللغوي إلى أن كلمة "مدينة" ترجع أصلا إلى كلمة دين، و أن لهذه الكلمة بهذا المعنى أصلا في اللغتين الآرامية و العبرية و تعني "القاضي" و إضافة إلى ذلك فإن مصدرها في الآرامية "مدينتنا" و تعني القضاء و هذا ما يتوافق مع الحديث الشريف عن جابر بن عبد الله عن الرسول صلى الله عليه و سلم قال: "يوم يحشر العباد - أو قال الناس - حفاة عراة عزلا ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما سمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة و لا لأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أفضه منه"، و في حديث آخر عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: "يأخذ الديان سماوته وأراضيه بيده"²، و يتفق معنى الحديث اشتقاق الكلمة من الدين والملك والقضاء، و هذا ما نجد في بعض المعاجم العربية من أن كلمة مدينة ترجع إلى كلمة دين و هي مشتقة من كلمة "ودنته" و تعني ملكته فهو مدين مملوك³.

و قد وردت المدينة في القرآن الكريم بمدلولها الجغرافي أي البلد في أكثر من موضع، فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾⁴، أي مدينة ثمود و قوم نبي الله صالح عليه السلام، و قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾⁵، أي مدينة مصر، و في سورة يس جاءت الآية الكريمة: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا

1- سعيد محمد رعد: العمران في مقدمة بن خلدون، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ط1، سوريا، دمشق، 1985، ص522.

2- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة 1999، ص17، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، يناير، 1978، ص15.

3- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، المرجع السابق، ص16.

4- سورة النمل، الآية 48.

5- سورة القصص، الآية 15.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ¹، كما وردت بمعنى بلدة مثل الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾²، و وردت أيضا بمعناها القرية، مثل الآية الكريمة: ﴿وَاصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾³، و قيل هي مدينة أنطاكية⁴، كما وردت بلفظ الأرض في قوله تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)⁵، أي الأرض المطهرة، وقيل الطور و ما حوله أو أريحاء و المراد بها أرض بيت المقدس⁶ و يقول عبد الباقي ابراهيم: " و جاء في معظم ألفاظ القرآن الكريم الذي أصدره المجمع اللغوي بالقاهرة، و تكرر ذكر المدينة في القرآن الكريم مرادا بها في جملتها مدينة معينة... و على هذا يمكن أن نعرف المدينة في الاسلام بأنها المكان الذي تستوفي فيه أسباب العدل و الأمن أكثر من أي مكان آخر لكونها المقر المركزي للسلطة الحاكمة، سواء الخليفة في الدولة أو الوالي في الأقاليم"⁷.

ثانيا- المفهوم الاصطلاحي

تعددت مفاهيم المدينة بمعناها الاصطلاحي باعتبارها خلاصة تاريخ الحياة الحضرية وهي النظرة إلى الآتي، وهي التقليد الحضاري، و الكتابة على الأرض، و ابقاء الأثر الشاهد على الماضي والحاضر والمستقبل معا، و بالتالي شهادة التاريخ⁸، فهي أصدق تعبير لانعكاس ثقافة الشعوب وتطور

1- سورة يس، الآية 20.

2- سورة النمل، الآية 91.

3- سورة يس، الآية 13.

4- ابن كثير: تفسير القرآن، المصدر السابق، ص 528.

5- سورة المائدة، الآية 21.

6- ابن كثير: المصدر السابق، م 2، ص 37-38.

7- عبد الباقي ابراهيم: المنظور الاسلامي للتنمية العمرانية، مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية، مصر الجديدة، د.ت، ص 76-77، محمد بن حمو: العمران و العمارة عند بعض المفكرين المسلمين، مجلة القرطاس الحضاري للدراسات الحضارية والفكرية، نشر ابن خلدون، تلمسان، العدد 1، سنة 2012، ص 61.

8- محمد عبد الصمد رزار و عبد المالك تشريفت: مدينة شرشال تراث تاريخي عالميا و ذاكرة الجزائر، حوليات التاريخ والجغرافيا، والجغرافيا، الملتقى الوطني الثالث حول المدن الجزائرية عبر العصور، مخبر التاريخ و الحضارة و الجغرافيا التطبيقية، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة العدد 5، جوان 2012، ص 82.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

وتطور الأمم و هي مؤل الحضارة وحاضنتها حيث نشأت في كنفها فنون الانسانية و آدابها، كما تعبر عن صورة كفاح الانسان وانتصاراته وانهمزاته¹.

فقد شبهت المدينة بالكائن الحي، فهي كائن حي تتحول و تتحدد مبانيها، و تتوسع على ضواحيها، فالعديد من المدن الحديثة نشأت من نواة تاريخية تطورت حسب إرادة الانسان و عوائق الزمن، وهي نتاج سلسلة من التدخلات و الانشاءات العمرانية عبر فترات مختلفة، اذ يعبر مركزها القديم اليوم عن هويتها من خلال تراثه المتنوع، و المتكون من عدة مبان شاهدة على التطور العمراني للمدينة، و التي تمثل معالم تاريخية و أثرية و فنية و جمالية²، فدراسة تاريخ المدن لا تنفصل عن دراسة دراسة التطور البشري، و هناك تشابه بين نشاط المدينة و تاريخ تطورها، و بين نشأة الانسان و تطور نشاطاته، فالمدينة وجدت بوجود الانسان الذي خططها و شيدها، و تدمر كذلك بفعل الانسان، فازدهارها و توسعها أو انكسارها وتفككها مرتبط بشكل متين بأوضاع سكانها و حياتهم، و كلما ازدهرت مجموعة بشرية خطت مراحل هامة في تقدمها و جسدت ذلك في بناء مدن عظيمة زاخرة و متطورة.

و يعكس تدهور تلك المدن ظاهرة تراجع المجموعات البشرية و تخلفها و انكسارها، و قد نجد التشابه حتى فيما يتصل ببعض الخصائص النفسية من سعادة و شقاء، و ازدهار و انكماش، و قوة وضعف³.

فالمدينة تشبه الكائن الحي من حيث النمو و التطور حيث تستمد نشاطها من موقعها و ما يحيط به، فهي كيان قائم بذاته كالكتاب المفتوح يعبر عن كل مرحلة من مراحل تاريخها، تحمل آثار ازدهارها و انحطاطها، أو كالشجرة تحمل آثار ازدهارها و انحطاطها و حتى أطلالها⁴، فهي اذن

1- عبد الحميد بعطيش: ملامح المدن النوميديّة، حوليات التاريخ و الجغرافيا، المرجع السابق، ص12.

2- محمد عبد الصمد زرار، عبد المالك تشريفت: مدينة شرشال، المرجع نفسه، ص82.

3- كلثوم ميدان: التطور العمراني في مدينة الجزائر، حوليات التاريخ و الجغرافيا، المرجع نفسه، ص 259-260.

4- نبيل سليمان: إعادة بث مدينة قسنطينة و دورها التاريخي كعاصمة للشرق الجزائري، حوليات التاريخ و الجغرافي، نفسه، ص350.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

كالحضارة عند أرفالد شبنجلر (1888-1936م) الذي اكتفى بتفسيرها تفسيراً بيولوجياً¹، فإنها تمر بنفس الأدوار التي يمر بها الإنسان من طفولة و شباب و رشد و شيخوخة، ففي دور الشباب تتوفر القوة و الإبداع ثم تظهر عليها علامات الشيخوخة فتسقط و تموت²، فيغدوا حال الحضارة كحال غابة عملاقة جفة أغصانها و التوت أعناقها، و هذا ما نشاهده في بقايا و أطلال تلك الحضارات العملاقة كحضارة الفرس و الروم و الهند³، وليس معنى هذا فناء الحضارة فناءً نهائياً، بل تبقى قادرة على البقاء و الاستمرار، فتكون كالشجرة التي استنفذت أغصانها أوراقها، ثم لا زالت تدب داخل عروقها مياه الحياة⁴، فالمدينة اذن هي المكان المميز للتاريخ، و هي خلاصة تاريخ الحياة الحضارية، و هي الكائن و هي الناس و النقل و التنقل و التجارة و الفن و العمارة و الحكومة و السياسة و العلم و الثقافة، و هي صورة للقوة و السلطة و المال⁵.

و هناك من يرى أن المدينة هي مركز تجمع بشري، فهي للسكان و ليست فقط للحكام، كما هي أماكن للسكن و العمل و الحركة و الترفيه، و أن التقدم الحضاري فيها لا يقاس بالأبنية الشاهقة والضخامة و تطورها التقني فحسب و إنما من خلال قياس درجة النفع و الشمولية بالنسبة لسكان المدينة⁶.

1- عبد الرحمن بدوي: شبنجلر، دار القلم، الكويت، 1982، ص34.

2- نعمان عبد الرازق السامرائي: في التفسير الإسلامي للتاريخ، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د.ت، ص123.

3- أرفالد شبنجلر: تدهور الحضارة الغربية، ترجمة أحمد الشيباني، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1964، ص218.

4- عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص103.

5- فوزي بودقة: المدينة تطور رهانات و تحديات، حوليات التاريخ، المرجع السابق، ص391.

6- سعيدة مفتاح: تأثير الحضارات القديمة في التخطيط العمراني للمدن، آراء و دراسات في التاريخ و الآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية المنعقدة في المدرسة العليا، بوزريعة، الجزائر، 23 / 24 / 2012، ص296، علي كريم العمار: مفهوم الإدارة الحضارية في فلسفة الحضارات القديمة و الفكر المعاصر، بحث بالمعهد العالي للتخطيط الحضاري و الاقليمي، جامعة بلغراد، 2007، ص- ص 3- 6.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و هي أيضا كيان مادي و موضوعي و اجتماعي حيث تجذب و تستقبل السكان و تشبع حاجياتهم بفضل انتاجها و تجارتها و تجهيزاتها، فهي المكان الذي تتم فيه الاتصالات المتنوعة، وبفضلها يتحقق الترابط بين المجال الذي تشغله و المجال الواقع تحت سيطرته¹.

و يعرفها رالف لتون على أنها جماعة تعيش على مبادلة المنتجات المصنوعة و الخدمات اللازمة للحصول على الطعام و المواد الخام اللازمة لهم من المناطق القريبة جدا منهم، و كثيرا ما تتطور القرية إلى مدينة في خطوات لا يكاد يشعر بها أحد²، و هذا ما نلاحظه في تطور المدينة المنورة التي انتقلت من مجرد قرى متباعدة عند نشأتها إلى أن أضحت مدينة منظمة يرتكز في وسطها المسجد النبوي الشريف و بيته باعتباره دارا للحاكم و أيضا الأسواق³.

إن مفكري الاسلام و منهم القزويني و ابن أبي الربيع و ابن خلدون و ابن الأزرق وضحا المعنى الاصطلاحي للمدينة و أكدوا على أن الاجتماع الانساني ضرورة تقتضيها الطبيعة البشرية بحكم ضرورة الغذاء و اللباس و المسكن و الدفاع عن النفس من خطر الحيوانات و غيرها⁴، و في هذا الصدد يقولون، أعلم أن الله عز و جل خلق الانسان على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده كسائر الحيوانات، لأن الله تعالى خلقه بطبع يميل إلى الاجتماع و الأنس⁵، و قد عبر ابن خلدون عن ذلك في الباب الأول من المقدمة بقوله: "إن الاجتماع الانساني ضروري" و يعبر الحكماء عن هذا بقولهم: "الانسان مدني بالطبع"⁶ أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم و هو معنى العمران⁷، إلا أن المدينة عند اللغويين مشتقة من لفظ تمدن الرجل أي هي صفة اكتسابية تظهر في

1- عمر زيداني: رهانات التنقل داخل المدينة، حوليات التاريخ، المرجع السابق، ص408.

2- رالف لتون: شجرة الحضارة، تقديم محمد سويدي، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج1، ص 241-242.

3- سعيدة مفتاح: مآثر تشريع المخططات العمرانية للمدينة العربية الاسلامية، مجلة الحكمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 2، السداسي الأول 2013، ص32.

4- محمد بن حمو: العمران و العمارة عند بعض المفكرين المسلمين، مجلة القرطاس الحضاري، المرجع السابق، ص61.

5- الأنس و ذلك أن الانسان إنسي، محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، مجلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب الكويت، يناير 1978، ص- ص 50-151.

6- القزويني: آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988، ص 150-151.

7- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2007.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

سلوك الشخص، و هي وليدة التربية والتهديب، أي التخلق بسلوك مهذب و جميع ما هو ضد الوحشية و الممحية، أما العمران فهو وليد العلم و الاختراع و هو جزء من الحضارة يضم أنظمة جماعية و اختراعات مادية محسوسة¹، و قد اعتبر ابن خلدون العضو البشري أساس الاجتماع الانساني، و بالتالي اعتمار و عمران العالم²، و هذا ينطبق أيضا على المدن، فالقاعدة المعروفة مفادها أن أية مدينة لا يمكن أن تكتفي ذاتيا، من بالضرورة جدا و لكونه من مقومات وجودها واستمرارها هو تبادل المنافع بينها و بين اقليمها³ أي تبادل السلع و الصنائع بين المدينة و بين القرى المتناثرة حولها، و هذا ما جعل رالف لينتون يشبه تصميم المدينة العام بتصميم الخلية فيقول: "أن سر المدينة ليست إلا نواة لها أما القرى المتناثرة حولها و التي تحيط بها فهي مثل بروتوبلازم (المادة الزلزالية التي تحيط بالخلية" مع بعض الطرق هنا و هناك لتوصل تلك المدينة بموارد المواد الخام الضرورية لها"⁴.

و رغم أن المدن تعد ظاهرة قديمة منذ الألف الرابعة قبل الميلاد إلا أن عددها في تزايد مطور لارتباطه بتطور ظاهرة التحضر، التي عملت على نقل المجتمع من عالم الريف إلى عالم الحضر⁵، فالتحضر يطلق على عملية التوسع من حيث المراحل و العمليات المتسلسلة و الآليات و التحولات المرتبطة بتلك الظاهرة⁶، فقد نظر ابن خلدون إلى الناس في زمانه فوجدهم مستقطبين في فئتين، هما: أهل البدو و الحضر، و رأى صفات إحداهما مخالفة للأخرى، فتساءل عن سر هذا الاختلاف، وراح

1- محمد عبد الكريم الجزائري: الثقافة و مآسي رجالها، شركة الشهاب، الجزائر، د.ت، ص 40-41.

2- سعيد محمد رعد: العمران في مقدمة ابن خلدون، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ط1، دمشق سوريا، 1985، ص57.

3- صبري فارس الهيتي: جغرافية المدن، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2002، ص14.

4- رالف لنتون: شجرة الحضارة، المرجع السابق، ص243.

5- الحضر أي الإقامة في المدن، أو الاستمرار في الاستقرار في المدن و القرى، سليمان الخطيب: أسس مفهوم الحضارة في الاسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص25، عبد الرحمن علي حجي: أضواء على الحضارة و التراث، شركة الشهاب للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت، ص67، محمد هيشور: سنن القرآن في قيام الحضارات و سقوطها، دار الوفاء للطباعة والنشر و التوزيع، ط1، 1991، ص61.

6- صبري فارس الهيتي: التخطيط الحضري، دار البازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان، الأردن 2009، ص35، محمد علوات، فوزي بودقة: المدينة الحاضرة، آراء و مفاهيم، حوليات التاريخ و الجغرافيا، المرجع السابق، ص92.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

يستتبط قوانين التطور التحول في الأمم و الدول¹. و يرى أن الحضارة غاية البداوة²، فطور الدولة من أولها بداوة، ثم إذا حصل المال تبعه الرفه و اتساع الأحوال و الحضارة، و الحضارة إنما تنمو في الترف³، و هذا ما يظهر لنا جليا في الوقت الحالي فمدن العالم و خاصة العالم الثالث تعرف نموا في عدد سكان الحضر – الحواضر⁴.

إن معاني المدينة الاصطلاحية عديدة و لها علاقة متشابكة ببعض المصطلحات الأخرى كالمدينة والعمران و الحضارة و الحضر و الثقافة، فكما ربط ابن خلدون و الحكماء المدينة بضرورة الاجتماع الانساني الذي هو المدنية و العمران، فهناك من ذكر أن لفظ الحضارة مشتق من الكلمة اللاتينية CIVIS بمعنى المدينة أو CIVILIS بمعنى مدني أو متعلق بالمدينة⁵.

و إن كانت الحواضر قديمة النشأة فقد تطور مفهومها بتطور الحياة العامة للبشر، فمنذ فجر التاريخ وجدت المدن المتروبولية كمدينة "أور"⁶ التي تعد أقدم المدن نشأة في العالم، و كانت تشغل مساحة 89 هكتارا عندما بلغت أوج مجدها عام 210 ق.م و "أور" في اللغة السومرية تعني مدينة، و مدينة بابل⁷، و مدينة نينوى⁸ و نمرود التي أقامها آشور بانيبال (883-859 ق.م) على مساحة

1- علي الوردي: منطلق بن خلدون في حضارته و شخصيته، مطبعة جامعة الدول العربية- معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1992، ص77.

2- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 275-276.

3- الصغير بن عمار: الفكر العلمي عند بن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر، 1984، ص48.

4- محمد علوات، فوزي بودقة: المدينة الحاضرة، آراء و مفاهيم، المرجع السابق، ص92.

5- محمد عبد الكريم الجزائري: المرجع السابق، ص67، الموقع الالكتروني:

<http://fr.wikipedia.org/wiki/civilisation>.

6- أحمد علي اسماعيل: دراسة في جغرافية المدن، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 2005، ص44.

7- بابل الكلدانية و حدائقها المعلقة مثلت المنهجية التخطيطية و النسق الجمالي، و قد أخذت صورتها النهائية في عهد نيوخد نصر الثاني (604-561 ق.م)، السيد الحسيني: المدنية، دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط1، القاهرة، 1994-1995، ص109.

8- نينوى: أقامها ستحاريب (704-561 ق.م) على مساحة 7295 هكتارا، السيد الحسيني: المرجع نفسه، ص نفسها، سعيده مفتاح، تأثير الحضارات القديمة في التخطيط العمراني للمدن، الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا، الجزائر، المرجع السابق، ص296.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

مساحة 360 هكتارا و روما وغيرها، فمدن الميتروبول القديمة كانت الاستثناء و ليس القاعدة من حيث قلة عددها بين المدن القديمة¹.

فالمدينة الحاضرة² (anetropole) حسب فكرمان E.Wackermane يتم فيها استحداث أنشطة بفضلها تتمكن دوليا دون باقي الأنشطة الأخرى، و بفقدانها لهذه الأنشطة المستحدثة تفقد شخصيتها³، إذن هي المدينة الأم، المدينة الأولى في البلاد، و هي مدينة يتوفر فيها كل شيء، هي شكل من أشكال العمران، يرتكز كغيره من المدن على نواة رئيسية ذات حجم كبير، يعتبر الوزن الديمغرافي أول مميزاتها، و هي أيضا حركة تركز اقتصادي و مالي، ترافقها عملية تنظم التجمعات الحضرية⁴، و هذه الميزة تسمح لها بمساعدة المدن المحيطة للتحكم في هيكلية المجال و حركة حركة السكان و حتى التقارب و التبادل مع المدن المحيطة⁵، إن الحاضرة بمفهومها المعاصر هي عواصم عواصم المدن، تمثل العواصم السياسية و الادارية للدول، وتعرف بالمدن المليونية حيث يفوق عدد سكانها المليون نسمة و هي تتميز عن باقي التجمعات الحضرية بجمعها بين الخصائص الثلاثة التالية:

- الخاصية الادارية أو التوجيهية (Directionalité)

- خاصية الشمولية (Globalité)

- خاصية الارتباط (Connectivité)⁶

1- فوزي بودقة: تحليل الظواهر العمرانية بمدينة الجزائر و مجالها الميتروبولي، المرجع السابق، ص12.

2- الحاضرة عند ابن منظور هي خلاف البادية و هي المدن و القرى، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار و مساكن الديار الديار التي كان لهم بها قرار، ابن منظور: المصدر السابق، م4، ص 148- 149.

3- G.Wackermann, Geographie urbaine, edition ellipses, France 2000, p168.

4- Vhervouet, la periurbanisation dans la metropole nantaise, université de nante, nante, France, 2005, p15.

5- Jean- François Tron, du bon usage du terre metropole notamment dans le monde arabe, revue de journal du méditerranée, France 2000, p3.

6- G.Wackermann, op.cit, p- p 168- 169.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

فبازياد حجم المدن، بات منها الصغيرة و المتوسطة و الكبيرة و الحواضر الكبرى (Metropoles) والمدن العملاقة (Megalopoles) انتظم بعضها تلقائيا دون خطط محددة، واتبع البعض الآخر خطط ضمن أنظمة حضرية أكثر تنظيما و أصبح بذلك للمدينة دور فعال في هيكله الفضاء¹. Structuration de l'espace.

و لا شك أن المدن قد تتشابه في نموها، و لكن لكل مدينة نكتتها و مميزاتها الخاصة في نشأتها ومراحل تطورها: ماضيها، موقعها و موضعها، و حجمها المساحي و السكاني خصائصها الوظيفية، تراثها الثقافي، أدائها الاقتصادي- الاجتماعي و إدارتها و تسييرها²، نظرا لاختلاف طبيعة و وظائف المدن و كذا اختلاف حجم سكانها أصبح من الصعب الخروج بتعريف موحد للمدينة، وأحسن ما يمكن وصف المدينة به أنها: "مستوطن أو محلة يعيش فيه مجتمع مستقر غالبا ما يكون ضخمة العدد، كما أن كثافته مرتفعة، و لا يعتمد كل أفرادها أو معظمهم في رزقهم على الزراعة، و هو في نشاط رائع و له علاقات خارجية و على درجة عالية من التنظيم³.

و يبقى تعريف كل من "أرسطو" بأنها "سكن لأكثر عدد ممكن، توفر له حاجات حياته" ولرالف لنتون: "بأنها جماعة تعتمد في حياتها قبل أي شيء آخر على التجارة و تبادل الخدمات اللازمة للحصول على الطعام و ما يلزمها من المواد الخام" صحيحا و لا يزال معقولا على وجه العموم⁴.

المبحث الثاني: نشأة المدينة و تطورها

-
- 1- محمد علوات، فوزي بودقة: المدينة الحاضرة، حوليات التاريخ و الجغرافيا، العدد4، المرجع السابق، ص89.
 - 2- فوزي بودقة: تحليل الظواهر بمدينة الجزائر و مجالها الميتروبولي، رسالة دكتوراه، دولة، جامعة هواري بومدين، الجزائر، 2006، ص20.
 - 3- محمد علوات، فوزي بودقة: المدينة الحاضرة، آراء و مفاهيم، حوليات التاريخ و الجغرافيا، مخبر التاريخ و الحضارة و الجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة الجزائر، العدد 4، 2011، ص91.
 - 4- رالف لنتون : شبنجلر، المرجع السابق، ص243.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

إن عمران و بناء الأرض كان بأمر إلهي عندما أخبر الله تعالى الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾¹، و أن الخليفة هو الحاكم الذي يفصل بين الناس فيما يقع بينهم من المظالم و أن ذلك الخليفة هو آدم و من قام مقامه في طاعة الله و الحكم بالعدل بين خلقه²، و من ذلك قيل للسلطان الأعظم خليفة لأنه خلف الذي كان قبله فقام بالأمر مكانه، فكان منه خلفاء، لقوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)، أي ساكنا و عامرا يعمرها و يسكنها خلفا ليس منكم³، و التكليف الصريح بالعمران و البناء والعدل جاء في الآية الكريمة: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، أي كلفهم بعمارتها واستغلالها بالحق و العدل و العمل الصالح⁴.

لا شك أن مفهوم إنشاء و تخطيط المدن⁵ واحدة من أقدم المفاهيم في تاريخ انشاء المستوطنات البشرية، حيث ترجع البداية الأولى إلى ما قبل الميلاد، أين ظهرت أولى المدن في بلاد ما بين النهرين جنوب العراق و ذلك منذ حوالي 4 آلاف سنة قبل الميلاد كمدن لجش و أور و الوركاء، و كانت وراء هذه النشأة عوامل عدة منها رغبة الانسان في الاستقرار و تطوير الزراعة و انشاء القرى

1- سورة البقرة، الآية 30، و في تفسير ابن كثير أن المراد بالأرض هي مدينة مكة أو هي أعم من ذلك، ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، ج1، ص71.

2- ابن كثير، نفسه، ص 70- 71.

3- ، نفسه، ص71.

4- الزمخشري: الكشاف، المصدر السابق، ص85، محمد سعيد رمضان البوطي: المرجع السابق، ص26.

5- تخطيط المدينة يختلف عن خطتها، فالخطة تعني مساحتها حتى سطح الأرض، نقلت تفاصيلها على لوحة وفق إحدى طرائق الاسقاط المناسب بمقياس رسم معين، كي يسمح بظهور تفاصيلها مثل الطرق و تقسيمات المباني و الميادين و غيرها من مظاهر العمران والمياه العامة، و إذا كان هذا تعريفا للخطة فإنه بالنسبة للمدينة يعنى الشكل الذي تبدو عليه من انتظام شوارعها وتجمعاتها السكنية وميادينها، ووفق نموذج عمري معين يعطيها شكلا يجعلها تختلف عن غيرها من المدن التي تنمو وفق خطة، ويعني أن الخطة أو النموذج العمراني المقصود بقرن مفهومه بالتركيب العمراني فقط، بينما التخطيط يشمل كل ما يتعلق بالمدينة من الناحية الطبيعية و الحضارية والسكانية و الاقليمية، ينظر، سعيدة مفتاح سعيدة: مآثر تشريع المخططات العمرانية للمدينة العربية الاسلامية، مجلة الحكمة، المرجع السابق، ص31، محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1988، ص95.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و توافر فائض من الثراء دفع للتبادل و التجارة، و لم يقتصر دور هذه العوامل على النشاط فقط، وإنما ساعد على زيادة أعدادها وأحجامها¹ و قد واكبت هذه التجربة العراقية نشأة مدن أخرى على ضفاف نهر النيل في عصر الحضارة المصرية القديمة كمدن نخ و نجب و بوتر و منف، و قد ارتبطت المدن المصرية الباكرة بالدين الذي يمكن اعتباره العنصر المميز بين المدينة و القرية في مصر القديمة، حيث كان المعبد يمثل مركز الحياة و العمران في المدينة، و من حوله كانت تنمو و تمتد مساحتها و تدور صور الحياة فيها، و كان وجود آلهة محلية عاملا عاما في نشأة المدن الاقليمية بمعادها²، كما شهدت الحضارة الاغريقية خلال هذه الفترة ظهور المدن اليونانية، فكانت المدينة اليونانية "Polis"³ محدودة في حجمها عادة لأنها انعكاس اجتماعي للفكر الاغريقي، و بهذا كان تحديد حجم المدينة نابعا من المثل الاخلاقية اليونانية و نتيجة ذلك كانت المدن اليونانية تخضع لحد أقصى من النمو، فإذا تجاوزته تطلب ذلك انشاء مدينة جديدة أخرى⁴.

و قد تبع الاغريق في ذلك المقدونيين و الرومان في تخطيط و بناء العديد من المدن مثل انشاء مدينة الاسكندرية سنة 332 قبل الميلاد، و انشاء مدينة فيلاكوبي 200 سنة ق.م على جزيرة Milos في بحر إيجه، و أنشأت على ساحل الشام مدينة بيبلوس Byblos.

هذا بالنسبة لنشأة المدينة عموما، أما المدينة الاسلامية و هو موضوعنا، فكان أول تطبيق لها في الواقع مع مدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم، المدينة المنورة، فما هي شروط و أسس تخطيطها، وكيف يتم تحصينها و نشر الأمن فيها؟ و ما هي منشآتها العمرانية و مرافقها الاجتماعية

1- عيسى علي ابراهيم: جغرافية المدن، بداية منهجية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2007، ص275، محمد سرياح، عبد القادر صاف: المدن الجديدة من فك الخناق على الحواضر في الجزائر حالة مدن الطوق الأول، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، الملتقى الوطني الثالث، المدن الجزائرية عبر العصور، المرجع السابق، ص272.

2- أحمد علي اسماعيل: دراسة جغرافية للمدن، المرجع السابق، ص38.

3- Polis: هي كلمة يونانية و تعني الحكم الذاتي و هو مفهوم المدنية لدى الاغريق و الرومان في تلك الفترة، محمد سرياح، عبد القادر صاف: المرجع السابق، ص290.

4- أحمد علي اسماعيل: دراسة جغرافية للمدن، المرجع السابق، ص273.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

والاقتصادية؟ و هل سار أصحاب الرسول صلى الله عليه و سلم و الفاتحون من بعدهم على ذلك النهج في تخطيطهم وتأسيسهم للمدن في البلاد المفتوحة؟

أولاً- بداية النشأة

خلافًا عن تخطيط المدن اليونانية و الرومانية تميز تخطيط المدينة الاسلامية باللامركزية حيث تشكل النسيج العمراني للمدن الاسلامية نتيجة تراكم القرارات التي اتخذتها الرعية (السكان) و هذا بناء على مبادئ و ضوابط تحكمها التقاليد و الأعراف و الشريعة الاسلامية التي تأثرت بالأحكام الفقهية شدة التأثير حيث كانت هذه الأخيرة تعد بمثابة القانون العام الذي ينظم البناء في المدينة¹. و لعل الباحث في الحضارة الاسلامية سيدرك أن أولى التطبيقات العمرانية للمسلمين كانت في المدينة المنورة التي انتقلت من مجرد قرى متباعدة عند نشأتها إلى أن أضحت مدينة منظمة بمفهوم حضاري واضح.

و تبدأ نشأة المدينة الاسلامية إذن من "يثرب" بعد هجرة الرسول صلى الله عليه و سلم والتي حولتها إلى مدينة و أصبحت تسمى المدينة.

و كانت خطة الرسول صلى الله عليه و سلم لإحداث التغيير و تحقيقه لحياة حضارية، الدعوة إلى تدويب القبيلة بدعوته صلى الله عليه و سلم إلى التآخي في الاسلام، و تأكيده على رابطة ذوي الأرحام وهي تنظيم يجمع عددا من البطون و العشائر على قبيلة واحدة تحت راية رابطة القرابة و في إطار واسع أكد الرسول صلى الله عليه و سلم على الرابطة العامة بين المسلمين أي توحيد عامة القبائل في تنظيم حربي و اجتماعي تحت راية واحدة، مما أدى إلى خلق مجتمع متماسك بعيد عن النزعة القبلية، تربطه رابطة قوية تساعده على تحقيق قيم الاسلام و تصنيفها².

لقد اتجه الرسول صلى الله عليه و سلم إلى ابدال العصبية القبلية بعصبية الوطن و الأرض، فظهرت تسميات أخرى بدل مسميات القبائل "كأهل قباء" و "أهل المدينة" و "أهل الطائف"، كما

1- سعيدة مفتاح: مآثر تشريع المخططات العمرانية، مجلة الحكمة، المرجع السابق، ص31.

2- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، مجلة عالم المعرفة، المرجع السابق، ص 44- 45.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

أنه أقر مبدأ الاستخلاف على المدن و الأقاليم، فعندما كان يخرج غازيا كان يستخلف على المدينة من يضبط أمورها في غيبته، و كذلك فعل في اليمن نظرا لاتساع رقعتها، حيث استعمل عمالا لأقاليمها كزبيد و عدن وأعمالهما، و كذلك استعمل على نجران عمارة بن حزم الأنصاري، و على صنعاء المهاجر بن أمية المخزومي¹.

و من الناحية المادية فإن موضع المدينة عبارة عن سهل فسيح يتميز بخصوبة التربة و كثرة المياه، و بعد هجرة الرسول صلى الله عليه و سلم إلى يثرب بدأت تتغير معالمها العمرانية تغيرا جمع شتاتها و وحد كيائها، و جعلها مركزا حضاريا متكاملا، و مع استقرار الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة أضحت رأس الحكومة الاسلامية بجانب الصفة الأساسية الأولى و هي صفة رئيس الدولة الاسلامية بجانب الصفة الأساسية الأولى و هي صفة النبوة، و من ثم أصبحت مركزا سياسيا و إداريا فاكتملت بذلك الصفة المدنية².

و توفرت للمنطقة التي نزل بها النبي صلى الله عليه و سلم، و هي منازل أخواله من بني النجار، مميزات أمنية هامة لتقارب منازلها، و هي ميزات لم تكن تتوفر في منازل الأنصار الأخرى، و في هذه المنطقة كانت بداية العمل الانشائي للتكوينات المعمارية الجديدة، و كان نواتها المسجد الجامع، و من حوله أنشئت منازل للمهاجرين الموزعين في أحياء الأنصار³، و في هذا تجميع للمسلمين ليكونوا كلمة واحدة في مواجهة الأخطار المحدقة بهم، و هكذا جمع الرسول صلى الله عليه و سلم بين قوة و منعة بني النجار، وقوة و منعة المهاجرين و بقية الأنصار من حوله في هذا المركز العمراني الناشئ، و بدأت أعمال الانشاء بالمسجد الجامع و بجواره من جهة الشرق بني منزل الرسول صلى الله عليه و سلم شارعا أبوابه على المسجد⁴.

1- محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص46.

2- نفسه، ص47.

3- سعيدة مفتاح: مجلة الحكمة، المرجع السابق، ص32.

4- نفسه، ص نفسها، محمد عبد الستار عثمان: عالم المعرفة، المرجع السابق، ص47.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و بنيت قبلته أولا في اتجاه الشمال نحو بيت المقدس، و في السنة الثانية للهجرة عدلت القبلة نحو مكة المكرمة تلبية للأمر الإلهي في الآيات التالية: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)، (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) ، (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)¹، و من حول المنزل الجامع احتطت منازل المهاجرين في الأرض التي وهبها الأنصار للرسول صلى الله عليه و سلم، و قد جاء أكثر اقطاعات الرسول صلى الله عليه و سلم في أرض الموات²، فقد ذكر ابن سلام أن الرسول صلى الله عليه و سلم حين هاجر إلى المدينة جعل له أهل المدينة "كل أرض لا يبلغها الماء يصنع بها ما يشاء"، و يقول ياقوت الحموي: "فلما قدم الرسول إلى المدينة، أقطع الدور و الرباع، فحط لبني زهرة من ناحية مؤخرة المسجد".

و يشير هذا النص إلى أن الرسول صلى الله عليه و سلم قطع القطائع للأشخاص و اتجه إلى الجمع بين ذوي القرى في موضع واحد، و يؤكد ذلك ما ذكر عن المنازل التي اقتطعت للمهاجرين من بني الليث بن بكر، و بني عمرة، و بني الذهيل، و مزنة، و جهينة، و يلي و غيرهم³، و هو ما يوضح أن المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم تضمنت خططا عدة، و كل خطة قطنها أفراد ينتمون إلى قبيلة أو عشيرة⁴، و مما تجدر إليه الإشارة أن خطط القبائل في المدينة على عهد

1- سورة البقرة: الآيات 144 - 149 - 150، و قد اختلفوا في حكمة هذا التكرار ثلاث مرات، فقيل أن الأمر الأول لمن هو مشاهد الكعبة و الثاني لمن هو في مكة غائب عنها و الثالث لمن هو في بقية البلدان، لمزيد ينظر، ابن كثير: المصدر السابق، م1، ص189.

2- الموات: عند الشافعي هي كل ما لم يكن عامرا و لا حرما لعامر فهو موات و إن كان متصلا بعامر، و عند أبي حنيفة

3- السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين، بيروت، 1971، ج2، ص- ص 757 - 765.

4- عبد الله بن ادريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، السعودية، 1982، ص170.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الرسول صلى الله عليه و سلم لم تكن قبيلية خالصة، بمعنى أن الخطة لا يسكنها إلا القبيلة نفسها ولا سيما أنه نزل يخطط كثير من المهاجرين¹.

إن مسؤولية توزيع الخطط كانت في يد الرسول صلى الله عليه و سلم باعتباره الحاكم و أن منهجه في توزيع الخطط هدف إلى تجميع كل قبيلة في خطة خاصة بها، و تركت حرية تقسيم الخطة للقبيلة وفقا لظروفها و إمكاناتها في الإنشاء و التعمير، و مدى الحاجة إلى ذلك، و الواضح أن تقسيم المدينة الاسلامية إلى خطط "محلات سكنية" إنما أراد به الرسول صلى الله عليه و سلم التأكيد على صلة الرحم بين القبيلة الواحدة و جمع القبائل في خطط متعددة تجمعها مدينة واحدة ذات كيان مادي متكامل و إطار اجتماعي أشمل و أعم، و هو إطار التآخي لتذويب النزاعات القبلية و خلق مجتمع واحد موحد².

إضافة إلى المسجد الجامع، توزعت المساجد على خطط المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم حيث بلغ عددها تسعة في خطط المهاجرين، و كان المصلون يسمعون آذان بلال في مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم "المسجد الجامع"، مما يدل على أن هذه المساجد كانت قريبة منه و أن المساجد كانت تلي حاجات المصلين في هذه الخطط للصلوات الخمس فقط، أما الصلوات الجامعة فكانت تقام في مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم باعتباره المسجد الجامع، كما اشتملت المدينة على ساحة فناء تقام عليها صلاة العيد عرفت "بمصلى العيد"، يخرج إليه أهل المدينة لصلاة العيد³، كما كان لكل قبيلة مقبرة خاصة بها، حسب التقليد القبلي، و بالرغم من أن البقيع أصبحت سنة 10هـ/ 631م أرض دفن جامعة، فإن كل قبيلة عرفت لها جزءا من أرضها استخدمته للدفن⁴.

1- نفسه، ص نفسها.

2- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، المرجع السابق، ص49.

3- نفسه، ص50.

4- السمهودي: المصدر السابق، ج1، ص326، ج3، ص- ص 888-892.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و استكمالا لمرافق المدينة العمرانية اهتم الرسول صلى الله عليه و سلم بإنشاء السوق فجعل للمدينة سوقا واحدة و قال: "هذا سوقكم فلا يضيق و لا يؤخذ فيه خراج"¹، و يبدو أن انشاء سوق للمسلمين بالمدينة كان ليكفيهم أذى اليهود الذين أخذوا في الاعتداء على المسلمين ومضايقتهم بأسواقهم².

كما أقر الرسول صلى الله عليه و سلم نظام المراقبة في الأسواق، فكان يستمر بنفسه في السوق ويوضح الأسس الاسلامية في التعامل، و استعمل عمير رضي الله عنه على سوق المدينة، وبعد فتح مكة سنة 8هـ، استعمل سعد بن العاص على سوقها³.

و ربطت الشوارع و الطرقات باعتبارها شرايين الاتصال بين هذه التكوينات المعمارية، فقد خط بالمدينة شوارع رئيسية تمتد من المسجد باعتباره نواة المدينة إلى جميع أطرافها⁴، و تفرعت منها شوارع فرعية تتوغل داخل خطط الأنصار و المهاجرين، لتسهل التوصل إلى مسجد الرسول في المركز و هكذا ربطت هذه الشوارع خطط المدينة و محلاتها المختلفة ربطا عفويا حولها من محلات سكنية متناثرة إلى مدينة تتصل أطرافها بطرقات رئيسية بمركز المدينة و بالذات المسجد الجامع.

و مع اتساع المدن و تعدد أريافها تعددت المساجد الجامعة، و أصبح تحويل المساجد والمدارس والخانقات إلى مساجد جامعة أمرا ميسورا يتم بتعيين خطيب و إقامة منبر بالمنشأة الدينية، و خير مثال على ذلك ما حدث في القاهرة منذ أوائل العصر المملوكي⁵.

و يذكر محمد بن عبد الستار عثمان: "و سن رسول الله صلى الله عليه و سلم انشاء مقار للعلاج و التطبيب، فقرر بعد رجوعه من غزوة الخندق وضع خيمة في المسجد للتداوي، و تأسى

1- نفسه، ج2، ص 747-748.

2- ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي و السير، تحقيق نخبة حفظ التراث، بيروت، 1980، ج1، ص351، محمد عبد الستار عثمان: عالم المعرفة، المرجع السابق، ص50، سعيدة مفتاح: مجلة الحكمة، المرجع السابق، ص32.

3- حسان علي الحلاق: الإدارة المحلية الاسلامية، المحتسب، الدار الجامعية، بيروت، 1980، ص15.

4- السمهودي: المصدر السابق، ج3، ص814.

5- محمد عبد الستار عثمان: نظرية الوظيفة بالمعامل الدينية المملوكية بالقاهرة، دكتوراه، جامعة أسيوط، مصر 1980، ص- ص 78-82.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الحكام و أهل البر و الخير بهذه السنة، و سعوا إلى انشاء البيمارستانات¹ التي توفر العلاج لأهل المدينة و القادمين إليها، وأوقفوا الأوقاف² الكثيرة عليها، فبلغت مستوى متقدما في العلاج والتطبيب³.

لقد خصصت بالمدينة في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم دور للضيافة و استقبال الوفود، كان أهمها دار عبد الرحمن بن عوف الكبرى، و كانت تسمى دار الضيفان أو دار الأضياف، و نزل بها وفد النخع سنة 11هـ، و دار رملة بنت الحارث الأنصارية التي نزلتها وفود غسان و بني ثعلبة و عبد القيس، و بني فزارة و عذرة و بني حنيفة، و في هذه الدار حبس الرسول صلى الله عليه و سلم بني قريظة قبل إعدامهم بالسوق⁴.

كما اهتم الرسول صلى الله عليه و سلم بنظافة المدينة و دعا إلى إمطة الأذى عن الطريق، فكان في هذه السنة ما يدعو إلى تنظيف الشوارع و إزالة العوائق منها و تجميلها، و في هذا الإطار أنشئت مواضع لقضاء الحاجات "المناصع" إضافة إلى بيوت الخلاء الملحقة بالمنازل⁵، كما اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم مواضع الذبح بعيدة عن المواضع التي تزدحم بالمارة، فقد ضحى عند طرف الزقاق قرب دار معاوية، وضحى أيضا عند طرف زاوية أبي يسار (عند أصحاب المعامل بناء بأعلى السوق)⁶.

و قد اختلفت مقاييس شوارع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم لنوعياتها وحاجة المرور فيها، فكان عرض الطريق الأعظم الذي يمتد من باب السلام بمسجده صلى الله عليه و سلم

1- البيمارستانات: كلمة فارسية مركبة من "بيمار" بمعنى مريض و "ستان" بمعنى مكان فهي إذن دار المرضى، ثم اختصرت فأصبحت مارستان، عيسى بك أحمد: تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص4.

2- الوقف: صدقة جارية من أموال الواقف في حياته، و يستمر بقاؤها بعد مماته، حياة الحجى: السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده، مكتبة الفلاح، الكويت، 1982، ص45، و هذا ما ينطبق مع حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له".

3- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، المرجع السابق، ص53.

4- السمهودي: المصدر السابق، ج2، ص 739.

5- محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص53.

6- السمهودي: المصدر السابق، ج2، ص693.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

إلى مصلى العيد يبلغ عشرة أذرع¹ (5 أمتار تقريبا) بينما تراوح عرض الطرق الجانبية بين 5 أذرع وست و سبع²، وهذا ما رواه أبو مسلم في كتابه "المظالم" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "لا ضرر و لا ضرار للرجل أن يضع خشبة في حائط جاره و إذا اختلفتم في الطريق الميئاء فاجعلوها سبعة أذرع"³، و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "لا ضرر و لا ضرار للرجل أن يضع خشبة في حائط جاره و إذا اختلفتم في الطريق فاجعلوها أذرعاً"⁴، أي تحديد أدنى اتساع للشارع ب 3.5 متر إذا ما اختلف حوله حتى لا لا يضيق، و هذا معقول في تلك العصور.

و على هذا النحو حددت مواضع التكوينات العمرانية للمدينة الاسلامية أي التوفيق بين حرية حق التصرف في الملكية مع عدم التسبب في أذى الآخرين، و قد تكون الحرية وفق حدود منطلقة أساسا من السنة مثلما رواه أبو مسلم في كتابه "المسافات" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره" أو "خشبه في حائطه"⁵.
حائطه"⁵.

1- نفسه، ص- ص 725-732.

2- السهمودي: المصدر السابق، ص 693..

3- باب إذا اختلفوا في الطريق الميئاء (و هي الرحبة تكون بين الطريق ثم يريد أهلها البناء فترك منها سبعة أذرع) رواه الإمام البخاري برقم 2341، ج2، ص874، و جاء في موضع آخر "إذا اختلفتم في الطريق جعل عرضه سبعة أذرع" زكي الدين عبد العظيم: مختصر صحيح مسلم تحقيق محمد ناصر الدين الالباني، ط1، دار بن عفان، السعودية، المكتبة الاسلامية، عمان، قصر الكتاب البليلة، 1411هـ، ص251.

4- ابن تيمية: المنتقى، الرئاسة العامة لإدارات البحوث و الارشاد و الافتاء، السعودية، ج2، ص371، ابن ماجه: سنن ابن ماجه، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج5، ص106.

5- أبو مسلم: كتاب المسافات، باب غرز الخشب في الجدار، برقم 1609، الجزء الثالث، ص1230، للمزيد أكثر ينظر، ابن الرامي: الاعلان بأحكام البنيان، تحقيق و دراسة فريد بن سليمان: تقدم، عبد العزيز الدولايي، مركز النشر الجامعي 1999، ص- ص 46-57، المرجعي التقفي: كتاب الحيطان، أحكام الطرق و السطوح و الأبواب و مسيل المياه و الحيطان في الفقه الاسلامي، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1994، باب الاتصال في بناء الحائط، و باب في الستر و الخشب، و باب في عدد الخشب، ص- ص 47-63.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و عندما ألحت الضرورة و الحاجة إلى حفر الخندق للدفاع عن المدينة و تأمينها من جهة الشمال، أخذ الرسول صلى الله عليه و سلم بمشورة سلمان الفارسي في ضرورة حفره و باشر العمل بنفسه، و قسم الصحابة إلى مجموعات تتكون كل واحدة منها من عشرة أشخاص كلّفوا بحفر أربعين ذراعاً¹.

فنستنتج مما سبق أن ملامح نشأة المدينة الاسلامية العمرانية و منهج تخطيطها و تحصينها بدأ أصلاً في مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم، و في عهده، و أتبع هذا المنهج فيما اختط من مدن كانت أوائل نماذجها ما يطلق عليه اصطلاحاً "مدن الهجرة أو مدن الأمصار"²، التي كان قوامها أهل الهجرة و الذين كانوا يدوا في القالب و وجدوا في هذا الاتجاه سبيلاً نحو حياة أفضل، و حملوا لواء الجهاد فريضة لنشر الاسلام.

و بعدما نشطت الفتوحات الاسلامية خاصة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أصبحت الحاجة ملحة لإدارة الأقاليم المفتوحة، و اتخاذ قواعد متقدمة تكفل استمرار قوة الجيوش الاسلامية الفاتحة، فأنشأت العديد من المدن لتكون كمعسكرات حربية متقدمة لهذه الجيوش لتتحول بعد ذلك إلى عوالم إدارية لولايات الدولة الاسلامية، أي أن هذه المدن ارتبطت وظيفتها بنشأتها والتي كان السبب فيها دواعي الفتح العربي الاسلامي³ لهذا نجد أن بعض المؤرخين ينسبون انشاء و ازدهار المدن الجديدة إلى الفترة الاسلامية ومنهم بيار جورج Pierre George الذي ذكر: "أن

1- للمزيد عن كيفية حفر الخندق و فترة إنجازه و عدد المشاركين في حفره، ينظر، القبري : تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق أبي الفضل ابراهيم، القاهرة، 1968، ج2، ص518، السمهودي: المصدر السابق، ج4، ص109، ابن سيد الناس: المصدر السابق، ج2، ص287، محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، المرجع السابق، ص52-53.

2- عبد الجبار ناجي: مفهوم العرب للمدينة الاسلامية، مجلة المدن العربية، نشر المنظمة العربية للمدن، العدد 14، السنة 3، 1984، ص147.

3- محمد عبد القادر عثمان: المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، المرجع السابق، ص57، محمد سرياح، عبد القادر صاف: المدن الجديدة في فك الخناق، حوليات التاريخ و الجغرافيا، الملتقى الوطني الثالث، المرجع السابق، ص273.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الاسلام بناء للمدن "un batisseur des villes"¹، و من المدن التي أنشئت خلال الفترة الاسلامية، أولها البصرة التي أسست كمعسكر حربي سنة 14هـ/ 634م، أسسها عتبة بن غزوان بأمر من الخليفة عمر رضي الله عنه و بدأ بتخطيط المسجد الجامع، و بجواره دار الإمارة، ثم أقطعت القبائل خططها حول المسجد، و خططت الشوارع، ومرابط الخيل و المقبرة، و تركت حرية تقسيم الخطط للقبائل التي اختطت و بنيت منازلها، و ذكر لنا البلاذري² العديد من الروايات عن بعض ما قام به أبو موسى الأشعري الذي تولاهما سنة 17- 19هـ/ 630- 650م) لتنظيم المدينة كبناء المسجد و دار الإمارة باللبن و الطين و تزويدها بالماء الصالح للشرب، و كيف ساهم أيضا عبد الله بن عامر (25- 36هـ/ 646- 657م) في تطوير البصرة بتشجيعه للعمران و التوسيع في تأسيس الأسواق و لا سيما أن سوق المرید لم تعد قادرة على سد الحاجات الجديدة للمدينة³، كما جاءت روايات مفصلة عن كيفية بناء مدينة الكوفة⁴ استنادا إلى معايير هندسية معينة تتعلق بعرض الشوارع واختيار موقع المسجد الجامع، و دار الإمارة و تخطيط على القبائل للسكن⁵.

-
- 1- محمد السيد غلاب، يبري الجوهري: جغرافية المدن، دراسة في تطور الحضرة و مناهج البحث فيه، منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ت، ص291، محمد سرباح، عبد القادر صاف: المرجع السابق، ص273.
 - 2- البلاذري : فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص342.
 - 3- نفسه، ص- ص 342- 345، عبد الجبار ناجي: المرجع السابق، ص 61- 62، و يكشف لنا الطبري عن تطور المدينة الاقتصادي و المتمثل في تزايد الواردات من غنائم الفتح، و تزايد الهجرة إليها حتى بلغ عدد سكانها ستين ألفا، و بني فيها بالآجر والجص، و كثرت الأسواق و منها "مدينة الرزق" و هي عبارة عن سوق واسعة لها أربعة أبواب، و تحتوي على نشاطات اقتصادية فاعلة، كما أنشئت المحلات و الحمامات...، الطبري: المصدر السابق، ص249.
 - 4- الكوفة: أصبحت كمعسكر حربي سنة 17هـ/ 638م، على يد سعد بن أبي وقاص بعد موافقة الخليفة و وفقا لتوجيهاته التخطيطية التي حددت اتساع شارعها الرئيسي بأربعين ذراعا و الشوارع الثانوية بثلاثين ذراعا، و أنشئ المسجد في وسط المدينة و بجواره دار الإمارة، و منها امتدت الشوارع التي كان سميها الطبري "بمنهج أهل العزم"، الطبري "المصدر نفسه، ص 2489- 2490.
 - 5- سعيدة مفتاح: مآثر تشريع المخططات مجلة الحكمة، المرجع السابق، ص31، و يشير اليعقوبي إلى أن تقسيم الخطة بين أفراد القبيلة كان متروكا لحرية تصرف اختيار القبيلة أي كل قبيلة تقسم الخطة المخصصة لها، و توزعت المساجد في خطط القبائل، وكان لكل قبيلة مقبرتها المعروفة بها، و كانت السوق في الوسط عبارة عن ساحة فضاء كما هو الحال في سوق المدينة المنورة، اليعقوبي: البلدان، طبعة ليدن، ص 95- 96.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و يتضح مما سبق أن تخطيط الكوفة سار على المنهج نفسه الذي وضع في المدينة المنورة ثم في البصرة.

وسار تخطيط الفسطاط على النمط نفسه و التي تعد أول مدينة جديدة عربية أنشئت في شمال افريقيا أسسها عمرو بن العاص عند فتح مصر سنة 21هـ / 641م¹، و يكشف لنا المقريري تأثر تخطيط المدينة بظروف نشأتها الحربية في تلك الفترة المبكرة من تاريخ تخطيط المدينة الاسلامية، حيث يشير إلى ترتيب المحلات السكنية (الخطط) يتبع في الغالب بترتيب قطاعات الجيش²، مما يسهل إدارة المدينة واستنفار الجيوش.

و من المدن الأخرى التي نشأت في ظل الاسلام، و التي هي موضوع بحثنا مدينة القيروان³، فقد فكر عقبة بن نافع في بناء قاعدة ثابتة للفتح الاسلامي في افريقية، فشرع في البناء سنة 50هـ، وتم بناؤها سنة 55هـ / 675م⁴، أما عن تأسيسها و كيفية تخطيطها و تحصينها و مظاهرها العمرانية فهذا ما سنتناوله بشيء من التفصيل في الباب الأول.

و مدينة واسط التي ارتبط انشاؤها بما وقع من أحداث في البصرة و الكوفة في العصر الأموي، فقد ذكر بمحشل أن الحجاج قال: "أخذ مدينة بين المدينتين (أي الكوفة و البصرة) أكون بالقرب منهما أخاف أن يحدث في أحد المدينتين حدث و أنا في مصر الآخر، فمر بواسطة القصب فأعجبته فقال: هذا واسط المصريين، فكتب إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه في بناء مدينة بين المصريين فأذن له"⁵.

1- ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، القاهرة، 1961، ص 697.

2- المقريري: المخطط، طبعة بولاق، مصر، ج 1، ص 297.

3- القيروان: اسم معرب و هو بالفارسية يعني كروان و هو طائر يشبه الحجل و القيروان تعني محطة ابدال أو تجمع عسكري للدفاع عن المدينة، ابن منظور: المصدر السابق، ص 77، موريس بومبار: الاسلام في مجده الأول (ق 8 - 11م / 2 - 5هـ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، الجزائر 1984، ص 103.

4- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، حققه و راجعه ج.س كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط 2 بيروت، لبنان، 1982، ج 1، ص 20، موسى لقبال: المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسته ونظمه، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط 1، الجزائر، ص 29.

5- محشل: تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1986، ص 38 - 39.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و آثار بجشل بطريقة مفصلة عن تخطيط المدينة بعدما اشترى الحجاج أرضها سنة 75هـ وبنائه القصر و المسجد و السوران و حفر الخندق و أنشأ السوق و الدروب و المقبرة و ضرب الدراهم¹.

و من المدن الأخرى أيضا مدينة بغداد² (دار السلام) كعاصمة جديدة للخلافة العباسية سنة 145هـ/762م، و مدينة فاس بالمغرب سنة 808م، حيث وصفها ليون الافريقي و أحصى حوانيتها وأسواقها و فنادقها و حماماتها و طواحينها و منازلها و مساجدها و مدارسها، و ما اشتملت عليه من مرافق تدل على مستوى حضاري متقدم³، و قد اندهش الرحالة الأجانب لاتساع مدينة القاهرة التي تأسست 969م، و امتداد عمرانها⁴.

إن نشأة و تطور عمران المدن الاسلامية أو انحساره ارتبط بتغيير الخريطة السياسية للعالم الاسلامي في فترات مختلفة توحدت تحت راية خلافة اسلامية واحدة، ثم انقساما إلى ثلاث خلافات، ثم تفتتا إلى دول مشرقية و مغربية، و ما صاحب ذلك من هجمات الصليبيين ثم التتار ثم هجمات المسيحيين على الأندلس التي انتهت بفقدانها و ضياع أرضها⁵.

1- بجشل: نفسه، ص39.

2- يروى عن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور أنه خرج بنفسه إلى الموقع الذي عينه له أصحابه و بات فيه ليختبر مناخه، فوجده يمتاز عن غيره من الأراضي الواقعة على دجلة بخلوه من الوباء الذي ينقله البعوض، و طيب ليليه، و صفائه حتى في أشد الصيف حرارة، فضلا عن وفرة المياه و خصوبة التربة، و قد أشرف المنصور على تخطيط المدينة و وضع حجر الأساس سنة 145هـ/762م، و تشير الدراسات إلى أن البناء المدور يكون عادة أكثر تعرضا للشمس و الهواء من أي بناء آخر و هذا ينطبق على الشكل الدائري لبغداد لتكون مدينة صحية، السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ المغرب، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، 1993، ج3، ص- ص 349-354.

3- ليون الافريقي: وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1983، ص- ص 249-321.

4- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، المرجع السابق، ص70،
Lamara Mohamed Karmi, critère d'implantation, des villes nouvelle en algérie, école polytechniques d'architevture, el harach, année 2003, p3.

5- محمد عبد الستار: المرجع السابق، ص76.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

إن مشاركة الحكام في عمران المدن بداية باختيار المواضع الصالحة لإنشاء المدن، ثم اقطاع العامة الخطط لبدء الانشاء و التعمير، ثم جمع القبيلة في مكان واحد مما يدفع القبيلة إلى بذل قدر طاقتها لإعمار موضعها بمستوى يتناسب و منزلتها و بالتالي إعمار المدينة كاملا من جهة و منافسة المدن الأخرى من جهة أخرى، و ما يشجع أيضا على الإعمار سياسة الاهتمام بإنشاء و تجهيز المرافق الأساسية من ماء عذب و أسواق و مساجد و دور قضاء و طرق، و غير ذلك من المرافق يؤدي إلى إعمار و تطوير المدن وهذا ما حدث مع عبد الرحمن بن رستم و مدينة تيهرت و التي هي موضوع بحثنا تناولها بشيء من التفصيل للوقوف عند الملامح و المظاهر الحضارية فيها و مقارنتها بالأخرى في مدينة القيروان.

و لم يقتصر العرب الفاتحون على انشاء المدن الجديدة في وطنهم من الخليج إلى المحيط بل كانوا رواد المدينة في جزء من أوروبا حيث فتحوا الأندلس عام 711م و أنشأوا العديد من المدن كغرناطة و قرطبة و اشبيلية.

هذا بخصوص معنى المدينة الاسلامية و تاريخ بداية نشأتها، أما بخصوص تخطيطها و تحصينها وعمرانها فقد حدد المفكرون مجموعة من الشروط و المقاييس التي يجب مراعاتها في بناء و تعمير المدن وأولها في اختيار الموقع و المكان اللائق، فليس كل المواضع المعمورة صالحة للتعمير و المسكن و لا كل بقعة في كل موقع تصلح لذلك¹، و من بين الشروط و المعايير نذكر:

ثانيا- شروط اختيار الموقع

فقد تحدث القزويني عن تقاسم الأرض و حدد أفضل مكان لسكنها و تأثيرها على الأبدان وأخلاق الانسان، و أن منها الشرق و الغرب و الجنوب و الشمال، و ذكر أن معظمها لا يصلح للسكن، و أن ما يصلح للسكن من الأرض قدر يسير و هو أواسط الأقاليم الثالث و الرابع والخامس، ثم بين سلبيات المساكن الحارة و المساكن الباردة و كذا الرطبة و اليابسة و الحجرية، و آخر ما ذكره المساكن الآجمية و البحرية، و من خلال الأوصاف التي ذكرها فإن المساكن الرطبة و المساكن

1- محمد بن حمو: مجلة القرطاس، المرجع السابق، ص65.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الآجمية و البحرية هي الأفضل للسكن لأن هواءهم معتدل ليس بشديد الحرارة و لا شديد البرودة، كما أن سكانها موصوفون بالسحنة — أي الحالة الجيدة¹.

و تحدث ابن خلدون عن الهدف و الغاية من انشاء المدن بقوله: "إن الغاية من تأسيس وبناء المدن هي إيجاد المساكن و المنازل و الملاجئ، و من الضروري نبذ الأشياء الضارة عن هذه المدن وأن نوفر في جميع هذه المساكن وسائل الراحة و المنفعة العامة" و حدد ثلاثة شروط يجب مراعاتها في اختيار الموقع وهي: دفع المضار، و جلب المنافع و تسهيل المرافق فقال: "أعلم أن المدن قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف و دواعيه، فتؤثر الدعة و السكون و تتوجه لاتخاذ المنازل للقرار، و لما كان ذلك للقرار و للمأوى و يجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها، و جلب المنافع و تسهيل المرافق لها"².

و يقول توفيق حمد عبد الجواد: "أي موقع المدينة الجغرافي الطبوغرافي سيشكل عاملا من أهم العوامل لتكوين الشكل العمراني للمدينة لنموذجها الوظيفي و لتحديد شخصيتها المعمارية، فالمدينة إما أن تكون ساحلية و ذلك ما هو نادر في التراث الاسلامي لجنوح المسؤول عادة عن الساحل لضرورات أمنية³، و ثمة بالطبع حالات خاصة، و اختيار موقع كهذا يظهر حرص مؤسس المدينة على تأمين عامل الأمان و غالبية المدن بنيت على طرق التجارة⁴ و في سفح جبل قرب واد

1- القرويني: المصدر السابق، ص8.

2- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص73، محمد سرياح، عبد القادر صاف: حوليا التاريخ و الجغرافيا، الملتقى الوطني الثالث، المدن الجزائرية عبر العصور، المرجع السابق، ص274.

3- فقد بنيت القيروان على بعد ستة و ثلاثين ميلا من البحر و نحو ميل من تونس، حسن الوزان: وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، 1983، ج2، ص87، و برر عقبة بن نافع اختياره ذلك الموقع لأصحابه لما أرادوا لها مكانا قرب البحر قال: "إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية، و يملكها، و لكن اجعلوا بينها و بين البحر ما لا يدركها معه صاحب البحر"، ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق و مراجعة ج.س كولان و ليفي برونسسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ج1، ص19، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1380هـ/ 1965م، ج3، ص456.

4- يذكر بروبال حول المدن ما يلي: "...نقاط جامدة فوق الخرائط، فهي تتغذى من الحركة، و ما تجارحتها إلا حركة"،

F.Braudel, civilisation materielle et capitalisme, paris, 1967, p. p 372- 374.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

خصب"¹، و هذا ما ينطبق على مدينة تيهرت التي تقع على السفح الجنوبي لجبل جزول، و يأتيها من الغرب نهر سمي مينة و نهر آخر سمي تاتش².

و وضع ابن الأزرق شرطين أساسيين يجب مراعاتهما في اختيار مواضع المدن و هما دفع المضار وجلب المنافع³، و هو في الحقيقة كما قال محمد بن حمو: "ينقل عن ابن خلدون حرفيا إلا في القليل النادر"⁴، و اعتبر ابن الأزرق العمارة الركن الخامس من أركان الملك بعد نصب الوزير و إقامة الشريعة وإعداد الجند و حفظ المال⁵.

أما ابن أبي الربيع⁶ فقد حدد أربعة شروط لاختيار الموضع لإنشاء مدينة و هي كالآتي:

1- سعة المياه المستعذبة و ذلك بأن تكون قرب نهر أو بها آبار و عيون بحيث يأخذ الناس حاجاتهم من الماء عن قرب.

2- امكانية الميرة المستمرة، هي الطعام الذي جمع للسفر و نحوه فهو كل ما يصلح للادخار و يكون بالكثرة بحيث لا يحتاج أهلها إلى جلبه من مكان آخر و هذا ما نستشفه من الآية الكريمة: (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَنَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ)⁷، في أن فلسطين غاب عنها هذا الشرط حيث توفر في مصر، مما اضطر أهل فلسطين إلى الخروج للبحث عن المسيرة.

1- توفيق حمد عبد الجواد: العمارة الاسلامية فكر و حضارة، المكتبة الأنجلو مصرية، 1987، ص 300-301.
2- و هذا ما أكده كل من الادريس، و صاحب الاستبصار و يعقوبي بقوله مثلا: "تاهرت مدينة كبيرة أهلة بين جبال وأودية..." مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، مطبعة جامعة الاسكندرية، مصر، 1958، ص66، الادريسي: المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، حققه و نقله إلى الفرنسية محمد بلحاج صادق، =المؤسسة العامة للنشر والاشهار، حيدرة، الجزائر، 1983، ج3، ص274، يعقوبي: تاريخ يعقوبي، دار صادر بيروت، د.ت، ص149.

3- ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، 1988، ج1، ص356-357.

4- محمد بن حمو: مجلة القرطاس، المرجع السابق، ص68.

5- ابن الأزرق: المصدر السابق، ج1، ص223.

6- ابن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة و تحقيق ناجي التكريتي، منشورات عويدات بيروت، ط1، 1978، ص136، محمد بن حمو: المرجع السابق، ص67.

7- سورة يوسف: الآية 65.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

3- اعتدال المكان و جودة الهواء، و هذا مهم لحياة الكائن الحي و سلامته من الأمراض، فهنا يذكر القزويني: "ثم إن الملوك من الأمم الماضية لما أرادوا بناء المدن أخذوا آراء الحكماء في ذلك، فالحكماء اختاروا أفضل ناحية في البلاد و أفضل مكان في الناحية و أعلى منزل في المكان من السواحل والجبال و مهب الشمال، لأنها تفيد صحة أبدان أهلها و حسن أمزجتها، و احترزوا من الآجام والجزائر و أعماق الأرض فإنها تورث كربا و هما"¹.

و قد ذكر المسعودي خبرا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه بعد نجاح الفتوحات الاسلامية في العراق و الشام و مصر و غيرها، كتب إلى أحد العلماء مستوصفا بقاع المعمورة: "إنا أناس عرب، و قد فتح الله علينا البلاد، و نريد أن نتبأ الأرض و نسكن البلاد و الأمصار، فصف لي المدن و أهويتها ومسكنها و ما تؤثره التربة و الأهوية في سكانها" فكانت وصفاً ذلك الحكيم تتضمن مضار الحياة بالمناطق الباردة و الحارة، و منافعها بالمناطق المعتدلة، و رصد خصائص البيئة في عدة بلدان مثل الشام، و مصر و اليمن و الحجاز و المغرب و العراق و فارس و الهند و الصين²، هذا الموقف يؤدي إلى استنتاج أن المسلمين الأوائل كانوا يتمتعون بفكر بيئي راق ارتبط بعدة اعتبارات أمنية و صحية و اقتصادية³.

4- القرب من المراعي و الاحتطاب، لأن العيش كان يعتمد على الدواب، يأكلون من لحومها ويشربون من ألبانها، و يركبون ظهورها (ممكن الآية) فوجب توفر المراعي لها و أيضا الاحتطاب، لاستعماله في البناء و الطهي، و كان اختيار موقعي البصرة و الكوفة مناسباً للصحة و أحوال الأبل حيث بعث عمر بن الخطاب للفتاحين موافقته يقول: "إن العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها إبلهم"⁴.

1- القزويني: المصدر السابق، ص8، محمد بن محمد: القرطاس، المرجع السابق، ص66.

2- المسعودي: مروج الذهب و معادن الجواهر، تقدم محمد السويدي، سلسلة الأنيس، موفم، الجزائر، 1919، ج2، ص- ص 41-45.

3- كمال صيفوري: الفكر البيئي في الحضارة الاسلامية، مجلة كان التاريخية، دار ناشري الأرشيف العالمي، العدد 20، السنة السادسة، جوان 2013، رجب 1434، ص50.

4- كمال صيفوري: المرجع السابق، ص59.

ثالثا- شروط التخطيط و التحصين

أما فيما يخص التقسيم و التخطيط الداخلي للمدينة و الشروط الواجب توفرها، فقد ذكر بعضها القزويني بقوله: "على الباني أن يتخذ للمدينة سورا حصينا منيعا، و للسور أبوابا عدة حتى لا يتزاحم الناس بالدخول و الخروج، بل يدخل و يخرج من أقرب باب إليه، و اتخذوا لها قهندازا لمكان ملك المدينة، و النادي لاجتماع الناس فيه، و في البلاد الاسلامية المساجد و الجوامع و الأسواق و الخانات و الحمامات، و مراكض الخيل و معاطن الإبل و مرابض الغنم، و تركوا بقية مساكنها لدور السكان، فأكثر ما بناه الملوك و العظماء على هذه الهيئة، فترى أهلها موصوفون بالأمزجة الصحيحة والصور الحسنة و الأخلاق الطيبة، و أصحاب الآراء الصالحة و العقول الوافرة"¹.

و يؤكد القزويني على هذا بأنه عند حصول الهيئة الاجتماعية للناس فإنهم لو اجتمعوا في صحراء لتأذوا بالحر و البرد و المطر و الريح، و لو تستروا بالخيام و الحرقهات لم يأمنوا مكر اللصوص و العدو، و لو اقتصروا على الحيطان و الأبواب كما نرى في القرى التي لا سور لها لم يأمنوا صولة ذي بأس، فألهمهم الله اتخاذ السور و الخندق و الفصيل، فحدثت المدن و الأمصار و القرى والديار².

و قد ذكر لنا الفرستائي هذه المعايير فقال: "و إن أرادوا أن يحدثوا منزلا في أرضهم و يجاورهم أراضي غيرهم فالذي يجب أن يفعلوه في هيئة المنزل أن يجعلوا له أربعة أبواب، و يجعلوا فيه شارعين من الشرق إلى الغرب شارع، و من القبلة إلى الشمال شارع، و ينفذون طرق الدور إلى الشارع من غير مضرة لأحد على جاره، و هذا فيما حواه المنزل، و الذي يجب للمنزل من الطرق أربعة، قبلي و شرقي و جبلي و غربي، و منهم من يقول يجعلون له الصبا، و الدبور و الجنوب و الشمال، و منهم من يقول يجعلون له طريقا إلى الفحص لمراعيهم، و طريقا إلى الجبل و طريقا إلى الماء و آخر إلى السوق، و إن كفاهم أقل من هذا فلهم ذلك، و إن احتاجوا إلى خمسة طرق أو أكثر فيما لا غنى

1- القزويني: المصدر السابق، ص8.

2- نفسه، ص نفسها.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

لهم عنه و لا بد لهم منه فلهم ذلك كله، سواء في هذه المعاني أرجعت لهم إلى ناحية واحدة أو افترت، فكل ما لا بد لهم منه يدركونه ويحدثونه"¹.

و يوضح كيفية بناء القصر —يعني الصحراوي— من تحديد الأرض و تقسيم المنازل فيه وكيفية البناء و نظامه، و إقفال البوابة و الشرفات و الساحة و البئر و البيوت"².

و عندما تناول ابن أبي الربيع عمارة البلدان فإنه قسمها إلى قسمين مزارع و أمصار، فأما المزارع فهي أصول المواد التي بها يقوم أود الخلق و يلزم فيها حقوق ثلاثة، الأولى للقيام بمصالح المياه لينتفع بها القريب و البعيد، الثانية كف الأذى عنهم، لأن لا يشتغلوا بغير الزراعة، الثالثة تقدير ما يؤخذ منهم بحكم الشرع و العدل حتى لا يبالغوا خوف و لا عسف، فإن حيف عليهم شيء من ذلك أو عسف بهم انعكس الصلاح إلى ضده.

و أما الأمصار و هي الأوطان الجامعة و المقصود بها خمسة أمور، أولها أن يستوطنها أهلها طلبا للدعة و السكون، ثانيها حفظ الأموال فيها من الاستهلاك، ثالثها صيانة الحرم و الحرم من الانتهاك، رابعها التماس ما تدعو الحاجة إليه من متاع أو غيره، خامسها لا يتعرض للكسب و طلب المادة"³.

و عموما انطلقت المدينة الاسلامية في نشأتها و تطورها من محاور أساسية في التخطيط بلورها "ابن الربيع" في ثمانية شروط⁴ أوجب على الحاكم اتباعها عند تخطيط المدينة بحملها في ما يلي:
1- أن تسوق إليها الماء العذب ليشرب حتى يسهل تناوله من غير عسر، أي أن تكون مصادر المياه متوفرة، مع وجوب تسهيل إيصال الماء العذب إلى سكان المدينة عن طريق تخطيط شبكات التوصيل سواء أكان ذلك بالقنوات أو الأنابيب، أو بحفر الجداول أو بنقله على ظهور الدواب"⁵.

1- الفرستائي: القسمة و أصول الأرضين، تحقيق و تقديم، بكير بن محمد الشيخ بلحاج، محمد صالح الناصر، المطبعة العربية، جمعية التراث القرارة، ط2، غرداية، 1997، ص 119-120.

2- الفرستائي: المصدر السابق، ص- ص 192-198، محمد بن حمة: المرجع السابق، ص76.

3- ابن أبي الربيع: المصدر السابق، ص 151-252.

4- ابن أبي الربيع: نفسه، ص154.

5- مفتاح سعيدة: المرجع السابق، ص33، محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، المرجع السابق، ص 112-113.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و جاء توفير الماء في مقدمة الشروط لأن تأخره يتسبب في إحداث خلل و نقص في كفاءة المدينة ويحدث تعارض مع عناصر التخطيط الباقية¹.

2- أن يقدر طرقها و شوارعها حتى تتناسب و لا تضيق حتى يسهل على الناس التنقل بحرية كما يسهل على الدواب المحملة السير و التقاطع دون أن تتصادم، و هكذا نجد في المدينة شبكة محكمة من الطرقات والمسالك منها الكبيرة كالشوارع، و المتوسطة كالأزقة و الصغيرة كالدراب، تأثرت كلها بالأحكام الفقهية فكان مثلا في الفصل في موضع الطريق كما رأينا يأخذ بالحديث الشريف أي عرض الطريق سبعة أذرع (حوالي 3.5م).

3- أن يبنى فيها جامعا للصلاة في وسطها ليتعرف على جميع أهلها، حيث كان أول ما يختط في التكوينات المعمارية للمدينة هو المسجد الجامع افتداء بما فعله الرسول صلى الله عليه و سلم عندما هاجر إلى المدينة، فقد وجد في البداية و في الغالب مسجد جامع واحد، و عدة مساجد أحياء بحيث كان لكل حي مسجده الخاص، و يؤدون الصلاة الجامعة في المسجد الجامع، لكن مع تطور العمران و توسع المدينة وتعدد أربابها، أصبح انشاء مسجد جامع بالربض مع شرط وجود حدود مادية فاصلة كنهر أو سور أو مثل ذلك² مثل ما حدث بالقاهرة التي كانت بها أربعة مساجد هي: جامع عمرو، و جامع ابن طولون، والجامع الأزهر، و جامع الحاكم.

و نظرا للأهمية الدينية و السياسية التي كان يمثلها هذا الصرح، في خطة المدينة نجد أما بجواره بقع مقر السلطان أو الحاكم أو الخليفة، و هذا ما قام به الرسول صلى الله عليه و سلم.

4- يقدر أسواقها لينال سكانها حوائجهم عن قرب، يعتبر السوق من المرافق الأساسية في المدن، وصارت مرفقا ضروريا لحياة المجتمع المسلم، يقوم على أسس اسلامية جديدة جدها الرسول صلى الله عليه و سلم، عندما قال: "هذا سوقكم فلا يضيق و لا يؤخذ فيه خراج"³، و كانت سوق

1- مفتاح سعيدة: المرجع السابق، ص34.

2- عبد العظيم المنذري: مختصر صحيح مسلم، المصدر السابق، ص251.

3- ابن ماجة: سنن ابن ماجة، كتاب التجارات، باب الأسواق و دخولها، رقم 2233، محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، المرجع السابق، ص113، مفتاح سعيدة: المرجع السابق، ص35.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

المدينة فضاء واسعاً لا بناء فيه، لكن مع تطور النشاط التجاري، و تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدن الإسلامية، تنوعت الأسواق و أصبحت الدروب و الأحياء تسمى بنوع التجارة والحرفة السائدة فيها كالتحاسين و الدباغين و غيرها.

5- يميز بين قبائل ساكنيها بألا يجمع أصدادا مختلفة متباينة، و ذلك بأن يجعل كل قبيلة في حي خاص بها لها مساجد أحيائها و حوانيتها و أحيانا لها مقبرتها الخاصة بها و يجمعهم المسجد الجامع كما كان ذلك في المدن الأولى التي بناها المسلمون كالقوفة و القيروان¹، و هذا الشرط يشير إلى مشكلة صراع الأجناس التي ظهرت في مدينة بغداد في حكم المعتصم بالله، بعدما أهمل هذا الأخير الجنسين العربي و الفارسي و اهتم بالأترك الذين كانوا يشكلون المحرك الرئيسي لجنده و جيشه².

6- إذا أراد ساكنها فليسكن أفسح أطرافها، و يجعل خواصه محيطين به من سائر جهاته، و هذا لتأمين مركز السلطة بعزله عن مواضع سكن الرعية أو العامة بحيث كان الأعوان المقربون هم الذين يقطنون في مناطق قريبة من الحاكم، الذي كان يحرص على جعل خواصه محيطين به من سائر جهاته، حتى لا يتعرض مواكبه و رجاله لأذى العامة و المارة من أهل الفتنة و الثائرين ضد الحكم و من الأمثلة على ذلك أبو جعفر المنصور الذي خط لأتباعه المقربين مناطق مكية بجوار قصره ببغداد، و المعتصم في سمر، و المعز بالقاهرة...³.

7- أن يحيطها بسور خوف اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة أي أن تأمين المدينة في صياغة ابن الربيع يعني تأمين كيان عضوي واحد فهي بمجملها "دار واحدة" و يكشف هذا عن النظرة المتكاملة لتخطيط المدينة و ارتباط تكويناتها المعمارية ارتباطاً واحداً، فكان السور لا يبنى إلا بعد أن تستقر كل قبيلة في مكانها و تترك فراغات (رحاب) بينها لمن أراد السكن فيما بعد، أو لإمكانية

1- الطبري: المصدر السابق، ج2، ص280، اسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت، ص 239-240، موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1981، ص29.

2- سعيدة مفتاح: المرجع السابق، ص37.

3- نفسه، ص39.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

اتساع المدينة، ثم بينى السور الذي يضم كل السكان¹، و أدى التطور العمراني إلى توسع نطاق الأسوار و وصلها ببعضها عن طريق أبواب تربط الحارات و الأحياء بقلب المدينة و مركزها، حيث دعا تأمين المدينة إلى تقسيمها إلى دروب و أزقة تغلق عليها الأبواب ليلا فتعزل كل حارة عن الأخرى عزلا تاما، و تؤمن من خطر اللصوص و تمكن الحراس من السيطرة على الحالة الأمنية²، و من المدن التي تبلور فيها هذا النظام، بغداد و القاهرة وقرطبة و فاس و تيهرت³.

8- أن ينقل إليها من أهل العلم و الصنائع بقدر الحاجة إلى سكانها، حتى يكتفوا بهم و يستغنوا عن الخروج إلى غيرها، و هذا الشرط يعتبر من المقاييس التي تميز المجتمع الحضري للمدينة بما توفره من الخدمات المتمثلة في نشاط أهل العلم و الصنائع الذين يكفون المدينة حاجاتها، و أبرز الأمثلة على ذلك ما فعله الخليفة المهدي حيث كان يسكن هو و أهله بالمهدية، و أسكن العامة في زويلة، وكانت دكاكينهم وأموالهم بالمهدية، و بزويلة مساكنهم، و كانوا يدخلون بالنهار المهديّة للعمل والكسب، و يخرجون بالليل إلى أهاليهم فليل للمهدي: "إن رعيتك في هذا في عناء فقال: لكن أنا في راحة لأني بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم، و بالنهار أفرق بينهم و بين أهاليهم، فأمن غائلتهم بالليل، و النهار"⁴.

لقد ساهمت هذه الفئات في تطور المدينة الاسلامية فتقدمت الصناعات بأنواعها و ازدهرت التجارة، و ارتقت الخدمات ارتقاء واضحا في إطار النظم و القوانين التي تقوم على تنفيذها المؤسسات التي تسهر على نظام المدينة الاسلامية و رعاية شؤونها و توجيه تخطيطها، و حل

1- محمد بن حمو: مجلة القرطاس، المرجع السابق، ص71.

2- سعيدة مفتاح: المرجع السابق، ص40.

3- و قد أشار ابن الصغير إلى أن يعقوب بن أفلح أمر بأبواب المدينة فغلقت إلا بابا واحدا، ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق و تعليق محمد الناصر و ابراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986، ص97، و يقول سليمان الباروني: "فأمر يعقوب بأبواب المدينة فأغلقت و ترك واحد وقف عليه بنفسه مع من كان معه"، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، ط3، دار البعث، قسنطينة، 2002، ج2، ص360.

4- سعيدة مفتاح: المرجع السابق، ص41.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

مشاكلها، و منها السلطة الادارية ممثلة في الوالي و أعوانه و في السلطة القضائية و أجهزة الأمن والمراقبة كجهاز الشرطة والمحتسب.

و من خلال هذه الشروط الثمانية تتضح لنا الأسس و القوانين العامة التي كانت تحكم تخطيط المدينة الاسلامية، بطريقة تثبت أن التخطيط العمراني قام على معايير توافق قيم الدين الاسلامي و تخضع للأحكام الفقهية، و التي كانت تعنى بحاجات المجتمع المادية و الروحية، الفردية والجماعية، مستفيدة و آخذة مما صلح من الحضارات السابقة.

نستنتج من خلال ما سبق أن المدينة كما تعرفها المعاجم العربية و القواميس اللغوية مأخوذة من مدن بالمكان أي أقام به، كما أنها في التعريف الاصطلاحي الحديث، حقيقة مادية مرئية في المظهر، من حيث الكثافة السكانية، و الكتلة البنائية و البعد التاريخي، فالمدينة تاريخيا تعد وحدة تشكيلية قديمة خبرها المجتمع الانساني منذ زمن بعيد، و هي أعظم إنجاز حضاري حققه الانسان، وعليه ليست المدينة بخبرة جديدة من التفكير الانساني أنها جاءت كما يعتقد بعضهم نتيجة الثورة العلمية التي نبتت بذورها منذ أكثر من قرن فقط، بل هي خبرة قديمة عرفتتها حضارات الشرق القديم من سومرية و فرعونية، كما عرفتتها الحضارات اليونانية و الرومانية، و من ثم يمكننا القول أن العالم القديم كان عالم مدن و إن كانت كل مدينة تعد في حد ذاتها علما قائما بذاته.

و في العصور الوسطى و في ظل الحضارة العربية الاسلامية نشأت العديد من المدن كان لبعضها الطابع العسكري مثل البصرة و الكوفة و الموصل و الفسطاط و القيروان، و بعضها لها الطابع الاداري كواسط، و بعض منها لها الصفة السياسية كبغداد و القاهرة، و بعض آخر لها الطابع الديني كالنجف و كربلاء و تيهرت، فازدهرت هذه المدن في ظل الحضارة الاسلامية و صارت مضربا للأمثال في مظاهرها العمرانية و أنماطها الاجتماعية و معالمها الثقافية و الفنية، من ذلك ما وصلت إليه البصرة و الكوفة في عهد الأمويين و العباسيين و القاهرة في عهد الفاطميين، القيروان في عهد الأغالبة و تيهرت في عهد الرستميين، فالمدينة على حد تعبير "لابلاش" كالشجرة تربتها الجغرافيا وملؤها التاريخ.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

لقد أشار معظم المفكرين إلى أن الاجتماع الانساني ضرورة لا بد منها بسبب أن الانسان لا يمكنه أن يحصل على الغذاء بمفرده خاصة ذلك الغذاء الذي يتطلب الجهد الكبير للانتفاع به كالزراع، كما أنه بحاجة إلى اللباس و المسكن و العلاج و الدفاع عن نفسه، ضف إلى ذلك الغريزة البشرية وميله إلى الأنس، لذلك وجب عليه الاجتماع، ثم أن هذا الاجتماع إنما يكون في منطقة تصلح للسكن، لهذا حدد المفكرون شروطا و بينوا سلبية المناطق التي لم تختَر بعناية، كما وصفوا ضوابط وأسس الاستقرار والتعمير كتوفر الماء و اتساع الطرق و تعددها و وجود المسجد الجامع و مساجد الأحياء مع ضرورة وجود السوق وإحاطة المدينة بسور، و أن ينقل إليها أهل العلم و الصنائع الذين يساهمون في تطوير و ازدهار المدينة حضاريا.

الفصل الثاني: تأسيس القيروان و تيهرت و تاريخهما العمراني

المبحث الأول: تمصير و تعمير مدينة القيروان

أولاً- أصل التسمية و معانيها

القيروان لغة هي معظم العسكر و القافلة من الجماعة، و قيل أنه فارسي معرب أصله من كلمة كروان و هو بالفارسية القافلة¹، و هذا ما رجحه محمد حسن، رغم أن النطق المحلي له، و هو القروان تطابق مع معنى آخر و هو الظهر، و هو ما تناسب بدوره مع موضع المدينة الواقع في سهل فيضي على مرتفع صغير، على أن هذا النطق المحلي لا يغدو أن يكون تخفيفاً للاسم الوارد في كل المصادر المكتوبة بنفس الكيفية و هو القيروان، حيث عسكر عقبة بن نافع²، و عقبة كان قد استحضر التسمية و هي ليست جديدة، إذ يذكر بن عبد الحكم أن عبد الله بن سعد الذي قتل جرجير في 27هـ/ 647م، رجع إلى مصر و لم يول عليهم أحداً و لم يتخذ بها قيروانا³، كما استعمل بن عبد الحكم كلمة قيروان عند الحديث عن الفسطاط⁴، و كان معاوية بن خديج قد بنى قيروانا في القرن⁵، ثم رجع قافلاً إلى قمونية¹، و بنى بناحية القرن مساكن و سماها قيروانا، و يتضح من هذا أن

1- ابن منظور : لسان العرب، المصدر السابق، ج5، ص200.

2- محمد حسن: الجغرافية التاريخية لأفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجري (7- 15م)، فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، دار الكتاب الجديد المتحدة، تونس، د.ت، ص68.

3- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص183.

4- نفسه، ص- ص 132- 139.

5- القرن: هو عبارة عن جبل سمي كذلك لقول معاوية بن أبي سفيان: "ارحلوا بنا إلى ذلك القرن" و يقال إنه نزل جبلاً بأفريقية يقال له ممتور، فسمي ممتورا إلى اليوم، فعند ذلك قال معاوية اذهبوا بنا إلى ذلك القرن، الدباغ: معالم الإيمان، المصدر السابق،

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

فكرة الاستقرار كانت موجودة منذ 45هـ/ 665م، وأن الاختبار تحدد في اقليم قمونية، و لما جاء عقبة بدأ التنفيذ²، و قد ظهر من خبر للهمداني أن اسم موضع القيروان هو قمونية³.

و كثيرة هي المصادر التاريخية التي حدثتنا عن تسمية المدينة، و نذكر كمثال البلاذري عند حديثه عن تمصير الكوفة و البصرة⁴، و يعرفها الحموي كالتالي: "القيروان مقرب و هو بالفارسية كاروان و قد تكلمت به العرب قديما حيث أمروا القدس و غارة ذات قيروان... كان أسرا بها الركال... و القيروان مدينة مصرت في الاسلام في أيام معاوية⁵ و لم يكن القيروان علما بل اسم جنس يعبر به عن المعسكر"⁶، و قيل الجيش بنفسه⁷.

و قد اختلف في لغة العرب حول لفظ القيروان فقول هي موضع اجتماع الناس و الجيش واسم الجيش هذا قد أصبح بدون تردد و باتفاق كل القواد الذين شاركوا في تأسيس القيروان علما لعاصمة افريقية⁸، و الملاحظ أن هناك تقاربا بين كلمة "القيروان" و أسماء المواضع الأخرى التي ذكرت

ج1، ص43، المنجي الكعبي: موسوعة القيروان، المرجع السابق، ص12، البكري: المغرب في ذكر افريقية و المغرب، المصدر السابق، ص146.

1- قمونية: أو قونية و هي اسم بلد يمتد من ساحل المنستير إلى قمودة، و يمكن أن تكون منشأة بيزنطية أوروامية يطلق عليها هذا الاسم تمييزا عن غيرها، و تقوم كالمعسكر أو المستوطنة الدفاعية في عمق البلاد بمثابة الرباط عند المسلمين على ساحل البحر، و هي تعريب لكلمة كولونيا Colonia باللاتينية، و تمثل موضع "المنشية" بجهة قبلي بالجنوب التونسي و هي تسمية عربية لقمونية أو قونية لما استحدثه العرب من حصون على أبواب الصحراء للأغراض نفسها، المنجي الكعبي: موسوعة القيروان، المرجع نفسه، ص13.

2- لقد ترددت مرات و ارتبطت قمونية بازاء اسم القيروان، و من ذلك الرواية التي تقول: "أن معاوية لما غزا بنزرت رجع قافلا إلى قمونية، و بنى على القرن مساكن سماها قيروانا و موضع القيروان غير مسكون و لا معمور، المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ص45، وهذه الرواية فيها تطابق بين الموضع و الجهة و المعسكر و لا تعني أبدا قيروان عقبة التي لم تسكن بعد و لم تؤسس و لم يأتها بعد صاحبها، المنجي الكعبي: القيروان، المرجع السابق، ص12.

3- أبو بكر الهمداني: مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، 1885، ص83.

4- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص387-488.

5- ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج6، ص420-421.

6- محمد الطالبي: دراسات في تاريخ افريقية، السلسلة الرابعة، مجلد 20، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ص124.

7- مؤلف مجهول: تقديم الأقاليم في نشر المعارف و الصنائع و التعاليم، مخطوط دار الكتب الوطنية، تونس، رقم 265، ورقة 2.

8- الدباغ: المصدر السابق، م1، ج1، ص43.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

عند الحديث عن غزوات معاوية بن خديج و أبي المهاجر دينار، حيث نجد شبها واضحا بين القيروان و القرن و تاكروان و ذكور، و قد أضاف ابن عساكر تسمية أخرى بربرية و هي أبتكروان و إن كان يتعلق بالموقع الذي نزله أبو المهاجر و بنى عليه مدينة، إلا أن ابن عساكر يقدم شعر الأحد رجال الفتح و هو زائد بن الصلب الغساني لمده موسى بن نصير يرد فيه اسم القيروان¹.

و قد يكون من الأفضل اعتبار أن تسمية القيروان هي تسمية عربية لا علاقة لها باللغة البربرية²، ولكن إلى جانب ما قيل يمكن إضافة وجهة نظر أخرى تبدو أكثر وجاهة و هي أن المدينة لم تحمل لفترة طويلة اسم القيروان، فالبلاذري ينقل عن الواقدي ما يلي: "و قلت لموسى بن علي رأيت بناء افريقية المتصل المجتمع الذي نراه اليوم من بناه فقال: أول من بناها عقبة بن نافع الفهري اختطها ثم بنى و بنى الناس معه الدور و المساكن و بنى المسجد الجامع بها"³.

أما ابن عبد الحكم ففي حديثه عن غزوه معاوية بن خديج (34هـ) ذكر أن الرجل اتخذ قيروانا عند القرن⁴، فالواضح من الخبرين أن الاسم لم يلتصق بالقيروان إلا بعد فترة طويلة⁵.

و الأمر إذن يقودنا إلى معرفة سبب التسمية، فهذه الغزوات بما فيها غزوة عقبة بن نافع كانت ترمي إلى جمع الغنائم و الضرائب عند مواسم الحصاد في الصيف و في مواسم الزيتون و التمر في الشتاء فهي أشبه ما تكون بالمحلة الحفصية، فالمحلة تعود إلى فترات سابقة للحفصيين إذ نجدها عند الزيريين⁶، و قد أخذت هذه التسمية وجودها كما قلنا سابقا من الغزوات المتعددة التي كان يقوم بها العرب إلى افريقية ثم يعودون و قد اختاروا موضع القيروان ليكون محطة لهذه القافلة العسكرية "المحلة" التي كانت تنطلق من برقة و تعود إليها، و لم يتأكد الاسم إلا بعد مدة، في أواخر عصر الولاة وبداية

1- ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق، ج40، ص532.

2- أحمد الأسود: افريقية في عصر الولاة، دراسة سياسية اجتماعية و اقتصادية، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس، 2007-2008، ج1، ص332.

3- البلاذري : فتوح البلدان، المصدر السابق، ص230.

4- ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص220.

5- أحمد الأسود: افريقية في عصر الولاة، المرجع السابق، ص133.

6- ابن الخطيب: أعمال الإعلام، المصدر السابق، ص29-30.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الدولة الأغلبية على الأرجح، و عندما استقر العرب بالقيروان، أمر تؤكد "السكة" المضروبة في افريقية حيث لم يظهر اسم القيروان على النقود الافريقية إلا في بداية الفترة الفاطمية، و بحكم الموقع الوسطي لهذه المدينة من الأقاليم الاقتصادية الثلاثة المعروفة، و هي "الجريد" و "الساحل" و الشمال (البر و فضلية) إلى جانب نومديا و الزاب، فإنهم لم يكونوا في حاجة أكيدة لهذه القافلة العسكرية المتجولة، و لكن عندما أصبحت العاصمة في عهد الحفصيين "تونس" و هي مدينة طرفية فإن المحلة ظهرت من جديد، و قد ذكر بن خلدون اسم المحلة باللسان البربري "تاكررت"¹، و هي تسمية قريبة لما أطلقه البربر على مدينة المهاجر "ذكور"².

و قد عنون المنجي الكعبي موسوعته باسم "القيروان" و تحدث في فاتحتها عن روعة هذا الاسم ومدلوله يقوله: "سواء أكنت عربي اللسان أم غير عربي اللسان، فان اسم القيروان من سر الفصاحة و سحر الإيقاع ما لا تحطئه الأسماع أو تنكره الطباع، و له مع ذلك من رائع الإيحاء و غريب الاتفاق ما يجمعه ولفظ القرآن الكريم من جامع اللفظ، و ما يجمعه كذلك من جامع المعنى و المبنى بلغات الفاتحين، من عرب و عجم و بربر، ما لا يخفى عن الأفهام أو لا يستقيم معه البيان، فهو فارسي معرب و إن شئت بربري معرب بمعنى المعسكر و عظم الجيش، و هو الغرض الأصلي من تأسيس المدينة، مدينة القيروان، قاعدة الفتح في افريقية و المغرب... لقد قيل إن الأسماء هي الأرواح و روح القيروان هي روح دينية قبل كل شيء، فقد كان الإيمان وراء كل شأن من شؤونها، ابتداء من تقنية موقعها للبناء و تأسيس أول قبلة بها، وانتهاء بالدعاء لها بمغالبة الحدثان و الخلود مدى الزمان"³، وقيل محط أثقال الجيش و قيل هي الجيش نفسه، و المعنى متقارب⁴.

ثانيا- الموقع و الموضع

1- مراكز التعمير السابقة لمجيء العرب:

1- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص381.

2- المالكي: رياض النفوس، ج1، ص32.

3- محمد سعيد: الحياة العلمية و الثقافية بالقيروان خلال القرن الأول للهجرة 1988-1989، ص26.

4- منجي الكعبي: موسوعة القيروان: المرجع السابق، ص8.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

تقع القيروان في سهل فسيح¹ يحده غربا جبل وسلات² و شمالا منطقة سهلية (دون 100 متر) ومن الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي مجموعة من السبخ³ منها: سبخة الكلبية التي ينتهي إليها واد زرود و مرق الليل و سبخة سيدي الهاني و سبخة الشريطة و جنوبا سهل و مرتفعات (بين 100 و 200 متر) تعتبر امتدادا لجبال شراحيل (غرب و شمال قرية سيدي علي بن نصر الله)⁴. و هذا السهل (حوالي 60 مترا فوق سطح البحر) سمته المصادر قمونية، فقد قال المالكي (ت464هـ/ 1072م)، و كان في موضع القيروان حصن لطيف للروم يسمى قمونية⁵، و هو ما أكده أيضا محمد بن علي بن شباط التوزري بقوله: "و توفت في تلك الغزاة بقمونية بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب بموضع من القيروان يسمى اليوم مقبرة قريش"⁶، و ذكر صاحب معجم البلدان: "مدينة افريقية كانت موضع القيروان قبل أن تمصر القيروان"⁷، لكن البكري جعل من قمونية كورة توافق كورة كورة قمودة⁸، و أعطي أبو العرب لهذا الاقليم ساحلا و هو "ساحل قمونية"⁹.

- 1- و نلاحظ هنا التشابه مع البصرة التي بنيت في أرض مستوية مكشوفة متصلة بالصحراء، أحمد صالح: العلي خطط البصرة، بغداد، 1986، ص58.
- 2- سلسلة جبلية تابعة لسلسلة الظهرية التونسية، محفوظ الغديقي: مدينة القيروان و ناحيتها إلى نهاية القرن المحجري، دراسة في العمران و المجتمع، رسالة دكتوراه، جامعة تونس الأولى قسم التاريخ، 2001-2002، ص14.
- 3- السبخ جمع سبخة و هي الأرض المالحة لا تكاد تنبت إلى بعض الشجر، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، مادة سبخ، م3، ص24.
- 4- محفوظ الغديقي: مدينة القيروان، المرجع السابق، ص14.
- 5- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج1، ص32.
- 6- ابن شباط: شرح الشقراطية، مخطوط دار الكتب الوطنية تونس رقم 18590، الجزء 2، ورقة 97، وصلة السمط و سمط سمط المرط، مخطوط دار الكتب الوطنية، 15606، ورقة 101أ.
- 7- ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ص399.
- 8- من مدينة قفصة مرحلتان إلى الهروية و هي آخر قرى كورة قمونية، إلى مدينة مذكورة و هي أم أقاليم بلد قمونية بما جامع وحمامات و أسواق، و حولها ثمار كثيرة، و من مدينة مذكور إلى جمونس الصابون قرية كبيرة أهلة، و لها قرى كئيسة عامرة مفيدة، إلى قرية مجدول أهلة كبيرة، البكري: المسالك و الممالك، المصدر السابق، ج2، ص743-744.
- 9- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص45، لكن قمونية تختلف عن قمودة التي ذكرها يعقوبي: "و من القيروان مما يلي يلي القبلة إلى بلاد قمودة و هو بلد واسع فيه مدن و حصون و المدينة التي ينزلها العامل في هذا الوقت مذكور"، يعقوبي: كتاب البلدان، المصدر السابق، ص349، و يتفق ابن حوقل مع يعقوبي في التسمية و الشساعة و هي قفصة تصاقب من جهة اقليم قمودة قاصرة و مدينة مذكور.. و هي مدينتان قريبة الأحوال، ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص92.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

قمونية هي إذن اسم موضع القيروان قبل تمصيرها أو اسم سهل القيروان في العهد البيزنطي، وكانت أوسع في العهد الروماني خاصة أنها كانت من أملاك الامبراطور و هو ما جعل أحد المؤرخين يعتبرها إقليما شاسعا أو مقاطعة كبيرة و فيها حصون و قرى¹، فهل كانت قمونية إحدى هذه المدن أو القرى الكبيرة، وهو ما يقابل ما ذكره المالكي "حصن لطيف للروم يسمى قمونية"²، و يؤيد جون جون ديبوا فكرة الاقليم: "المزاق³ Byzacène الغنية كانت تثير شهية جيرانها الرحل من الجنوب وسكان الجبال الغربية و خاصة من طرف قبائل "لواتة"، و بقيت غنية رغم الضرائب الثقيلة والأوبئة، و في الفترات الحرجة يحتمي المزارعون بالحصون و القلاع، و هذا ما تؤكد الصعوبات التي كان يلاقيها الملاكون الكبار و ضيعات الكنيسة في إيجاد يد عاملة زراعية⁴، و أكدت دراسة حديثة أن قمونية إقليم جغرافي يناسب حوض واد مرق الليل، يحده شرقا القيروان و غربا دوار بيوض⁵، و إذا كان هذا التحديد الجغرافي يناسب العهدين الروماني والبيزنطي، فإننا نرجح أن تكون المصادر العربية تقصد بقمونية قرية أو حصن في موقع القيروان الحالي و أن سهل القيروان (المزاق في المصادر العربية) هو مجال هذه القرية أو المدينة الزراعي و لا نوافق من ذهب إلى أن قمونية تمتد إلى مرتفعات جبل

1- يقول حسين مؤنس: "قمونية إذن هي قلب افريقية البيزنطية، و كانت غاصة بالحصون و المدائن و المزارع و الطرق و ما إليها إليها من معالم العمران"، حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص141، و هو ما يتفق فيه مع شارل ديل: "في كل خطوة تعترضنا آثار مدن، صغيرة أو كبيرة و قرى كبيرة و مستغلات زراعية شاسعة كثيرة، و هو ما يقدم لنا الدليل أن أغلب هذه النقاط ظلت مسكونة حتى منتصف القرن السابع للميلاد، و ذلك رغم الحرب و الأضرار التي قامت بها القبائل الرحل: DIEHL, Charles, L'afrique Byzantine, paris 1896, p529.

2- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج1، ص32.

3- المزاق: أوكورة المزاق أي منطقة بترسان و في المصادر العربية هو يمثل سهل القيروان، محفوظ الغديفي: مدينة القيروان وناحياتها، المرجع السابق، ص- ص 14- 15، محمد سعيد: الحياة العلمية، المرجع السابق، ص27.

4- DESPOIS, La tunisie orientale, op.cit, p127.

5- M'charek Ahmed, De Zama à Kairouan : La thusca et la Gamonia, in frontières et limites graphiques de l'afrique du Nord Antiquir, pub. De la sorbonne, paris 1999,p 164- 165.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

بربرو حيث منابع وادي مرق الليل غرباً¹، و ينحصر سهل القيروان بين جبل وسلات غرباً و جبل شراويل و قرية سيدي عمر بوحجلة جنوباً و سبختي الكلبية و سيدي الهاني شرقاً و قرية السبخة شمالاً².

و من أهم مراكز التعمير قبل مجيء العرب نذكر:

* **قمونية:** موضع القيروان، ذكره المالكي: "و كان في موضع القيروان حصن لطيف للروم يسمى قمونية، وكان فيه كنيسة و فيها الساريتان الحمراء اللتان هما اليوم في المسجد الجامع"³، و ذكر هذا الموقع أيضاً ابن الشباط في صلة السمط قمونية اسم موضع القيروان⁴، و المؤلفان يعتمدان على مصادر سابقة و أساساً الرقيق القيرواني، و قد أورد البكري نفس الرواية حول الكنيسة مع ذكر لموضعها بدقة: " في الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب"⁵ ن و معلوم أن البكري ينقل عن الوراق الذي ولد في القيروان سنة 292هـ/ 904م، و توفي سنة 363هـ/ 974م.

و تؤكد الدراسات الأثرية⁶ ما ذكرته المصادر العربية حول وجود تعمير سابق و عدد من السكان استدعى وجودهم بناء كنيسة.

* **قصر الماء:** ذكره ابن عبد الحكم مرتين عندما عزل عقبة من طرف أبي المهاجر: "فخرج عقبة حتى أتى قصر الماء فصلى" ثم عند الحديث عن عودة موسى من فتح الأندلس " و نزل قصر الماء و ضحى

1- الباهي أحمد: مفهوم قمونية في المصادر العربية، الكراسات التونسية، عدد 178، الثالثة الثالثة 1997، ص21.

2- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص16.

3- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج1، ص32.

4- ابن الشباط: صلة السمط، المصدر السابق، ج4، ورقة 121 و 125.

5- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص673.

6- يذهب أحمد مشارك إلى وجود موقعين قديمين في المكان الذي بنيت عليه القيروان، قرية لفلاحين من سكان البلاد الأصليين الأصليين تسمى يوبلتيانة Iyaltiana، و قصر روماني يسمى قيسارية Caesarea،

De Zama à Kairouan, op.cit, p169.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

هناك¹، ولا نعتقد أن هذا القصر قد تم بناؤه من طرف عقبة أو بعده لأن المصادر لم تذكر ذلك².
* **موضع رقادة:** في سهل خصب في الجنوب الغربي للقيروان، اكتشف فريق من الباحثين على بعد كيلومتر من قصر البحر مقبرة رومانية تحتوي على 78 قبرا و خزف أحمر يعود إلى ما بين القرن الأول و بداية القرن الرابع للميلاد و أكثر من 500 مصباح³.

* **موضع الأصنام:** موضع في جوف القيروان على ثلاثة أميال، ذكرته المصادر عند الحديث عن معركة سنة 124هـ / 742م⁴ و ذكر التجاني الأصنام في مصب وادي زرود مستشهدا ببيت من الشعر قيل في نسب وشاح بن عامر: صنعت صنيعا ضاع في نجل عامر... كما ضاع في الأصنام واد زرود⁵ و وادي زرود في قبلة القيروان بينها و بينه أميال يسيرة، فإذا انتهى إلى الأصنام انتشر في سبخة هناك متسعة ضاع مأؤه، فلم ينتفع به أحد⁶.

* **الشريشرة:** توجد بقايا قناة رومانية في واد الموتى (ملتقى واد الجريويلة بواد الشريشرة)، و كانت تنقل الماء من بئر الأدين إلى إحدى القرى في سهل القيروان⁷.

* **ذراع التمار:** هضبة خصبة على بعد حوالي 4 كيلومتر شمال القيروان¹ و نرجح وجود تعمير سابق

1- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص- ص 197- 211.

2- ضبط سولينيكا موقع القيروان على بعد 3.5 كلم من باب الجلادين، Solignac, op.cit, p21، و ذكرت المصادر قصر الماء في بداية القرن 2هـ / 8م، و سنة 124هـ / 741م، و سنة 127هـ / 744م، أبو العرب: المصدر السابق، ص85، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص- ص 85- 87، و يرى فوزي محفوظ أن موضع قصر الماء هو نفسه موضع العباسية و أن =القصر القديم قد ترجع إلى قصر الماء و ليس إلى قصر ابراهيم بن الأغلب: "قصر الماء، العباسية، القصر القديم تعددت الأسماء و الموضع واحد، افريقية"، العدد 19، سنة 2002، ص24.

3- Mahjoubi Ammar, SALOMONSON, J.W, ENNABLI, Abdelmajid,La Mécropole romaine de raggada, I.N.A.A, Tunis 1970, p- p 7- 85.

4- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص222، تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص82، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج4، ص223.

5- التجاني: الرحلة، الدار العربية للكتاب، تونس 1981، ص118.

6- حسن محمد: الجغرافيا التاريخية لافريقية، دار الكتاب الجديد، بيروت 2003، ص113، برانشفيك روبر: تاريخ افريقية في في العهد الحفصي، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1988، ج2، ص239.

7- Solignac, Recherches, op.cit, p- p 134- 181.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

عن الوجود العربي لأن المالكي ذكر "ذكرور" و قال عنها "مدينة البربر بالقرب من موضع القيروان"².
و نعتقد أن المنطقة المحيطة بمدينة القيروان كانت تحتوي على مواقع أثرية أخرى غير هذه المذكورة، فقد تم بناء القيروان من بادئ أمرها بناء متينا أعيد فيه استخدام المواد المحصلة من بقايا المباني القديمة، وهي متوفرة بكثرة في ذلك الموقع³.

2- أهمية الموقع و أسباب اختياره:

هل أحسن عقبة بن نافع اختيار موقع القيروان؟ يجيب حسين مؤنس بأن اختيار المكان كان موفقا⁴، و هو يخالف رأي ابن خلدون الذي يرى أن الخراب والانحطاط مصير كل مدينة مصرها العرب، يقول صاحب المقدمة: "و السبب قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه في المكان وطيب الهواء و المياه و المزارع و المراعي، و انظر لما اختطوا الكوفة والبصرة و القيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها إلا مراعي إبلهم و ما يقارب من القفر و مسالك الظغن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن و لم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم"⁵، و يمكن تفسير هذا الرأي بالتطورات الحاصلة في الغطاء النباتي و الوسط الطبيعي لناحية القيروان في القرن الثامن الهجري.

ibid, p22.

-1

-2 المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج1، ص32.

-3 محمد الطالبي: القيروان، المرجع السابق، ص151.

-4 كان تنظيم الفتح يستدعي إقامة مدينة في هذا الموضع المتوسط بين الساحل و الهضبة القريب من السفوح الصالحة للمرعى، و كان اختيار الموقع موفقا بل بلغ من التوفيق في اختياره أن ولاية المغرب و من خلفهم من الحكام المستقلين أقاموا بها زمانا طويلا، و لم ينتقلوا عنها إلا حينما اضطرتهم ظروف سياسية جديدة إلى ذلك، كما كان موقعها الحربي معروفا ملحوظ الأهمية، إذ كان الحاكم يستطيع أن يرى العدو من بعيد و يتحرز من الغارات المفاجئة الكثيرة الحدوث عند البربر، و يستطيع بعد بضع ساعات الوصول إلى أعالي الهضاب، عن طريق وادي زرود و واد مرق الليل و مسالك جبل برقوم، و كان فرسانه الخفاف قادرين على أن يقوموا بهذا النوع من أعمال الاستطلاع و بالغارات السريعة و الحراسة الدائمة، حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص- ص 143-144.

-5 ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص448.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و الثابت أن مدينة القيروان بنيت في سهل رسوبي خصب¹، و تعرف المنطقة تساقطات غير منتظمة تتراوح بين 250 و 300 ميلمتر في السنة و هي أمطار عنيفة تسقط في أيام قليلة وتتسبب في فيضانات مدمرة ذكرتها المصادر و تشهدها المنطقة دورياً².

إذن كان اختيار موقع القيروان مرتبطاً بظروف الانتشار العربي و هي من المدن المستحدثة (الأمصار) أي نتيجة عمل إرادي اختياري لشخص اختار موقعها و سطر حدودها و ارتأى شكلها المستقبلي، فهل كان الاختيار لعقبة فقط أم هناك من ساعده في ذلك؟ و هل كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان بعيداً عن قرار تمصير القيروان؟ يبدو أن معاوية كان يعطي لولاته و قواده حرية التصرف.

لقد كانت المنطقة قليلة العمران فيما يبدو، فهل كانت ملكية عمومية هجرها مستغلوها نحو المدن الساحلية: سوسة (Hadrumatum) و غيرها أو أنها مهجورة نتيجة النهب الذي تعرضت له، فأقفرت من أهلها بعد خروج القبائل البربرية الكبيرة في المزاق وجهة طرابلس في السنوات الأخيرة من الحكم البيزنطي عن حكم قرطاج، و قد زاد هلاك جرجير و سقوط عاصمته سبيطلة في الفوضى و الحزازات المزمنة؟

و منطقة القيروان ليست بعيدة عن خط الدفاع الثاني الذي يستند لسلسلة جبال الظهرية التونسية³، و كان يتكون من قلاع و حصون في سيبية و ممس و جولاء⁴، و يتجلى فراغ المنطقة من السكان حسب أحد الباحثين في تناقص عدد الأسقفيات⁵.

و مهما يكن من أمر، فإن منطقة القيروان على طريق القوافل و هي الممر الجيد للوصول إلى افريقيا القديمة¹، و قد احتوت على مجموعة من الآثار و المستغلات الفلاحية قبل مجيء المسلمين².

1- تراكم الرواسب التي تجلبها أودية زرود و مرقف الليل و نهبانة.

2- Despois : la tunisie orientale, op.cit, p131, SETHOM Hafedh et KASSAB, Ahmed, Geographie de la tunisie, le pays et les hommes tunis, 1980.

3- Diehl, L'afrique byzantine, op.cit, p282. -3

ibid, p 280- 281. -4

Despois : op.cit, p127. -5

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و هذه المنطقة التي ذكرنا سابقا أنها سهل فيضي تحيط بها غابة زيتون و مجال رعوي و هي بعيدة عن البحر تحاشيا لهجوم بيزنطي مفاجئ و هي على اتصال بالفسطاط (قاعدة الارتكان) وأيضا بعيدة عن المدن القديمة التي كان العرب يخافون الذوبان و الانصهار فيها.

و لا يستبعد أن يكون عقبة قد شارك مع أبيه في فتح مصر³، كما أرسله عمرو بن العاص لفتح الواحات و أقام في طرابلس و برقة و فزان و بلاد كوار، و كان من القادة العرب المطلعين على شؤون البلاد، و لا شك أنه كان يتابع تحركات الأسطول البيزنطي في المتوسط و يعرف سيطرة البيزنطيين على هذا البحر ثم إنه اتعظ من الحملات السابقة و أدرك الصعوبات التي واجهتها في فتح افريقية و قد يكون الخليفة معاوية بن أبي سفيان أو واليه على مصر مسلمة بن مخلد أمده ببعض التوصيات لذلك كله دخل عقبة بن نافع افريقية بمشروع طموح: إنهاء مرحلة المد و الجزر التي ميزت حملات الفتح السابقة و التي طالت أكثر من اللازم (حوالي ربع قرن 27-50هـ/ 647-670م) و التأسيس لمرحلة جديدة: إدخال افريقية في الدولة الإسلامية و تركيز حامية بها تضع حدا لنقض البربر لعهودهم كلما عاد جيش الفتح إلى الفسطاط أو المشرق "فجمع إليه من أسلم من البربر وضمهم إلى الجيش الوارد من معاوية (عشرة آلاف) و سار إلى افريقية، و نازل مدنها فافتتحها عنوة و وضع السيف في أهلها و أسلم على يديه خلق من البربر"⁴.

و مما يؤكد استعمال عقبة للبربر ما ذكرته المصادر من إقامته الطويلة ببرقة و زويلة منذ فتحها أيام عمرو بن العاص، و له في تلك البلاد جهاد و فتوح، فلما استعمله معاوية انضاف إليه من أسلم من البربر فكثر جمعه و وضع السيف في أهل البلاد⁵، و يضيف بن عبد الحكم: "أن عقبة جانب الطريق الأعظم ثم سار إلى قفصة فافتتحها و افتتح قسطنطينية"⁶، و نفهم من إشارات بن عبد الحكم

1- محمد الطالبي: تأسيس القيروان، المرجع السابق، ص87.

2- Carte Topographique de la tunisie 1/50.000 Kairouan.

3- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص93.

4- ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص420.

5- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج3، ص230.

6- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص196.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

أن عقبة أعاد تمهيد المناطق المفتوحة سابقا و التي قد تكون نقضت عهد الصلح، و يذكر صاحب معالم الإيمان أن عقبة قتل من بها (افريقية) من الروم و أصناف البربر و الأفارقة و قال لأصحابه: "إن افريقية إذا دخلها أمير تحرم أهلها بالإسلام، فإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر، و إني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكرا و قيروانا، تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"¹، و يؤكد قول بن ناجي ما ذهبنا إليه من وجود تصور في ذهن عقبة بن نافع و ربما أيضا الخليفة معاوية بن أبي سفيان لمستقبل افريقية لذلك بدأ في انجاز ما قرر و قد وصل، بجيشه إلى ناحية القيروان، و هي في طرف البر و هيب أجمة عظيمة و غيضة²، و المقصود بطرف البر أقصى المناطق العامرة في بلاد الساحل (Byzacène) و المطلوب من جيش الفتح تجاوز المزاك و السيطرة على افريقيا القديمة (Africa vetus) و التصدي للمناطق الجبلية (الظهرية و بلاد نوميديا) التي أصبحت بعد هزيمة البيزنطيين سنة 27هـ/ 647م محورا للمقاومة، و لو يكن عقبة أول من فكر في الاستقرار في هذه الناحية، لقد مر بها عبد الله بن سعد و وصلها معاوية بن حديج³، و قد اتخذها معسكرا في غزوته الثالثة الهامة (45هـ/ 665م) و التي انتصر فيها على الجيش البيزنطي بسوسة بواسطة عبد الله بن الزبير كما اقتحم فيها حصن جلولاء الذي يبدو أنه آخر المعامل الحصينة لبيزنطيين افريقية في المزاك و بسببه اتخذ "قيروانا" حول القرن لكن هذا المكان لم يعجب عقبة فركب و الناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم، وكان واديا كثير الشجر كثير القطف تأوي إليه الوحوش و السباع و الهوام⁴، و كان قد اتفق مع الناس والأغلب أن يكونوا من صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يكون أهلها مرابطين⁵.

مرابطين⁵.

1- ابن ناجي: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المكتبة العتيقة، تونس، 1993، الطبعة الثانية، ج1، ص7.

2- ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ص420.

3- ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص- ص 14- 17، محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص19.

4- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص196.

5- و يواصل ابن عذارى النقاش الذي دار بين عقبة و أصحابه حول الموقع: "و قالوا: نقرب من البحر لئتم لنا الجهاد و الرباط، الرباط، فقال عقبة إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة، فيملكها، و لكن اجعلوا بينها و بين البحر ما لا يدركها صاحب البحر، إلا و قد علم به، و إذا كان بينها و بين البحر مالا يوجب فيه التقصير للصلاة، فهم مرابطون، فلما اتفق رأيهم

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

إذن لقد جعلت هذه المدينة لحماية طريق مصر و هي التي يجب أن تبقى مفتوحة للمدد وصالحة للانسحاب.

و مهما يكن من أمر فإن الموضوع الذي اختير لبناء القيروان لم يقع اختياره اعتباطيا و أن عملية الاختطاط و البناء لم تكن عفوية، بل أن الظرف الزماني كان ملائما لانتصاب القيروان في ذلك الموضوع النهائي، حيث أن منطقة "بيزسان" أو كورة مزاق قد هانت للعرب بعد معركة سبيطلة التي فتحت المجال بسيطرة العرب على الجزء الجنوبي للبلاد التونسية بعد أن انسحب الروم و انكمشوا وراء خط دفاعهم الثاني الذي يفصل بينها و بين كورة افريقية القديمة¹، و حسب تقدير الأستاذ الطالبي نتبين العلاقة بين موضع القيروان و المسالك التي اتخذها العرب في سيرتهم إذ أن المسالك التي تتجنب الجبال و السواحل كلها تمر حتما بموضع مدينة القيروان اليوم² و إلى جانب كون الموضوع يمثل ملتقى للطرق القادمة من المشرق ويشرف على جزء هام من البلاد يبرز اختياره دراية استراتيجية متجسدة في القادة العرب الذي رأوا أن أحسن مكان ينشؤون به قاعدة الانطلاق، هي منطقة القيروان...³

و تشير المصادر أن مؤسس القيروان حاول أن يراعي جملة من القواعد المعروفة يومئذ خلال تأسيسه للمدينة، من ذلك مواصلة سنة الاختطاط أي بناء مدن الهجرة كالكوفة و البصرة والفسطاط... و مراعاة النواحي الأمنية من خلال توسطها بين الجبال و السواحل و تقريبيهما من السبخة من جهة ثانية، فهذا بن عبد الحكم يوضح ذلك متكلمًا على لسان عقبة فيقول: "أني أرى أكثر دوابكم الابل و هي ابلنا على باب قصرنا في مراعيها آمنة من عادية البربر و النصارى"⁴.

على ذلك قال: قربوها من السبخة فإن دوابكم الإبل، و هي التي تحمل أثقالكم فإذا فرغنا منها لم يكن لنا بد من الغزو و الجهاد، حتى يفتح الله لنا منها الأول فالأول، وتكون إبلنا على باب قصرنا في مراعيها، آمنة من عادية البربر و النصارى، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص 19-20.

1- محمد الطالبي : المرجع السابق، ص114.

2- نفسه، ص نفسها.

3- نفسه، ص12.

4- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص20.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و يجدر بنا أن نلاحظ أن القيروان قد تأسست في ظرف كان فيه جزء هام من افريقية غير خاضع للسيطرة العربية، و بذلك تكون المدينة تهديدا مباشرا للقبائل البربرية أكثر منها إلى القوات البيزنطية كما تجسد هذه المدينة إرادة جديدة و قطيعة مع الماضي¹ بالنسبة إلى افريقية...

و انطلاقا من هذا المستوى ستأخذ المنطقة طريقها نحو الأسلمة و التعريب أي الاخضاع العسكري والسياسي و الاداري الايديولوجي الشيء الذي لم يتم بالسهولة المتوقعة، و لنا أن نتساءل إلى أي مدى استجابة مدينة القيروان إلى الأهداف التي يرمي إليها العرب من خلال تشييدها في تلك الظروف و في ذلك الموضع، و يمكن تلخيص الأهداف في النقاط التالية:

* ضمان عملية الفتح و الإلحاق و الاخضاع انطلاقا من القيروان حيث ستصبح القيروان مركز الانطلاق للحملات نحو الغرب.

* تدعيم النفوذ السياسي و الاداري العربي من خلال جعل القيروان عاصمة للإقليم المفتوح.

كل هذه الأهداف ستتأكد رغم الأزمات التي ستشهدتها القيروان.

فكيف تم تأسيس القيروان؟ و ما هي الخطط التي وضعت عند التأسيس؟

ثالثا- تأسيس مدينة القيروان و تمصيرها

لقد تغيرت الاستراتيجية العربية تجاه افريقية إذ لا مجال للكر و الفر و لا مجال للاكتفاء بالغنائم والأسلاب بل أن النية بدأت تتجه نحو الاستقرار من خلال تشييد مدينة جديدة تكون نقطة ارتكاز ومركزا متقدما يوفر امكانية التراجع و الاستراحة بالنسبة إلى المقاتلة و مخزنا للأسلحة و مقرا للطعن و المؤن و العدة و العتاد، أي بعبارة أخرى مركزا عسكريا يوفر عدة حاجيات "لوجيستكية" ظرفية مرتبطة بتوغل الجيش ويوفر حاجيات إدارية و سياسية و يضمن السيطرة العربية على المنطقة عسكريا و إداريا و سياسيا.

و قد برزت هذه النية في فترة ولاية عقبة بن نافع مؤسس القيروان و أول قائد عربي يتوغل باتجاه الغرب حتى المحيط الأطلسي، و فيما يخص تحديد تاريخ تأسيس المدينة نورد هذه المقطعات

1- هشام جعيط : المرجع السابق، ص18.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

من المصادر التي تتحدث عن تأسيس القيروان أن المؤرخ ابن الأثير نبأ تولية عقبة على إفريقية وتأسيسه لمدينة القيروان ضمن حوادث سنة 50 هجرية¹ وكذلك بن عذارى²، أما المالكي فيجعل ذلك سنة 57هـ³، و أما بن عبد الحكم فيذكر أن الحدث قد وقع في سنة 46هـ⁴ و هو نفس التاريخ الذي أورده الدباغ في كتاب معالم الإيمان⁵ بالنسبة إلى المعاصرين: فإن الأستاذ هشام جعيط يجدد تأسيس المدينة سنة 50هـ⁶ وكذلك حبيب الجنحاني⁷.

و رغم ما يبدو من اختلاف للمصادر القديمة فإن بن الأثير يؤكد أن أهل التاريخ من المغاربة و هم ببلادهم، و يذكر ما أثبتوه في كتبهم و أن ولاية عقبة كانت سنة 50هـ/ 670م⁸.
و تجدر الإشارة إلى أنه مع ولاية عقبة بن نافع بدأت ولاية إفريقية تدخل ضمن اهتمامات القيادة الأموية في دمشق رغم أن هذه الولاية ظلت تابعة سياسيا و إداريا لحكام الفسطاط بمصر⁹.
لقد اختار عقبة موضع القيروان لأسباب استراتيجية و طبيعية و كان تمصيره لهذه المدينة لا يخلو من مغزى سياسي أصبح من تقاليد قواد الجيوش العربية بعد فتوحاتهم تأسيس مدينة إسلامية خاصة بعناصر الجيش الفاتح و أبنائهم و أحفادهم على غرار الكوفة و البصرة و الفسطاط، و قد ذكر عقبة بمفخرته هذه أمام معاوية بن أبي سفيان بعد عزله سنة 55هـ/ 675م: "فتحت البلاد و بنيت المنازل و مسجد الجماعة و دانت لي، ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلي"¹⁰.

1- ابن الأثير : الكامل، المصدر السابق، ج3، ص465.

2- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص19، و يذكر مؤلف مجهول: "أن عقبة بن نافع بدأ بناء القيروان في زمن معاوية بن أبي سفيان سنة 50هـ و فرغ من بنائها في سنة 55هـ، مؤلف مجهول: المصدر السابق، ورقة 2.

3- المالكي: المصدر السابق، ج1، ص32.

4- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص50.

5- الدباغ: المصدر السابق، ج1، ص47.

6- هشام جعيط: المرجع السابق، ص17.

7- حبيب الجنحاني: القيروان عبر عصور الازدهار، الدار التونسية للنشر 1968، ص55.

8- ابن الأثير: المصدر السابق، ص465.

9- هشام جعيط: المرجع السابق، ص17.

10- ابن عبد الحكم : فتوح مصر، المصدر السابق، ص197.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و مرت عملية التمصير بالمراحل التالية: التنقية و الاختطاط، إذ بعد اتفاق عقبة و أصحابه على المكان أمر بقطع شجره و حرقه، و اختط في ذلك الموضع¹، و مثل العديد من المدن أحيط تأسيس القيروان بأسطورة عقبة المستجاب الذي نادى السباع و الوحوش بالارتحال مدة ثلاثة أيام²، و نتساءل هل تكفي الأيام الثلاثة لوضع الخطط و المناهج و التحضير لبناء المصير الجديد؟ قد تكون كافية للتنقية و وضع الخطط و المناهج و التحضير لبناء المصير الجديد³، و المرجح أن الأيام الثلاثة كافية لاختطاط المؤسستين اللازمتين لكل مصر اسلامي المسجد الجامع و دار الإمارة⁴.

و قد رأينا عند الحديث عن الموقع أن عقبة لم يعجب بالقيروان الذي كان معاوية بن حديج بناه⁵، و ذلك لأن له فكرة تأسيس مصر جديد يكون بعيدا عن مباحثات البحر، و مركزا لانطلاق الجنود⁶، وهذه الفكرة مصاحبة لعقبة داخلية في مشروعه (غزو افريقية) فما هو مفهوم المصير عند عقبة؟

-
- 1- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، بين المغرب، القاهرة 1949، ج3، ص1106.
 - 2- نادى بأعلى صوته يا أهل الوادي ارتحلوا رحمكم الله فانا نازلون نادى بذلك ثلاثة أيام فلم يبق من السباع شيء و لا الوحوش والهوام إلا خرج و أورد نفس الرواية المالكي لكن بكلمات مختلفة، المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج1، ص32، ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص196، و أضاف ابن عذارى إلى نفس الرواية تفاصيل مثيرة لتأكيد استحابة الحيات و الوحوش لكلام عقبة ومرافقيه من صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص20، و فسر بن الأثير سبب دخول البربر للدين الاسلامي بهذه الأسطورة: "فراه قبيل من البربر فأسلموا"، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج3، ص230، والثابت أن هذه السباع و الوحوش و الحيات هربت من جلبة الجيش العظيم وقعقة السلاح و بداية قطع الأشجار و الحرق.
 - 3- يقول أحد الدارسين: "إن تأسيس العاصمة الجديدة اكتسى صبغة رسمية، و دار في احتفال عظيم"، محمد الطالبي: تأسيس القيروان وتمصيرها، المرجع السابق، ص 88-89.
 - 4- نفسه، ص89.
 - 5- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص196.
 - 6- محمد الطالبي: تأسيس القيروان، المرجع السابق، ص88.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

كان عقبة يعرف أهمية إقامة مدينة القيروان إذ كان يرى أن يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين و أهلهم و أموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد¹، و قد يكون عقبة بحث هذه المسألة مع مرافقيه من الصحابة و القواد و لاشك أنه أعلم الخليفة معاوية بن أبي سفيان (40-60هـ/ 660-681م) بمشروعه و طموحاته في إرساء الإسلام في بلاد وجد القادة السابقين له صعوبة في تمهيدها، و لا بد أنه فكر في الأموال التي ستصرف في البناء و التهيئة التي نرجح أنها كانت من أموال الفتح إذ فتح عقبة مغمداً و ودان و جرمة و قصور فزان و كوار و قصر خاوار و أرض مزاتة و غدامس و قفصة وقسطيلية²، و عموماً فإن عقبة لا يختلف عن قادة الإسلام الأوائل مؤسسي المدن سعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص الذي يرجع إليه كثير من الفضل في ظهوره على مسرح التاريخ³، فما هو مفهوم المصر لدى الفاتحين الأوائل؟

المصر: الحاجز و الحد بين الشيئين، و قال الليث (بن سعد)، المصر في كلام العرب كل كورة تقام فيها الحدود و يقسم فيها الفياء و الصدقات من غير مؤامرة للخليفة الجوهري فلان مصر الأمصار كما يقال مدن المدن، و المصران الكوفة و البصرة⁴.

و هذا التعريف ينطبق على مدينة القيروان فهي مدينة مستحدثة في طرف البر⁵، ارتبطت بالسلطة السياسية و بطروف الفتح و هي من هذه الناحية لا تختلف عن البصرة سنة 16هـ/ 637م و الكوفة سنة 17هـ/ 638م⁶ و الفسطاط.

و نلاحظ أن ظاهرة التمصير لم تختص بها القيروان بل هي ظاهرة عامة تزامنت مع الفتوحات الإسلامية و الهجرات التي تلتها أو التي صاحبته، فكيف تم تصميم و تخطيط مدينة القيروان؟

رابعاً- تصميم و تخطيط المدينة

- 1- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج3، ص230.
- 2- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص- ص 194- 196.
- 3- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ص209.
- 4- ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ص 492- 493.
- 5- ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص420.
- 6- الطبري: تاريخ الرسل، المصدر السابق، ج3، ص590، ج4، ص42.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا هو إلى أي مدى ينطبق مفهوم مصطلح المدينة في المنظومة الحضارية الإسلامية على القيروان هذه المدينة "المصر" التي أصبحت تتمتع بكل مقومات المدن الإسلامية من مسجد و دار إمارة و خطط¹..و يعد المسجد إلى جانب دار الإمارة ضرورة حيوية لوجود المدينة الإسلامية لما يكتسبه من صبغة دينية و ثقافية بالنسبة إلى المسجد و من طبيعة سياسية و إدارية بالنسبة دار الإمارة و لم تشذ القيروان عن القاعدة العامة لتأسيس المدن و تطورها، إلى جانب البعد المقدس التي اختصت به القيروان، حسب ما تشير إلى ذلك المصادر، نظرا لكونهما أول مدينة إسلامية في شمال أفريقيا..و قبل تأسيس القيروان لم يكن بأفريقية قيروان و لا مصر جامع² ويعود الفضل إلى عقبة بن نافع مؤسس ومخطط المدينة وإليه يعود الفضل في إضفاء الصبغة القدسية على مدينة من خلال الدعاء لها لما يروي الرقيق القيرواني: "ركب في وجوه العساكر و التابعين والعتاد فدار بهم حول مدينة و أعمارها بالمطيعين العابدين"³، و يذكرنا تصرف عقبة بما كان يفعله مؤسسو المستعمرات اليونانية "oikistès" الذي يقود جماعة من المهاجرين باتجاه موضع ملائم لتأسيس مدينة مستعمرة تحت اشراف إحدى المدن اليونانية..و كان عقبة هو الذي غزا أفريقية و اختط القيروان.

على حد رواية البلاذري: "و كان أول من بناها عقبة بن نافع الفهري، اختطها ثم بنى و بنى الناس معه الدور و المساكن و بنى المساجد الجامع بها"⁴، و هذا عقبة بن نافع يخاطب معاوية معاتبا،

1- الاختطاط : الخط و الخطة: الأرض تنزل من غير أن ينزلها نازل قبل ذلك و قد خطها لنفسه خطا و اختطها، و هو أن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها ليينيها دارا، و منه خطط الكوفة و البصرة، و الخطة بالكسرة الأرض و الدار= يختطها الرجل في أرض غير مملوكة ليحتجزها و يبني فيها، و ذلك أن السلطان أذن لجماعة من المسلمين أن يختطوا الدور في موضع يعينه و يتخذوا فيه مساكن لهم كما فعلوا بالكوفة و البصرة و بغداد، و جمع الخطة خطط، و قد كان النبي صلى الله عليه و سلم أعطى النساء خططا يسكنها في المدينة شبه القطائع و يقال هذا خط بني فلان، ابن منظور: لسان العرب، مادة خطط، ج11، ص858.

2- البلاذري: المصدر السابق، ص319.

3- الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية و المغرب، تحقيق المنجي الكعي، تونس، 1968، ص90.

4- البلاذري : المصدر السابق، ص320.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

بعد أن عزل عن الولاية: فتحت البلاد و دانت لي بيت المنازل و اتخذت مسجد الجماعة و سكنت الناس، ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلي¹.

لقد اختطت القيروان بعد فترة طويلة من بناء الكوفة و البصرة و الفسطاط، و رغم أن اختطاط الكوفة يعتبر ابتكارا فإنه يعود إلى جذور قديمة بابلية أساسا²، و هو جيد من حيث التصور و الإنجاز يراعي التركيبة القبلية للعرب الفاتحين، و قد أخذت الجوانب الدينية و السياسية و الحياة الجماعية بعين الاعتبار عند تأسيس الأمصار الإسلامية³، و نعتقد أن بناء البصرة كان أول تجربة لتخطيط المدن في العصر الإسلامي الأول، و قد استفاد المسلمون من هذه التجربة⁴، استفاد المسلمون لما قاموا بتخطيط الكوفة المربعة الشكل⁵، و كان أول شيء خط بالكوفة و بني المسجد في مربعة غلوة من كل جوانبه⁶، و كذلك عندما اختطوا الفسطاط ثم القيروان، و قد فرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على القادة الفاتحين: "لا يزيدن أحدكم على ثلاث أبيات، و لا تناولوا في البنيان، و الزموا السنة تلمزمكم الدولة، كما أنه أمر بالمناهج أربعين ذراعا و ما يليها ثلاثين ذراعا، و ما بين ذلك عشرين، و بالأزقة سبع أذرع، و في القطائع ستين ذراعا إلا الذي لبني ضبة"⁷.

فهل تواصل العمل بتوصيات عمر بن الخطاب عند اختطاط القيروان؟ يجب التأكيد هنا أن الأمصار الثلاثة الأولى بنيت في عهد عمر و كان يحاسب قواده و ولاته عن كل كبيرة و صغيرة⁸، أما

1- ابن عذاري : المصدر السابق، ج1، ص22.

2- هشام جعيط : الكوفة، المرجع السابق، ص162، كانت بابل مربعة الشكل (مثل الكوفة و البصرة على الأقرب) واسعة الشوارع المرتبة، وفي ص 165: "فتسريت المؤثرات البابلية...فترتب عن هذا الأمر أصلا تلك البنية المربعة الشكل في مخطط الكوفة"، و في ص 176: "ولا ننس الخيرة التي يسر طابعها العربي انتقال المؤثرات الخارجية إلى الكوفة".

3- هشام جعيط: نفسه، ص166.

4- الطبري: تاريخ الرسل، المصدر السابق، ج3، ص590، أنظر كذلك الجنابي: تخطيط الكوفة، المرجع السابق، 103، العلي صالح محمد: خطط البصرة و منطقتها، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1986، ص- ص 41- 104.

5- هشام جعيط: المرجع السابق، ص- ص 165- 178.

6- الطبري: المصدر السابق، ج4، ص44، و الغلوة قدر رمية بسهم، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، المجلد4، ص1012.

7- الطبري: نفسه، ج4، ص44.

8- "و كانوا لا يدعون شيئا و لا يأتونه إلا و أمره فيه"، نفسه، ص نفسها.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

أما معاوية بن أبي سفيان الذي بنيت في عهده القيروان فإنه كان يستعمل من ساندته في صراعه ضد علي أي "العثمانية" و بالنسبة لمصر قاعدة الارتكاز لفتح افريقية فقد استعمل أكثر العثمانية تشددا معاوية بن حديج و مسلمة بن مخلد و قبلها عمرو بن العاص الرأس المدبر لحزب العثمانية أثناء الفتنة الكبرى، لكن هل كان عقبة مثل معاوية بن أبي سفيان في الأبهة القياصرة في الحكم و العيش؟¹

تجمع المصادر على تعلق عقبة بالفتوح و الغزوات فقد قال لأولاده عندما عزم على غزو المغرب في ولايته الثانية: "إني قد بعث نفسي من الله، و لست أدري أتروني بعد يومي هذا أم لا لأن أملي الموت في سبيل الله"²، و كانت السنوات التي قضاها في افريقية مغازيا البربر، متنقلا بين قبائلهم قبائلهم و واحاتهم، فرصة لتنمية مواهبه الحربية"³.

هل كانت هذه الخصال حاضرة عند تأسيس مدينة القيروان؟ هذا ما سنراه من دراسة تصميم المدينة، فهذا المعسكر⁴ الذي اتخذ جيش الفتح تحول تدريجيا إلى مدينة، و لكنه لم يكن مثل مساكن معاوية بن حديج في القرن بما أنه اختط ليكون مصرا يأوي جيشا كبيرا لفتح منطقة شاسعة و مجهولة نسبيا بالنسبة للعرب (المغرب) فما فعل عقبة عند بدء التأسيس؟

بعد اختيار الموقع و الموضع و حرق الأشجار و التشاور مع الصحابة المرافقين، أمر الناس بالتنقية و الخطط و نقل الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله إلى مكان القيروان"⁵ وهذه وهذه التنقية تتطلب عدة أيام و كذلك نقل الناس بأثقالهم و إبلهم، و في هذه المرة فكر في الخطط،

1- و لما لقي معاوية عمر بن الخطاب عند قدومه إلى الشام في أمة الملك و زيه من العديد و العدة استنكر و قال: "أكسروية يا معاوية"، ابن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص254.

2- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص 23-24، و أرجع أحد الدارسين هذا الميل إلى الوراثة و كان هذا الميل وراثيا في نفسه ، إذ كان أبوه نافع بن القيس فاتحا ذا شأن ملحوظ، حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص130.

3- حسين مؤنس: نفسه، ص نفسها.

4- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج3، ص230، ثم رأى عقبة أن يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين و أهلهم و أمواهم ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد، و ذكر الطبري في أحداث 17 هـ أن عمر بن الخطاب قال لأهل الكوفة و البصرة: العسكر أجد لحريهم و أدكى لكم، الطبري: تاريخ الرسل، المصدر السابق، ج4، ص43.

5- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص196.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

والمرجح أن عقبة استذكر خطط الفسطاط التي يعرفها جيدا و قد يكون استشار الصحابة الذين يعرفون الكوفة و البصرة حول الخطط و الطرق و المناهج و السكك و الساحات.

لكنا نعتقد أنه رجح خطط الفسطاط بالنسبة للقبائل و لم يتجاوز توصيات عمر في الطرق والمناهج، فاخطت أولا دار الإمارة ثم أتى إلى موضع المسجد الأعظم، فاخطته و لم يحدث فيه بناء، وكان يصلي فيه و هو كذلك¹.

و يقدم لنا المالكي توضيحا هاما حول مكان دار الإمارة إذ يقول: " و بنى دار الإمارة التي في قبلي الجامع"²، وهذا يؤكد التواصل في تخطيط المدن الإسلامية من الكوفة الى القيروان: تركيز مؤسستي السلطة الدينية و المدنية وهو ما يمثل مركز المدينة الجديدة، و هذا المركز كان مربعا³ اعتمادا على الاشارة التالية:

- وجود أمصار سابقة مثل الكوفة التي كان جامعها مربعا والذي ترك في "مربعة غلوة من كل جوانبه"⁴ وكان مركز المدينة مربعا و يضم الى جانب الجامع و القصر الرحبة و الآري و السوق⁵.

- بناء الجامع كأول مؤسسة كان تقليدا للرسول في المدينة و كان شكل مسجد الرسول مربعا ويؤثر وسط المدينة في بقية مكوناتها، و قد وردت المصادر ما يؤكد أن مدينة عقبة الأولى كانت مربعة: "تكون أقل من ثلاثة أميال في مثلها بلا سور، الجامع بموضع يسمى السماط الكبير وسط الأسواق في سرّة البلد"⁶، و هذه الأبعاد تتناسب مع ما روي عن سحنون (ت 240هـ / 854م) الذي كان

1- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص20.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص97، و قد أصبح مكانها في القرن 9هـ / 15م، يسمى المخزن، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص166.

3- سنعود إلى هذه المسألة لاحقا.

4- الطبري: تاريخ الرسل، المصدر السابق، ج4، ص44.

5- هشام جعيط: الكوفة، المرجع السابق، ص- 100- 117، الجنابي: المرجع السابق، ص77، و الآري: الأخية: محبس محبس الدابة، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، المجلد1، ص53، أنظر كذلك الطبري: المصدر السابق، ج4، ص52، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص310، و لعلها من أصل لاتيني aerea.

6- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص225.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

يتعجب و يقول مثل هذا البلد لا يكون له قدر ثلاثة أميال من كل ناحية¹، لكن البكري كان أكثر دقة في وصفه للمدينة إذ قال: "و كان سماط سوق القيروان قبل نقله إلى المنصورية متصلا من القبلة إلى الجوف، و طوله من باب أبي الربيع إلى الجامع ميلان غير ثلث و من الجامع إلى باب تونس ثلثا ميل، و كان سطحها متصلا فيه جميع المتاجر و الصناعات، و كان أمر بترتيبه هكذا هشام بن عبد الملك"²، و ليس هناك تناقضا بين الإشارات الثلاث، فالمسافة التي يذكرها البكري مجمعة هي ميلان و ثلث أي 3 كيلومتر و 757 مترا اعتمادا على أن ميل البكري يساوي 1610 مترا³، و يتفق سحنون مع القدسي في أن ضلع المدينة لا يتجاوز ثلاثة أميال أي دون 4830م إذا اعتمدنا ميل البكري و دون 4440م إذ اعتمدنا الميل الروماني (1480م))، و قد يفسر النقص الملاحظ في الأبعاد التي ذكرها البكري بتطور المدينة إذا كان الترتيب فعلا من وضع هشام (105-125هـ/ 724-743م) لكن الإشارة الصريحة حول انقسام مدينة القيروان إلى أربعة أجزاء يفصلها شارعان رئيسيان متعامدان: الكاردو و الديكومانوس، ذكرها المالكي: "مربع السماط"⁴ الذي ذكر في مكان آخر باسم "الشارع الأعظم"⁵ و أيضا باسم "سماط القيروان" أو "السماط الأعظم"⁶ و مربع السماط السماط هي الرحاب التي كانت تعترضه و تتفرع منها السكك الجانبية⁷، و يرجح محفوظ الغديفي الشكل المربع للمدينة لوجود 4 أبواب أصلية⁸، و لقول اليعقوبي عن بغداد: "لا تعرف في جميع أقطار أقطار الدنيا مدينة مدورة غيرها"⁹، و كذلك إشارة المقدسي حول صبرة "مدورة مثل الكأس"¹ و هو

1- الونشريسي: المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية و الأندلس و المغرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1990، ج9، ص571.

2- البكري : المسالك، المصدر السابق، ج2، ص677.

3- Lézine, Alexandre, notes d'archéologie ifriquienne, R.E.I 35, paris 1967, p64.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص225.

5- نفسه، ج2، ص359.

6- نفسه، ج1، ص224.

7- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ص301، هامش3.

8- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص27.

9- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص248.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

هو ما لم يقله على القيروان²، و اعتمادا على أن الأمصار التي سبقتها كانت مربعة³ أو مستطيلة⁴ أو المدن الافريقية التي أنشأها العرب في افريقية بعدها وهي على شكل أقرب إلى المربع: صفاقس، سوسة، تونس⁵، ولأن الصورة الجوية تؤكد الأبعاد المربعة و كذلك المكان الذي بنيت فيه المدينة، يوجد واد المالح في الجنوب الشرقي و واد شتوي في شماله⁶، لكن أغلب المصادر متأخرة عن فترة التأسيس 50هـ/ 670م، فكم كان ضلع مدينة القيروان عند التأسيس؟ تصعب الإجابة عن هذا السؤال، و لكن يمكن الوصول إلى بعض التقديرات اعتمادا على ما ذكرته المصادر، قال صاحب البيان ثم أخذ الناس في بناء الدور و المساكن و المساجد، و عمرت و شد الناس إليها المطايا من كل أفق و عظم قدرها، و كان دورها ثلاثة عشر ألف ذراع و ستمائة ذراع حتى كمل أمرها⁷، و هذا يعطينا ضلعا يساوي 3400 ذراع أي 1428 مترا، و يقول الطبري أن عقبة هو أول الناس اختطها وأقطعها للناس مساكن و دورا و بنى مسجدها⁸ دون أن يعطينا أرقاما لكن ابن الأثير يقول أن عقبة أمر ببناء المدينة فبنيت و بنى المسجد الجامع و بنى الناس مساجدهم و مساكنهم و كان دورها ثلاثة آلاف باع و ستمائة باع، و تم أمرها سنة خمس و خمسين و سكنها الناس⁹، و هذا يعطينا ضلعا

-
- 1- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص226.
 - 2- ذهب بعض الباحثين إلى أن شكل المدينة دائري، مراد الرماح: مؤلف جماعي، افريقية 13 قرنا من الفن و العمارة في تونس بالفرنسية، ديمتار تونس 2000، ص154 و كذلك ناريمان أحمد، مجتمع افريقية، المرجع السابق، ص51.
 - 3- جعيط: الكوفة، المرجع السابق، ص318.
 - 4- العلي: خطط البصرة، المرجع السابق، ص58.
 - 5- حسن حسيني عبد الوهاب: وراقات، المرجع السابق، ج2، ص41.
 - 6- الخارطة الطبوغرافية: القيروان 1/50.000، المالكي: المصدر السابق، ج1، ص11، ابن عذارى: المصدر السابق، ص20، مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبد الحميد، جامعة الاسكندرية 1958، ص115، و يقول القاضي النعمان: " و أخرج نعش سحنون إلى السبخة مما يلي داره"، القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1986، ص61.
 - 7- ابن عذارى: نفسه، ج1، ص21، و الذراع القيرواني يساوي 42 سنتمتر.
 - 8- الطبري: تاريخ الرسل، المصدر السابق، ج5، ص240.
 - 9- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج3، ص230، و الباع قدر مد اليدين و ما بينهما من البدن، ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص288.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

يساوي 900 باع أي 3400 ذراع¹، و النتيجة التي يمكن الخروج بها من هذه الأرقام أن ضلع مدينة مدينة عقبة كان حوالي الميل²، و إذا صدقنا المصادر فإن تطور المدينة جعل الضلع في حدود المليون و و ثلث في عهد هشام³ أي 3757 مترا و دون الثلاثة أميال حسب تقديرات سحنون⁴ و المقدسي⁵، أي دون 4830 مترا، و قد استنتج باحث معاصر من أرقام البكري أن فسقية الأغلبة تكون على بعد أقل من ثلثي الميل (1073م)⁶، و هذا يناقض كلام الجغرافي الأندلسي الذي ينقل عن الوراق الذي عاش في القيروان في القرن 4هـ/ 10م، و قد كانت محرومة من الأسوار، و توصل باحث معاصر إلى أن أقصى توسع عرفته المدينة لا يزيد عن 4400 متر و في اتجاه شرق- غرب فقط⁷ لكن هذا الاستنتاج لا يناقض النصوص التي لا تذكر أرقاما دقيقة بل تعطي معطيات تقريبية، و نلاحظ أن مساحة المدينة أيام بناءها في عهد عقبة بن نافع ثلاثة آلاف باع و ستمائة باع⁸ و هذا هذا ابن عذارى يعطينا تحديد لتخطيط المدينة و كان دورها ثلاثة عشر ألف ذراع و ستمائة ذراع⁹ و تقدر هذه المساحة بحوالي سبعة كيلومتر و خمسمائة متر¹⁰ و تجدر الإشارة أنه وقع توزيع الخطط

1- لأن الباع يساوي قامة الإنسان أو أكثر بقليل و هو ما يساوي تقريبا 1.70م أو 1.75م كعدل أي تقريبا بين 1500 و 1600.

2- قدر هشام جعيط ضلع الكوفة عند التأسيس بحوالي 2000 متر أي أكثر بقليل من ضلع مدينة القيروان، أنظر الكوفة، المرجع السابق، ص128، و ذكر اليعقوبي أن البصرة مدينة مستطيلة تكون مساحتها على أصل الخطة التي اختطت عليها فرسخين في فرسخ، البلدان، المصدر السابق، ص323، و الفرسخ يساوي 3 أميال.

3- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص677.

4- الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج9، ص571.

5- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص225.

6- Lézine, Notes d'archéologie, op.cit, p66. -6

7- 4400 أقل من ثلاثة أميال سواء اعتمدنا ميل البكري (1610م) أو الميل الروماني (1480م)، Mahfoudh Faouzi, Les sources arabes et l'architecture musulmane de l'ifrigiya (8- 12^{ème}) faculté des sciences humaines et sociales, tunis 2000, p51.

8- الحبيب الجنحاني: المرجع السابق، ص59.

9- ابن عذارى : المصدر السابق، ج1، ص21.

10- دائرة المعارف: لامية مادة قيروان الطالبي، ص861.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

داخل المدينة على غرار ما وقع في الكوفة و البصرة و ذلك حسب التقسيم القبلي¹ للمقاتلة و عائلاتهم.

و من إشارات المصادر السابقة² نفهم تقسيم المدينة الجديدة إلى خطط، فكيف كانت خطط القيروان؟ و هل يمكن تحديد الفضاء الجغرافي و البناء المورفولوجي للمدينة بالقدر الذي تسمح به المعلومات المتوفرة؟

خص عقبة كل قبيلة أو عشيرة بحج مستقل، قال المالكي: "أمرهم أن يقتطعوا و يحتطوا"³، يبدو أن المعنيين بالأمر هم رؤساء العشائر أو العرفاء الذين يبدو أن دورهم كان كبيرا في التهيئة و التقنية و تقسيم الخطط⁴.

قلنا أن عقبة اتبع في تخطيط المدينة نفس الطريقة التي اتبعها الفاتحون من قبله عندما أنشأوا الكوفة و البصرة و الفسطاط و خص كل قبيلة بخطة مستقلة، فما هي الخطط و المنشآت العمرانية لمدينة القيروان؟

و للإجابة على هذا السؤال يمكن تقسيم هذه المنشآت إلى منشآت دينية و مدنية و فكرية ومنها:

1- العمارة الدينية: و يأتي في مقدمتها:

● **المسجد الجامع:** اختطه عقبة و لم يحدث فيه بناء، و كان يصلي فيه و هو كذلك، فاختلف عليه الناس في القبلة⁵، و يضيف البكري الذي نقل عن مصادر مفقودة الآن، أهمها تاريخ الرقيق

1- نفس المرجع، ص نفسها.

2- الطبري: تاريخ الرسل، المصدر السابق، ج5، ص240، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج1، ص230.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص12.

4- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص207، ثم خرج موسى بن نصير في رجب 93هـ (712م) بوجه العرب والموالي و عرفاء البربر، الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص82.

5- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص20، المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ص12، ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص197.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

وغيره أن أول من وضع محرابه و بناه عقبة بن نافع ثم هدمه حسان بن النعمان حاشى المحراب¹، نرجح أن عقبة بنى الجامع، و لم يبن المحراب، و قد يكون جامعا كبيرا يتسع لآلاف المصلين (جيش عقبة وأهالي أفراد هذا الجيش وأتباعهم وعبيدهم) لكنه قد يكون بسيطا من حيث المواد المستعملة في بنائه لأنه لا يمكن أن تؤسس مدينة و يدوم تأسيسها خمس سنوات دون أن يكون للمسلمين مسجد جامع، ثم أن عقبة ذكر ذلك للخليفة معاوية بعد عزله: "فتحت البلاد و بنيت المنازل و مسجد الجماعة"²، و قد ذكرت المصادر اختلاف الناس في القبلة، و قالوا: "إن جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فأجهد نفسك في تقويمها"، فأقاموا أياما ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النجوم و مشارق الشمس، و بعد رؤية ركن لواءه وقال: "هذا محرابكم"³، و نلاحظ هنا التحري في وضع قبلة الجامع، فرغم معرفة العرب بالبلاد أثناء فتوحات العرب السابقة و قد دامت سنوات⁴، فإنهم أقاموا أياما و أنا أقول أشهرها لذكر المصادر للصيف والشتاء و لكن القرار الأخير اتخذته عقبة و لم يكن صائبا فمحراب مسجد القيروان منحرف عن القبلة نحو الجنوب بخمسة عشر درجة⁵، و تضيف المصادر أن هذا الجامع اقتدت به سائر مساجد المدينة⁶، و لم تذكر شيئا حول الجامع خلال الفترة المتراوحة بين عزل عقبة و مجيء حسان الذي أكمل فتح افريقية و جزء هام من المغرب، فكان يقسم الفيء بينهم (العرب و البربر) و دون الدواوين و أمر بتجديد بناء المسجد

1- أجمعت الدراسات على أن أقدم المحارِب هو محراب مسجد الرسول بالمدينة الذي وضعه عمر بن عبد العزيز والي الوليد بن عبد الملك سنة 87هـ/ 705-706م، البكري: كتاب المسالك و الممالك، المصدر السابق، ج2، ص673.

2- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص197.

3- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص21.

4- يذكر المالكي أن عبد الله بن سعد أقام بافريقية سنة و شهرين، المالكي: رياض النفوس، ج1، ص27، كما يذكر ابن عذارى أنه في سنة 45 غزا معاوية بن حديج الكندي افريقية و كانت حربا كلها، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص16.

5- Lézine, Notes d'archéologie Ifriquienne, op.cit, p67.

6- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص21.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الجامع، فبناه بناء حسنا، و جددته في شهر رمضان سنة أربع و ثمانين¹، و يضيف البكري أن حسان حمل إليه الساريتين الحمراءين الموشاتين بصفرة اللتين لم ير الراؤون مثلهما من كنيسة كانت للأول في الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب، و يقولون إن صاحب القسطنطينية بذل لهم فيهما قبل نقلهما إلى الجامع زنتهما ذهباً، فابتدروا الجامع بهما²، و لم يطرأ على جامع عقبة أي تغيير إلى حين زمن هشام بن عبد الملك، إذ كتب إليه عامله بشر بن صفوان الكلبي على القيروان يعلمه أن الجامع يضيق بأهله و أن بجوفيه جنة كبيرة لقوم من فهر، فكتب إليه هشام يأمره بشرائها و أن يدخلها في المسجد الجامع، ففعل و بنى في صحنه ماجلا و هو المعروف بالماجل القديم بالغرب من البلاطات، و بنى الصومعة في بئر الجنان و نصب أساسها على الماء، واتفق أن وقعت في نصف الحائط الجوفي³.

أما الصومعة الحالية فهي أغلبية طولها ستون ذراعا و عرضها خمس و عشرون، و لها بابان شرقي وغربي، عضائد بابيها رخام منقوش و كذلك عتبتها⁴، و لم تذكر المصادر أي تغيير طراً على على المسجد الجامع أثناء ثورات البربر و حكم عبد الرحمن بن حبيب.

و سيكون التغيير الأول في عهد العباسيين من عمل محمد بن الأشعث الخزاعي و هو ما ينفرد بذكره البلاذري، قال: "و حدثني محمد بن سعد، عن الواقدي قال: ولي محمد بن الأشعث الخزاعي إفريقية من قبل أبي العباس أمير المؤمنين فرم مدينة القيروان و مسجدتها⁵، و سيكون الانحاز الهام في العهد العباسي من قبل الوالي يزيد بن حاتم المهلبي الذي هدم الجامع كله حاشى الحراب وبناه

1- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص56، ابن ناجي: معالم الإيمان، المصدر السابق، ج1، ص67.

2- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص673، و هذا يناقض ما جاء في كتاب الإمامة و السياسة المنسوب لابن قتيبة و إن عامة بيوتها (إفريقية) الخصوص و أفضلها القباب، و بناء الجامع يومئذ شبيه بالحظير، غير أنه قد سقف ببعض الخشب، و قد كان ابن النعمان بنى القبلة و ما يليها بالمدر، بنيانا ضعيفا، الإمامة و السياسة المنسوب لابن قتيبة الدينوري، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج2، ص51.

3- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص674.

4- نفسه، ص نفسها.

5- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص322، و الرم إصلاح الشيء الذي فسد بعضه من نحو جبل أو دار ترم شأنها شأنها مرمة، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج2، ص1229.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و اشترى العمود الأخضر بمال عريض جزل و وضعه فيه¹، و نلاحظ هنا أن كل وال يلي القيروان يريد أن يكون الجامع من بنيانه، وكانوا يتركون منه المحراب تبركا ببناء عقبة²، و مما يدل على هذه الأشغال المتعاقبة ما ذكره الدباغ حول مسجد الزيتونة قال: " و بهذا المسجد كان أهل القيروان يجمعون إذا كان بجامع عقبة بناء"³، إذن جدد يزيد بن حاتم في سنة 157هـ/ 774م بناء المسجد الجامع⁴، و أضاف أحد الدارسين و وسعه و جملة حتى أصبح غاية في الحسن و الجودة، و صار عنوانا للحضارة التي كانت عليها افريقية⁵.

و لم تصل كل الانجازات السابقة إلى صورة المسجد الحالية التي تعود إلى الفترة الأغلبية و قد مرت عملية البناء بمرحلتين:

- المرحلة الأولى: تمت في عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب، يقول البكري: "فلما ولي زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب هدم الجامع كله و أراد هدم المحراب فقبل له: إن تقدمك من الولاة توقفوا عن ذلك لما كان واضعه عقبة بن نافع و من كان معه، فلج في هدمه لثلا يكون في الجامع أثر لغيره حتى قال له بعض البناة: أنا أدخله بين حائطين و لا يظهر في الجامع أثر لغيره، فاستصوب ذلك و فعله فهو على بنائه إلى اليوم و بلغت النفقة في بنيانه ستة و ثمانين ألف مثقال"⁶.

- المرحلة الثانية: تمت في عهد أبي ابراهيم أحمد، فقد ذكر ابن ناجي نقلا عن أبي بكر عتيق بن خلف التجيبي، قال: " و أمر بإخراج ثلاثمائة ألف دينار من بيت مال المسلمين، فأمر ببناء ماجل باب تونس و بني في جامع القيروان القبة الخارجة عن البهو مع الصفتين اللتين تليانها من جانبيها جميعا

1- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص674.

2- مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص114.

3- ابن ناجي : المعالم، المصدر السابق، ج1، ص28.

4- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص126، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص79، و يختلف التاريخ الذي ذكره هذان المؤرخان مع التاريخ الذي ذكره البكري (155هـ): المسالك، المصدر السابق، ص674.

5- العبود: نافع توفيق: آل المهلب بن أبي صفرة و دورهم في التاريخ، جامعة بغداد 1979، الطبعة الأولى، ص194.

6- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص674، و قد قدر ج.مارسي المبلغ في العشرينيات من القرن الماضي ب 800.000 800.000 فرنك فرنسي، أنظر: Marçais, G, Manuel d'art musulman, paris 1926, p16.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و بلاطها الذي بين يديها مفروش، و عمل المحراب (جلبت له تلك القراميد في وجه المحراب، و عمل له رجل بغدادي قراميد زادها إليه، و زينه تلك الزينة العجيبة بالرخام و الذهب و الآلة الحسنة، قلت و أراد بالعيدان الملاهي و خشب الساج لا يأخذه السوس، فالمنبر إلى اليوم لا سوس فيه"¹، و هي رواية يؤكدها ابن عذارى الذي ينقل عن الرقيق و غيره من مؤرخي القيروان إذ يقول: "و في سنة 245 أخرج أبو ابراهيم بن الأغلب صاحب افريقية مالا كثيرا لحفر المواجل، و بنيان المساجد والقناطر، لكلمة منه على سكر، و في سنة 248 كمل بناء ماجل باب تونس الكبير، و تمت الزيادة في جامع القيروان"²، و هذا ما يجعل نص البكري غير دقيق في نسبة الأشغال إلى ابراهيم بن أحمد وقد يكون خطأ الناسخ، و على أية حال فإن جامع عقبة أو جامع القيروان كما تسميه المصادر اكتسب شكله الحالي منذ العهد الأغلبي.

و قد ارتبط وضع المسجد في العصر الوسيط بوضعية مدينة القيروان و ما يهمننا هو شكل المسجد منذ إنشائه إلى نهاية العصر الأغلبي (296هـ / 909م).

يقول أحمد فكري: "يرتسم المسجد على سطح الأرض في شكل مستطيل غير متساوي الأضلاع عرضه 77 مترا و طوله 126مترا"³، لكن أ.باب دوبولو يدقق الأبعاد أكثر و يقول أن طول حائط القبلة هو 78 مترا و حائط الضلع الغربي 125.20 مترا و حائط الضلع الشرقي 127.60 مترا⁴.

1- الدباغ: معالم الإيمان، المصدر السابق، ج2، ص 147- 148.

2- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ص113، أنظر كذلك ابن الأبار: الحلة السراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة 1985، ج1، ص164.

3- أحمد فكري: المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف بمصر، 1936، ص20.

4- papadopoulo (A) L'islam et l'art musulman, édition d'art, lucien mazenod, paris 1976, p254.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

أما عالم الآثار الانجليزي كريسويل فيذكر الأبعاد من الداخل: 65.30 مترا في الشمال الغربي و70.28 في الجنوب الشرقي و 120.80 مترا في الشمال الشرقي و 120.50 مترا في الجنوب الغربي¹.

و يضيف عالم الآثار المصري أن في المسجد بهو فسيح يقرب طوله من 67 مترا و عرضه من 56 مترا²، و يعطينا كريسويل أبعاد الصحن الدقيقة و هي 67.18 مترا شرقا و 66.98 مترا غربا و 52.46 مترا لمواجهة بيت الصلاة المقابلة لحائط القبلة و 50.23 مترا لحائط الصحن المحتوي على المئذنة³، و لهذا البهو مجنبات أروقة يبلغ عرض كل منها حوالي 6 أمتار و ربع و هي أروقة مزدوجة⁴.

أما بيت الصلاة فطوله 70.6 مترا و عرضه 37 مترا و 70 سنتيمترا⁵، و تحتوي بيت الصلاة على 17 بلاطا و هو نفس العدد الموجود في مسجد الرسول في المدينة⁶، و تمتد الأروقة على 8 أسايب، و يتراوح عرض الأروقة ما بين 3 أمتار و نصف و 4 أمتار و ربع باستثناء البلاطة الوسطى فعرضها متساو، و هو يزيد بقليل عن 6 أمتار، أما عرض الأسايب فيبلغ 4 أمتار و 20 سنتيمترا، باستثناء أسكوب المحراب فعرضه 5 أمتار و نصف⁷ و تكون البلاطة الرئيسية (الوسطى)، زاوية قائمة مع أسكوب المحراب و هو ما يعطي رسم صورة T كبير⁸.

1- Crewsell, K.A.C, short account of early muslim, ARCHITECTURE PENGUIN BOOKS, first published, great britain 1958, p251.

2- أحمد فكري: المسجد الجامع، المرجع السابق، ص20.

3- Crewsell, op.cit, p254.

4- أحمد فكري: المرجع السابق، ص20.

5- نفسه، ص نفسها.

6- papadopoulo, op.cit, 254.

7- أحمد فكري: المرجع السابق، ص20.

8- (G) Marçais, tunis et kairouan, op.cit, p36.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و تحتوي بيت الصلاة على بابين متقابلين أحدهما في الحائط الشرقي و الآخر في الحائط الغربي، وكلاهما عند نهايتي الأسكوب الخامس¹، و هذا ما يؤكد الزيادة التي ذكرتها المصادر في بيت الصلاة بعد الأشغال الكبرى و الأساسية التي أنجزت في عهد زيادة الله، قال البكري: "و لما ولي ابراهيم (المرجح أنه أبو ابراهيم أحمد) زاد في طول بلاطات الجامع"².

و قد ذكر ليزين أن جامع القيروان يضم 475 عموداً³، و هذا الرقم يفوق الرقم الذي ذكره البكري الذي يقول: "و عدد ما في الجامع من الأعمدة أربعمئة و أربعة عشر عموداً"⁴، و هو ما جعل منها غابة من الأعمدة، و وصف جورج مارسى جامع عقبة بأنه متحف عجيب من الآثار الوثنية و المسيحية⁵، ولكن هذا الرأي لا يأخذ بعين الاعتبار تنسيق الأعمدة وصياغتها لتكتسب صبغة عربية تتناسب مع خصوصيات العمارة العربية الاسلامية لأن المسلمين، يقول ليزين: "اعتمدوا مبكراً العقد المتجاوز لحمل هيكل مساجدهم، و دون خطأ أقدم مثال هو الجامع الأموي بدمشق"⁶، بدمشق⁶، و يضيف في مكان آخر: "أن العقود المتجاوزة في جامع القيروان استعملت تاريخياً بعد

1- فكري: المرجع السابق، ص20.

2- البكري : المسالك، المصدر السابق، ص675، و قد ذكر ابن ناجي نفس الزيادة ناسباً إياها لأبي ابراهيم و بنى جامع القيروان القبة الخارجة عن البهو مع الصفتين اللتين تليانها من جانبيها جميعاً و بلاطها الذي بين يديها مفروش، الدباغ: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص147.

3- Lezine, rchitecture de l'ifriqiya, librairie C.KLINCKSIECK paris, 1966, p31. -3

4- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص674، و ذكر ابن ناجي عن عبد الله بن كامل القطان السوسي قال: "فعددت أعمدة جامع القيروان، فوجدتها على عدد أيام السنة"، المعالم، المصدر السابق، ج2، ص252.

5- (G) Marçais ; tunis et kairouan, op.cit, p38. -5

6- Lézine, Architecture, p33. -6

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

نظيراتها الدمشقية في مجموعة نصف دائرية متجاوزة تبقى اسلامية لأنه يجب ترك جانبا عقود قرطبة المؤرخة بسنة 785م، التي تمثل حالة خاصة¹.

و قد اكتسب العرب تقنية استعمال الأعمدة من الحضارات السابقة ثم طوروا هذه التقنية فيما بعد يقول الطبري متحدثا عن مسجد الكوفة الذي بناه زياد بن أبي سفيان، والي معاوية على العراق حوالي سنة 50هـ / 670م: "و لما أراد زياد بنيانه دعا بنائين من بنائي الجاهلية، فوصف لهم موضع المسجد و قدره وما يشتهي من طوله في السماء، و قال : "أشتهي من ذلك شيئا لا أقع على صفته، فقال له بناء قد كان بناء لكسرى، لا يجيء هذا إلا بأساطين من جبال أهواز، تنقر ثم تتقب، ثم تحشى بالرصاص و بسفايد الحديد، فترفعه ثلاثين ذراعا في السماء، ثم تسقفه، و تجعل له مجنات"².

أما محراب جامع القيروان و الذي تؤكد الدراسات أما جامع القيروان فهو عبارة اليوم عن موقع أثري افتراضي موصوف بالمسجد، و كما ذكرنا سابقا هناك من ينفي هذا الافتراض³ لعدم توافق تخطيطه مع الوصف السابق للمسجد الجامع و غياب البلاطات و السواري و المدخل الشمالي أو البحري كما ذكره ابن الصغير.

لكننا نؤكد ما ذكرته الكتابات في أن عمران و عمارة مدينة تيهرت تكون قد تأثرت بمثلتها في القيروان و إن اختلفت في بعض الأساليب أو الأشكال أو القياسات التي ترتبط بالموقع و ارتفاع المنطقة أو انخفاضها خاصة و أن القيروان امتد تأثيرها إلى المشرق و أن عبد الرحمن بن رستم كان واليا على القيروان، و كان ينوي إقامته عاصمة دولته فيه فليس بعيدا أنه يتأثر بطريقة بناء و تعمير وتخطيط هذه المدينة.

Idem p35.

-1

-2 الطبري: تاريخ الرسل، المصدر السابق، ج4، ص46، محمد ابن أحمد: رحلة بن جبير، دار موفر للنشر، الجزائر، 1988، ص184.

-3 فاطمة جلجال: المرجع السابق، ص40.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

أما المحراب و الذي تؤكد الدراسات الأثرية صحة ما ذكره البكري عنه و الذي يعتبر من أكثر اللوحات تناسقا في الفن الاسلامي¹، و قد وصفه البكري بقوله: "و المحراب كله و ما يليه مبني بالرخام الأبيض من أعلاه إلى أسفله، و هو مخرم منقوش كله منه كتابة تقرأ، و منه تدبيح مختلف الصناعة يستدير به أعمدة رخام في غاية الحسن، و العمودان الأحمران المذكوران يقابلان المحراب عليهما القبة المتصلة بالمحراب"²، و المحراب الأول ليس من وضع عقبة كما تذكر المصادر، و هذه الرواية مستبعدة لأن المحراب الجوفة الأولى لم تظهر إلا في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز³، و كان قد بدأ بوضع محراب لمسجد الرسول صلى الله عليه و سلم بالمدينة لما كان واليا عليهما في عهد الوليد بن عبد الملك⁴، و ليس من وضع يزيد بن حاتم المهلبي سنة 157هـ/774م، و قد درس ليزين هذه النقطة و أكد أن المحراب وضع سنة 221هـ/836م⁵، و هذا المحراب الذي يعد إحدى التحف الفنية الرائعة هو عبارة عن حنية ذات مجوف تتركب من جزئين:

الجزء الأسفل: نصف أسطواني

الجزء الأعلى: كروي

و يحيط بالمحراب من كل جهة عمود صغير من الرخام الأحمر يقوم على قاعدة و فوقه تاج بيزنطي يحتوي على نقائش، و يقوم فوق العمودين عقد متجاوز تزيينه مجموعة من مربعات الخرف ذي البريق المعدني.

1- MAOUDOUD, Khaled, kairouan, histoire de la ville et de ses monuments, -1
agence nationale du patrimoine, 1991 ; p28.

2- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص674.

3- Marçais, op.cit, p45.

4- AFIF BAHNASI, Le premier Migrab, op.cit, p58.

5- حول المحراب، كتب ابن ناجي ناقلا عن التحيي: "و عمل المحراب جلبت له تلك القراميد اليمينية لمجلس أراد أن يعمله وجاء بالمحراب مفصلا رخاما من العراق عمله في جامع القيروان و جعل تلك القراميد في وجه المحراب، و عمل له رجل بغدادي قراميد زادها إليه، و زينه تلك الزينة العجيبة بالرخام و الذهب و الآلة الحسننة، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص147.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و داخل المحراب يتألف الجزء الأسفل من 28 لوحة رخامية منقوشة و مثقبة تحيط بها النقائش ويزينها التوريق، و تعلق المحراب نصف قبة صغيرة من الخشب يغطيها ملاط في شكل لوحات¹.
و يفصل شريط بين الجزئين الأسفل و الأعلى نقشت عليه بالخط الكوفي البارز الآيات الأربع الأولى من سورة الاخلاص تتبعها التصلية.

و يبلغ عدد القراميد 139، و هي تتفق في الحجم و لكنها ليست سواء في الزخرفة، فبعضها يحمل عناصر هندسية من دوائر و خطوط منكسرة أو خطوط متقاطعة و مربعات و معينات، وبعضها يحمل زخارف نباتية... و بين زخارف هذه القراميد و زخارف سامراء شبه كبير نلاحظه في الزخرفة النحمية و ورقة الشجر الرحمة الشكل الأمر الذي يؤكد أصلها العراقي².
و المحراب ليس في منتصف حائط القبلة تماما بل يجيد يسرة عن الوسط بمقدار مترين ونصف، ويرتسم في نصف دائرة قطرها متران³.

و لإعطاء الضوء و التهوية للمحراب و عند تقاطع البلاطة الوسطى مع أسكوب المحراب أقيمت قبة المحراب و هي المثال الوحيد و الأقدم للقبة المبنية بالحجارة⁴، و ترتفع هذه القبة الأغلبية ثلاثة أجزاء فوق السطح إذ تنتقل من المربع إلى المثلث، إلى ستة عشر طاقة إلى القبة المضلعة⁵.
و قد ذهب الباحثون في تفسير أصل هذه القبة مذاهب شتى و لكن ليزين أرجعها إلى التطورات التي حصلت منذ انشاء قبة الصخرة بالقدس سنة 72هـ مروراً بقباب العمارة المدنية في

1- القراميد جمع قرمد: كل ما طلي به للزينة كالجص و الزعفران، و القرمد حجارة أو خزف يطبخ، ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص239، مجلد5، ص- ص 71- 72، أنظر كذلك ابن الأبار: الحلة السيرة، المصدر السابق، ج1، ص 163- 164.
2- مرزوق محمد عبد العزيز: الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب و الأندلس، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص78، لكن الدراسة الكاملة عن هذه القراميد وضعها مارسى: Marçais Georges, les faiences à reflet métalliques de la grande mosquée de kairouan, paris, 1928, 42 pages.

3- فكري: المسجد الجامع بالقيروان، المرجع السابق، ص20.

4- GRABAR, Oleg, La formation de l'art islamique, flammation, paris 1987, p182.

Ibidem.

-5

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

قصير عمرة والأخضر إلى قبة رباط سوسة، مؤكدا خاصة على التأثيرات القادمة من بغداد و الرقة ومسجد الرسول بالمدينة و وصولا إلى جامع العباسية الذي يمثل الحلقة المفقودة في المؤثرات التي أنتجت قبة المحراب بجامع عقبة و التي يعتبرها ليزين انجازا جميلا في هندسة البناء¹، و تتكون القبة من ضلوع محدبة من الخارج ومقعرة من الداخل²، و داخل القبة هناك عقود لحملها، و طنف (افريز) يحمل أربع رقاب في شكل محار تحتل الزوايا، و توظف الأقواس المحارات و الأطراف المزخرفة التي تفصلها³، و من الخارج توجد 24 حنية تقوم عقودها على عميدات صغيرة، و هناك عدد كبير من الشمسيات ينفذ منها النور.

و تحت القبة نجد المنبر الذي جلب له من بغداد خشب الساج الذي لا يأخذه السوس، فالمنبر إلى اليوم لا سوس فيه⁴، و هو من أهم المنابر و من أقدمها و يرتفع 3.30 مترا و يتكون من 11 درجة، و هو في شكل لوحات مستطيلة تزدان بزخارف هندسية يقوم على الدوائر و الخطوط، و قسم يزدان بزخارف نباتية تقوم أكثر ما تقوم على ورقة العنب⁵.

و هذا المنبر المتكرب من أكثر من 300 قطعة نحتت و جمعت⁶ لتجعل منه من أثرى المنابر من الناحية الزخرفية.

و تقول الدراسات أن الزخارف هي نتيجة لتأثيرات فارسية و بيزنطية و هذا ليس غريبا لأن الحضارة العربية تأثرت بالحضارات السابقة و المعاصرة لها⁷.

-1 Lézine, Architecture op.cit, p-p 53- 56.

-2 شافعي محمد فريد: العمارة العربية الاسلامية، ماضيها و حاضرها و مستقبلها، جامعة الملك سعود، الرياض، 1982، ص179.

-3 Marçais, George, tunis et kairouan, op.cit, p42.

-4 ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص147.

-5 مرزوق: المرجع السابق، ص156.

-6 MAOUDOUD ,Kairouan op.cit, p30.

-7 محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص42.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و كانت في جامع عقبة مقصورة تعود إلى عهد زيادة الله و المقصورة اليوم إنما هي دار قبلي الجامع بابها في رحبة التمر، لها باب عند المنبر، يدخل منه الإمام بعد أن ينزل في هذه الدار حتى تقرب الصلاة¹.

و يتألف سقف بيت الصلاة المسطح و المتأثر بمسجد الرسول بالمدينة من عناصر خشبية تقوم على حاملات مثبتة في الجدار و وضعت فوقها أخشاب أخرى في الاتجاه المعاكس، و يحتوي هذا السقف الخشبي على زخارف، و هذا التقليد وجد في جامع عمرو بمصر و مسجد عمر بالقدس².

و يتكون الجدار المقابل لجدار القبلة من 16 بابا يتوسطها باب واسع، و واجهة بيت الصلاة هذه تضم 17 قوسا مرتكزة على أعمدة يكون الأوسط أكبر من البقية من ناحية العرض و الارتفاع، و يتناسب هذا القوس مع البلاطة الوسطى³، و هذا العقد يرشد المصلين لاتجاه القبلة و هو عقد نصف دائري متجاوز⁴.

و تتوسط المنارة⁵ الرواق الشمالي، و قد ذكرنا أنها من بناء زيادة الله الأول⁶، فهناك إشارة ذكرها صاحب الرياض تجعل نص البكري موضع نظر إذ يقول ثم ان ابراهيم صعد يوما إلى صومعة الجامع، وكانت الصومعة في الركن الغربي ثم أزيلت بعد ذلك و جعلت في المكان الذي هي به اليوم،

1- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص674.

2- Lézine, Architecture, op.cit, p59.

3- Lézine, Architecture, op.cit, p11.

4- Ibid, P19.

5- المنارة أو المنار موضع النور، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م6، ص739، و تسمى أيضا المثدنة، موضع الأذن الأذن للصلاة، ابن منظور: نفسه، م1، ص40، كذلك الصومعة و هي التسمية التي انتقل بها هذا العنصر المعماري إلى افريقية و المغرب و ظل قائما فيها، ابن منظور: نفسه، م3، ص 474- 475، و قد وردت الكلمة في القرآن، سورة الحج، الآية 40.

6- Lézine, Architecture, op.cit p 39.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

فدعا ابراهيم ابن غانم و قال له: "اصعد إلي" فأبى ابن غانم من ذلك و قال: "و في صعودي إليها تشرف على حرم المسلمين ونظر إلى عورتهم، و الله لا أفعل ذلك"¹.

و يؤكد نص المالكي صحة الدراسات الحديثة التي تذهب إلى أن انشاء المئذنة تم في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) و قد أكد ليزين أنها جاءت نتيجة تأثيرات محلية (منار رباط سوسة) المتأثر بدوره بمنار سلقطة، و أن ما ذكرته الدراسات السابقة عن تأثيرات مشرقية (الأبراج البيزنطية أو منار الاسكندرية) يبقى من الفرضيات غير الدقيقة².

و هذه المئذنة البرجية الشكل تعد أقدم مثل متكامل ما يزال يحتفظ بجميع عناصره المعمارية الرئيسية و هي القاعدة و القسم الأوسط و القسم العلوي ثم القببية التي تغطيه³، لكن ليزين يؤكد أن الطابق الأعلى و إن وجد منذ البداية فقد أعيد بناؤه في العهد الحفصي⁴ و يبلغ عرض قاعدة المئذنة 10.67 مترا و عرض الطابق الثاني 7.63 مترا و عرض الطابق الثالث 5.48 مترا⁵.

و هذا البرج المربع الضخم الذي يضيق قليلا كلما ارتفع⁶ له من العلو في الطابق السفلي 18.87 مترا⁷ و 5 أمتار للطابق الثاني¹، و يبلغ علو الطابق الثالث 5.42 مترا و تنتهي القاعدة بشرفة تدور حول الطابق العلوي الأخير².

1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 224- 225.

2- عبد العزيز سالم: بحوث اسلامية، دار الغرب الاسلامية، بيروت، د.ت، ج2، ص425، و عن منار الاسكندرية ينظر، المسعودي: التنبيه و الأشراف، دار و مكتبة الهلال، بيروت، 1993، ص- ص 59- 60، و أيضا:

Lézine, Architecture, op.cit, p- p 39- 52.

3- الشافعي: العمارة، المرجع السابق، ص159.

4- Lézine, op.cit, p. p 39- 43.

5- Ibid, p50.

6- زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت 1981، ص145.

7- Lézine, Id, p51.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و الواجهة الجنوبية مغايرة لبقية الواجهات من حيث كثرة العنصر الزخرفي و فيها باب يفضي إلى داخل المئذنة يقوم على عضادتين و ساكف من الآثار القديمة.

و إضافة إلى دورها الديني يذهب بعض الدارسين إلى دور عسكري قامت به المئذنة و يقدم كأدلة الفتحات فيال طابق السفلي و هي ذات أحجام هامة في الواجهة الجنوبية مقارنة بمثيلاتها في الواجهة الشمالية.

و يحتوي الطابق الأوسط على حنيات في كل جانب تكون الوسطى أكبر و تحتوي على باب، و يتكون الطابق الأعلى من قسمين، قسم أول مشابه للطابق الثاني مع ثلاث حنيات و أعمدة تحمل أقواسا في الجهات الأربع، ثم نجد حنيات صغيرة، 5 من كل جهة ثم قبة مضلعة و تعود إلى العهد الحفصي³.

و يحتوي الصحن على شمسيات و صهاريج في باطن الأرض.
و للجامع عشرة أبواب⁴ ذكرها المقدسي و هي باب السماط و باب الصرافين و باب الرهادنة و باب الفضوليين و باب المئذنة و باب الصباغين و باب الحواريين و باب سوق الخميس و باب الميضاة و باب الخاصة في التمارين⁵، و علق أحمد فكري عن وصف البكري فقال أنه يطابق الشكل الحالي و لا ينقص الأبواب التي أبانها غير بايين أحدهما سد بالبناء، و الثاني لا يظهر له اليوم أثر، و كان حينئذ ينفذ إلى المئذنة من الحائط الشمالي⁶.

1- CREWELL, K.A.C, EARLY Muslim Architecture, OXFORD, 1940, p326.

2- الشافعي: المرجع السابق، ص159.

3- Marçais, G.L'architecture musulmane d'occident, paris 1954, p18.

4- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص675.

5- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص225.

6- أحمد فكري: المسجد الجامع بالقيروان، المرجع السابق، ص22، و للمسجد الآن 9 أبواب في كل من الواجهتين الشرقية والغربية 4 أبواب، و التاسع في الواجهة الجنوبية خاص بالإمام، و هذه الأبواب أنشئت أو جددت خلال فترات تاريخية مختلفة، نجوى عثمان: مساجد القيروان، دار عكرمة، دمشق، 2000، ص94.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و قد أثار الدارسون عديد الأسئلة حول التأثيرات و حول الزخارف و التيجان و غيرها لكن الثابت أن الشكل لم يتغير منذ 221 و 249هـ/ 836 و 864م، و هو إذن يعبر عن الفكرة التي أملت على المسلمين نظام مساجدهم في القرن الثالث الهجري¹، و تعتبر قاعدة أو نظرية الوظيفة في العمارة هي الأساس المقدر لدى البنائين الكبار²، و كان مهندسو القيروان من البناء الكبار و جامع عقبة خير شاهد على ذلك في كل عناصره المعمارية التي تعود إلى العهد الأغلي فرغم استعمالهم لأعمدة و تيجان و مواد أخذوها من المدن القديمة فإنهم عرفوا كيف يوظفونها فجاءت منسجمة متناسقة جعلت جامع القيروان فعلا متحفا أثريا رائعا.

● **مساجد أخرى مشهورة:** باعتبار القيروان مدينة المساجد، فقد ذكر ابن عذارى متحدثا عن تأسيس القيروان و جامع عقبة، ثم أخذ الناس في بناء الدور و المساكن و المساجد، و عمرت، و شد الناس إليها المطايا من كل أفق، و عظم قدرها³، فما هي المساجد التي بنيت في الفترة الأولى من تاريخ القيروان؟ و ما هي مساجد القيروان بصفة عامة؟

ذكرت المصادر مجموعة هامة من المساجد وجدت في خطط القبائل، و بعضها ما زال موجودا إلى الآن، و لا شك أن المساجد الأولى كانت بسيطة⁴، و لم تصمد أمام عوامل الطبيعة والمساجد الباقية تعود دون شك إلى فترات لاحقة و قد خضعت إلى ترميمات و إصلاحات كثيرة عبر العصور لكن الأماكن قد تكون هي نفسها بالنسبة إلى المساجد الهامة المشهورة و التي ذكرتها كتب الطبقات، و أول هذه المساجد:

- **مسجد الأنصار:** أو جامع الأنصار⁵ قرب محرس الأنصار شيده رويغ بن ثابت الأنصاري، و هو هو يقع في خطة الأنصار، أسسه سنة 47هـ/ 667م ليكون محرسا و ذلك قبل أن يختط عقبة

1- أحمد فكري : المرجع السابق، ص22.

2- شيوخ ابراهيم: إشارات و هوامش حول جامع الزيتونة، الحياة الثقافية العدد 82 السنة 22 فيفري 1997، من ص4 إلى ص10.

3- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص21.

4- ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص51.

5- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص27.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

القيروان، و يحتوي المسجد الآن على صحن صغير مربع، 8 أمتار في مثلها، و تحتوي بيت الصلاة على 3 أساكيب و 3 بلاطات.

- مسجد الزيتونة: بناه سنة 93هـ / 712م إسماعيل بن عبيد الأنصاري التابعي، و هو مسجد كبير جليل في وسطه ماجل مستطيل، و بهذا المسجد كان أهل القيروان يجمعون إذا كان بجامع عقبة بناء، ثم إنه تهدم فبناه الشيخ أبو سعيد بن محمد التيمالي سنة 660هـ / 1262م، و هذا المسجد هو اليوم بخارج سورها المحدث بعد القديم، من شيوخ القيروان أن مسجد عبد الله هو الربوة بين كدية القلالين و بين باب نافع الأقدم¹.

- مسجد عبد الرحمن بن اسميفع بن وعلة السيائي: توفي في بداية القرن 2هـ / 8م، ذكره محمد بن سحنون في "الطبقات"، فقال فيه: "من أهل افريقية و بها مسجده و مواليه إلى اليوم"².

- مسجد أبي فتح: درس به عبد الصمد من التابعين الذين سكنوا القيروان³.

- مسجد البهلول بن راشد: قال أبو بكر محمد بن اللباد، و حدثني أبو عثمان سعيد بن محمد قال حدثني من أثق به من أهل العلم أن هرثة بن أعين أقبل في موكبه حتى انتهى إلى مسجد البهلول بن راشد (توفي سنة 183هـ / 799م)⁴.

- مسجد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي: بلغني أن رجلا من أصحابه أتاه يوما فألفاه جالسا في مسجده و هو من أشرف افريقية و كان يسكن القيروان بحارة يحصب⁵.

- مسجد بن أبي نصر: كان موجودا في حياة اسماعيل بن رباح (ت 212هـ / 827م)⁶.

- مسجد محمد بن بشار الزريني الفقيه: من أصحاب سحنون (160- 240هـ / 777- 854م)¹.

1- نفسه، ج1، ص 32- 33، و يذكر صاحب المعالم أيضا أنه المسجد المجاور لمقبرة سحنون، نفسه، ج1، ص 138.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 131.

3- المالكي: المصدر السابق، ص 138.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 137.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 288- 289، عياض: المدارك، المصدر السابق، ج1، ص 480.

6- المالكي: نفسه، ص 336، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 146.

- مسجد عون بن يوسف الخزاعي: (ت 239هـ / 853م)².
- مسجد المقرعة: لعله نسب إلى أبي جعفر بن منصور (ت 307هـ / 918م)³.
- مسجد محمد بن سحنون: لعله بالقرب من باب نافع⁴.
- مسجد عبد الجبار السرتي: من تلامذة سحنون (ت 281هـ / 894م) حومة الجامع⁵.
- مسجد السبت: و يعرف بمسجد الدمنة، و هو بالدمنة، منسوب لأبي محمد الأنصاري الجانِب الغربي⁶، والمسجد في هيئته الحالية يحتوي على صحن مربع حوالي 20 م في مثلها بأروقة ثلاثة على أعمدة، و يحتوي رواق بيت الصلاة على 6 أعمدة و تحتوي بيت الصلاة على 38 عمودا و 9 بلاطات، واحدة رئيسية و 4 على اليمين و 4 على اليسار.
- مسجد أبي ميسرة: و هو على يسار الداخل من باب تونس الحالي⁷، و قد أسس هذا المسجد بعض التابعين آخر القرن الأول الهجري، و كان يعد من أجمل معالم المدينة⁸.
- مسجد حنش الصنعاني⁹: بباب الريح، أنشأه التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني (توفي بالقيروان سنة 100هـ / 718م)، و هذا التابعي و لاه حسان بن النعمان على صدقات الناس بالقيروان¹، والمسجد الحالي أقيم على أنقاض المسجد الذي اختطه حنش بنفسه.

1- المالكي: نفسه، ص 363.

2- نفسه، ص 375.

3- نفسه، ص 398، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج 1، ص 183.

4- نفسه، ص 436، و يسميه عياض مسجد سحنون، القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، م 11، ص 271، النعمان: افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 61.

5- المالكي: نفسه، ص 464.

6- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج 1، ص 27-28.

7- نفسه، ص 30، و يوجد الآن بشارع 7 نوفمبر.

8- البساط: المرجع السابق، ص 18، و أبو ميسرة هو أحمد بن نزار (ت 337هـ) فقيه قيرواني سمع منه ابن أبي زيد، المعالم، نفسه، ج 3، ص - ص 41-44.

9- يوجد الآن بشارع أبي زمعة البلوي.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

- مسجد أبي عبد الرحمن الحبلي: بدرب أزهر قرب باب تونس، و قال أبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق: "هو مسجد الرباطي" بناه أبو عبد الرحمن سنة مئة من الهجرة²، و يسمى الآن سيدي غيث ويتألف من بيت صلاة و صحن و مئذنة و ميضأة، و قد وقع توسيعه وترميمه في السبعينات والثمانينات من القرن³20.

- مسجد علي بن رباح اللخمي: جوار باب نافع على يمين الخارج قبل أن يخرج، و قد ولد علي سنة 15هـ/636م عام اليرموك، و مات بافريقية سنة 114هـ/732م، و قيل 117هـ/735م⁴، ومكانه غير معروف الآن.

- مسجد زياد بن أنعم المعافري: و قد سكن زياد بن أنعم القيروان و اختط بها دارا و مسجدا في ناحية باب نافع⁵، و مكانه غير معلوم الآن.

- مسجد عبد الله: ذكره بعض المؤرخين مثل أبي بكر المالكي، و محمد بن يوسف الوراق، قيل هو عبد الله بن الزبير، و قيل عبد الله بن سعد بن أبي سرح، و هو عند باب عبد الله الأقدم و قد اندرس باب عبد الله هذا باندراس رسوم القيروان و اندراس المسجد المذكور و ذكر الدميني الضرير، وهذا المسجد يلاصق السور القديم من الجبلي و هو خارج القيروان بقرب تربة الشيخ أبي زمعة⁶.

- مسجد يحيى بن عمر: قرب حمام النعمان (في حومة الجامع) و قد توفي يحيى سنة 289هـ/902م بسوسة⁷.

- مسجد أبي جعفر أحمد بن أبي سليمان داود الصواف: (ت291هـ/904م)⁸.

1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 57-121.

2- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص 30-31.

3- نجوى عثمان: مساجد القيروان، المرجع السابق، ص214.

4- نفسه، ص- ص 31-201.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص128، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص87.

6- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص31، ج2، ص 114-239.

7- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص494، ابن ناجي: نفسه، ج2، ص244.

8- المالكي: نفسه، ص506.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

- مسجد ابراهيم الدميني المتعبد أو مسجد الخميس: بناه أبو اسحاق ابراهيم بن المضاء الزاهد صاحب سحنون بالدمنة أيضا، و يجتمع بهذا المسجد الصلحاء و القراء كل يوم خميس¹.
- مسجد الخضر: سكنه اسحاق الطانونة في بداية القرن 4هـ / 10م².
- مسجد أبي عياش الفقيه صاحب سحنون³
- مسجد أبي زرحونة... و كان من أصحاب البهلول⁴
- مسجد محمد بن خيرون الأندلسي المعافري: بناه في سنة 252هـ / 866م بالآجر و الجص والرخام، و بني فيه جبابا للماء⁵، و قد قتل ابن خيرون هذا سنة 301هـ، و هو صاحب المسجد الشريف و الفنادق المجاورة للسجن⁶، و يعرف المسجد الآن بمسجد ثلاثة ببيان⁷، و يقع الجامع في محلة الزيادة⁸، و يقابل سوق "الرهادرة" الذي بقي إلى اليوم مجددا في سوق النساكين "الجرابة" في المنطقة التي تضم أيضا مسجد ابن خيرون الآخر و حمام الزغبار الذي سماه المالكي بحمام النعمان ومسجد يحيى بن عمر الملاصق للحمام⁹، و يسمى الشارع الآن بشارع باب القدة¹⁰.

1- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص32.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص139.

3- نفسه، ج2، ص152.

4- نفسه، ج2، ص204.

5- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص114.

6- نفسه، ج1، ص169.

7- (G) Marçais, Manuel, op.cit, p37. -7

8- ياقوت الحموي: المعجم، المصدر السابق، م3، ص162 و المحلة هي الحي.

9- ابراهيم شيوخ: مسجد ابن خيرون في كتاب "القيروان دراسات حضارية"، منشورات مركز الدراسات الاسلامية بالقيروان، جامعة الوسط، د.ت، ص57.

10- المنجي الكعبي: مسجد ابن خيرون الأندلسي بالقيروان، الفكر، العدد 7، السنة 31، أبريل 1986، ص30.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و تتكون بيت الصلاة من ثلاث بلاطات قسمت بعمق ثلاثة أساكيب تغطيها أقبية¹ متقاطعة على النمط المتأخر، و مسجد ابن خيرون صغير الحجم مربع الشكل يسع نحو من أربعين أو خمسين مصليا²، وتبلغ مساحته بالتدقيق 10 أمتار في 9.50، و في كل من البائكتين المسهمة في حمل السقف ثلاث عقود نصف دائرية متجاوزة ترتكز كل منهما على عمودين، و تستند أطرافهما إلى دعامتين ملتصقتين بجانب جداري المبنى، و في محور جدار القبلة محراب غائر عليه طاقة معقودة بعقد منكسر متجاوز³، و أهم ما بقي من مظهره الأصلي الواجهة التي على الشارع، و تتمثل في مساحة عريضة فوق أبواب المسجد الثلاثة قد نحت على حجارتها نص التاريخ بكوفي الوقت البارز البسيط الرائع و ذلك وسط أرضية من الزخارف البارزة المتألقة من الزهور و الأشكال الهندسية و هي من أجمل ما ابتدعته قريحة الصانع المسلم⁴، كما نقرأ في الشريط الأول (فوق التاريخ) الآيتين 70 و 71 من سورة الأحزاب منقوصة من ﴿ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾⁵، و الأبواب الثلاثة أكبرها الأوسط الذي يقابل المحراب و على جانبيه بابان أصغر حجما، عليها تيجان قديمة كورنثية و بيزنطية تفصل بينها و بين أرجل العقود وسائد حجرية و عليها بقايا زخرفية محفورة و تأكلت لضعف الحجارة الرملية و طول المدى من التعرض الخارجي لعوارض الطقس⁶.

أما الصومعة فقد أصيقت في فترة لاحقة، و كان ذلك فيما يبدو زمن تجديد المسجد في أواسط العصر الحفصي سنة 844هـ / 1440م، مما هو مسجل على الواجهة أيضا في شريط تحت تاريخ بنائه الأول⁷.

(G) Marçais, Manuel, op.cit, p37.

-1

2- الكعي: المرجع السابق، ص30.

3- شيوخ: المرجع السابق، ص58.

4- زيبس سليمان مصطفى، الفنون الإسلامية في البلاد التونسية، المعهد القومي للفنون و الآثار، تونس 1978، ص22.

5- سورة الأحزاب، الآيتان 70 و 71.

6- شيوخ: المرجع السابق، ص61.

7- الكعي: المرجع السابق، ص33، و الصومعة في الزاوية الشمالية، و أضلاع قاعدتها 3.50 و بسببها سد جزء من الواجهة الواجهة و يصعد جسم الصومعة رأسيا و لها مدخل واحد يفتح على قاعة الصلاة يؤدي إلى سلم صاعد يلتف على قاعدة مربعة

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

- مسجد ابن خيرون الآخر: على يمين الداخل باب القدة و هو مسجد بسيط البناء إلا أن بقايا وسائد أعمدته الخشبية المنقوشة تشير إلى أنها من أعمال القرن الثالث¹.
- مسجد أسد بن الفرات المجاور لبئر روضة²
- مسجد السدرة: تعبد فيه واصل ابن عبد الله (ت 367هـ / 978م)³.
- مسجد أبي بكر بن أبي عقبة⁴
- مسجد ابن اللحام⁵
- المسجد الذي بجوار حمام أبي اسحاق: جوار درب الأقرع بن بكار⁶.
- مسجد ابن غانم⁷
- مسجد أبي فهر: قد يكون في خطة الفهريين عشيرة عقبة بن نافع⁸.
- مسجد أم الأمير⁹.
- مسجد الزاقول: كان يأوي إليه غلبون بن الحسن بن غلبون (ت 291هـ / 904م)¹⁰.
- مسجد الحدادين: كان موجودا في الثلث الأول من القرن 4هـ / 10م¹¹.

وتتسرب الإضاءة إلى داخلها من كوى تظهر على الواجهة، و على مستوى سطح المسجد يوجد باب صغير يفتح عليه، و في الطبقة العليا و على واجهات ثلاث، فتحات من عقود مزدوجة ذات طراز أندلسي، شيوخ: المرجع السابق، ص 60.

- 1- شيوخ: نفسه، ص 57.
- 2- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج 4، ص 190، و قد يكون بني تحليدا لذكر هذا الفقيه، إدريس: المرجع السابق، ص 15.
- 3- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج 3، ص 85.
- 4- نفسه، ص 86.
- 5- نفسه، ص 91.
- 6- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 2، ص 151.
- 7- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج 3، ص 219.
- 8- الرقيق القيرواني: تاريخ، المصدر السابق، ص 149.
- 9- نفسه، ص نفسها.
- 10- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج 2، ص 223.
- 11- نفسه، ج 3، ص 32.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

- مسجد أبي مسلم: مسجد سلف أبي اسحاق ابراهيم بن أحمد الجبيني¹.
و ذكرت الباحثة نجوى عثمان مساجد أخرى لفقهاء عاشوا إلى الثلث الأول من القرن 4هـ/
10م، منها مسجد أبي بكر بن اللباد (ت 333هـ / 944م) و موقعه في حومة الجامع و أبي جعفر
القصري (ت 322هـ / 934م)، و يقع في حومة الجامع أيضا مثله مثل مسجد ربيع القطان
(ت 334هـ / 945م) و مسجد سعيد بن الحداد (ت 302هـ / 315م) و مسجد عيسى بن مسكين
(ت 295هـ / 908م) و مسجد الكتاني (ت 327هـ / 939م) و مسجد يحيى بن سلام (ت 200هـ /
816م) في حومة الأشراف و مسجد شقران (ت 186هـ / 802م) بحومة الأشراف أيضا و غير ذلك
من المساجد².

و قبل ختم الحديث عن المساجد القديمة لا بد من ابداء الملاحظات التالية:

- لم تصلنا كل المساجد فقد ذكر ابن ناجي أن الشيخ الدباغ ذكر بقية المساجد السبعة، و هي غير
معلومة المكان الآن، لاستيلاء الخراب على جل مدينة القيروان، فحذفت ذكرها لذلك، فهذه
المساجد السبعة المشهورة بالفضل، هي أقدم المساجد بالقيروان لأنها خُطت في أول خطة³.
- وجود سبعة مساجد خُطت في أول خطة و هذا دليل على وجود 7 أسباع.
- لم تصلنا من المساجد القبليّة إلا مواقع مسجد الأنصار و مسجد الزيتونة و مسجد أبي ميسرة⁴.
- أعتقد أن هذه المساجد كانت بسيطة جدا، ثم دخل عليها التحسين شيئا فشيئا، و نمت بنمو
الحضارة العربية الافريقية كما حصل لجامع عقبة حتى أصبحت من أبهى المشاهد في العالم
الاسلامي⁵.

1- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، م3، ص497.

2- عثمان: مساجد القيروان، المرجع السابق، ص- ص 213- 216.

3- ابن ناجي: العالم، المصدر السابق، ج1، ص30.

4- نفسه، ص- ص 27- 30.

5- حسن حسني عبد الوهاب : بساط العقيق، المرجع السابق، ص19.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

- بعض المساجد ترد في المصادر بتسميات مختلفة و ذلك لتغير هذه التسميات خلال العهود المتعاقبة.

● المنشآت الدينية غير الاسلامية: عاشت في القيروان منذ تأسيسها أقليات غير اسلامية جلبتها التجارة أو العمل في مدينة بدأت تستقطب الكفاءات من أهل البلاد الأصليين للعمل في الدواوين قبل تعريبها مثل دار الضرب¹، و لما ازداد عدد هذه الأقليات المسيحية طالبت بإنشاء كنيسة، فقد طلب قسطاس النصراني من الفضل بن روح بن حاتم أن يأذن له في بناء كنيسة، فأذن له، فبنى الكنيسة التي يقال لها كنيسة قسطاس² و قد تكون هناك كنائس أخرى للمسيحيين، و ليس من الغريب أن توجد بيعة لليهود أو بيع بما أنه قد وجدت سوق لليهود³.

● المصليات: هي الشكل الأول للمسجد: "فهي عبارة على ساحة متسعة مربعة في الغالب يحيط بجھاتها الأربع جدار قصير الارتفاع من غير سقف، و في قبلتها محراب بسيط الوضع و قد خصصت هذه المعالم للاجتماعات العامة كصلاة العيدين، و الاحتفال بالمواسم، و بيعة الأمراء و غير ذلك من المواكب التي تستدعي ساحات متسعة لاحتواء أعداد كبيرة من الناس"⁴.
و من أشهر المصليات:

- مصلى باب نافع: عند باب نافع، شرق جامع عقبة و قرب مقبرة باب نافع⁵.
- مصلى باب سلم: و هو بقرب باب سلم⁶ مقبرة قريش (الجناح الأخضر حاليا) التي دفن فيها يزيد وروح أبنا حاتم المهلبي و لعله أيضا مصلى العيد¹.

1- عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج1، ص- ص 400- 405.
2- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية و المغرب، المصدر السابق، ص150، المالكي: الرياض، ج1، ص32، و القاضي عياض: المدارك، المجلد 1، ص613.
3- أبو العرب: طبقات علماء افريقية، المصدر السابق، ص130.
4- عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص19، و قد وجدت المصليات في الكوفة، الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص29.
5- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص101.
6- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية و المغرب، المصدر السابق، ص136.

- مصلى روح: بباب أبي الربيع، في الطرف الشرقي من شارع السماط الكبير بين الوادي و الباب².
- مصلى الجنائز: عند باب تونس قرب آبار حديج³.

و بهذه المصليات كان الولاة و الأمراء يصلون على جنائز كبار العلماء لقربها من أبواب المدينة والمقابر⁴، و قد لعبت هذه المصليات أدوارا أخرى كتجميع الجيوش أو الاستعداد للثورة فقد عسكر تمام بن تميم، عند مصلى روح بن حاتم⁵، كما خرج أبو العرب و خرج جميع الفقهاء و وجوه التجار إلى المصلى بالسلاح الشاك و العدة العجيبة التي لم ير مثلها، و ضاق بهم الفضاء⁶ في إطار ثورتهم على الفاطميين مع أبي يزيد مخلد بن كيداد.

2- العمارة المدنية: و في مقدمتها نذكر:

● دار الإمارة: اختطها عقبة بن نافع في قبلي الجامع الأعظم، و اتخذ لها من الخمس ما يتخذ الأمراء لحرس المسلمين⁷، و أعاد حسان بن النعمان بنائها أو ربما قام بتوسيعها في نفس الوقت الذي كان فيه يجدد جامع عقبة لأنه يعتبر المنظم لولاية افريقية⁸، و توفرت لديه الأموال و استطاع أن يفرض الأمن والاستقرار و مهد افريقية و وضع الخراج على البربر و العجم و هذا يتطلب مقرا للدواوين، و كانت هذه الدواوين حول دار الإمارة التي لا بد أن تكون قد توسعت إن لم تكن

1- نفسه، ص نفسها.

2- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية و المغرب، المصدر السابق، ص170.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص93، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص142.

4- حسن حسيني عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص19-20.

5- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص170.

6- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص341.

7- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص12-97.

8- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص201، دون الدواوين و وضع الخراج على عجم افريقية و على من أقام معهم على النصرانية من البربر و عامتهم من البرانس إلا قليلا من البتر، و أقام حسان حتى استقامت له البلاد ثم توجه إلى عبد الملك بغنائمه.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

تجددت و كانت تضم مختلف مصالح الحكومة مثل ديوان الخراج و الجند و الرسائل¹ و ديوان العطاء²، و قد دامت مقر الحكومة و مسكن الولاة من طرف الأمويين و العباسيين³ إلى أن انتصبت انتصبت الدولة الأغلبية⁴ لأن ابراهيم بن الأغلب اشترى موضع القصر القديم و ابنتى قصرا و انتقل من دار الإمارة و صار إلى قصره بعبيده و أهله و حشمه و أهل بيته⁵، وأضحت دار الإمارة خاصة للداووين⁶، و مقرا لعامل القيروان في عهد الأغلبة، و قد تولى هذا المنصب في عهد ابراهيم بن الأغلب معد بن عقال خال ابراهيم⁷، كما كان ابراهيم بن أحمد واليا على القيروان⁸، قبل أن يصبح يصبح أميرا، و بقيت دار الإمارة إلى نهاية العهد الأغلبي فلما دخل ابراهيم بن أبي الأغلب مدينة القيروان بعد هزيمة الجيش الأغلبي بالأريس سنة 296هـ/ 908م، و فرار زيادة الله قصد دار الإمارة فنزل بها⁹، و لا شك أن حسن بن أبي خنزير عامل القيروان¹⁰ من قبل الشيعة كن يقيم بها.

● منشآت مدنية هامة أخرى: قبل الحديث عن المنشآت المدنية لا بد من معرفة القبائل التي شاركت في عملية الفتح الأولى، علما أن فتح افريقية كان من انجاز جيش مصر مع عناصر أخرى كان يرسلها الخلفاء كل مرة كتلك الجيوش لإخماد ثورات البربر و التي تكون قد غيرت تركيبة عرب افريقية من سنة 50هـ إلى 184هـ، فقد أورد أبو العرب في طبقاته أسماء أشخاص استوطنوا افريقية و تطابق أسماءهم أسماء القبائل التي شاركت في فتح مصر و هم من رعين، لحم، المعافر، غافق،

1- عبد الوهاب: الورقات، ج1، ص410.

2- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص71.

3- أضاف يزيد بن حاتم طباقا لمبنى دار الإمارة، الرقيق: المصدر السابق، ص131، و كذلك الزبيدي محمد، بن الحسن: طبقات النحويين و اللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة الخانجي، القاهرة 1954، ص247.

4- عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص24.

5- الرقيق: المصدر السابق، ص187.

6- البساط: المصدر السابق، ص83.

7- الرقيق: المصدر السابق، ص195.

8- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص116.

9- القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1986، ص238.

10- المالكي: المصدر السابق، ج2، ص48.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

يحبس، خولان، كنانة، و مهرة لكنه أورد أسماء من قبائل لا نجد ذكرا لها فيما رواه ابن عبد الحكم وهي: همدان، أسد، بنو جمح، بنو ليث، تنوخ، خزاعة، قيس، لحيان، كندة¹، لكن هذه القبائل الأخيرة غير متجانسة فبعضها بطون بني جمح و بني ليث، و بعضها تجمع قبلي تنوخ.

و أورد المالكي في الرياض أسماء أشخاص ذكرت في فتح مصر من القبائل الآتي ذكرها: خولان، كنانة، لحم، سبأ، تجيب، المعافر، رعين، حضر موت، يحصب، غافق و الأزدي، إذن أضاف المالكي إلى أبي العرب قبائل: سبأ، و تجيب و حضر موت و لم يذكر قبيلة مهرة، لكنه ذكر أسماء لشخصيات ترجم لها تنتمي إلى قبائل كثيرة لم يرد ذكرها في خطط مصر و هي: مزينة، هذيل، خزاعة، بنو ليث، بنو يلي، همدان، عيس، بنو جمح، كندة، تنوخ، خزاعة، أسد، سليم، بنو مسلية وصمادح².

و أورد الخشني في طبقاته أسماء لشخصيات تنتمي إلى قبائل: تجيب، رعين، خولان، تنوخ، بجلة، غنم، صدف و فزارة³.

و أورد الزبيدي أسماء أشخاص من قبائل: كلب، مهرة، مراد، حضر موت، غسان، جهينة وفزارة⁴.

و أورد القفطي نحاة ينتمون إلى قبائل: مهرة، خشين، تنوخ⁵.

و أورد ابن الآبار أسماء أشخاص ينتمون إلى قبائل: كندة، الأزدي، تميم، ربيعة، تيم، قيس، حمير، وغافق⁶.

1- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، من كامل الكتاب.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، من كامل الكتاب.

3- الخشني، محمد بن الحارث بن أسد: طبقات علماء افريقية لأحد بن محمد الطلمنكي د.ت.

4- الزبيدي: طبقات النحويين و اللغويين، المصدر السابق، من ص245 إلى 272.

5- القفطي، جمال الدين علي بن يوسف: أنباء الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة 1950، 3 أجزاء.

6- الحلة السيرة: المصدر السابق، جزان.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و هناك قبائل لم ترد في طبقات أبي العرب و الحشني و الزبيدي و القفطي و رياض المالكي و حلة ابن الأبار مثل: ثقيف، يافع، فهل ساهمت هذه القبائل في فتح افريقية أو لا؟

و قبل أن نحصل قائمة القبائل التي اختطت في القيروان نذكر أن محمد الواقدي ذكر في فتوح افريقية القبائل التالية: طيء، لحم، حدام، غسان، هذيل و ربيعة¹.

كما ذكر ابن عبد الحكم في فتوح افريقية في جيش عبد الله بن سعد: مهرة (600 عنصر)، غنث من الأزدي (700)، ميدغان، كما ذكر رجل من لحم أو حدام و جماعة من المهاجرين (قريش) و الأنصار²، و نؤكد هنا أن قيادة جيوش الفتح كانت قبل حسان بن النعمان دائما من قريش أو الأنصار و مواليهم.

فما هي القبائل التي اختطت في القيروان و ما هي انتماءاتها في جزيرة العرب، شمالية أو جنوبية أم عدنانية أم قحطانية؟

و نظرا لصعوبة الفتح و امتداده على فترة طويلة، فإن القبائل التي ساهمت في الغزوة الأولى (27هـ/ 647م)، قد تكون عادت للحصول على المزيد من الغنائم و قد يكون بعضها فضل الاستقرار في مصر أو عاد إلى المشرق في فترة تميزت بالاضطراب (الفتنة الكبرى و ظهور المعارضة الشيعية و الخارجية).

و تنتمي أغلب القبائل التي ذكرتها المصادر إلى القبائل اليمنية (قحطان 44/31) (13) عدنانية).

لقد كانت مصر هي قاعدة الارتكاز لفتح افريقية، و كان جيش مصر يمثل النواة الأولى للجيش القادم إل افريقية، فما هي القبائل المساهمة في جيش مصر؟

1- الواقدي، محمد، فتوح افريقية، مطبعة المنار، تونس 1966، ج1، ص- ص 14- 25، و الملاحظ أن طيء و ربيعة لم ترد في المصادر الأخرى.

2- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، من ص 183 إلى ص 225، و كان جيش عبد الله بن سعد ذلك عشرين ألفا، نفسه، ص 184.

يقول ابن عبد الحكم أن عمر بن الخطاب عقد لعمر بن العاص على أربعة آلاف رجل كلهم من عك، و يقال بل ثلاثة آلاف و خمسمائة... حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب مثله إلا أنه قال ثلثهم غافق¹، و معلوم أن عك من العدنانية و غافق بطن من عك من العدنانية²، و يضيف نفس المؤلف أن عمرو بن العاص أقبل حتى إذا كان بجبل الحلال نفرت معه راشدة و قبائل من لحم³، و راشدة بطن من لحم من القحطانية و لحم قبيلة من كهلان من القحطانية⁴، و يضيف:

يوم لهمدان و يوم للصدف... و المنجنيق في بلي تختلف⁵

و همدان و الصدف و بلي من القحطانية⁶.

و التفسير الآخر لكثرة القبائل اليمنية في جيش عقبة يعود للخليفة، يقول ابن الأثير: "فلما استعمله معاوية سير إليه عشرة آلاف فارس"⁷، و المعروف أن القبائل اليمنية كانت عماد الدولة السفينانية⁸، وكان جيش الشام، الذي سير منه معاوية جيش عقبة، ينقسم إلى أربع مجموعات جند: في فلسطين و الأردن، في دمشق و في حمص⁹، و يذكر اليعقوبي أن أهل حمص جميعا يمين من طيء وكندة و حمير و كلب و همدان و غيرهم من بطون اليمن... و الأغلب على مدينة دمشق أهل

1- ابن عبد الحكم : فتوح مصر، المصدر السابق، ص56.

2- ابن حزم: جمهرة الأنساب، المصدر السابق، ص328.

3- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص58.

4- ابن حزم: المصدر السابق، ص329.

5- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص62.

6- ابن حزم: المصدر السابق، ص- ص 392- 442، و عن الصدف أنظر الهمداني، حسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات و البحوث اليمني، ط3، بيروت 1983، ص100.

7- ابن الأثير: الكامل، المصدر ج3، ص230.

8- حيث يذكر الطبري أن معاوية تزوج من يمينتين، ميسون و نائلة، كما صير على شرطته قيس بن حمزة الهمداني، ثم عزله، واستعمل زميلا له المختار العذري، و يقال سكسكي و على حرسه رجل من الموالي يقال له المختار مولى لحمير و استقضى أبا إدريس عائذ الله بن عبد الله الخولاني و كان على ديوان الخاتم عبد الله بن محصن الحميري، الطبري: التاريخ، ج5، ص 329-330.

9- هشام جعيط : الفتنة، المرجع السابق، ص49.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

اليمن... و أهل جند فلسطين أخلاط من العرب من لحم و جذام و عاملة و كندة و قيس وكنانة...¹، و عموما كان جيش الشام يضم عناصر من قضاة في عداد العرب المستقرين قديما في سوريا مثل كلب، بلي، جذام، بهراء، و غسان.²

إن الخطط في القيروان شملت القرشيين و مواليهم و الأنصار و مواليهم، و بذلك تكون خطط القيروان متطابقة مع خطط الكوفة لكن خطط قریش و الأنصار و مواليهم في القيروان عوضت منازل الصحابة و الأمراء و الوجوه.³

و كان لكل قبيلة مسجدها و رحبتها (ساحتها)، فكيف توزعت بقية القبائل على باقي

فضاءات المدينة؟

نعتقد أن أقرب الخطط إلى الفضاء المركزي كانت خطط القبائل التي لها السابقة (دخلت

الاسلام قبل غيرها) و مواليها من الفرس و الأنباط⁴، و حتى البربر إذ يقول ابن الأثير آخذا عن أهل التاريخ من المغاربة أن عقبة دخل افريقية و انضاف إليه من أسلم من البربر فكثرت جمعه⁵، كما يذكر ابن عبد الحكم "الدليل"⁶، و لا شك أنه من البربر الذين أ¹⁵⁵لموا و المؤكد أنه من بربر برقة و طرابلس اللتان ظلتا مركزا و معقلا للقوات العربية إلى أن قام عقبة بن نافع ببناء مدينة القيروان⁷.

و نظرا لتعذر رسم مخطط عمري لكل قبيلة في فضاءات القيروان نفترض المخطط التالي

والمنشآت التالية:

- 1- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص- ص 324- 329.
- 2- هشام جعيط: المرجع السابق، ص 49.
- 3- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 310- 311.
- 4- النبط و النبط أو الأنباط: جيل ينزلون سواد العراق، ابن منظور: لسان العرب، المجلد 6، ص 568، أنظر كذلك يحيى بن آدم القرشي: كتاب الخراج، دار الحداثة، بيروت 1990، ص 399.
- 5- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج 3، ص 230.
- 6- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص 195.
- 7- مفتاح صالح مصطفى: لسا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات الشركة العامة للنشر و التوزيع والإعلان، طرابلس 1978، ص 6.

● المسالك و الممرات و الطرق: و التي تنقسم بدورها إلى قسمين:

- المناهج الرئيسية¹: قد تبين لنا أن مربع السماط تتفرع منه السكك و قلنا أن عمر بن الخطاب أمر محتطي الكوفة و البصرة أن يجعلوا المناهج أربعين ذراعاً، و ما يليها ثلاثين ذراعاً، و ما بين ذلك عشرين، و بالأزقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء²، و على غرار الكوفة كانت القيروان تضم شارعين رئيسيين يلتقيان في الفضاء المركزي "مربع السماط" الذي كان يضم المسجد الجامع و دار الإمارة و الرحاب المحيطة بهما، و الرحبة وجدت في كل الأمصار الإسلامية³، و سميت في القيروان "رحبة التمر"⁴، و قدم البكري وصفاً دقيقاً للسماط، و كان سطحاً متصلًا فيه جميع المتاجر والصناعات⁵، فهل كانت السكك متشابهة لهذا الشارع الرئيسي الشهير؟ و هل حافظت على اتساعها و ترتيبها الأولي؟

قد تكون الشوارع الأولية متوازية مع السماط و مع الطريق المتعامد معه، و نعتقد أن سكك القيروان كانت متشابهة لسكك الكوفة و إن توصية عمر أخذت بعين الاعتبار من طرف الصحابة والتابعين الذين كانوا مع عقبة، و لا ريب أن المناهج كان كثيرة و كذلك الأزقة و الدروب⁶، و قد ذكرت المصادر بعضها.

- الأزقة و الدروب: فمن الأزقة ذكرت المصادر زقاق ابن دينار، زقاق بني غانم، زقاق الروم، زقاق السقطين، زقاق الفرانين⁷، و زقاق ابن حسنة¹، و ذكرت المصادر ساباط ابن العزفي².

1- المناهج : الطريق الواضح، و النهج: الطريق المستقيم، ابن منظور: لسان العرب، مجلد 6، ص727.

2- الطبري: تاريخ الرسل، المصدر السابق، ج4، ص44.

3- وجدت في الكوفة رحبة غرب القصر و الجامع تسمى رحبة علي بن أبي طالب، الطبري: ج4، ص46، كما وجد في الفسطاط فضاء لموقف خيل المسلمين، ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص108، كما وجدت الرحبة في البصرة التي يقال لها اليوم رحبة بني هاشم، و كانت تسمى الدهناء، البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص484.

4- الرقيق: تاريخ إفريقية و المغرب، المصدر السابق، ص149.

5- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص677.

6- الدرب: باب السكة الواسع... و هو أيضا الباب الأكبر و المعنى واحد، و الجمع دراب أو دروب، ابن منظور: لسان العرب، مجلد 2، ص961، الدرب: النهج و الزنقة، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص242.

7- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 274- 405.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

- و كانت القيروان تضم في فترة تدوين المقدسي لكتابه أحسن التقاسيم (حوالي 375هـ/986م) خمسة عشر دربا³ منها الدروب التي تحمل أسماء الأبواب المفضية إليها⁴ و هي:
- **درب الربيع:** و الصواب درب الربيع نسبة لباب الربيع، و يقع في خطة أهل الراية.
 - **درب عبد الله:** ينسب لعبد الله بن الزبير و يفضي إلى باب عبد الله الذي ينطلق منه طريق سوسة، و تنسب كتب الفتوح إلى عبد الله بن الزبير فتح سوسة⁵.
 - **درب تونس:** يفضي إلى باب تونس و يقع في خطة أهل الراية و في خطة قريش على وجه الدقة⁶.
 - **درب أصرم:** يفضي إلى باب أصرم.
 - **درب أسلم:** يفضي إلى باب أسلم و يقع في خطة أهل الراية.
 - **درب سوق الأحد:** يقع غربي المدينة و هو من أكبر أسواق القيروان، تباع بها الأقمشة والفخار⁷.
 - **درب نافع:** يفضي إلى باب نافع و يقع في خطة قريش و ينسب إلى نافع أب مؤسس مدينة القيروان.
 - **درب الحذائين:** ينسب إلى صانعي الأحذية.
- و ذكر المالكي: درب ابن دينار، درب الأقرع بن بكار، درب عابد بن سودة، درب المهدي، درب السنجاري، درب البهلول¹.

1- ابن ناخي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص122.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص151، و ساباط: ممر مسقف.

3- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص225-226.

4- الدروب داخل المدينة لأن القيروان كانت مدينة مفتوحة بين 209 و 444هـ، أنظر:

lézine, notes d'archéologie, op :cit, 69.

5- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص16.

6- أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص226، المعالم، المصدر السابق، ج3، ص8.

7- إدريس الهادي روجي: الدولة الصنهاجية، تعريف حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1992، ج2، ص20.

و ذكر صاحب المعالم: درب أزهر، درب أم أيوب، درب الهذلي، درب السكة².

و ذكر الرقيق: درب ابن طفيل في سوق اليهود جنوب سماط القيروان³.

و نلاحظ هنا أن هذه الدروب تعود إلى الفترة الأغلبية و الفاطمية- الزيرية لكن الأماكن لا

تتغير إن تغيرت الدور و تغير سكانها، فكيف كانت هذه الدروب في عهد التأسيس و عهد الولاية؟

تفيدنا كتب الطبقات و الأحكام ما يدل على أن السكك و المناهج كانت واسعة تستجيب

لتوصية عمر بن الخطاب المذكورة سابقا لكن الناس أخذوا يوسعون دورهم على حساب الأزقة والطرق⁴.

● **الحمامات:** لقد ذكر البكري أن في القيروان ثمانية و أربعين حماما⁵، و هذا الرقم ليس مبالغا فيه

فقد كان في صبرة أيام عماراتها ثلاثمائة حمام أكثرها للديار، و باقيها مبرز للناس كافة⁶، و في

وصفه لمدينة قرطبة ذكر المراكشي أن عدد حماماتها ثلاثمائة حمام⁷، و قد أمر المنصور عند تأسيس

بغداد أن يتبنوا في جميع الأرياص و الأسواق و الدروب من المساجد و الحمامات ما يكتفي بها

من في كل ناحية ومحلة، و أحصيت الحمامات فكانت عشرة آلاف حمام⁸، و ذكر الوزان في

بداية القرن السادس عشر للميلاد أن في فاس مائة حمام جيدة البناء حسنة الصيانة، بعضها صغير

و بعضها كبير⁹، فكم كان عدد حمامات القيروان في فترة الولاية؟

1- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 171 - 203 - 310، و ج2، ص- ص 151 - 362 - 405.

2- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص180، ج2، ص63، ج3، ص- ص 49 - 98.

3- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص130.

4- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص324، ابن الرامي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللخمي: الاعلان بأحكام

البنيان، تحقيق فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، تونس 1999، ص- ص 89 - 101.

5- البكري : المسالك، المصدر السابق، ج2، ص678.

6- الادريسي أبو عبد الله محمد، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق محمد حاج صادق، بلجيكا 1983، ص146.

7- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج2، ص232.

8- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص242.

9- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف افريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي،

الطبعة التالية بيروت 1983، ج1، ص229.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و لا شك في وجود عدد مماثل لما ذكره البكري الذي يعتمد على ما كتبه الوراق (ق 4هـ/10م)، لكن لا يعني ذلك انعدام الحمامات، و قد ذكرت المصادر حمامات تعود إلى القرنين الثاني والثالث للهجرة (8 و9م) و منها:

- **حمام النعمان:** قرب مسجد يحيى بن عمر¹، و يسمى الآن حمام الزغبار نسبة إلى القائد الحفصي الحفصي زغبار، و يعود إلى النصف الأول من القرن الثالث للهجرة و يوجد في حي "الزيادية" في سوق "الرهادرة" (سوق الجرابة الآن)² و تبلغ مساحته حوالي 200م² (20م طولاً و 10م عرضاً) منها أقل من النصف للبيت الباردة و البقية للبيت "الوسطى" و قاعتين "للسخون" و حيطان الحمام مبنية بالحجارة و له باب كبير يعلوه قوس³.

- **حمام أبي اسحاق:** بناه ابن العزبي و قال: أخرجت ألف دينار أبني حماما يكون عدة لولدي بعدي، و هو يقع قرب ساباط ابن العزبي في جوار "درب الأقرع بن بكار"⁴، و هو غير موجود الآن.

- **حمام أبي الربيع:** قرب باب أبي الربيع، كان موجوداً في عصر سحنون (ت 240هـ / 854م)⁵، وهو غير موجود الآن.

- **حمام الجزارين:** كان ريعه حسباً على القصر الجديد (قصر سهل)⁶ و هو غير موجود الآن.

1- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص494.

2- شبوح: مسجد ابن خيرون، المرجع السابق، ص 57-58.

3- الحمام في وضعه الحالي.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص- ص 149-151.

5- الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج9، ص571.

6- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص483، و قصر سهل بناه الفقيه سهل بن عبد الله بن سهل القبرياني "قبلة مدينة مدينة سوسة قبالة قصر الطوب، بينهما و بين سوسة ثلاثة أميال... و توفي سهل سنة 282هـ / 896م"، ابن ناجي: المعالم، ج2، ص196-197.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و يبدو أن عدد الحمامات كان أكثر بكثير و خاصة في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة والقرن الثالث أي في عصر ازدهار مدينة القيروان و بعد استقرار الأمن و سيطرة المهالبة ثم الأغالبة على الثورات الخارجية.

و يرتبط عدد الحمامات بعدد السكان و قد دخل افريقية مع عقبة سنة 50هـ/ 670م 10.000 رجل، و دخلها مع حسان بن النعمان سنة 78هـ/ 697م 40.000 رجل، و دخلها مع كلثوم بن عياض سنة 123هـ/ 740م 30.000 رجل، عشرة آلاف منهم من خالص بني أمية و دخلها مع ابن الأشعث سنة 146هـ/ 763م 40.000، و دخلها مع يزيد بن حاتم سنة 155هـ/ 771م 60.000 و الحملة 180.000 رجل¹، لكن هؤلاء لم يستقروا جميعا بافريقية² ومن باب أولى بمدينة القيروان، لكن يجب أن يعتبر الجمع الذي يصعب تقديره، و المتركب من التجار و حاشية الأمراء المتوالين و الموظفين ودعاة الدين و المغامرين، و أنواع اللاجئين، و أشخاص آخرين كثيرين جذبهم سراب الغنيمة³، و أضيف إليهم من سكن القيروان من البربر المسلمين و كذلك عبيد الفئات المسورة و النازحين من المناطق القريبة والمهاجرين من الأندلس و المغرب و كل هذا يعطينا رقما هاما في مدينة عاصمة لأقاليم شاسعة غنية، فهل كان سكان القيروان أكثر من مائة ألف في العهد الأغلبي؟ أعتبر أن الرقم معقولا⁴، و لذلك يبدو لي أن عدد الحمامات أكثر من أربعين لأنه من غير المقبول أن نجد حماما لأكثر من ألفي ساكن في مجتمع اسلامي تعتبر الطهارة أحد أهم مظاهره، لذلك يعتبر الرقم الذي ذكره البكري معقولا و تضاف إليه الحمامات الخاصة في قصور الأمراء والأثرياء من تجار و ملاكين كبار و غيرهم⁵.

1- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، تعريب المنجي الصيادي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1985، ص 25-26.

2- نفسه، ص26.

3- نفسه، ص26.

4- قدر موريس لومبار سكان القاهرة في القرن 4هـ/ 10م، ب500 ألف، و اتفق عبد الله عنان و موريس لومبار، ليفي برونفسال ودوفورك على تحديد سكان قرطبة في نصف مليون نسمة، أنظر: الاسلام في عظمته الأولى، ترجمة ياسين الحافظ دار الطليعة، بيروت، 1977، ص22، و أحمد الطاهري: عامة قرطبة في عصر الخلافة، منشورات عكاظ، الرباط 1988، ص27.

5- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص17.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

● **الفنادق:** و تسمى أيضا الخانات، و هي مخازن و أماكن للبيع و الشراء و الإقامة المؤقتة¹، وقد انتشرت الفنادق مع ازدهار التجارة و توسع الدولة الاسلامية فهناك علاقة عضوية بين تطور التجارة و نشر الاسلام²، و كان التجار يقتفون آثار الجيوش، فيشترون عبيدا و حجارة كريمة، وأشياء ثمينة يبيعونها بأرباح فاحشة³، و من ضروريات التجارة توفر الفنادق لسكنى التجار، و حتى إن لم تبنى فنادق في فترة التأسيس فلا شك أنها وجدت بعد اتمام الفتح و تنظيم شؤون الولاية الاسلامية الجديدة من قبل حسان بن النعمان و موسى بن نصير، فقد أوردت المصادر أن اسماعيل بن عبيد مولى الأنصار، و هو صاحب سوق مسجد اسماعيل الأحباش و هو الذي يقال له تاجر الله (توفي سنة 107هـ) كان يوجه المولدات و الأعمال إلى المشرق فوجه رفقة كلها له⁴، و هذه البضاعة تدل حسب ظني على وجود الفنادق⁵.

و قد أوردت المصادر ذكر بعض الفنادق في القيروان:

- فندق سكنه عبد الخالق المتعبد القتاب، و هو قرب الجامع⁶.
- فندق يسكنه رجال من أهل الساحل: و تدل الإشارة على كثرة الفنادق، قال سحنون لأحد أصحابه: "اذهب إلى فندق كذا و كذا..."⁷.
- فنادق محمد بن خيرون: قرب جامع الثلاثة ببيان⁸ و هو يواجه سوق "الرهادرة"⁹.
- فنادق بباب سلم¹.

1- Encyclopédie de l'islam, nouvelle édition, khàn

2- الجنحاني: المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص16.

3- جعيط: الفتنة، المرجع السابق، ص61.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 84- 85.

5- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص78.

6- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص- ص 140- 143، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص328.

7- المالكي: نفسه، ج1، ص363.

8- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص169.

9- شيوخ: مسجد ابن خيرون، المرجع السابق، ص57.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و يبدو أن عدد الفنادق كان هاما، حيث ذكر ابن حوقل أن لمدينة سوسة أسواق حسنة وفنادق و حمامات طيبة²، و ذكر البكري أن مدينة قلشانة بها جامع و حمام و نحو عشرين فندقا³ ولا أظن أن سوسة و قلشانة كانتا أكثر فنادق من القيروان فقد ذكر ابن حوقل أن القيروان كانت أعظم مدينة بالمغرب و أكثرها تجرا و أموالا و أحسنها منازل و أسواقا⁴، و ينطبق هذا الوصف على القرن الرابع للهجرة لكن تطور المدينة تم خلال القرنين الثاني و الثالث فقد وصفها اليعقوبي "بالمدينة العظمى"⁵.

دار الضرب: توجد بسوق الضرب⁶، و يقع جوار باب الطراز و بها تصنع النقود و تعدل الأوزان⁷، ويذهب صاحب الورقات إلى أن دار السكة بالقيروان وجدت في القيروان منذ عهد موسى بن نصير و ذلك لوجود نماذج من دنانير الذهب و فلوس النحاس التي ضربها في أواخر القرن الأول للهجرة⁸، و لا شك أن دار الضرب هذه كانت في الدواوين التي أحدثها حسان الذي أمر بنقل الدواوين إلى القيروان خوف الهجوم عليها من البحر⁹ و قد احتفظ العرب بدار الضرب، للمسكوكات لما رأوا من المصلحة في استخدامها والانتفاع بها و ليس من شك أن حسانا استخدم مواهب كثير من أعوان البيزنطيين المحليين و موظفيهم في مصالح الإدارة الجديدة و جيشها الفاتح¹⁰.

-
- 1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص102.
 - 2- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص94.
 - 3- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص681.
 - 4- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص94.
 - 5- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص347.
 - 6- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص673 و باب الطراز يوجد جنوب باب أبي الربيع.
 - 7- عبد الوهاب: بساط العتيق، المرجع السابق، ص23.
 - 8- عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج1، ص401.
 - 9- الثعالبي: عبد العزيز، تاريخ شمال افريقيا، تحقيق أحمد بن ميلاد و محمد إدريس، الطبعة الثانية، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1990، ص71.
 - 10- عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج1، ص400.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

● **السجون:** مؤسسة السجن مرتبطة بالسلطة و قد تكون وجدت في القيروان منذ عهد التأسيس (50هـ/670م) أو في فترة حسان على أقصى تقدير الذي دانت له افريقية و دون الدواوين¹، و قد قد أورد ابن عبد الحكم أن يزيد بن أبي مسلم بن محمد بن يزيد القرشي في السجن بيتا ضيقاً²، و هو السجن الذي سجن فيه الياس بن حبيب سلام بن عبد الرحمن بن حبيب و جماعة من صنائع أبيه ومواليه³، و كان ذلك سنة 138هـ/755م، كما سجن فيه ابن الجارود العديد من القواد سنة 178هـ/794م⁴.

و في القرن الثالث للهجرة أصبح للقيروان أكثر من سجن واحد، سجن للأمير و يبدو أنه كان في العباسية أو في رقادة بعد 264هـ/877-878، و سجن للوزير و يوجد أيضا في المدينتين الأميرتين وسجن لقاضي القيروان قبل سحنون عبد الله بن أبي الجواد⁵، فهل كان سجن سحنون هو سجن دار الإمارة السابق أم هو سجن خاص بالقاضي؟ يبدو أن سجن "الزيادية" هو سجن خاص بالقضاة⁶، وأفترض أن يكون هناك سجنا خاصا بوالي القيروان⁷.

و الأكيد أن هناك مؤسسات مدنية أخرى وجدت في القيروان منذ التأسيس:

● **الأهراء:** و مفردها المهري، و هو بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان⁸، و قد أفرغت أهراء القيروان من الطعام أثناء حصار أبي حاتم سنة 153هـ/765⁹.

-
- 1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص56 و قال القابسي: "و السجن هو سجن المسلمين قديما اختط البلد عليه"،
الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج9، ص571.
 - 2- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص214.
 - 3- الرقيق: تاريخ افريقية و المغرب، المصدر السابق، ص100، و قد أورد ابن خلدون ما يفيد تعدد السجون إذ قال أن حبيب حبيب بن عبد الرحمن خالف عمه إلى القيروان فدخلها و فتق السجون، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج4، ص244.
 - 4- نفسه، ص163.
 - 5- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص- ص98-110، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص90.
 - 6- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص169.
 - 7- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص476 و "الزيادية" حي يوجد فيه مسجد 3 بيان.
 - 8- ابن منظور: لسان العرب، المجلد 6، ص801.
 - 9- الرقيق: تاريخ افريقية و المغرب، المصدر السابق، ص106.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

- الاضطرابات: الاضطراب موقف الدواب¹، و قد اختط عمرو بن العاص في الفسطاط اضطرابا في خطة الأزدي وفضاء لموقف خيل المسلمين²، و يبدو أن هناك اضطرابا للدواب قرب دار الإمارة³.
- دار الطراز: تصنع فيها الملابس الرسمية لرجال الدولة و توضع فيها الألوية، و شارات الإمارة⁴.
- الرحاب⁵: كانت كل خطة من الخطط تحتوي على ساحة أو ميدان أو رحبة يجتمع فيها سكان الخطة من أفراد القبيلة أو البطن تحت إشراف العرفاء عند التحضير للغزوات أو للدفاع عن مدينتهم التي تعرضت إلى هجومات الخوارج و القبائل البربرية، و في القيروان أوجد الذين اختطوها رحبة في المدار المركزي و رحاب أخرى في خطط القبائل و البطون، و تذكر المصادر رحبا كثيرة منها:
- رحبة التمر: و فيها كانت توجد دار الإمارة في قبلة الجامع الأعظم⁶.

- رحبة بني دراج: يصلها الداخل من باب تونس⁷.

- رحبة القرشيين: في خطة قريش قرب باب تونس⁸.

- رحبة الأنصار: في خطة الأنصار من جهة باب سلم⁹.

- رحبة ابن أبي داود: قرب باب الريح جنوب غرب القيروان¹⁰.

و قد تكون هناك رحب أخرى لم تذكرها المصادر كما وجدت فضاءات أخرى مثل موقف الخيل¹.

1- ابن منظور: لسان العرب، المجلد 1، ص 68.

2- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص - ص 98 - 108.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 2، ص 54.

4- الجنحاني: الحبيب: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968، ص 143.

5- الرحبة: ما اتسع من الأرض، و جمعها رحب، و هي ذلك الساحة و المتسع، و تجمع أيضا على رحاب و رحبات و تطلق على الصحراء، بين أفنية القوم و المسجد، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص 1139.

6- الرقيق: تاريخ إفريقية، المصدر السابق، ص 149، البكري: المسالك، المصدر السابق، ج 2، ص 674.

7- أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، المصدر السابق، ص 222، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 235.

8- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج 3، ص 8.

9- نفسه، ص - ص 18 - 26.

10- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 2، ص - ص 485 - 488 - 489.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

● الأرياض: إن مدينة القيروان تطورت في اتجاه الجنوب و الغرب لوجود السبخة في شمالها و الوادي في شرقها²، فما هي أهم الأرياض التي تكونت حول النواة الأصلية لقيروان عقبه؟

يقول المقدسي: "القيروان مصر الاقليم بهي عظيم فهي مفخر المغرب، و مركز السلطان، أرفق من نيسابور، و أكبر من دمشق و أجل من أصبهان تكون أقل من ثلاثة أميال في مثلها"³، و قد قال اليعقوبي قبله: "مدينة القيروان العظمى"⁴، و كذلك ابن حوقل: "القيروان أعظم مدينة بالمغرب وأكثرها تجرا و أموالا و أحسنها منازل و أسواقا"⁵، أما الادريسي فيقول: "و مدينة القيروان أم أمصار و قاعدة أقطار و كانت أعظم مدن المغرب قطرا و أكثرها بشرا"⁶، و ذكر البكري ناقلا عن الوراق أن طول سماط القيروان "من باب أبي الربيع إلى الجامع ميلان غير ثلث و من الجامع إلى باب تونس ثلثا ميل"⁷، و قد ذكر الونشريسي عن القابسي أن سحنون "كان يتعجب و يقول مثل هذا البلد لا يكون له قدر ثلاثة أميال من كل ناحية"⁸.

فالقيروان أكبر من دمشق و أعظم مدينة بالمغرب لا بد أنها كانت تضم أرياضا كثيرة، و قد ذكرت المصادر الأرياض التالية:

- حارة يحصب: ذكرها أبو العرب في طبقاته عند الحديث عن مروان بن عبد الرحمن فقال "كان يحصبيا"⁹ نسبة إلى حارة يحصب بالقيروان التي كان يسكنها هو و آل يحصب.

1- نفسه، ج1، ص190.

2- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص20، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص11.

3- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص- 224- 225، و قد عرف دمشق بأنها مصر الشام و دار الملك أيام بني أمية و ثم قصورهم و آثارهم بنيانهم خشب و طين و عليها حصن أكثر أسواقها مغطاة و لهم سوق على طول البلد مكشوف حسن لا ترى أحسن من حماماتها، نفسه، ص 156- 157.

4- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص347.

5- ابن حوقل: صورة الأرض، ص94.

6- الادريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص146.

7- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص677.

8- الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج9، ص571.

9- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص154.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و يحصب قبيلة عربية من قحطان من القبائل التي ساهمت في فتح افريقية و المغرب و اختطت في القيروان، و حارة يحصب تكون في نواة القيروان الأولى، و لا شك أنها كانت حارة الفئة المحظوظة أي العائلات العربية الثرية فإليها ينسب أيضا أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي الذي كان جوادا شريفا¹، قال صاحب المدارك راويا عن أبي علي بن أبي سعيد: "هو من أشرف افريقية، بشرف بشرف أبيه و بيته و فقهه و أدبه، و كان يسكن القيروان بحارة يحصب المنسوبة إليهم، و أبوه من عربها البلدين من أنفسهم، و له في حرب البرابرة بلاء حسن، و ولي الأريس"².

– حارة السدرة: ذكرها أبو العرب عند الحديث عن أبي الفضل عباس السدري³، و قد سكنها أيضا أيضا أبو سليمان الأعمى، و كان من أهل الدين و الفضل⁴، و يبدو أن هذا الحي هو أيضا من أحياء الفئات الميسورة.

– الزيادة: قال عنها ياقوت: "محلة بمدينة القيروان من أرض افريقية سكنها محمد بن خالد الأندلسي ثم الألبيري أحد رواة الحديث و بنى بها مسجدا يعرف به"⁵، و الزيادة من الأحياء الراقية لأنها ضمت سوق "الرهادة" التي تعتمد على التجارة الخارجية و سكنها تجار من الأندلس منهم أبو جعفر بن خيرون صاحب المسجد الشريف و الفنادق المجاورة للسجن⁶، كما سكنها يحيى بن عمر الذي بنى بنى بها مسجدا ملاصقا لحمام النعمان⁷، و الزيادة موجودة الآن في جنوب جامع عقبة.

– الريحانة: قرب باب أصرم، شرق باب سلم⁸، و قد تكون من أحياء الأثرياء.

1- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص288.

2- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، م1، ص480.

3- أبو العرب: المصدر السابق، ص206، أنظر كذلك، الحشني محمد بن الحارث بن أسد: طبقات علماء افريقية لأحمد بن محمد الطلمنكي، ج4، ص- ص 195-230.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص208.

5- ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، م3، ص162، أنظر كذلك، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص476.

6- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص169.

7- شيوخ: مسجدا ابن خيرون، المرجع السابق، ص57، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص494.

8- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص13، ج3، ص118.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

- حارة المرضى: و ذكرت أيضا باسم "الدمنة" أو "دار الجذماء" أو "محلة المرضى"¹، و يذهب صاحب الورقات إلى أن "الدمنة" اسم الموضع و ربما عرف كامل الحي باسم حارة المرضى²، و قد يكون أصل انشاء الدمنة أنها كانت ملجأ كبيرا للفقراء، ثم خصص أيام الأغالبة للمصابين و العجز، فصار ينقسم إلى قسمين: دار الجذماء و مأوى العمي الفقراء³، و قد سكن الدمنة ابراهيم الدميني المتعبد الذي بنى مسجد الخميس⁴، كما سكنها مجموعة من العباد منهم ابراهيم هذا، و محمد العنقل العنقل من الأبدال و إسحاق الطانونة و أبو العباس الضرير، و رحيم و سعيد البكاء و أبو علي الضرير⁵.

و سكن الدمنة أبو محمد الأنصاري الضرير الذي ينسب إليه مسجد السبت⁶، و تقع حارة المرضى في الناحية الشمالية الغربية للقيروان⁷.

- ربض الروحاء: قال عنه ياقوت (يكتبه روحة): "من قرى القيروان"⁸، و الاسم مأخوذ عن اسم موضع بين المدينة و مكة على بعد حوالي 40 ميلا من المدينة⁹، و ذكر الروحاء المالكي في ترجمته لأبي عياش أحمد بن موسى بن مخلد الغافقي¹⁰، و يبدو أن الروحاء كانت قرية مستقلة بذاتها تقع

-
- 1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 411- 471، ج2، ص- ص 137- 147، عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج1، ص 273- 274، برانشفيك روبر: تاريخ افريقية في العهد الحفصي، تعريب حمادي الساحلي، ج1، ص401، إدريس: الدولة الصنهاجية، المرجع السابق، ج2، ص23.
 - 2- حسن حسيني عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ص274.
 - 3- نفسه، ص 22- 23.
 - 4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص137.
 - 5- نفس المصدر، ص- ص 139- 141.
 - 6- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص114.
 - 7- برنشفيك: العهد الحفصي، المرجع السابق، ج1، ص401.
 - 8- الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص77.
 - 9- ابن رسته أحمد بن عمر: الأعلام النفسية، بريل، ليدن 1892، ص 177- 178، و من الشجرة إلى السيادة 31 ميلا وهي الروحاء، فيها أهل و سوق صغيرة و ماؤها من الآبار تباع بها شواهين و صقورة، أنظر كذلك ابن منظور: لسان العرب، مجلد2، ص822.
 - 10- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص461، عياض: ترتيب المدارك، المجلد 2، ص268.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

شمال غربي القيروان، و ربما كان هذا الرض من الأرياض الراقية تسكنه فئات ثرية منها أبو عياش الذي رفض قضاء قسطليلية¹، والروحاء ليست قرب باب أبي الربيع كما ذكر صاحب بساط العتيق². العتيق².

- **رض البقرية:** كان معدا للملاهي و الخلاعة³، فقد أورد صاحب المعالم أن أحمد بن معتب سمع قوما بالبقرية في يوم سبت و هم على حالة شراب، و عندهم قوال⁴، ثم أضاف في الصفحة الموالية: "حدثني ابراهيم بن سعيد قال: قال أبو شرف: "أصبحت يوما عند بعض إخواني بالرض المعروف بالبقرية في يوم سبت، فبينما أنا أغني إذ قرع الباب، فغيب ما كان تحت أيدينا من الشراب⁵، وأعتقد وأعتقد أن هذا الرض في غرب القيروان غير بعيد عن الدمنة⁶.

- **حارة القرشيين:** و تكون قرب جامع عقبة و قرب رحبة القرشيين⁷ في خطة قريش.

- **حارة اليهود:** أو حارة خيير أو "اليهودية"⁸ قرب باب أبي الربيع.

- **حارة أبي محرز:** غربي مدينة القيروان، وسط سوق الأحد⁹.

- **رض الريدان:** و هو رض ذكرته المصادر بأسماء متقاربة الريدان¹⁰، الديدان¹¹، الريدان¹، و ذكره ذكره الحميري في الروض المعطار باسم الريدال و عرفه بأنه "موضع فيه كانت بساتين القيروان و

1- نفسه، ص نفسها.

2- عبد الوهاب: بساط العتيق، المرجع السابق، ص15.

3- ابن ناجي: المعالم، ج2، ص 178-179، عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص15.

4- ابن ناجي، نفسه، ص178.

5- نفسه، ص179.

6- نفسه، ص نفسها.

7- ابن ناجي: المصدر السابق، ج3، ص8، عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص15.

8- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص310، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص130، سوق اليهود: الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج9، ص571، و كان سحنون يتعجب أيضا من صاحب حمام أبي الربيع في بيع مقبرة اليهودية.

9- الشماخي: السير، المصدر السابق، ص195.

10- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص162.

11- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص- ص 191-193.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

جناحتها ومنتزهاتها زمان عمارتها و عظم شأنها²، و نفترض وجود روض للطبقة الثرية من تجار و ملاكين كبار و قضاة و غيرهم منهم عبد الله بن غانم القاضي في عهد ابراهيم بن الأغلب³، و كون سكان هذا الروض منتزهات في الساحل بنفس الاسم.

- روض السورين⁴: قد يكون شرق جامع عقبة قرب مقام سيدي السيوري الموجود الآن خارج السور، والسيوري هم أبو قاسم عبد الخالق ابن عبد الوارث التميمي⁵.

- روض الأنصار: حول محرس و مسجد الأنصار⁶، و يسمى الروض الآن "حومة الشرفاء"

و يبدو لي أن هناك أرياضا أخرى كثيرة داخل سور المدينة لم تذكرها المصادر التي وصلتنا إضافة إلى الأرياض المذكورة آنفا، ثم إن الأرياض التي تقع خارج السور هي أرياض الفئات الفقيرة التي لا تذكرها كتب التاريخ و كتب الطبقات إلا عرضا، و هي أرياض كان يسكنها الباعة و صناع الحرفيين و العمال الزراعيين و غيرهم من الفئات الشعبية المهمشة، و لا شك أن الأحياء التي لن تذكر أكثر بكثير من الأحياء المذكورة و خاصة في فترة ازدهار العاصمة الأغلبية، و لا ريب أنها كانت تضم مساكن كثيرة متراسة و تشققها أزقة ضيقة، و هي عادة مساكن بسيطة مبنية بالطوب سهلة السقوط، فقد ذكر المالكي تعرض دور القيروان إلى السقوط بعد الأمطار "بلغني أن رجلا من أصحابه (أصحاب عبد الله بن أبي حسان) أتاه يوما على أثر نوء عظيم كان بالقيروان، فهدم كثيرا من دورها..."⁷.

1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص222، و الريدان ذكرها الحمداني في الممالك القديمة و الآثار العظيمة، صفة جزيرة العرب، المصدر السابق، ص42.

2- نفسه، ص نفسها.

3- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص193.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص135.

5- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج3، ص181.

6- نفس المصدر، ج1، ص27.

7- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص288.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

● **الأسواق:** على غرار بقية المدن الاسلامية كانت أسواق القيروان بالقرب من المسجد الذي كان يتوسطها وهو ما أكده المقدسي الجامع بموضع السماط الكبير وسط الأسواق في سرّة البلد¹، و لما كانت الأسواق تنظيماً للحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية²، فقد وجدت أسواق قرب السماط و أسواق قرب الأبواب، ولكن هذه الأسواق تغير بعضها بتنظيم يزيد بن حاتم و ارتباطا كذلك بتطور المدينة، و قد ذكرت المصادر أسواقا كثيرة منها:

- الأسواق الموجودة قرب السماط:

أ- أسواق النسيج:

سوق البزازين³: (باعة النسيج) أو حوانيت البزازين من الأسواق المشهورة بالقيروان، و من تجارة البز جمع عبد الرحيم الربعي ثروة طائلة بنى منها "قصر زياد" و امتلك ضيعة واسعة⁴.

سوق الرهادنة: أو الرهادرة أي باعة الأقمشة من الكتان و القطن¹، و قد ذكر المقدسي باب الرهادنة كأحد أبواب جامع عقبة²، و قد عرفه أحد الباحثين بأنه سوق النساجين "الجرابة" الحالي قرب حي "الزيادية" (باب القدة)³.

1- المقدسي : أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص225، و هو ما ينطبق على البصرة، نفسه، ص117، و بها ثلاثة جوامع أحدها في الأسواق و الكوفة يقول الطبري: "فوضع الجامع في موضع أصحاب الصابون و التمارين من السوق"، تاريخ الرسل، ج4، ص44، ويقول يعقوبي: "و جعلت السوق من القصر و المسجد إلى دار الوليد إلى ثقيف و أشجع"، البلدان، المصدر السابق، ص311.

2- الجنابي : تخطيط مدينة الكوفة، المرجع السابق، ص86.

3- البز : الثياب، و قيل: ضرب من الثياب، و البزاز: بائع البز و حرفته البزازة، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م1، ص207.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 218- 423.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

حوانيت الكتانيين: بالقرب من سوق الرهادنة، و هي من الأسواق المحدثه مثل "الصف القبلي من الرهادنة و الرفائين، و نقل الناس من أسواقهم إليها"⁴، و يبرز هذا النص تطور الأسواق و توسعها وبالتالي تطور المدينة و حركيتها خلال النصف الثاني من القرن الثاني و بداية القرن الثالث هـ/ 9م.

ب- أسواق الطعام:

سوق الطعام: (الحبوب)، من المؤكد أنه كان في وسط المدينة و أنه من الأسواق الأولى لأن الحبوب هي أولى الضروريات و قد مر المهري بناحية القيسارية عند الصيارفة إلى سوق الطعام⁵.

زقاق الفرانين⁶: يقع هذا الزقاق المختص في صناعة الخبز بقرب السماط⁷.

سوق الدجاج: كانت تقام كل يوم خميس⁸، و باب سوق الخميس هو أحد أبواب جامع عقبة⁹، و تباع في هذه السوق الفراخ و الدجاج و القطط¹⁰.

ج- بقية الأسواق:

Dozy, R. Supplément aux dictionnaires arabes, librairie du liban, beyrouth -1
1981, T1, p562.

2- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص225، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص38.

3- شيوخ: مسجد ابن خيرون، المرجع السابق، ص57، و قد تناول "رهادنة القيروان و افريقية" من كل الجوانب فوزي محفوظ في العدد 16 من افريقية، المعهد الوطني للتراث، تونس 1998، ص- ص 13- 37.

4- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص 37- 38.

5- القفطي: أنباء الرواة، المصدر السابق، ج2، ص210.

6- الفرن: الذي يجذب عليه الفرني، و الجمع أفران، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م4، ص1090.

7- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج1، ص405.

8- نفسه، ج2، ص146.

9- المقرزي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص225.

10- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ص146.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

سوق العطارين¹: كان سوق العطارين بالقيروان قريبا من جامع عقبة، و هذا الافتراض منطقي اعتمادا على توزع الأسواق في المدينة العربية الاسلامية بصفة عامة و كذلك قياسا على مدينة تونس²، و قد يكون سوق العطارين مجموعة قليلة من الحوانيت³.

سوق السراجين⁴: يوجد سوق السراجين أو حوانيت السراجين بالقيروان قرب المسجد الجامع⁵.

سوق الصيارفة⁶: سوق الصيارفة أو حوانيت الصرافين إذ قد لا تكون لهم سوق، كانت في وسط

المدينة قرب الجامع، و قد ذكر الصيارفة في صيغة الجمع في النصف الثاني من القرن 3هـ/ 9م⁷،

وذكر المقدسي "باب الصرافين" كأحد أبواب جامع عقبة⁸.

سوق الرماحين⁹: سوق الرماحين في القيروان قريبة من المسجد الجامع¹⁰، و يؤم هذه السوق أساسا

الجنود، و كانت القيروان أساسا مدينة الجنود، "و كان ابن فروخ إذا أخذ الجند أعطياتهم أغلق حانوته

تلك الأيام حتى يذهب ما في أيديهم"¹¹.

1- العطر: اسم جامع للطيب، و الجمع عطور، و العطار: بائعه، و حرفته العطارة، لسان العرب، المصدر السابق، م4، ص810.

2- Marçais G, La conception des villes, op.cit, p 530.

3- الزبيدي: طبقات النحويين، المصدر السابق، ص253.

4- السرج: رحل الدابة و الجمع سروج، و السراج: بائع السروج و صانعها و حرفته السراجة، ابن منظور: لسان العرب، م3، ص127.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص171، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص228.

6- الصراف و الصيرف و الصيرفي: النقاد من المصارفة و هو من التصرف، و الجمع صيارف و صيارفة، لسان العرب، المصدر السابق، م3، ص432.

7- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص504 - 505، قال أحمد بن أبي سليمان: خرجت إلى المسجد فإذا صحته مليء بناس متبيضين... فقالوا "نحن الصيارفة".

8- أحسن التقاسيم: المصدر السابق، ص225.

9- الرمح: من السلاح معروف، واحد الرماح، و الرماح: صانع الرماح، لسان العرب، المصدر السابق، م2، ص1221.

10- أحسن التقاسيم: المصدر السابق، ص225.

11- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص187.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

سوق الخرازين¹: سوق الخرازين أو درب أحد دروب القيروان الخمسة عشر².

سوق الحدادين³: نسب إليه باب الحدادين أحد أبواب جامع القيروان⁴.

حوانيت الوراقين: ذكر صاحب الورقات "أن ورق الكاغد كان يصنع في القيروان و في رقادة، نقلت إليهما طريقة عمله من بغداد و من مدينة الفسطاط خلال القرن الثالث⁵، و أضاف في الجزء الثاني من نفس الكتاب "أن صناعة الكاغد أيضا بلغت في القيروان و في تونس و المهديّة شأوا بعيدا في الجودة والإتقان، و بين أيدينا نماذج من الورق الافريقي المصنوع من الكتان (و كان مما يصنع في افريقية) و كذا نماذج من الورق المتخذ من خرق الكتان البالية، و أقدم ما وقفت عليه منه كراسا منسوخا بالقيروان في سنة 271هـ/ 884م، و من المؤكد أن أول ظهور للكاغد في هذا القطر كان على عهد الأغالبة، أي في أواسط القرن الثالث للهجرة"⁶، و ذكر اليعقوبي أنه كان في بغداد "أكثر من مائة حانوت للوراقين"⁷، و لا يخفى تقليد القيروان لعاصمة الخلافة في هذه الصناعة الهامة المرتبطة المرتبطة بالعلم و العلماء، و الغالب على الظن وجود هذه السوق قرب الجامع الأعظم⁸.

1- الخرز: خياطة الأدم، و الخراز: صانع ذلك، لسان العرب، المصدر السابق، م2، ص811.

2- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص226.

3- الحداد: معالج الحديد، لسان العرب، م1، ص584.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص341، و قد تصحف "الحدادين" إلى "الحواريين" في أحسن التقاسيم، ص226.

5- حسن حسيني عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج1، ص207.

6- نفسه، ص164-165.

7- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص245.

8- (G) Marçais, la conception des villes, op :cit, p530.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

القيسارية: بناية مربعة في شكل أروقة تضم غرف و مخازن و دكاكين للتجارة¹ و القيسارية توجد بسوق الضرب²، و الأقرب إلى الظن أن دار الضرب توجد في سوق الضرب و هي قريبة من سوق الصيارفة أو هي امتداد لها³، و قد ذكر صاحب البساط أن دار الضرب تقع بجوار باب الطراز⁴.

– الأسواق الموجودة قرب الأبواب:

سوق الابل: قرب باب سلم⁵، و الإبل أهم مكاسب العرب، فهي صالحة للنقل و الحرث، كما يستهلك الناس لحومها و ألبانها و جلودها و وبرها، و قد عرفت افريقية ظهور الجمل في القرون الأولى للميلاد⁶.

سوق الغنم: في باب الغنم⁷، و باب الغنم لم يذكره البكري في أبواب القيروان و ذكره ابن عذارى في أحداث سنة 441هـ⁸، مما يدل على أنه أحدث في العهدين الفاطمي أو الصنهاجي و هو يقع غرب باب سلم و قرب باب الريح، و توفر الغنم اللحم و الألبان و الصوف.

سوق الدباغين: يكون عادة خارج سور المدينة لأن دباغة الجلود تتسبب في التلوث و تضر

بالناس، و قد ذكر الدباغ "غدير الجلادين"⁹، و "باب الجلادين" و "دار لدبغ الجلود"¹، و ذكر أبو أبو

1- Dozy, R, supplément, op.cit, p440.

2- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص673.

3- الزبيدي: طبقات النحويين، ص252.

4- حسن حسيني عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص23.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص275.

6- GAUTIER, Le passé de l'afrique du nord, op.cit, p194.

7- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص366.

8- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص278.

9- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج4، ص48.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

العرب حي أو ربض "السيوريين"²، و هي أماكن تقع بين باب أبي الربيع و باب سلم و بالقرب من الوادي المالح، و بعد الهجرة الهلالية و اختصار القيروان انتصبت دور الدبغ داخل الأسوار في القرن الثامن الهجري³.

سوق اسماعيل: نسبت إلى اسماعيل بن عبيد الأنصاري يعرف "بتاجر الله" و هو أحد العشرة التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز سنة 100هـ / 718م بنى "المسجد الكبير" بالقيروان الذي يعرف الآن "بمسجد الزيتونة" و كان يوجه المولدات و الأحمال إلى المشرق⁴، و هو سوق للعبيد و يقع بالقرب من باب سلم.

سوق أبي المغيرة: نسبت إلى عبد الله بن المغيرة الكوفي⁵.

سوق بني هشام: نسبت إلى هشام بن حاجب⁶.

إضافة إلى وجود أسواق أخرى لم تحدد المصادر مكانها أو الصناعة أو التجارة التي يتعاطاها أصحابها مثل الابراهيمية⁷، أو أسواق أو دكاكين لم تذكر المصادر أماكنها فقط مثل محلات صانعي النبيذ⁸، و من المؤكد أن حوانيت أخرى وجدت للحمامين و باعة الحناء و الخضاب و حوانيت تستعمل ككتاب للأطفال⁹، و ليس مستبعدا وجود أسواق أخرى لصناعات و حرف و تجارات وغيرها صممت مصادرنا عن ذكرها.

1- نفسه، ص- ص 211-183.

2- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص135.

3- محمد حسن: المدينة و البادية بافريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، تونس 1999، ج2، ص217.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص85، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 106-107.

5- أبو العرب: نفسه، ص162.

6- نفسه، ص180.

7- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص469.

8- كان بعض فقهاء القيروان و أمرائها يذهبون إلى تحليله منهم أبو محرز، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص172.

9- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص91.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

● **القصور:** لقد أنشأ عقبة مع المسجد الجامع دار الإمارة، و هي أول قصر أنشأه العرب في افريقية محافظين بذلك على تقليدهم الذي بدأ عند تأسيس الكوفة¹ و البصرة² و الفسطاط³، و المؤكد أن هذا القصر لم يكن القصر الوحيد في القيروان في عهد حسان الذي دون الدواوين⁴، و لا تذكر المصادر أية تفاصيل عن البناءات التي ضمت هذه الدواوين التي تتكون من ديوان الجند و ديوان الخراج و ديوان الرسائل⁵، والتي أضاف إليها موسى بن نصير دار الضرب لصك النقود⁶، و قد ضمت القيروان مثل الكوفة و البصرة والفسطاط⁷ القصور و الدور الضخمة مثل دار عبد الله بن يزيد يزيد المعافري الحبلي من فضلاء التابعين بناحية باب تونس بقرب درب أزهر⁸، و دار حنش بن عبد الله الصنعاني، من فضلاء التابعين بناحية باب الريح⁹، و دار علي بن رباح اللخمي، من فضلاء التابعين عند باب نافع على يمين الخارج قبل أن يخرج¹⁰، و دار جندب بن بشر أبو غطيف الهذلي، من فضلاء التابعين¹¹، و دار زياد بن أنعم، من فضلاء التابعين في ناحية باب نافع¹²، و دار المغيرة

-
- 1- الطبري: تاريخ الرسل، المصدر السابق، ج4، ص45، "و بنوا لسعد دارا بحماله (المسجد) بينهما طريق متقب مائتي ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال، و هي قصر الكوفة اليوم".
 - 2- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص484، و بنى موسى الأشعري المسجد و دار الإمارة بلبن و طين.
 - 3- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص96، فاخطت عمرو بن العاص داره التي هي اليوم عند باب المسجد بينهما بينهما الطريق و داره الأخرى اللاصقة إلى جنبها.
 - 4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص56.
 - 5- حسن حسيني عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج1، ص51.
 - 6- نفسه، ص نفسها.
 - 7- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص310، حول الكوفة، البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص- ص 490-492، حول البصرة، ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص- ص 109-114، حول الفسطاط.
 - 8- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص180.
 - 9- نفسه، ص188، المالكي: الرياض، ج1، ص121.
 - 10- ابن ناجي: نفسه، ج1، ص119.
 - 11- نفسه، ص122.
 - 12- نفسه، ص129.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

لصاحبها المغيرة بن أبي بردة القرشي و ابنه عبد الله قاضي عمر بن عبد العزيز بالقيروان و لهم ربع لم يزل بأيديهم إلى أن خربت القيروان¹، و غير هؤلاء من فضلاء القيروان.

كما ضمت القيروان دور و قصور السادة و أصحاب النفوذ و القادة مثل أبي الخطار بن ضرار الكلبي الذي كان قائدا جليلا و رئيسا شريفا في قومه و ولي ولايات كثيرة في إمارة بشر بن صفوان²، و من القصور التي ذكرتها المصادر قصر منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري بطريق سوسة³، و كذلك قصر بشير في نفس الموضع⁴، و كذلك دار المنصور الحميري بالموضع الذي به دور دور بني نافذ بالقيروان⁵، وكذلك قصر حفص صاحب الخراج مولى بني منصور⁶، و ذكر الرقيق أيضا أيضا قصرا لروح بن حاتم فيه عليية⁷.

و لما تكونت الدولة الأغلبية ابنتي الأمراء و رجال الدولة و أرباب الرتب العليا القصور والسرايات المناسبة لمقامهم و ثروتهم⁸، و لعل دار القاضي أو دار القضاء⁹ تعود أيضا إلى الفترة الأغلبية و هي ملاصقة لجامع عقبة من الناحية القبليية¹⁰.

و من القصور التي أنشأها الأمراء الأغلبة قصر حمص¹¹ و قصر أبي الفتح¹²، و كان زيادة

1- ابن ناجي: المصدر السابق، ج1، ص211.

2- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص69.

3- ابن الآبار: الحلة، المصدر السابق، ج2، ص339-340.

4- نفسه، ص340.

5- نفسه، ص نفسها.

6- نفسه، ص نفسها.

7- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص139.

8- حسن حسيني عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص24.

9- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج4، ص125.

10- حسن حسيني عبد الوهاب: البساط المرجع السابق، ص45.

11- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص90.

12- حسن حسيني: البساط، المرجع السابق، ص24.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الله قد بنى على غربي الماحل (فسقية الأغالبة بباب تونس) قصراً¹ سماه صاحب البساط قصر الماء²، الماء²، و نميل إلى أن دار الضيافة التي كان يقبل بها وجهاء الوافدين و مبعوثو الممالك الأخرى³ تعود تعود أيضاً إلى الفترة الأغلبية، و نظراً لازدهار التجارة و تكدس الثروات فإن القيروان قد ضمت و لا شك، قصورا و سرايا

للقضاة مثل دار ابن غانم و دار أبي محرز⁴، و دار بني فروخ و دار يزيد بن الطفيل⁵، و دار ابن طالب⁶ و التجار الأثرياء مثل محمد بن خيرون الأندلسي صاحب المسجد الشريف و الفنادق المجاورة للسجن⁷، وكذلك الوزراء مثل عبد الله بن علي بن حميد الوزير أو نصر بن حمزة⁸ الذين لا شك أنهم أنهم كانوا يمتلكون أكثر من قصر في القيروان و العباسية و في غيرها من الأرياض، و لا شك أن القيروان ضمت قصورا و سرايا لتجار و ولاية و أعيان لم تذكرهم مصادرنا.

و كانت المنازل تتركب من دور سفلي مربعة الزوايا أو مستطيلة حولها الغرف، و قلما تتخذ البيوت المرتفعة إلا في القصور و ما شاكلها⁹، و هو ما يخالف الفسطاط بمصر¹⁰ رغم تشابه القبائل

1- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص677.

2- حسن حسيني: البساط، المرجع السابق، ص24.

3- نفسه، ص نفسها.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 210-335.

5- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص- ص 130-145.

6- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص170.

7- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص169.

8- نفسه، ص 108-109.

9- عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص23.

10- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص137 و الدار تكون بها طبقات سبعا و ستا و خمس طبقات، و ربما سكن في الدار المائتين من الناس، بل يذهب الرحالة الفارسي ناصر خسرو و الذي زار مصر بين 437 و 444هـ إلى أكثر من ذلك، و بمصر بيوت مكونة من أربع عشرة طبقة، و بيوت من سبع طبقات سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1993، ص116.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الوافدة على المدينتين و انتماء معظمها إلى القبائل اليمنية التي عرفت مدنا اشتهرت بالعمارة ذات الطوابق¹.

● **الأبواب:** ذكر البكري عند تعداده لأبواب القيروان عبارة "الأربعة"، و هي عبارة تعيد لأذهاننا "مربع السماط"²، فتطرح علينا من جديد مسألة الفضاء المركزي و الساحة العامة وسط المدينة والشارعين الرئيسيين المتعامدين: كارنو- ماكسيموس، و ديكيومانوس- ماكسيموس، و نستخرج من هذا أن الأبواب الأصلية كانت أربعة، و هي عند التأسيس منافذ للخطط، و هذه المنافذ هي:

- شرقا: باب نافع، نسبة لأب مؤسس المدينة عقبة بن نافع الفهري و يقع شرق شريح سحنون الآن.

- غربا: باب سلم، أو باب أسلم، و أسلم إحدى القبائل اليمنية التي شاركت في فتح افريقية واحتطت في القيروان، و هو يفتح على مقبرة قريش خارج الباب الجديد الحالي³.

- شمالا: باب تونس، يفتح على ماجل أبي ابراهيم أحمد⁴.

- جنوبا: باب أبي الربيع، و قد ربط أحد المصادر⁵ بين هذه التسمية و أسطورة الحيوانات التي أطاعت عقبة عند التأسيس و بين اسم هذا الباب القريب من الواد المالح، و هو بين القبلة و المشرق. و الملاحظ أن الأبواب الأربعة منحرفة عن الجهات الأربع و هو نفس الانحراف الذي نجده في قبلة جامع عقبة بن نافع أي 15 درجة فباب تونس منحرف إلى الغرب و باب أبي الربيع منحرف إلى الشرق و باب نافع منحرف إلى الشمال و باب أسلم منحرف إلى الغرب.

1- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص43، و بما آثار بناء عظيم، و كان قصرا للملك اليمن، و ليس باليمن بناء أرفع منه على خرابه، أنظر كذلك الرازي أحمد بن عبد الله، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، 1989، ص- ص 160-164.

2- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص225.

3- برنشفيك: العهد الحفصي، المرجع السابق، ج1، ص394.

4- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص677.

5- اسحاق الحسين: آثار المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت 1988، ص98.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و يذكر البكري من الأبواب القديمة إضافة إلى الأبواب الأربعة باب بين القبلة و المغرب¹، ولم يذكر اسمه، و يذكر في الشرق إضافة إلى باب نافع باب عبد الله و يبدو أن هذا المنفذ وجد منذ بناء سور القيروان من طرف ابن الأشعث و سمي باسم عبد الله بن الزبير الذي أخرجه معاوية بن حديج في خيل كثيفة فأقبل حتى نزل على باب سوسة و حمل على الروم بمن معه، فانكشفوا منهزمين².

و قد يكون باب أصرم وضع في فترة بناء السور أو خلال النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة عند ازدهار التجارة فهو طريق الجادة الكبرى التي تربط مع المشرق مرورا بطرابلس و برقة ومصر و تربط أيضا مع قابس و صفاقس.

و بنيت مع السور أو في فترات لاحقة على الأرجح الأبواب الآتية³.

- باب النخيل: و يفتح على الطريق الرابطة بين القيروان و قمودة و قفصة و قسطيلة و نفزاوة⁴.

- باب الريح: يفتح على فحص القيروان.

- باب الطراز: أطنه فتح بعد تأسيس العباسية سنة 184هـ / 800م.

- باب سحنون: أخذ هذا الاسم بعد وفاة الإمام القاضي الشهير (ت240هـ / 854م) و يقع قرب باب نافع.

- باب القلالين: يقع على ما يبدو بين باب عبد الله و باب نافع، ظهر بعد تطور المدينة و ظهور الأسواق و الصناعات المرتبطة بالتطور العمراني.

● المقابر: ليس غريبا أن يفكر مختطو القيروان في مقابر لموتاهم، ألم يكن عقبة رجلا صالحا؟ فقد دعاه أولاده فقال لهم: "إني قد بعث نفسي من الله لأن أملي الموت في سبيل الله"¹، ثم أن المقابر قد

1- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص676.

2- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص16.

3- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص676.

4- نفسه، ص نفسها.

تكون سبقت اختطاط المدينة.

فقد ذكر أبو العرب أن أبا زمعة البلوي دفن بمقبرة باب تونس بالبلوية²، ثم أن عبد الله بن عمر بن الخطاب كانت معه أم ولد له، فولدت له صببية ماتت فدفنها في مقبرة قريش بباب سلم³، ويضيف أبو العرب فاتخذها قريش مقبرة يدفنون فيها، لمكان تلك الصبية⁴، و من أشهر المقابر:

- **مقبرة باب سلم:** في الغرب، سماها أبو العرب "المقبرة العظمى"⁵ دفن بها البهلول بن راشد⁶ و رياح بن يزيد بن رياح اللخمي⁷ و شقران بن علي الهمداني و صقلاب بن زياد الهمداني⁸ و يزيد و روح بن حاتم⁹ وغيرهم، و هذه المقبرة تسمى أيضا "مقبرة قريش" و تسمى الآن "الجنح الأخضر" و لعلها سميت كذلك نظرا لكثرة قبور العلماء و المشائخ حتى أصبحت تزار بعد ذلك، و قد ذكر البكري أن الطريق من القيروان إلى أبة و لريس يسمى بالجنح الأخضر¹⁰، و المقبرة الآن شاسعة ضخمة تحتوي العديد من الزوايا والقباب.

- **مقبرة باب نافع:** في الشرق، دفن بها عبد الرحمن بن زياد بن أنعم سنة 161هـ / 778م، و هو قاضي القيروان في عهد يزيد بن حاتم¹¹، و كذلك القاضي عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني و يحيى بن زكريا بن محمد بن الحكم التجيبي¹²، و عبد الله بن أبي حسان اليحصبي و عون بن يوسف

1- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 23-24.

2- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 77، مع العلم أن أبا زمعة البلوي صحابي ممن بايع تحت الشجرة، غزا مع معاوية بن حديج و توفي سنة 34هـ.

3- نفسه، ص 78.

4- نفسه، ص نفسها.

5- نفسه، ص 53.

6- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 201.

7- نفسه، ص 300.

8- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج 1، ص- ص 287-316.

9- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص 136.

10- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج 2، ص 715.

11- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 161.

12- نفسه، ص- ص 215-240.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الخزاعي¹ و غيرهم، و هي المقبرة التي تضم حسب حسن حسني عبد الوهاب قبور الأمراء الأغالبة²، الأغالبة²، و بالقرب منها يوجد قبر سحنون الأمير محمد بن الأغلب في مصلى بن نافع، و يضيف الدباغ: "وقبره باب نافع معروف مشهور"³.

– مقبرة باب تونس: ليست بعيدة عن مصلى الجنائز، قرب آبار حديج عند باب تونس⁴ (القديم)، (القديم)، وسميت هذه المقبرة من طرف حسن حسني عبد الوهاب "الحاطبية"⁵ و فيها دفن عبد الرحمن الحلبي⁶، و قد ذكر ابن ناجي ناقلا عن شيخه البرزلي أن الدباغ صاحب المعالم دفن بها و قبره قبره بمقبرة باب تونس بالربوطة التي فيها أسلافه⁷.

– المقبرة البلوية: في الناحية الشمالية الغربية و نسبت إلى أبي زمعة البلوي⁸، و كانت تربته في القرن الخامس عشر قبة بسيطة ذات قاعدة مئمنة الزوايا⁹.

– مقبرة باب أبي الربيع: سماها برنشفيك "مقبرة أبي عبد الله العسال"¹⁰ الذي قال عنه المالكي أنه من أهل الفضل و الدين و الاجتهاد في العبادة¹¹، و قد توفي سنة أربع و أربعين و مائتين¹²، و فيها

1- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص- ص 62- 72.

2- عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص20.

3- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص- ص 101- 134، النعمان: الافتتاح، المصدر السابق، ص61.

4- ابن ناجي: نفسه، ج1، ص 141- 142.

5- حسن حسيني عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص20.

6- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص184.

7- نفسه، ج4، ص91.

8- أبو العرب: طبقات علماء افريقية، المصدر السابق، ص77، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص84.

9- برنشفيك: العهد الحفصي، المرجع السابق، ج1، ص403.

10- نفسه، ص نفسها.

11- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص410.

12- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص108.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

دفن زيد بن سنان الأسدي¹ و عبد الله بن سهل القيرباني قاضي قسطنطينية في عهد سحنون²، و تقع تقع هذه المقبرة بالقرب من القنطرة التي بناها زيادة الله الأغلي³.

● **المنشآت المائية:** لقد ذكرنا أنه وجد تعمير سابق عن تمصير القيروان من طرف عقبة، ثم ليس معقولا أن يصر هذا القائد العظيم أول مدينة اسلامية في افريقية دون أن يأخذ بعين الاعتبار مشكلة تزويدها بالماء، ألم يكن موضع القيروان واديا كثير الشجر كثير القطف⁴، ثم ألم يتعرض عقبة إلى مشاكل العطش في الصحراء قبل تأسيسه القيروان إذ أقام بمكان اسمه ماء فرس و لم يكن به ماء فأصابهم عطش شديد أشفى منه عقبة وأصحابه على الموت⁵، ثم ألم يتوقف كل قادة الفتح في موضع موضع القيروان، عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة 27هـ/ 647م و معاوية بن حديج سنة 45هـ/ 665م الذي حفر آبارا عند باب تونس في ناحية الجبل منه تسمى للآن "آبار حديج" غلب عليها اسم أبيه حديج، و ذلك قبل تأسيس القيروان⁶.

و من المؤكد أن عقبة اختار موضع القيروان و قد قربها من الوادي لتوفر الماء في واد يسمى وادي السراويل في قبلة المدينة يأتي فيه ماء مالح لأنه سباح الناس يستعملونه فيما يحتاجون إليه⁷.
و لا يمكن تصور بناء مدينة دون وجود ماء، و يبدو أنه مثلما ذهب إليه صاحب الورقات أن بئر أم عياض موجودة قبل بناء جامع عقبة⁸، و قد يكون حفرها الجيش الفاتح، بل أميل إلى أن جيش عقبة حفر آبارا كثيرة لاستعمالاته المختلفة و أساسا لبناء القيروان (الدور و المساجد

1- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص202.

2- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج3، ص112.

3- نفسه، ص41.

4- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص196.

5- نفسه، ص195، و يضيف المؤلف: "فصلى عقبة ركعتين و دعا الله و جعل فرس عقبة يبحث بيديه في الأرض حتى كشف كشف عن صفاة فانفجر منها الماء، فحفروا سبعين حسيا فشربوا و استقوا فسمي لذلك ماء الفرس".

6- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص93.

7- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص348.

8- عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج1، ص48، و أضاف في الهامش هي المسماة اليوم (بئر تكفة) و هي خارجة عن عن الجامع و تبعد عنه بخمسة عشر مترا من ناحيته الشرقية.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

وغيرها...) و أذهب إلى وجود بئر في كل خطة من خطط المدينة إضافة إلى الآبار التي تكون عامة أي على ذمة القائد لبناء المسجد الجامع و دار الإمارة، و من آبار الخطة يمكن ذكر "بئر الجنان" التي كانت في "جنة كبيرة من فهر"¹ و التي بنيت صومعة جامع عقبة فوقها، و تتوفر بالمنطقة مائدة جوفية هامة تبرز من خلال عدد الآبار الضخم².

و قد وجد الفاتحون منشآت مائية قديمة منها "قصر الماء" الذي ذكرته المصادر كمحطة لكل من أراد الخروج من القيروان و التوجه إلى المشرق على "الطريق الأعظم"³، و هو على ميلين من القيروان⁴، ففيه استراح عقبة بعد عزله (55هـ / 675م)⁵، و فيه ضحى موسى و أقام بعد عبد الأضحى ثلاثة أيام بعسكره⁶ قبل أن يعود إلى المشرق سنة 96هـ / 714م، و إليه خرج اسماعيل بن عبيد الأنصاري (ت 107هـ / 725م) يشيع المولدات و الأحمال إلى المشرق⁷، و كانت المعارك تقع بالقرب من الأنهار أو المنشآت المائية⁸، و قد يكون زهير و حسان قاما بجفر آبار أخرى في إطار تنظيم الإمارة و خاصة حسان (76- 84هـ / 696- 704م) الذي دون الدواوين و أقام بموضعه حتى استقامت له البلاد⁹، و قد واصل موسى بن نصير تنظيم البلاد و خاصة بعد انتهاء فتح

1- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص673.

2- فوزي محفوظ : المنشآت المائية بافريقية في العصر الوسيط، مجلة المدار، عدد خاص بالماء و الإنسان في تونس عبر العصور، عدد1، تونس 1993، ص30، و يذهب أحد الباحثين إلى أن سبب تحويل عقبة المدينة- المعسكر من القرن إلى القيروان هو عدم توفر طبقة مائية عند موقع القرن و هو ما أكدته الاكتشافات العلمية في مجال الهندسة المائية في العصر الحديث، في حين يتميز موقع قيروان عقبة بتواجد طبقة مائية جوفية ثرية قريبة من وجه الأرض، مراد الرماح: ملاحظات حول تاريخ المنشآت المائية بافريقية في العهد الاسلامي المبكر، من كتاب النقائش و الرسوم الصخرية في الوطن العربي، الالكسو، تونس 1997، ص338.

3- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص- ص 196- 211.

4- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص54.

5- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص197.

6- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص55.

7- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص107.

8- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص- ص 19- 24، حول معركة بين كسيلة و زهير بن قيس قرب ممس و معركة بين بين حسان والكاهنة على نهر بلي.

9- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص201.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

المغرب، فقد ركب يوما حتى خرج من القيروان، فوقف قريبا من افريقية على رأس أمسال، فأخذ بيده ترابا فشمه من ثم أمر بحفر بئر و ابني دارا و منية واتخذ فيها خيلا فسميت بئر منية الخيل، فليس يعلم بالمغرب بئر أعذب منها¹، و هذا يدل على اهتمامه بالزراعة و باستقرار الناس، فقد كان ابن خليفته محمد يه أهلهما و من فيها فيقولون: "نحن عبيدك و كل ما ترى في هذه القرية فهو لك"².

لقد استطاع سولينياك تحديد "ماجل سيدي يوسف الدهماني" و هو ليس بعيدا من فسقية الأغالبة الشهيرة، و هو ماجل مستدير بجانبه ماجل آخر صغير ملتصق به يأتيه الماء من إحدى شعاب وادي مرق الليل³، و الشيء الأكيد أن هذا الماغل و الفسقية الشهيرة من إنجاز الأمراء الأغالبة.

أما الانجازات المائية الكبرى فكانت من عمل الأغالبة، يقول ابن عذارى: "و في سنة 245هـ/ 859م، أخرج أبو ابراهيم بن الأغلب صاحب افريقية مالا كثيرا لحفر الماغل، و ببيان المساجد و القناطر لكلمة كانت منه على سكر"⁴، و يؤكد ابن ناجي ما ذكره صاحب البيان ناقلا عن التجيبي (ت 422هـ/ 1031م): "فأمر ببناء ماجل باب تونس، و بني ماجل باب أبي الربيع"⁵، و يصيف مفعلا كلام التجيبي: "و ماجل باب تونس هو الذي يسمى عندنا اليوم بالفسقية و الماء الذي يجلب إليه من الوديان بالسد الذي يعمل حتى يصل الماء إليه فينتفع به أهل القيروان، و ماجل باب أبي الربيع هو الفسقية بقبلي القيروان فيها كسر و تهدم يسير، و مهما تعذرت الفسقية الأولى ينتقل الأمر إليها"⁶، و لم يقتصر بناء الماغل على الولاة و الأمراء فقط بل قام بهذا العمل الخيري أيضا بعض الخاصة مثل محمد بن خيرون الأندلسي الذي بنى الجامع الشريف بالقيروان و بنى فيه

1- ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص71.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص194.

3- Solignac, op.cit, p- p 24- 28.

4- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص113.

5- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص147.

6- نفسه، ص149.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

جبابا للماء¹، و ربما يكون إنشاء المواجه الكبيرة في افريقية سابقا لعد أبي ابراهيم أحمد، فقد قال المالكي: قال زيدان بن اسماعيل: "إنما هي حجارة، جمعوا ذلك فبنوا به ماجلا، فدخل فيه ماء ساقه الله إليه، فما أرى بشرب ذلك الماء بأسا" قال: فحدثت بذلك سعيد بن اسحاق فقال لي: "ما شرب سحنون من ماجل بناه الأمراء حتى لقي الله عز وجل تورعا و نزاهة"²، و قد توفي قاضي القيروان الشهير سنة 240هـ / 854م أي قبل وصول أبي ابراهيم أحمد إلى الحكم و هذا يؤكد رواية البكري و لا ينفىها كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين³، و قد ذكرت المصادر عددا من المواجه ومنها:

- ماجل مهريّة: ذكرته المصادر⁴ عند الحديث عن أبي الوليد المهري و هو بالقرب من باب سوق الأحد⁵، و يبدو أنه مخصص لبعض الألعاب.

- ماجل باب أبي الربيع: بناه أبو ابراهيم أحمد و هو بالقرب من باب أبي الربيع في جنوب القيروان و قرب القنطرة التي بناها زيادة الله، و ذكر ابن ناجي أن هذه الفسقية الكائنة بقبلي القيروان فيها كسر و تخدم يسير، و مهما تعذرت الفسقية الأولى ينتقل الأمر إليها⁶، و يفهم من هذا أنها بقيت مستعملة من طرف الأهالي إلى عصر ابن ناجي (القرن 9هـ / 15م).

- ماجل سيدي يعقوب الدهماني: نسبه سولينياك إلى ضريح الفقيه العابد الذي يذكر ابن ناجي أنه دفن بباب سلم⁷ و يقع بالقرب من فسقية الأغالبة (إلى الشرق قليلا منها)، يبلغ قطره من الداخل 73 مترا و من الخارج 74.30 مترا، و يبلغ سمك الجدار 65 سنتيمترا، و تحيط بالماجل

1- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص114، و قد قلد في ذكر الماغل القديم لجامع عقبة، البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص673.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص357-358.

3- الرماح: ملاحظات حول المنشآت المائية، المرجع السابق، ص341.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص404، الزبيدي: طبقات النحويين، المصدر السابق، ص252.

5- غرب مدينة القيروان، محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص183.

6- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص149.

7- نفسه، ج4، ص30.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الكبير 51 دعامة خارجية تفصل بين الواحد و الأخرى 4.50 مترا في المعدل، و يبلغ عمقه 3.55 مترا و تبلغ سعته حوالي 3080 مترا مكعبا، أما الماغل الصغير فيبلغ قطره من الداخل 27 مترا ومن الخارج 28.30 مترا و محاط بـ 20 دعامة¹، و يقوم معهد الآثار بترميم هذا الماغل و تمثل فسقيته الصغيرة بركة نصفية و هي متصلة بالماغل الكبير و يتم وصول الماء مباشرة عن طريق هذه البركة المائية الصغيرة، و بما أن مستواها يوجد تحت مستوى البركة الكبرى، فإن الحجارة و الحصى و التراب تبقى في الأسفل، و عند ارتفاع الماء فيه يدخل الماء إلى البركة الكبيرة من باب يصلهما و يسميه البكري "بالسرح"².

- فسقية الأغالبة: تقع خارج باب تونس، بناها أبو ابراهيم أحمد، و هي أعظم المواجل شأننا وأفخمها منصبا³.

و من المعروف أن الأغالبة أسسوا منشآت كثيرة لخدمة الصالح العام و ذلك بإصلاح شبكة الطرقات الرومانية و فتح طرقات جديدة و إصلاح القناطر القديمة و إنشاء الجديدة⁴ مثل القنطرة التي بباب أبي الربيع التي كان زيادة الله يفاخر ببنائها⁵، و قد عملوا على منع مياه الأمطار من الضياع فوضعوا لها السدود على المجاري و الجداول لتحد من قوة اندفاع الماء الذي سخر لري المزروعات، و قد أظهرت الدراسات عدة منشآت مائية تعود إلى فترتهم في كور القيروان و قمودة والساحل و غيرها...⁶.

1- Solignac, op.cit, p31.

-1

2- بن مامي: المنشآت، المرجع السابق، ص142.

3- للمزيد أكثر عن هذا الماغل من حيث الشكل و معالنه و منسوبه و جوفه و كيف وصفته المصادر ينظر، محفوظ الغديفي: مدينة القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص- ص 134- 135.

4- زيبس : الفنون، المرجع السابق، ص43.

5- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص41.

6- إضافة إلى دراسة سولينياك المذكورة يمكن إضافة ما كتبه مارسي في: Manuel d'art musulman p- p 51- 56

56 وسولينياك في: =

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و يكاد يجمع المتخصصون على أن العهد الأغلبي هو فترة نضج مدرسة القيروان المعمارية واكتمالها، ويتجسد ذلك في إعادة بناء جامع القيروان و إدخال العديد من الوحدات و العناصر المعمارية التي صارت أهم خصائص المدرسة القيروانية المعمارية، و تكشف عن مدى ما وصل إليه المعماري القيرواني من عبقرية¹.

3- العمارة الحربية:

من المؤكد أن القيروان (المعسكر الذي تحول إلى مدينة) كانت تضم أماكن السلاح و هي عادة تابعة لقصر الإمارة، و قد سمّتها المصادر "الخزائن"²، و سماها باحث معاصر "بيت السلاح"³، و أورد البكري أن للقيروان من القديم سبعة محارس، أربعة خارجها و ثلاثة داخلها⁴، فهل بنيت هذه المحارس قبل تأسيس محمد بن الأشعث لسور القيروان سنة 144هـ / 761م أم بعد ذلك؟ و المحارس نوع من الثكنات و حصون الحراسة و هي ضرورية لمدينة هامة في منبسط من الأرض في فترة عرفت بالاضطراب الأمني والثورات.

● **الأسوار:** كان بناء القيروان محاريين مالكين لأسلحتهم⁵، مثلهم مثل بناء الكوفة و البصرة والفسطاط، وكانوا بالتالي في غير حاجة إلى سور يحمي مدينتهم، فكان سورهم سيوفهم لكن هذا الشعار سيفقد معناه إثر قيام الحركات الخارجية البربرية و ذلك سنة اثنين و عشرين و مائة، و هي

=Remarques de Méthode sur l'étude des installations hydrauliques ifriqiyennes au haut moyen- age, les cahiers de tunisie, T13, l'année 1964, 12^{ème} année, 3^{ème} et 4^{ème} trimestre, p.p 25- 35.

و فوزي محفوظ، المنشآت المائية: المرجع السابق، و غيرها من الدراسات.

1- التهامي نقرة : القيروان عبر العصور، تونس 1981، ص39، مراد الرماح: مدرسة القيروان المعمارية، في دراسات حضارية، القيروان، تونس 1990، ص108، عبادة عبد الرحمن رضا كحالة: المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب، القاهرة، 1997، ص45.

2- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص58.

3- المنجي الكعبي: القيروان، المرجع السابق، ص143.

4- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص675.

5- هشام جعيط : الكوفة، المرجع السابق، ص45.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

أول فتن كانت بافريقية في الإسلام¹، و بعد فترة استقرار نسي في عهد عبد الرحمن بن حبيب (127- 137هـ/ 745- 754م) تعرضت القيروان إلى أكبر محنة إذ تغلبت عليها بعض القبائل الصفرية بعد قتل حبيب و عاصم، فدخلوا القيروان و ربطوا دوابهم في المسجد الجامع، و قتلوا كل من كان من قريش و عذبوا أهلها، و أساءت ورفجومة لأهل القيروان سوء العذاب²، و كان ذلك سنة 140هـ/ 757م لذلك بادر محمد بن الأشعث الخزاعي، و هو أول قائد للمسودة، بتحسينها ليقبها تجدد مثل هذه الكارثة³، فمتى بدأ ابن الأشعث في بناء سور القيروان؟

يقول ابن عذارى: "و في هذه السنة (144هـ/ 762م) أمر ابن الأشعث ببناء سور القيروان في ذي القعدة، و كان تمامه في رجب 146هـ/ سبتمبر- أكتوبر 763م"⁴، و هذا الخبر يؤكد مصدر مشرقي من القرن الثالث يقول البلاذري ناقلا عن محمد بن سعد عن الواقدي (ت207هـ): "ولي محمد بن الأشعث الخزاعي افريقية من قبل أبي العباس أمير المؤمنين فرم القيروان و مسجدتها"⁵، و يبدو أن مدينة القيروان لم تكن منيعة بما فيه الكفاية، و هو ما دفع المنصور الذي أقام بها زمنا، و عرف حباياها و خبر رجالها⁶ أن يأمر واليه عليها بحسن السيرة في الجند و تحصين مدينة القيروان و خندقها⁷، ثم تعرضت القيروان إلى محنة جديدة في ولاية عمر بن حفص (151- 154هـ/ 768- 768م) فقد أحرق أبو حاتم الإباضي أبواب المدينة، و أفسد في سورها⁸ و هذا ما جعل أكثر أهلها يخرجون إلى الزاب⁹، و ستعرف افريقية و القيروان الاستقرار في عهد يزيد بن حاتم (155- 155هـ/ 772- 788م) الذي ولاه أبو جعفر المنصور، فقدم افريقية و أصلحها و رتب

1- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص73.

2- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص70.

3- الطالبي: تأسيس القيروان، المرجع السابق، ص96.

4- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص72.

5- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص322، و الملاحظ أن الخليفة آنذاك هو المنصور.

6- عبد الوهاب: شهيرات التونسيات، المرجع السابق، ص34.

7- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص74.

8- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص109.

9- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص77.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

أسواق القيروان¹، ويبدو أنه أصلح سور القيروان و أعاد لها أبوابها، لأن ابن الأثير يذكر أن عمران بن بن مخلد جمع جمعا كثيرا و ثار عليه ابراهيم بن الأغلب، فنادى ابراهيم بالأمان والحضور لقبض العطاء فحضرُوا فأطاعهم و قلع أبواب القيروان و هدم في سورها²، و هذا التهديم الجزئي للسور بمثابة العقوبة لسكان القيروان الذين ساندوا عمران إذ صارت القيروان و أكثر بلاد افريقية معه³، وقام المنصور بن نصر الطنبذي الذي ثار على زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب سنة 209هـ/ 829م بإصلاح السور، يقول ابن الأثير: "و عمر منصور سور القيروان فولاه أهلها"⁴، و هو ما أغضب زيادة الله الذي أمر أن ينتقم من أهل القيروان بما جنوه من مساعدة منصور و القتال معه و بما تقدم أولا من مساعدة عمران بن محالد لما قاتل أباه ابراهيم بن الأغلب فمنعه أهل العلم و الدين فكف عنهم و خرب سور القيروان⁵، و ستبقى القيروان بدون سور خلال القرنين الثالث الرابع و منتصف القرن الخامس للهجرة، إذ بنى المعز بن باديس الصنهاجي سنة 444هـ/ 1052-1053م سور القيروان و جعل السور مما يلي صبرة كالفصيل: حائطان متصلان إلى صبرة و بينهما نصف ميل⁶، فما هي مواد بناء هذا السور في العهد الأغلبي؟ يقول اليعقوبي: "و القيروان مدينة كان عليها سور من لبن و طين فهدمه زيادة الله⁷، لكن البكري الذي رأينا أنه ينقل عن الوراق يقول: "و كان للقيروان في

1- ابن عذارى: المصدر السابق، ص78.

2- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج5، ص 104-105.

3- نفسه، ص105.

4- نفسه، ص185، أنظر كذلك المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص413، و ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج4، ص252.

5- ابن الأثير : الكامل، المصدر السابق، ج5، ص 185-186.

6- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص293، و يضيف ابن عذارى: "و في أول يوم من رمضان سنة 449هـ انتهت العرب مدينة القيروان و خربتها، ص294، فوقع اختصار مدينة القيروان، و في القرن 13 أجريت ترميمات هامة على أسوار القيروان، برنشفيك: العهد الحفصي، المرجع السابق، ج1، ص394، و قد تعرض سور القيروان إلى أعمال ترميم كثيرة في القرن الثامن عشر و كذلك في العقود الأخيرة، أنظر، القيروان: دراسات حضارية، المرجع السابق، ص27.

7- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص347، و اللبنة التي بينى بها، و هو المضروب من الطين مربعا، و الجمع لبن، لسان العرب، المصدر السابق، م5، ص338، و الطين و الوحل، واحده طينة، و هو من الجواهر الموصوف بها، ابن منظور، نفسه، م4، ص638.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

في القديم سور طوب سعتة عشر أذرع بناه محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي سنة أربع و أربعين و مائة، و هو أول قائد دخل افريقية للمسودة¹، و كان سور القيروان القديم سبعة أبواب، يقول البكري: "و كان في قبله باب سوى الأربعة و هو بين القبلة و المغرب، و بين القبلة و المشرق باب أبي الربيع، و في شرقيه باب عبد الله و باب نافع، و في جوفيه باب تونس، و في غريبه باب أصرم و باب سلم²، و تعترضنا صعوبة تحديد مساحة مدينة القيروان في العهد الأغلي و ضبط محيط سور محمد بن الأشعث، لكن اعتمادا على بعض إشارات المصادر و النقاط الأثرية الباقية يمكن أن نعيد تصميم السور.

و أول هذه الإشارات أن مدينة القيروان تكون أقل من ثلاثة أميال في مثلها، و الجامع وسط الأسواق في سرة البلد³، و إذا عرفنا أن فسقية الأغلبة تكون خارج السور من جهة باب تونس⁴ وكذلك ضريح سحنون (ت 240هـ / 854م) من جهة باب نافع⁵، و إذا كانت هذه المصادر متأخرة متأخرة عن القرن الثالث فإن سحنون كان يتعجب و يقول مثل هذا البلد لا يكون له قدر ثلاثة أميال من كل ناحية⁶ يعتبر أصدق مصدر لأنه عايش النصف الثاني من القرن الثاني و النصف الأول الأول من القرن الثالث و عرف سور ابن الأشعث قبل تهديمه سنة 209هـ / 824م.

و نستخلص من كل هذه الإشارات أن ضلع مدينة القيروان كان 3757 مترا، و اعتمادا على إشارة البكري الذي ينقل عن الوراق و طوله (السماط) من باب أبي الربيع إلى الجامع ميلان غير

1- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص676، و قد عرفنا الطوب بأنه تراب أو طين مخلوط بالتين المجرأ يوضع في عيار خشبي لقولته في أشكال مستطيلة و هو أقل صلابة من الطابية لخلوه من الحجر، أنظر ص93، و الذراع (Coudée) مقياس من مقياس الطول يبلغ عند المصريين القدماء 25.6 بوصة أو 52.33 سنتيمترا، ابن منظور: لسان العرب، معجم المصطلحات، ج7، ص251، لكن الذراع هنا يساوي 0.42 سنتيمترا، و تصبح سعة السور 4.20 مترا.

2- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص676، أنظر كذلك، القيروان، دراسات حضارية، المرجع السابق، ص27، و قد ذكر 6 أبواب.

3- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص225.

4- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص677، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج4، ص107.

5- ابن ناجي: نفسه، ج2، ص104، القاضي النعمان: الافتتاح، المصدر السابق، ص61.

6- الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج9، ص571.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

قلق و من الجامع إلى باب تونس ثلثا الميل¹، و ميل البكري يساوي 1610 مترا و هو ما يعطي الأرقام التالية: 2684 مترا و 1072 مترا²، و لا وجود لتناقض في إشارات البكري بين طول السماط و مبلغ تكسير السور و هو اثنان و عشرون ألفا³ أي تقريبا حوالي 11 أو 12 كيلومترا.

الأبراج أو المحارس: و هي نوع من الثكنات أو حصون الحراسة، ذكر البكري: "للقيروان من القديم سبعة محارس أربعة خارجها و ثلاثة داخلها⁴، فمتى تم بناء هذه المحارس؟

إن المحارس قد بنيت في عهد محمد بن الأشعث في نفس الفترة التي تم فيها بناء سور القيروان، و قد تكون بنيت جميعها أو بعضها في عهد يزيد بن حاتم أو في عهد أبي ابراهيم أحمد بن أبي العباس محمد (242-249هـ / 856-863م) فقد كان مولعا بالعمارة فبنى بافريقية نحو من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس و أبواب الحديد⁵ أو في عهد محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب الذي بنى بني أيضا حصونا و محارس⁶، فما هي المحارس الذي ذكرتها المصادر؟ ذكرت المصادر "محرس الأنصار" الأنصار" الذي بنى على "مسجد الأنصار"⁷، و من المؤكد وجود علاقة بين المحارس السبعة و المساجد السبعة و الخطط السبع.

● **الخدق:** من بين التحصينات التي اعتمدت في القيروان، حيث أمر الخليفة العباسي المنصور واليه الأغلب بن سالم التميمي بتحسين مدينة القيروان و خندقها و ترتيب حرسها⁸، و يفهم من سؤال وجهه جماعة عاينوا سور القيروان من أبراجه و مادته و بدنه و جميعه قد انتهى إلى آخر الباب و أنه

1- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص677.

2- Lézine, notes d'architecture, op.cit, p64.

3- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص676.

4- نفسه، ص675، و يذكر يعقوبي عند حديثه عن بناء الفسطاط أن عمرو بن العاص جعل لكل قبيلة محرسا و عريفا وابتنى وابتنى حصن الجزيرة في الجانب الغربي من النيل و جعله مسلحة للمسلمين، يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص331.

5- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج4، ص256.

6- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج5، ص263، أنظر كذلك النعمان: الافتتاح، المصدر السابق، ص203.

7- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص27، و ذكر السيد الهداجي "محرس سبأ" (قبلة جامع عقبة، مما يلي المشرق) و"محرس مراد" كائن قرب باب أصرم سور القيروان العتيق، مجلة صبرة، العدد1، أبريل 1977، ص30.

8- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص74.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

سائر إلى الهلاك والذهاب و شهدوا بذلك أواخر شهر ربيع الأول من سنة ثلاث و عشرين وخمسة مائة¹ أن المحارس تحطمت مع السور عند دخول العرب للقيروان سنة 449هـ / 1057م.

● **الثكنات:** أو ما يمكن أن يسمى "مقرات القيادة العسكرية" التي أصبحت مع مجيء الأغالبة منتقاة بصفة دقيقة إذ لا تشمل إلا قادة من العائلة الحاكمة أو قادة عرب عرفوا بالولاء التام أو من الموالي أو العبيد (السود أو الصقالبة) الذين لا تنفذ إليهم الدسائس²، و قد بدأت هذه المقرات مع أول قصر ابتناه ابراهيم بن الأغلب في العباسية إذ أسكن معه من يثق به من الجند³ و الذي تسميه المصادر "القصر الأبيض"⁴ أو قصور قد بني عليها عدة حيطان⁵، و توجد داخل المدينة رحبة كبيرة واسعة تعرف "بالميدان"⁶، و بها يقع عرض الجيش و الفرسان في أيام العرض و العطاء⁷، ثم انتقلت القيادة العليا للجيش مع ابراهيم بن أحمد إلى رقادة سنة 264هـ / 878م، يقول الاصطخري (ت في النصف الأول من القرن 4هـ / 10م) و خارج القيروان أبنية كانت معسكر آل الأغلب و مقامهم بها كان، و تسمى "الرقادة"⁸، و قد وجدت في رقادة الثكنات الضخمة القادرة على استيعاب آلاف الجنود والعبيد السود الذين جمع منهم ابراهيم بن أحمد خمسة آلاف أسود⁹، كما وجدت في رقادة "قبة العرض" التي تشرف على ميدان استقبال سنة 293هـ / 906م عساكر عظيمة¹⁰، كما وجد

1- المازري: الفتاوي، جمع د. الطاهر المعموري، الدار التونسية للنشر، فيفري 1994، ص 187-188.

2- الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص 154.

3- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص 187.

4- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص 328.

5- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 348، و في إضافة الحيطان بحث عن المناعة و القوة لحامية الأمير و أهله و حشمه وأهل بيته، تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص 187.

6- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص 680، المعالم، المصدر السابق، ج 2، ص 91، الافتتاح، المصدر السابق، ص 21.

7- عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج 1، ص 355.

8- الاصطخري: المسالك و الممالك، المصدر السابق، ص 34.

9- ابن عذاري: البيان، المصدر السابق، ص 123.

10- القاضي النعمان: الافتتاح، المصدر السابق، ص 199.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

بقرب رقادة "الملعب" الذي يستعمل للعرض فقد أنزل فيه زيادة الله سنة 294هـ / 907م رسول صاحب القسطنطينية و جمع الناس للمباهاة بهم، فكان جمعا عظيما¹.

و يبدو أن القيروان كانت محاطة بجملة من المحارس لتعزيز الحدود في فترات الغزو، فقد ذكر النعمان أن زيادة الله كتب من كل محرس من محارسه عدة معلومة من شبابهم²، فما هي هذه المحارس؟
المحارس؟

ليس بإمكاننا الإجابة عن هذا السؤال الآن لكن دراستنا للمصادر جعلتنا نكشف مواقع تبدو وكأنها قامت بدور خطوط دفاع عن العاصمة الاسلامية الأولى في المغرب العربي، فقد أوردت المصادر أثناء الهجومات البربرية أو أثناء الزحف الشيعي أو في غيرها من الهجومات مواقع قريبة من القيروان دارت فيها معارك هامة و مثلت ما يشبه خط دفاع أخير عن المدينة تسبقه خطوط أخرى فقد مثلت مواقع الأصنام والقنطاط و قصر الماء³، و خط الدفاع الأقرب إلى المدينة و مثلت مواقع القرن و طنبياس⁴ خط دفاع ثان، وقد تكون جلولا و ممس⁵ بمثابة خط الدفاع المتقدم، و قد تكون هناك مواقع أخرى تكمل خطوط الدفاع المذكورة أو تقوم بدور الرصد و التنبيه من الهجومات المختلفة، و قام الوادي و السبخة بما يشبه الحماية الطبيعية من الناحية الشرقية و الشمالية الشرقية⁶.

و مما سبق نستنتج النقاط التالية:

- 1- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص114.
- 2- القاضي النعمان: الافتتاح، المصدر السابق، ص203.
- 3- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص- ص 82- 85.
- 4- نفسه، ص- ص 80- 88.
- 5- نفسه، ص- ص 18- 85، و لكن هل عوضت قرية الجهنيين ممس، أنظر ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص84.
- 6- محفوظ الغديفي : القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص198.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

- تعتبر القيروان أول مصر أحدثه العرب المسلمون بأفريقية، و نشأت في البداية معسكرا و قاعدة للانتشار.

- توسعت المدينة تدريجيا و تعددت وظائفها مثلما تنوع تعميمها و كثر عمرانها، و هي عاصمة لولاية أفريقية ثم للإمارة الأغلبية.

- حضيت القيروان بعناية خاصة باعتبارها مركز السلطة، فاكتملت عناصرها العمرانية من مسجد و سور وأسواق و خزانات مياه حتى العهد الأغلبي.

- نال جامع عقبة أهمية كبيرة باعتباره رمز المدينة و مركز إشعاع الدين الجديد و تعددت به الأشغال نتيجة توسع المدينة و ارتفاع عدد سكانها، فأضحى الجامع نموذجا لنمط عمري قيرواني مميز: شكل مستطيل، أروقة من ثلاث جهات، صومعة ذات قواعد أربعة و طوابق ثلاث تبدو كبرج مراقبة، قبتان قبة المحراب و قبة البهو، سقف خشبي متعدد الزخارف، محراب مكون من طاقة مجوفة تعلوها نصف قبة.

- المواد المستعملة في بناء الجامع من مواقع قديمة مع حجارة مصقولة (دبش) و آجر مجفف (لبن)، عمارة قوية و صلبة ذات مسحة عسكرية.

- زخارف هندسية و نباتية (ورق العنب، زهرات، سعف النخيل) في أشكال متناسقة و متناظرة، إضافة إلى الكتابة من خلال التفنن في رسم كلمة الله أو آيات قرآنية.

- يعد المسجد الجامع بالقيروان نموذجا معماريا شمل تأثيره أفريقية و بلاد المغرب و كذلك صقلية حتى العهد النورماني و أنحاء من المشرق مثل جامع الأزهر، كما ظل الجامع مدرسة كبرى و منارة علمية.

- ضم النمط المعماري القيرواني أيضا مجموعة من التحصينات و العناصر الدفاعية.

- اتجه الأغلبة إلى ترميم الحصون و القلاع القديمة و بنوا أخرى جديدة انتظمت خاصة على السواحل للإنذار في حالة الخطر و أخذت شكل رباطات مثل رباط سوسة.

المبحث الثاني: بناء مدينة تيهرت و مظاهرها العمرانية

أولاً- أصل التسمية و معانيها

لقد عرفت مدينة تيهرت¹ تسميات عديدة تناقلتها المصادر التاريخية و المراجع من أهمها اسم تيهرت² و هو السائد في معظم المصادر، و نجد أيضا اسم المعصومة و القصة، و أطلق عليها أيضا اسم أم العسكر³ و العسكر المبارك، و قلعة عبد الرحمن أما في فترة عبد الوهاب بن عبد الرحمن فسميت بالعسكرية⁴، و يقول الشماخي: "و كانت تيهرت مدينة عظيمة بناها عبد الرحمن بن رستم رستم في موضع مربع، لذا سميت تاقدمت و تفسيرها الدف"⁵ نشير إلى أن اسم تيهرت الذي عرفت به المدينة اختلف الباحثون في أصله و معناه الحقيقي، و تضارب العلماء في مصدره و إلى أية لغة يمكن ارجاعه، فذهب الباحثان إليس راكلس و ماك كرتي⁶ أن تيهرت كلمة بربرية و تعني بالنسبة له "محطة" و قد يكون لهذا التعريف صلة بوجود محطة قطار تعود للفترة الاستعمارية أو لكونها مثلت محطة وملتقى القوافل التجارية القادمة من مختلف الاتجاهات من تونس شرقا و من فاس و تلمسان و غيرها غربا و الصحراء جنوبا، ولا شك أن تيهرت لعبت هذين الدورين منذ العهد الروماني فالرستمي حتى يومنا هذا، و هما يشيران بوضوح إلى دور تيهرت التجاري بين الشمال و الجنوب و الشرق

1 - لقد اختلف المؤرخون في كتابة هذا الإسم فهناك من يكتب "تاهرت" كالبلاذري و يعقوبي و ابن حوقل و الإدريسي وياقوت الحموي و ابن خلدون، بينما يرى البعض أنه من الأصح كتابتها "تيهت" و من أشهرهم البكري و ابن الصغير الذي عاش في الدولة الرستمية، يقول أبو الفداء في ذلك: "و في خط ابن سعيد عوض الألف ياء مثناة من تحت و هو الأصح عندي لأن ابن سعيد المغربي فاضل"، تقويم البلدان، تصحيح رينود و آخري، دار الطباعة السلطانية، ص138، باريس، 1840، أما جورج مارسيه و دوسوس لامار فيرجحان إسم "تاهرت". من خلال هذا العرض و باعتبار ابن الصغير من المصادر الأولى للدولة الرستمية، نرجح أن يكون إذن اسم "تيهت" أصح من اسم "تاهرت".

2 - أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص88.

G.Dangel : op.cit, p246.

- 3

Dangel, Ibid : p246.

- 4

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص 146 - 147.

Brahim Zerrouki : L'imama de tahert, p28.

6 - أنظر (نقلا عن الباحثين):

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

والغرب¹، بينما الأب دوفوكو²، فيرى أن كلمة تيهرت جذرها بربري وهو "إهر" EHER و يعني "سد الفتحة"، و "تاهورت" TAHORT و هي القطعة التي تسد بها هذه الفتحة³، في حين يلاحظ بلكران⁴ أن كثيرا من أسماء مدن الجزائر هي مؤنث لأسماء حيوانات فاسم الأسد يوجد في البربرية في حالتين جذرها (آر) ar و بجمع (إرن) Iren - (إرد) Aired و بجمع (إردن) Airaden تأنيثه (ترت) أو تيهرت أو تاهارات Tahert و التي تعني اللبؤة⁵، قد يكون لهذا التفسير علاقة مع الأسطورة التي تذكر أن عند تحضير الأرض للبناء "نادى مناد بسباعها ووحوشها وهوامها أن أخرجوا فإننا أردنا عمارة هذه الأرض فأجلوها ثلاثة أيام⁶، و بلغنا أنهم رأوا وحوشها تحمل تحمل أولادها خارجة بها منها و قيل رأوا لبؤة حاملة أولادها خارجة منها فقد يكون لهذه الأسطورة أثرها في تفسير بلكران خاصة إذا علمنا أنه التفسير المتداول بين الناس حاليا في المنطقة و غيرها لذا رجحنا هذا التفسير عن غيره.

و تسمية أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها يسوقها البكري مع تفسير لمعناها فيقول: " و نزل عبد الرحمن موضعا مربعا لا شعراء فيه، فقال البربر نزل تاقدامت تفسيره الدف، شبهوه بالدف لتربيعه"⁷، و تؤكد هذا التفسير المعاجم البربرية و القبائلية مثل المعجم الفرنسي- البربري و المعجم الفرنسي- القبائلي⁸.

- 1 - ابراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص90، علي كبريت: المرجع السابق، ج1، ص61.
- 2 - أنظر نقلا عن (Père de Foucault): Brahim Zerrouki : Idem
- 3- فطيمة جلال : المرجع السابق، ص9.
- 4 - Pellegrin.A : Essai Sur Les Noms des Lieux D'Algerie, p 49.
- 5- Brahim Zerrouk, op.cit, p28.
- 6 - أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص53.
- 7- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص68.
- 8- عبد القادر دحدوح: استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية 1252 - 1258هـ / 1836 - 1842م، دراسة تاريخية أثرية تحليلية، موفم للنشر، الجزائر 2008، ص57.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و هناك تفسير ثان لكلمة تاقدامت يتزعمه الحسن الوزان حيث يقول بأن اسم تاقدامت يعني "قديم" أطلق عليها لوجود آثار قديمة بها¹، و يؤيده في هذا التفسير جورج مارسى و دوسوس لامار في قولهما بأن "تاقدامت" هي تأنيث بالبربرية للكلمة العربية "قديم" و التي تعني عتيق باعتبار أن الموقع يحتوي على آثار رومانية قديمة².

لكن مهما يكن من أمر فإن المدينة عرفت شهرتها بعمارتها و ازدهارها لا بما تحمله من معان لأسمائها، فابن خلدون مثلا ذكرها بتاهرت دون أن يعلق على هذه الصيغة و كذلك الأمير عبد القادر ما عدا مرتين باسم تيارت³، أما ابراهيم بحاز و هو من المحدثين فيرى أن الصيغة الصحيحة هي تيهرت و أنها حرفت بمرور الزمن⁴.

ثانيا- خطط المدينة و تطورها

1- تطور مدينة تيهرت قبل العهد الرسمي:

مرت مدينة تيهرت بمراحل عديدة منذ نشأتها، و عبر مراحل تاريخها القديم والوسيط لأن تيهرت من أقدم مدن المغرب الأوسط، عرفت الاستقرار البشري منذ العصور القديمة⁵، ويتضح ذلك

1- الحسن الوزان : وصف افريقيا، المصدر السابق، ج2، ص40.

2- (G) Marçais et (D) Lamar, Recherches d'archéologie musulmane : tihert-tagdemt, in revue africaine, 1946, p36.

3 - تيارت: هي تسمية حديثة بدأ في استعمالها منذ الفترة الاستعمارية الحديثة و هي نطق لهجي جاء من الكتابة الفرنسية للكلمة حيث كانت على النحو التالي (Tiharet)، و حيث أن (H) لا تنطق عند الفرنسيين، لذا كان نطقها لديهم تيارت، فأخذ الجزائريون عنهم هذا النطق بسبب المعاملات الإدارية و الإستعمارية و الكتابات على الألواح و الإعلانات، ينظر، علي كبريت: المرجع السابق، ص61، حبيب خنفار: المرجع السابق، ص3، و يذكر الباروني أنه رأى عملة نحاسية صغيرة لا إتقان في نقوشها فوقها ورقة فيها هكذا (تاقدامت1255) و بجانبها ورقة أخرى فيها إسم الأمير عبد القادر... و قد بنى بتيهرت بعض بناء لما نوى أن يجعلها مركزا لحكومته، و لم يطل أمره و لعله ضرب تلك العملة، ينظر، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص36.

4 - ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص81، أحمد بوزيان، تيارت عاصمة الدولة في عهد الرستميين، عهد بني توجين، عهد الأمير الأمير عبد القادر، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص12-13.

5 - مختار حساني: المرجع السابق، ص285.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

من خلال الحفريات و الأبحاث التي أجريت عليها من قبل بعض الباحثين الغربيين على وجه الخصوص، ومنها:

* حفرية جورج مارسيه و دوسوس لامار¹:

قاما بها عام 1941 و أسفرت عن اكتشاف مباني و مطامير و قطع فخارية وخزانات للمياه، كما أعطت لنا تخطيطا لقصبة الأمير، إلا أنها كانت أبحاثا سطحية لم تكن نتائجها كبيرة من الناحيتين التاريخية و الأثرية حيث اتجهت إلى وصف و جرد ما عثر عليه.

* حفرية كدنا² Cadenat:

عرفت هذه الحفرية جدية أكثر وشمولية، قام بها كدنا سنة 1979 و عمد إلى حفر أسبار في مناطق مختلفة من الموقع، بعدد 5 أسبار شمل إثنان منها الجانب المعماري، حيث أعطى لنا تخطيطا لما تحصل عليه من بقايا معمارية بينما شمل الثلاث الباقية الجانب الصناعي، أي الأفران والقطع الفخارية مع بعض من الأدوات التي عثر عليها وكمية قليلة من النقود، وكانت دراسته أكثر دقة حيث حاول دراسة كل نوع على حدى من مبان إلى فخار وزجاج وحلي، و لكونه مختصا في مراحل ما قبل التاريخ فلم يتمكن هذا الباحث من إعطاء تحليل كاف، و اقتصر على الوصف والإحصاء فقط.

* حفرية تريبيزي³ Tribuzi:

قام بها سنة 1979 ضمن أبحاث عن الأماكن المحصنة في الجزائر في القرون الوسطى، فكانت تيهرت أول موقع حظي بهذه الأبحاث، وكانت هذه الحفرية أكثر دقة و موضوعية من سابقتها لاستعمالها الوسائل الحديثة و تحديد موضوع البحث الذي اقتصر على العمارة الرسمية في تيهرت الرسمية، اعتمد الباحثون في هذه الحفرية على الخرائط و الصور الجيولوجية، فتوصلوا إلى تحديد

G.Marcas et L.Dessus : Tahert Tagdant, Revue Africaine, tome xI , 9eme - 1
année, Alger, 1946, p – p 26- 56.

P.Cadenat : recherche à Tihert Tagdemt, Bulletin d'archeologie Algerienne, - 2
T. vII, 1977- 1979, p – p 393- 463.

S.Tribuzi et autres : Les places fortes de L'Algerie médiévale, centre de - 3
recherche en architecture et en urbanisme, Alger, 1978- 1979.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

القصبة معماريا وإعطاء وصف لكل جانب مع وضع بعض الفرضيات بالنسبة للأسوار والمواد المستعملة، ولقد أعظتنا هذه الحفرية معلومات مهمة عن هذا الموقع، خاصة الجانب العسكري¹. وهذا ما جعل بعض الرحالة يرجعونها إلى عصر العماليق من خلال بقايا لعظام بني آدم طول قصبة الساق 6 أشبار دون المفاصل، وبها رؤوس تحتوي على بعض الأضراس، الضرس منها أكبر من ثلاثة أشبار و وزنها ثلاثة أرتال²، وعلى الرغم مما نجده في هذا النص من مبالغة في وصف تلك العظام، فإنه يؤكد لنا أن تيهرت عرفت استقرارا للسكان منذ العصور القديمة، فقد تم اكتشاف نقوش صخرية و هي بقايا قطع قديمة على امتداد نهر واصل أو نهر مرجيحة وكدية بوغرة وسيدي الحسني تعود للعصر الحجري القديم³، كما تم اكتشاف قطع قديمة استعملت لأغراض متعددة منها الكاشطات و النحاتات و أدوات الصيد إضافة إلى بقايا الإنسان البدائية في عدة مناطق كسيدي الحسني، قرطوفة، دحموني تعود للعصر الحجري الوسيط⁴، وتم أيضا اكتشاف منحوتات صخرية بكاف بوبكر تعود للعصر الحجري الأخير (أو الحديث 8000 ق.م)⁵.

فالآثار القديمة التي تم اكتشافها تعود إلى العهد النبولتي وهي عبارة عن نقوش على الصخور على بعد بضع كيلومترات شرق المدينة والتي تشبه النقوش التي وجدت في فزان جنوب المغرب، وهي عبارة عن صور لحيوانات منقرضة حاليا، أو انتقلت لمناطق أخرى، و تجمعات بشرية تعبر عن طقوس دينية اعتقادية بدائية⁶، وفي منطقة قرطوفة على حافة الطريق إلى مستغانم، يوجد أحد أهم المواقع

1 - و للإشارة فإن موقع تيهرت عرف بعض المحاولات للبحث، إلا أنها ارتبطت أكثر بالفخار لاتباح الباحثين في دراسة الفخار دون الآثار الأخرى.

2 - مختار حساني: المرجع السابق، ص 285.

3 - الموقع الإلكتروني: www.univ-tiaret.org 2004 / 2005.

4 - الموقع الإلكتروني نفسه.

5 - أحمد سليمان: المرجع السابق، ص 185.

6 - حبيب خنفار: المرجع السابق، ص 4.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الأثرية، وهو عبارة عن صخرة ضخمة مسطحة بها ثلاثة أحواض تتصل فيما بينها بسواق يطلق عليها صخرة القربان أو النصب الحجري القديم¹. و من أهم الجهود التي عاشتها تيهرت قبل الرستمين:

أ/العهد الروماني:

أما الرومان فحصنوا الموقع و أسسوا فيه قلعة في أعالي المدينة، سميت تينغارتيا الذي يعتقد أنه كان مقاطعة أسقفية بين القرنين الرابع و الخامس الميلاديين، و كان الرومان يسيطرون على هذه المناطق و المواقع الحساسة لتكون نقطة لانطلاق توسعاتهم العسكرية²، لأنها من المراكز الهامة والحصون المنيعة، فكانت تتميز بعلو أسوارها، وهذا ما حال دون السيطرة عليها من قبل عقبة بن نافع في المرة الأولى³.

وفي بداية القرن الثالث الميلادي و بالضبط في عهد الإمبراطور سيبتيم سيفير⁴ تحققت السيطرة الرومانية و ما يؤكد ذلك، اللوحة الحجرية التي تحمل كتابات رومانية تعبر عن إهداء إلى إله الرومان من طرف فيروس⁵.

و في بداية القرن الخامس الميلادي كان الاجتياح الويندالي لشمال إفريقيا، ورغم عدم وجود أدلة على هذا الاجتياح للمنطقة، لكن من المؤكد أن هذا التحول لم يكن بدون آثار تدميرية و تحريبية لهذا الإقليم⁶، و في منتصف هذا القرن (533م) تمكن اليونانيون من طرد الويندال في عهد بيليسير⁷،

1 - حبيب خنفار: المرجع السابق، ص4..

2 - M.Fabre : note sur la ville romain de tiaret, société géographique - 2
d'archéologie la province d'oran, fondée en 1878, tome22, 1902, p.46.

3 - مختار حساني: المرجع السابق، ص285.

4 - هو امبراطور روماني، حكم في الفترة ما بين 161م- 180م، لقب بالإمبراطور الفيلسوف لتأليفه (التأملات الفلسفية) أو (مناجاة النفس)، عبد اللطيف أحمد علي: الإمبراطورية الرومانية، طبع بمكتب كريدية إخوان، 1976، ص 317.

5 - اسمه ليكويس فيروس و شقيق سيبتيم سيفير بالتبني و عهد إليه بقيادة الحرب ضد بارثيا، عبد اللطيف أحمد علي: المرجع نفسه، ص319.

6 - حبيب خنفار: المرجع السابق، ص6.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

بيليسير¹، و لكنهم لم يحكموا سيطرتهم على المنطقة مما سمح بظهور ممالك بربرية و التي ما زالت قبورهم بالمرتفعات القريبة من تيهرت هي التي تعرف بالأجدار².

ففي اعتقادها أن حدود السيطرة الوندالية و البيزنطية في القرن الخامس الميلادي كانت مجهولة و غير محددة و محدودة، خاصة بعد تراجع السيطرة الرومانية و استقلال مناطق كثيرة مثل نوميديا الغربية و موريتانيا في سطيف و موريتانيا القيصرية و أغلب منطقة تينجيتان، كانت خارج السيطرة الوندالية³.

و من المؤرخين الذين تحدثوا عن الممالك البربرية المؤرخ بروكوب⁴ الذي أرخ للحملات التي قام قام بها البيزنطيون ضد القبائل البربرية بعد نهاية التواجد الوندالي، و حسب المؤرخ بروكوب فإن المملكة التي عرفت إنجازات معمارية هي مملكة ورسنيس أي الأجدار حاليا و كانت تحت حكم ماستيناس أو ماستيغاس⁵، وجاء بإسم ماسيناس قائد قبائل موريطانيا⁶.

و يجمع الكثير من الباحثين على أن مدينة فرندة⁷ كانت حصنا رومانيا إلى جانب قلعة

1 - هو جنرال بيزنطي: كان قائدا للجيش في عهد جوستينيان الأول الذي أرسله على رأس حملة عسكرية سنة 533م إلى شمال إفريقيا ضد الوندال، عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق، ص319.

2 - على بعد 15 كلم شرق مدينة فردة، و هي مشتقة من الجدار أو الجدران، و أول من استعمل هذه التسمية هم المكتشفون العسكريون الفرنسيون منذ سنة 1843، ينظر:

Fatima Kadaria Kadra: les djedars Monuments Funéraire berbères de la région de frenda O.P.U.1983.p8.

3 - Ibid, p . p 7- 8.

4 - هو مؤرخ بيزنطي إسمه بروكوبيوس، عاش ما بين 500 و 562م، مؤلف كتاب "تاريخ حروب جوستينيان"، ينظر: G.pascal : Nouvelle Encyclopédie Bordas, T.2,Ed, Bordas, paris, 1985, p4472.

5 - F.Kadaria Kadra : op.cit, p – p 354- 355.

6 - Ernest Mercier : histoire de L'afrique septentrionale (berbèris) depuis les temps – 6 temps les plus recules jusqu a la conquete Française, T1, Ed Ernest leroux, 1888, p 151.

7 - فرندة: تقع على بعد 45 كلم غرب تيهرت، و هي كلمة بربرية مركبة من "إفرن" بمعنى اختبئ و كلمة "دا" بمعنى هنا أي اختبئوا هنا أو تعود إلى كلمة "إفري" بمعنى المغارة أو المغارات، حبيب خنفار: المرجع السابق، ص9.

تاوغزوت¹ و حصون أخرى في إطار استراتيجية دفاعية عن مدينة سببية² الرومانية القديمة.

ب/العهد الإسلامي:

وصل الإسلام إلى المنطقة على يد الصحابي الجليل عقبة بن نافع -رضي الله عنه- بعد استعادة ولايته سنة 62هـ/682م، حيث صمم العزم على إتمام الفتح، فتوغل في شمال شرق البلاد واستولى على ليس ثم بغاية، ثم أربة أو أرنة ثم تيهرت³، و يقول الشيخ الدباغ في هذا الصدد: "وكان" وكان بها حصن بيزنطي قديم اقتتل فيه العرب و الروم و الأفارقة و انتصر المسلمون و فتحت تاهرت و نزل بها الصحابي الجليل عقبة بن نافع ومنها اتجه نحو تلمسان و المغرب الأقصى"⁴.

و من بين الذين تعرضوا لهذه المعركة، المالكي الذي قال: "أنه عندما وصل عقبة من تيهرت استغاث الروم بالبربر فأجابوهم و ناصروهم"⁵، و عندما توافدت قواتهم على حصون البيزنطيين، قام عقبة بن نافع بخطاب لرجاله قصد رفع معنوياتهم فقال: "إن أشرافكم و أختياركم الذين رضي الله تعالى عنهم و أنزل فيهم كتابه بايعوا إلى يوم القيامة و هم أشرافكم و السابقون منهم إلى البيعة باعوا أنفسهم من رب العالمين بيعة رابحة و أنتم اليوم في دار غربة، وإنما بايعتم رب العالمين و قد نظر إليكم

1 - تاوغزوت: من أهم المعالم الأثرية في المنطقة، استعملها الرومان كحصن أو قلعة في عهد الإمبراطور سيبتيم سيفير وكانت خلوة بن خلدون فيما بعد، ينظر، عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق، ص321.

2 - هي "عين سببية": كانت أحد الطرق الحدودية المتقدمة للرومان، تمر من جنوب منطقة بوغار في المدينة حتى كولومنانا حاليا سيدي الحسيني في شمال شرق تيارت و تمر جنوب هذه المدينة إلى نواحي فرندة أين يوجد حصن عين سببية أو أوييدوم سان ومعناها المكان المحصن أو المدينة المحصنة، ينظر، حبيب خنفار: المرجع السابق، ص10.

3 - ابراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص123، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص128.

4 - الدباغ: المصدر السابق، ج1، ص35، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص130.

5 - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص26.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

من مكانكم و لم تبلغوا هذه البلاد إلا طلبا لرضاه و اعتزازا لدينه بها، أبشروا فكلما كثر العدو كان أحزى لهم أو كلما كثر بشرهم كان أحزى لعدوهم و أعز لدينهم"¹.

أما الرقيق القيرواني فيستعرض أحداث هذه المعركة بقوله: "لما بلغ الروم خبره (أي مقدم عقبة بن نافع) استعانوا بالبربر فأعانوهم و نصرروهم غير أنهم لم يكن لهم بقتالهم من طاقة فولوا هارين فقتلهم قتلا ذريعا و فر جميع الروم من المدينة (أي تاهرت) و قتلوا حيث أدركوا"².

و كثير هم المؤرخون الفرنسيون، و باعتمادهم على هذه المعلومات و المصادر، كتبوا عن هذا الحدث، و منهم Mercier الذي ذكر تمكن عقبة من إخضاع البربر و نشر الاسلام بينهم في كل مكان مر به، و كان صدامه في تيهرت مع الأهالي دون الروم، فهزمهم و مضى في سبيله إلى سبتة³، و هذا إيميل فيلكس Gautier، الذي يذكر أن عقبة خاض بتيهرت تقريبا معركة ضد الروم الذين أخطروا باقترابه و تلقوا نجدة البربر، و لم يستطع الروم و البربر هزيمة المسلمين⁴، أما هانر Terrasse، فذكر أن الحملة حققت نصرا جديدا في تيهرت⁵، و ذكر شارل أندري جوليان Julien: "أن عقبة عقبة بعدما اصطدم بجيوش الأهالي المدعومة بعناصر افريقية رومية، قرب باغاية و ليس ثم تيهرت

1 - نفسه، ج2، ص136.

2 - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 43 - 44.

3 - Mercier, Histoire de l'établissement des arabes dans l'Afrique septentrionale, -3 canstantine- algerie 1875, p58.

Mercier, Sidi Okba, ses expéditions dans l'extrême- sud, Revue africaine, n° 231, 4^{ème} trimestre 1998, p23.

(E.F) Gautier, Le passé de l'Afrique du nord, payot- paris 1937, p 272- 273. -4

(H) Terrasse, Histoire du Maroc, des origines a l'établissement du protectorat -5 français, éd. Atlantides- casabanca, 1947, livre 1, t.2, p17.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

انطلق مباشرة إلى طنجة¹، و هناك من يذكر بأن عقبة تقدم من القيروان نحو المغرب الأوسط، في الزاب ثم في تيهرت فقابل عناصر بربرية بيزنطية فهزمها..².

إن وجود تجمعات سكانية رومانية قبل مجيء العرب الفاتحين دفع بعض المؤرخين إلى ترجيح وجود إمارات بها مثلما ادعى المؤرخ "كاركوبينو" وجود أسرة حكمت ناحية تيهرت في القرنين 5 و6 الميلاديين والتي استدل على اعتناقها النصرانية بمعالم ثلاثة عشر جدارا (أي قبرا) في التعبير المحلي³، ولقد كانت تابعة لإمارة وهران التي تعتبر تيهرت امتدادا لها، ذلك أن تلك الأجدار كانت بها علامات تدل على نصرانية أهل ذلك الزمان حيث تحمل إسم الماصونة و هذا الإسم قريب من ماسينيسن و يحتمل أن يكون قد أصبح لقباً بعد أن كان إسم شخص⁴.

نستنتج أن مدينة تيهرت عرفت استقرار الإنسان منذ أقدم العصور ابتداء من ما قبل التاريخ من خلال الصور الجدارية لكاف بوبكر إلى الفترة الإسلامية مروراً بالفترة القديمة من خلال آثار سيدي الحسيني، عين السببية... تاركة لنا مواقع عديدة ترجع إلى هذه الفترات، و لقد اعتبرت فترة الفتح الإسلامي هي الفترة الحاسمة في بروز المنطقة على مسرح الأحداث بشكل لافت إلى تاريخ هذه المنطقة.

2- بناء المدينة تيهرت:

عرف المغرب وضعية سياسية حادة فرضت على الإباضية إقامة مدينة تكون حرزا و حصنا لهم، فخرجت طائفة من مختصي علم الأرض ليرتادوا موضعا صالحا لإنشاء هذا المشروع الكبير المتمثل في بناء مدينة خاصة بهم فاخترت موضع تيهرت، و لا يوجد هناك تاريخ محدد لبناء هذه

1- Julien, Histoire de l'afrique du nord, pauot- paris, 1966, t2, p17. (Ch.A)

2- محمد بن عميرة: موقف التيهريين من حملة عقبة بن نافع على بلاد المغرب في كتابات الفرنسيين (دراسة نقدية)، الخلدونية، المرجع السابق، ص19.

3 - عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط5، 2000، ص51.

4 - نفسه، ص113.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

المدينة، رغم أن بعض المصادر قد جعلت من سنة 144هـ¹ ابتداء بنائها، و ذكر الرقيق القيرواني أن عبد الرحمن قد وصل تيهرت منهزما ما إثر حصار طبنة² سنة 154هـ/771م³، و هذا يعني إما أنها كانت قائمة في هذا التاريخ أو أنه يقصد أن عبد الرحمن قد وصل إلى حيث قامت تيهرت فيما بعد⁴، لكن المؤكد أن هذه المدينة تأسست في سنة 160هـ، أي السنة التي تم فيها انتخاب عبد الرحمن بن رستم إمام على رأس الدولة الرستمية⁵.

و كانت المنطقة كما تشير إليها المصادر عبارة عن رياض لا عمارة فيه⁶، فحضر الموقع للبناء حيث تسرد علينا المصادر الإباضية أسطورة ارتبطت ببناء مدينة شأنها شأن المدن الإسلامية في تلك الفترة و هي قصة عجيبة أشبه بقصة عقبة بن نافع⁷ في بناء القيروان، حيث كان موعدها و موضعها مليئا بالأشجار الكثيفة يسكنها أنواع السباع و الوحوش⁸، حيث يذكر الدرجيني أنهم لما أرادوا

-
- 1 - حيث يقول البكري: في صفر سنة أربعة و أربعين و مئة هرب عبد الرحمن بأهله... و اتفقوا على تقديمه و بنيان مدينة تجمعهم، فنزلوا موضع تاهرت اليوم"، البكري، المصدر السابق، ص68.
 - 2 - طبنة: هي أعظم مدن الزاب القديمة، سكنها أحلاط من قريش و العرب و العجم و الأفارقة و الروم، و كان أبو جعفر عمر بن حفص المهلب هو الذي جدد بناءها حوالي سنة 153هـ، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج5، ص31، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص89.
 - 3 - ابراهيم الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص143.
 - 4 - و هذا ما نفهمه من خلال كلام البكري: "... و نزل عبد الرحمن موضعا مربعا لا شعراء فيه، فقالت البربر: نزل تاهرت و تفسيره الدف لتريعه"، أي أن إسم تيهرت لم يكن موجودا قبل نزول الإمام بهذا المكان بل كان إسما لتيهرت القديمة، البكري: المصدر السابق، ص68، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص36.
 - 5 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص40-41.
 - 6 - البكري: المصدر السابق، ص67-68.
 - 7 - عقبة بن نافع: هو عقبة بن نافع الفهري، بعثه معاوية إلى إفريقية في عشرة آلاف مقاتل فافتتحها و اختط القيروان، و كان موضعها غيضة لا ترام من السباع و الحيات، فدعى الله تعالى فبدؤوا يخرجون منها بأولادهم من الأوكار و من ثم قام ببنائها و بقي فيها حتى غزا أقواما من البربر و الروم فقتل شهيدا رضي الله عنه، ابن الكثير: البداية و النهاية، المصدر السابق، ج8، ص217.
 - 8 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص139، محمود السيد: المرجع السابق، ص147، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص37، أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص20، و أيضا: Abdallah laroui : L'histoire du magreb (un essai de synthese) tome1, petite collection maspero, paris 1976, p104.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

عمارتهما أمروا مناديا ينادي بسباعها و وحوشها و هوامها أن اخرجوا فإننا أردنا عمارة هذه الأرض فأجلوها ثلاثة أيام و بلغنا أنهم رأوا وحوشها تحمل أولادها خارجة بها منها¹.

هذه الرواية تشبه إلى حد كبير أسطورة بناء القيروان ، و الأمر المقبول أن الإباضيين قاموا بتنظيف المكان فأشعلوا النيران من أجل حرق الأعشاب و الأشجار و ربما كان ذلك سببا معقولا لهروب السباع والحيوانات المفترسة، فأحرقت الأشجار و جعلوا في جذورها الحيس فجاءتها الخنازير ليلا مقتلعة لتلك الجذور من أجل أكل الحيس، و هكذا حضرت أرضا لعمارتهما². و ينفرد البكري دون غيره بذكر أن الإباضية في أول الأمر قرروا عمارة تيهرت العليا أو القديمة، إما لتوسيعها أو تحصيلها، فكانوا كلما بنوا ليلا وجدوه قد تهدم في الصباح فعزفوا عن ذلك الموضع و توجهوا إلى تيهرت السفلى أو الحديثة على خمسة أميال جنوب غرب القديمة³، و هكذا أجاب البكري عن تساؤلات عديدة عن سبب عزوف بن رستم عن تيهرت القديمة خاصة و أنها توفر له وقتا أقل وموقعا محصنا. و لما استوت الأرض فكروا في البداية في تأسيس المسجد الجامع فاقترحوا لذلك أربعة مواضع و شرعوا في بنائه⁴، ثم أختطوا المدينة دورا و قصورا و بيوتا⁵.

فكان المسجد من أربع بلاطات و قطعوا خشبه من تلك الشعراء⁶، و قاموا ببناء المدينة من الخشب و الطين و غرس البساتين و إجراء الأنهار و غير ذلك⁷، و اتسعوا في البلاد و تفسحوا فيها،

- 1 - الدرجيني: المصدر السابق، ص140، أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص39، الشماخي: نفسه، ص نفسها.
- 2 - البكري: المصدر السابق، ص67.
- 3 - البكري: حيث نجد عنده أقدم نص عن بناء مدينة تيهرت يقول فيه: "إن الإباضية في أول الأمر توجهوا إلى تيهرت القديمة أو العليا، و لما أرادوا بناءها من جديد وضعوا صوراً لها فكانوا كلما بنوا شيئاً في الليل وجدوه قد تهدم في الصباح، فقاموا ببناء تيهرت الحديثة التي تقع على بعد خمسة أميال من القديمة غرباً"، البكري: المصدر السابق، ص67.
- 4 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص139، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي: المرجع السابق، ج2، ص298، الباروني: المرجع السابق، ص37.
- 5 - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص196، ابن الصغير: المصدر السابق، ص29، الشماخي: نفسه، ص نفسها.
- 6 - الشعراء: شجر الحمض و هو كل شجر مالح أو مر في طعمه و ضرب من الخوخ جمعها كواحد، فقول لا شعراء فيه أي لا شجر فيه، ينظر هامش سليمان البارونيك المرجع السابق، ج2، ص36.
- 7 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص32.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

فيها، و أتتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار و أقاصي الأقطار ، فقلما ينزل بهم أحد من الغرباء¹ إلا استوطن معهم، و ابني عندهم لما يرى عندهم من رخاء البلد و حسن سيرة الإمام وعدله في رعيته وأماناته على نفسه، و لعل ما دل على ذلك الديار من مختلف الربوع، فنجد هذه الدار لفلان كوفي و أخرى لفلان بصري و تلك لفلان قروي²، و لهذا أصبحت في فترة وجيزة مدينة عامرة بالناس متجهة نحو التطور و الازدهار.

و ما يلاحظ عدم وجود دار الإمارة حيث أن الوفد البصري عندما قدم إلى المدينة حاملا الإعانات، استقبله عبد الرحمن بن رستم بالجامع عوض دار الإمارة³، و لكن إذا تصفحنا المصادر التاريخية، نجد أن هناك بعض المؤسسات التي عرفتها المدينة كالقصبه المشرفة على السوق المسماة "بالمعصومة"⁴، بينما ذكر هذا الاسم في بعض المصادر على أنه اسم المكتبة، إلا أن اليعقوبي و بن الصغير المؤرخان القريبان من الدولة الرستمية لم يذكر اسم المعصومة و لا القصبه و هذا ربما راجع لمجيء هاتين المؤسستين في وقت لاحق.

إن بناء مدينة تيهرت عرف إشكالية مفادها: هل بنيت على أرض بكر أو فوق بقايا رومانية؟ وذلك على الأقل حسب آراء المستشرقين الذين يرون أن المدينة موجودة على آثار رومانية أو أنها بنيت على آثار منزل ريفي روماني في المنطقة، و ذهب ليون روش إلى القول أن قصبه الأمير عبد القادر بنيت على أنقاض آثار رومانية بينما سجين الأمير N.M de france⁵ لم يذكر أن الأمير بنى على آثار رومانية و هذا ما لا يهمله إذا صح ذلك الكلام، و ما يمكن قوله أن كل المصادر التاريخية تذكر أن الموقع كان عبارة عن غابة أو رياض لا عمارة فيه، و تحضير الأرضية بحرق الغابة و نزع جذورها و بناء أول مؤسسة في المدينة و هي المسجد.

1 - محمد برمضان شاوش و بن حمدان الغوي: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر من الفتح العربي إلى عصرنا، ج1، حي داود بريكسي للإشهار، الكيفان، ط1، تلمسان 2001، ص26.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص13.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص29.

4 - البكري: المصدر السابق، ص68، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص27.

5 - نقلا عن ليون روش: G.dangel : op.cit, p . p 242- 243.

أما الشيء الذي أدى بالمستشرقين إلى هذا الإدعاء فلكون المنطقة تزخر بمواقع أثرية رومانية ومنها تيهرت القديمة، بينما تيهرت الحديثة أو "تاقدامت"¹ ليس بها بقايا رومانية، لذا نعتقد أن هناك خلطاً بين المدينتين، و أمام ضعف أدلة الباحثين المستشرقين و إجماع المصادر المتوفرة لدينا نتأكد بأن عبد الرحمن بن رستم بنى على أرض محضرة، ليكون بها ثاني مدينة إسلامية بالمنطقة بعد القيروان والتي أخذت شهرتها ومكانتها عبر مر العصور لتستقطب إليها القريب و البعيد من كل حذب و صوب.

3- أهمية موقع تيهرت و أسباب اختياره:

لقد طرح العديد من المؤرخين عدة أسئلة لم تجد لديهم الرد اللازم عليها و المتعلقة أساساً بأسباب اختيار عبد الرحمن بن رستم لتيهرت دون غيرها من المدن، و يمكننا أن نتساءل لماذا أهمل عبد الرحمن بن رستم المدينة العتيقة الواقعة قريباً من تيارت الحالية و التي كانت محصنة بقلعة و بحدارين ضخمين، وكانت تتمتع بموقع حصين ممتاز ليستقر على مسافة ثمانية كيلومترات غربي المدينة القديمة؟ فهل اختار الأمير الرستمي الأول موقعاً بكرة جديداً لم يسبق إليه ليؤسس فيه عاصمة، أملاً في تخليد ذكراه كما صنع عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان، وإدريس الأول المخطط لمدينة فاس²، إضافة إلى ذلك أن المدينة القديمة عتيقة ليست على الهندسة الإسلامية البارعة و أن إصلاح العتيق يكون أكثر تعبا و إرهاقا من إنشاء الحديث³، أم كما ظن جورج مارسيه أن هذا الإختيار سببه إنشغال البال بهدف عملي هو أشبه باهتمام المهندسين المعماريين البناء للمدن الحديثة، و هو بشكل خاص أقرب إلى رغبة المسلمين المعنيين بتشييد المدن، و هي رغبة التقرب إلى الماء و تزويد سكان الحواضر، حيث كانت تيهرت غنية بالماء، و هذا ما أكدته جل المصادر التاريخية، فمثلاً البكري يذكر ذلك في الفقرة التالية: "و هي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة و هو في قبليها، و نهر آخر

1 - تاقدامت: أي قديمة و عتيقة على حد قول الحسن الوزان: "مدينة -تاقدامت- قديمة جداً"، حسن الوزان: المصدر السابق، ص 40 - 41.

2 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج 2، ص 79.

3 - مختار حساني: المرجع السابق، ص 287.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

يجري من عيون تجتمع يسمى تاتش و منه شرب أهلها وأرضها و هو في شرفها"¹، و يقول اليعقوبي: "تاهرت مدينة كبيرة آهلة بين جبال وأودية... و شرب أهلها من أنهار و عيون"².

أما صاحب الإستبصار فيقول: "و هي على نهر يأتيها من الغرب يسمى منة و لها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس"³، و يقول الإدريسي: "و بمدينة تاهرت الحديثة مياه متدفقة، و عيون جارية تدخل أكثر ديارهم و يتصرفون فيها، و لهم على هذه المياه بساتين و أشجار"⁴.

لقد ساهمت جملة من العوامل الجيولوجية و المناخية و الإجتماعية و الإقتصادية و حتى السياسية والمذهبية في اختيار موضع تيهرت دون غيره بحملها فيما يلي:

* يأتي في مقدمة تلك العوامل أن المنطقة عرفت نموا و استقرارا للسكان منذ العصور القديمة، ضف إلى ذلك أنها منطقة داخلية منطوية على نفسها، فرغم أن تيهرت تقع على رأس الطريق الذي يصل منطقة التلول بأسافل وادي الشلف⁵ المؤدي إلى البحر، و رغم أنها مغلقة في أعلى منطقة جبلية "تلول منداس" فإنها تقع على السفح الجنوبي للجبل "جبل جزول"⁶ بمعنى أنها توجه أنظارها نحو الداخل و تدير ظهرها إلى البحر و هذا يمثل موقعا استراتيجيا ممتازا بالنسبة لجماعة يحيط بها الأعداء من كل جانب و ترجو أن تعيش في أمان، كما أن موقعها ما بين جبال الأطلس جعلها تهيمن على بلاد المغرب من جهاتها الأربع⁷، فهي بعيدة عن القيروان تفصل بينهما منطقة الزاب و جبال الأوراس، و هي بمأمن من ضربات الأسطول البيزنطي لبعدها عن الساحل⁸.

1 - البكري: المصدر السابق، ص 66-67.

2 - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 149.

3 - مؤلف مجهول: الإستبصار، المصدر السابق، ص 66.

4 - الإدريسي: المصدر السابق، ص 87، محمد علي دبو: المرجع السابق، ج 3، ص 274.

5 - اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 197، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 20.

6 - جزول أو كزول: نسبة إلى قبيلة بربرية تدعى كزولة أو جزولة و أهم مواطنهم أرض السوس و موزعون بين القبائل في المغرب الأوسط و ينسب إليهم جبل كزول القريب من تيهرت، ينظر، بوزياني الدراجي: القبائل البربرية، ج 2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2000، ص - ص 167-171، سعد زغلول: المرجع السابق، ج 2، ص 291، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م 2، ص

7 - عبد الرحمن الجليلي: المرجع السابق، ص 166، مختار حساني: المرجع السابق، ص 286.

8 - آرشيبالد: القوى البحرية والتجارية في البحر الأبيض المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مطبعة مصر، القاهرة، ص 162.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

* و من خصائص هذا المكان أنه يمتاز بلطف و نقاوة الهواء، و خصوبة الأراضي¹، كما انه قابل للعمارة، مؤمن عن العدو و هي شروط المدينة التي ستكون حصنا للإسلام²، كما أنه يتوسط التل والصحراء، ففيه من التل خصبة و لطافة جوه، و فيه من الصحراء جوها الصحي ومناخها النقي، والصحراء هي طريقها إلى السودان تلك الأقطار الواسعة التي ستنشر فيها الإسلام و تنقل إليها الحضارة و تتاجر مع أهلها، إن هذا المكان يتوسط الشمال و الجنوب، مما يورث لتيهت و للدولة كلها خصائص الشمال الجميلة و ميزات الصحراء العظيمة³.

*جاء عبد الرحمن بن رستم إلى قبيلة لماية، كان بدافع مذهبي إذ تعد لماية من أهم القبائل الإباضية في المغرب الأوسط آنذاك، كما كان يرغب عبد الرحمن بن رستم من خلال اختياره لهذا الموقع في السيطرة و التحكم في القبائل الصحراوية البدوية⁴، خاصة و أن تيهت تقع في قلب منطقة منطقة تسكنها قبائل إباضية متعددة⁵.

*وقوع تيهت على طريق القوافل التجارية المارة من و إلى المشرق و السودان، لعب دورا في اختيارها، فهي تتوسط قبائل الناحية مما جعل منها سوقا تقصدها القبائل و تصلها القوافل التجارية التي تربط الواحات الصحراوية بموانئ الساحل⁶.

*تمتاز المنطقة بتربتها الحمراء بأسفل الجبل و بالحجارة الكلسية البيضاء و الرملية، مما يساعد على تمركز المياه الباطنية، كما يوفر أراض خصبة و غنية تساعد على الزراعة و الرعي لتوفر المياه، ويتسم مناخ تيهت ببرودة و ضباب كثيف في الشتاء و جو معتدل في الصيف، حيث يصف

1- Moncef Gouja, la theologie ibadite, histoire, genese, formation, et formulation drfinitive, these de doctorat, paris, sorbone paris 4, departement des études arabes et islamique, 1986, p 58.

2 - ابراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص30، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 5- 6.

3 - محمد علي ديبوز: المرجع السابق، ج3، ص266.

4 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص89، بوزياني الدراجي: القبائل، المرجع السابق، ص105.

5 - Ch.Bekri : Le karigisme, op.cit, p – p 64- 65.

6 - لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص41، مختار حساني: المرجع السابق، ص286.

اليعقوبي مناخها بقوله: "أنها تمتاز بالبرد الشديد و فيها رياح قوية، و الشمس توقد و تحرق"¹، و من خلال الأبيات الشعرية لبكر بن حماد الشاعر التيهرتي² (ت.296هـ) نستنتج برودة الطقس و قلة ظهور الشمس حيث قال:

ما أحشن البرد و ريعانه و أطرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنها تنتشر من تحت
فنحن في بحر بلا لجمي تجري بنا الريح على السمات
نفرح بالشمس إذا بدت كفرحة الذمي بالسبت³

و مما يؤكد أن المناخ كان ممطرا و مثلجا أعطى للمنطقة ميزة خاصة، حتى نرى رجلا من تيهرت، لما كان بالحجاز قال مخاطبا للشمس: "أحرقني ما شئت فو الله إنك بتاهرت لذيلة"⁴، و يقول يقول القزويني: "...كثرة الأمطار و الأنداء و الضباب و شدة البرد قلما ترى الشمس بها"⁵.

أما عن عدم تمسك الإمام الرستمي بالمدينة القديمة التي كانت عامرة قبل بناء المدينة الحديثة، فيرجع بالدرجة الأولى إلى مقاومة سكانها له و هو ما يتأكد من قول البكري الذي أشار بأنه توجه إلى تيهرت القديمة أو العليا، فكان كلما بنى شيئا في الليل وجده قد انهار في الصباح، فعزف عن ذلك الموضع و انتقل إلى تيهرت الحديثة⁶، و من خلال هذا النص يتبين أن سكان المدينة عارضوا البناء و أن عبد الرحمن بن رستم فضل عدم المواجهة للحفاظ على الأنصار في بداية تأسيس دولته،

1 - يعقوبي: تاريخ يعقوبي: المصدر السابق، ص109.

2- ابن حماد أبو عبد الله محمد الصنهاجي : أخبار ملوك بني عبيد و سيرهم، تحقيق و تطبيق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص40.

3 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص144، Ch.Bekri: Le royaume, op.cit, p157.

4 - البكري: المصدر السابق، ص67، الحموي: المصدر السابق، ج1، ص813.

5 - القزويني: آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر بيروت، د.ت، ص169، و يذكر أيضا حكاية السودان التي مفادها: "دخل أعرابي من اليمن تاخرت ثم خرج إلى أرض السودان فنظر إلى الشمس مضحية...فقال مشيرا إليها، أما و الله لإن عززت في هذا المكان لطالما رأيتك ذليلة بتاهرت"، ينظر، القزويني: المصدر نفسه، ص نفسها، الحموي: المصدر نفسه، ج1، ص813، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص30-31.

6 - البكري: المصدر نفسه، ص66، مختار حساني: المرجع السابق، ص287.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

واتفق معهم على أخذ خراج السوق¹، حيث يذكر محمد دبوز: "أن أهل المدينة القديمة قد علموا أن مدينتهم ستصبح عاصمة الدولة، وبذلك تفتح أبوابها لكل الطوائف، فرفضوا هذا الوضع و أن عبد الرحمن لم يرغب هؤلاء على بيعهم أرضهم².

و هكذا كانت هذه العوامل دافعا و حافزا لعبد الرحمن بن رستم و أصحابه في اختيار تيهرت عاصمة لدولتهم المنتظرة، و التي أصبحت حرزا و حصنا لجماعة المسلمين و سميت بأمر العسكر والعسكر المبارك³.

ثالثا- البنية العمرانية لمدينة تيهرت

إن التحليل المورفولوجي للمخطط العمراني لمدينة ما، يتطلب الاختصاص الدقيق في ميدان العمران و الآثار، و يعتمد أيضا على نتائج التنقيبات و الحفريات التي يقوم بها الأثريون والمهندسون، ولندرة المعطيات في هذا المجال، سنحاول دراسة المخطط العمراني لتيهت و بنيتها الداخلية بالاعتماد على نتائج بعض الدراسات و الحفريات و إن كانت نتائجها ما زالت قليلة و محدودة، وكذا اللجوء إلى النصوص التاريخية و التي هي الأخرى لا تعطينا النتائج الدقيقة خاصة فيما يتعلق بتحديد أماكن الأحياء و الدروب والأزقة و القصور بسبب اندثار و زوال معالمها العمرانية، ويمكن تقسيم الآثار العمرانية من منشآت و مرافق عمومية إلى عمارة دينية و مدنية و حربية.

1- العمارة الدينية:

إن جورج مارسيه في بحثه الوجيز في الفن الإسلامي ربط تطور العمارة الإسلامية بالتطور السياسي و الحضاري، حيث اعتبرها مظهرا من مظاهر هذا التطور الذي شهدته العالم الإسلامي⁴.

1 - ذكر الشماخي: "فاتفق رأي المسلمين على بنائها فجعلوا لأهلها عليها خراجا معلوما، يأخذونه من غلتها"، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص146.

2 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 266- 267.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص54، لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص42.

4 - G.Marçais :l'art en Algerie, op.cit, p – p 81- 82. - 4

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و تتميز المدينة الإسلامية عموماً، سواء في بلاد المشرق أو في بلاد المغرب بسمات مشتركة بغض النظر، عن المميزات التي تفرضها البيئة الطبيعية، و التقاليد المحلية، لأن تشييد المدينة الإسلامية مرتبط بضوابط و شروط معمارية أساسية، و ضرورة توفر بعض المعالم العمرانية على رأسها المسجد الذي يعتبر النواة الأولى للعمران، و يقع في وسط المدينة، و هو مكان لأداء فريضة الصلاة، و مقر لاجتماع سكان المدينة، لتداول أمورهم الإجتماعية و الإقتصادية و تعليم أبنائهم مختلف العلوم العقلية و النقلية¹.

لقد كان ظهور المسجد قبل ظهور المدارس و الزوايا في المغرب الإسلامي عموماً حيث كان هو المؤسسة التي تستقبل الطلبة و المصلين في حلقات درس داخل المسجد، فكان بذلك عبارة عن جامعة أو معهد بالإضافة إلى كونه مقراً للعبادة تلقى فيه دروس الوعظ و الإرشاد وتعقد فيه حلقات البحث، وتنظم فيه المناظرات العلمية، و الحوارات الفقهية، و المطارحات الأدبية واللغوية ودروس الوعظ و الإرشاد والإفتاء، و يجتمع فيه أصحاب المصالح العامة و الخاصة، كما كانت تقرأ فيه البلاغات الرسمية في للدولة، و يجتمع فيه الأولياء لتدبير زواج بناتهم و أبنائهم، و تمضى فيه العقود التجارية و تؤخذ إليه الجنائز قبل الدفن للصلاة عليها².

فالمساجد حسب تصنيف أرنست كونل³ تتميز بالأصالة و الوضوح و التطابق التام مع روح الإسلام الشاملة و الواضحة، فهو ساحة نظيفة مستوية ظاهرة يحيط بها سور وظيفته تعيين حدود المكان المخصص للصلاة⁴.

- 1 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص106.
- 2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر المحجري (16-20م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص34، هوارية بكاي: العلاقات الثقافية بين الدولة المرينية و الدولة الزيانية، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2007-2008، ص42.
- 3 - يعتبر من أبرز التصنيفات للطراز المعماري الإسلامي و قد أورده في كتابه المختصر "فنون الإسلام" ترجمه إلى العربية أحمد موسى، حبيب خنفر: المرجع السابق، ص123.
- 4 - حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، يناير، 1981، ص83.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

لقد خضعت المدينة تيهرت إلى مخطط عمراني طبقت فيه أحكام الشريعة الإسلامية و قانون العمارة الإسلامية على غرار المدن الإسلامية، لهذا فأول ما شيد فيها هو المسجد الجامع الذي تم اختيار مكانه عن طريق القرعة، و يذكر أبو زكرياء يحيى في هذا الصدد: "قصدوا إلى اختيار محل ليؤسسوا فيه المسجد الجامع قبل كل شيء، فانتخبوا أربعة أماكن و رموا القرعة عليها، فجاءت على المكان الذي أصلحوه للصلاة أيام إقامتهم في تنقية الأشجار"¹.

و يذكر ابن حوقل: "تيهت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة و الأخرى محدثة، و القديمة ذات سور وبها جامع، و في المحدثة أيضا جامع"²، و يقول المقدسي: "تاهرت اسم لقصبة... لها جامعان عن ثلثي البلد قد بني بالحجارة و الجير"³، و يقول ابن عذارى: "فنزّلوا بموضع تيهرت... فبنوا مسجدا من أربع بلاطات"⁴.

أما مواد البناء التي استعملت في أول الأمر، فكانت عبارة عن خشب الشعراء⁵ الذي جلب من غابات المنطقة و طين كان يمد به الخادم إلى ابن رستم لإصلاح الشقوق عند وصول الوفد إلى المدينة، وهذا ما ذكره ابن الصغير أن وفد البصرة قد وجد بباب عبد الرحمن "غلاما يعجن طينا ورجلا على سطح يصلح شقاقا فيه، و الغلام يناوله ما يصلح به"⁶.

و هذا يدل على بساطة المواد المستعملة و فقر الدولة عند إنشائها، و سياسة عبد الرحمن القائمة على التواضع و التقشف، أما عن التخطيط للجامع فيذكر البكري أنه ظل على حالة إلى أيامه أو إلى أيام محمد بن يوسف الذي ينقل هو عنه مكونا من أربعة بلاطات⁷، و ما نلاحظه أن الرستميّين خرجوا عن قاعدة بناء دار الإمارة بعد المسجد الجامع، فقد بنوا هذا المسجد حقا، لكن

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص53، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص139.

2 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

3 - المقدسي: المصدر السابق، ص127.

4 - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص203.

5 - ذكر البكري أنهم بنوا في ذلك المكان مسجدا و قطعوا خشبه من تلك الشعراء، البكري، المصدر السابق، ص66.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص11، أبو زكرياء المصدر السابق، ص54.

7 - البكري: المصدر السابق، ص68.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

ابن الصغير لا يشير إلى وجود دار الإمارة في تيهرت حيث ذكر أن عبد الرحمن بن رستم كان يصرف أمور الرستميين في الجامع¹.

و بجانب مسجدتها الجامع الموجود في المدينة، وجدت أيضا مساجد أخرى في الأحياء، وينسب بعضها إلى الأقليات التي استقرت بتيهرت، و منها على سبيل المثال مسجد القرويين ومسجد الكوفيين وهذا ما يفهم من قول ابن الصغير: "...فكان مسجد للقرويين و للكوفيين ومسجد للبرصيين"².

و يقول جودت عبد الكريم أنه بما أن كل جماعة كانت تسكن منفصلة عن الأخرى، كان لها مسجدتها الخاص بها³، إن المساجد كانت متعددة و كثيرة، و هذا نفهمه من قول أبي زكرياء: "فشرعوا زكرياء: "فشرعوا في تأسيسها و اختطوها بيوتا و قصورا و أسواقا و مساجد"⁴.

كما أن الفرق الدينية التي وجدت في تيهرت كان لكل منها مسجدتها و علماءها وحلقات دروسها، فقد ذكر ابن الصغير: "...من أتى إلى حلقات الإباضية ناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلقات غيرهم كان سبيله ذلك"، و قد وجد في تيهرت الأحناف، خاصة في عهد عبد الرحمن بن رستم، و غالبيتهم من اهل الكوفة حتى أنهم بنوا مسجدا خاصا بهم سموه مسجد الكوفيين⁵.

إن العمارة الدينية تشمل إلى جانب المساجد و الجوامع المدارس، و التي تبنى عادة خارج المسجد، وقد تأخر ظهورها في بلاد المغرب إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري⁶، لهذا لم نجد لها أثرا في تيهرت في جل المصادر، خاصة و أن مدلول المدرسة يختلف عن مدلول الأماكن

1 - حين قدم وفد من البصرة قال لهم عبد الرحمن: "نخرج إلى المسجد الجامع، نصلي و الناس، و نعلمهم بما جئتم به، و تم ذلك"، ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص12.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص32، أحمد سليمان: المرجع السابق، ص83.

3 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص33.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص53.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص13، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص78.

6 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص141.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

التعليمية و الدينية السابقة لها كالمسجد و الكتاتيب و الرباط، و هو مفهوم ظهر مع ظهور المدرسة الشرقية في منتصف القرن الخامس الهجري في خرسان¹.

فهي عبارة عن بناية مستقلة عن أي بناية عمومية كالمسجد و القصر و غيرها².

و يمكن اعتبار العمائر الجنائزية من ضمن العمارة الدينية مثل المقابر و المدافن خاصة و أنه في تيهرت وجد مصلى خاص بالجنائز و هذا نفهمه من قول ابن الصغير عند حديثه عن أبي اليقظان، فيقول "وقد جلس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي، و رأيته يوما ثانيا في مصلى الجنائز، وقد رميت له وسادة من أدم، فجلس ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس"³.

و قد أكد المستشرق كدنا⁴ وجود مقبرة في الجهة الغربية من المدينة من خلال وجود مجموعة من الأحجار مندثرة هنا و هناك و منتظمة الإتجاه، إلا أننا نعلم أن المقبرة في المدينة الإسلامية موقعها يكون خارج المدينة، لهذا إذا أخذنا برأي "كدنا" فإننا نقول أنه أخذ توسع المدينة على حسابها، فارتبطت بالمساكن في الفترات اللاحقة من تطور المدينة، و هناك أيضا افتراض آخر لموقع آخر يرجح أنه كان مقبرة، و هو في الجهة الشمالية عند نهاية المنحدر في منبع إحدى العيون التي يمكن أن تكون عين "تاتش" التي ذكرتها المصادر التاريخية، و يتضمن هذا الموقع أحجارا مرتبة غير مبنية وضعت على هيئة القبور الصحراوية يرجح أن تكون مقبرة الأئمة لصغرهما بالنسبة للمجتمع التيهرتي، و لا يوجد في هذه المقبرة أية كتابة تبرز أنها مقبرة الأئمة، و إن كان هذا صحيحا فإنه يعطينا فكرة عن عدم اهتمام الأئمة بقبورهم و تجميلها، و هو ما كان يحدث عند بعض الأسر، خاصة الغنية منها، و مازالت لحد الآن في تلمسان و قسنطينة، و هذه الظاهرة غريبة عن الإسلام.

1 - D.Sourdel : reflexions sur la diffusion de la madrasa en orient du 11eme et 12eme siècle in l'enseignement en islam et on orient en moyen age, Colloques internationaux de la Napoule, paris 1977, p165.

2 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص141.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص80.

4 - P.Cardernat : Recherche à Tihert, op.cit, p397. - 4

2- العمارة المدنية:

و تشمل عدة معالم عمرانية و مرافق عمومية، و منها ما هو متعلق بالعمائر السكنية، مثل القسبة و الدور و القصور و الضياع، و منها ما هو متعلق بالنظافة و الصحة كالحمامات، و منها ما يتعلق بالتجارة و المنافع العامة كالحانات و الفنادق و الأسيلة و السبل و غيرها من المرافق والمنشآت الضرورية نذكر منها:

• الدور و المساكن:

تخضع مساكن بلاد المغرب الأوسط إلى عاملين يحددان طرازها و أاثاتها، و هما يتمثلان بالتراث المتوارث عبر الأجيال، و المستوى الحضاري الذي بلغه المسلمون في القرنين الثالث و الرابع الهجري، و هي إن اختلفت من منطقة إلى أخرى¹، و قد كانت بعض المنازل تبنى بالطوب، و آخر بالحجارة المنحوتة، أما سقفها فكانت من الخشب كبيت الإمام يعقوب بن أفلاح، كما كانت المنازل متلاصقة، ليكون بالإمكان إحاطتها بسور، وتشققها أزقة و شوارع تؤدي إلى الساحة العامة، و الأسواق وأبواب المدينة، و يتكون المنزل من عدة حجرات، أما بابها فمن خشب، و يتكون عادة من مصراعين يسمح بدخول الأحمال²، أما أاثاتها فيتكون من فراش محشو بالصوف و الريش، و الحصير بحيث كان في بيت عبد الرحمن بن رستم حصير فوقه جلد، وهذا ما ذكره ابن الصغير ابن الصغير بقوله: "فوجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد و ليس في بيته شيء سوى وسادته التي ينام عليها و سيفه و رمحه و فرسه مربوط في ناحية من داره³، و كان القنديل ضروريا جدا في البيت، يضاء باستعمال الزيت كوقود له⁴، و كانت الدور تتألف كل منها من عدة بيوت، فقد ذكر ابن حوقل: "أن لسكان تاهرت

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص 384 - 385.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 237.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 29.

4 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص 388 - 389.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

مياه كثيرة تدخل عن أكثر دورهم"¹، وعلى كل حال فإن تيهرت اتسعت و تطورت حيث ذكر ابن الصغير: " و اتسعوا في البلاد و تفسحوا فيها و أتتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار و أقاص الأقطار، ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم و ابني بين أظهرهم... حتى لا يرى دارا إلا قيل إنها لفلان الكوفي و هذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي..."²، وقد اكتشف جورج مارسيه و دوسوس لامار³ عدة مبان تتكون من عدة غرف، أخذت كلها شكلا مستطيلا مع عدم وجود الأعمدة و الدعامات، و هذا راجع إلى مادة التسقيف حيث تذكر لنا المصادر التاريخية أنه استعمل الشعراء في التغطية، و هذا ما لم يسمح للغرف بأن تكون عريضة لصغر طول خشب التسقيف، فجاءت الغرف ضيقة أعطت لها ميزة خاصة.

و على العموم كانت نوعية و طبيعة السكن تتحدد تبعا للمستوى الحضاري و حسب معيشة المجتمع، لهذا نلاحظ نوعين من المساكن في مدينة تيهرت، مساكن البادية، و مساكن المدن⁴.

● القصور⁵:

تعتبر القصور ظاهرة حية تعبر عن المستوى الحضاري العالي و الذي بلغته المنطقة، و هي نتيجة الثراء، نظرا لما عرفته مدينة تيهرت من رخاء اقتصادي، و خاصة في عهد الإمام أفلاح حيث تنافس الناس في البنيان، حتى أنه ابني الناس القصور و الضياع⁶ خارج المدينة⁷.

1 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 31-32.

3 - G.Marçais et L.Dessus : op.cit, p – p 24- 57.

4- و هذا ما سنتحدث عنه في الباب الثاني الخاص بالأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية، و للمزيد أكثر عن النسيج و النمط العمراني لمدينة تيهرت الرسمية ينظر، محمد بوركبة: النمط العمراني لمدينة تيهرت في العهد الرستمي (160- 296هـ/ 777-909م)، مجلة منبر التراث الأثري و تميمه، جامعة تلمسان، العدد الأول، أبريل 2013، ص- ص 141- 148.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 53- 54.

6 - الضياع: جمع ضيعة أي العقار و الأرض المغلة، و ما يكون منها عطية لبعض الناس من طرف الملوك يسمى قطعة كما كان كان يفعله بعض بني أمية و بني العباس، للمزيد، ينظر، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج1، ص 21- 22.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 53.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و قد كان للإمام أبي بكر قصره، و لأبي اليقظان كذلك، و لكبار الشخصيات في المجتمع الرستمي قصورهم، فهذا صهر للإمام أبي بكر محمد بن عرفة القيرواني كان له قصر محاط بالبساتين والأشجار، و لمحمد بن حماد الإباضي بيت كبير على بعض أميال من العاصمة تيهرت، يقال له "المثلث" محاط بالمزارع و الأشجار و الأنهار و النخيل¹، و كان لأبي حاتم قصر على نهر مينة، وكانت تبنى وسط البساتين وعلى ضفاف الأنهر ليضفي عليها جمالا و رونقا أكثر².

و يظهر الإهتمام و التنافس على بناء القصور من خلال ما ذكره ابن الصغير: "فابتنى أبان وحمويه القصرين المعروفين لهما بإملاق، و ابنتي عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم و غيره مما يطول ذكره، ولقد حدثني بعض من أثق به أن أبان و حمويه خرجا يوما إلى قصورهما منتزهين ومعهما جماعة إخوانهما، فذكر بعضهم أنه قال، لما أشرفنا على القصرين سبق بنا بعض عبدهما فأعلموا ناس القصرين بقدمهما قال فتشوف من كان بالقصرين بهما، فو الله ما رأيت شرافة من القصرين إلا عليها ثوب أحمر و أصفر على الجدار كالبدور، و انتشرت القبائل و عمرت العمائر، و كثرت الأموال بأيديهم، و كانت العجم قد ابنتت القصور و نفوسة قد ابنتت العدو و الجند القادمون من افريقية قد بنت المدينة العامرة اليوم"³.

هذا النص يبين لنا أن تيهرت تعددت بها القصور حتى بالنسبة للعجم و للجند الوافدين إليها من افريقية، و أنها كانت لا تخلوا من المنتزهات و الحدائق و البساتين، و هو ما يوحى عن سمو في الذوق و رقة في الشعور، و قد رافق ظهور المنتزهات في تيهرت تطورها الحضاري و الاجتماعي والاقتصادي⁴.

• الدروب:

- 1- موسى لقبال : من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، مكتبة المعصومة بتيهرت هل أحرقت أو نقلت عيونها إلى سدراتة في حوار بني ورجلان، مجلة الأصالة، العدد 41، محرم 1397هـ/ جانفي 1977، ص- ص 51- 59.
- 2 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 384- 385.
- 3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 53- 54، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص123، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص442.
- 4- محمد بوركية : النمط العمراني، منبر التراث، المرجع السابق، ص145.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

كانت تيهرت كغيرها من مدن المغرب الإسلامي تحتوي على دروب و شوارع و ساحات عمومية أطلق عليها أسماء الفئات التي تقطنها، مثل درب النفوسيين، و عدوة نفوسة و رجة القرويين¹، ولعل ما يثبت وجود هذه الدروب و الساحات وصف المقدسي لتيهت في القرن الرابع الهجري أي بعد سقوط دولة بني رستم، و بعدما فقدت تيهت جزء هاماً من سكانها و حضارتها حيث قال: "انتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق... و قرطبة... و من دروبها² المعروفة أربعة، درب "مجانة"³، درب "المعصومة"، درب "راها"⁴ درب حارة الخفير، درب البساتين⁵.

يعتبر وصف المقدسي شاملاً لتيهت رغم أنه عرف بالإختصار عندما يصف مدن المغرب الإسلامي لأنه لم يزره، بل اكتفى بما وصله من مؤلفات المشاركة أو أخبار من المغاربة الذين رحلوا للمشرق لأن النص لا يرتبط بعصره بل بالقرن الثالث الهجري الذي وصلت فيه الدولة الرستمية إلى مراحل قوتها، لكن في عصره عرفت هذه الدولة الحروب المتواصلة و تدمير منشآتها، حيث تحولت من مدينة ذات حضارة إلى تكنة عسكرية.

و ما يؤكد لنا هذا النص هو أن المدينة كانت تحاف بمجموعة من الأحياء و كل حي يحتوي على جميع المرافق و المنشآت الضرورية من ساحات و أسواق و مساجد، و ذكر ابن الصغير عن عهد أفلح: "وأمنت الساحات و كثر الأموال"⁶.

1 - أحمد سليمان: المرجع السابق، ص83.

2 - شرح الدروب: و درب باب السكة الواسع، و يقصد بالدرب الشوارع الكبرى التي تتفرع عنها أزقة كثيرة، و هذه لها أبواب تغلق بالليل كما نشاهد اليوم في مدينة تونس في الشوارع القديمة كسوق العطارين و غيره، فيكون للحارات أبوابها وأسوارها كما للبلد سوره العام، و هذا مبالغة في تحصين المدينة، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص271.

3 - مجانة: جاءت عند ابن الصغير في حديثه عن ابن وردة: "قال و كان الرجل من وجوه العجم الذين بقيت اليوم بقية تسمى من مجانة"، و يقول الحق لعل المقصود بها مدينة مجانة في المغرب الأدنى، ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص54، البكري: المصدر السابق، ص63.

4 - المقديسي: المصدر السابق، ص229، مختار حساني: المرجع السابق، ج4، ص315، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص543-544.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص53.

6 - نفسه، ص نفسها.

● الفنادق¹ و الخانات²:

جاء في كلام أبي زكرياء أن الرستمين شرعوا في تأسيس تيهرت و اختطوها بيوتا و قصورا وفنادق³، و فيما يتعلق بالخانات، فإن ابن حوقل هو الوحيد الذي أشار إلى وجودها في تيهرت، وهي تعود إلى عهد الدولة الرستمية حيث كانت القوافل تأتيها من المشرق و المغرب و بلاد السودان الغربي و الواحات الصحراوية مما يقتضي وجود خانات لإقامة هؤلاء، و هي تحتوي على غرف للسكن و مخزن للسلع وإسطبلات للمواشي⁴، و لعل الحفريات التي ستقوم في المستقبل ستؤكد ذلك.

كما يظهر وصف ابن حوقل أن مرافق تيهرت الحديثة أكثر من الأولى، فهي تحتوي على مرافق عاصمة للدولة حيث يقول: "...و التجار و التجارة بتيهرت المحدثه أكثر و لهم...بساتين كثيرة... و خانات"⁵.

1 - الفنادق: هناك ما يرى أنها لفظة عربية تعني المخزن أو السوق، و هناك من يرى أنها لفظة إغريقية الأصل تعني النزل الذي يأوي إليه الأشخاص و الحيوانات، فهو مثل الخان في بلاد المشرق، ينظر:

Mas.latrie : traités de prix et de commerce et document divers concernant les relations chretiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen age, paris 1872, p167.

أما سليمان الباروني فيعرفه لغة بالخان أي محل التجارة و في اصطلاح عصرنا يطلق على محل كبير ذي بيوت معدة لنزول المسافرين بالأجرة، و يختلف باختلاف المدن و البلاد في معداته و ترتيباته، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص10.

2 - الخان هو الخانات وأماكن التجارة و محل نزول التجار الغرباء الذي يتاجرون فيه، علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص280.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص53، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص10، علي دبوز: نفسه، ج3، ص نفسها.

4 - مختار حساني: المرجع السابق، ص317.

5 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

● الحمامات¹ و خزانات المياه:

يعتبر الإغتسال في الحمامات ظاهرة قديمة، عرفته الشعوب القديمة كالمصريين و الكنعانيين واليونانيين و الرومانيين، و قد وصلت هذه العادة إلى سلوك المسلمين مبكرا، لأن الإسلام يحث على الاغتسال والطهارة ، و أصبحت هذه المؤسسة الاجتماعية مرتبطة ارتباطا عضويا بالنظافة وبفريضة الوضوء، و لذا اعتبرها الفقهاء من الأماكن الدينية، لأن الطهارة لا يستغني عنها المسلمون و لا يمكنهم أداء فريضتهم إلا بها²، فكان المسلمون يترددون باستمرار على الحمامات لتطهير أجسامهم وتنظيفها، و كانت الحمامات في أغلب الأحيان تلحق بالبناءات الدينية والاجتماعية بما في ذلك بيوت الله³، و كانت تيهرت تحتوي على حمامات كثيرة بلغت اثني عشر حماما، و هذا ما ذكره البكري بقوله عن تيهرت: " و بتاهرت بساتين كثيرة وحمامات كثيرة يسمى منها اثنا عشر حماما وحواليها من البربر أمم كثير"⁴، و هذا ما أكده أيضا ابن حوقل بقوله: " و لهم (سكان تيهرت) بساتين كثيرة وحمامات"⁵، و من خلال الحفريات تبين وجود هذه الحمامات، فمثلا حفرة سوفي التي التي اكتشفت مبنى في مستوى أعلى من القصبية يفترض أن يكون حماما لما له من مميزات، لكن لعدم وجود أي تقرير من الباحثة عن هذا الحمام، نكتفي بوصف سطحي له حيث يتكون من ثلاثة غرف تشكل الأولى مربعا لها أرضية مبلطة بالآجر ذو المقاسات التالية:

- 1 - الحمام: معناه اللغوي هو الماء الساخن، ينظر، عطا الله دهينة: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص491.
- 2 - عطا الله دهينة: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، ضمن كتاب الجزائر و التاريخ، المرجع السابق، ص364.
- 3 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص 139-140.
- 4 - البكري: المصدر السابق، ص 68-69.
- 5 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص78، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص49، محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص442، كما وجدت حمامات داخل مساكن الحضر، و هي عائلية خاصة بأفراد الأسرة، و حمامات أخرى عامة داخل أحياء المدينة يخصص لها وقت محدد للرجال، الإدريسي: القارة الأفريقية و جزيرة الأندلس، تحقيق و تقديم و تعليق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص60.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

- السمك: 4.9 سنتيمتر - الطول: ما بين 26.5 سنتيمتر إلى 28 سنتيمتر - العرض: بين 13.5 سنتيمتر إلى 14 سنتيمتر.

و تحيط بها جدران يتراوح علوها ما بين 0.80 متر إلى 1.20 متر و من خلال مدخل بارز بعرض 0.65 متر تدخل إلى الغرفة الثانية التي تأخذ شكلا مستطيلا و به فرن أرضي غطي بحجارة كبيرة، و يحتوي هذا الفرن على أربع فتحات للتهوية يفترض أن تكون هذه الغرفة الساخنة، و في الجهة الشرقية للغرفة الساخنة يوجد هيكل مستطيل يحتوي على حوض به أرضية مغطاة بالآجر، و بجواره قناة تتجه من الجنوب إلى الشمال يعتقد أنها لصرف المياه لأنها مائلة قليلا نحو الخارج.

و ما نستنتجه أن المصادر التاريخية أكدت كلها على وفرة المياه في تيهرت، فهذا ابن حوقل مثلا يقول: "أن لسكان تاهرت مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم"¹، و هذا ما جعلهم يهتمون بغرس البساتين، فإن إباضيي العراق في رحلتهم الثانية إلى تيهرت وجدوا الأمور قد تبدلت والأحوال المدنية والأشياء قد حالت و ذلك أنهم نظروا إلى قصور قد بنيت و إلى بساتين قد غرست²، كما أن وصف المقدسي لتيهرت: "قد أحرق بها الأنهر"³، و التفت بها الأشجار و غابت في البساتين ونبعت حولها الأعين"⁴، تبين اهتمام سكان تيهرت بغرس الأشجار حول المدينة فزادت بها البساتين و هذه الظاهرة تكاد تكون عامة بالنسبة للمدن الجزائرية خلال العصور الوسطى و حتى الحديثة، فالبساتين كانت تزود تلك المدن بما تحتاج إليه من خضر و فواكه و حتى الحليب و مشتقاته لوفرة الأبقار والأغنام بتلك الضيعات و تربية النحل فالعسل كان كثيرا و سائر غلاتها كانت مباركة⁵، و قول الإدريسي في ذلك: "و بمدينة تاهرت مياه متدفقة و عيون جارية تدخل أكثر ديارهم و يتصرفون

1 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص86، جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص32.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص33، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج3، ص123.

3 - الأنهر: و قد جاءت أيضا في كلام ابن الصغير: "و أجروا الأنهر"، إلا أن الصحيح هو أنهار و نهر و نخور، ابن الصغير: المصدر السابق، ص53، ابن منظور: المصدر السابق، ج1، ص1144.

4 - المقدسي: المصدر السابق، ص229.

5 - الإدريسي: المصدر السابق، ص154، مختار حساني: المرجع السابق، ص316.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

فيها"¹ يظهر لنا أن سكان تيهرت استفادوا من هذه المياه الكثيرة، فأوصلوها إلى دورهم و أقاموا عليها بساتين و أشجارا عن طرق قنوات و خزانات من الفخار المطلي، و هذا ما دلت عليه الحفريات خاصة في الجزء الموجود جنوب الطريق الوطني رقم 11 والذي يربط تيارت بمشرع الصفا، وقد عرف هذا الجزء تشويها كبيرا خاصة في الجهة الشرقية منه بسبب تشييد القرية الفلاحية، و التي دمرت آثارا و أشكالا عديدة لبنايات مغمورة تحت التراب قضت عليها أسس هذه القرية الجديدة.

ففي الجهة الغربية من القرية وجدت بقايا الخزانات التي قام فيها جورج مارسيه و دوسوس لامار² بحفريتهما و هي في مجموعها خمسة خزانات³، و يفترض جورج مارسيه⁴ أن لهذه الخزانات دخلات بعرض 0.18 متر تحمل حنفيات يراقب منها مستوى المياه خاصة في موسم الجفاف، إلا أن عبد القادر دحدوح نفى هذه الفرضية بقوله أن هذه البقايا لا يمكن اعتبارها خزانا و إنما حماما لعدة أسباب منها:

- لوجوده بعيدا عن أسوار القصبية و الحصن، فلو كان خزانا وضع تحسبا لأي حصار لوضع بالقرب منهما و تحت حمايتهما.
- احتواؤه على غرف عديدة و بمقاسات مختلفة مفتوحة على بعضها البعض بأبواب، و هي ميزات تفتقد منها الخزانات التي عادة ما تكون ذات تخطيط بسيط مشكل من غرفة فتحت في أحد جوانبها فتحة صغيرة تسمح بمرور الماء.
- وجود مقاعد حجرية في إحدى غرفه و كوات صماء تتخلل جدرانها و في جميع غرفه من الداخل، فلو كان خزانا لما احتاج إلى تلك المقاعد و لما احتاج إلى تلك الكوات.
- احتواؤه على موقد ما زالت آثاره ماثلة إلى اليوم، و هذه ميزة من ميزات الحمامات عبر التاريخ.

1 - الإدريسي: نفسه، ص نفسها، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص22.

2 - G.Marçais et L.Dessus : Tihert Tagdamt, op.cit, p – p 32- 33.

3 - و يشتمل الخزان على ثلاثة أحواض رئيسية ذات شكل مستطيل و متلاصقة، و جدرانها مبنية بأحجار ملتحمة بالملاط و مدهونة بطلاء كثيف، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج3، ص124.

4 - G.Marçais et L.Dessus : op.cit, p33.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

- وجود باب يؤدي إلى الخارج، و هذا ما يجعلنا نتساءل عن الأسباب التي دفعت جورج مارسيه ودوسوس لامار إلى الاعتقاد بأن هذا المبنى خزان و هو مفتوح من الخارج¹، و هو إذن يعتبر البقايا المكتشفة تكون منها نطاق مدينة الأمير عبد القادر².

أما مواد البناء فقد استعملت الحجارة و الدبش بينما طليت الجدران بطبقة سميكة من الملاط، و نجعل ما إذا كانت هذه الخزانات مغطاة أو بقيت عارية، و نذكر أنه يجب أن تكون لها قنوات تجلب المياه و تصرف من خلالها و هذا ما لم نعثر عليه بعد، و وجودها خارج القسبة ليس من المعهود، فقد تكون هذه الخزانات في مرحلة متقدمة حيث اتسعت المدينة و جاءت الخزانات داخل الأسوار و شأنها شأن الخزانات في المدينة الإسلامية للاحتياط لأي حصار يرقب.

و قد ساعد تزويد أهل تيهرت بالمياه انحدار الأنهار من أعالي الجبال و كثرة الينابيع والعيون، و هذا ما نفهمه من قول اليعقوبي: "شرب أهل مدينة تاهرت من عيون يأتي بعضها من صحراء وبعضها من جبل قبلي يقال له جزول"³، و قول البكري: "و هي في سطح جبلي يقال له جزول... و هي على نهر يأتيها من جهة القبلة تسمى مينة و نهر آخر يجري من عيون تتجمع تسمى تاتش، و من تاتش شرب أهلها و بسايتها"⁴.

● الأسواق:

ذكر البكري: "و بتاهرت أسواق عامرة"، و في موضع آخر قال: "لها قسبة مشرفة على السوق"⁵، إلا أن المقديسي يضيف لنا شيئاً جديداً لهذه المظاهر العمرانية تتمثل في تحديد موقع الأسواق حيث ذكر: "بها (أي تيهرت) جامعان على ثلثي البلد... قريبان من الأسواق"⁶، أي أن

1- عبد القادر دحدوح: المرجع السابق، ص 67 - 68.

2- نفسه، ص نفسها.

3 - اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 358.

4 - البكري: المصدر السابق، ص 66 - 67.

5 - نفسه، ص - ص 66 - 68.

6 - المقدسي: المصدر السابق، ص 229، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 46 - 47.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الأسواق قريبة من أماكن العبادة أي المساجد، و هذا ما نلاحظه أيضا أغلب المدن الإسلامية وأحسن مثال على ذلك تلمسان و قسنطينة و فاس و تونس.

و لقد كثرت الأسواق في تيهرت إلى درجة أن أطلقت أسماء بعض منها على الأشخاص حيث ذكر ابن الصغير سوق ابن وردة¹، و كذا بعض المدن التي نسبت إلى تيهرت مثل سوق ابن جبلة و سوق كري و سوق ابراهيم²، و عن مدينة غزة يقول الإدريسي: "هي مدينة صغيرة القدر فيها أسواق مشهورة لها يوم معلوم"³، و ذكر أيضا ابن حوقل بمثل هذا و قال: "هي مدينة صالحة"⁴، و نفهم من هذا أنه كان لكل حي أو منطقة سوق خاص بها يسمى باسمها أو اسم شخص أو حتى باسم اليوم الذي تقام فيه السوق.

3- العمارة الحربية:

تشمل الأسوار و الأبراج و القلاع و الحصون و القصبات، و لعل من أهمها في تيهرت:

• الأسوار و الأبراج:

تخطيط الأسوار⁵ و الأبراج بالمدينة عموما و تدور حولها من جميع الجهات، و هي التي تفصلها تفصلها عن البادية و الحقول الزراعية و تحميها من الغزاة⁶.

إن الدولة الرستمية رغم أنها حددت مسارها باتجاه المسالمة و حسن الجوار⁷ لكن هذا لا يعني يعني أنها أهملت كلية تحصين مدينتها من الغزاة و تقوية ملكها و أمنها بالسلاح و الجيش، فقد أثار

1 - ابن وردة: و هو من العجم، كان مقدم العجم، و قد ابتنى سوقا يعرف به، ابن الصغير: المصدر السابق، ص54.

2 - و هي مدينة صغيرة فيها حمام و سوق و هي على نهر الشلف، ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

3 - الإدريسي: المصدر السابق، ص152.

4 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص79.

5 - السور: يقصد به الأبنية فهو كل منزلة من البناء، ابن منظور: المصدر السابق، م2، ص287.

6 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص107.

7 - M.Talbi : L'émirat aghlabide, paris, 1967, p353. - 7

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

ابن الصغير مثلا الإمام عبد الرحمن أمر أن يجعل من معونة إياضية المشرق ثلثا في الكراع¹ و ثلثا في السلاح... و اشتروا للقوم الكراع و السلاح و قوي الضعيف... و خافهم جميع من اتصل به خبرهم، و أمنوا ممن كان يغزوهم من عدوهم و رأوا أنهم قادرون على غيرهم و من كانوا يخافون أن يغزوهم...².

لقد كانت تيهرت العاصمة السياسية و الإدارية و كانت في نفس الوقت قاعدة عسكرية محصنة بسور من حجر ذات قسبة محكمة التحصين قادرة على أن تصمد لكل هجوم يأتيها من الخارج³.

لقد كانت حاجة المدن إلى بناء الأسوار ضرورية، يحتمون وراءها من الهجمات و اعتلوا الأبراج بحيث كانوا يرشقون منهم عدوهم، و لهذا وجب إحاطة كل مدينة تبرز إلى الوجود بسور⁴، و رغم أن اليعقوبي يصف تيهرت دون أن يشير إلى إحاطتها بسور⁵، و ابن حوقل أيضا رغم إشارته لتيهرت القديمة بأنها ذات سور فإنه لا يشير إلى محل وجود السور في تيهرت المحدث⁶، لكن ابن الصغير بإشارته إلى أبواب تيهرت يدل ذلك على أنها كانت محاطة بسور، و هذا ما ذكره البكري: "مدينة تيهرت مسورة و لها أربعة أبواب"⁷، و قال صاحب الاستبصار: "مدينة تاهرت وهي مدينة

1 - الكراع: اسم يجمع الخيل و السلاح لكن في هذا النص نفهم منه الخيل فقط لأن السلاح يذكر بعد هذا الاسم مباشرة، ابن منظور: المصدر السابق، ج3، ص1245.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 30-31.

3 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج3، ص109.

4 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص379.

5 - اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص358.

6 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص86.

7 - البكري: المصدر السابق، ص66، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص32.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

مشهورة قديمة كبيرة عليها سور صخر (أي حجر) و لها قصبة منيعة¹ و يحتمل أن يكون قد بني من لبن و طين تأثرا بالفن المعماري القروي².

و قد كشفت حفريات جورج مارسيه و دوسوس لامار³ عن الأسوار و الأبراج و هو ما لاحظته في الجزء المهم الذي به أكثر الآثار إذ به شكل مستطيل طوله 1100 متر و عرضه 400 متر يتكون من سور يحيط به من كل الجهات و بني بالحجارة المطروقة في صفوف مستقيمة و يتخلل السور من الداخل أكوام من الأحجار تبين استمراره و يعلوه انتفاخ في نقاط عديدة متساوية الأبعاد، يعتقد أنه مكان أبراج ثانوية مكونة للسور، أما في الزاوية الشرقية من السور فتظهر كومة من الأحجار المتراسة على شكل مستطيل قد تكون الجزء السفلي للبرج الرئيسي، و في الركن الغربي أيضا مبنى من الأحجار غير منتظمة في شكل مربع تقريبا قد يكون هو الآخر البرج الرئيسي الثاني⁴.

لهذا يجب إجراء حفريات منتظمة للكشف عن قواعد و أسرار هذه الأسوار و الأبراج وإلى ذلك الحين تبقى هذه مجرد افتراضات فقط.

● القصة:

و هي الحي الذي يسكنه الأمير أو الإمام أو السلطان و أسرته و حاشيته و جنده، مكونة من مباني مخصصة لهذه الطبقة الإجتماعية التي تنصدر الهرم الإجتماعي في المدينة و ترتب عليه و لها أبواب خاصة بها⁵، و قد ذكر المقديسي أن "تاهرت هي اسم لقصبة، هي بلخ المغرب"⁶، و ذكر البكري أن

1 - مؤلف مجهول: الإستبصار، المصدر السابق، ص66، سليمان الباروني: المرجع نفسه، ج2، ص27، محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص274.

2 - عبد الكريم جودت: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص34، و قد ذكر المقدسي و يعقوبي أن "القيروان كان عليها سور من لبن و طين" المقدسي: المصدر السابق، ص229.

3 - G.Marçais et L.Dessus : Tihert, op.cit, p57. — 3

4 - ينظر ملحق ررقم، ص رقم (صورة السور)

5 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص107.

6 - المقديسي: المصدر السابق، ص229.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

أن "لتاهرت قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة"¹، و قال صاحب الإستبصار: "مدينة تاهرت مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور و لها قصبة منيعة تسمى المعصومة"²، و شرح سليمان الباروني قول أبي اسحاق الفارسي عن تيهرت: "و مدينة كورة اسمها تاهرت و هي مدينة كبيرة"، بأن الكورة هي اسم لكل صقع أي ناحية تشمل على عدة قرى، ولها قصبة أي مدينة ينسب ذلك الصقع كله إليها كما هنا³، و ما نستنتجه من قول المقدسي و شرح سليمان الباروني لقول أبي اسحاق الفارسي أن مدينة تيهرت هي نفسها القصبة وتضم عدة أحياء و قرى، و ليس كما نعرفه أن القصبة هي جزء من المدينة أو كما عرفها عبد العزيز فيلاي.

و ما ورد لدى هؤلاء أكدته حفريات الأثرين جورج مارسيه و دوسوس لامار⁴ حيث اكتشفا اكتشفا سور المدينة الذي كان محاطا بهيكل مستطيل الشكل اعتقدا أن يكون هذا المستطيل هو القصبة، أو بعبارة أخرى أول تمركز للمدينة في مرحلتها الأولى دون التوسعات التي عرفتها في الفترات اللاحقة خاصة فترة أفلاح بن عبد الوهاب حيث بنيت القصور و اتسعت البلاد، و من مميزاتا أنها بنيت بأحجار مطروقة مستوية، وتحتل شكلا مستطيلا يصل طوله إلى 100 متر تقريبا و عرضه إلى 33.65 مترا من خلال تقرير الباحثين جورج مارسيه و دوسوس لامار⁵.

1 - البكري: المصدر السابق، ص66.

2 - مؤلف مجهول: الإستبصار، المصدر السابق، ص66، و يعلق سليمان الباروني على كلامه بأن اسم هذه القصبة بالمعصومة يدل على القوة التي كانت بها المدينة و قصبتها، فإن العصمة لغة المنعة، فقد طابق اسمها وصفها، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص27.

3 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 27.

4 - G.Marçais et L.Dessus : Tihert, op.cit, p32- 33, R.Bouruiba : Tahert à l'époque rostomide, Algerie Actualité n 495, 1975, p14.

Ibid, p - p 42 - 53.

- 5

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و رغم عدم ظهور الأسوار التي تحيط بالقصبة، توصل الباحثان¹ إلى وضع فرضية للمدخل الرئيسي في الجهة الشمالية الشرقية، و هو عبارة عن ممر على جانبيه مقاعد حجرية، و يؤدي المدخل مباشرة إلى ساحة في الوسط طولها 53.20 مترا و عرضها 22 مترا يجدها من الجوانب الأربعة غرف تختلف مقاساتها و اتجاهاتها من غرفة إلى أخرى، و على يسار المدخل مباشرة في الجهة الشمالية الشرقية غرفتان عريضتان خصصتا للإستقبال، و من الجهة الجنوبية الشرقية حوالي خمسة غرف، غرفة بها مدخلان يعتقد أن تكون غرفة الحرس أو الإسطبل، و تحتل أيضا الجهة الجنوبية الغربية غرف يصل عمق الواحدة منها 4.50 مترا و عرض يتراوح ما بين 2 متر إلى 2.50 متر، و قد عثر في غرفة على فحم اعتبرها الباحثان² مطبخا، والغرف المجاورة لها ملحقات، و في الجهة الشمالية الغربية غرف طويلة عمقها 20 مترا و عرضها 2.75 مترا يعتقد أن تكون مخصصة للتخزين يقطعها ممران بهما سلام، مما يؤكد وجود طابق علوي للقصبة يحتمل أن يكون على نفس تخطيط الطابق الأرضي، أما مواد البناء المستعملة، فقد غطيت أرضيت الغرفة بالآجر و طلاء من الجير، أما الجدران فطلبت بطلاء أملس، أو استعملت في هذه القصبة تقنيتان للبناء، الأولى عبارة عن أحجار مختلفة الأحجام تتخللها أحجار صغيرة و في اتجاهات مختلفة، أما الطريقة الثانية فهي عبارة عن أحجار متساوية و مطروقة بطريقة متقنة، و يرى الباحثان أن هذه القصبة لها نفس تخطيط القصور الأموية باتخاذها فناء كبيرا و غرفا طويلة على الجانبين و كذا المدخل الرئيسي بمقاعد الحجرية، نذكر أن الوصف الذي قدمه الباحثان و المخطط الذي وضعوه لا نجد له أثرا في الموقع سوى بعض البقايا، لما عرفته من تدهور و تدمير أفقدها معالمها الأساسية.

لكن اليعقوبي و ابن الصغير لم يشيرا إلى وجود قصبة في تيهرت مع أنهما ذكرا عددا من القلاع والحصون سنذكرها لاحقا، و هذا يجعلنا نستنتج أن ما اكتشفه الأثريان جورج مارسيه ودوسوس لامار يرجع إلى فترات متأخرة من العهد الرستمي، وهذا ما لاحظته أيضا موسى لقبال،

Ibid, p 46.

- 1

G.Marcais et L.Dessus, op.cit, p-p 49- 50.

- 2

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

حيث رأى أن بعض المنشآت التي ورد ذكرها عند الجغرافيين و الرحالة العرب كقلعة المعصومة قد ظهرت في فترات متأخرة في العهد الرستمي، و ربما في العهد الفاطمي¹.

● أبواب المدينة:

لقد جرت العادة عند المسلمين أن يؤسسوا أبوابا في اتجاه المدن الكبيرة سواء داخل البلاد أو خارجها، ويسمونها في بعض الأحيان بأسماء هذه المدن مثل باب فاس في تلمسان².

أما بخصوص مدينة تيهرت، فقد أشار ابن الصغير إلى وجود أبواب المدينة، فنذكر باب الصفا بقوله عند دخول وفد البصرة تيهرت: "حتى دخلوا من الباب المعروف بباب الصفا... حتى وقفوا عليها و أصابوا عند بابها"³، و أضاف "أن يعقوب بن أفلق أمر بأبواب المدينة فغلقت إلا بابا واحدا"⁴، و يضيف البكري إلى باب الصفا أبوابا أخرى بقوله: "مدينة تاهرت لها أربعة أبواب، باب الصفا و باب المنازل و باب الأندلس و باب المطاحن"⁵.

و يشرح سليمان الباروني شرحا وافيا و باستحسان لأسماء هذه الأبواب بقوله: "ما أطف هذه الأسماء و ما أحسن هذا التقسيم المحكم الذي لم يدع للزدحام مجالا، إذ خصص لكل شغل من هذه الأسماء الأربعة التي عليها مدار حركات الناس بابا، فالذين ينقلون أنواع الحبوب لأجل الطحن لهم باب المطاحن و الذين يريدون السفر أو عبور البحر إلى الأندلس من التجار و غيرهم لهم باب الأندلس، والمشتغلون بالعمل في البساتين لهم باب المنازل، و الذين يريدون النزهة والرياضة

1 - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص235.

2 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص107.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص29، و قد جاءت عند البكري باسم "الصبا"، البكري: المصدر السابق، ص66، رشيد بورويبة: الفن الرستمي، تاهرت و سدراتة، مجلة الأصالة، العدد 41، جانفي 1977، ص184.

4 - ابن الصغير: المصدر نفسه، ص97، و يقول سليمان الباروني: "فأمر يعقوب بأبواب المدينة فأغلقت و ترك واحدا وقف عليه بنفسه مع من كان معه"، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص360.

5 - البكري: المصدر السابق، ص66، رشيد بورويبة: الفن الرستمي، المرجع السابق، ص184، القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص111.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

البدنية و تسلية النفس لهم باب الصفا¹، و بهذا يعلم ما كان في هذه المدينة من حسن الإنتظام والترتيب²، و لا يستبعد أن هذه الأبواب الرئيسية كانت مصفحة بالحديد و لها مصاريع حديدية تغلق بها، و هذا نستشفه من قول ابن الصغير عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب: " و ابتنى القصور واتخذ بابا من حديد"³.

و يحدد أحمد سليمان⁴ موقع هذه الأبواب على الشكل التالي:

- باب الصفا من الجهة الشرقية.

- باب المطاحن من الجهة الغربية.

- باب الأندلس في شمال المدينة.

باب المنازل في جنوب المدينة و تستعمله القوافل القادمة من الصحراء.

● الحصون و القلاع:

دعت الضرورة الدفاعية إلى ظهور عدد من الحصون، و قد كانت منتشرة في أرجاء المغرب الأوسط، يلتجئون إليها حالة تعرضهم لهجوم خارجي، و بالتالي انتشرت حول تيهرت، و قد أشار ابن الصغير إلى ذلك، فذكر حصن لواتة⁵، و كان للبرستيين حصنهم ب"نمليت" في طرف لواتة، يقع على نهر مينة، فيه مواشيههم و عبيدهم.

1 - جودت عبد الكريم عن باب الصفا أنه من المرجح أنه على الصورة التي وردت عند ابن الصغير، إذ بما أنه الباب الشرقي، فربما قصد به باب الحج مثلما قيل باب الأندلس، و ربما تيمنا بباب الصفا أحد أبواب مكة المكرمة، جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص34.

2 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 32-33.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص53.

4 - أحمد سليمان: المرجع السابق، ص 82-83.

5 - حصن لواتة: نسبة إلى قبيلة لواتة التي عندما تسلطت عليها هوارة ضغنت عن المدينة و خلعت عنها و نزلت بحصنها المعروف المعروف بحصن لواتة، ابن الصغير، المصدر السابق، ص74.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

كما ذكر كل من اليعقوبي و ابن الصغير عددا من الحصون و القلاع المحيطة بها مثل اسكدال¹ و تسلونت²، حيث ورد في قول ابن الصغير أن: "محمود بن الوليد (ثائر بتيهرت) قد صعد إلى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة"³، و قال أيضا أن أبا اليقظان: "أتى الظاهر المشرف على المدينة المعروفة بقلعة نفوسة"⁴، و كان هناك أيضا حصن تالغمت⁵ خارج المدينة، و قد كانت الحاجة الملحة إليها خاصة أثناء الفتن التي شهدتها عهد الإمام أبي بكر⁶.

و من القلاع المنتشرة في المغرب الأوسط، نذكر قلعة "ابن هرب" و قلعة "مغيلة" و منها حصن "برقجانة"، المعروف بتيهرت القديمة⁷.

و هكذا نستنتج أن الأئمة الرستميين و حكماء تيهرت اتخذوا القصور البديعة لسكانهم وأسسوا دولة شاملة و كافية بنيت دعائمها على البر و الإسلام و عملت على نشره و تعميم مظاهر الرفاهية والرخاء، فوسعت نطاق التجارة مع كل البلاد، و أقبل البربر و المسلمون على خدمة الأرض، فأصبحت مملكة تيهرت حديقة غناء فيها من كل فاكهة زوجان⁸.

نستنتج من خلال عرضنا للمظاهر العمرانية أن اتساع دائرة تيهرت و عظم ملكها ودخول عدة مدن تحت طاعتها و ولائها، فقد كانت تيهرت شمالها و جنوبها و شرقها و غربها محفوفة بمدن كثيرة متحضرة و راقية، مما جعل المؤرخين و الرحالة ينسبون عدة مدن إليها و يتبعونها لها، و من

-
- 1 - اسكدال: و هو بقبلة تيهرت على مسيرة يوم و أزيد قليلا في مجتمع الإباضية، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص73.
 - 2 - تسلونت: هو على مسيرة أميال عن حصن لواتة و منه مخرج عيون نهر مينة الجاري من قبلة تيهرت، كما يعرف أيضا بحصن تاملونت أو تماليت و يقع على طرف لواتة الذي نزل به أبو اليقظان أثناء الفتنة بين هوارة و لواتة، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 74- 93، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 329- 355.
 - 3 - الكنيسة: تطلق على دار ابني دبوس: أحمد و محمد، ابن الصغير: نفسه، ص100.
 - 4 - هو عبارة عن حصن بناه النفوسيون والرستميون في عدوة نفوسة، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 72- 73.
 - 5 - تالغمت: لعلها هي القرية المعروفة بتيلغمت في صحراء الجزائر بين الأغواط و غرداية على بعد 90 كلم، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص94، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص336.
 - 6 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص383.
 - 7 - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص- ص 153- 163.
 - 8 - محمد بلغراد: المرجع السابق، ص46.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

هؤلاء، المقدسي الذي يذكر أهم هذه المدن فيقول: "و يقرب تيهرت مدينة تسمى رها، و قد خربت، و تنس مسورة عن البحر، شريهم من نهر، و قصر الفلوس و تيهرت السفلى أي القديمة على واد عظيم ذات أعين و بساتين، و أفكان مسورة على واد جار ذات بساتين، و يلل و جبل توجان على ما ذكرنا سواء مسورة مما يدل على رقيها ذات بساتين، و هو دليل على حضارتها وعمرانها، ووهران بحرية مسورة يقلعون منها إلى الأندلس في يوم وليلة، ترى منها البرين، و هي أحد المقابر المشهورة، و جبل زلاغ مدينة على جبل عال يطل على كورة فاس، بناها خلوف بن أحمد المعتلي وبقية المدن أكثر من مسورات ذات بساتين"¹.

و هذا سليمان الباروني ينقل لنا نصا عن البشاري الحرفي ينسب ما يقارب أربعين مدينة لتيهرت بقوله: "و لتيهرت يممة، تاغليسة، قاعة ابن الهرب، حرارة، جعابة، غدیر، الدروع، لمائة، منداي، سوق ابراهيم، رهاية، البطحة، الزيتونة، تمما، يعود، الخضراء، واريفن، تنس، قصر الفلوس، بحرية، سوق كري، منحصة، أوزكي، تبرين، سوق بن مبلول، ربا، تاويلت أبي مغلول، تمزيت، تاويلت لغو، أفكان (و بها نهر يأتي إلى تيهرت)"².

و من خلال هذين النصين نستنتج بعض المدن التي نسبت إلى تيهرت و منها مثلا مدينة إفكان التي يؤكد كل من الإدريسي و ابن حوقل على أنها كانت تابعة لتيهرت³ و مدن أخرى كتنس و شلف وحتى وهران⁴.

1 - المقدسي: المصدر السابق، ص230، محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص 231-232.

2 - البشاري الحنفي نقلا عن سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص39.

3 - الإدريسي: المصدر السابق، ص151.

4 - للمزيد أكثر عن المدن المنسوبة إلى تيهرت، ينظر، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 55-82.

الفصل الثالث: أوضاع القيروان و تيممته السياسية و الإدارية

المبحث الأول: القيروان منذ التأسيس حتى سيطرة العبيدين

أولاً- القيروان في عصر الولاة من بني أمية و بني العباس

بما أننا تحدثنا عن هذا العصر في الفصل الأول بشيء من التفصيل خاصة في الجانبين السياسي والاداري، فسنتصر هنا بذكر بعض الولاة الذين كان لهم دور كبير في مدينة القيروان، وأهم منجزاتهم العمرانية و الاقتصادية و الاجتماعية فيها.

فبعدهما أتم حسان بن النعمان فتح افريقية، عاد إلى القيروان و جدد جامعها و أقام بها لا ينازعه أحد، و عمرها المسلمين و انتشروا و أمنوا فيها¹، التفت حسان إلى وضع أسس النظام الاداري كما سبق الذكر، فوظف الخراج على الأراضي و دون الدواوين، و جعل اللغة العربية لغة رسمية، و وزع على صغار البربر مساحات كبيرة من الأراضي التي كانت فيما مضى ملكا للحكومة

1- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج4، ص 31- 32، المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج2، ص57.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

البيزنطية¹، و بإقرار البربر في الأرض و مساعدتهم على الكسب من الزراعة، استمال قلوبهم، و قرحهم من الاسلام حتى اتخذ منهم جيشا عظيما أعان العرب فيما بعد على فتح المغرب و الأندلس وبذلك تعد ولاية حسان بن النعمان بحق بداية للفتح الاسلامي الحقيقي²، فواصل موسى بن نصير جهود حسان بن النعمان حيث أمر العرب أن يعلموا البربر القرآن و أن يفقهوهم في الدين، كما أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز بعثة دينية ضمت عشرة من وجوه التابعين لتفقيه البربر وارشادهم إلى شرائع الاسلام و تعاليمه العالية، فاحتط كل واحد منهم دار سكناه بالقيروان، و بنى بجانبها مسجدا لعبادته و مجالسه، و اتخذ بقره كتابا لتحفيظ القرآن و تلقين مبادئ العربية لصغار أطفال البربر³.

و من الولاة الذين تتابعوا على افريقية من قبل الخلافة الأموية نذكر:

* **بشر بن صفوان الكلبي:** الذي جدد جامع القيروان و وسعه بأمر من هشام بن عبد الملك سنة 105هـ⁴.

* **عبيد الله بن الحبحاب:** و هو أول من نظر في أسواق التجارة و الصناعة في القيروان، فكان السماط (سوق القيروان) ممتدا من القبلة إلى الجوف (الشمال)، و طوله من باب أبي الربيع إلى الجامع ميلان غير ثلث، و من الجامع إلى باب تونس ثلثا ميل، و كان سطحها متصلا فيه جميع المتاجر و الصناعات، و كان قد أمر بترتيبه هكذا هشام بن عبد الملك سنة 120هـ⁵، كما أمر هشام عامله بن الحبحاب بإنشاء خمسة عشر ماجلا خارج سور المدينة لتكون سقايات لأهلها، و مازالت بعضها معروفا إلى الآن بالقرب من فسقية الأغلبة على حد قول منى عثمان⁶، و كانت هذه المواجل

1- منى عثمان: مساجد القيروان، المرجع السابق، ص14.

2- حسن حسيني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، 1968، ص57.

3- حسن حسيني عبد الوهاب: العمر في المصنفات و المؤلفين التونسيين بيت الحكمة، تونس، 1990، ج1، ص46.

4- منى عثمان: مساجد القيروان، المرجع السابق، ص18.

5- البكري: المغرب، المصدر السابق، ص71.

6- منى عثمان: مساجد القيروان، المرجع السابق، ص18.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

من المتممات الضرورية لتكامل عمران المدينة، ويرى حسن حسيني عبد الوهاب أن مجاري المياه الوسخة (قنوات الصرف) الموجودة بالقيروان إنما انشئت في العصر الأموي أيضا و كانت في غاية الاتقان من الناحية الفنية¹.

* **ولاية الأسرة الفهرية:** و في سنة 129هـ دخل القيروان عبد الرحمن بن حيين بن عبيدة بن عقبة بن نافع² الفهري من أحفاد عقبة، و استطاع أن يحصل على ما يشبه الحكم الذاتي، مع التبعية الاسمية للخلافة الأموية، و هو أول وال يحقق هذا، و قد استمر حكم أسرته حتى عام 140هـ، فعبد الرحمن آخ وال يحكم افريقية في العهد الأموي، و أول وال يحكمها في العهد العباسي إذ خطب للعباسيين و سود³، و لما هاجت فتن الخوارج بالمغرب، و كثر ضررهم و اشتدت شوكتهم، أرسل أبو جعفر المنصور مجد بن الأشعث واليا على افريقية، فقاتل الخوارج و نشر الصفرية و به شملهم واستقام له الأمر، فدخل القيروان سنة 144هـ وبنى سورها المتضرر من الحرب بعرض 17 ذراعا، و عمل في رجب 146هـ⁴ و غار الجند على بن الأشعث فخرج من القيروان سنة 147هـ متوجها إلى العراق، وولى على الجند عيسى بن موسى الخرساني⁵ فوجه المنصور إلى الأغلب بن سالم التميمي بولاية افريقية افريقية و أمره بالعدل في الرعية و حسن السيرة في الجند، و تحصين القيروان و خندقها، و ترتيب حرسها و من يترك فيها إذا رحل عدوه، فاستقامت له الحال و لكن الحسن بن حرب ثار عليه و قتله سنة 150هـ.

* **ولاية الأسرة المهلبية:** صارت ثاني أسرة عربية عريقة بافريقية عام 151هـ بعد تولي عمر بن حفص الملقب بهزار مرد الولاية، و كان بطلا شجاعا اجتمع إليه وجوه القيروان، فواصلهم و أحسن إليهم، و أقام الأمور مستقيمة ثلاث سنوات و أشهر⁶، و بنى مدينة طبنة في الزاب بأمر من الخليفة

1- حسن حسيني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1972، ج1، ص57.

2- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1575.

3- منى عثمان: مساجد القيروان، المرجع السابق، ص19.

4- منى عثمان: المرجع السابق، ص19.

5- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص72-73.

6- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص46.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

المنصور، ثم حوَّص بالقيروان من قبل الاباضية، و قتله أبو حاتم الأباضي عام 154هـ فاستقدم الخليفة المنصور، يزيد بن حاتم المهلي و عينه على المغرب، و خرج يتبعه حتى أتى بيت المقدس، فأمره بالنفوذ، و انصرف أبو جعفر¹، فقدم يزيد إلى القيروان سنة 155هـ و قضى على الاباضية، و أزال الفساد، و نادى في الناس جميعا بالأمان و وجه اهتمامه لعمارة البلاد، و رتب أسواق القيروان، وجعل كل صناعة في مكانها، و جدد بناء المسجد الجامع و زاد في علو أوار المدينة، حتى نسب إليه تمصيرها، لم يبعد من الحق، و لكنه حسنها و زاد قدرها²، و تعد فترة حكم يزيد من أحسن فترات عصر الولاة على افريقية و أكثرها خيرا، سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو المعمارية أو العلمية، فقد جلب معه وسائل الترف و أسباب التمدن، و جاء صحبته عدد كبير من العلماء والأدباء و الأطباء و أهل الفن، و أعاد عليهم العطايا، و حرص على أن يجعل من عاصمته القيروان "بصرة صغيرة" على غرار المدينة العراقية الكبيرة التي سطع فيها نجم أسرته منذ أوائل العهد الأموي، فظهرت القيروان التي تطورت تطورا كبيرا في مدته بمظهر المدينة الاسلامية الكبيرة³، وتوفي يزيد عام 170 هـ فخلفه أخوه روح بن حاتم، و انتهى حكم الأسرة المهلبية سنة 178هـ بمقتل الفضل بن روح ليبدأ حكم الأسرة الأغلبية.

ثانيا- القيروان في العهد الأغلي

لقد قدر لهذا العهد أن يدوم 109 سنوات ميلادية و 119 هجرية⁴، بداية من أول أمير وهو ابراهيم بن الأغلب سنة 184هـ/800م إلى آخر أمير و هو أبو معز زيادة الله الثالث 296هـ/909م، شهدت خلاله القيروان تطورات عديدة في شتى الميادين الحضارية من فكرية و ثقافية واقتصادية و اجتماعية و عمرانية، فقد ازدهرت الحضارة بالقيروان طيلة عهد الأغالبة، و عرفت نهضة علمية و فكرية و ثقافية بوجود سند علمي متواصل عند مشايخ القيروان، و استمرت المدنية في

1- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر بيروت، د.ت، ج2، ص386.

2- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية و المغرب، المصدر السابق، ص111.

3- فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994، ص52.

4- محمد علي: الاشعاع الثقافي، المرجع السابق، ص30.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

عطائها الأدبي و الفقهي و العلمي¹، و كان هذا العهد متزامنا مع عهد الرستميين في تيهرت، لهذا رأينا أن نبرز الظروف التي نشأت فيها الدولة الأغلبية و نظام حكمها، و أجهزتها الادارية والعسكرية، و أمرائها و خاصة أولئك الذين كان لهم دور في حضارة القيروان، فما هي اذن الظروف التي نشأت فيها الدولة الأغلبية؟ و كيف كان نظام حكمها؟ و ما هي أهم الانجازات التي أحدثتها الأمراء الأغلبة في القيروان؟

1- تأسيس الدولة الأغلبية و ظروفها:

ارتبط تأسيسها بردة فعل العباسيين على الثورات العديدة المناهضة للحكم القائم التي ظهرت بالمغرب الاسلامي خاصة في عصر الولاة لأن وجود دولة تابعة للخلافة العباسية في افريقية يضمن عدم قيام كيان سياسي قوي قد يهدد مركز الخلافة ببغداد².

و تعود جذور قيام هذه الدولة إلى عهد أبي سعد منصور الذي بعث بمحمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي بجيش قوي كان من بين جنود الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي³، والذي ولاه المنصور ولاية افريقية سنة 148هـ/ 765م⁴ إلى أن قتل في مواجهته للحسن بن حرب سنة 150هـ/ 767م، و قد عرف بالشهيد⁵، توالى ثورات البربر على المغرب إضافة إلى حركات التمرد من قبل الجند العربي ضد ولاة المغرب، و كان آخرها الاضطرابات ضد محمد بن مقاتل العكي الذي كرهه أهل القيروان كرها شديدا خاصة بعد أن ضرب الفقيه البهلول بن راشد بالسياط حتى مات⁶،

1- أحمد الطويلي: شهيرات القيروان و معالم حضارية، ط1، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس، 1434هـ/ 2013م، ص5.
2- محمد عليلي: الاشعاع الثقافي، المرجع السابق، ص30.
3- هو من أسرة عربية تميمية صفرية، ارتبط اسم الدولة به، و في نفس الوقت شعار اعتمده الأغلبة، يدل على الغلبة و النصر و تم رسمه على السكة أيضا، مصطفى أبو ضيف أحمد: أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين و بني مرين، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1983، ص46، غلب يعني صاحب الرقية الطويلة، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م2/ ص1003.
4- مصطفى أبو ضيف أحمد: نفسه، ص41.
5- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج5، ص26.
6- ابن أبي الضياف: تحاف عهد الزمان، المصدر السابق، ج1، ص124، ابن وردان: تاريخ مملكة الأغلبة، مكتبة مديولي، القاهرة، 1988، ص15.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

فأشار أعيان القيروان على ابراهيم بن الأغلب مكاتبة هارون الرشيد في أمر تعيينه واليا على افريقية عندما أظهر شجاعة كبيرة في تخليص بن مقاتل العكي عندما تمرد عليه تمام بن تميم التميمي¹، فقد رأى فيه عامل القيروان كفاءة سياسية و قوة عسكرية قادرة على ضبط الأمن و الاستقرار في افريقية وهو الأمر الذي دفع صاحب البربر بافريقية يحيى بن زياد² من أن يكتب إلى الرشيد بتولية ابراهيم بن الأغلب، و ذكر ابن خلدون أن ابراهيم بن الأغلب كتب إلى الرشيد في ذلك، على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر إلى افريقية، وعلى أن يحمل هو من افريقية إلى مصر أربعين ألفا كل سنة، و بلغ الرشيد غناؤه في ذلك، و استشار فيه أصحابه فأشار هرثمة بولايته و كتب له بالعهد

على افريقية منتصف أربع و ثمانين³، و جعل الولاية وراثية في عقبه⁴.

إن هذه الأحداث التي عرفها المغرب في النصف الثاني من الزمن الثاني الهجري، و التي توجت بتأسيس إمارات مستقلة عن الخلافة العباسية أقنعت الخليفة الرشيد بضرورة التسليم لإقامة إمارة شبه مستقلة عن الدولة العباسية تضمن استقرار المنطقة و تكون حاجزا أمام أطماع الامارات المستقلة في المغرب، خاصة الادريسية التي تأسست على خلفية شرعية آل البيت في الخلافة⁵، و كان ابراهيم بن الأغلب الشخصية المناسبة لتولي أمور افريقية، لا سيما و أن ولايته على اقليم الزاب من طرف هرثمة بينت كفاءته العسكرية و حنكته السياسية، الشيء الذي دفع الرشيد أن يكتب له بالولاية في صفر 184هـ / 800م⁶، على أن تكون وراثية و هذا اعتراف صريح من قبله باستقلال افريقية في تسيير

-
- 1- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص89، عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، المرجع السابق، ص195.
 - 2- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب الكبير، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر 1990، ج3، ص29، محمد عليلي: الاشعاع الثقافي، المرجع السابق، ص31.
 - 3- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1580، منى عثمان: مساجد القيروان، المرجع السابق، ص21.
 - 4- عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال افريقيا، المرجع السابق، ص197-198، منى عثمان: نفسه، ص نفسها.
 - 5- محمد عليلي: الاشعاع الثقافي، المرجع السابق، ص31.
 - 6- ذكر بن الأثير تاريخ الولاية محرم 184هـ، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج5، ص104.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

شؤونها مع بقائها مرتبطة اسميا و مذهبيا بالخلافة العباسية¹، من خلال ذكر اسم الخليفة على المنابر وهو ما يمكن تسميته بالاستقلال الذاتي (أي جزئي محلي فقط) بالمصطلح الحديث².

إن اعتراف هارون الرشيد باقامة دولة للأغالبة في المغرب هو في الحقيقة اعتراف للعائلة الأغلبية بجميل الأغلب بن سالم الذي خدم بني العباس مع أبي مسلم الخرساني في توطيد أركان الخلافة العباسية، كما أن شجاعة ابنه ابراهيم فرضته قائدا قادرا على ضبط أمور افريقية.

2- حدود الدولة الأغلبية و نظام حكمها:

ضمت هذه الدولة افريقية أي المغرب الأدنى و الجزء الشرقي من المغرب الأوسط إلى غاية بجاية، وامتدت حتى طرابلس شرقا مرورا بالزاب جنوبا، و يذكر محمد طالبي أن حدودها امتدت من تونس الحالية حتى الشرق الجزائري حاليا إلى غاية بجاية مرورا بسطيف و بسكرة³، و أهم المدن التي كانت ضمن الرقعة الجغرافية للدولة الأغلبية هي تونس و القيروان، و قسطنطية، و طرابلس، و مدن الزاب مثل باغاية و طنبنة وغيرها⁴، و يقول أحمد الطويلي أن القيروان كانت عاصمة للمغرب الكبير والأندلس حتى جنوب فرنسا وعديد الجزر بالبحر المتوسط، و كان الحكم يمتد شرقا من هذا البحر إلى المحيط الأطلسي غربا، فكان للقيروان تأثير كبير في المغرب العربي و جنوب الصحراء و الأندلس، و كانت عاصمة كبيرة بعمرانها وعلومها و صنائعها و أسواقها⁵.

أما فيما يخص طبيعة نظام الحكم فيها، فبحكم ارتباط الدولة الأغلبية بالدولة العباسية اسميا، فقد اقتبست منها نظام الحكم و سارت عليه إلى غاية سقوطها، و ذكر اسم الخليفة العباسي على المنابر، وكذا تسمية المدينة الجديدة التي أسسها باسم "العباسية" إنما يدل على هذا الارتباط المعنوي بالدولة العباسية، وكان نظام الحكم وراثيا، لقب حكامها بالأمرء، و الأمير هو رأس السلطة، يقوم

1- اتخذت الدولة الأغلبية شعار اللون الأسود و هو نفس شعار الدولة العباسية، كما أن أمرءا كانوا يعتقدون المذهب الحنفي رغم أن مذهب غالبية الأهالي هو المذهب المالكي، محمد طالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص72.

2- محمد عليي : الاشعاع الثقافي، المرجع السابق، ص32.

3- محمد طالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص144.

4- رابح بونار: المغرب العربي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1968، ص33.

5- أحمد الطويلي: المرجع السابق، ص 7- 8.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

بتسيير شؤون الإمارة في السلم و الحرب، و يساعده اليزيد الذي يرأس مجموعة من الكتاب يشرفون على الدواوين مثل ديوان الخراج و ديوان البريد¹، و هو تقليد أخذه الأغلبة من العباسيين و من الامارات الاسلامية المعاصرة لهم²، تبرز بشكل واضح عناية الأغلبة بجهاز القضاء وبيت المال والجيش * القضاء: يتمتع بالاستقلالية، أي عدم تدخل الأمراء أو الولاة في شؤونه، و قد تولى هذا المنصب قضاة عرفوا بغزارة الفقه و الالتزام بتطبيق الأحكام القضائية وفق العدل و الشرع، و القضاة على المذهب المالكي، و المذهب الحنفي، و هناك من كان منهم على مذهب المعتزلة³، و من أوائل القضاة الذين انهموا في تنشيط الحركة الفقهية نجد "البهلول بن راشد أبو عمر القيرواني" و هو أحد أصحاب الإمام مالك بن أنس الذي أعجب بعلمه و قدرته على استنباط الأحكام الفقهية، فقال فيه "هو عابد بلده"⁴.

و من المهام التي أدرجت ضمن جهاز القضاء مهمة الحسبة⁵، ووظيفة المحتسب هي مراقبة الاسواق⁶ و مراقبة الآداب العامة، و أول من نظم الحسبة في افريقية هو الإمام سحنون⁷، فقد كان يتجول في الأسواق و يراقب من يغش الناس في السلع فيؤديه.

1- محمد طالي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص 74 - 75.

2- محمد عليلي: الاشعاع الثقافي، المرجع السابق، ص34.

3- سيأتي تعريفها و الحديث عنها في الباب الثالث (عوامل تطور الحركة الفكرية).

4- ابن أبي الضياف: تحاف الزمان، المصدر السابق، ج1، ص124، قاسم علي سعد: تراجم جمهرة الفقهاء المالكية، دار البحوث للدراسات الاسلامية و إحياء التراث، ط1، 2002، ج1، ص357.

5- الحسبة مشتقة من الحساب أي العد و هي تعني كذلك طلب الثواب و مراقبة الانسان لأعماله فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "احتسبوا أعمالكم، فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله و أجر حسبته" و الاحتساب في الشرع طلب ثواب الآخرة، و الحسبة نظام اسلامي يعني الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يذكر أن عمر بن الخطاب ضرب جمالا لأنه أثقل على جملة انطلاقا من النهي عن المنكر، ارتبطت هذه الوظيفة بالقضاء إلى أن فصلها سحنون و عين لها أمناء أو محتسبين خاصين، ينظر، موسى لقبال: المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص188.

6- Atallah DHINA :les etats de l'occident musulmane, au 13,14,et 15^{ème} siècle, office des publications universitaires, Alger, s.d, p- p 350- 351.

و سيأتي الحديث عن نظام الحسبة في الأسواق في الباب الثاني، الفصل الأول.

7- سمي سحنون لحدة نظره في المسائل الفقهية، الدباغ: معالم الإيمان، المصدر السابق، ص78، تولى القضاء في عهد الأغلبة سنة 234هـ و قام بتفريق حلقات جميع المخالفين و منع الفتوى بغير مذهب مالك، أبو العرب: المصدر السابق، ص83، بن

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

* **بيت المال:** أقام الأغالبة دارا لسك النقود و بيتا للمال على غرار ما كان معمولا به في باقي الأقاليم الاسلامية آنذاك¹، و كانت مواردها من الخراج و الزكاة و الجزية التي تفرض على الذميين.

* **الجيش:** كان الجيش الأغلبي جيشا نظاميا، يضم عدة عناصر منهم العرب و البربر و العجم، والعبيد السود و هم من زواج السودان، فقد بلغ عددهم في أيام ابراهيم بن الأغلب حوالي عشرة آلاف جندي².

كما اهتم الأغالبة بالأسطول البحري و ذلك لإدراكهم للمخاطر التي يشكلها الروم على سواحل افريقية و كذلك إخماد ثورات الاباضية في طرابلس³، و لأجل إتمام عملية الفتح، مثل فتح صقلية في عهد الأمير الأغلبي الثالث زيادة الله الأول، الذي أسند مهمة فتحها للقاضي أسد بن الفرات الذي قال لزيادة الله عند تكليفه هذه المهمة: "أصلح الله الأمير أبعد القضاء و النظر والحلال و الحرام تعزلي و توليني الإمارة؟ فقال له زيادة الله: إني لم أعزلك عن القضاء وقد وليتك الإمارة وهي أشرف من القضاء فأنت قاض أمير"⁴، حيث خرج هذا الأخير في حملة قوامها 10 آلاف جندي انطلق من مدينة سوسة نحو صقلية في سنة 212هـ / 827م⁵.

3- الأمراء الأغالبة:

لقد حكم افريقية أحد عشر أميرا من بني الأغلب، حكم معظمهم مدة قصيرة وصلت في بعض الأحيان إلى أقل من العام، و أكثر أمراء الأغالبة ذكرا، نجد ابراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة، و قد حكم اثنتي عشر سنة، ثم ابنه زيادة الله ثالث أمراء البيت الأغلبي، و قد حكم اثنتين و عشرين

محمد بن مخلوف: المصدر السابق، ص69، كمال السيد مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل فتاوى المعيار المغرب للونشريسي، مركز الاسكندرية، مصر، 1996، ص14.

1- محمد طالي: المرجع السابق، ص304.

2- محمد عليلي: الاشعاع الثقافي، المرجع السابق، ص35، حسن حسيني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة، المرجع السابق، ص78.

3- عبد العزيز و أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب و الأندلس، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1969، ص99.

4- حسن حسيني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص80.

5- عبد العزيز و أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص105.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

سنة، ثم ابنه ابراهيم بن أحمد بن أبي عقيل تاسع أمراء البيت، و هو أطول أمراء هذا البيت حكماً، إذ أنه حكم تسعاً وعشرين سنة، و لكن عصره كان مضطرباً، اختلت الأحوال أثناءه اختلالاً شديداً نظراً لاضطراب شخصيته¹.

* **ابراهيم بن الأغلب 184 - 196هـ / 800 - 812م:** هو مؤسس الدولة الأغلبية، تميز بشجاعته العسكرية و حكمته و حنكته السياسية و عرف عنه أنه كان ملماً بالأدب و العلوم الشرعية، حافظ للقرآن و عالم به²، و تتلمذ على يد الليث بن سعد المتوفي 165هـ / 781م في مصر³، و من إنجازاته العمرانية بناء مدينة العباسية على ثلاثة أميال جنوب مدينة القيروان⁴، و جعلها عاصمة له، و بنى فيها قصرًا كبيراً انتقل إليه⁵، و هدم دار الإمارة التي بناها عقبة جنوبي المسجد الجامع بالقيروان و بنى بعاصمته الجديدة مسجداً جامعاً جعل له مئذنة مستديرة مبنية بالآجر والعمد سبع طبقات⁶، كما أنشأ حمامات كثيرة وفاسق و أسواقاً حجة و مواجلاً للماء، حتى إذا قحطت

1- يوسف علي بدوي : عصر الدويلات، المرجع السابق، ص69.

2- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص93.

3- محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة و النشر، 1958، ج7، ص517، و يذكر ابن عذارى أن ابراهيم بن الأغلب قد سمع عن الليث بن سعد، و وهب له جلاجل أم ولده لمكانه منه، و قال يوماً عن ابراهيم "ليكونن لهذا الفتى شأن"، ابن عذارى: المصدر السابق، ص92.

4- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص49، و يذكر بن عذارى أنه اشترى موضعه من بني طالوت، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص93، و هناك من يذكر أنها تقع على بعد ميلين أو أربعة جنوب القيروان، عبد الحميد قنينة، حول تأسيس مدينة العباسية بأفريقية، الندوة العلمية الدولية الثانية، نصوص جمعها أحمد الباهي، القيروان و جهتها، اكتشافات جديدة، مقاربات جديدة، مكسيميليا للنشر، القيروان 6- 8 مارس، 2006، ص35.

5- للمزيد عن العباسية و منشأها ينظر: G.Marçais F ouilles à Abbasiya, près de Kairouan : bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques (BACTHS) 1925, p- p 293- 305.

فوزي محفوظ: قصر الماء، العباسية، القصر القديم، تعددت الأسماء و الموضوع واحد، أفريقية، 2002، ص- ص 119 - 114، و نفس الدراسة نشرت باللغة الفرنسية تحت عنوان: F. Mahfoudh, qasr al Maa, al Abbasiya et al- qasr : al- qadim : à propos de quelques agglomérations près de Kairouan, dans CRAI, 1^{er} fascn parisen 2003, p- p 49- 54.

6- منى عثمان: مساجد القيروان، المرجع السابق، ص21.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

القيروان و فقد الماء في مواجهها نقلوا الماء من مدينة القصر (العباسية) و أحاطها بسور منيع فيه خمسة أبواب¹، و أقطع بن الأغلب الدور لأهل بيته، و أنصاره و مواليه، و سمح لسائر الناس بتخطيط البيوت بالعباسية، و هكذا جعل من مقر إقامته مركزا سياسيا وإداريا منيعا، نقل من القيروان إليه دار الغرب و مصالح الحكومة و دواوينها و لم تكن لترجع إلى القيروان مدة الغمارة الأغلبية و من خلفها في الأمر بافريقية².

و لم تمض سنة على انشاء العباسية حتى صار في مقدور ابراهيم أن يستقبل فيها سفراء شلمان الذين جاؤوا في الظاهر يطلبون آثار القديس "سيريون" في حين كان هدفهم الحقيقي انشاء علاقات دبلوماسية مع المسلمين، و استدراج بن الأغلب فيما يتعلق بالقيام بعمل مشترك ضد اسبانيا³.

و لعل تشييد هذه المدينة الجديدة قد دفع إليه عاملان رئيسيان هما:

أولا: رغبة ابراهيم الأول في نيل مزيد من رضى العباسيين عنه و تقديرهم إياه و من ثم تسمية المدينة الجديدة باسم العباسيين⁴.

و ثانيا: رغبته في فصل الحياة الدينية التي احتضنتها القيروان عن الحياة اليومية في أبسط أشكالها و مختلف مظاهرها، بإحداث مدينة جديدة يطيب فيها العيش، و تزول بها جميع الكلف، و يتصرف الأمراء داخلها في شيء من الحرية و الطلاقة لوجودهم بمنأى عن الشيوخ المحافظين و القضاة الصارمين⁵، و لكن هذا الانفصال عن القيروان جعل الأغلبية محرومين أكثر فأكثر من التأيد الشعبي⁶، كما أثار انشاء مدينة جديدة مستقلة بمؤسساتها و أسواقها بالقرب من القيروان جدلا عند

1- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص235، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج5، ص104.

2- منى عثمان: مساجد القيروان، المرجع السابق، ص22.

3- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص188.

4- محمد عليلي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، أو كما قيل تكريما للخلافة العباسية و تثبيتا لنفوذها، عبد الحميد قنينة: المرجع السابق، ص34.

5- محمد مختار العبيدي: الحياة الأدبية بالقيروان، مركز الدراسات الاسلامية بالقيروان، 1994، ص288.

6- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص171.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

فقهاء القيروان حول أحكام السوق فيها، فقد سئل يحيى بن عمر عن أسواق العباسية، هل هي تبع لأسواق القيروان في أسعارها في جميع الأطعمة والأمتعة، و جميع ما يباع في أسواقها مما يؤكل و يشرب و مما لا يؤكل و لا يشرب، فقال: "لا أحفظ فيها شيئاً و ما أرى أسواق القصر إلا خلاف سوق القيروان"، و قال أبو العباس عبد الله بن طالب مثله، قال محمد بن عبدوس: "هي تبع لأسواق القيروان"¹.

و ثار على ابراهيم بن الأغلب عمران بن مجاهد الربيعي سنة 195هـ و حاصره أهل القيروان بعدما ملكها²، فهدم ابراهيم سور القيروان و قلع أبوابها، و توفي في شوال عام 196هـ³.

* أبو العباس عبد الله الأول 196-201هـ / 812-817م: افتقد إلى التدبير و الحنكة السياسية، وكان أبوه ابراهيم قد عينه واليا على طرابلس قبل ثورة قبيلة هواره على سفيان بن مضاعة، ثم أعاده إليها في جيش قوامه ثلاثة عشر ألف جندي⁴، فأعمل فيهم السيف الأمر الذي أدى بأهالي بأهالي طرابلس إلى الاستنجاد بالإمام الرستمي عبد الوهاب بن أفلح الذي حاصر المدينة و لم يدم الوضع طويلا إذ بلغ عبد الله وفاة والده فلم يجد بدا من عقد صلح مع البربر⁵ يقضي بجعل المدينة و البحر للأغلبة بينما الصحراء للرستميين، و توفي في ذي الحجة سنة إحدى و مائتين بعد خمس سنين من ولايته⁶.

* زيادة الله الأول بن ابراهيم بن الأغلب الأول 201-223هـ / 817-838م⁷: يبقى عهده عهده من أزهى فترات الدولة الاغلبية، لما قام به من انجازات عمرانية و علمية، فبقدر ما أساء السيرة

1- يحيى بن عمر: أحكام السوق، الشركة التونسية للتوزيع، 1975، ص- ص 48-108.

2- ابن خلدون: العبر، م1، المصدر السابق، ص1581.

3- نفسه، ص1580.

4- جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص85.

5- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص143.

6- نفسه، م1، ص1581.

7- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص49، ابن أبي الضياف: تحاف أهل الزمان، ج1، ص106.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

في الجند، وسفك فيهم الدماء و اشتد عليهم في كل وجه¹ بقدر ما شجع العلماء و قرحم منه، و ما اختياره لأسد بن الفرات قاضيا على القيروان سنة 203هـ/ 818م² إلا مظهرا من مظاهر هذا التشجيع.

لم يسلم زيادة الله من الفتن و الاضطرابات، فقد ثار عليه منصور الطنبدي³ الذي استطاع أن يسيطر على القيروان، و استطاعت مدينة العباسية بسورها المنيع الصمود ضد الحصار الذي فرضه الطنبدي و الذي استمر منذ عام 208هـ إلى عام 211هـ، و الذي لم ينته الحصار إلا بعد أن قتل الطنبدي على يد مناصريه، و كان الطنبدي قد دخل القيروان و عمر سورها الذي هدمه ابراهيم، و غلق أبوابها، فناصره أهلها مما أغضب زيادة الله، فجعل عقوبتهم فور مقتل الطنبدي أن هدم سور القيروان حتى ألصقه بالأرض⁴، و بعد أن توقفت الثورات ضده التفت زيادة الله إلى الاهتمام بشؤون البلاد و كان يقول: "لا أبالي إن سألني الله ما قدمت عليه يوم القيامة، و قد قدمت عليه بأربع، قيل ماهن؟ قال بنائي المسجد الجامع بالقيروان، و بنائي القنطرة بباب أبي الربيع، و بنائي الحصن بسوسة، و توليتي أحمد بن محرز⁵ قضاء افريقية"⁶.

فمن إنجازاته هزيمة منصور الطنبدي، ثم عودة ملك افريقية لزيادة الله الذي سور مدينة القيروان، و حضر الجامع بها و أنفق عليه ستة و ثمانين ألف دينار بعدما هدمه ما عدا المحراب، أيضا

1- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 96.

2- نفسه، ص نفسها، حسن حسيني عبد الوهاب: خلاصة تونس، المرجع السابق، ص 63.

3- نسبه من طنبة التي تقع جنوب تونس، و هو عبارة عن قعر على بعد 4 فراسخ جنوب تونس، موضع المحمدية حاليا، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج 4، ص 42- 43، و قد ذكره ابن خلدون مرة باسم "الترمذي" و مرة أخرى باسم "الطنبدي"، ابن خلدون: العبر، م 1، المصدر السابق، ص 1581- 1582.

4- ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ج 1، ص 100.

5- ذكره ابن عذارى باسم "أبو محرز"، و المحقق "أبو محمد"، و في سنة 203هـ كانت ولاية أبي عبد الله أحمد بن الفرات قضاء قضاء القيروان، فضايق أبو محرز القاضى إذ تشرك معه، و لم يعلم قبلهما قاضيان في وقت واحد، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 97.

6- الدباغ: معالم الإيمان، المصدر السابق، ج 2، ص 41.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

وبنى سور مدينة سوسة¹، و يبقى أهم إنجاز خالد لهذا الأمير هو فتح صقلية و إتمام هذا الفتح جعل من هذه الجزيرة منارة من منارات الإشعاع العلمي في عهد الأغالبة و من جاء بعدهم، فكانت منفذا للثقافة العربية الاسلامية إلى أوروبا، و مما يكون له الأثر في استقطاب عدد من الفقهاء و العلماء الذين يشكلون اللبنة الأولى لمدارس فقهية و إنتاج أدبي و علمي وفير².

* أبو عقال الاغلب بن ابراهيم بن الأغلب 223 - 226هـ / 838 - 841م: بعد وفاة زيادة الله في رجب 223هـ / 838م³ خلفه أخوه أبو عقال، كان ذو سيرة حسنة عند الرعية و الجند، أزال و منع المظالم، و أجرى على العمال أرزاقا واسعة، حارب مظاهر الفساد حيث قطع النيذ و الخمر وعاقب على بيعه و شربه⁴ الذي كان متفشيا في القيروان، دام حكمه سنين و 7 أشهر إذ توفي في ربيع الآخر من سنة 226هـ / 841م⁵.

* أبو العباس محمد الأول بن الأغلب بن ابراهيم 226 - 242هـ / 841 - 856م: تولى الحكم بعد وفاة والده، فدانت له افريقية و شيد مدينة بالقرب من القيروان سماها العباسية سنة 239هـ / 853م، ولكن أفلح بن عبد الوهاب قام بحرقها و تخريبها⁶، عرف المذهب المالكي في عهده ازدهارا، فقد عاقر كبار فقهاء المالكية في افريقية من أمثال عبد الله بن أبي حسان اليحصبي المتوفي سنة 227هـ / 841م⁷، و إمام القيروان سحنون بن سعيد التنوخي الذي عينه قاضيا سنة

1- ابن أبي دينار : المؤنس، المصدر السابق، ص49.

2- محمد عليلي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص37.

3- ابن الأثير : الكامل، المصدر السابق، ج5، ص252، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص49.

4- ابن الأثير: نفسه، ص253، ابن عذارى: المصدر السابق، ص107، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1583.

5- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص49، ابن عذارى: نفسه، ص107، ابن خلدون: نفسه، ص1583.

6- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج5، ص253، و يذكر ابن خلدون تاريخ انشاء المدينة سنة 227هـ / 842م، ابن خلدون: نفسه، ص1583.

7- الدباغ: معالم الإيمان، المصدر السابق، ص62.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

234هـ / 848م¹ الذي منع في أيامه أهل الأهواء الاجتماع في المسجد الجامع²، أتم بناء ماجل باب تونس و تمت الزيادة.

* أبو ابراهيم أحمد بن أبي العباس 242-249هـ / 841-856م: تميز في حكمه بالعدل والاحسان، و الرفق بالرعية، كان كثير العطاء للجند³ و عزز صفوفه بعناصر جديدة من العبيد⁴، ويذكر ابن خلدون أنه كان مولعا بالعمارة فبنى بافريقية نحو من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس و أبواب الحديد⁵، و في سنة 248هـ في جامع القيروان، و أكمل اصلاح قنطرة باب أبي الربيع بعدما بعدما كسرهما السيل العظيم الذي أصاب القيروان سنة 247هـ⁶ بنى في جامع عقبة البهو و الرواق على جانبها⁷.

إن الأعمال و الانجازات التي قام بها زادت من علو شأنه ليس فقط في نظر العامة بل حتى عند الفقهاء، فقد أقام أحواضا مائية لسقي العطش و هو الذي أصلح جامع الزيتونة⁸.

و في عهده فتح قصر يانة بصقلية سنة 244هـ⁹، كما حدثت اضطرابات في طرابلس التي كان أغلب سكانها على مذهب الاباضية، فكان من الصعب اخضاعهم خاصة فيما يتعلق بالجباية¹⁰ رغم المعاهدة التي أبرمت بين الرستميين و الأغالبة سنة 196هـ / 812م حول اقتسام

1- نفسه، ص84، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1583.

2- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص50.

3- ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص112.

4- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1584، محمد طالي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص280.

5- ابن خلدون: المصدر السابق، م1، ص1584..

6- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص113.

7- منى عثمان: مساجد القيروان، المرجع السابق، ص25.

8- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص114.

9- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1584.

10- محمد طالي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص280.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

السيادة على طرابلس¹، توفي أبو ابراهيم أحمد في ذي الحجة سنة 249هـ / 841م²، فكانت ولايته ولايته سبع سنين وعشرة أشهر ونصفاً³.

* **زيادة الله الثاني 249-250هـ / 863-864م**: يعرف بزيادة الله الأصغر، لم تدم ولايته طويلاً، كان حسن السيرة، عاقلاً حليماً، ذو رأي و جود و شجاعة⁴، واصل سياسة أسلافه في اخماد اخماد الثورات خاصة تلك المتعلقة بإباضية طرابلس⁵.

* **محمد بن أحمد بن الأغلب (أبو الغرائق) 250-261هـ / 864-875م**: لقب بأبي الغرائق⁶ لأنه كان يحب و يهوى صيدها، أما عن سيرته فابن خلدون يصفه باللهو و الاسراف في الشراب⁷، بينما ابن الأثير يصفه بعكس ذلك، حيث أنه كان أديباً و ذا سيرة حسنة⁸، كانت في أيامه حروب و فتن، فقد ثار عليه أهالي منطقة الزاب⁹ لرفضهم دفع الجباية، و استعان في اخمادها على أبي خفاجة محمد بن اسماعيل، و تم في عهده فتح جزيرة مالطا سنة 255هـ / 869م¹⁰، و بنى حصونا و محارس على ساحل البحر بالمغرب على مسيرة خمسة عشر يوماً من برقة إلى جهة المغرب¹¹، و في عهده حدثت المجاعة العامة في المشرق و المغرب و الوباء و الطاعون¹²، فانتشر

1- محمد عليلي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص39.

2- القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج5، ص117.

3- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص113، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1584.

4- ابن عذارى: نفسه، ص114.

5- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1584، محمد عليلي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص39.

6- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص114، ابن خلدون: العبر، نفسه، ص نفسها، و الغرائق جمع غزنوق و هو طائر أبيض من طيور الماء، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م2، ص982.

7- ابن عذارى: نفسه، ص نفسها.

8- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج5، ص263.

9- محمد طالي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص280.

10- ابن خلدون: العبر، م1، المصدر السابق، ص1584، عبد العزيز سالم و محمد مختار العيادي: تاريخ البحرية، المرجع السابق، ص121.

11- ابن خلدون: نفسه، ص نفسها.

12- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص116.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

القحط و الفلاء في جميع بلاد المغرب و الأندلس وكان ذلك سنة 260هـ / 873م¹، و توفي في جمادى الأولى 261هـ / 875م² و كانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر و نصفاً.

* ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (ابراهيم الثاني) 261-289هـ / 875-902م: هو تاسع أمراء البيت الأغلبي و أطولهم حكماً، كان ابراهيم بن أحمد والياً على القيروان فأحسن السيرة في أهلها و حصل على ودهم، و عندما توفي أبو الغرائق، حمله أهل القيروان على تولي أمور البلاد بعده و بايعه مشايخ افريقية و وجوهها، و بايعه جماعة من بني الأغلب³، و كان رجلاً غريب الأطوار، مر في حكمه بفترات ثلاث، اختلفت فيه شخصيته اختلافاً كبيراً من الاتزان و العدل إلى الاضطراب العقلي و النفسي، ثم إلى التصوف و الانصراف إلى العبادة و الجهاد حيث انتهت حياته معاهداً في سبيل الله⁴.

و اتسم حكمه في السنوات الست الأولى بالرزانة و العدل و الفلاح، فقد عمل جاهداً على توطيد الأمن في ربوع البلاد و قارب الفساد و المفسدين⁵، لقد صرف جهداً كبيراً في المنشآت الدينية الدينية كالمساجد وقصور العبادة (الأربطة) في كل مدن السواحل في افريقية وصقلية لحماية للمسلمين، فهو الذي أكمل تجديد جامع الزيتونة بتونس، و اكتملت في أيامه سلسلة من المحارس و الحصون على الشواطئ و السواحل، و قد عبر بن خلدون على ذلك بقوله: "حتى كانت النار توقد في ساحل سبتة للندير بالعدو فيتصل بإيقادها بالإسكندرية في الليلة الواحدة"⁶.

1- ابن أبي زرع الفاسي: الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص96، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص116.

2- ابن عذارى: نفسه، ص116، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1584، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص51.

3- ابن عذارى: المصدر السابق، ص116.

4- يوسف علي بديوي: عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص76.

5- نفسه، ص77.

6- ابن خلدون: العبر، م1، المصدر السابق، ص1586، أي أنهم كانوا ينشئون في كل محرس برجاً للنار لإرسال الإشارات، فكان الخير يصل إلى أقصى البلاد من بجاية حتى طرابلس في أقل من ليلة، أما بالنهار فكانت الاشارات ترسل بالدخان فكانوا

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و شاء ابراهيم الثاني أن يتخذ لنفسه عاصمة جديدة كما فعل ابراهيم الأول، فابتدأ ببناء مدينة "رقادة" عام 263هـ/ 876م¹، و كمل بناء قصر الفتح فيها عام 264هـ²، و انتقل إليها من العباسية التي صارت تدعى منذئذ بمدينة "القصر القديم"، و اتخذها دارا و وطنا، و بنى فيها قصورا عجيبة و جامعا و أسواقا و حمامات و فنادق و أنشأ فيها آبارا و مواجل³، و أحاط كل ذلك بسور متين فيه سبعة أبواب عليها صفائح حديد، و أقام ظاهره ميدان سباق الخيل و عرض الجند في المناسبات، و في جانب من هذا الميدان مصلى العبيديين، و نقل ابراهيم إلى "رقادة" دواوين الحكومة و دور الضرب، و أنشأ فيها دار الطراز، و أقام فيها كبراء الدولة و القضاة و الحاشية، حتى صارت رقادة أكبر من القيروان⁴، وكان ابراهيم مولعا بالعلوم الرياضية و الفلسفة، فأنشأ بيت الحكمة تقليدا لبيت الحكمة البغدادي، و احتل مكانا بأحد قصور رقادة، و جلب إليه من العراق و الشام و مصر علماء أجلاء من أطباء و رياضيين و مهندسين و موسيقيين و ترأس العالم الرياضي أبو اليسر الشيباني البغدادي بيت الحكمة الرقادي، و ضمت خزائن الكتب ببيت الحكمة المصنفات المترجمة من اللغات الأعجمية (اليونانية و السريانية و الفارسية..) التي ترجمت في الشام و العراق و الحيرة أواخر العصر الأموي و أوائل العباسي و التي شملت جميع فروع المعرفة من فلسفة و طب و جغرافية و فلك و نبات و حساب و هندسة و غيرها، و كان بيت الحكمة في رقادة المركز الوحيد في افريقية الذي يهتم بالعلوم الوقعية الحديثة الظهور في ذلك العصر، إذ كان الفقهاء و المحدثون في القيروان لا يدرسون إلا

يوقدون في النواير أحشابا رطبة تبعث دخانا كثيرا يرى من بعيد، يوسف علي بديوي: عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص77.

1- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج6، ص36، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص117، و يبدو من التسمية أنها مشتقة من الرقاد أي النوم، سعد زغلول عبد الحميد: المغرب العربي الكبير، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر 1990، ص116.

2- ابن أبي دینار: المؤنس، المصدر السابق، ص52، منى عثمان: مساجد القيروان، المرجع السابق، ص25.

3- و يذكر يوسف علي بديوي أن من بينها الماحل العظيم، و هو واحد من مواجل الصهريج المسمى بالبحر طوله 500 ذراع و عرضه 400 ذراع، و مازالت هذه المواجل خارج القيروان إلى سومتنا هذا و هي من أجمل آثار البلاد، يوسف علي بديوي: عصر الدويلات، المرجع السابق، ص77.

4- ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص55.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

العلوم الشرعية، أو ماله علاقة بها كالحساب و الهندسة، و هذا جعل الكثير من أصحاب الطبقات ومؤلفي التراجم من القيروانيين يهملون التعريف بمن يجلب بيت الحكمة، أو يتردد عليه من معاصريهم¹، و توقف العمل ببيت الحكمة مع نهاية الحكم الأغلبي².

و في عهده تعرضت بلاد المغرب و الأندلس لكوارث طبيعية منها زلزال 22 شوال 267هـ/ 22 ماي 881م³، كما أدت المجاعة إلى هلاك عدد كبير من الناس لشدتها عانت منها المنطقة مجددا في سنة 285هـ/ 898م⁴.

و واجه ابراهيم الثاني الأزمة المالية التي حدثت في عهده بعملية إصلاح مالي⁵، إذ ضرب دنانير ودرهم سماها العاشرية، في كل دينار منها عشرة دراهم⁶، و حول كل معدن نفيس بما في ذلك ذلك حلي نسائه الى دراهم و دنانير قصد مواجهة الحاجات المتزايدة للنقود، اذ حدث أن نقودا مغشوشة كانت تتداول في السوق⁷، إلا أن هذا الأمير في آخر أيامه احتلت أعماله، فأسرف في القتل، ففي 268هـ/ 882م، فتك بأهل الزاب، فقتلهم و قتل أطفالهم بعد أن أظهر الإحسان إليهم⁸، و في سنة 280هـ/ 893م قتل شيوخ مدينة يلزمة⁹ في القيروان و أصبح لا يفرق بين عامة الناس و خاصتهم إذ كان من بين ضحاياه حاجباه، نصر بن العمامة في سنة 277هـ/ 890م، و فتح في سنة 279هـ/ 892م، و الطبيب إسحاق بن عمران الذي قتله صلبا في هذه السنة¹⁰، حتى أنه

1- حسن حسيني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص 88.

2- منى عثمان: المساجد، المرجع السابق، ص 25.

3- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 97، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج 6، ص 36.

4- ابن أبي زرع: نفسه، ص نفسها، ابن الأثير: نفسه، ص نفسها.

5- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص 302.

6- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج 1، ص 121.

7- نفسه، ص نفسها، محمد عليلي: الإشعاع الفكري، المرجع السابق، ص 41.

8- ابن عذارى: نفسه، ص 119، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج 6، ص 39.

9- مصطفى أبو ضيف أحمد: القبائل العربية في عصري الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 49، محمد طالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص 313.

10- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج 1، ص 122.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

قتل ابنه المكنى بأبي الأغلب و قتل بناته و قتل اخوته الثمانية¹، الأمر الذي أدى إلى تدمير و تحويف الناس، فقرروا خلعه و بعثوا إلى الخليفة يشكون من أعماله، فكتب الخليفة المعتضد (279-289هـ/892-902م) معنفا إياه بقوله: "إن لم تترك أخلاقك في سفك الدماء فلاسلم البلاد إلى ابن عمك محمد بن زيادة الله صاحب طرابلس"².

إن هذا التقلب في سيرته و أحواله فسره كثير من المؤرخين بمرض عقلي و نفسي إذ يقولون أن دماغه جفت و امتنع عن النوم و زادت مخاوفه³ و وصف بن خلدون هذا المرض بالماليخوليا⁴، وتوفي وتوفي في أثناء حصاره لمدينة كنسة في صقلية سنة 289هـ/902م، فدفنه حفيده زيادة الله بن أبي العباس في بلرمو⁵، و هناك من يقول أنه حمله إلى القيروان و دفنه بها⁶.

* أبو العباس عبد الله الثاني 289-290هـ/902-903م: كان حسن السيرة، كثير العدل، صاحب معروف و إحسان⁷، تميزت سياسته بالرفق بالرعية و إنصاف المظلوم و مجالسة أهل العلم وأظهر التقشف و الجلوس على الأرض حتى أنه أمر بسجن زيادة الله و أخذ ما كان معه من الأموال و العدة لما بلغه عنه من اللهو و الاسراف في الملذات⁸.

إن انتحال عبد الله الثاني مذهب من قالوا بخلق القرآن جلب له سخط العامة⁹، كما أن خطر المذهب الشيعي استفحل بعدما تسربت الدعوة الفاطمية إلى المغرب في عهد ابراهيم بن أحمد¹⁰

1- نفسه، ص نفسها.

2- محمد الطالبي : الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص324.

3- محمد الطالبي: نفسه، ص340، يوسف علي بديوي: عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص77.

4- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1586.

5- ابن خلدون: نفسه، ص1587، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص122.

6- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص52، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج6، ص41.

7- ابن أبي دينار: نفسه، ص53، ابن أبي الضياف: تحاف أهل الزمان، المصدر السابق، ج1، ص116.

8- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص125، ابن أبي دينار: نفسه، ص نفسها.

9- Robert MANTRAN : L'expansion musulmane, 7- 11, 1^{ère} Edition, 1969, presse universitaire de France, 187.

10- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1587، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص124.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

على يد الداعية الشيعي أبو عبد الله الشيعي الذي نزل بكتامة و بدأ في نشر أفكاره فيها و خاصة وأن هذه القبيلة كانت على المذهب الخارجي ثم غيرت ولاءها المذهبي¹.

و بتأمر من زيادة الله الثالث توفي عبد الله الثاني مقتولا على يد فتين كان يثق بهما سنة 290هـ / 903م².

* أبو مضر زيادة الله الثالث 290 - 296هـ / 903 - 909م: في وقت تعاضم فيه شأن أبي عبد الله الشيعي، انصرف هذا الأخير إلى اللهو و شرب الخمر و معايشة المضحكين، و أهمل الرعية وأمور الملك³، مما أتاح الفرصة لعبد الله الشيعي و هذا ما نفهمه من قول بن الأثير: "ثم أتاه خبر مقتل أبي العباس و ولاية زيادة الله و اشتغاله باللهو و اللعب فاشتد سروره"⁴.

لقد أدى ضعف حكام الأغالبة و فساد نظام الحكم إلى نجاح أفكار عبد الله الشيعي وانتشارها، فبدأت أولى المواجهات بينه و بين الأغالبة سنة 287هـ / 909م⁵، و أسفرت معظمها على ضعف الجيش الأغلبي و بالتالي انهزامه و سقوط مدن كثيرة على يد أبي عبد الله الشيعي⁶.

4- سقوط دولة الأغالبة:

انهزم الجيش الأغلبي بقيادة زيادة الله الثالث هزيمة كبرى في معركة الأريس¹ سنة 296هـ / 908م²، فأدرك على إثرها الأمير زيادة الله الثالث أنه لم يعد قادرا على الدفاع عن ملك أجداده

-
- 1- القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات البشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ص - ص 155 - 197.
 - 2- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص124، و يذكر بن أبي دينار أن قتله كان من طرف ثلاثة من الصقالبة باتفاق من ابنه زيادة الله لأنه سجنه عن شرب الخمر، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص53، ابن أبي الضياف: تحاف أهل الزمان، المصدر السابق، ج1، ص117.
 - 3- ابن أبي دينار: نفسه، ص نفسها، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1588.
 - 4- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج6، ص128.
 - 5- حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، سوريا و بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1958، ص50.
 - 6- ذكر بن خلدون هذه المدن بقوله: "حاصر أبو عبد الله الشيعي تيجين، فافتتحها صلحا و باغاية أيضا، ثم تيفاش، ثم سكاية، ثم سيبية، ثم حمودة، فاستولى على جميعها و أمن أهلها، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1588، محمد علي: الاشعاع الفكري: المرجع السابق، ص43.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

فرجع إلى رقادة وجمع أهله و أمواله و رحل إلى طرابلس و منها إلى مصر في 26 جمادى الثانية 296هـ / 18 مارس 909م³، و يقال أنه قضى ما بقي من حياته في القدس بعدما تفرق عن جمعه و أصحابه، و تتابعت به الأمراض حتى توفي بالرملة و دفن بها⁴، فتفرق بذلك بنو الأغلب و لم يبق بالمغرب منهم أحد و انتهت بذلك دولتهم التي استمرت من 184هـ إلى 296هـ / 806 - 909م، و يعلق الطالبي على هذه النهاية بقوله: "فقد شربت الدولة القادمة من الشرق من نوع من انعكاس الطريد اليائس بحاجة لا تقاوم عند النزاع الأخير إلى العودة للمشرق للتحصيل على فتوة جديدة أو المكوث هناك"⁵، فبعد خروج زيادة الله، توجه الناس إلى مدينة رقادة صباحا فانتهبوها و أخذوا من بقايا أموال بني الأغلب و متاعهم و صنوف الآينة من الذهب و الفضة ما لا يحيط به وصف، واقتلعوا حتى حديد الأبواب و مسكاتها⁶، و وصل أبو عبد الله الصنعاني إلى رقادة في رجب 296هـ فخرج إليه أهل القيروان من الفقهاء و الوجوه و حلية التجار، فالتقوا به على ساقه ممدس و سلموا عليه، و أظهروا له الرغبة في دولته و سألوه الأمان فأمنهم⁷.

و ما نستنتجه من خلال مسيرة و تاريخ هذا العصر أنه يمكن أن نقسمه إلى ثلاث فترات:

* فترة التأسيس (184 - 222هـ / 800 - 838م)، و تشمل على إمارات ابراهيم بن الأغلب وابنيه أبي العباس و زيادة الله.

* عصر الازدهار و الاستقرار الأمني 226 - 288هـ / 840 - 902م، و تمتد من نهاية حكم زيادة الله بن ابراهيم المعروف بالأول من سنة 201هـ / 816م، إلى نهاية حكم أبي عبد الله محمد الثاني

1- الاريس مدينة تبعد عن القيروان بمرحلتين من الغرب و هي مدينة كبيرة عامرة، أما ياقوت الحموي فقال أنها تبعد عن القيروان ب 3 أيام، و قد ذكرها البكري باسم لريس، ينظر، اليعقوبي: البلدان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002، ص188، و ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص165، و كذلك البكري: المصدر السابق، ص46.

2- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1588.

3- عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق، ص319، محمد علي: المرجع السابق، ص43.

4- ابن أبي دینار: المؤنس، المصدر السابق، ص54، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1589.

5- محمد طالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص744.

6- منى عثمان: المساجد، المرجع السابق، ص28.

7- ابن أبي دینار: المؤنس، المصدر السابق، ص55، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص- ص 148 - 150.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الملقب بأبي الغرائق و ذلك في سنة 261هـ/ 875م، استقرت خلالها الأمور و هدأت أحوال افريقية بصورة عامة، ويرجع السبب إلى فتح صقلية الذي فتح مجالا واسعا أمام الجند و زعمائهم للحصول على الغنائم، تاركين أمراء بني الأغلب، ثم جاء حكم ابراهيم بن أحمد معلنا بداية التدهور. إن فترة الاستقرار الحقيقية التي يمكن أن تسمى فترة ازدهار للأسرة لم تزد على ثلاثين سنة على الأكثر، و لكن هذه الأسرة على الرغم من قصر مدة الاستقرار في أيامها، فإنها تعتبر صاحبة الفضل في ارساء أسس افريقية و جهادها في سبيل الحفاظ على مذهب السنة و الجماعة، و البقاء في نطاق الأمة الاسلامية العامة، كان في حاجة إلى فترة استقرار طويلة كما تثبت القواعد الاجتماعية والحضارية التي تمكن من تكوينها و الحفاظ عليها خلال اضطرابات عصر الولاة، و ما وقع فيها من انقلابات و تغير الأحوال، و قد أتاح له بنو الأغلب فرصة هذا الاستقرار، و أقاموا حكومة محلية ذات طابع افريقي، ثم أن بني الأغلب كانت فيهم عروبة صادقة و اهتمام بشؤون العلم و الحضارة والمنشآت فكان العصر في جملته رغم كثرة حروبه و اضطراباته خيرا على افريقية و خطوة واسعة إلى الأمام في بقاء المغرب الاسلامي.

* فترة السقوط و الانهيار و التي كانت في العهد العبيدي و التي سنتناولها في العنصر الموالي.

ثالثا- القيروان في أوائل العصر العبيدي

لما حل أبو عبد الله الشيعي بمدينة القيروان أمن أهلها و ولى عليها الحسن بن أحمد بن علي بن كليب المعروف بابن أبي خنزير و أمره بقتل من خرج ليلا أو شرب الخمر أو حمله أو وجد عنده¹، و ولى القضاء محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي² من جند خراسان، ويبدو أنه قد اعتنق المذهب الشيعي منذ فترة طويلة و تم ذلك في أول رمضان من سنة 296هـ/ 909م³.

1- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص151.

2- نفسه، ص نفسها، و يذكر القاضي النعمان باسم المروزي، أما الدباغ فيذكره باسم المروزي، الدباغ: المصدر السابق، ص300، القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 246-247.

3- عرف عن هذا القاضي أنه نكل بأهل السنة و أصدر أمرا يقضي بمنع الإفتاء بمذهب مالك و غيره و لا يفتي إلا بالمذهب الجعفري، و من مظاهر التنكيل بفقهاء السنة أن أبا جعفر محمد بن خيرون المعافري الأندلسي قتل بسعي من هذا القاضي بطريقة

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و قدم عبيد الله المهدي إلى رقادة، فلما قرب منها تلقاه أهل القيروان، فسلموا عليه فرد ردا جميلا، و أمرهم بالانصراف، و حل في قصر الحصن برقادة و أنزل ابنه القاسم قصر الفتح و فرقت دور رقادة على كتامة¹، كما نزل قوم منهم بالقصر القديم (العباسية) في دور الهاربين من زيادة الله، وفيما حول رقادة، فلما استقر عبيد الله في رقادة سمي بالمهدي و كتب إلى الجميع و أخذ البيعة وأمر الخطباء بذكر اسمه على المنابر و الدواوين، و تلقب بأمر المؤمنين، و هو أول من تسمى بأمر المؤمنين²، فاستأنفت رقادة مهمتها الأولى، فكانت مقرا للدولة الجديدة إلى أن بنى المهدي عاصمته المهديّة على الساحل و انتقل إليها عام 308هـ.

أما القيروان فقد أقر عليها المهدي الحسن بن أبي خنزير و على القضاء بها المروزي و أمر أن تقلع من المساجد و المواجل و القصور و القناطر أسماء الذين بنوها، و كتب عليها اسمه³.
وقعة كتامة بالقيروان: و في 299هـ كانت وقعة كتامة بالقيروان لأن رجال كتامة البربر الذين يشكلون جيش المهدي و حماته كانوا يتمادون على أهل القيروان بالتطاول و الأذى حتى شرق الناس بهم، فقاموا عليهم في بعض الأيام بسبب استطالة رجل من جند كتامة على رجل من تجار أهل القيروان، فلما دفعوه عنه شهروا عليهم السلاح و أرادوا نهب الحوانيت، فصاح أهل الأسواق "النفير النفير"، فقتل كتامة أكثر من ألف رجل فركب أحمد بن خنزير صاحب القيروان، فسكن الناس و أمر بتغيب القتلى، و لحق من كان حول رقادة من كتامة بيلائهم، فلما حصلوا بها أظهروا الخلاف على عبيد الله فحاربهم ابنه أبو القاسم و انتصر عليهم و عاد إلى رقادة و معه الأسرى فطوفوا بالقيروان على المجال و عليهم القلائس الطوال المشهورة بالقرون والمصانوح ثم قتلوا برقادة⁴.

بشعة لكرهه لبني عبيد، ينظر مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 142-143، صالح باجاية: المرجع السابق، ص 113.

1- ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص 55.

2- نفسه، ص 56.

3- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج 1، ص 159.

4- نفسه، ج 1، ص 166-167.

المبحث الثاني: الحياة السياسية في تيهرت منذ العهد الرستمي حتى الدخول الفاطمي

أولاً- عبد الرحمن بن رستم و دوره في ارساء قواعد الحكم

1- جهود عبد الرحمن بن رستم في انشاء الدولة الرسمية:

تنتسب مدينة تيهرت إلى الدولة الرستمية التي نسبت بدورها إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم الذي اختلفت المصادر و المراجع في أصله و نسبه، إلا أن الأغلبية تجمع على أنه فارسي الأصل، حيث ذكر اليعقوبي عن تيهرت أنه غلب عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن أفلق بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي¹، بل من أشرف فارس، حيث يرجع نسبه إلى بهرام² بن كسرى الملك الفارسي، فهو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى³، و يرفع البكري بنسب عبد الرحمن بن رستم إلى أصل ملكي يرتبط بأكاسرة الفرس الساسانيين، فجدده حسب البكري هو: "بهرام بن ديشيرار بن سابور بن بابكان بن سابور ذي الأكتاف، الملك الفارسي"⁴، ونفس الرواية نجدها عند ياقوت الحموي مع مزيد من الإيضاح للوصول بهذا النسب إلى الأصل الملكي الفارسي، حيث يقول: "هو بهرام بن بهرام جور بن شابور بن باذكان بن شابور ذي الأكتاف ملك الفرس"⁵، أما ابراهيم فخار فيشكك في أصله الفارسي إذ يقول: "لم يتبث لنا بالأدلة القطعية

1- اليعقوبي: المصدر السابق، ص195، ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص87، و يقول بن حزم: "و بنو رستم ملوك تيهرت من ولد جامسب، و الملك جامسب هو ابن فيروز بن يزد بن بهرام جور، و بذلك يوافق ابن حزم الروايات الإباضية في جعل بني رستم من سلالة الملك الفارسي، ينظر، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي برفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948، ص315، المسعودي: مروج الذهب و معادن الجواهر، دار الأندلس للطباعة و النشر، ط3، بيروت، 1981، ج1، ص- ص 186-357.

2- بهرام: مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، و هو بهرام بن ذوشرار بن سابور بن بابكان بن سابور من أكاسرة الفرس، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص267، و ينظر أيضا: Gautier.E.F:opcit,p302

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص35، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص19، و يقول الشماخي: "أن أباه رستم بن بهرام بن كسرى"، الشماخي: سير المشائخ، المصدر السابق، ص123.

4- البكري: المصدر السابق، ص67، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص372

5- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص8، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص225.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

أن عبد الرحمن بن رستم فارسي الأصل، فلا يمكن قبول هذه الدعوة ولو قبلناها على علاقتها فمؤسس الدولة الرستمية نشأ نشأة عربية و ظهر في العراق مع والديه قبل رحيله إلى المغرب مع زوج أمه¹، ويقاربه في هذا الطرح، الطبري الذي ضبط إسم رستم الذي تنتسب إليه الدولة الرستمية بـ"الرستمي"، فالنطق الصحيح لهذه الكلمة بالفارسية هو بفتحها، أما نطقها الصحيح بالعربية، فهو بضمها، كما يؤيده في ذلك ابن خرداذبة وإحسان حقي إذ يرى أن رستم بضم التاء لا بفتحها، لأنها إذا كانت مفتوحة، فهذا يدل على أنه فارسي الأصل، فالنطق الصحيح لهذه الكلمة هو بفتحها، أما نطقها الصحيح بالعربية فهو بضمها²، كما يذكر ابن عذارى أن جد عبد الرحمن كان مولى الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، عاش حياة عربية، فلا شك أن أباه تربى في بيئة عربية³.

إن نسب الرستميين الفارسي غير مستبعد لأن يزيد مجرد آخر ملوك فارس كان له ولدان هما بهرام و فيروز، و هذا ما يؤكد ابن حزم بقوله: "وكان له إبنان بهرام و فيروز، فكان من ملوكهم جاماسب بن فيروز، أخ قباذ بن فيروز وجاماسب هو عم أنوشروان"⁴، أما ابن خلدون، فيجعل عبد الرحمن بن رستم أمير جيش فارس في موقعة القادسية، وقد عبر عن ذلك بقوله: "و كان عبد الرحمن بن رستم من مسلمة الفتح، و هو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية"⁵، و لا يعقل أن يكون عبد الرحمن بن رستم من أبناء رستم أمير جيش فارس بمعركة القادسية، لأن رستم قتل سنة 16هـ/637م، أما عبد الرحمن بن رستم فقد توفي في 171هـ/787م⁶، و قيل في 168هـ¹.

1- ابراهيم فخار: دور الرستميين في وحدة مغرب الشعوب، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، المجلد 4، ورجلان، من 6 إلى 15 فبراير، 1977، ص 146.

2- الطبري: تاريخ الأمم و الملوك: المصدر السابق، ص 294، ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص 87، إحسان حقي: المرجع السابق، ص 152، و علق المستشرق زامباور على نسب الرستميين الفارسي قائلا: "أنه نسب خرافي"، زامباور: معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر محمد حسن بك و آخرون، دار الرائد العربي، بيروت، 1980، ج 1، ص 100.

3- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 196

4- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، المصدر السابق، ص 315، البكري: المصدر السابق، ص 267، المسعودي: المصدر السابق، ص 357-358.

5- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 2، ص - ص 2406-2414.

6- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 87.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و بهذا يكون عبد الرحمن قد عمر مائة و بضعا و خمسين سنة، و هذا ما لم يذكره أحد من المؤرخين. و المسعودي ينفرد برواية تقول، بأن هناك من يرى أن الرستميين من بقايا الأشبان، حيث يقول: "وقد كان ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي، و هو إباضي المذهب... و قيل إنهم من بقايا الأشبان"². و قد اختلف المؤرخون في حقيقة الإشبان، فمنهم من يرى أنهم من الفرس الذين انتقلوا إلى المغرب من بلاد أصبهان، أما المقري فيرى أن حقيقة الإشبان "أنهم نسبة إلى ملك الأندلس اشبان بن طيطش الذي تنسب إليه مدينة إشبيلية، و قال أن إشبان هذا من عجم روما أو أنه من أصبهان التي ولد بها"³، أي أن الإشبان من الفرس، و بالتالي الرستميون من أصل فارسي، كما تعني أيضا أن الرستميين وفدوا إلى المغرب من الأندلس، و هذا تنقصه الدلائل، لكن ما يتضح من خلال هذه الروايات أن الرستميين ينتمون إلى أصل فارسي.

و بما أن جد عبد الرحمن بن رستم كان مولى للخليفة عثمان بن عفان، فلا شك أنه كان بالمدينة بالحجاز، و لعله ولد هناك، أو أقام فيها حتى يكون قريبا من مولاه عثمان، و وجود البيت الرستمي في المدينة كان دعما لأركانه الإسلامية، حيث يحتمل انه درج في بيت الخلافة، فنهل من فيضها الإسلامي الرفيع، و غذى ذلك مهينا عظيما لشخصية عبد الرحمن بن رستم⁴.

و تذكر المستشرقة الإسبانية ماريا خيسوس فيغيرا أن عبد الرحمن بن رستم ظل والده مجهول الاسم، و قد بدأ حياته في مكانة لائقة ضمن بلاط عبد الرحمن الثاني (206-238هـ)⁵. كما يذكر المؤرخون أن رستم والد عبد الرحمن انتقل إلى العراق فيما بعد حيث ولد عبد الرحمن، والاحتمال الأكبر أنه ولد في أواخر القرن 1هـ/7م، و قد نشأ وحيد أبويه⁶، أو في النصف الأول من

1- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص196

2- المسعودي: المصدر السابق، ص186.

3- المقري: المصدر السابق، ج1، ص134

4- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص76

5- ماريا خيسوس فيغيرا: محمد بن عبد الرحمن بن رستم في قرطبة، مجلة الأصالة، العدد41، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، 1977، ص- ص 65-67.

6- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص62.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

القرن 2هـ/8م (100-110هـ)¹، و يقول أبو زكرياء: "بأن عبد الرحمن أصله من العراق، و مات أبوه بمكة و تزوجت أمه رجلا من أهل القيروان، حيث اصطحب الابن و أمه معه إلى وطنه بالمغرب². و قد ربط ابن خلدون علاقة الرستمين بالمغرب بطوابع الفتح الإسلامي لهذه البلاد بقوله: "و قد عبد الرحمن بن رستم إلى إفريقية مع طوابع الفتح فكان بها"³. لكن طوابع الفتح يتحدد تاريخها ببداية الفتح و تنتهي بالطوابع التي قدم بها موسى بن نصير لإتمام فتح المغرب نهائيا و ضمه إلى الدولة الإسلامية، لهذا عرفنا أن عبد الرحمن بن رستم رحل إلى البصرة وهو شاب حديث السن⁴ بعد أن تلقى المذهب الإباضي على يد سلمة بن سعيد في أوائل القرن الثاني الهجري⁵.

و قارنا هذه الفترة بطوابع الفتح الأخيرة التي جاء فيها عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب، استنتجنا أنه كان طفلا صغيرا، حيث انتقل من الحجاز إلى القيروان، إذ في هذه الفترة تسربت آراء مذهبي الإباضية والصفيرية إل بلاد المغرب⁶، و قد وجد فيهما المغاربة ملجأ و منجى من جور بعض الولاة الأمويين، و رأوا في تلك المعتقدات الإسلام الحقيقي⁷. و وجدوا في مبادئهما ما يطابق ميولهم وعقليتهم المحبة للاستقلال والعدل، و قد عمل المذهبان على تعميق جذور الإسلام في نفوس المغاربة، و في هذا الصدد يقول ألفرد بال: "إن دعاة الخوارج كانوا خير رسل الإسلام في بلاد المغرب

-
- 1- ابراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص8، عمار عمورة: المرجع السابق، ص84.
 - 2- أبو زكرياء يحيى: المرجع السابق، ص35-36، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص123، الطاهر أحمد الزاوي: شخصيات إسلامية، عبد الرحمن بن رستم، روضة الجندي، العدد1، مؤسسة الاتصال و الإعلام التوجيه، الجزائر، 1990، ص9.
 - 3- الطاهر أحمد الزاوي: شخصيات إسلامية، عبد الرحمن بن رستم، روضة الجندي، العدد1، مؤسسة الاتصال و الإعلام والتوجيه، الجزائر، 1990، ص9.
 - 4- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المجلد2، ص2414.
 - 5- السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، المرجع السابق، ص534-535، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص11.
 - 6- ابراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص9، محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ليبيا، تونس، الجزائر، موريتانيا، دار العودة، بيروت، 1976، ص108، حيث يقول: "أن عبد الرحمن بن رستم كان شابا جميلا حديث السن، و كان أبو عبيدة يجعل بينه و بين الناس سترا لئلا يشغلهم جماله"، محمود اسماعيل: المرجع نفسه، ص96.
 - 7- Chikh Bekri: Le kharijisme berbère, annales de l'institut d'études Orientales, -7 Université d'Alger, tome XV, Alger, 1957, p106.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

منذ بداية القرن الثاني للهجرة¹، أصبحت القيروان بعد ذلك موطنًا جديدًا لعبد الرحمن بن رستم، والتي كانت مصرًا من الأمصار الإسلامية الهامة، تشع بالعلم في بلاد المغرب كلها²، و يذكر ابن الصغير أن عبد الرحمن بن رستم عاش صباه في القيروان في بيت إسلامي في ظل رعاية أمه و زوجها، فنشأ على الأخلاق الفاضلة و العادات السامية، و أقبل على العلم في مسجد القيروان، فتعلم العربية و حفظ القرآن³، لكنه مال إلى تعاليم الخوارج كما يقول ابن خلدون: " و أخذ بدين الخارجية والإباضية منهم"⁴، و كان ذلك بتأثير من الداعية سلمة بن سعيد الذي أحاطه برعاية خاصة وأرسله وأرسله رفقة مجموعة من الشباب إلى البصرة بالمشرق⁵ لتلقي المذهب من أصوله، وكان ذلك سنة 135هـ⁶.

ويقول أبو زكرياء أن عبد الرحمن بن رستم ظهرت عليه علامات الاهتمام بالإباضية، فلما رآه احد دعاة هذا المذهب في هذه الحالة قال له: "يا فتى إن كنت طالبا ما أراك تطلبه، فاقصد إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي... تجد عنده ما رجوت"⁷، و بقي في البصرة خمس سنوات حتى صار أحد حملة العلم الإباضي إلى افريقية⁸ لينخرط فيما بعد في العمل السياسي⁹ و يصبح أقوى

1- ألفرد بال: المرجع السابق، ص 147.

2- ابراهيم العدوي: بلاد الجزائر، المرجع السابق، ص 187

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 10- 16.

4- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م 2، ص 2414.

5- ابراهيم بن يوسف: الحكم و السياسة في الإسلام من منظور الإباضية، مطبعة الفنية للألوان، الجزائر، د.ت، ص 47.

6- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج 3، ص 189- 190.

7- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 36، و قيل أن أمه هي القائلة له ذلك، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 124.

8- موسى لقبال: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى نهاية ثورات الخوارج سياسة و نظما، المؤسسة الوطنية للكتاب،

للكتاب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص 165، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 142.

9- سليمان عشراقي: الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية و المحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن

عكنون، الجزائر، 2002، ص 89.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

مساعدى أبى الخطاب الذى عينه قاضيا على مدينة طرابلس ثم واليا و قائدا للجيش فى مدينة القيروان¹.

إذن كيف تم لعبد الرحمن بن رستم الوصول إلى هذه المناصب؟ و متى تم له ذلك؟ و ما هي المراحل و الظروف التي تمت فيها قيام الدولة الإباضية الأولى فى المغرب؟

تم الإعلان عن قيام الدولة الإباضية الخطابية فى محرم سنة 140هـ 757م² فى موضع يعرف باسم صياد³، و تمكن الإباضية بعد مبايعة أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري بالإمامة من من الاستيلاء على طرابلس، و اتخذوها مقرا لهم، و دانت لأبى الخطاب البلاد بالطاعة، فاكسب حب الناس و امتد سلطانه شرقا إلى برقة و غربا إلى القيروان و جنوبا إلى فزان⁴. و قد اختار صديقه عبد الرحمن بن رستم ليكون قاضيا على طرابلس، فى تلك الفترة كانت قبيلة ورفجومة قد عانت فى بلاد إفريقية فسادا و استحلّت فيها المحارم و سفكت الدماء و أساء رجالها إلى الإسلام⁵ حتى قيل أنهم أنهم ربطوا الخيل بمسجد القيروان⁶، الأمر الذى دفع أتباع الإباضية بزعامة أبى الخطاب إلى ضرورة الوقوف أمام المعتدي على حرّامات الله و كسر شوكته، فتوجهوا إلى القيروان سنة 141هـ، و تمكنوا من استرجاعها و الاستيلاء عليها⁷، ليعين بن رستم واليا عليها⁸، لتصبح إفريقية تابعة للدولة الإباضية

1- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1 ص76، البكري: المصدر السابق، ص68، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج9، ص815، و يذكر اليعقوبي أن عبد الرحمن بن رستم كان يتولى أمر إفريقية كلها و ليس القيروان وحدها، اليعقوبي: المصدر السابق، ص353.

2- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص536، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص23.

3- صياد: موضع غربي طرابلس، أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص57، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص82، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص124-125.

4- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص536-537.

5- عثمان الكعاك: موجز فى التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم أبو القاسم سعد الله، محمد محمد البشريى التستيني، نصر الدين سعيدوني، ابراهيم بحاز، ط1، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، 2003، ص118.

6- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص81، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص127.

7- لوثرروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى، ترجمة عجاج نويهض، م4، مطبعة عيسى البابلي الحلبي و شركاه، القاهرة، مصر، 1352هـ، ص329.

8 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص130.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

بطرابلس¹.

و على إثر علم الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور² بانفصال افريقية عن الكيان الإسلامي أرسل جيشا بقيادة محمد بن الأشعث³ لاسترجاعها، فتم له القضاء على أبي الخطاب و جيشه⁴ في معركة تاورغة⁵ سنة 144هـ / 761م، و بالتالي القضاء على الدولة الإباضية بطرابلس⁶ الأمر الذي دفع بعبد الرحمن بن رستم للعودة إلى القيروان بعدما تفرق جيشه، فوجدها ثائرة على عامله، فلم يجد خيارا أمامه سوى التسلل خفية نحو المغرب الأوسط و هناك احتضنته القبائل الإباضية و منها لمائة لسابق حلف معها⁷. أما الذين ارتحلوا معه إلى جانب أهله و ابنه عبد الوهاب كانت غالبيتهم من زناتة و هوارة، من طرابلس و الأوراس⁸، لتكون بذلك أول خطوة في تأسيس الدولة الرستمية.

أما القبائل البربرية الإباضية فقد لجأت بعد فرار عبد الرحمن إلى المغرب الأوسط إلى الهدوء والكتمان حتى كونت لنفسها قوة، خاصة في طرابلس حيث توجد قبيلة نفوسة⁹ و اجتمعوا على مبايعة إمام للدفاع عنهم، فوقع اختيارهم على أبي حاتم الذي بايعوه بالإمامة سنة 145هـ / 762م¹⁰،

1- موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص28

2- أبو جعفر المنصور: هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس ثاني الخلفاء العباسيين، ولد في الحميمة سنة 95هـ، و هو والد الخلفاء العباسيين جميعا، ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص 317-318.

3- هو محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي، كان عاملا لبني العباس في مصر و واليا على افريقية التي بقي فيها حتى ثار عليه عيسى بن عجلان على رأس جماعة من قواد الجيش، و أخرجوه في سنة 148هـ، و قد مات في غزو بلاد الروم في هذه السنة، ابن الأثير: المصدر نفسه، ج5، ص 317-318.

4- زهير أحداون: شخصيات و مواقف تاريخية، دار التراث للنشر و التوزيع، طبع بمؤسسة الشروق للنشر و الإعلام و الطباعة، الطباعة، القبة، الجزائر، د.ت، ص42.

5- تاورغة: تبعد بمسيرة أربعة أيام عن مدينة طرابلس شرقا، اليعقوبي: المصدر السابق، ص86

6- سليمان داوود بن يوسف: المرجع السابق، ص56، بلحاج معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص36.

7- عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص71، جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص28.

8- محمد بن عمير: المرجع السابق، ص117.

9- اليعقوبي: المصدر السابق، ص184.

10- أبو حاتم: هو أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملقب بالهوارى، مكث في مدينة طرابلس أربعين سنة، و كانت ولايته ولاية الدفاع و طلب الحق، و كان يرسل بما جمع من الصدقات للإمام عبد الرحمن بن رستم قبل أن يتولى هذا الأخير ولاية الظهور، =

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و رغم تحقيقه عدة انتصارات على الولاة، إلا أن يزيد بن حاتم تمكن من قتله سنة 155هـ/772م¹.

و هكذا عادت الإباضية إلى الكتمان من جديد، و توجه العديد من أتباع هذا المذهب إلى المغرب الأوسط حيث يوجد عبد الرحمن بن رستم الذي كان يعد أبرز شخصية إباضية بعد مقتل أبي الخطاب و أبي حاتم².

و لما كثر عدد الإباضيين في المغرب الأوسط، بدؤوا يفكرون في بناء مدينة تأويهم و تكون حصنا لهم يحميهم من الأخطار الخارجية التي تهددهم³. و بالتالي كانت تيهرت و التي ستصبح عاصمة الدولة الإباضية الجديدة موقعا مناسباً لهذه الدولة⁴، و المعتقد أن عبد الرحمن بن رستم لم يفكر في ربط مصيره ومصير أتباعه بالمغرب الأوسط إلا بعد أن فشلت محاولاته في العودة من جديد إلى افريقية.

نستنتج من خلال هذا العرض أن المحاولة الأولى لتأسيس الدولة الإباضية كانت في طرابلس، و هي مركز الإباضية الأول، غير أن هذا الطموح تبدد بمقتل أبي الخطاب و انسحاب عبد الرحمن بن رستم من القيروان نحو المغرب الأوسط ثم الشروع في بناء مدينة تيهرت⁵ مع الإباضيين الذين انضموا إليه في المنطقة، مما يدل أن المذهب الإباضي كان قد وصل إلى هذه الربوع قبل التجاء عبد الرحمن بن رستم إليها.

=الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص36، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص69، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص133.

1- يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب: كان والياً على مصر، أرسله أبو جعفر المنصور إلى طرابلس لمى بلغته أحداث المغرب وثوراته ومقتل عاملها عمر بن حفص، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص601، الشماخي: المصدر نفسه، ج1، ص136.

2- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي تاريخ دول الأغالبة و الرستميين و بني مدرار و الأدارسة حتى قيام الفاطميين، ج2، منشأة الناشر المعارف بالإسكندرية، جلال حزي و شركاه، 1993، ص295.

3- ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص70.

4- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص538.

5- Abdallah laroui :l'histoire du magreb(un essai de synthese)tome1,petite collection maspero,Paris,1976,p104.

2- توطيد دعائم الحكم و الإمامة في تيهرت الرستمية:

أقام عبد الرحمن بن رستم في القيروان واليا و قاضيا لأبي الخطاب حوالي ثلاث سنوات أو أربع، رتب أمورها و أصلح أحوالها و اهتم باقتصادها و ضرب فيها في تلك المدة القصيرة فلسا نحاسيا و دينارا ذهبيا لا يزالان موجودين إلى يومنا هذا¹، و من الواضح أن عبد الرحمن بن رستم على حظ من الثقافة الروحية و الإنسانية² لأنه لم يكن ليبلغ تلك الدرجة بين جند الخوارج لو لم يكن متميزا بحصال منها التكوين الروحي و الخطابي الذي لا بد أن يتوفر لقيادة الجند في تلك العهود، وقد قام عبد الرحمن بإدارة شؤون البلاد في القيروان حيث عين العمال على النواحي، منهم عبد الله بن عقيب على كتامة³، و لما شعر باهتزاز كرسي القيروان، لجأ إلى بناء قاعدة خلفية تكون له عمقا لأنه كان يعلم أن الخلافة العباسية لن ترضى بالهزيمة، و لن تتنازل عن إفريقية لخصومها من الخوارج⁴، ومن هنا أسهم عبد الرحمن مساهمة فعالة في بناء الجيش الإباضي و تنظيمه، و خاض معه معارك عديدة ضد ممثلي الخلافة العباسية في المغرب، غير أن نتائج هذه المعارك لم تكن حاسمة لكلا الطرفين، الأمر الذي دفع عبد الرحمن بن رستم إلى الانصراف عن هذا الصراع لعدم جدواه، و لأن همه الوحيد كان نشر المذهب الإباضي في بلاد المغرب، كما أن هذا الموقف الذي اتخذه عبد الرحمن بن رستم، يبين عمق نظره في السياسة و في التدبير⁵، إذ أن عملية الاستمرار في الصراع ضد الجيش العباسي في المغرب الأدنى لا تؤدي إلا إلى إراقة الدماء و ضياع الإمكانيات البشرية و المعنوية للحركة، لذلك نجده يتوجه إلى قبائل لماية يعتمد عليهم، فكانت مبايعته بالإمارة أولا سنة 144هـ/761م⁶، تلتها

1- ابراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص27.

2- سليمان العشراتي: المرجع السابق، ص88.

3- جودت عبد الكريم: العلاقات الخاجية، المرجع السابق، ص27.

4- نفسه، ص28.

5- بشار قويدر: المرجع السابق، ص103.

6- و يذكر السلوي أنهم بايعوه بالخلافة سنة144هـ، ينظر، السلوي: الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1956، ج1، ص115، و يقول البكري: "في صفر سنة144هـ هرب عبد الرحمن بأهله و ما خف من ماله و ترك القيروان، فاجتمعت الإباضية و اتفقوا على تقديمه و بنيان مدينة تجمعهم"، البكري، المصدر السابق، ص68، بوزياني=

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

مبايعته بالإمامة¹ سنة 160هـ/776م، و نظرا لقصر مدة حكمه في القيروان و إهمال المؤرخين لها يمكن اعتبار بيعته الأولى في المغرب الأوسط بداية حقيقية لحكمه.

فكيف تمت هذه المبايعة بالإمامة؟ و ما هي الشروط و المبادئ الأساسية التي روعيت في اختيار عبد الرحمن بن رستم؟ و هل كانت سياسته عند حسن ظن الجماعة فيه و طبقا للشروط المتفق عليها؟

لقد وصف لنا ابن الصغير الكيفية التي تمت بها مبايعة عبد الرحمن بن رستم إماما بقوله: "اجتمع رؤساءهم فقالوا: قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا، و ينصف مظلومنا من ظالمنا، و يقيم لنا صلاتنا، و نؤدي إليه زكاتنا، و يقسم فيئنا... و قد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمن قاضيا و ناظرا، فقلدوه أموركم، فإن عدل فذلك الذي أردتم، و إن سار فيكم بغير عدل عزلتموه²، و لم تكن له قبيلة و لا عشيرة تدفع عنه".

و الغريب أنه من الأسباب التي رشحته لهذا المنصب كونه غريبا لا قبيلة له يتشرف بها و لا عشيرة له تحميه، فهو لا ينتمي إلى قبيلة مغربية و لا حتى عربية على أكبر تقدير، خاصة إذا علمنا أن

=الدراجي: المرجع السابق، ص85، وللمزيد عن كيفية خروج عد الرحمن بن رستم من القيروان صوب المغرب، ينظر، الشماخي: المصدر السابق، ص 133-134.

1- الإمامة: هي لقب أمير المؤمنين و رئيس الدولة، يتصرف في أمورها و ينظر في مصالحها، ترجع له السلطان الزمنية والروحية، ينتخبه وجوه المدينة و زعماء المذهب و شيوخ الدين بحرية تامة دون مراعات صداقة أو قرابة، فإن رأوا فيه اعوجاجا قوموه بالسيف لا بالرفق واللين، عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص125، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص29، أما ابن خلدون فيقول: "أنها نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين و سياسة الدنيا به، تسمى خلافة و إمامة، و القائم به خليفة و إماما، فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة في اتباعه و الإقتداء به، و أما تسميته خليفة، فلكونه يخلف النبي في أمته"، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص201.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص29، و يقول أيضا: "لما نزلت الإباضية مدينة تيهرت و أرادوا عمارتها، اجتمع رؤساءهم... و المقصود بتيهرت هي القديمة، و أن التي استحدثها عبد الرحمن لم تكن أنشئت بعد، و هذا حسب ابن خلدون الذي يجعل مبايعة عبد الرحمن قبل بناء تيهرت الحديثة، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص30، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر نفسه، م2، ص 2406.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

هذه الفترة هي فترة الخصومات العربية المشهورة بين القيسية و اليمنية من العرب¹، و كان عبد الرحمن بن رستم قبل هذه المبايعة قد طلب من أعيان تيهرت و مشايخ الإباضية أن يمثّلوا لأوامره ما تماشت مع العدل و خلق الإسلام، فإذا انحرف فلا طاعة لهم عليه². و كان البرنامج الذي تمت على أساسه البيعة هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الخلفاء الراشدين³، و على هذا الشرط قبل عبد الرحمن أماناتهم واشترط عليهم هو الآخر الطاعة في الحق⁴.

إن الإمامة لا تراعي العرف، و لكن الكفاءة⁵، و في رواية للشماخي يحدد فيها المبادئ الأساسية التي روعيت في اختيار عبد الرحمن و هي أربعة بقوله: "فاتفق رأيهم (الإباضية) على عبد الرحمن لفضله وكونه من حملة العلم... و لكونه عامل أبي الخطاب على إفريقية و لأنه لا قبيلة له تمنعه إذا تغير عن طريق العدل⁶. إذن توجد أربعة أسباب اختاروه على أساسها و هي: - الفضل: و يراد به العدالة و هي عند الإباضية جميع صفات الكمال الأخلاقي من حيث سلامة الاعتقاد و صحة الجوارح و نزاهة النفس⁷. - العلم: و يعرفونه بأنه يوصل مصلحة الجماعة في الدنيا و سعادتها في الآخرة، ويقول ابن خلدون: "إنما يكون منفذا لأحكام الله تعالى إذا كان عالما بها و ما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها⁸. - الوصية: و يراد بها وصية الإمام القائم لمن يخلفه و لا تكون فردا ملزما للأتباع وإنما توجيهه، وقد قلدوا في ذلك ما فعله أبو بكر رضي الله عنه قبل موته عندما أوصى لعمر رضي الله

1- حسين مؤنس: فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة و النشر، ط1، القاهرة، 1959، ص144، علي يحيى معمر: الإباضية في الجزائر، المرجع السابق، ص136.

2- إيفلا كوست: المرجع السابق، ص102.

3 - و يقول الشماخي: "...فقبلها على ذلك و أقام بأمر الله و زهد الدنيا بعد أن تمكن منها..."، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص140.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص9، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص120-121.

5- محمد علي دبوبز: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص396، و يذكر ابن خلدون أربعة شروط للإمامة، و هي: العلم والعدالة و الكفاية و سلامة الحواس و الأعضاء مما يؤثر في الرأي و العمل، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص203.

6- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص140.

7- نفسه، ج1، ص نفسها.

8- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص203، حسين مؤنس: المرجع نفسه، ص117-118.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

عنه، وكانت الإباضية أميل لاتباع ما فعل عمر رضي الله عنه و ذلك باختيار ستة من أصحابه لينتخبوا من بينهم خليفة، و بالفعل كان لإمام الإباضيين أصحاب يسمون أهل الشورى، و كان عليه أن يستشيرهم في كل أمور الإمامة، فإذا مات كان على الستة اختيار الإمام الجديد¹. - ألا يكون للإمام عصبية تؤيده، لا تعتمد العصبية في الإمامة و في فرض السلطان على الناس². - كما كان على الإمام أن يحيا حياة الزهد و من ذلك أن ابن رستم لما قدم عليه من العراق رسل من الإباضية واصل ما كان منشغلا به في إصلاح شقاق في سطح بيته بالطين، و لم ينزل لاستقبالهم إلا بعد أن أتم شغله، و قدم لهم خبزا وسمنا، و ليس في بيته شيء سوى وسادة ينام عليها، و سيفه و رمحه و فرس مربوطة في ناحية من داره³، و قد تمت مبايعته بالإمامة على هذه الأسس سنة 160هـ⁴، 160هـ⁴، و قيل عام 162هـ⁵ بعد وفاة إمامهم أبي حاتم⁶، و كان ذلك بعد أن رست قواعد الدولة الدولة و رسخت دعائمها وتوطدت أركانها وأصبحت قادرة على الدفاع عن نفسها⁷. كما اشترك في مبايعة عبد الرحمن بن رستم أيضا إباضية طرابلس⁸.

و اتسع سلطانه بين القبائل العديدة التي دخلت في طاعته و على رأسها نفوسة، و ساد الأمن والسلام ربوع بلاده، لقد كان عبد الرحمن عند حسن ظن الجماعة فيه، فقد أحسن السيرة

1- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 54- 55.

2- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 118.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 10- 11، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 140، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج 2، ص 22.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 40- 41.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 139.

6- أبو حاتم يعقوب بن حبيب الكندي بالولاء، ثار على رأس جمع كبير من البربر سنة 151هـ، و هزم جيوش عمر بن حفص أمير إفريقية عند طرابلس، و حاصر القيروان و قاتل عمر حتى قتل، اتخذ جبل نفوسة قاعدة له، ولايته كانت ولاية دفاع، تولاها بعد مقتل أبي الخطاب، توفي سنة 155هـ، ينظر هامش أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 49، الشماخي: المصدر نفسه، ج 1، ص 128.

7- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 80.

8- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير في العصر الإسلامي، المرجع السابق، ج 2، ص 547.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

وجلس في مسجده للأرملة و الضعيف¹، و يقول ابن الصغير: "شمر مئزره، و أحسن سيرته، و جلس في مسجده للأرملة و الضعيف و لا يخاف في الله لومة لائم، فطار ذلك في أطراف الأرض، مشارقتها ومغارها"² فلم ينقم عليه أحد في حكمه، و لم يكن في أيامه اختلاف، و عندما انتشرت أخبار عدله و سيرته الحسنة توافدت عليه الأنصار من كل مكان، لا من البلاد المغربية فحسب، بل حتى من المشرق من العراق والبصرة و خراسان³.

و لما سمع إباضية المشرق بعدله و فضله، قرروا مساعدته من جديد، حيث بعثوا له عشرة أحمال من المال، لكنه رفض قبولها⁴، و طلب رد المال إلى أصحابه، خاصة عندما عرف أحوال إخوانه إخوانه بالمشرق، بأنهم مستضعفون غير قادرين، و أن بجماعتهم مثلما بجماعة الناس من الغناء و الفقر⁵، و من هنا يتضح لنا أن عبد الرحمن لم يكتف بما تحقق من استقلال أهل المذهب في تيهرت بل كان يرمي إلى تحرير الجماعة الإباضية في المشرق من الحكم العباسي⁶، و مجمل القول أن سياسة عبد الرحمن يمكن جمعها في النقاط التالية:

— اشتهر بحسن السيرة و العدل في رعيته⁷، فكان فقيها في شؤون الدين عامة و قضايا المذهب خاصة، وهو القائد الأعلى لكل قضايا الدولة⁸.

1- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج2، ص302، رابع بونار: المرجع السابق، ص36، مبارك ميلي: المرجع السابق، ص 71-72.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص28.

3- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 118-119.

4- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص141، شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص44، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص 119-120.

5- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 13-14، و يقول الشماخي: "...ارجعوا بما لكم فإن أربابه أحوج إليه منا لأننا في أرض قد استولى عليها العدل و هم في بلد غلب عليه الجور..."، ينظر، الشماخي: المصدر نفسه، ص نفسها.

6- ابن الصغير: المصدر نفسه، ص15.

7- بحاز ابراهيم: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص102.

8- بشار قويدر: المرجع السابق، ص105، و يقول ابن الصغير في هذا الشأن: "فسار فيهم سيرة جميلة حميدة أولهم آخرهم، و لم ينقموا عليه في أحكامه حكما و لا في سيره سيرة"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص31، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص2406.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

— أسهم في مجد الأمن و السلام بين الطوائف و المذاهب في المغرب من خلال سياسته المرنة مع جيرانه.

— تمكن من تأسيس رابطة مذهبية وسط اتحاد قوي يضم قبائل مختلفة كانت دائما في صراع و تنافس.

— توافدت إليه قبائل من مناطق مختلفة من أجل أن تعيش في كنف دولته العادلة و حتى الذين لم يتمكنوا من الوصول إليه كانوا يعتبرون أنفسهم تابعين لدولته و يعترفون به كإمام لهم¹.

أما على صعيد السياسة الخارجية، فقد انتهج الإمام عبد الرحمن بن رستم سياسة المسالمة التي رأى فيها وسيلة لتأمين هذه الدولة الفتية مما يمكن أن يحاط بها من أخطار خارجية، لا سيما الدولة العباسية الممثلة في ولاية القيروان و بالتالي إبرام معاهدة سلام مع والي القيروان روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب سنة 171هـ/787م².

و هكذا يمكن القول أن عبد الرحمن بن رستم تمكن في فترة وجيزة من أن يؤسس دولة قوية لها جيرانها اتصلوا به يطلبون صداقته و هاجر إليه كثير من أهل المشرق و المغرب و الأندلس³، و هذا هذا ما دفع يحيى معمر إلى تشبيهه بن رستم بعبد الرحمن بن معاوية "عبد الرحمن الداخل"، فإذا كان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور قد أطلق على الأخير لقب "صقر قريش"، فإن علي يحيى معمر لقب عبد الرحمن بن رستم بـ"صقر فارس" بقوله: "إنني كلما ذكرت عبد الرحمن بن رستم إلا و ذكرت بطلا آخر يشبهه في بعض المواقف، ذلك هو عبد الرحمن الداخل صقر قريش، على أن صقر قريش قد وجد من عناية التاريخ و احتفال الكتاب به، ما رسم حوله هالة من المجد و العظمة، أما صقر فارس، فوجد من إهمال التاريخ و حقد المؤرخين و الكتاب عليه و انصرافهم إلى طمس مزاياه و أخباره ما كان حريا أن يخرج من حيز الوجود و يطمس آثاره من واقع الحياة"⁴، و يواصل مقارنته

1- بشار قويدر: المرجع السابق، ص106، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص141.

2- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص107، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص125، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص1407.

3- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص550.

4- علي يحيى معمر: الإباضية بالجزائر، المرجع السابق، ص134

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

بقوله: "كان الرجلان متعاصرين، نالتهما الأحداث من الدولة العباسية الناشئة بسبب انتماء كل واحد منهما إلى دولة سابقة، فقد فر صقر قريش و لحق بالأندلس سنة 138هـ، و فر صقر فارس من القيروان واستقر بتاهرت سنة 141هـ... و ترك الداخل دولة عظمى في الأندلس، و ترك الفارسي إمامة عظمى في الجزائر..."¹.

و لما أحس عبد الرحمن بن رستم بدنو أجله اقتدى بعمر ابن الخطاب رضي الله عنه بجعله الإمامة شورى في سبعة نفر من خيرة رجال الدولة الرستمية و ممن كان يتوفر فيهم الصلح و الزهد، منهم: مسعود الأندلسي و كان فاضلا فقيها من شيوخ المسلمين و أبو قدامة يزيد بن فندين اليفريني، و عمران بن مروان الأندلسي، و عبد الوهاب بن عبد الرحمن، و أبو الموفق سعدوس بن عطية، و شكر بن صالح الكتامي، و مصعب بن سدمان².

و قد جاءت وفاة عبد الرحمن بن رستم في سنة 171هـ/787م³، و قيل في سنة 168هـ⁴.

ثانيا- مراحل الحكم و الإمامة بعد عبد الرحمن بن رستم

حكم مدينة تيهرت في المغرب الأوسط، أحد عشر إماما من بني رستم⁵، بالتالي فالحكم قد تعاقب في أفراد أسرة واحدة، و كان أول أئمتها عبد الرحمن بن رستم التي دامت إمامته إحدى عشر سنة أي من 160هـ حتى 171هـ⁶.

1- علي يحيى معمر: المرجع السابق، ص 136-137.

2- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 54-55، شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 44، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 145.

3- أبو زكرياء: نفسه، ص 56، ابراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص 38.

4- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج 1، ص 196.

5- ستانلي لين بول: الدول الإسلامية، تصحيح، بارتولد و خليل أدهم، نقله من التركية إلى العربية محمد صبحي فرزات و محمد أحمد وهمان، مطبوعات مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق، د.ت، ص 118.

6- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 65، ابراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص 38.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

إن الفترة التي أعقبت وفاة عبد الرحمن بن رستم تعد من أرحح الفترات التي مرت بها الدولة الرستمية حيث أن المرشحين السبعة للإمامة¹ لم ينتهوا في فترة وجيزة من عملهم الذي كلفهم به عبد الرحمن بن رستم و هو اختيار واحد منهم للإمامة، و قد استمرت اجتماعاتهم شهرا كاملا دون أن يتخذوا قرارا في هذا الشأن، و في الأخير اتفقوا على اختيار أحد الاثنين، إما مسعود الأندلسي أو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، لكن الأكثرية من المرشحين مالوا إلى اختيار مسعود الأندلسي لمنصب الإمامة²، والذي دفعهم إلى ذلك أحد الأمرين هما:

أولا: أن مبدأ الإباضية كان يقتضي الالتزام بالشورى دون الوراثة.

ثانيا: إن مسعود الأندلسي كان أعلم من عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم³.

لكن مسعود الأندلسي كان ينفر من الرئاسة و يزهّد فيها، فأثر أن يتخلى عنها لعبد الوهاب، فلما تقرر عقد المجلس في دار الإمامة توارى عن الأنظار و انسحب تاركا الفرصة لعبد الوهاب في تولي الإمامة، و كان مسعود الأندلسي أول من بايع عبد الوهاب و تتابع من ورائه الحاضرون، ثم بايعه المسلمون بعد ذلك بيعة عامة⁴، فتولى عبد الوهاب الإمامة، و هكذا أغلب مبدأ مبدأ الوراثة على مبدأ الاختيار⁵.

و من هؤلاء الأئمة:

— عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (171-208هـ/787-823م)⁶:

تولى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم منصب الإمامة سنة 171هـ⁷، و كان آنذاك في

1- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص57.

2- نفسه، ص58، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص145.

3- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ص551، محمد عيسى الحريزي: المرجع السابق، ص109.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص47، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص145.

5- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص55.

6- ذكره ابن عذارى باسم عبد الوارث، ابن عذارى: المصدر السابق، ص197.

7- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص2407.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الثانية والخمسين من عمره¹، و قد قضى أغلب هذه السنين بجوار والده عبد الرحمن يقاسمه فيها حلو الحياة ومرها، و رغم أنم المصادر لم تذكر الكثير من التفاصيل عن حياة عبد الوهاب قبل توليه منصب الإمامة، إلا أن الذي لا شك فيه أنه كان إلى جانب واده في كل جهوده السياسية و الحربية التي قام بها لتأسيس دولة إباضية و أنه عاش مع والده في القيروان.

لقد اكتسب عبد الوهاب خبرة واسعة في السياسة و الإدارة والحرب، كما كانت لديه شخصية قوية اكتسبها من والده و استطاع بفضل الميزات المتعددة لشخصيته أن يحتفظ بمركزه كإمام رغم الفتن التي واجهته و منها ما سمي بالافتراق²، الأول مع النكارية³ بقيادة يزيد بن فندين⁴ و مع الواصلية⁵، لكنه تمكن من القضاء على تمردهم وبعدهما ساد الهدوء و الإستقرار في الدولة الرستمية قرر عبد الوهاب السفر لأداء فريضة الحج فاستخلف ابنه أفلح على تيهرت فمضى شرقا و في صحبته زوجته و جمع كبير من رجاله و سلكوا الطريق الصحراوية المارة بقسطيلة و جبل دمر⁶ إلى أن

1- محمد علي دبو: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج3، ص455.

2- الإفتراق: يعرفه ابن خلدون بالإختلاف و التنازع و يحدث عندما يكون القبيل الواحد فيه بيوتات متفرقة و عصبيات متعددة، ويستدل بقوله تعالى: "و لولى دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض" [سورة البقرة: الآية251]، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص152، (ستحدث عن هذا الإفتراق و عن الواصلية في عنصر سقوط الدولة الرستمية)

3- النكارية: هم أتباع يزيد بن فندين الذين تنكروا لإمامة عبد الوهاب و ثاروا ضده، ابن الصغير: المصدر السابق، ص37.

4- يزيد بن فندين: هو أحد الذين رشحهم عبد الرحمن بن رستم لمنصب الإمامة، و قاد تيار المعارضة ضد الإمام عبد الوهاب وهو ينتمي إلى بني يفرن و هو فرع قوي من قبيلة زناتة البترية، أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص- 85- 96.

5- الواصلية: هي مذهب واصل بن عطاء الغزال من أئمة البلاغة و علم الكلام، لقد نشرت الواصلية مذهب الاعتزال في مختلف أنحاء العالم الإسلامي حيث بعث واصل بعضا من رجاله إلى اليمن الجزيرة و أرمينة و المغرب إلخ، أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1900، ص 92- 93، و قد أشار البكري لهذه الفئة بقوله: "و كان مجمع الواصلية قريبا من تاهرت، وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها"، البكري: المصدر السابق، ص67، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص8.

6- جبل دمر: هو يشكل الطريق الغربي للسلسلة التي تمتد من جنوب طرابلس حتى قابس، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص114.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

وصلوا إلى جبل نفوسة¹، فنزلوا فيه و منعه السكان من متابعة السير إلى مكة خوفا من أن يقع في أيدي العباسيين فيقتلوه.

أقام الإمام عبد الوهاب في جبل نفوسة سبع سنين² تولى فيها شؤون القوم و ألف كتاب أسماه "مسائل نفوسة الجبل"³، كما استطاع أن يوسع هذه إلى غاية صحراء طرابلس، بعد ذلك عزم على العودة إلى تيهرت⁴، و هكذا نجح عبد الوهاب في توطيد أركان الدولة الرستمية و في الوصول بها إلى أوج اتساعها، و ترك لخلفائه دولة قوية الدعائم متينة الأركان⁵، يقول عنها ابن الصغير: "و كان عبد الوهاب هذا قد اجتمع له من أمر الإباضية و غيرهم ما لم يجتمع الإباضية قبله، ودان له ما لم يدن لغيره و اجتمع له من من الجيوش و الحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله، و لقد حكى لي جماعة من الناس أنه قد بلغت سمته إلى أن حاصر مدينة طرابلس و ملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان"⁶ أولى اهتماما كبيرا للسياسة الخارجية باعتماد المسالمة و هي نظرة اقتضتها ظروف تأسيس و توطيد الحكم الناشئ، فقد وادع هو الآخر والي إفريقية روح بن حاتم و أبرم معاهدة سلم معه سنة 171هـ/787م⁷. و ضل الهدوء سائدا في الدولة الرستمية حتى توفي الإمام عبد الوهاب سنة 208هـ⁸، و قيل 211هـ⁹. و قد تولى الإمامة بعده ابنه أفلح.

1- ابن الصغير المالكي: المصدر السابق، ص49.

2- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص84.

3- جمعية التراث: أعلام الإباضية منذ القرن1هـ إلى العصر الحاضر، م1، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1999، ص591-592، ابن الصغير: المصدر السابق، ص45.

4- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته، المرجع السابق، ص329.

5- ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص118-119.

6- ابن الصغير: المصدر السابق، ص17.

(E.F) Gautier, opcit, p303.

7-

8- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص87.

9- اختلفت الروايات حول مدة حكمه، فمن قائل بأنها دامت أربعين سنة، أي أنه تولى الحكم سنة168هـ/784م، و مات سنة208هـ/823م، و قائل أنها لم تتجاوز 19 سنة، غير أن سليمان الباروني يقول أنه حكم من سنة 171هـ إلى 190هـ/805م سنة وفاته، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص212، بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص91-92.

- أفلح بن عبد الوهاب (208-240هـ/823-854):

مارس الإمام أفلح الحكم أثناء غياب أبيه في جبل نفوسة، فعاش في قلب المعارك التي أدارها والده، فشاركه محاربه الواصلية، مكنته من أن يكون أهلاً لخلافة والده حيث اجتمع أهل الشورى من علماء الدولة، وأجمعوا على مبايعة أفلح بالإمامة في 208هـ لما رأوا فيه من صلاح و كفاءة لهذا المنصب¹، قد أظهر أثناء حياة أبيه من الورع و التقوى و حسن السيرة و العلم، فاستمال قلوب الناس بالمعروف و القول الحسن والعمل البار و العدل و الإنصاف².

تميز عهده بالازدهار الاقتصادي و تطور الحركة العلمية في شكل جعل تيهرت تعرف توسعا في نسيجها العمراني و إقبالا عليها من كل المناطق، فيصورها لنا ابن الصغير بقوله: " و عمرت معه الدنيا، وكثرت الأموال و المستغلات، وشاخ في ملكه، و أتته الرفاق و الوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات، و تنافس الناس في البنيان..."³، كما ازدهر النشاط التجاري وتوسعت التجارة مع بلاد السودان، خاصة مملكة "كوكو"⁴، علما أن والده الإمام عبد الوهاب كان يخرج عليه عليه الدخول في التجارة تورعا و بعدا عن الوقوع في بعض الشبه من حيث البيع و الشراء، حتى أنه عزم مرة التوجه إلى مملكة "صوصو" بقصد التجارة إلا أنه بعد أن هيا نفسه و برز برحله، خرج إليه والده و قال له: "ارجع... فرجع..."⁵، كما نالت الدولة في عهده حظها من الإزدهار الثقافي

1- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص85، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص72.

2- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص32، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، المرجع السابق، ج2، ص558.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص17.

4- كوكو: يقدر بعدها عن تيهرت بثلاثة أشهر سيرا بالقوافل عبر ورجلان، هي أحد أقاليم مملكة مالي الخمسة التي ذكرها البكري البكري بملل، و الإدريسي بلملم، أما بن خلدون فيقول: " و كانت تجاورهم أي "غانة" من جانب الشرق أمة أخرى فيما زعم النقالون، تعرف بسوسو... ثم أمة تعرف بمالي ثم بعدها أمة تعرف بكوكو..."، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص178، الإدريسي: المصدر السابق، ص4، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م2، ص1436.

5- mosques du M'zab et du Willems didier :Recherches sur quelques grande du sahel central, Etude realisee dans le cadre d'un D.E.A en Etudes Islamiques,

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

خصوصا الثقافة الدينية، إذ امتلأت مساجد تيهرت بطلاب العلم، و شاركت المرأة أيضا في هذه النهضة الثقافية، فكانت أخت الإمام أفلح ممن نبغن في علم الحساب و الفلك و التنجيم¹، كما استطاع الإمام أفلح أن يجذب الواصلية ويستميلهم إلى جانبه، فأصبح رئيسا لهم إلى جانب كونه رأسا للإباضية و الصفرية، و في ذلك يقول البكري: "و كان ميمون(أفلح بن عبد الوهاب) رأس الإباضية وإمامهم و إمام الصفرية والواصلية..."²، ورغم هذا نشبت في عهده بعض التيارات المعارضة مثل الحركة التي سماها الإباضيون "الإفتراق الثالث" التي قادها نفاث بن نصر النفوسي³.

و في فترة حكمه، ألقى العباسيون القبض على ابنه أبي اليقظان عندما كان ذاهبا إلى الحج، فحمل إلى بغداد⁴ و زج به في السجن⁵، و لما علم أفلح بما حدث لولده، اشتد حزنه عليه و طال غمه به، فلم يزل مهموما محزونا إلى أن وافته المنية في سنة 240هـ/854م⁶.

- أبو بكر بن أفلح (240هـ - 241هـ):

لقد تغيرت الأمور في الدولة الرستمية بعد وفاة أفلح، إذ تولى الإمامة ابنه أبو بكر الذي لم يكن على المستوى المطلوب للحاكم الذي يقود دولة لها أهميتها مثل الدولة الرستمية، و قد اجتمع أهل الحل والعقد من نفوسة و غيرهم و عقدوا الإمامة لأبي بكر بن أفلح سنة 240هـ⁷ لأنهم لم يجدوا

Institut D'histoire de l'art et archeologie, paris, IV —
Sorbonn, AnneeAcademique, 1990-1991, p34.

1- محمد عيسى الحرير: المرجع السابق، ص151.

2- البكري: المصدر السابق، ص68.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص138، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص 77- 82.

4- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص87.

5- ابن الصغير: المصدر السابق، ص27.

6- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، المرجع السابق، ج2، ص559، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 290- 291، الزركلي: الأعلام قاموس التراجم، ج1، مطبعة القاهرة، ط2، 1954، ص442، و قد اكتفى ابن الصغير بقوله: "و كان أفلح قد عمر ما لم يعمر أحد ممن كان قبله فأقام خمسين عاما أميرا"، بينما الدرجيني يقول: "وكانت مدة إمامته ستون سنة"، ينظر ابن الصغير: المصدر السابق، ص26، الدرجيني: المصدر السابق، ص85.

7- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص155، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص292.

غيره في أبناء البيت الرستمي، فأخوه اليقظان كان أقدر منه على إدارة شؤون الدولة و لكنه كان لا يزال مسجوناً ببغداد، و كان أخوه الثالث يعقوب صغير السن لذلك تمت مبايعة أبي بكر بالإمامة، وكان شاباً طائشاً لم يحسن الإدارة كما أنه لم يكن عادلاً يحكم بأصول الدين كآبائه، بل كان يميل إلى الراحة و حياة الخمول¹، فانغمس في الترف و أسرف في اللهو²، يقول ابن الصغير: "يسامح أعل المرجوات و يشايعهم على مواتهم و يجب الأدب و الأشعار و أخبار الماضين³."

ترك أبو بكر شؤون الدولة لصهره محمد بن عرفة⁴ الذي كان من أعيان تيهرت، مهمته الإتصال بالرعية، و النظر في قضاياهم، فأصبحت الإمامة الفعلية لمحمد بن عرفة و الإسمية لأبي بكر⁵، و في تلك الأثناء عاد أبو اليقظان من العراق بعد أن أطلق سراحه، فوجد أحوال الدولة الرستمية كما هي لم تتغير، فأسلم إليه أبو بكر مقاليد الإمامة و ترك له مهمة القيام بشؤون الدولة و حل مشاكلها، و في المقابل كان نفوذ ابن عرفة في ازدياد، و صيته في دوي مما أوغر صدر رؤساء الإباضية عليه، فحسده غير واحد على منصبه و سعوا به عند أبي بكر حتى أغروه عليه، فما كان منه إلا أن قتله غيلة و غدرًا⁶ لتدخل البلاد بعد ذلك في نار الفتن و لم يتمكن أبو بكر من إطفائها، فتخلى عن السياسة و تقدم أخوه أبو اليقظان الذي نجح في إخماد هذه النار و القضاء عليها نهائياً.

- أبو اليقظان محمد بن أفلح (241هـ - 281هـ):

لم تذكر المصادر شيئاً عن المراحل الأولى من حياة أبي اليقظان، و إنما اكتفى بعضها بالحديث عن ورعه و تقواه و أنه كان حسن الحال عند جميع الناس. كان أبو اليقظان وقت وفاة أبيه أسيراً عند

1- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 67.

2- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 134.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 61-62.

4- محمد بن عرفة: سبق و أن قام بالسفارة بين أفلح بن عبد الوهاب و مملكة كوكو و كان محمد بن عرفة قد تزوج بأخت أبي بكر بن أفلح و في المقابل كان محمد بن عرفة أخت تزوجها أبو بكر، الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 83.

5- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 68، و يقول ابن الصغير: "فكانت الإمارة بالإسم لأبي بكر و بالحقيقة لمحمد بن عرفة"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 62.

6- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 89.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

بني العباس¹، فقد قبض عليه عامل الحجاز و هو متجه إلى الحج كما كرنا سابقا، و قد سجن مع المتوكل²، فتصادق معه، و لما اعتلى المتوكل عرش الخلافة، أمر بإطلاق سراح أبي اليقظان و آذن له بالعودة إلى بلاد المغرب³. و كانت لهذه الفترة التي عاشها أبو اليقظان في بغداد أثرها في تكوين شخصيته السياسية سواء تلك الفترة التي قضاها مع المتوكل في السجن، أو التي قضاها في بلاط العباسيين، حتى ارتحل عنهم إلى بلاد المغرب⁴. كانت لأبي اليقظان شخصية قوية استمدت عناصر قوتها من مقوماته الجسمية و سلوكه الشخصي، فقد كان مربع القامة، أبيض الرأس و اللحية، زاهدا ورعا⁵. و بعد عودته إلى تيهرت تمت مبايعته بالإمامة، و قيل بعد موت أخيه أو بتسليم منه إليه سنة 241هـ⁶، و تمت بيعته و أحوال البلاد في غاية السوء من الاضطراب و الفتن، فاستنجد بسكان جبل نفوسة الذين أمدهم بجيش كثيف تمكن بفضلهم و بفضل عزمته و شجاعته من القضاء على الثوار، و بذلك احتل موضع التقدير من الجميع، و يذكر الدرجيني في هذا الصدد: "فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدلون أيامه و سيرته إلا بإمامة جده عبد الرحمن وسيرته، و ذلك أنه اتخذها مجلسه حينئذ كالمسجد، فطائفة يصلون، و طائفة يقرؤون القرآن، و طائفة يتذاكرون في فنون العلم"⁷، بقي أبو اليقظان في منصب الإمامة مدة أربعين سنة⁸، تمتعت الدولة الرستمية خلالها بكثير من الإصلاحات الداخلية التي ساهمت في دعم مركز الدولة السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي، و هذا ما ذكره محمد بلقراد في مقاله، نقلا عن اليعقوبي الذي زار تيهرت في عصر أبي اليقظان و اعتبرها فترة

1- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 135.

2- المتوكل: هو أخو الخليفة الواثق، حيث غضب عليه فقام و سجنه و هناك التقى بأبي اليقظان، أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميري: جدوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس و أسماء رواة الحديث و أهل الفقه و الأدب و ذوي النباهة و الشعر، تحقيق و تصحيح محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، د.ت، ص 328.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 63.

4- نفسه، ص نفسها.

5- رابح بونار: المرجع السابق، ص 37.

6- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 98.

7- الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 83-84، أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 98.

8- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب و الأندلس، المرجع السابق، ص 37.

الباب الأول — نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

ذهبية حتى أنه وصفها بـ"عراق المغرب"¹، و من أعماله: تجديد دار الإمام²، و تقديم من هو أهل بالوظائف العليا و تسيير الأمور بدين، و قد قدم أحد علماء عصره "أبو عبيدة" على القضاء، أما الإمام أبو بكر، فقد قضى بقية أيامه في تيهرت في ظل إمامة أخيه أبي اليقظان الذي عمل على استتبات الأمن، فظلت أحوال الدولة هادئة إلى نهاي حكمه و وفاته سنة 281هـ بعد أن عاش من العمر أكثر من مائة سنة³، و لم يخلف وراءه شيء سوى قيمة قدرت بسبعة عشر ديناراً⁴، و خلفه من الولد الذكور عدداً، منهم يقظان الذي كني باسمه، و يوسف المكنى بأبي حاتم و أبي خالد، و عبد الوهاب، و وهب، و غيرهم مما لا ذكر له⁵.

— أبو حاتم يوسف بن محمد (281هـ/294هـ):

تولى الإمامة بعد وفاة محمد بن أفلح، مكث في الإمامة اثني عشر عاماً⁶ حيث أنه كان وهو أخوه اليقظان غائبان عندما توفي والدهما، فيقظان كان بالموسم، أما أبو حاتم، كان قد أخرجه أبوه في جيش مع وجوه زناتة ليجيروا "أي يؤمنوا" قوافل قد أقبلت من المشرق، و فيها أموال لا تحصى، خوفاً من قبائل زناتة⁷، و لما رجع إلى المدينة، استقبله سكانها و حملوه على الأعناق والأأيادي، واصعدوه المنبر، و بايعوه، ثم أرسلوا إلى القبائل و بايعوه⁸.

و قد كان له رجالان من خلاصته من أهل المدينة، كما من أهل الحرب و النجدة، و هما محمد بن رابع، و محمد بن حماد⁹، و كانا هما أول بن بايعوه، و كانا جريئين جدا إلى حد أنهما قالوا يوماً لأبي الحاتم، و كان أبوه قد لامه على شيء "خل بيننا و بينه، نحن ندخل عليه فنقتله، و يصير

1- محمد بلقراد: الحركة الإباضية في تاهرت و سدراتة، مجلة الأصالة، العدد 41، 1977، ص 58.

2- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 91-92.

3- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 197.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 89.

5- نفسه، ص نفسها.

6- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 100، الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 84.

7- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 91.

8- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 350-351.

9- و لعله أخا بكر بن حماد الشاعر المشهور، سليمان الباروني، المرجع السابق، المرجع السابق، ص 350-351.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

الأمر إليك" فاستنكر أبو الحاتم قولهما، و قد خشي على نفسه، فأمر بهما فأخرجوا من المدينة¹، وثار وثار أهلها عليه²، و قد كان أبو حاتم رجلا وسيما، حيا، كريم السجايا و الأخلاق، واسع الإحسان والبر بأترابه³، مدربا على إدارة شؤون الحكومة، و لعل في بداية إمامته، ظهرت أزمات رافقتها تطورات و أحداث متفاوتة، حيث خرج عليه يعقوب بن أفلاح بتحريض من بعض سكان تيهرت، فأعلنوا الثورة عليه، و استقدموا يعقوب من زواغة⁴، و بايعوه بالإمامة، فقامت الحرب في العاصمة الرستمية، و احتدم القتال بين أنصار أبي حاتم، وأنصار يعقوب، حيث دامت هذه الحرب حوالي أربع سنوات، و انتهت بانتصار أبي حاتم، و عودته إلى الإمامة، و عودة عمه إلى زواغة سنة 294هـ⁵، و قضى ثمانية سنوات أخرى أعاد فيها النظام للدولة، و طهرها من الفساد الذي طغى على المجتمع، إلا أنه لم يستطع أن يقضي و يمحي جذور الفساد في الأسرة الرستمية التي كانت سببا في قتله⁶.

و قد شارك أبو بكر الناقمين و الثائرين على أبي حاتم، ثم عاد إليه طالبا العفو في قصيدة مدح رائعة وجميلة جاء في مطلعها:

و مؤنسه لي بالعراق تركتها و غصن سبائي في العصون نضير
فقال كما قال النواسي⁷ قبلها "عزيز علينا أن نراك تسير⁸

1 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص353.

2- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 92- 93، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج2، ص383، Andre negre, la fin de l'état rostumide, revus d'histoire et de civilisation du magureb, faculté des lettresd'Alger, 1967, p – p 33 – 34.

3 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص348.

4- زواغة: هم من بطون البرابرة البتر، و لهم ثلاثة بطون هي: دمر، بنو وطيل، و بنو ماخر، و هم متفرقون في نواحي، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص264.

5- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص197، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص363.

6- رابح بونار: المرجع السابق، ص37.

7- النواسي: هو أبو النواس الحسن بن هانئ الحكمي، مبارك الميلي: المرجع السابق، ص74.

8 - البرادي نقلا عن سليمان الباروني، المرجع السابق، ج2، ص365.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

و قد شهد أيضا عهده تنكرا الطيب بن خلف في حيز طرابلس¹، و جبل نفوسة، فعهد الإمام بتأديبه إلى منصور إلياس، فوجه إلى الطيب جيشا لمحارته، فالتجأ هذا الأخير إلى زواغة، فطاردهم أبو المنصور، و حاصر جربة، و قبض عليه، و حمل مقيدا إلى جبل نفوسة، و حبس فترة، ثم أخرج بعد أن أعلن توبته و عودته إلى ولاء الإمام²، و لما توفي أبو منصور إلياس، أسند الإمام ولاية ولاية نفوسة إلى أفلح بن العباس، و لم يكن بمهارة أبي المنصور، فقد انهزم على يد الأغالبة سنة 284هـ، وقد كان عدد النفوسيين

عشرين ألف مقاتل، يقودهم أفلح بن العباس، و سميت هذه الموقعة بـ "مانو"³، و قد عاود عاود ابراهيم بن أحمد الأغلب الكرة مرة أخرى، فأرسل ابنه أبا العباس إلى نفوسة، وقتل عدد منهم، و أسر حوالي ثلاثة مائة شخص، و أخذهم إلى القيروان، و أمر بذبحهم، و استئصال قلوبهم، و نظمها في جبال نصبت على باب تونس⁴، و بهذه الهزائم، أثرت سلبا في سقوط هيئة الإمام و طمع طمع أقرابه في الإمامة، و قد قضى على أبي حاتم قتلا من طرف أحد أبناء أخيه اليقظان بن أبي اليقظان سنة 294هـ⁵، و تولى هذا الأخير هذا المنصب.

1- الدرجيني: المصدر السابق، ص100، مبارك الميلي: المرجع السابق، ص75.
2- الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص225، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص563، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج1، ص370.
3- تنسب هذه الموقعة إلى قصر "مانو"، و قد دخل الخوارج المعركة بعد كثير من التردد و خاصة أن أميرهم أفلح بن العباس أبي ذلك، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص107، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص87، الباروني: المرجع السابق، ص372، وينظر: Brahim.Fekar: Les institus Ibadites Magrebines au moyen- age, Actes du 3angres d'histoire et de la civilisation du magreb, tome1, office de publicatins universitaires, Oran 26- 27- 28/11/1983, p119.
4- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص564، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص374-375.
5- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص133، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص69.

- إمامة يعقوب بن أفلح (284هـ/288هـ):

كان يعقوب بن أفلح يطمع في الإمامة بعد وفاة أخيه بن الأفلح، و لما بويع ليوسف بن أخيه الإمامة، انقطع يعقوب عنه و رحل إلى زواغة، و لما ثار أهل تيهرت على يوسف و أخرجوه منها¹، أعلنوا الثورة عليه، و استقدموا يعقوب من زواغة و بايعوه بالإمامة، و دامت أربع سنوات²، و كان يعقوب رفيع الهممة، نزيه النفس، حيث وصفه ابن الصغير قائلاً: "إنه كان بعيد الهممة نزيه النفس، ماجس بيده ديناراً و لا درهما فكأنه أعاد سيرة الإمام الأول في ورعه و تقشفه. فقد كان إذا أتى وكيله بغلاته أمر بأن يجعلها تحت بردعه له يجلس عليها.

و إذا أراد إخراج شيء منها دفعه بقضيب من يده، و كان يعقوب إذا سافر و نزل يقوم لم يأكل لهم طعاماً، و كانت له بقرات يأمر بجلبهن بين يديه في إناء جديد، فإذا امتلأ شربه أجمع ثم يقوم عيه ثلاثاً لا يأكل طعاماً و لا يشرب شراباً و لا يخرج لبراز... و كان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب مثله، لا قبله ولا بعده..."³.

و قد قامت الحروب بينه و بين المصلحين و وضعت الفتنة و أوزارها، و عاد أبو حاتم إلى إمامته سنة 286هـ، وقتها قال يعقوب قولته المشهورة: "لا يجتمع منكم إثنان إلا ما كن عليهم الطلب، افترقوا فقد انقضت أيامكم، و زوال مملكتكم و لا يعود إليكم إلى يوم القيامة"، و أقبل هو و عياله و أهله إلى ورجلان⁴. إلا أن الصراع ظل قائماً داخل البيت الرستمي، مما يؤدي إلى قتل أبي حاتم من قبل أبناء أب اليقظان أخيه من الأب سنة 294هـ⁵.

1- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص125.

2- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص565.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص54.

4- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص128.

5- بوزياني الدراجي: دول الخوارج و العلويين: المرجع السابق، ص102، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص69.

– إمامة اليقظان بن أبي اليقظان (294هـ/296هـ):

هو ابن أبي اليقظان محمد و أخو أبي حاتم يوسف، تولى الإمامة و أيام دولته غير مستقرة¹، دامت إمامته سنتين في جو مليء بالإنقسامات و الإضطراب، فالإنقسام تمثل في أن شيوخ الدولة كانوا ساخطين عليه لآثامه بقتل أخيه²، أما الإضطراب فلأن خطر الإسماعيلية³ قد اقترب من دولتهم، و أصبح يهددها بالسقوط، خصوصا بعد أن تمكن أبو عبيد الله الشيعي، من احتلال الزاب والتغلب على دولة الأغالبة، و دخل رقادة⁴ سنة 296هـ بعد أن هرب منها زيادة الله بن الأغلب⁵، فأحس اليقظان بعجزه عن مواجهة الشيعة، و أدرك قرب نهايته و نهاية دولته، و بالفعل، تمكن أبو عبيد الله الشيعي من قتله و دخول مدينة تيهرت بكل سهولة و بدون حصار، و كان ذلك في سنة 296هـ⁶، و استولى على مكتبة المعصومة لمدينة تيهرت، و كانت على جانب كبير من الأهلية و من التنوع و الغنى، و تضيف النصوص الإباضية بأن أبا عبد الله الشيعي قد خص محتويات المكتبة الثرية، فأخذ كتب الصنائع و كذا العلمية، و أحرق ما تبقى من الكتب⁷، و بهذا انقرضت هذه الدولة من تيهرت، و التجأ باقي أفرادها إلى الصحراء، و قد أخذ زمام الولاية فيها أيام الشيعة أبو حميد دواس اللهيصي، حيث ولاه أبو عبيد الله الشيعي حين خروجه منها إلى سجلماسة⁸.

1- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص172.

2- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير: المرجع السابق، ج2، ص565.

3- سنتطرق لتعريف الإسماعيلية في الفصل الخاص بالحياة الثقافية.

4- رقادة: هي على بعد ثمانية أميال جنوب مدينة القيروان، بنى لها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب قصورا عديدة و جامعا، الإدريسي: المصدر السابق، ص143.

5- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص196.

6- نفسه، ج1، ص197، B.Fekar : op.cit,p- p119-120.

7- موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، مكتبة المعصومة بتاهرت هل أحرقت؟ أم نقلت عيونها إلى سدراتة؟ في حوار بني ورجلان؟ مجلة الأصالة، العدد44، 1977، ص- ص 52- 59.

8- ابن عذارى: المصدر السابق، ص198.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

نستنتج من خلال هذا الملخص لأهم الأئمة الرستمين الذين توالوا مقاليد الحكم الرستمي أن هناك اختلافات عديدة بين المصادر و المراجع في تحديد فترة الإمامة، و يبقى هذا الإختلاف واردا أمام غياب أدلة مادية تبرز مدة حكم كل إمام، كالعملة أو الكتابات الأثرية، و تبقى الحفريات المسلك الوحيد لحل هذه الإشكاليات، و إن كانت هي الأخرى قليلة و نتائجها محدودة، و سنورد في قائمة الملاحق جدولاً نحدد فيه فترة حكم الأئمة و تلك الإختلافات بين المصادر و المراجع.

ثالثاً- الدخول الفاطمي و سقوط تيهرت عاصمة الرستمين

في خلال السنوات الأخيرة لإمامة تيهرت خصصها أبو زكرياء لتاريخ بدأ الدعوة الشيعية في كتامة و قيام الدولة الفاطمية في المغرب و التي رأى الدرجيني أ يختزلها الإمام أبو حاتم يوسف راح ضحية مؤامرة قام بها أفراد أسرته و شارك فيها بعض الشيوخ الفقهاء مثل "أبي الخطاب وسيم ابن سنتين الزواغي، أحد حفدة أبي الخطاب الكبير المعافري، و ذلك سنة 294هـ/907م، و انتهت بولاية ابن أخيه يقظان بن يقظان.

فعندما سار أبو عبد الله الشيعي¹ الذي يعرفه كتاب الإباضية بالإيكجاني، نسبة إلى قلعة إيكجان الذي اعتصم بها في مدينة ميله من بلاد كتامة، من رقادة في طريقه إلى سجلماسة لطلب الإمام المهدي، خرجت إليه دوسر بنت يوسف مع واحد من إخوتها تشكو إليه مقتل أبيها و تطلب منه الانتقام من عمومته بني أبي يقظان، الذين غدروا به مما يفهم منه أن السيدة دوسر كانت المحرصة للشيعي على فتح تيهرت.

و الواضح من الرواية أنه ما إن أقبل الشيعي على تيهرت حتى خرج إليه وجوه أهلها يعلنون الطاعة و يطلبون الأمان².

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص164.

2- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص93.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

أما زعماء الجماعات المعارضة من المالكية و الواصلية و الشيعية و الصفرية نافقوه و شكوا إليه إمارة الفرس، و وعدوه العون من أنفسهم على جميع الرستميين، و أمروا باستئصال شأفتهم، وتوهين شوكتهم¹.

مما يفهم أن المقصود بجماعة وجوه تيهرت الذين طلبوا الأمان هم من أفراد الأسرة الرستمية المالكة وأنصارهم.

و هذا لا يمنع أن يكون أبناء عمومته من أولاد يوسف و على رأسهم دوسر ابنته، فقد انتهزوا الفرصة لتحريض الشيعي عليهم، مما كان يهيء لهم النجاة من انتقامه و في نفس الوقت تحقيق الثأر لمقتل والدهم².

و لا أدل على الانقسام الذي كان وقع بين الأسرة المالكة و بين شعب تيهرت، إذ أن الشيخ أبي الخطاب الذي كانت إليه الزعامة في المدينة و الذي قام بدور رئيسي في تولية يقظان، كان يغرّم اليتامى والأرامل لظلمه، و يستفتي نكاريا و يقدم في الصلاة خلفيا و في الأذان نفائيا. و إذا كان ذلك يعني نوعا من المهادنة من أجل التعايش السلمي، فلا شك أن هذه الفسيفساء الإباضية كانت من الدقة بحيث لا تتحمل أية مقاومة، و هذا ما يفسر استسلام المدينة دون مقاومة.

و الدليل على هذا خروج أعيان تيهرت على رأسهم ابن اليقظان لاستقبال أبي عبد الله الشيعي سواء كان بناء على طلبه أو مبادرة من المدينة، و ينص أبو زكرياء على أنه بعد حوار قصير سأل الشيعي الأمير الرستمي عن إسمه و رد فيه بخفاء على سوء السيرة و قتل أخيه أبي حاتم يوسف، إذ قال له: "و كيف قتلتم أميركم و سلبتم لأنفسكم ملككم فاطفيم نور الإسلام بغير سبب وألقيتم بأيديكم إلينا بغير قتال؟"، و بعد ذلك أمر بقتل يقظان و أبناءه الذين نقض فيهم الحكم فقتلوا عن آخرهم³. و مع أن الرواية تنص أن عبد الله الشيعي دخل تيهرت بالأمان، فإنها تشير أنه

1- أبو زكرياء يجي: المصدر السابق، ص 165.

2- سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ص390.

3- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 70-71.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

غدر، فانتهدت مدينة الأئمة و انتهك حرمتها و أخلا كثيرا من أهلها، و جعل أعزة أهلها أذلة، و لم يكتف أبو عبد الله الشيعي بقتل يقظان و أبناءه، بل أنه أتبع ذلك بقتل أهل بيت الإمامة من الرستميين، و أهل الملك و أهلك الحرث و النسل¹ و كان من الذخائر التي وقع عليها أبو عبد الله الشيعي في تيهرت مملوءة بالكتب من مكائنها، كما تقول الرواية و اخذ منها كل ما يصلح للملك والحساب، و ألقى ببقيتها².

هكذا تم القضاء على الرستميين و حكمهم في تيهرت، 296هـ/909م، و لم يستطع أصدقاؤها و جيرانها أن يقدموا إليه مساعدة لظروفهم الخاصة، و لطريقة العلاقة التي كانت تربط بينهم و بين تيهرت³ و بعد دخول الشيعي لتيهرت هربت السيدة دوسر بنت يوسف التي لم تف بالزواج منه بعد أن حقق لها أمنيته و ثأر من بني عموميتها قاتلي أبيها، فلا بأس أن يكون العفو قد شمل أيضا يعقوب بن أفلق عم يوسف و يقظان الذي كان له حظ المنافسة على الإمامة من قبل⁴.

و بينما تقول رواية أبي زكرياء أنه خرج من تيهرت متوجها إلى وارجلان لما سمع بإقبال الإيكلجاني، يذكر الدرجيني أن يعقوب بن أفلق و ابنة أخيه دوسر خرجا في خفاء إلى جهة وارجلان حتى نزلها⁵، فإذا كان الأمر كذلك يكون يعقوب قد وقف إلى جانب ابنة أخيه دوسر في طلب الثأر لأبيها، وحينئذ يصح ما نريد استنباطه من أن يكون عفو الشيعي قد شمل كلا من دوسر و يعقوب، و تكون إلى وارجلان قد تمت بموافقه، و لا يضعف من هذا الافتراض الذي نراه منسجما مع واقع الحال، ما تشير إليه الرواية التالية لأبي زكرياء و التي يقول فيها: "إنه لما سار الإيكلجاني متوجها إلى تيهرت خرج يعقوب بن أفلق في خيل مع أصحابه مع عيالاتهم و أهاليهم"⁶ عندما وصل يعقوب

1- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 166-167

2- إن صومعة الكتب هذه كانت مشتملة على ديوان تيهرت أي على سجلات المدينة الرستمية، أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 167.

3- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 72.

4- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 170.

5- الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 46.

6- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 170-171.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

بن أفلح بعد سقوط تيهرت إلى وارجلان كان حكم الواحة الصحراوية الكبيرة إلى رجل يعرف باسم "صالح بن جنون بن يصريان" الذي خرج لاستقباله في جموع أهل وارجلان و بسبب مركزه الاجتماعي وشرفه و عمله، اقتضت أصول الآداب في ذلك العصر أن يعرضوا عليه أهل وارجلان¹.

و بضمائمهم أمير "صالح بن جنون" على ما تظن أن يكون أمير عليهم، و كان من الطبيعي أن يرفض يعقوب هذا العرض الذي و إن كان كريما، لم يكن مناسبا للإمام الأسبق الذي قال للناس وهو يمتنع "لا يستتر الجمل بالغنم"².

و نخلص إلى أن أبو عبيد الله الشيعي استغل ذلك الانقسام الحاصل بين أبناء الأسرة المالكة³ وقام بتخريب المدينة واستباحها حيث يقول البكري: "فوصل أبو عبد الله الشيعي إلى مدينة تاهرت فدخلها بالأمان، ثم قتل فيها من الرستميين عددا كبيرا منهم اليقظان بن أبي اليقظان و بعث برؤوسهم إلى أخيه أبي العباس و طيف بها في القيروان"⁴، هذا الإضطهاد جعل الرستميين يفرون بمذهبهم إلى مناطق بعيدة و هي سدراتة و وارجلان و جربة و جبل نفوسة، و يقول ابن خلدون: "وعقد عروبة بن يوسف فاتح المغرب للشيعية على تاهرت لأبي حمد دواس بن صولات اللهيصي في غزاته إلى المغرب 298هـ/910م، فأثنخ في برابرتها الإباضية من لمائة و ازداجة و لواتة و مكناسة ومطماطة"⁵.

إن المتأمل السياسي لمدينة تيهرت، سيقف و لا بد على أقطاب عديدة كان لها الدور الفعال في تأسيسها، غير أن تلك الأقطاب نفسها أصبحت مع مرور الزمن الأسباب المباشرة لضعفها

1- بلحاج بن عدون قشار: وقعة مانوا و ما رافقها من أحداث www.ibadiyah.net

(M) Gouja, op.cit, p.p 69- 70.

2- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص173.

3- علي معمر: مختصر الإباضية، المرجع السابق، ص- ص 44- 49، بوزيان الدراجي: دول الخوارج و العلويين، المرجع السابق، ص103.

4- البكري: المصدر السابق، ص68، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص197.

5- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م1، المصدر السابق، ص1449، مختار حساني: المرجع السابق، ص298.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

وسقوطها بل و في فترات لاحقة في وضع حد لعمرانها و نهاية مدينتها، و قد نختصرها جميعا في تركيبتها السكانية.

إن فكرة المحافظة على توافق العناصر التي سيتألف منها المجتمع التيهرتي و انسجامها أو بمعنى أصح المحافظة على قوة النواة الإباضية و غلبتها عدة و تنظيمها، كان حاضرا في ذهن ابن رستم منذ البداية، و قد كان له ما أراد فعلا في بداية تأسيس الحاضرة لأن العناصر السكانية الأولى كانت كذلك قوامها القبائل البربرية المؤسسة للمدينة و حمايتها، بل أنها ازدادت قوة بهجرة قبائل نفوسة إليها، غير أن ذلك التماثل السكاني الذي أراده الإباضية أن يكون مبدءا في تكوين مجتمعهم ما فتئ أن اختفى مع مرور الزمن¹، و بالرغم من حرص بناة المدينة على تفادي العواقب الوخيمة لهذا التعدد فقد وقعوا فيه رغما عنهم بعد مقدم الفئات المهاجرة إلى المدينة و استقرارها² فيها من جهة و رغبة القبائل البربرية الملحة في الوصول إلى السلطة من جهة ثانية³، و هو ما نلمسه و بوضوح في تحول النواة الأولى لهذه الأخيرة تتوسط الأسوار المحيطة بها، نجدها تتوسع خارجها لتستوعب الكثافة السكانية الجديدة، بل إن الأحياء المتفرقة بعضها عن بعضها يعكس بوضوح الاختلافات بين سكانها مما مهد إلى ظهور الفتن الكثيرة التي أتت على تغيير آخر في التنظيم المعماري للأحياء بدورها، و نقصد بالقول الحصون و القلاع التي أصبحت تنتشر داخل الأسوار بعدما كانت تيهرت كلها حصنا واحدا، و هو ما ينم عن قيام حروب عديدة و مناوشات كثيرة بين أفراد المجتمع التيهرتي الواحد.

إن الصورة الجديدة التي أصبحت عليها مدينة تيهرت، ترتبط ارتباطا وثيقا بكثرة الأموال في أيدي الناس، فبعدها كانت هذه الأخيرة عنصرا من العناصر الأساسية في نهضة المدينة و رفعة شأنها

1- إحسان عباس : المرجع السابق، ص 123 - 124.

2- و داد القاضي: المرجع السابق، ص 248.

3- جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 70.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

في البلاد الاسلامية، أصبحت عاملا من عوامل إذكاء نار الصراع فيها لأن أصحابها استسلموا إلى الرفاهية و التنافس على جمعها و من ثمة سوء استعمالها¹.

و لما كان صمام الأمان في هذا الوضع هو حسن سيرة الإمام في الرعية القائم على أساس الدين القويم بغض النظر عن العقيدة الإباضية التي يمثلها، يمكن تفسير الأحداث في تاريخه على أساس وجود التوازن أو الاختلال في العاملين السابق ذكرهما أو فيهما معا في آن واحد²، و هو ما يتضح في التضخم المعماري الذي تشهده المدينة في فترة الإمام أفلح ثالث الأئمة، بعدما عرف ركودا في فترة أبيه عبد الوهاب بسبب أن الأولى منهما شهدت فتنا داخلية عديدة حالت دون التضخم المعماري، في حين أن الفترة اللاحقة عرفت استقرارا نسبيا أتى على تغيير الهيكلية المعمارية الأولى لكنه حمل في طياته أهم الأسباب التي مهدت إلى اضمحلاله، فاليد ذاتها التي عملت على توسعة المدينة وزيادة مرافقها حملت في عهد من أتى من الأئمة بعد أفلح المعول الذي أتى على هدم عمرانها بصفة تدريجية تجسدت في شكل قلاع و حصون منيعة في داخلها مهددة بزوال كل ما يحيط بها³.

لم تبق تيهرت عاصمة المغرب الأوسط رغم أنها بقيت محصنة في عهد الفاطميين⁴، خاصة عندما عين مصالة بن حبوس المكناسي بعد مقتل دواس بن صولات عامل تيهرت السابق. فقد أصبحت تيهرت القاعدة المتقدمة من أجل السيطرة على المغرب الأقصى، و حتى على الأندلس و هو ما يشير إليه بن خلدون بقوله: "لم تزل تاهرت هذه ثغر لعمال الشيعة و صنهاجة سائر أيامهم"⁵.

لقد ظلت تيهرت مركزا لمراقبة تحركات القبائل البربرية خاصة الزناتيين بحيث تحولت إلى مركز للتوغل في بلاد المغرب الأقصى، و ما لبثت أن أصبحت مسرحا للقتال بين الزناتيين الذين يخضعون

1- وداد القاضي: المرجع السابق، ص- ص 246 - 248.

2- وداد القاضي: المرجع السابق، ص- ص 246 - 248.

3- فاطمة جلال: المرجع السابق، ص 68.

4- Bourouiba Rachid : Cités disparues, Tahert, Sedrata, Achir, Klaa des Béni- Hammad, Imp. Reghaia Alger 1982, p37.

5- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م1، ص1451.

الباب الأول ————— نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية

للدولة الأموية في الأندلس و الفاطميين، و هكذا أصبحت بين يدي مغراوة، بعد أن قتل هؤلاء مصالة بن حبوس سنة 312هـ ثم فتحها القاسم بن المهدي الفاطمي لتحتلها بعد ذلك مغراوة للمرة الثانية¹ بعد وفاة أبي القاسم بن المهدي.

إن أهمية تيهرت كقاعدة حربية في عهد الخلافة الفاطمية جلب لها المتاعب و أدى إلى هلاك سكانها، فلم تعد خلال هذه المرحلة عراق المغرب كما وصفت من قبل، و هو ما لاحظته ابن حوقل خلال القرن 4هـ/10م، والذي قال عنها: "قد تغيرت تيهرت عما كانت عليه، و أهلها وجميع أقاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم و دوام القحط و كثرة القتل و الموت"². و بعد القضاء على ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد³ استعادت الخلافة الفاطمية مدينة تيهرت، و بهجوم بني غانية⁴ على تيهرت و تهديمها، تهجر المدينة مما جعل الحسن بن محمد الوزان يقول عنها: "لم تر شيئا آخر حاليا إلا بقايا تشييدات كما لاحظته أنا شخصا"⁵.

1- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص1450، و أيضا: (R) Bourouiba, op.cit, p.p 37- 38.

2- ابن حوقل: المصدر السابق، ص78، مختار حساني: المرجع السابق، ص299.

3- يذكره ابن خلدون بابن كيراد فيقول: "و كان أبوه كيراد من أهل قسطلية من مدائن بلد توزر، و كان يختلف إلى بلاد السودان بالتجارة و بها ولد ولده أبو يزيد و نشأ بتوزر، و تعلم القرآن و خالط النكارية من الخوارج و هم الصفرية، فمال إلى مذهبهم ثم سافر إلى تاهرت و أقام بها يعلم الصبيان... و لقب بصاحب الحمار لركوبه حمارا أشهب"، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م1، المصدر السابق، ص1451-1452.

4- من أعيان المثلثين المرابطين، امتلكوا جزر البليار شرق الأندلس و استقلوا بها و أعلنوا ولاءهم للدولة العباسية ثم ثاروا على الموحدين، فغزوا بجاية و مليانة و قلعة بني حماد و قسنطينة و الجزء الشرقي للدولة و هي المعروفة بالبلاد الإفريقية، محمد لعروسي المطوي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986، ص17-18، و يقول عبد الرحمن بن خلدون: "و ارتحل إلى تاهرت... و استبيحت تاهرت فكان آخر العد بعمرانها، و امتلأت أيديهم من الغنائم والسبي، و انقلبوا إلى إفريقية"، عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، م2، ص2544، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص128، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج1، ص466، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص28.

5- حسن الوزان: المصدر السابق، ص40-41، و أيضا: (D) Gerard : opcit, p247 .

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

الفصل الأول: الحياة الاقتصادية في القيروان و تيهرت

المبحث الأول: النشاط الاقتصادي في القيروان

لم تختلف الظروف الاقتصادية في القيروان عما كانت بقية المدن الاسلامية المستحدثة، فقد توسطت القيروان منطقة زراعية خصبة فهي في بساط من الأرض مديد بينها و بينه (البحر الشرقي) مسيرة يوم و بينها و بين الجبل مسيرة يوم، و بينها و بين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم، و سائر جوانبها أرضون طيبة كريمة، و أحسنها الجانب الغربي و هو المعروف بفحص الداراة يصاب فيه في السنة الخصبه للحبة مائة¹، و من عجائب القيروان أنهم يحتطبون الدهر من زيتونها²، إضافة إلى أهمية شبكة المسالك و الطرقات التي ربطت القيروان بالمشرق و المغرب و بالساحل، و الشمال (تونس و صطفورة والأرس) و كور قمودة و قفصة و قسطيلة و هو ما جعل منها أعظم مدينة بالمغرب و أكثرها تجارا و أموالا و أحسنها منازل و أسواقا³، بل قارنها الزهري ببغداد فقال: "والقيروان مدينة عظيمة و هي أحسن بلاد الله فواكه و زرعاً، كانت تضاهي بغداد و هي من قواعد الإسلام الأربعة، بغداد و القاهرة و القيروان و قرطبة"⁴.

لقد طبقت القيروان اختيارات نفس الحكم المركزي بالمشرق في المجال الاقتصادي و المالي، وهي اختيارات استمدت من التقاليد العربية الموروثة و السنة النبوية و اجتهادات العلماء و الفقهاء⁵، و بما أن الاسلام حث على العمل في مختلف القطاعات الاقتصادية، و أن الشعب الذي سكن القيروان عند تأسيسها هو شعب مسلح لكنه شعب مسلم بعضه من الصحابة و من التابعين⁶، فقد طبق هذا الشعب الشريعة الاسلامية و التي يقول كتابها الكريم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي

1- محمد الغديفي: القيروان، المرجع السابق، ص 209.

2- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج 2، ص - ص 675 - 678.

3- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص 94.

4- الزهري محمد بن أبي بكر، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص 109.

5- الفضل شلق: الخراج و الإقطاع و الدولة، تقدم التراث الاقتصادي الاسلامي، دار الحداثة، بيروت 1990، ص-ص 17-21.

6- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص 209.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ¹، و يقول أيضا: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ²، و يقول سبحانه حاثا على الزراعة و استغلال الأرض: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ³ .

و أخرج البخاري عن ابراهيم بن موسى أن الرسول صلى الله عليه و سلم قال: "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، و إن نبي الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"⁴، كما أخرج عن يحيى بن بكير أن الرسول صلى الله عليه و سلم قال: "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه"⁵.

و كان الولاة قد أدخلوا بلاد المغرب في الدورة الاقتصادية للدولة الاسلامية خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري⁶، فقد كان حسان بن النعمان يقسم الفيء و الأرض بين البربر الذين أسلموا على يديه و دون الدواوين⁷، و كان موسى بن نصير ينقل العجم من الأقاليم إلى الأديان⁸، و شجع الناس على الزراعة و أعطى المثل بنفسه في ذلك فقد ركب يوما حتى خرج من القيروان، فوقف قريبا من افريقية على رأس أميال، فأخذ ترابا فشمه من ثم، ثم أمر بحفر بئر و ابنتى دارا ومنية⁹.

1- سورة الجمعة، الآية 4.

2- سورة الملك : الآية 15.

3- سورة البقرة: الآية 267.

4- البخاري محمد اسماعيل: الصحيح، دار الفكر، بيروت، 2000، ج2، ص9.

5- نفسه، ص10.

6- الرقيق القيروان: تاريخ افريقية و المغرب، المصدر السابق، ص111.

7- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج1، ص56.

8- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص38.

9- ابن قتيبة: الإمامة و السياسية، المصدر السابق، ج2، ص71.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

و أزال يزيد بن حاتم الفساد من افريقية و أصلحها، و رتب القيروان في أسواقها، و جعل كل صناعة في مكانها¹، كما استغل عن طريق الوكلاء أراض في فحص القيروان و نafs ابنه إسحاق مربي الأغنام و الجزارين في تربية الأغنام²، و كان سحنون بن سعيد يتعاطى الفلاحة و كان يفتخر بذلك ويقول عن أمواله ما هي مال سلطان و لا مال تاجر و لا مال وصية، و ما هي إلا من ثمن ثمرة غرستها بيدي³، ومثله كان أغلب قضاة و فقهاء القيروان يتعاطون التجارة مثل عبد الله بن فروخ و عون بن يوسف الخزاعي أو الحرف مثل زيد بن سنان الذي كان خياطاً⁴، و مروان بن أبي شحمة، شحمة، و كان يعمل بيده الطوب⁵، واستفادت القيروان من تقاليد زراعية و حرفية جلبها جيش الفتح من اليمن التي سميت الخضراء لكثرة أشجارها و ثمارها و زروعها، و كانت عدن أقدم أسواق العرب⁶، وإلى اليمن تنسب ملابس البرد و صناعة الأسلحة و الحلبي و غيرها⁷، كما استفادت من تقاليد بلاد الشام و مصر الزراعية و الحرفية إضافة إلى التقاليد المحلية التي صقلتها الحضارات الرومانية و البيزنطية.

و لمعرفة البنية الاقتصادية و النشاطات المتداولة في القيروان سنتناول في البداية الزراعة و تربية الماشية ثم الانتاج الحرفي و الصناعة، ثم التجارة و الجباية.

أولاً- الزراعة

تعود الفلاحة الافريقية إلى عهود ما قبل الأزمنة التاريخية، و قد انتشرت زراعة الحبوب في العهد البونيقى و هو ما دفع السكان إلى الاستقرار، ثم تطورت هذه الزراعة في العهد الروماني إذ

1- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص111.

2- نفسه، ص 120 - 121.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص361.

4- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، م2، ص14.

5- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص200.

6- الهمداني: صفة جزيرة العرب، المصدر السابق، ص- ص 90 - 94.

7- فكتور سحاب : إيلاف قريش، المرجع السابق، ص 232 - 233.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

كانت افريقيا تزود روما بالقمح لتغذية الطبقة الشعبية في روما¹، ثم انتشرت زراعة الكروم والزيتين²، و لم تشذ ناحية القيروان عن هذه القاعدة و إن اقتصت أكثر بزراعة القمح و الشعير وغراسه الزيتون و هذا لا يمنع زراعة بعض الخضروات و الأشجار المثمرة و خاصة في المناطق السقوية التي توفرت نتيجة فيضان الأودية الموسمية التي قام الرومان بالتحكم في سيلائها عن طريق السدود والقنوات و السواقي³.

و كان الفلاحون بافريقية يزرعون أراضيهم سنة و يتركونها بورا في السنة الموالية⁴، و قد انتشرت في المنطقة زراعة التين و الرمان و اللوز و الإحاص و السفرجل و الليمون و عديد البقول مثل الحمص و الفول والخضراوات سيما المناطق السقوية منها كما ذكرنا.

و قد تعاطى سكان ناحية القيروان تربية الأغنام ذات الألية و كذلك الأبقار صغيرة الحجم والأحمر و الخيل البربرية و البغال، واستعملوا هذه الحيوانات في تغذيتهم و ركوبهم و أعمالهم، كما قاموا بتربية الدجاج و الإوز و البط و الحمام و غيرها من الطيور⁵.

فكيف كان وضع القيروان اقتصاديا خلال القرنين الثاني و الثالث الهجريين؟

تبدو القيروان منذ أواخر القرن الأول و خلال القرنين الثاني و الثالث مدينة تتمتع بكل مقومات الأمصار العربية الاسلامية لمسجدها الجامع و دار إمارتها و أسواقها و دورها و هي أجل مدينة بأرض المغرب خلا قرطبة بالأندلس حسب الاصطخري صاحب كتاب المسالك⁶، و قد وصفها بن حوقل: "وكانت أعظم مدينة في المغرب و أكثرها تجارا و أموالا و أحسنها منازل

1- (F) Decret/(M) Fantar, L'afrique du nord dans l'antiquité, payot, paris, 1981, op.cit, p- p 212- 213.

2- Ibid, p 213.

3- شارل أندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، المرجع السابق، ج1، ص211.

4- شال أندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص207.

5- نفسه، ص207.

6- الجنحاني : المرجع السابق، ص169.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

وأسواقاً¹، أما الادريسي فقد وصفها قائلاً: "و القيروان أم أمصار و قاعدة أقطار و كانت أعظم مدن المغرب قطرا و أكثرها بشرا وأيسرها أموالا و أوسعها أكبالا و أتقنها بناء"²، و أما ياقوت الحموي فقد جاء وصفه كما يلي: "و هي مدينة عظيمة بافريقية غيرت دهرها و ليس بالمغرب مدينة أجل منها إلى أن قدم العرب افريقية و أخرجت البلاد...و هي مدينة مصرت في الاسلام في أيام معاوية"³.

إن جل المصادر التي تحدثت عن القيروان تجمع عن كونها مدينة جليلة لها أهميتها البارزة داخل العالم الاسلامي و خاصة في منطقة الغرب، و مما يبرز أهميتها بأن تقوم بدور أساسي في تحويل مجرى التاريخ في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي و في قلب افريقية و المغرب أجمع من بلد مسيحي الدين لاتيني اللغة روماني الحضارة إلى أرض اسلامية عقيدة و نوحا حضاريا⁴، فهل أن المدينة المؤهلة للقيام بهذا الدور تستمد بقيادتها من الهالة القدسية التي أضافتها عليها بعض المصادر مثل كتب الطبقات، مثلما أورده المالكي من أن الكدية الموجودة بالقيروان اشتكت إلى الله زمن الطوفان و قد فضلها الله على من سواها و أجابها قائلاً: "اسكني فأسكنك أوليائي"⁵، أما عن دعاء عقبة وأصحابه عندما هدمت تكروان و أعيد العرب إلى المدينة: "اللهم املاها علما و فقها و أعمرها بالمطيعين و العابدين"⁶، و لنا أن نتساءل، هل أن الظروف خدمت مدينة القيروان بالذات أم أن الموقع و الموقع ساهما في استمرارها و تطورها؟ و لهذا بقيت القيروان و لم تبقى تكروان أو قيروان معاوية بن حديج.

1- حبيب الجناحاني: المرجع السابق، ص171.

2- الادريسي: كتاب المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص141.

3- ياقوت الحموي: معجم البلدان، م4، ص 420 - 421.

4- محمد الطالبي: دراسات افريقية، المرجع السابق، ص111.

5- المالكي: المصدر السابق، ج1، ص8.

6- أبو العرب : طبقات علماء افريقيا و تونس، تحقيق علي الشابي و نعيم حسني الياني، الدار التونسية للنشر 1985، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تهيئته

شكل القطاع الفلاحي دعامة أساسية لاقتصاد القيروان و خاصة غراسة الزيتون التي تعتبر من أقدم الغراسات في جهة الوسط، و قد أوردت المصادر إشارات عن أهمية هذا النشاط الفلاحي و عن طبيعة الملكية، فهذا عبد الرحمن الزاهد كان يملك سبعة عشر ألف عود زيتون و سحنون كان يملك اثني عشر ألف أصل زيتون¹، و كانت غلة سحنون في زيتونه خمسمائة دينار سنوياً²، بالإضافة إلى الزيتون اهتم القيروانيون بزراعة الحبوب في الحقول الكبيرة و البساتين و ما يزرع بها من خضر و فواكه إلى جانب القطن و قصب السكر³، كما عرفت القيروان الاعتناء بكثرة الأغنام بعد سنوات قليلة من تأسيسها أخير الأغنام ابن الأمير يزيد ابن حاتم⁴، و نتساءل عن سبب الازدهار الاقتصادي في منطقة شبه جافة يمكن أن تلاحظ أن مشكلة المياه قد وقع حلها مع الرومان و قد واصل العرب مجهوداتهم في هذا المستوى، كما وجد العرب قرب القيروان عند تأسيسها منشأة مائية: قصر الماء الذي تغذيه مياه "ممس" عن طريق قنوات تمتد مسافة 33 كلم⁵، و قد نزل عقبة عند عزله "بقصر الماء"، كما نزل به موسى بن النصير عندما استقدم إلى المشرق، و يبدو أن هذا المكان مركز تجمع القوافل⁶، وصف ذلك أبو العرب متحدثاً عن اسماعيل تاجر الله الذي خرج يودع قوافله إلى "قصر الماء"⁷، هذا إلى جانب ما أنشأه العرب مبنى مصانع الماء و التي أنشأها ابن الحبحاب بأمر من عبد الملك بن مروان (15 ماجلا)⁸، أو المنشأة الضخمة التي أنشأها الأغالبة⁹ الذين اهتموا بإيجاد الوسائل المختلفة لمنع مياه الأمطار من الضياع و ذلك بجمعها وراء سدود صغيرة أو برك وصهاريج، ولم تكن إنجازات الأغالبة كلها استحداثاً بل قاموا بإصلاح الأجهزة القديمة من حواجز أو سدود أو

1- القاضي عياض : ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص163.

2- نفسه، ص123.

3- الحبيب الجناحي: القيروان عبر عصور الازدهار، المرجع السابق، ص132.

4- ابن عذارى: الصدر السابق، ج1، ص82.

5- محمد الطالبي: دائرة المعارف الإسلامية، مادة قروان، ص859.

6- محمد الطالبي: دراسات افريقية، المرجع السابق، ص133.

7- أبو العرب: المصدر السابق، ص85.

8- حسني عبد الوهاب: وراق عن الحضارة العربية بافريقية، تونس 1965، ج1، ص56.

9- دائرة المعارف الاسلامية: الطالبي، مادة قروان، ص860.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

قنوات ري و تصريف أو صيانتها¹ و من أهم المنشآت المائية التي شيدها الأغلبية أو قاموا بصيانتها واستغلالها في أرياف ناحية القيروان و التي كانت عادة من إنجاز الدولة²، و شملت حسب ما ذكرته المصادر، المواجل و القنوات و السواقي و الجداول التي جعلوا لها سدوداً تهدأ من قوة اندفاع الماء و تحدد من تدميره عند تماطل الأمطار الغزيرة³، كما تشمل كذلك الآبار و مصانع الماء و الربطات و السدود و السدود و الخنادق⁴، و قد ذكر سولينيك في بحثه الذي أنجزه عام 1953 بعض المنشآت المائية و منها:

- ماجل في جنوب شرق بلدة حاجب العيون⁵.
- 3 مواجل حول بلدة سيدي نصر الله (أحدهما في غربها و الثاني في شمالها و الثالث في جنوب شرقها)
- 3 مواجل قرب عين غراب ليس بعيداً عن سد الحبيب الحالي على واد مرق الليل.
- مواجل كثيرة محاذية للطريق القديم الرابط بين القيروان و سوسة و كذلك مواجل كثيرة جنوب القيروان و شمال سبخة سيدي الهاني التي يبدو أنها كانت منطقة تعمير هامة لكن غمرتها السبخة أو تملحت تربتها⁶.
- و مواجل بئر الشاوش علي (قرب بلدة الناظور الحالية)⁷، و قد ذكرت المصادر المنشآت المائية بدون ذكر تاريخ انشائها مثل عين جلولا و آبار أجر (سيدي عمارة غرب الوسلائية)¹ و غددير

1- عبد الوهاب حسن: الورقات، المرجع السابق، ج3، ص319.

2- ذكر المالكي: "سمعت سحنونا يقول: و قد ذكر بعض هذه المواجل التي بناها هؤلاء الولاة فقال: إنما هي حجارة جمعوا ذلك ذلك فبنوا به ماجلا، فدخل فيه ماء ساقه الله إليه"، المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج2، ص 357-358.

3- زيبس: الفنون الاسلامية، المرجع السابق، ص43.

4- استعملت كتب البلدان مصطلحات كثيرة أخرى مثل الأجاب (جمع جب) و هي الآبار العميقة و كذلك الصهاريج و البرك و البرك و السقايات و العيون و السرب (حفير تحت الأرض)، محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص243.

5- ذكر الباحث بول فوكلار منشآت مائية هامة في منطقة حاجب العيون بعضها روماني و بعضها يعود للفترة الاسلامية مثل 8 صهاريج دائرية و صهريج دائري قطره 7 أمتار و بعض الصهاريج المضمنة: P.Gaukler, op.cit, p. p 328- 329.

6- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص243.

7- على يمين الطريق الوطنية رقم 3، و قد ذكره البكري: المسال، المصدر السابق، ج2، ص718.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

غدير أو بحيرة مجدول وآبارها و ماجلا قرية المشفق و بئرها و كذلك قصر الخير و قصر الزرادية (الخطارة)² و ساقية طنبياس وآبار و ماجل قصر المغيرة³.

و بعض المنشآت المائية في موقع "المدينة" على بعد حوالي 18 كلم إلى الجنوب من القيروان، صهريج طوله حوالي 25 مترا و عرضه 4 أمتار و علو 1.5م بالقرب من حمامات رومانية على واد زرود (الضفة الغربية) و كذلك بئر المدينة و كذلك سني على الواد⁴.

كما أنجز فلاحو القيروان العديد من المنشآت المائية، و قد أعطى الولاة المثال في ذلك، فقد أمر موسى بن نصير بحفر بئر و ابنتي دارا و منية و اتخذ فيها خيلا فسميت بئر منية الخيل⁵، و قد نسب الرقيق هذه المنية إلى يزيد بن حاتم⁶، و هذا يدل على الاهتمام بالزراعة و الاستقرار و توفير الوسائل الضرورية لذلك، فقد قام الفلاحون بتجميع المياه و بناء السدود بالحجارة و الآجر و الجص و الجير و ما يشبهها⁷ أو باستعمال التراب أو جذوع النخل⁸، و قد أنجزوا أيضا الآبار و المواجل والسواقي بصفة جماعية أو فردية و زدوا هذه المنشآت بما يلزمها من الآلات (الدلاء و القواديس وغيرها)⁹.

(F) Mahfoudh, les relais op.cit, p- p 625. 640.

- 1- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص86.
- 2- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص- ص 744- 834، و توجد قرية المشفق و قصر الخير و الزرادية على الطريق بين القيروان و ممس.
- 3- الداعي ادريس: عيون الأخبار، المصدر السابق، ج5، ص- ص 91- 105.
- 4- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص243.
- 5- ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص71.
- 6- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص121.
- 7- الهادي بن وزدو، أحمد ممو و محمد حسن: قانون المياه و التهئة المائية بجنوب افريقية في العصر الوسيط، مركز النشر الجامعي، تونس 1999، ص35.
- 8- بن سعيد محمد الهادي: مشكلة المياه في المغرب و الأندلس من خلال المعيار، شهادة الكفاءة في البحث، تونس 1977، ص48.
- 9- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص244.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهربت

استعمل أيضا سكان ناحية القيروان طريقة في الري بقي معمولا بها إلى الزمن الحاضر و قد سماها الجغرافيون المعاصرون "المقود" و تتمثل في إحداث شروخ في الأودية لحمل مائها زمن الفيضان عبر قنوات اصطناعية إلى السهول السفلى و ذلك لتعاطي زراعة الحبوب ذات المردود المرتفع و تطعيم المائدة السطحية قصد استغلالها في الزراعات السقوية الصيفية¹.

إن هذه الطرق المعتمدة في التحكم في مياه السيول تدل على ازدهار للزراعات المسقية عامة وللزراعات الجديدة من قصب سكر و قطن خاصة، و تعتبر في آن محافظة على التقاليد القديمة في الري (الرومانية و البيزنطية) و متأثرة بالأساليب الشرقية كما أكد ذلك سولينياك²، و هو ما يؤكد ما ذهب إليه حسن حسني عبد الوهاب حول السياسة المائية في العهد الأغلي من أن الأغالبة سنوا منهجا حكيما للري ناهيك أنهم كونوا إدارة قارة لهذا العرض يديرها موظف سام عين للنظر في هذه المسألة هو "صاحب المياه" مكلف بتسيير كل الأمور المتعلقة بالمياه سواء أكانت مياه شرب أو مياه سقي زراعي³، و هذا ليس خاصا بالقيروان فقد وجدت بالكور الأندلسية "وكالة السقاية"⁴، و هذا هذا الاهتمام بالماء و تجميعه و تكوين منظومة من المنشآت المائية الكبيرة منها و الصغيرة و الجماعية والفردية خلق زراعة متطورة تمثلت في انتشار زراعة الحبوب و غرسة الزيتون المعروفة من قديم و بروز زراعات جديدة مثل القطن و قصب السكر و المشمش والخوخ و الأرز و البطيخ الهندي و الباذنجان و الرمان و النارج و الزعفران⁵.

1- الديماسي : سياسة المنشآت المائية، المرجع السابق، ص201.

2- solignac, remarques de méthode sur les etudes des installations hydrauliques, op.cit, p27.

3- حسن حسيني عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج3، ص319، و قد ذكر مصطلح "صاحب المياه" في مدونة سحنون، المصدر السابق، ج4، ص101.

4- أحمد الطاهري: عامة قرطبة، منشورات عكاظ، الرباط 1988، ص97.

5- السويسي: مسائل الري و الفلاحة في المغرب العربي عبر العصور، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، الكويت، ديسمبر 1983، ص269.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

و هكذا أصبحت القيروان مزدهرة بفضل غابة زيتونها القديمة و بفضل ما وفر لها من ماء ولعل أحسن مثل على ذلك منطقة "جلولاء" التي تمول القيروان بالمنتجات الفلاحية¹، و استفادت مدينة القيروان من وجود خلفية منتجة متميزة بزيتونها التي يحتطب منها الدهر دون أن يؤثر ذلك في زيتونها و لا ينقص منه².

و قد تزايد انتاج الخضر و الفواكه مع تطور مدينة القيروان و ضواحيها و النواتج العمرانية القريبة منها و مع ظهور فئات ثرية من التجار و الملاكين العقاريين و رجال الأمير و أهل الحرب وأصحاب الدواوين³ و غيرهم من الأعيان، و تنافس أصحاب الضيعات القريبة من القيروان و المدن الأميرية (العباسية و رقادة) في غرسة أصناف الأشجار و الخضر و الزهور، كما استدعى تطور الحرف و الصناعات ظهور بعض المزروعات الصناعية مثل القطن و الكتان و قصب السكر، و قد وفرت المنشآت المائية إمكانية زراعة مختلف الأشجار و الخضر و الحبوب، فقد قال ابن بصال الأندلسي (ت 478هـ / 1085م) عن مياه الأنهار و العيون و الآبار و هي أساس الزراعة في ناحية القيروان، و أما مياه الأنهار فهي صالحة موافقة لجميع الخضر و النبات كله و القرع و الباذنجان والبصل و الثوم و الكراث و الجزر و الفجل و اللفت و المقاشي و جميع الرياحين، و أما مياه العيون والآبار العذبة الحلوة فهي موافقة لجميع الخضر و جميع ما يزرع في الجنات⁴.

فقد نقل العرب زراعة القطن و قصب السكر و المشمش و الخوخ و الأرز و البطيخ الهندي والباذنجان و الرمان و النارج و الزعفران⁵، كما نقلوا الحوامض و النيلة و الحناء⁶، و نقلوا من اليمن اليمن خاصة الموز و قصب السكر و الأترج و الخيار و الذرة و القثاء و الكزبرة و اللوبياء و

1- محمد سعيد : الحياة العلمية و الثقافية بالقيروان، المرجع السابق، ص 47.

2- محمد الطالبي: دراسات افريقية، المرجع السابق، ص 132.

3- القاضي النعمان : افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 236.

4- ابن بصال: كتاب الفلاحة، معهد مولاي الحسن، تطوان 1955، ص 39- 40.

5- محمد السويسي : مسائل الري و الفلاحة، من كتاب "إسهامات العرب في علم الفلاحة، الكويت 1988، ص 266.

6- جون دييوا: تونس، المصدر السابق، ص 72.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

السهم¹، كما نقلوا من الشرق الأقصى شجر التوت²، فما هي أهم الزراعات الجديدة أو الصناعية التي ظهرت في ناحية القيروان في القرون الثلاثة الأولى للهجرة؟

* **قصب السكر**: نبات مائي من الفصيلة النجيلية يزرع لاستخراج السكر من سوقه³، لم تذكره مصادر القرن الثالث الهجري، باستثناء سؤال سحنون لابن القاسم قلت رأيت المساقاة هل تجوز في الزرع و البقول و القصب الحلو أو القضب أو في البصل أو في القرظ؟ قال: "قال مالك لا تجوز المساقاة في الزرع إلا أن يعجز عنه صاحبه و يعجز عن سقيه فهذا يجوز له أن يساقى"⁴، و ذكره البكري فقال عن جلولاء و بها قصب السكر كثير⁵، و من المؤكد أن سكان ناحية القيروان قد تعاطوا تعاطوا هذه الزراعة مثل سكان قابس وقسطيلية⁶.

* **القطن**: من الفصيلة الخبازية، و هي نباتات شجيرية معمرة تنبت في البلاد الحارة و المعتدلة من العالم، سوقها قائمة متفرعة تسمو إلى مترين، أوراقها متبادلة راحية مفصصة من 3 إلى 9 فصوص، وللورقة عنق و أذينات تسقط مبكرة، و الزهرة كبيرة منفردة ذات خمس بتلات سائبة بيضاء أو صفراء أو حمراء داكنة والثمرة علبة تعرف باللوزة و البزور كثرية الشكل إلى مستديرة تقريبا داكنة تغطيها شعيرات طويلة ناعمة الملمس هي ألياف القطن المعروفة تستعمل في النسيج و لأغراض طبية، ويعتصر من البزور زيت يستعمل في الطعام و أهم أنواع القطن: قطن جزيرة البحر، قطن عشبي أو آسيوي أو عربي⁷، و قد ذكر ابن حوقل أن القطن ينتج في "قرطاجنة" و يحمل إلى القيروان فيظهر الانتفاع به⁸.

1- الهمداني: صفة الجزيرة، المصدر السابق، ص- ص 143- 317.

2- سحاب: الإيلاف، المرجع السابق، ص 232.

3- معجم المصطلحات العلمية و الفنية، تصنيف يوسف خياط، دار صادر، بيروت 1988، ص 536- 537.

4- سحنون : المدونة، المصدر السابق، ج 4، ص 14.

5- البكري: المسال، المصدر السابق، ج 2، ص 686.

6- محفوظ الغديفي: القيروان، المرجع السابق، ص 267.

7- معجم المصطلحات العلمية و الفنية، المرجع السابق، ص 544.

8- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص 75.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

كما تنتج طبنة و المسيلة في المغرب الأوسط¹، و يبدو مما تقدم أن مدينة القيروان كانت تستوعب معظم القطن الذي تنتجه أقاليم افريقية و المغرب، و ربما يدل هذا على تطور صناعة هذا المنتج و كثرة الإقبال عليه، و من الملاحظ أن المناطق المنتجة له مشابهة مناخيا لناحية القيروان مثل طبنة و منطقة فاس.

و يمكن الإشارة فقط إلى كثرة تجار القطن في القيروان² و منهم محمد بن كامل القطان السويسي و موسى بن عبد الرحمن القطان و علي بن عبد الله القطان³.

* **الحناء**: جنينة صبغية مشهورة من الفصيلة الحنائية⁴، و يبدو من سؤال وجه إلى محمد بن سحنون مدى انتشار هذه الزراعة الجديدة و بعض المعطيات حول طريقة زراعتها، قال محمد بن سالم: "وسألته عن رجلين اشتركا في عمل الحناء، فذهب أحدهما فاشترى زريعة الحناء، فأثقفها و أنبذها في الماء، ثم وقعت المنازعة و المشاجرة بينهما، و تفاسخا في الشركة⁵، و يبدو أن هذه الزراعة كانت منتشرة في مناطق كثيرة من افريقية و ليس غريبا وجود هذه الزراعة في ناحية القيروان و خاصة في المنيات و الضيعات المتميزة و التي تتوفر فيها الماء و التجهيزات الضرورية، و المعروف أن الحناء من أدوات الزينة التقليدية و تستعمل في الأفراح و في المواسم المعظمة كالأعياد⁶، كما تدخل في الجهاز⁷.

الجهاز⁷.

1- نفسه، ص- ص 81- 85.

2- محفوظ الغديفي : القيروان، المرجع السابق، ص268.

3- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج2، ص- ص 8- 219.

4- معجم المصطلحات العلمية و الفنية، المرجع السابق، ص185.

5- محمد ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص425.

6- نفسه، ص124.

7- نفسه، ص139.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

* **النارج**: شجر مثمر من البرتقاليات ثماره لا تؤكل بل تستعمل ربا و غير ذلك¹، و قد ذكر البكري وجود النارج في منتزه سردانية القريب من جلولا فقال: "فيه ثمار عظيمة و فيه النارج خاصة نحو ألف أصل"².

* **الأترج**: ذكره سحنون في المدونة³، و قد ذكره البكري في منتوجات مدينة تونس و وصفه بالجليل الطيب الطعم الذكي الرائحة البديع المنظر⁴، و ذكره ابن حوقل في منتوجات قسطيلية فقال: "و فيها الأترج الكثير الحسن الطيب الزكي"⁵، و يبدو أنه زرع في ناحية القيروان في جلولاء و سردانية.

* **الفواكه الجافة**: ذكرت المصادر الجوز و اللوز و الفستق و الجلوز⁶، و قد ذكر البكري اللوز و الجوز و الجوز في تونس⁷، و ذكر الفستق في طراق⁸، و يبدو أن أغلب بساتين رقادة و منياتها احتوت على الفواكه المذكورة مثل كل المدن و القرى في منطقة قمودة التي قال عنها حسن حسيني عبد الوهاب: "بها ثمار كثيرة من جميع الأصناف: زيتون، تين، لوز، مشمش، فستق"⁹.

و من الأدلة على تنوع الفواكه ما ذكره المالكي عن لسان ابراهيم الكوفي قال: "دخلت مع الأمير إلى جنان فيه ثمر قد طاب، فأخذ بعض الثمر يناولنيه، فقبلته ثم أكلت و لم أقل له شيئا"¹⁰، وهو ما جعل حسن حسيني يقول عن بساتين رقادة: "أما بساتين رقادة فكانت جنات معروشات

1- معجم المصطلحات العلمية و الفنية، المرجع السابق، ص 664.

2- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج 2، ص 685.

3- سحنون : المدونة، المصدر السابق، ج 4، ص 16.

4- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج 2، ص 698.

5- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص 92.

6- محمد ابن سحنون: المدونة، المصدر السابق، ص 17، و الأجوبة، المصدر السابق، ص 178، و اللوز و الفستق و الجوز معروفون و الجلوز: البندق.

7- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص 698.

8- نفسه، ص 706، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 2، ص 260.

9- حسن حسيني عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج 3، ص 321-322.

10- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 477.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

وغير معروشات، اغتس فيها ابراهيم الثاني أصناف الأشجار و الأزهار، فكان فيها ألفاف الحمائل، و ألوان الأزاهير¹.

* **الفواكه غير الجافة:** ذكرت المصادر العديد من الفواكه التي ازدهرت زراعتها في ناحية القيروان مثل التين الأخضر في قلشانة و هي كثيرة البساتين و شجر التين، و أكثر تين القيروان الأخضر منها²، كما أنتج رستاق قبيشة السفرجل و التين³، و من المؤكد أن منيات ناحية القيروان و بساتين رقادة قد ضمت أشجار التفاح و الرمان و السفرجل و الكروم⁴.

* **الورود و الرياحين:** اهتم بها سكان القيروان و خاصة الأمراء منذ البداية فقد أورد الرقيق أن خادما لروح بن حاتم طلع و بيده قادوس فيه ورد أحمر و أبيض في غير زمان الورد فاستطرفه (روح) و سأله عن أمره و أمر أن يملاً له القادوس دنانير و دراهم⁵، و ورد ذكر الورد و الياسمين في أسئلة سحنون لابن القاسم⁶، وقال البكري عن جلولاء كثيرة الأشجار و الثمار و أكثر رياحينها الياسمين، و بها يرب أهل القيروان السمس بالياسمين و بالورد و البنفسج⁷.

* **المقاثي⁸:** و قد ذكر المقاثي سحنون عندما سأل ابن القاسم "أرأيت المقاثي أليس قد قال مالك تصلح المساقاة فيها إذا عجز عنها صاحبها و هي إنما يطعم بعضها بعد بعض و قد يحل للرجل أن

1- حسن حسيني عبد الوهاب : ورقات، المرجع السابق، ج3، ص323.

2- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص681، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص- ص 34- 238.

3- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص627.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص418.

5- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص139.

6- سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج4، ص13.

7- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص 685- 686.

8- القثاء: من الفصيلة القرعية، نبات حولي ذو ساق زاحفة، متفرعة، مزغبة، مضلعة ذات معاليق طويلة بسيطة و الأوراق مفصصة، يتراوح طولها بين 5 و 10 سنتيمترات و عرضها بين 7 و 12 سنتيمترا، و الثمرة أسطوانية مستقيمة مخططة بخطوط غائرة و يبلغ طولها بين 25 و 40 سنتيمترا معجم المصطلحات العلمية و الفنية، المرجع السابق، ص520.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

يشتريها إذا حل بيعها و يشترط ما يخرج منها حتى ينقطع فكيف أجاز المساقاة فيها و بيعها خلال¹، كما ذكرها ابن سحنون في فصل البيوع².

* **الزعفران**: كلمة معربة قديما من الفارسية، جنس نباتات بصلية معمرة من الفصيلة السوسنية فيه أنواع برية و نوع زراعي صبغي طبي مشهور، كما يستعمل تابلا و صباغا للطعام³، و قد ذكره المقدسي كأحد المنتوجات الهامة التي تصدرها افريقية مع الزيت و الفستق و اللوز و البرقوق⁴، كما ذكره ابن حوقل عند الحديث عن مجانة و الأريس و أبة⁵، و عرفت افريقية من حمل لقب الزعفراني⁶، الزعفراني⁶، و تتأقلم هذه الزراعة مع مناخ ناحية القيروان إذا توفر الماء و العناية و هو ما أوجده أصحاب البساتين و الضيعات و المنتزهات و المنيات حول القيروان و مدنها الأميرية.

* **الكتان**: عشب حولي يزرع في المناطق المعتدلة و الدافئة سيمو إلى 60 سم أو أكثر، ساقه قائمة رفيعة ملساء يتفرع قليلا قرب القمة، ورقه صغير جالس رمحي كامل الحافة، مدبب ضيق متبادل، والزهرة زرقاء جميلة يخلف ثمرة عليبة مدورة تقريبا، و تعرف بزوره باسم بزر الكتان، يعتصر منه زيت بزر الكتان، و من أليافه يحضر النسيج المعروف عند العامة بالنيل⁷، و قد ذكرنا حوانيت الكتانين في أسواق القيروان.

* **الكمون و الكروياء**: الكمون: نبات زراعي عشبي سنوي من فصيلة الخيميات بزوره من التوابل⁸، و قد ذكر بن حوقل الكمون و الكرويا في سببية⁹.

1- سحنون: المدونة: المصدر السابق، ج4، ص13.

2- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص178.

3- معجم المصطلحات العلمية و الفنية، المرجع السابق، ص294.

4- المقدسي : أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص239.

5- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص- ص 84- 86.

6- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص318.

7- معجم المصطلحات العلمية و الفنية، المرجع السابق، ص 574- 575.

8- نفسه، ص594.

9- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص84.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

و ذكر القلقشندي مختلف الزروع و الفواكه بقوله: "أما زروعها أنها تزرع على الأمطار، و أن بها من الحبوب القمح و الشعير و الحمص، و الفول، و العدس، و الذرة، و الدخن، و الجلبان، والبسلا، و أما فواكهها فيها من الفواكه العنب و التين و الرمان الحلو و المر، و الحامض و السفرجل و التفاح و الكمثرى و العناب و الزعرور و الخوخ و المشمش على أنواع، و التوت الأبيض، و الفرساد، و هو التوت الأسود، و القرصيا، و الزيتون و الأترج و الليمون و الليم و النارج، أما الجوز فيها قليل، و كذلك النخيل و الفستق و البندق مفقود بها و كذلك الموز، و يوجد بها قصب السكر على قلة و يعتصر بها، و بها البطيخ الأصفر على أنواع، و البطيخ الأخضر مع قلة، و اسمه عندهم الدلاع، و كذلك الخيار و القثاء، و بها اللوبياء، و اللفت، و الباذنجان، و القنبيط، و الكرنب، و الرجل، و البقلة اليمانية و اسمها عندهم بلدنس، و الخس، و الهندباء على أنواع، و سائر البقول و الملوخيا على قلة، و الهليون، و الصعتر، و بها من الرياحين الآس، و الورد و معظمه أبيض، و الياسين، و النرجس و اللنوفر الأصفر و الترنجاني، و المشور، و المرزنجوش، و البنفسج، و السوسن، و الزعفران، و الحبق، و النمام¹.

ثانيا- الصناعة و الانتاج الحرفي

الصناعة هي إيجاد الفعل²، و قد عرفها ابن خلدون بأنها ملكة في أمر عملي فكري³، فالصناعة إذن من خلال هذا التعريف تطلق على أمرين اثنين: أولا الصناعات العملية أو اليدوية وهي التي تعتمد على مجهود يدوي يمكن مشاهدته مثل العمل على إنبات الأرض أو تحويل المادة إلى أداة أو لباس أو سكن⁴، وثانيا الصناعات الفكرية أو الأعمال المهنية و هي التي تستند إلى التأهيل الذهني الذهني لأعداد مهن متخصصة كالطب و الهندسة و التعليم و صناعة النجوم و الوراقة⁵.

1- القلقشندي : صبح الأعشى، المصدر السابق، ج5، ص 112- 113.

2- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية بالكويت، 1992، ط1، ج27، ص360.

3- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص712.

4- أحمدو تال ديالو: الصناعة بالقيروان من خلال مدونة سحنون و نوادر ابن أبي زيد، منشورات وحدة بحث تاريخ القيروان، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 2007، ص45.

5- نفسه، ص نفسها.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

و الصناعة أعم من الحرفة، إذ الحرفة تكون في العمل باليد، في حين أن الصناعة قد تكون باليد و قد تكون بالفعل و التفكير¹، و قد صنف سحنون في مدونته² و ابن أبي زيد في نواته³ إلى صناعات اعتمدت على اليد و الحركة، و أخرى اعتمدت على أعمال مهنية ارتكزت على الفكر والذهن أكثر من اليد.

فالأولى تمثلت في صناعة الحائك، و الصباغ، و الخياط، و القصار⁴، و البزاز، و الصراف، و الصواغ، و الحمال، و الحداد، و الدباغ، و صاحب الحمام، و البناء، و الخباز، و الحفار، و الخراز، و الصيقل، و الجزار، و القصاب، و الطحان، و النقاش، و الحجام، و الرفاء، و الحطاب، و الجلاد. و الثانية تمثلت في مهن، كالطب، و البيطرة، و الكواء، و الكحالة، و التعليم، و الوراقة. و نجد مهنا أخرى لا ينتمي أصحابها إلى أي من الصنفين السابقين، و هم في ذلك أقرب إلى الصنف الأول منهم إلى الثاني، و ذلك كالراعي، و السمسار، و الدلال⁵، و الحارس، و قد قال الجاحظ: "أما السماسرة و الدلالون و أصحاب النداء، فقوم أجراء لا في عداد التجار و لا في من لهم الحرف والصناعات، لا قيم لهم و لا أقدار و لم نسمع لهم ذكرا في أشعار"⁶.

لقد عرفت القيروان في القرون الثلاثة الأولى للهجرة حرف و صنائع استعملت معادن و مواد أولية محلية و مستوردة، كما استعملت المواد الزراعية (حبوب، كروم، زيتون، كتان، حرر، قطن،

1- ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج1، ص716.

2- سحنون: المصدر السابق، ج1، ص- ص 247- 251، ج3، ص- ص 394- 417.

3- ابن أبي زيد القيرواني: النوادر و الزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق جماعة من الأساتذة المغاربة، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1999، ج7، ص- ص 298- 340، ج9، ص149، ج10، ص325.

4- هو منظر الأقمشة، برانشفيك روبر: تاريخ افريقية في العهد الحفصي، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988، ج2، ص241.

5- السمسار: الذي يطوف بالسلعة على التجار و غيرهم، و يقول: "من يزيد على السلعة"، الدلال: الذي يعرف القادمين من التجار بموضع السلع في البلد و يعرف أرباب السلع بالتجار، فيسمى الدلال لأنه يدل المشتري على البائع و البائع على المشتري، أبو علي الحسن بن رجال المعداني: كشف القناع عن تضمين الصناع، تحقيق محمد أبو الأحفان، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ط1، ص100.

6- سعود الخزاعي علي محمد: تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم من الحرف والعمالات الشرعية، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ط1، ص706.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

حلفاء، قصب السكر، خشب، ياسمين، زعفران، أعشاب طبية و غيرها) و المواد الحيوانية (اللحوم، الصوف، الجلود، الألبان، المرجان و غيره)، و بالإضافة إلى الحرف و الصناعات التي عرفها العرب في الجاهلية مثل صناعة الأسلحة و البرد و الحلي باليمن و صناعة الخمر و الأواني و الحياكة و الملابس بالشام¹، و رث العرب عن الحضارات القديمة في البلاد المفتوحة العديد من الحرف و الصنائع، فقد كان صناع إيران يجيدون نسيج السندس الحريري، و الأقمشة الصوفية، و السجاد، كما أدخلوا أنواعا جديدة من صناعة الديباج و غيره من أنواع الحرير².

كما و رث العرب في افريقية عن الحضارة الرومانية و البيزنطية صناعة الخزف و النسيج و الشمع³ و عمل الجلد (دباغين و صباطين) و وجد أيضا البناء و الحداد و الصائغ⁴.

عرفت الصناعة في القيروان تطورا كليا و نوعيا منذ التأسيس إلى نهاية القرن 3هـ/ 9م، لذلك يفرق ابن خلدون بين الصنائع: "منها البسيط و منها المركب، و البسيط هو الذي يختص بالضروريات و المركب هو الذي يكون للكماليات"⁵، فمن الصنائع الضرورية "الحياكة و الجزارة و النجارة و الحدادة و أمثالها"⁶، و إذا زخر العمران و طلبت فيه الكماليات تكون فائدتها من أعظم فوائد الأعمال لما يدعو إليه الترف في المدينة مثل الدهان و الصغار و الحمامي و الطباخ و الشماع و الهراس و معلم الغناء و الرقص و قرع الطبول⁷، و يتفق رأي ابن خلدون مع رأي إخوان الصفاء⁸

1- سحاب : الإيلاف، المرجع السابق، ص 232-233.

2- أرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة، بيروت، د.ت، ص 115.

3- محمد الطاهر المنصوري: ملامح بعض الفئات الاجتماعية بافريقية في العهد البيزنطي، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص 32.

4- (F) decret/ (M) fantar, op.cit, 1981, p219.

5- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 501.

6- نفسه، ص 502.

7- نفسه، ص 503.

8- إخوان الصفاء و خلان الوفاء: جماعة ذات طابع سياسي، أحمدو تال ديالو: الصناعة في القيروان، المرجع السابق، ص 59.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

الذين يقولون أن الموضوع في صناعة البشريين نوعان: روحاني و جسماني، فالروحاني هو الموضوع في الصناعة العلمية و الجسماني هو الموضوع في الصناعة العملية، و هو نوعان: بسيطة و مركبة، فمن الصنائع ما هي الموضوع فيها الماء و التراب حسب، كصناعة الفخارين و الغضارين و القدورين و ضرابي البن و كل من يبل التراب، و منها ما هو الموضوع فيه أحد الأجسام المعدنية، كصناعة الحدادين و الصفارين و الرصاصين و الزجاجين و الصواغين و من شاكلهم¹.

و نتساءل عن أهم الحرف و الصنائع التي عرفت بالقيروان إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ولكن قبل ذلك يجب معرفة المواد الأولية المستعملة في هذه الحرف؟

1- المواد الأولية المستعملة:

استعمل حرفيو مدينة القيروان مواد أولية من أصل نباتي أو حيواني، كما استعملوا المعادن و المواد غير المعدنية، نذكر منها:

أ/ **المواد الأولية ذات الأصل النباتي:** إن العديد من هذه المواد لا تنتجها افريقية و لا المغرب بل يتم استيرادها من الأندلس و صقلية و أوروبا و من المشرق الاسلامي و السودان الغربي، و منها:

* **الحبوب:** ذكر ابن عمر القمح و الشعير و الفول و العدس و الحمص²، و ذكر اليعقوبي الذرة في في زويلة³.

* **الثمار و البقول و الفواكه:** ذكر المقدسي اللوز في اقليم قمودة و البرقوق في افريقية⁴، و ذكر البكري قصب السكر في قابس و جلولة و توزر و البقول و الجزر في زرود و التين الأخضر في قلشانة و الفستق في قفصة و الزعفران في أريص و أبة⁵، كما ذكر ابن حوقل الكروية و الذرة و الكمون

1- إخوان الصفاء: الرسائل، دار بيوت للطباعة و النشر، بيروت 1983، ج1، ص 280-281، و قد ذكر الإخوان أن موضوعات الصناع البشريين في صناعتهم نوعان فقط، بسيط و مركب، فالبسيط أربعة أنواع، و هي النار و الهواء و الماء و الأرض، و المركب ثلاثة أنواع، و هي الأجسام المعدنية، و الأجسام النباتية، و الأجسام الحيوانية، نفسه، ص 279.

2- يحيى ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص48.

3- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص345.

4- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص- ص 227-239.

5- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص- ص 666-715.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

والأترج¹، و أضاف ابن سحنون، الرمان و الجوز و التفاح و السفرجل²، كما ذكر ابن عمر، الزيتون التين، التفاح، العنب، التمر، البطيخ، و المقاثي³.

كما ذكرت المصادر الخشب و الحطب⁴ و الكتان و القطن، و البردي⁵، و الحلفاء⁶، و ذكر ذكر البكري الياسمين و السمس و النارج⁷، و ابن حوقل القنب و العصفر⁸، إضافة إلى شجر التوت في مدينة قابس و الحناء⁹ و الأعشاب الطبية التي توجد في كل المناطق في افريقية¹⁰.

ب/ **المواد الأولية ذات الأصل الحيواني:** و منها الصوف و الجلود و اللحوم و الألبان و مشتقاتها وكذلك الشعر و الوبر و العسل¹¹، إضافة إلى المواد النادرة مثل العاج و المرجان في مرسى الخرز¹² وطبرقة¹³ و فراء السمور و السفن¹⁴.

ج/ **المعادن:** استعملت في الصناعات الحرفية القيروانية أغلب أنواع المعادن المتحصل عليها إما عن طريق الاستيراد من المغرب و صقلية و السودان و الأندلس و المشرق أو من افريقية مثل معادن

-
- 1- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص- ص 75- 91.
 - 2- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص- ص 214- 245.
 - 3- ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص- ص 50- 129.
 - 4- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص 678.
 - 5- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج 1، ص 402.
 - 6- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص- ص 152- 394.
 - 7- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج 2، ص 201.
 - 8- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص 685.
 - 9- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص 425.
 - 10- ابراهيم بن مراد: بحوث في تاريخ الطب و الصيدلة عند العرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1991، ص- ص 45- 186.
 - 11- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص 232.
 - 12- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص 76.
 - 13- الاضطخري: المسالك و الممالك، المصدر السابق، ص 34.
 - 14- السفن جلد أخشن غليظ كجلود التماسيح يكون على قوائم السيوف، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م 3، ص 160.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

مجانة¹، كما توفر معدنا النحاس و الحديد في عهد الولاة العباسين²، و في صادرات المغرب للمشرق للمشرق ذكر الحديد و الرصاص و الزئبق³، و ذكر البكري جبل الرصاص قرب تونس⁴، و كان الأمراء الأغالبة يكلفون من يشرف على استخراج المعادن مثل يحيى بن محمد بن حشيش⁵، كما وجدت معادن ثمينة في قبور الجاهلية مثل الذهب والفضة و الجواهر و الفلوس و اللؤلؤ⁶، و استعملت استعملت المواد غير المعدنية كالحجارة المجلوبة للمطاحن بجميع المغرب، و توجد في مجانة⁷، و الرخام في المباني⁸، واستغل الأغالبة سبخة الملح الموجودة شرقي القيروان⁹.

أما المعادن المستوردة، فتمثلت في الذهب و الفضة من سجلماسة و أودغشت¹⁰، كما استوردت الحديد من صقلية¹¹، و استوردت الزئبق و الحديد و الرصاص من الأندلس¹²، و كذلك حجر الأزورد والياقوت و الذهب و الفضة و القصدير و الكحل و النحاس¹³، و ذكر ابن سحنون الحديد الهندي¹⁴ بالقيروان و أيضا الحديد من لبنان¹⁵.

-
- 1- يعقوبي : البلدان، المصدر السابق، ص349.
 - 2- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج1، ص212.
 - 3- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص95.
 - 4- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص705.
 - 5- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج2، ص321.
 - 6- سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج1، ص251.
 - 7- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص84 و هو ما يؤكد أيضا البكري، المسالك، المصدر السابق، ج2، ص710.
 - 8- القزويني: أثر البلاد و أخبار العباد، دار صادر بيروت، د.ت، ص148.
 - 9- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص675.
 - 10- نفسه، ص- ص 840-842.
 - 11- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص116.
 - 12- نفسه، ص109.
 - 13- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص897-898.
 - 14- ابن سحنون : الأجوبة، المصدر السابق، ص171.
 - 15- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص234.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

2- أنواع الحرف و الصنائع:

وردت في المصادر أنواع عديدة من الصناعات، صناعات نظيفة أو وسخة، وصناعات ذات ضجيج أو بدونه، و صناعات جعلت لإعداد ثياب و أخرى لمعالجة الحديد و نحوها كثير¹. فالصناعات النظيفة هي التي يتعاطاها أصحابها دون تلويث الثياب أو الأيدان أو المكان مثل الخياطة، وتخرج عن الصناعات النظيفة كل صناعة نافثة للدخان أو الغبار أو التي لها علاقة بالدم، وذلك ككثير الحداد أو فرن الصباغ أو غبار ناجم عن غرس حنطة أو حمامة أو قصابة²، وكذلك الصناعة التي لها روائح كريهة كالدباغة و القصابة³، و على العموم فإن الصناعات النظيفة هي التي يمكن لها أن تكون أقرب إلى المسجد في السوق من غيرها، بل إن بعضها يقع تعاطيه في المسجد⁴. أما الصناعات الوسخة فهي التي تتسبب في توسيح بدن متعاطيها أو ثوبه أو تلوث المكان كالصباغة و القسارة و كذا الفحم و الحداد و غيرهم، و الملاحظ أن الحرفيين و التجار، لا يتعاطون حول المسجد إلا المهن النظيفة و النبيلة، أما الصناعات الملوثة مثل الصباغة و الحدادة، و الفحمين، فهي توجد دائما خارج الأسوار المحيطة بالمدينة، و هو أمر ينطبق على أسواق بقية مدن العالم العربي بصفة عامة⁵.

و هناك من قسم الصناعات و الحرف من حيث ارتباط بعضها ببعض، أو من حيث نشأتهما و تماثلهما إلى صناعات مرتبطة بإعداد الثياب، و أخرى بمعالجة الحديد، و صناعات مرتبطة

1- أحمدو تال ديو: الصناعة بالقيروان، المرجع السابق، ص65.

2- ابن أبي زيد: النوادر، المصدر السابق، ج11، ص37.

3- نفسه، ج11، ص535.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 146-147، عبد المجيد بن حمدة، ثقافة المجتمع القيرواني في القرن الثالث الهجري، شركة فنون الرسم و النشر و الصحافة، تونس، ط1، 1997، ص148، على أن النظام العام للأسواق الذي نلاحظ فيه اقتراب المهن الراقية من الجامع هو من مميزات المدينة الإسلامية عموما، و المغربية خصوصا، فوزي محفوظ رهادنة: المرجع السابق، ص26.

5- ابن مامي محمد الباجي : أسواق مدينة تونس، مجلة افريقية (تونس)، عدد 12، المعهد الوطني للتراث، 1998، ص43.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

باللحوم والجلود، و أخرى بالغذاء و حرف مرتبطة بالخشب و أخرى بالبناء و غيرها، و من أهم الصناعات نذكر:

* **صناعة البناء:** تعتبر أول صناعات العمران الحضري و أقدمها، و هي معرفة العمل في اتخاذ البيوت و المنازل للسكن و المأوى للأبدان في المدن¹، و قد وجدت في القيروان جميع أنواع البيوت و القصور لاختلاف الفئات في هذه المدينة و ناحيتها من أمراء و قادة جيش و تجار أثرياء و حرفيين و عبيد، و قد وجد ما يعرف بصاحب المرمة².

و كان البناء بالطوب من علامات الفقر³، لكن استعملت في المباني العامة و قصور الأمراء المواد الدالة على الثراء، فقد جلبت القراميد اليمينية لجامع القيروان و زينه رجل بغدادى تلك الزينة العجيبة بالرخام

و الذهب و الآلة الحسنة⁴، و قد استعملت السواري من الرخام في الجامع⁵ و في القنطرة التي التي عند المسجد التي بالسواري عند الفحامين⁶ و استعمل المرمر بألوان مختلفة منها الرمادي و الأبيض والأخضر⁷، و كان نحت الرخام و نقشه إحدى الاهتمامات الأساسية سواء لزخرفة المنازل و الجوامع أو لنقش شواهد القبور الرخامية⁸، و إضافة إلى الرخام استعمل الرصاص فقد كانت مزاريب جامع القيروان من الرصاص⁹.

-
- 1- ابن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 725 - 731، محفوظ الغديفي : ، المرجع السابق، ص 213.
 - 2- و هو ما نسميه اليوم الباعث العقاري الذي يشغل البنائين الأجراء، محفوظ الغديفي : نفسه، ص 214، و لفظ المرمة متداول اليوم في تونس و يدل على حرفة البناء.
 - 3- ابن ناجي : المعالم، المصدر السابق، ج 1، ص 245.
 - 4- نفسه، ج 2، ص 147.
 - 5- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص 673.
 - 6- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 488.
 - 7- خالد مودود: نقائض أغلبية جديدة (3هـ/9م)، دراسة تاريخية و أثرية، من كتاب النقائض و الرسوم الصخرية، الالكسو، الالكسو، تونس 1997، ص- ص 80 - 137.
 - 8- محمد حسن: القيمة الفنية و التاريخية للكتابات الشاهدية الافريقية (مثال القيروان) الحياة الثقافية، العدد 25، السنة الثامنة، الثامنة، جانفي - فيفري 1983، ص 9.
 - 9- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص 225.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

و ظهرت إلى جانب صناعة البناء حرف كثيرة منها حرفة الطلاء و أول من أدخل الطلاء العراقي إلى القيروان اسماعيل بن يوسف¹، و كذلك عمل السقف و ما يرجع إلى التميمي و التزيين²، التزيين²، و المؤكد أن عدد المشتغلين في البناء و صناعة الطوب و الآجر كان هاما لطبيعة المواد المستعملة و سهولة سقوط المنازل المبنية بها و لكثرة الفيضانات و الزلازل³.

* **صناعة النجارة:** فالنجارة هي صناعة مكملة للبناء⁴، و هي صناعة تسد حاجات كثيرة، و خاصة خاصة فيما يتصل بصناعة الأثاث، كالأسرة و الكراسي و الأبواب و النوافذ و الأسقف، و الأسلحة مثل الرماح والمنجنيق و أعمدة السيوف، و مقابض أدوات القطع⁵، و رغم انتشار هذه الصناعة بالقيروان في الوسيط الأعلى، فإن مختلف المصادر لم تشر إلى مكان تركزها⁶.

و تمر هذه الصناعة بعدة مراحل إذ تبدأ من الاحتطاب⁷، ثم يقوم الخشابون⁸ بتهيئة ما يصلح يصلح من الحطب ثم يأتي عمل الخراطين⁹ و النجارين¹⁰ و النقاشين.

و قد ازدهرت هذه الصناعة المرتبطة بالعمران و التحضر مع ازدياد عدد سكان القيروان والعباسية و رقادة و أرياص هذه المدن و مع تطور نمط حياة الناس¹¹.

1- الزبيدي : طبقات النحويين، المصدر السابق، ص263.

2- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص512.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص288، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص- ص 113-166-184. 184.

4- ابن أبي زيد : النوادر، المصدر السابق، ج11، ص93.

5- سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج2، ص196.

6- البحريني: أسواق تونس، المرجع السابق، ص55، على أن الخشابين كانوا يوفرون الخشب للنجارين، و من الخشابين الخشابين بالقيروان نذكر أبا القاسم بن زيدون اللواتي (ت 384هـ/ 994م) و عبد الله بن أبي القاسم بن زيدون الفقيه، P. Poinsot, inscriptions, op.cit, p- p 287- 361.

7- البكري : المسال، المصدر السابق، ص678، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص123.

8- الدباغ: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص- ص 75- 350.

9- عياض: المدارك، المصدر السابق، م2، ص334.

10- نفسه، ص333.

11- محفوظ الغديفي : القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص216.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

* صناعة الحدادة: الحدادة هي معالجة الحديد و تشكيله لانتفاع به، و الصيقل هو حداد السيوف والكاشف عن صدئها، و هو صانع كل ما هو سلاح¹، و يحد السهام و الرماح في أوقات الحرب، وكذلك عدة الفرس من السروج و الركاب².

و كما هو معلوم فإن الحديد يعد المادة الأولية الأساسية لكثير من الصناعات الثقيلة، و به تتقدم الأمم حضاريا، و تشهد لذلك الآيات القرآنية، التي جاءت لتشير إلى منافع الحديد من أمثال قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾³، و قال سبحانه: ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾⁴، و قال تعالى أيضا: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾⁵، بل إن سورة قرآنية سميت بالحديد⁶.

و قد كان من بين أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم⁷ حدادون، نذكر منهم خباب بن الأرت⁸ في مكة، و أبا سيف من الأنصار في المدينة زوج أم سيف مرضعة ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه و سلم، و كان اليهود قد احتكروا هذا العمل، و تذكر المصادر أن النبي صلى الله عليه و سلم لما فتح خيبر جلب منها ثلاثين حدادا إلى المدينة، لتعليم الناس الحدادة⁹.

و قد وجد سوق للحدادين بالقيروان ، و إليه ينسب أحد أبواب جامع عقبة¹⁰، و كان جد سعيد بن محمد الغساني حدادا¹¹.

-
- 1- سحنون : المدونة، المصدر السابق، ج3، ص126، ابن أبي زيد: النوادر، المصدر السابق، ج10، ص70.
 - 2- البرزلي: جامع، المصدر السابق، ج3، ص249، و ترتبط صناعة السروج بالإضافة إلى الحداد بصناعات كل من النجار الذي يعد خشب السرج، و الصائغ الذي يعد الفضة، البحروني: أسواق تونس، المرجع السابق، ص43، هذا و كانت السروج لودها، حسن حسني: بساط العقيق، المرجع السابق، ص35.
 - 3- سورة الحديد، الآية 25.
 - 4- سورة سبأ، الآية 10.
 - 5- سورة الكهف، الآية 96.
 - 6- سورة الحديد.
 - 7- صحيح البخاري : المصدر السابق، ص127، المعجم ص 64.
 - 8- الخزاغي: الدلالات، المصدر السابق، ص715.
 - 9- الكتاني: التراتيب، المصدر السابق، ج2، ص74.
 - 10- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج2، ص341.
 - 11- نفسه، ص57.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

و تذكر المصادر أن محمد بن مقاتل العكي أمير افريقية (181-184هـ / 797-800م) ضرب البهلول بن راشد لأنه عارض أن يبعث العكي إلى الامبراطور البيزنطي بالنحاس و الحديد والسلاح¹، ولا شك أن هذه الصناعة ازدهرت مع ازدياد حاجيات سكان مدينة القيروان و ضواحيها ضواحيها و ازدياد قصور الأمراء و الأثرياء و تطور الجيش الأغلي و كثرة الاضطرابات.

* **صناعة المعادن الأخرى غير الحديدية:** و منها الصياغة التي تعني إذابة المعادن من ذهب و فضة ونحاس و رصاص و نحوها، لاستخلاص حلية منها، قال تعالى: ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ ﴾²، و قد ازدهرت هذه الصناعة خاصة صناعة الحلبي مع تطور التجارة مع السودان³، إضافة إلى ضرب العملة فقد ضرب موسى بن نصير نماذج كثيرة من دنانير الذهب و فلوس و فلوس النحاس في دار السكة بالقيروان أواخر القرن الأول للهجرة⁴، و ذكر البكري أن "سوق الغرب" كانت تقع بالقرب من دار الإمارة و بقية الدواوين⁵، و نقل ابراهيم بن الأغلب دار الغرب إلى العباسية كما توضع من النحاس القدور⁶ وغيرها من أواني الطبخ و الأكل، و تصنع المزاريب من الرصاص⁷.

* **صناعة الخياطة:** عرفها ابن خلدون بأنها "الملاءمة بين تلك القطع المنسوجة و المقدرة ثوبا على البدن بشكله، و تعدد أعضائه، و اختلاف نواحيها بالوصلات، حتى تصير ثوبا واحدا على البدن⁸. و يفهم من هذا التعريف أن الخياطة لفظة خاصة بالأثواب الجديدة أو المنسوجة، أما خياطة

1- المالكي: المصدر السابق، ج1، ص212.

2- سورة الرعد، الآية 17.

3- حسن حبيبي عبد الوهاب : ورقات، المرجع السابق، ج1، ص414.

4- نفسه، ص401.

5- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص673.

6- يحيى بن عمر: المصدر السابق، ص85.

7- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص225.

8- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص733.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

الأثواب القديمة فقد أطلقوا عليها اسم الرفو، و القائم بها "الرفاء"¹، و معلوم أن الأداة التي يخيّط بها الخياط هي الإبرة، و هم ما عناه تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبَسَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾²، فالخياط بكسر الخاء هو الإبرة³، و هو ما يفسر لنا ارتباط صناعة الخياطة بمهنة بمهنة الأبارين، الذين يتولون صناعة الإبرة.

و نجد بالقيروان تفاوتاً كبيراً داخل أصناف الخياطين، فكانت الخياطة و الرفو مخصصة للسوق، بينما اقتصر عمل دار الطراز (قرب جامع عقبة) على تطريز الثياب الأميرية، و الفئات الراقية من المجتمع⁴، و من بين فقهاء القيروان الذين امتهنوا الخياطة في القرن 3هـ/9م، نذكر أبا سنان زيد بن سنان الأسدي (ت244هـ/859م)، و ابراهيم الزاهد الأندلسي القيرواني⁵.

و ترتبط هذه الصناعة بصناعات أخرى منها الصباغة و الرفاءة و القصاراة و غيرها، و تسبقها أعمال تحضيرية للصوف مثل مهن الخلاص و اللباد (صنع كباب الغزل)⁶، و كذلك للقطن المحبب الذي يدفع إلى العامل يحله أو يندفه⁷.

و نتيجة ازدياد عدد سكان القيروان و المدن الأميرية و أرباضها ازداد الطلب على صناعة النسيج و الخياطة و الحرف المرتبطة بهما، و أشرف صناع مهرة على تعليم الصبيان هذه الحرف، قال محمد بن عبد الله: "كنت أحيط و أنا غلام حديث السن مع شباب عند معلمنا في المسجد المعروف

1- ابن أبي زيد: النوادر، المصدر السابق، ج7، ص70، و كان بالقيروان سوق للرفائين، ذكره المالكي في ترجمة الفقيه أبي محرز عبد الله الكتاني (ت214هـ/830م) و هو ما يعني وجود هذه السوق بالضرورة قبل هذا التاريخ، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص186.

2- سورة الأعراف، آية 40.

3- ابن منظور: لسان العرب، م7، ص298.

4- حسن محمد: المدينة، المرجع السابق، ج1، ص483، البحروني: أسواق تونس، المرجع السابق، ص- ص12-25.

5- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج2، ص- ص14-131، هذا و قد أحصى فوزي محفوظ عدداً من الفقهاء الذين كانوا يلقبون بالخياط، فوزي محفوظ رهادنة: المرجع السابق، ص24.

6- محمد حسن: التجار و الحرفيون بإفريقية بين القرن السادس و التاسع هجري، ضمن كتاب "المغيبون في تاريخ تونس"، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص74.

7- يحيى بن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص130.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

في هذا الوقت بمسجد ابن أبي نصر، إذا أقبل إلينا اسماعيل بن رباح الجزري فقال لمعلمنا: يا شيخ بكم أكرت هذا الحانوت؟¹، و كان رجلا من أصحاب البهلول، يقال له "الرفاء"²، و وجدت حوانيت الرفائين والكتانين³، و عرفت مهنة اللباد⁴ و الخياط⁵ مثل زيد بن سنان الأسدي⁶ والقلايسي مثل الحسن بن محمد القلايسي المعلم (ت 329هـ / 941م)⁷، و الكتاني مثل محمد بن ابراهيم (ت 327هـ / 938م) و سمي الواد شرق القيروان "بوادي القصارين" نسبة إلى القصار و المقصرة و هي خشبة القصار التي يحور و يدق بها الثوب⁸، و قد احترف هذه المهنة ابراهيم السبائي (ت 356هـ / 967م)⁹.

* **صناعة الغزل و الحياكة: الغزل:** غزل بفتح الزاي، غزلا و اغتزل الصوف، أي أمده و فتله خيطانا، و اغتزلت المرأة أي أدارت المغزلة، و الغزل هو مص المغزول¹⁰، فالغزل هو إمداد أو فتل المواد الأولية (الصوف، القطن، الكتان، الحرير)¹¹ بالمغزل حتى يصير خيطا، و من هنا يأتي دور الحائك وهو النساج، الذي عرف ابن خلدون وظيفته بـ "إحام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا"¹²، و سمي الحائك منوالا نسبة إلى خشبته أو آله التي يحوك عليها الغزل.

1- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص 146.

2- نفسه، ص 107.

3- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج 2، ص 37.

4- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج 2، ص 283.

5- نفسه، ج 1، ص 108.

6- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ج 2، ص 14.

7- نفسه، ج 2، ص 524.

8- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ص 243، و ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م 5، ص 101.

9- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص 378.

10- ابن منظور : لسان العرب، المصدر السابق، ج 11، ص - ص 491 - 493.

11- و من الذين تعاطوا صناعة الحرير بالقيروان نذكر: عبد العزيز بن خلف (ت 427هـ / 1036م)، و عبد الله بن أبي بكر

(ت 430هـ / 1039م)، P. poinssot, inscriptions, op.cit, p- p 453- 484

12- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 733.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

و قد ورد في المدونة: "أرأيت أن دفعت إلى حائك غزلا ينسجه سبعا في ثمان..."¹.
و اختصت دار الطراز بالمنتوجات الأميرية، و أن القيروان تكون لها من الزرابي شكل خاص
يغايير الأشكال الشرقية صار يعرف "بالقيرواني"، و مما يدل على حسنه هو أن افريقية في أيام الدولة
الأغلبية كانت تدفع من ضمن خراجها للخلافة العباسية عددا معلوما من البسط الرفيعة المزركشة
بنفيس الحرير²، وأهدى زيادة الله الثالث إلى المكتفى "بز كثير و طيب، و من اللبود المغربية"³.
و كانت صناعة الغزل و النسيج تقام في الدكاكين و في المنازل، فقد كان عيش أبو بكر بن
هذيل الفقيه من غزل امرأته، كان يشتري الكتان فتغزله، و ينسج منه أبدا ما كان فيها من فضل
تقوتا به، واشترى برأس المال كتانا، فمن ذلك كان عيشهما⁴، و كانت النساء تبيع خصل الصوف
في سوق الغزل⁵.

و كان سوق الغزل من بين الأسواق الهامة في القيروان منذ القرن 2هـ / 8م، نظرا لتوافر المواد
الأولية مثل الصوف و القطن و الكتان، و التي تعتبر أهم المواد للمنسوجات القيروانية، و قد اشتهرت

1- سحنون : المدونة، المصدر السابق، ج3، ص372، تجدر الإشارة إلى وجود سوق الرهادرة أو الرهادنة بالقيروان منذ بداية
القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج2، ص357، و سوق الرهادرة هو سوق
الأقمشة والملابس بصفة عامة، و قد أجمع المستشرقون باستثناء كلود كاهان على أن لفظ "الرهادرة" مقصورة على التجار اليهود
دون غيرهم، بينما استنتج فوزي محفوظ من خلال رياض النفوس للمالكي أن سوق الرهادرة بالقيروان لم يكن خاصا باليهود، بل
و المسلمين المحليين أيضا، فصفة الرهدان تطلق في افريقية على كل من يتعاطى تجارة القماش بصفة عامة، فوزي محفوظ رهادنة:
المرجع السابق، ص- ص 17- 61، ويؤيد ذلك نسبة لقب "الرهدار" أو "الرهدان" إلى أسماء مسلمة في النقائش الجنائزية
بالقيروان، مثل أبي عبد الله محمد يحيى الرهدار، عبد العزيز بن خلف الرهدار، عتيق بن أحمد الرهدان، عوض أبي علي الرهدار،
محمد بن علي بن اسماعيل الأنصاري الرهدان وغيرهم،

P. poinssot, inscriptions, p- p 444- 547

2- عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص34.

3- ابن الأبار: الحلة، المصدر السابق، ج1، ص178.

4- ابن ناجي : المعالم، المصدر السابق، ج2، ص266.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص146.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

القيروان بصناعة البسط، فكانت تفرش في مجالس الأمراء، و تصدر إلى بغداد أيام المأمون (198-218هـ / 809-814م)¹.

* **صناعة الصباغة**²: و الصباغة مرحلة هامة و أخيرة لتهيئة المنسوجات، و هي صناعة ملوثة أكثر من غيرها، و هو ما يفسر مجاورتها للقصارة خارج أسوار المدن، و ذلك لما بينهما من تجانس و تماثل³، و كان للجامع عقبة باب يسمى "باب الصباغين"⁴، و هذا قد يدل على كثرتهم أو على وجود سوق خاص بهم⁵.

* **صناعة الجلد و الدباغة**: اعتبرها ابن خلدون من الكماليات⁶، لكنه عدها من أهم صنائع المغرب المغرب القليلة و غير المستحكمة⁷، و هي من الصناعات الموروثة عن العصور القديمة، إضافة إلى توفر توفر مادتها الأولية بكثرة لاشتهار افريقية بتربية الأغنام و الأبقار و الماعز و الإبل⁸.

و في البداية كانت توجد داخل القيروان دور لدبغ الجلود، إلا أن القضاة أمروا بدمها، وإخراجها إلى أطراف المدينة، و يبدو أن ذلك تم في وقت متأخر⁹، فكانت دور الدبغ خارج سور القيروان، و هو ما سيغير بعد الهجرة الهلالية و اختصار مدينة القيروان¹⁰، و المعروف أن باب

1- المالكي: المصدر السابق، ج2، ص- ص 146-173، على أن مهنة الغزل اعتبرت من المهن الراقية في المجتمع القيرواني، فوزي محفوظ رهادنة: المرجع السابق، ص60.

2- الصباغة تعني التلوين، و صبغ بمعنى لون، و اصطلاحا تعني تغيير لون الثوب المنسوج بالاعتماد على وقود مكون من الحطب، يعلوه قدر فيه مواد نباتية أو حيوانية، سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج3، ص417.

3- ابن أبي زيد: النوادر، المصدر السابق، ج7، ص71، على أن الصباغين و القصارين و الغسالين كانوا ينشرون ثيابهم إما على الجبال الممدودة بين حوائطها، النوادر، نفسه، ج14، ص409.

4- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص225.

5- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص220.

6- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص503.

7- نفسه، ص507.

8- شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص- ص 75-210.

9- البرزلي: جامع، المصدر السابق، ج2، ص453، برنشفيك: تاريخ، المرجع السابق، ج1، ص398.

10- الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج8، ص411.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

الجلادين يقع اليوم في مقابل باب تونس الحالي، فهل كانت دور الدبغ القديمة و سوق الجلادين في شرق القيروان¹.

و تصنع من الجلود بعد دبغها الأحذية و النعال، كما تصنع القرب و السروج، فقد كان للسراجين سوق²، كما كان للحذائين درب³، كما صنعوا من الجلد الدف و الطنبور و الكبر (الطبل) (الطبل) و المزهر (الدف الكبير)⁴.

* صناعة الفخار و الخزف و الزجاج: صناعة الفخار قديمة في افريقية⁵، و يصنع من الفخار أواني الأكل مثل القصاع⁶ أو الجفان أو الصحاف⁷ أو الأقداح و أواني الطبخ مثل القدور و أواني حفظ الماء والزيت والعسل و السمن و غير ذلك مثل الجرار و الخوابي⁸ أو المحاويس⁹ (نوع من الزير أو الدف)، كما تصنع من الفخار أشياء أخرى كالمكايل مثل قسط الزيت¹⁰ و القناديل¹¹، و قد وجد في القيروان موضع يسمى "كدية القلالين" في عهد ابن ناجي حدده بالقرب من باب نافع.

و قد ارتبط تطور صناعة الفخار بتطور صناعة الزيوت و الألبان و غيرها من الصناعات الغذائية، وتأثرت صناعة الخزف في القيروان بالمدارس المشرقية مثل المدرسة العراقية، حيث كانت بغداد أكبر مركز لانتاج الخزف الفاخر¹²، و قد أنتج خزافو القيروان الأواني من صحون و كؤوس، كما أنتجوا القراميد لكساء الجدران و أشهرها قراميد محراب جامع عقبة قال التحيبي: "و جعل تلك

-
- 1- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج3، ص211، ج4، ص- ص 44- 48.
 - 2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص171، سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج3، ص126.
 - 3- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص226.
 - 4- ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص- ص 76- 119.
 - 5- Decret/ fantar, l'afrique, op.cit, p 219، محمد الطاهر المنصوري: ملامح، المرجع السابق، ص32.
 - 6- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص218.
 - 7- نفسه، ج1، ص349، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص147.
 - 8- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص208، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص324.
 - 9- ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص121.
 - 10- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص259، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص128.
 - 11- نفسه، ج2، ص187، و ج1، ص303.
 - 12- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص223.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

القراميد في وجه المحراب، وعمل له رجل بغدادي قراميد زادها إليه و زينه تلك الزينة العجيبة بالرخام والذهب و الآلة الحسنه¹.

أما صناعة الزجاج فقد كان لها شأن عظيم في القيروان²، فقد كانت لها سوق معينة تعرف بالزجاجين يعمل بها أواني البلور و تضرب بها الصنوج³، و قد سكن سوق الزجاجين بالقيروان زرة بن عبد الله⁴ (ت 223هـ / 847م)، و قد صنع حرفيو القيروان القوارير⁵ و الأكواب و الأقداح والقناديل أو المصابيح⁶.

* **الحرف المرتبطة بالغذاء:** اعتبرها إخوان الصفاء من الصنائع المركبة و هي موضوع فيها ثمر الأشجار وحب النبات كصناعة الدقاقين (باعة الدقيق) و الرزازين (باعة الأرز) و النوائين (باعة النوى) و العصارين (الذين يعصرون العنب و نحوه) و الشيرجين (الذين يصنعون الشيرج أي دهن السمسم) و كل من يخرج الأدهان من ثمر الشجر و حب النبات، و منها ما هي موضوع فيها أحد الأجسام الحيوانية كصناعة القصابين و الشوائين و الطباخين⁷، و هذه الحرف مرتبطة بالفلاحة التي يعتبرها ابن خلدون صناعة "ثمرتها اتخاذ الأقوات و الحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها و ازديادها و علاج نباتها و تعهده بالسقي و التنمية إلى بلوغ غايته"⁸، و تكون المواد الأولية لهذه الصناعة محلية (من ناحية القيروان و من افريقية) أو مستوردة من المغرب و حتى من صقلية و الأندلس و المشرق

1- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص147.

2- حسن حسني عبد الوهاب : البساط، المرجع السابق، ج1، ص36.

3- نفسه، ص61، و الصنح: قطعة مدورة من زجاج أبيض أو ملون هلى هيئة الدينار تتخذ لاختبار النقدين الدينار و الدرهم، الدرهم، و يكتب عليها غالبا اسم الأمير، و مثقال النقد، المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص240.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص158، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص66.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص288، ديكجة: تصغير دكوجة و معناه قارورة صغيرة، و سماها أبو العرب وابن وابن ناجي: زجيحة، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص172، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ص221.

6- نفسه، ج3، ص141، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص221.

7- إخوان الصفاء : الرسائل، المصدر السابق، ج1، ص- ص 280- 282.

8- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص509.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

وتتمثل في الحبوب من قمح و شعير و فول و عدس و حمص¹ و كذلك الذرة² و الكمون و الكرويا³، الكرويا³، و في ثمار الزيتون و النخيل⁴ و التين و العنب⁵ والرمان⁶ ولحوم البقر و الغنم⁷ و المعز⁸ و المعز⁸ و كذلك لحوم الدجاج و الإوز و الحمام و الطير⁹، و ألبان البقر و الغنم و الزبد و السمن و عسل النحل¹⁰ و غيره، فما هي الحرف المرتبطة بالأطعمة و الأشربة؟

أ/ الحرف المرتبطة بالأطعمة:

* الطواحين و الأرحية و الأفران: وجدت في القيروان المطاحن التي تستعمل الطاقة الحيوانية، و كان بجوار "حسنون الدباغ طحان"¹¹، كما كان جد محمد بن عبدون بن أبي ثور القاضي طحاناً¹²، كما وجدت الأرحية التي تدار باليد فقد كان عروس المؤذن يطحن بيده¹³، و كانت المرأة القيروانية تقوم بكل ما كان من الخدمة الباطنة من طحن و تخبيز و عجن و فرش البيت و تنظيفه و سقيان الماء¹⁴، و طالب يحيى بن عمر الطحانين أن لا يبيعوا القمح و الشعير إلا بعد أن يغربلوها¹⁵، لذلك وجدت

- 1- ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص 49.
- 2- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 345.
- 3- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص 84.
- 4- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 350.
- 5- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص 92.
- 6- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص 214.
- 7- الكوفي أحمد بن أعثم: الفتوح، دار الكتب العلمية، بيروت 1986، ص 359.
- 8- ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص 71.
- 9- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص 277.
- 10- ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص - ص 63 - 65.
- 11- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 141.
- 12- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 121، يحيى بن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص 48 - 49.
- 13- ابن عذارى: نفسه، ج 1، ص 138.
- 14- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص 152.
- 15- ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص 49، و في ذلك دلالة على صناعة الغرابيل، فاطمة بلهوارى: الصناعة في المنظور المغربي بين التنظير و الواقع التاريخي، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي (مصادر و تراجم)، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، العددين 6 - 7، جوان ديسمبر 2005م / 1426هـ، ص 234، كما تناول الحكم على بعض =

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

مهنة الغراييلي¹.

ووجدت الأفران²، كما وجدت التنانير في المنازل³، فظهرت مهنة العجانين⁴ و الخبازين والفرانين وأصحاب الأفران الذين يبيعون الخبز لأصحاب الحوانيت⁵، و كان أصحاب الأفران يقومون بإنضاج الخبز الذي يعجن في المنازل مقابل أجر معلوم⁶.

و اشتهرت مهنة الطباخين التي توفر الأطعمة للحرفيين و التجار و عابري السبيل إضافة إلى الأثرياء، مثل القاضي عبد الله بن طالب التميمي⁷، و قد اشتهرت دار علي بن حميد التي كان منها وزراء الأغالبة و ولاية باجة⁸ بالطبخ مما جعلها مضرب الأمثال⁹، كما ظهرت مهنة الرواس¹⁰، و قام الطباخون بطهي أنواع عديدة من الأطعمة مثل الفتوت و الجشيش و الخبيص و السنبوسق¹¹، كما وجدت أطعمة أخرى مثل الثريد¹².

=الصناعات التي قد تخالف الشرع الاسلامي كبيع قدور النيذ، و حتى صابغي الأحذية من خفاف و نعال صرارة التي تحدث الشبهات، يحيى بن عمر: النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، الشركة التونسية للنشر و التوزيع، تونس، 1975، ص- ص 85-93، فاطمة بلهوارى: نفسه، ص235.

1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص162.

2- ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص59، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص257.

3- ابن سحنون: المدونة الكبرى، المصدر السابق، ج3، ص200، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص171.

4- السقطي: آداب الحسبة، المصدر السابق، ص27.

5- ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص- ص 40-55-56.

6- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص109.

7- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص475.

8- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص108، البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص720.

9- الخشني: الطبقات، المصدر السابق، ص183.

10- نفسه، ص نفسها.

11- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 297-517، ج2، ص389.

12- أبو العرب: كتاب الخن، المصدر السابق، ص450.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

* حوانيت الجزارين: كانت لهم سوق خاصة بهم¹، و قد يوجد الجزارون في الأسواق الأخرى²، وازدهرت هذه الحرفة مع ازدياد عدد سكان المدينة و ضواحيها و ازدهار التجارة و الاقتصاد و تكاثر الوافدين، و ترتبط هذه المهنة بالبادية التي توفر الأغنام و الأبقار و الماعز، و لا شك أن الجزارين تعاملوا مع الجلابين الذين يجلبون لحم الأغنام و الأبقار من المربين أو الرعاة.

و من الأطعمة التي كانت توفرها البادية العسل، الذي اشتهرت به جلولاء³، و كذلك الألبان والزبدة⁴ والغلال الكثيرة في ناحية القيروان الطازجة منها و المجففة مثل التين الأخضر من قلشانة⁵، وتجلب الثمور و الأترج من قسطيلية⁶، و كذلك قصب السكر من قابس و جلولاء، و من تونس اللوز و الأترج والتين الحارمي الأسود و السفرجل و العنب، و من الأريس الزعفران، و من قفصة الفستق و التمر، و من باجة القمح و السفرجل و العنب⁷.

و من الحرف المرتبطة بالغذاء و التي ورثتها افريقية عن الحضارات القديمة و ازدهرت في القيروان، مهنة الزياتين⁸، و كان أهالي القيروان يستعذبون زيت الساحل⁹، و لكن عصر الزيتون كان كان معروفا في كل افريقية منذ العصر القديم، و يستعمل الزيت إضافة إلى الأكل في الإنارة¹⁰.

ب/ الحرف المرتبطة بالأشربة: عرفت صناعة عصر العنب لوجود شاربين من المسيحيين والمسلمين

1- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص405.

2- الزهري: الجغرافية، المصدر السابق، ص109.

3- ابن ناجي : المعالم، المصدر السابق، ج3، ص84، البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص685.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 111- 218، ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص50.

5- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص681.

6- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص92.

7- البكري : المسالك، المصدر السابق، ج2، ص- ص 666- 720.

8- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص- ص 363- 374.

9- نفسه، ص- ص 206- 363، القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، م2، ص380.

10- نفسه، ص403.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

رغم التحريم¹، بل وجد ررض معد للملاهي و الخلاعة و هو ررض "البقرية"².
كما رب أهل القيروان السمس بالياسمين و بالورد و البنفسج³، و استعملت في الطعام
أشربة أخرى منها الخل و غيره⁴، كما عرفت مهنة السقائين، فكان ميسرة بيع الماء بالقيروان⁵،
ووجدت أيضا

مصلحة خاصة بالماء و عرفنا قيمة الماء بالقيروان و مدى اعتناء الولاة و الأغالبة بالمنشآت المائية⁶.

ج/ الحرف المرتبطة بالصحة و النظافة: لم تعرف القيروان في بداياتها من إمتهن حرفة الطب إذا
استثنينا بعض الناس الذي كانت لهم خبرة بالعلاج التقليدي مثل الفصد و الحجامة و جبر
المكسورين⁷، و أول طبيب ذكرته المصادر هو "يوحنا المتطبب" الذي قدم القيروان مع يزيد بن حاتم
سنة 155هـ/ 772م، وهو طبيب سرياني تعلم في العراق⁸، و ذكر ابن ناجي من فقهاء البدن جماعة
جماعة منهم يحيى بن عمر الأدلسي (ت289هـ/ 902م)، و علي بن ظفر العراقي الذي يعرف الطب
والجدل، و محمد بن فرج بن البنا البغدادي مولى آل الأغلب (ت303هـ/ 915م)، و دحمان بن
معاني، و موسى بن عبد الرحمن القطان (ت306هـ/ 918م)، و نصر بن الفتح التسوري (ت306هـ/
918م)⁹، و يذكر ابن عذارى أن في سنة 307هـ/ 919م مات جماعة من التجار و من خدم
السلطان و من الأطباء¹⁰، فمن هم أطباء القيروان في العهد الأغلبي؟

1- ابن سحنون : الأجوبة، المصدر السابق، ص- ص 244 - 246، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص 303-304.

2- ابن ناجي: نفسه، ج2، ص179.

3- البكري : المسالك، المصدر السابق، ج2، ص686.

4- الزبيدي: طبقات النحويين، المصدر السابق، ص247.

5- خليفة بن خياط: التاريخ، دار الفكر، بيروت 1993، ص278.

6- محفوظ الغديفي : القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص228.

7- أحمد بن ميلاد : الطب العربي التونسي في عشرة قرون، تونس 1980، ص31.

8- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص99، حسن حسيني عبد الوهاب: الورقات، ج1، ص 270 - 271.

9- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص- ص 237 - 340، و ذكر أبو العرب سحنون: الطبقات، المصدر السابق، ص184.

10- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص183.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

ذكرت المصادر من الأطباء الذين عاشوا في القيروان و مدنها الأميرية إسحاق بن عمران، واشتهر أيضا باسم "سم ساعة" بغدادي الأصل، ألف عددا من الكتب و قتله ابراهيم بن أحمد سنة 279هـ / 892م¹، و ابنه علي ابن إسحاق بن عمران²، و إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (ت بعد 341هـ) و ألف كتب الحميات والأغذية و الأدوية³، و زياد بن خلفون المتطبب مولى بني الأغلب، و أحمد بن يحيى بن طيب المتطبب⁴، ولا شك أن وجود بيت الحكمة في رقادة و ازدهار الحضارة في في العهد الأغلي خلق مدرسة طبية قيروانية أنتجت الطبيب الشهير أحمد بن الجزار، و هو من أهل القيروان، طيب بن طيب، و عمه أبو بكر طيب⁵.

و تضاف إلى مهنة الطب مهنة التوليد، و هي مختصة بالنساء في غالب الأمر، و تسمى القائمة على ذلك منهن "القابلة" و هي صناعة ضرورية في العمران للنوع الإنساني⁶، كما وجدت إلى جانب الطب حرفة العطارين⁷، و بائعي الأدوية أو الصيادلة⁸، كما وجدت مهن الحمامين⁹، و الختانيين¹⁰، و الحلاقين¹¹، و أيضا مهن أصحاب الحمامات¹²، و نضيف إلى ما سبق حرفة البيطرة

-
- 1- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت 1987، ج3، ص- ص 56- 58، و ابن ميلاد: الطب العربي، المرجع السابق، ص- ص 32- 36.
 - 2- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 143.
 - 3- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، المصدر السابق، ص 58- 59.
 - 4- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص- ص 153- 161.
 - 5- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، المصدر السابق، ص 59.
 - 6- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 517- 519.
 - 7- الزبيدي: طبقات النحويين، المصدر السابق، ص 253، السقطي: آداب الحسبة، المصدر السابق، ص 41، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص- ص 158- 287.
 - 8- نفسه، ج2، ص 248. السقطي: آداب الحسبة، المصدر السابق، ص- ص 41- 47.
 - 9- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص 248- 249، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج3، ص 57.
 - 10- ابن ناجي: نفسه، ج2، ص 190.
 - 11- نفسه، ص 147.
 - 12- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 494، و ج2، ص- ص 151- 483.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

و يسميهم ابن سحنون "أهل المعرفة بأمراض الدواب"¹.

* **صناعة الوراقة**²: وكانت السجلات و الرسائل السلطانية و الإقطاعات و الصكوك في الرقوق من الجلد، ثم أشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغذ و اتخذه الناس من بعده³، و معلوم أن وفاة الفضل بن يحيى كانت سنة 193هـ / 809م، و قد انتشرت حرفة الوراقين ببغداد خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، إلى أن أصبح عدد حوانيتهم أكثر من مائة حانوت سنة 276هـ / 889م⁴، 889م⁴، و من المؤكد وجود صناعة الكاغذ في القيروان في العهد الأغلي⁵.

* **حرف أخرى وجدت في القيروان**: وجدت في القيروان مهن تعليم الصبيان⁶ و مهن الكيل والوزن⁷ ومهن المؤذنين في المساجد الكثيرة، و كذلك أهل المجانة من عيارين و شطار و زمامرة وضراطين⁸ وكذلك القوالين (المنشدين)، و وجدت دور الأذى و الفجور حسب تعبير محقق أحكام السوق⁹، ووجدت النائحات¹⁰ و حافروا القبور¹¹ و الحمالون¹².

1- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص- ص 182- 184.

2- هي معاناة الاستنساخ و التصحيح و التجليد و سائر الأمور الكتبية و الدواوين ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص532.

3- الطبري: التاريخ، المصدر السابق، ج8، ص341.

4- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص245.

5- عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج1، ص207، و ج2، ص164، محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص230.

6- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص356، و طبقات الخشني، المصدر السابق، ص265.

7- ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص- ص 35- 40.

8- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص143.

9- ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص133.

10- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص124.

11- سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج4، ص28.

12- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص- ص 129- 312.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تهيئته

ثالثا- التجارة و المبادلات التجارية

لقد عرف ابن خلدون التجارة بقوله: "أعلم أن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص و بيعها بالغلاء أيا ما كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش، و ذلك القدر النامي يسمى ربحا، فالمحاول لذلك الربح إما أن يخترن السلعة و يتحين بها حوالة الأسواق من الرخص إلى الغلاء، وإما أن ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة التجارة في كلمتين: اشتراء الرخيص و بيع الغالي، فقد حصلت التجارة"¹، و أعطى الجاحظ مبادئ هامة تصلح لكل تاجر فقال: "زعم بعض المحصلين من الأوائل أن الموجود من كل شيء رخيص بوجدانه غال بفقدانه، وقال الروم، إذا لم يرزق أحدكم في أرض فليتحول إلى غيرها"²، و قال الدمشقي: "التجارة إذا ميزت من جميع المعايش كلها وجدتها أفضل و أسعد للناس في الدنيا و التاجر موسع عليه و له مروءة"³.

تعتبر التجارة من أبرز النشاطات الاقتصادية التي ساهمت في بروز مدينة القيروان و أسرار دورها الحضاري، فعلى الصعيد الجهوي لعبت القيروان دورا هاما كمركز جذب و استقطاب للنشاط التجاري بفضل ما توفر بداخلها من مراكز لهذه التجارة و المتمثل في الأسواق التي وقع تنظيمها في عهد هشام بن عبد الملك⁴، و فيما يخص التجارة البعيدة أي الخارجية فقد ساهمت إلى حد كبير في إبراز مكانة القيروان و تطورها العمراني و استمرار دورها الحضاري⁵.

و لما بنى عقبة القيروان و أقام فيها، أمن لها طريق الجادة إلى الفسطاط أين كان يقيم أهالي الجيش⁶، و لما استقر الجيش في القيروان عرفت أماكن الأسواق فكانت رحبة التمر قرب الإمارة⁷، و اكتمل تنظيم المدينة مع نهاية فترة حسان الذي صالح من ألقى بيده على الخراج، و كتب الخراج

1- ابن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص494.

2- الجاحظ: التبصر بالتجارة، مخطوط دار الكتب الوطنية، تونس، رقم 672، ورقة 174أ.

3- أبو الفضل الدمشقي: الإشارة في محاسن التجارة، ميدياكوم، تونس 1995، ص38.

4- محمد سعيد : الحياة العلمية، المرجع السابق، ص49.

5- نفسه، ص49.

6- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص- ص 197- 199.

7- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص149.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تهيئته

على عجم افريقية، وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر و الروم و استقامت له افريقية¹، وقد زودت ناحية القيروان و افريقية المدينة الجديدة بأهم الضروريات من حبوب و زيوت و لحوم في إطار الخراج و غيره، و لا بد أن المصير الجديد جذب إليه تجارا من المشرق و من المدن الافريقية الأخرى، و أكملت فتوحات موسى و تنظيماته الوضع التجاري لمدينة القيروان و صالحتها مع محيطها، إذ كان ينقل العجم من الأقاليم إلى الأديان²، و في خلال ذلك تكونت إضافة إلى فئة التجار، و كان فيها تجار أثرياء يملكون أسواقا خاصة بهم مثل اسماعيل بن عبيد مولى الأنصار الملقب بتاجر الله³، فئة من الحرفيين ممن لا غنى لمدينة عنهم مثل صانعي السلاح و الحدادين و السراجين و الجزارين و الفرانين و الطباخين و غيرهم، و مع تطور المدينة و ازدياد عدد السكان تنوعت الأسواق و ازدادت الحاجيات و هو ما تطلب ترتيب الأسواق من طرف يزيد بن حاتم و جعل كل صناعة في مكانها⁴.

و السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف كانت تتم المبادلات الداخلية بين القيروان و النواحي المحيطة بها؟ و ما هي أنواع السلع المتبادلة؟ و ما هي أهم المسالك و الطرق؟ و ما دور الحسبة في محاربة الغش و الاحتكار و الحد منه في أسواق القيروان؟

1- التجارة الداخلية:

لقد كانت أغلبية سكان القيروان في حاجة إلى المواد الغذائية التي كانت ترد إلى أسواق القيروان من القرى و النواحي المحيطة بها، و فيما تمثلت هذه المواد و السلع الواردة إلى القيروان؟

* **الحبوب:** و هي أولى الضروريات و أساس المعيشة للناس و خيولهم منذ عهد الفتوحات، فقد ذكر ابن قتيبة أن لما قدم عطاء بن أبي نافع الهذلي في مراكب أهل مصر و كان يريد سردانية، فأرسي بسوسة، فأخرج إليه موسى الأسواق فشحن مراكبه⁵، و المؤكد أن أهم بضاعة اشتراها الناس كانت

1- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص34.

2- نفسه، ص38.

3- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 84- 85.

4- الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص11، و قال الزهري: "ذكر أنه كان فيها (القيروان) أربعمائة شاعر لا يمدحون ملوكا و لا وزراء و إنما يمدحون التجار و أولاد التجار"، كتاب الجغرافية، المصدر السابق، ص109.

5- ابن قتيبة : الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص57.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

الحبوب من قمح وشعير و غيره، قال عبد الله بن المغيرة في غزوة الأندلس: "ثم إن موسى التفت إلي فقال لي: كم معك من الزاد؟ قلت: ما بقي معي غير تليس"¹، و قبل معركة القرن و الأصنام أخرج حنظلة بن صفوان رجلا من لحم في أربعين ألف فارس، فقَاتلوه (عبد الواحد الهواري) بباجة شهرا، قال عمر بن غانم: "أخبرني أبي قال: لما كان اليوم الذي انهزمنا فيه، لم نصب شعيرا خيلنا فعلفناها القمح فأصاب خيلنا انتشار فلا تزال ترى صرعى"².

فمن المناطق التي كانت تزود القيروان بالحبوب هي فحص القيروان، و هو ما نفهمه من قول البكري عن محيط القيروان القريب: "و سائر جوانبها أرضون طيبة كريمة، و أحسنها الجانب الغربي وهو المعروف بفحص الدارة يصاب فيه في السنة الخصة للحنة مائة"³، و كانت منطقة الساحل أيضا تزود القيروان بالقمح⁴.

إضافة إلى الساحل و فحص القيروان، تزودت المدينة من ناحيتها الغربية و تمتد من منستير عثمان شمالا إلى منطقة قمودة جنوبا، و من ضواحي القيروان إلى أجز و ممس و حتى سبيبة غربا. كما تزودت القيروان بالقمح من منطقة زغوان، و هي ناحية اهتم بها الولاة منذ عهد معاوية بن حديج⁵، و خاصة في عهد حسان فقد سمي الفحص باسم نائبه على افريقية فحص أبي صالح⁶، صالح⁶، و كانت اول منطقة يفكر في غزوها موسى بن نصير، فهل كان ذلك لتأمين التزود بالطعام أم بحثا فقط عن السبي⁷؟.

-
- 1- ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص65.
 - 2- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص 81- 82.
 - 3- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص675.
 - 4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص- ص 127- 152.
 - 5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص30.
 - 6- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج4، ص33.
 - 7- ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص52.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

كما أمدت باحة القيروان بحبوبها (القمح و الشعير)¹، و قال فيها ابن حوقل: "كثيرة القمح والشعير، و لها من الغلات و الزروع ما ليس بجميع المغرب كهو عندها كثرة و جودة و نقاء إلى جوهر في نفس حبوبها و هي كثيرة الرخاء واسعة الفضاء غزيرة الدخل على السلطان، و افرة الأرباح على تجارها والمزارعين بها"²، كما أمدت القيروان بالقمح مجاناً³ و الأريس⁴ و غيرها من مناطق شمال شمال تونس الحالي وشرق الجزائر مثل تامديت و تيفاش و قصر الافريقي⁵.

و عموماً كانت الحبوب ترد على القيروان من مناطق مختلفة و من كل الجهات.

* **الزيت**: تتأقلم شجرة الزيتون مع كل مناطق افريقية و قد انتشرت في كامل ربوع افريقية منذ العهدين القرطاجي و الروماني، لكن الساحل و منطقة صفاقس هي المناطق التي اشتهرت بهذه الشجرة منذ العهد الروماني، فقد سميت مدينة قرب الجم "باجة الزيت" و هي تحتل موقعا وسط غابة الزيتون بالساحل⁶، و قد قال التجاني (زار المنطقة سنة 706هـ/ 1307م) عن زيتون الساحل: "وقد اذهب افساد أكثره، و غير بعد الاستواء أسطره، فكأنه كان مغروسا على حالة معلومة، و أسطر متناسبة منظومة، فأبطل الإفساد أكثر ذلك، و على هذا الزيتون كان مدار غلات افريقية في القديم"⁷.

و يبدو أن غراسة الزيتون ازدادت انتشارا بعد اضطرابات النصف الأول من القرن الثاني للهجرة (8م)، و أعطى الأمراء و الأشراف و القضاة المثل في ذلك بل افتخر سحنون بغرسته للزيتون بنفسه و قال لسعيد بن عباد بعد أن أراه صرة في يده فيها ثلاثون دينارا: "ما هي مال سلطان و لا

1- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص720.

2- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص76.

3- نفسه، ص84.

4- نفسه، ص86.

5- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص715.

6- عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج3، ص429.

7- التجاني: الرحلة، المصدر السابق، ص65.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

من تاجر و لا من وصية، و ما هي إلا من ثمن ثمرة غرستها بيدي¹، و كان يخرج و على كتفه المحراث و بين يديه زوج بقر مقرون².

و قد ذكر اليعقوبي الساحل فقال: "و مما يلي القبلة من القيروان بلد يقال له الساحل ليس بساحل بحر كثير السواد من الزيتون و الشجر و الكروم"³، كما ذكره البكري بنفس الوصف: "سواد الزيتون المعروف بالساحل"⁴، و ذكره معه صفاقس و قال عنها: "في وسط غابة زيتون، و من زيوتها يمتار أهل مصر و أهل المغرب و صقلية و الروم، و ربما يبيع الزيت منها 40 ربحا قرطبية بمثقال واحد، يقصدها التجار من الآفاق بالأموال الجزيلة لابتياح المتاع و الزيت"⁵، و جلب تجار الزيت إلى القيروان من قرية "الدواميس" التي قال عنها البكري: "و هي قرية كبيرة أهلة كثيرة الزيتون و الشجر و بينهما (هذه القرية و منزل باشو) قصر الزيت"⁶، و وفرت المنطقة الغربية للقيروان الزيت أيضا فقد قال البكري عن وادي الرمال: "و هي قرية زيتوها كثير"⁷.

* **الخضر و الغلال و الفواكه:** تزودت القيروان و ضواحيها من المناطق المحيطة بها و التي توفرت فيها الآبار و المياه على أودية زرود و مرق الليل و نهبانة، و اغلب خضر القيروان كان يوفرها محيطها القريب (في حدود المرحلة أي حوالي 60 كلم)⁸، و قد ذكرت المصادر من الخضر، الفقوس (الخيار)⁹ (الخيار)⁹

1- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص361.

2- نفسه، ص359.

3- اليعقوبي : البلدان، المصدر السابق، ص350، المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص227.

4- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج2، ص675، و ذكر ابن حوقل قبل قرن نفس الكلام، صورة الأرض، المصدر السابق، ص73.

5- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص669.

6- نفسه، ص704.

7- نفسه، ص710.

8- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص291.

9- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج3، ص72.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

و القثاء¹ والبول الأخضر² و البصل³.

كما تزودت القيروان بكثير من الغلال وفرها محيطها القريب و منها البطيخ⁴، و التين الذي توفره قلشانة⁵ والساحل و قلشانة⁶، و غلا كثيرة من جلولاء مثل قصب السكر و غيره، و منها كان كان يرد إلى القيروان كل يوم من أحمال الفواكه و البقول ما لا يحصى كثرة⁷، و المؤكد أن ثمار ناحية القيروان على كثرتها لا تفي بحاجة سكان هذه المدينة الهامة و ضواحيها و خاصة خلال القرن الثالث الهجري (9م)، لذلك كانت تصلها الثمار من تونس و زغوان مثل الرمان و الأترج و التين الحارمي والسفرجل و غيرها من الثمار⁸، و هناك ثمار لا توفرها ناحية القيروان و لا الشمال التونسي و هي من المنتوجات المرتبطة بتقاليد العرب في المشرق مثل التمور التي توفرها قسطيلية و قفصة و قال ابن حوقل عن تزويد قسطيلية للقيروان وغيرها من المناطق بتمورها، و لها نخيل كثير و التمر و القصب بها كثير، و هي مغوثة افريقية بتمورها و فيها الأترج الكثير⁹، و من أنواع التمور التي ذكرها البهلول وكانت تنتجها توزر و بلاد الجريد "الشداخ"¹⁰، وكانت القيروان تزود بالثمار حتى من المناطق البعيدة مثل التين من جزائر بني مزغناي و السفرجل من مقرة¹¹، و هذا يدل على كثرة استهلاك هذه المدينة و ارتفاع مستوى عيش بعض فئاتها من تجار كبار و قادة جيوش و ملاكين كبار و غيرهم¹².

1- الشماخي: السير، المصدر السابق، ص30، و ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص178.

2- يحيى ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص128، الرقيق القيرواني: التاريخ، المصدر السابق، ص121.

3- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص97.

4- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج3، ص72.

5- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص681.

6- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص350، المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص227.

7- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص685.

8- نفسه، ص- ص 696-697-705.

9- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص92.

10- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص138.

11- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص- ص 78-85.

12- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص291.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

و نظرا لأن الفواكه الكثيرة التي وفرتها ناحية القيروان كانت غير كافية لاستهلاك سكان القيروان وتصديرها إلى بلدان أخرى، فقد جلبت الفواكه من جزيرة شريك، و لها كورة تضاف إليها وغير غلة يعول التجار عليها¹، كما جلبت الفواكه و الثمار من قرطاجنة²، و من فواكه منطقة تونس تونس اللوز الفريك³، ووفرت منطقة قفصة الفستق⁴.

* **اللحوم و الألبان و العسل:** لقد وفرت المناطق المحيطة بالقيروان لحوم الأغنام، و كان بعض الأشراف يملكون الكثير منها مثل إسحاق بن يزيد بن حاتم الذي كانت له غنم كثيرة يأكل من خرافها و يشرب من ألبانها و ينتفع بأصوافها⁵، و مثل عبد الله بن أبي حسان اليحصبي، و كانت له منازل كثيرة تضم أغناما و ماشية كثيرة⁶، و قال المقدسي عن القيروان: "حسن الأخباز، جيد اللحوم و رخص عجيب اللحم، أمناء بدرهم"⁷، كما ذبح جزارو القيروان الأبقار و أحصي ما ذبح بالقيروان بالقيروان في بعض أيام عاشوراء من البقر خاصة فانتهى تسعمائة و خمسين رأسا⁸، و المؤكد أن سكان القيروان استهلكوا لحوما حمراء أخرى مثل الماعز و الإبل و استهلكوا أيضا اللحوم البيضاء، و كانت توفره ناحية القيروان و حتى داخل المدينة⁹، و قد وجد في القيروان سوق للدجاج¹⁰، و يتبع الدجاج البيض¹¹.

1- ابن حوقل : صورة الأرض، المصدر السابق، ص75.

2- نفسه، ص نفسها.

3- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص698.

4- نفسه، ص707.

5- الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص121.

6- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، م1، ص483.

7- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص224.

8- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص678.

9- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص380.

10- نفسه، ج2، ص146.

11- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص178.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

كما جلب الحوت إلى القيروان من صفاقس و المنستير و سوسة و صطفورة و طبرقة¹، و ذكر البكري من أجناس الحوت في تونس "العبانق، الأكتوبري، الأشبارش، الملكوس، و البقونس"². أما الألبان فقد وفرتها الأبقار و الأغنام في المنطقة القريبة من المدينة و يتبع الألبان السمن، وكانت الألبان من المواد التي يكثر فيها الغش بإضافة كميات من الماء أو يخلط لبن البقر مع لبن الأغنام³، و جلب السمن إلى القيروان من مناطق تونس و قرطاج و حتى من جزائر بني مزغناي⁴. كما وفرت جلولاء⁵ العسل، و اعتبر من أجود أنواع العسل⁶، و هي شهرة حافظت عليها إلى الآن، كما جلب العسل من ضواحي تونس و جزائر بني مزغناي⁷.

* **الصوف و الجلود و الحطب**: فالعوف وفرته ناحية القيروان و المناطق البعيدة لأنه سهل النقل وهو أساس صناعة النسيج، و قد وجد سوق في القيروان لبيع العوف و الغزل⁸، كما وفرت الأغنام والأبقار أيضا الجلود الضرورية للصناعة الجلدية⁹.

و باعتبار الحطب مادة ضرورية ليس عنها غنى¹⁰، فقد جلب إلى القيروان من ناحيتها أساسا، و قد تعامل سكان القيروان مع سكان الأرياف المحيطة بالمقايضة، و قد منع الفقهاء بعض

-
- 1- ابن حوقل : صورة الأرض، المصدر السابق، ص 75-76، و ذكر البكري عن طبرقة: "و كان يحمل إلى عبيد الله حوتها في العسل فيحفظه و يصله طريا"، المسالك، المصدر السابق، ص-ص 699-721.
 - 2- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص 699.
 - 3- يحيى بن عمر : أحكام السوق، المصدر السابق، ص-ص 50-63.
 - 4- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص-ص 75-77.
 - 5- البكري : المسالك، المصدر السابق، ص 685.
 - 6- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج 3، ص 84.
 - 7- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص-ص 75-77.
 - 8- المالكي : رياض النفوس، المصدر السابق، ج 2، ص 146.
 - 9- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص 293.
 - 10- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 403، و قال البكري: " و من عجائب القيروان أنهم يحتطبون الدهر من زيتونها ليس لهم محتطب غيره، و إن ذلك لا يؤثر في زيتونها و لا ينقص منه"، المسالك، المصدر السابق، ص 678.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهيرت

طرق البيع¹، و اشترى سكان الأرياف المنتوجات الحرفية و البضائع المستوردة من المشرق و صقلية والأندلس و السودان وغيرها².

تزودت القيروان بالسلع و البضائع المختلفة القادمة من أماكن شتى عبر مسالك و طرق معروفة، و من أهمها تلك التي ربطت القيروان بالكور المحيطة بها و بمدن المغرب و المشرق: طريق الجادة العظيمة، ثم طريق القيروان- قمودة، ثم طريق القيروان- سببية، و طريق القيروان- الأريس، و طريق القيروان- تونس (وكرة باجة و سطفورة)، و طريق القيروان- الجزيرة (شريك)، ثم طريق القيروان- سوسة، ثم طريق القيروان- جنوب الساحل³.

فطريق الجادة العظمى ربط القيروان بقابس و طرابلس ثم المشرق، و تربطه بالقرى القريبة منه مسالك فرعية تؤدي إلى المنازل و الضياع، و هذه المنازل و القرى تربط بينها طرقات تستعمل في الذهاب إلى الأسواق و المساجد، و في الذهاب إلى الضياع، و مدن الجادة العظمى: زرود⁴ وقلشانة⁵ وقلشانة⁵

1- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص163 و ما يليها.

2- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص293.

3- نفسه، ص172.

4- زرود: هو الوادي الذي يذكره البكري: "وادي الطرفاء كبير شتوي إذا حمل أهلك ما حوله من القرى و المنازل، و سعته إذا حمل أزيد من ثلاثة أميال، البكري: المسالك، المصدر السابق، ص681، و قد سمي بذلك الإسم تمثلا بزرود بين الثعلبية و الخزيمية (بين مكة والكوفة) التي سميت لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب لأنها رمال، الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص139، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص311، و قد اجتمع في زرود الجيش المتوجه لفتح العراق، و زرود من أمواه بني تميم وأسد، الطبري: تاريخ الرسل، المصدر السابق، ج3، ص486-487، و في قول البكري "أزيد من ثلاثة أميال" مبالغة واضحة حتى إذا أخذنا في الاعتبار تغير مجرى الوادي.

5- قلشانة: من القيروان إليها اثنا عشر ميلا (حوالي 20 كلم)، كبيرة أهلة بها جامع و حمام و نحو عشرين فندقا، و هي كثيرة البساتين و شجر التين، و أكثر تين القيروان الأخضر منها، و أبواب الدور بمدينة قلشانة قصار ليس تدخلها الدواب، فعلوا ذلك خوفا من نزول العمال و الجباة، البكري: المسالك، المصدر السابق، ص681، و "مدينة كبيرة أهلة و بها جامع" تعني مصر، أنظر ابن أبي زيد: الرسالة، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت 1993، ص94، و قد ذكرها اليعقوبي و قال عنها: "و هي موضع المعرس لمن خرج من القيروان و قدم إليها"، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص347، و ذكرها القاضي النعمان عند الحديث عن خروج زيادة الله الثالث من رقادة إلى مصر قال: "فأخذ إلى قلشانة جادة طريق مصر"، القاضي النعمان: الافتتاح، المصدر

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

و أليس¹، و المؤكد وجود قرى كثيرة حول هذه المدن، لكن المصادر لا تذكرها.

و الطريق الرابط بين القيروان و قمودة، و هي منطقة خصبة احتوت على منازل و قرى ربطت بينها طرقات فرعية ساعدت على نقل الخضر و الفواكه و الغلال و الأغنام إلى أسواق القيروان، قال عنها اليعقوبي: "و من القيروان مما يلي القبلة إلى بلاد قمودة و هو بلد واسع فيه مدن و حصون"².

و من المدن الهامة الأخرى التي ساهمت في تزويد القيروان بالحبوب و الأغنام و الخضر والغلال، طريق القيروان- سببية، و من قراها وادي الرمال و مدينة سببية و قرية الجهنيين و ممس و المشفق و قصر الخير و قصر الزرادية³.

و قد مثلت الطريق التي ربطت القيروان بالأريس محورا هاما في تزويد القيروان بالخضر والغلال والحبوب و هي طريق تصل القيروان ببلاد كتامة و المسيلة، و تصل حتى فاس، و هذه الطريق هامة جدا في التجارة البعيدة و استعملت في التجارة المحلية، و هي طريق غير آمنة دائما لأنها تشق جبالا و غابات، ولذلك قال البكري عن أجر: "و لها حصن و بها قنطرة، و هو موضع وعر كثير الحجارة متكابد المسالك ماسدة لا يكاد يخلو من أسد دائم الريح العاصفة، و لذلك يقولون: إذا جئت أجر فعجر فغن فيها أسدا يفري و حجرا يبيري و ريحا تذري"⁴، و من مدن هذه الطريق جلولاء و أجر الفهميين و جزيرة ابن حمامة والأنصارين⁵، و ترتبط هذه المدن و القرى مع القرى و المنازل المحيطة بها بطرقات فرعية و هنالك طرقات تربط هذه الطريق بطريق القيروان- سببية، أو طريق القيروان- تونس.

السابق، ص234، كما ذكرها ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص67، و المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص247، و ابن خرداذبة: المسالك و الممالك، المصدر السابق، ص87، "قلسانة" و اعتبروها مدينة.

1- قال عنها قدامة بن جعفر (ت 337هـ/ 949م)، و من أليس إلى باب مدينة القيروان أربعة و عشرون ميلا (حوالي 48 كلم)، قدامة بن جعفر: نبد من كتاب الخراج، دار صادر بيروت، د.ت، ليدن 1889، ص225.

2- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص349.

3- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص- ص 710 - 833 - 834.

4- نفسه، ج2، ص716.

5- نفسه، ص نفسها.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

و من المسالك الهامة أيضا طريق القيروان- تونس، و منه منستير عثمان¹، و هي منطقة خصبة منتجة للحبوب مرتبطة بباجة و صطفورة و تونس التي كانت "إحدى القيروانين"²، و أيضا المسلك الذي يربط القيروان بجزيرة شريك و قد رأينا أهمية هذه الكورة في إنتاج الثمار و الفواكه، و من قراها قرية الدواميس، و هي قرية كبيرة أهلة كثيرة الزيتون و الشجر بينها قصر الزيت و وادي الدمنة و فندق ريجان و وادي الرمان³.

و كان يرتبط الساحل بالقيروان بمسلكين أساسيين هما: القيروان - سوسة و القيروان- جنوب الساحل، و صفاقس، و ترتبط قراه و مدنه بطرقات فرعية كما يرتبط المسلك الأول بالثاني و بالمسلك الفرعية، و كان يضم شبكة كثيفة من الطرقات⁴.

و عموما توجد القيروان في ناحية تغطي عليها السهول و تسهل فيها التنقلات، و قد مهدت الدولة الأغلبية الطرقات و أصلحت طرقات العهد الروماني كما وفرت الأمن و الاستقرار و هو ما ساعد ازدهار التجارة المحلية و البعيدة و التي وفرت رؤوس الأموال لتطوير الزراعة و الحرف، فاستفاد الباعة و رخصت الأسعار في فترات الاستقرار، و إن كانت المصادر لا تذكر إلا أسعار فترات الاضطراب عادة، و قد استعمل التجار و المزارعون الدواب (خيول، بغال، حمير) و الجمال في نقل المواد الفلاحية من حبوب و زيوت و فواكه، و استعملوا العجلات⁵.

و لقد صاحب هذا التطور و التنوع في شبكة المواصلات و الازدهار المادي انتشار ظاهري الاحتكار⁶ و الغش¹، فنظرا لسنوات القحط² التي كانت تصيب افريقية و منطقة القيروان بالذات من

1- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص 693.

2- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص 151.

3- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص 704 - 705.

4- للمزيد عن هذه المسالك و الطرق ينظر، محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص- ص 279 - 295.

5- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص 49، ابن عذاري: البيان، المصدر السابق، ص 124.

6- الاحتكار: الحكر، ادخار الطعام للتربص، و صاحبه محتكر و الاحتكار جمع الطعام و نحوه مما يؤكل و احتباسه انتظار وقت الغلاء به و الحكرة: الجمع و الإمساك، ابن منظور: لسان العرب، م 1، ص 687، و اعتبر بن خلدون أن احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشؤوم، و أنه يعود على فائدته بالتلف و الخسران، لأن الناس لحاجتهم إلى الأقوات مضطرون إلى ما=

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

من فترة لأخرى و انتشار المجاعات، لقيت هذه المسألة اهتماما كبيرا من طرف فقهاء القيروان³، و رغم تمسك أغلبهم بمذهب مالك الذي يبيح الحكرة فقد قال ابن القاسم: "سمعت مالكا يقول الحكرة في كل شيء في السوق من الطعام و الكتاب و الزيت و جميع الأشياء و الصوف و كل ما يضر بالسوق و السمن والعسل و العصفور و كل شيء قال مالك يمنع من يحتكره كما يمنع من الحب قلت فإن كان ذلك لا يضر بالسوق قال مالك فلا بأس بذلك إذا كان لا يضر بالسوق"⁴، فإنهم اجتهدوا لمنع الاحتكار و خاصة في سنوات القحط كما ذكرنا.

و ازداد تشدد الفقهاء مع تطور حيل التجار و سعيهم إلى الربح الفاحش و لأن الواقع يفرض نفسه ويتجاوز فقه الطبقات السابقة من رجال القرن 2هـ / 8م مثل مالك و ابن القاسم ولأن الفقهاء أنفسهم يضطرون للدفاع عن الفئات التي ينتمون عليها و هو ما عبر عنه صراحة يحيى بن عمر بقوله في هؤلاء المحتكرين إذا احتكروا الطعام و كان ذلك مضرا بالسوق: "أرى أن يباع عليهم فيكون لهم رأس أموالهم والربح يؤخذ منهم يتصدق به أدبا لهم و ينهوا عن ذلك فإن عادوا كان الضرب و الطواف و السجن لهم، وأرى هؤلاء البدويون إذا أتوا بالطعام ليبيعوه في سوق المسلمين وأنزلوه في الفنادق و الدور فأرى على صاحب السوق أن بأمرهم ألا يبيعوه إلا في أسواق المسلمين حيث يذكره الضعيف و القوي و الشيخ الكبير والعجوز، و يمنع الحناطون أن يشتروا في الدور إذا

=يبدلون فيها من المال اضطرارا، و ما عدا الأقوات و المأكولات من المبيعات لا اضطرار للناس إليها، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 497-498.

1- الغش نقيض النصح، و في الحديث: من غشنا فليس منا، أي ليس من أخلاقنا و لا على سنتنا و شيء مغشوش، ابن منظور: لسان العرب، م4، ص990، و قال ابن خلدون أن خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء و بعيدة من المروءة و تتفاوت هذه الآثار بتفاوت أصناف التجار في أطوارهم فمن كان سافل الطور محالفا لأشرار الباعة أهل الغش و الخلافة و الخديعة والفجور في الإيمان إقرارا وإنكارا، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص500.

2- ابن سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج3، ص290.

3- الحبيب الجناحاني: المغرب الاسلامي: المرجع السابق، ص 59-60، و من سنوات القحط التي ذكرتها المصادر سنة في عهد موسى بن نصير (85-95هـ)، ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص85 و سنة 260هـ و 316 و 395هـ، ابن عذاري: البيان، المصدر السابق، ص- ص 116-237، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 242-303، و ج2، ص- ص 38-150.

4- سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج3، ص290.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

كان السعر غاليا مضرا بالأسواق¹، و منع الاحتكار بصفة عامة في وقت الغلاء و أبيع في وقت الكثرة و الرخص².

و هذا الموقف السلبي من الاحتكار و تصرفات الفقهاء تدل على وجود الاحتكار و ربما على كثرة المتعاملين به و هو ما جعل يحيى بن عمر يقف من البدويين هذا الموقف، و هم الذين يزودون مدن الناحية وخاصة القيروان بالحبوب و هي أولى الضروريات في حياة الناس³.

أما عن أنواع الغش التي انتشرت في القيروان فنجد خلط القمح الطيب بالقمح الدون⁴، و خلط لبن البقر و لبن الغنم و خلط العسل الطيب بالرديء و خلط الزيت القديم بالزيت الجديد و خلط اللحم السمين و اللحم الهزيل⁵، و قال القاضي عبد الله بن أحمد بن طالب: "قد نهيت الجزارين أن يخلطوا الفؤاد مع اللحم"⁶، و من الغش عيوب الدواب و هي حسب ابن سحنون الدحص و الجرد و التفسيل و البياض في العين و الشموسة و الحرن و ضعف الأكل⁷، و من عيوب عيوب البقر: الرقاد في الحرث و النفور عند الحلاب و النطاح للبهائم و الآدميين⁸، و من عيوب الغنم العور و نقصان الضرع و النفور الخارج عن المعتاد عند الحلابة و التي لا تتم حملها و تسقطه قبل أوان الوضع و التي تلد بلا ضرع و لا لبن، و كذلك سقوط الأسنان و الجرب⁹، و يرى ابن سحنون من العيوب التي تلزم البائع الأمراض القديمة للدواب¹⁰.

1- يحيى بن عمر : أحكام السوق، المصدر السابق، ص- ص 113- 116.

2- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص306.

3- نفسه، ص306.

4- يحيى بن عمر : أحكام السوق، المصدر السابق، ص59.

5- نفسه، ص- ص 63- 68.

6- نفسه، ص119.

7- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص216.

8- نفسه، ص217.

9- و ذكر الونشريسي عيوب الدواب و المثليات، الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج6، ص- ص 49- 51.

10- نفسه، ص182.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيممته

و من أكثر أنواع الغش نقص الوزن مثل الخبز قال يحيى أرى أن يؤدب صاحب الفرن على الخبز الناقص و يخرج من سوق المسلمين¹ و كذلك التطفيف في الكيل².

و من أنواع الغش الشهيرة غش العملة التي تكون ناقصة أو زائفة أو رديئة³، و أول ما نظر سحنون في الأسواق فنظر فيما يصلح من المعاش، و ما يغش من السلع، و يجعل الأمانة على ذلك، و يؤدب على الغش، و ينفي من الأسواق من يستحق ذلك و أول من قدم أمانة في البوادي⁴.

و قد عرفت القيروان مثل كل المدن الاسلامية مشاكل الصرف و غش الصيارفة فقد أمر قاضي القضاة عبد الله بن أحمد بن طالب الصيارفة أن ينظروا في "كتاب الصرف"⁵، كما عرفت التعامل بالربا الذي جوزه ابن الأشج⁶، و تسبب التزييف في إصلاح العملة فضرب ابراهيم بن أحمد الدراهم الصحاح، و قطع ما كان يتعامل به من القطع، فأنكرت ذلك العامة، و غلقوا الحوانيت، و تألفوا، و صاروا إلى رقادة⁷، كما عرفت أنواع البيوع التي عرفتھا المدن الاسلامية بما فيها المحرمة و المكروهة من بيوع بالآجال و بيوع فاسدة و مراجعة و بيوع الغرر⁸، و عرفت مع ناحيتها "المزابنة" وهي وهي بيع الثمر بالتمر كيلا⁹، و المساومة و المبايعة و تلقي الركبان رغم نهي الرسول صلى الله عليه و سلم الذي قال: "لا تلقوا الركبان للبيع، و لا يبيع بعضكم على بيع بعض، و لا تناجشوا، و لا

-
- 1- ابن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص 56-57 و 108-111.
 - 2- نفسه، ص- ص 35-108، ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص 175-176.
 - 3- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص- ص 172-174، و يقول ابن عمر: "و لا يغفل النظر إن طهر في سوقهم سوقهم دراهم مبهرجة أو مخلوطة بالنحاس" أحكام السوق، المصدر السابق، ص 33.
 - 4- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، م 1، ص 600.
 - 5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 507.
 - 6- نفسه، ص نفسها.
 - 7- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 120.
 - 8- سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج 3، ص- ص 108-206-244.
 - 9- الإمام مالك: الموطأ، المصدر السابق، ص 402.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

بيع حاضر لباد"¹، و عرفت أيضا أنواع التجار من خزان و ركاض و مجهز²، و ألف بعض الفقهاء في مسائل السماسرة³.

إن التطور التجاري و استفحال ظاهرة الغش و الكيل و الاحتكار من جهة و نظرة الدولة إلى الأسواق كمصدر للدخل من جهة أخرى استدعى و استوجب تكوين أداة إدارية مهمتها الاشراف على تنظيم الأسواق للحد من ظاهرة الاحتكار و الغش و كذا ضمان استمرارية تدفق الدخل فتمثلت تلك الأداة في صاحب السوق أو المحتسب⁴، فما المقصود بالحسبة؟ و كيف تطورت في القيروان، و ما مدى تحقيقها لأهدافها المنشودة؟

* **الحسبة**⁵: وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا، و يتخذ الأعوان، و يبحث عن المنكرات و يعزز و يؤدب على قدرها و يحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات، و الحكم فيما يتعلق بالغش و التدليس في المعايش و غيرها في المكاييل و الموازين⁶، و هذه الخطة عرفتها كل المدن الاسلامية و كتبت في شأنها الكتب الكثيرة و من بينها في آداب الحسبة للسقطي الذي عرف الحسبة و ربطها بالسوق أساسا و بعض المصالح العامة و باب في مسائل الاحتساب من نوازل ابن

1- الإمام مالك: الموطأ، المصدر السابق، ص443.

2- الدمشقي: محاسن التجارة، المصدر السابق، ص- ص 39- 41- 42.

3- (M) Talbi, Les courtiers en vêtements en Ifriqiya au 9- 10^{ème} siècle d'après les Masa'il al- samasira d'al- ibyani, Etudes d'histoires ifriquienne, publication de l'université de tunis, 1982, p. p 231- 262.

4- أحمدو تال ديالو: الصناعة بالقيروان، المرجع السابق، ص107.

5- الحسبة : أطلق على الموظف الذي يشرف على السوق اسم "العامل على السوق" أو "والي السوق" أو "ناظر أحكام السوق"، حيث ورد في النقائش الجنائزية بالقيروان أن عمر بن علي (ت 430هـ) كان ناظر سوق ابن هشام،

P. Poinssot, inscriptions, op.cit, p478

أو صاحب السوق، ابن أبي زيد: النوادر، المصدر السابق، ج8، ص82،

Cahen claude, les peuples, op.cit , p313.

6- ابن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 280- 281.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

سهل¹، و قد مرت الحسبة في القيروان بمراحل، فقد كان ينظر في الأسواق الولاية²، و يبدو أن أول من نظم أسواق القيروان و الي هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان (103-109هـ/ 721-728م) لأنه هو الذي رتب سماط سوق القيروان وجعله سطحاً متصلاً فيه جميع المتاجر والصناعات³، ثم قام بترتيب الأسواق بعد ذلك يزيد بن حاتم⁴، و يبدو أن النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة شهد تطور مدينة القيروان نتيجة النشاط التجاري و استقرار الأوضاع السياسية لكن المصادر لا تذكر إلا فترة فصل خطة الحسبة عن مهام الوالي و إلحاقها بقاضي القضاة، قال عياض: "أول ما نظر سحنون في الأسواق، و إنما كان ينظر فيها الولاية دون القضاة"⁵.

و هناك من عرف الحسبة على أنها مؤسسة حكومية تشرف على الانتاج و تراقب و سائله وقواه علاقاته⁶، و يعتبر القاضي سحنون مؤسس خطة الحسبة بالقيروان، فقد جعلنا مستقلة عن سلطة الوالي لأول مرة فكان أول محتسب معين و أصبح يختار محتسبين مستقلين نواباً عنه⁷ في البوادي و المدن الإفريقية و حدد صلاحيات هذه الخطة و هي النظر في الأسواق و تغيير المنكر و فرض مذهب الأغلبية و مراقبة المساجد و التعليم و الطرق، و تولى بفضل شخصيته القوية، و مكانته العلمية تعيين و الي المظالم، فصار صاحب هذه الولاية الكبرى يعين من طرف القاضي أو من طرف الأمير⁸، فقد قال الدباغ: "و كان سحنون أول من اتخذ صاحب مظالم"¹، و هي أن يحكم بين

بين

-
- 1- ابن سهل: النوازل، نشره التهامي أزموري، تقديم كلود كاهن بمجلة Hesperis Tamuda، المجلد 14، سنة 1973، ص- ص 7-107.
 - 2- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، م1، ص600.
 - 3- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص677.
 - 4- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص78.
 - 5- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص309.
 - 6- محمد حسن: المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، تونس 1999، ص465.
 - 7- الفاسي عبد الرحمن: خطة الحسبة في النظر و التطبيق و التدوين، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984، ص60، القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، م1، ص604.
 - 8- الفاسي: نفسه، ص60.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

الناس في الأسواق و أذن أن يحكم في عشرين ديناراً².

و كان أول من تولى الحسبة لسحنون حبيب بن نصر التميمي³، و لما ولي عيسى بن مسكين القضاء في عهد الأمير ابراهيم بن أحمد (261-289هـ / 874-902م) عين أبا الربيع سليمان بن سالم الكندي القطان (ت 289هـ / 902م) والياً على المظالم⁴.

لقد شهدت الحسبة تطوراً واضحاً في عهد عبد الله بن أحمد بن طالب (ت 275هـ / 888م) الذي فوض إليه ابراهيم بن أحمد النظر في الولاية و الجباة و الحدود و القصاص و العزل و الولاية، فقطع المنكر والملاهي من القيروان و ضيق على أهل القيروان ف ملاهيهم و ملاعبهم⁵، و ابن طالب هذا هو الذي فرض على الصيارفة النظر في "كتاب الصرف"⁶.

و نستنتج أن الحسبة أصبحت من الوظائف الهامة نظراً لتطور الاقتصاد و المجتمع في افريقية في النصف الثاني من القرن 3هـ / 9م، و خاصة في عهد ابراهيم بن أحمد (261-289هـ / 875-902م) ويتضح ذلك من تكليف الأمير محمد بن محمد بن خالد القيسي و من تغير المبلغ الذي ينظر فيه من عشرين ديناراً في عهد سحنون إلى مائة دينار في آخر العهد الأغلي و هذا يدل على ارتفاع الأسعار و تغير الحالة الاقتصادية للمجتمع⁷، ما يدل على تطور الحسبة ظهور مصنف "أحكام السوق"⁸ ليحيى بن عمر ونحن نعرف أن الواقع هو الذي يفرض القوانين و لولا مشاكل

1- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص198.

2- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص199.

3- يحيى بن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص31، و أخبرنا القاضي عياض أن حبيب هذا هو أول صاحب مظالم في القيروان، و ذلك سنة 236هـ / 851م، و حدد به سحنون وظيفته بالحكم بين الناس فيما يحدث لهم في الأسواق، القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج3، ص246، الدباغ: معالم، ج2، ص198-199.

4- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج3، ص220، الدباغ: معالم، المصدر السابق، ج2، ص207.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص476-477.

6- نفسه، ص507، و كتاب الصرف من المدونة موجود في المجلد الثالث، ص- ص89-113.

7- ابن عبد الخليل محمد الحبيب: المجتمع الافريقي من خلال كتاب طبقات أبي العرب، شهادة الكفاءة في البحث، تونس 1986، ص26.

8- فقد ذكرت فاطمة بلهوارى أن هذا المصنف لصاحبه يحيى بن عمر أعطى لنا صورة واضحة عن الصناعة، و كشف قضايا عدة تخص فئة الصناع، فقد جاء حديثه مركزاً على المعاملات التجارية داخل السوق، من شراء و بيع و غش و تدليس، كما=

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيممته

السوق و المجتمع لما سئل ابن عمر تلك الأسئلة الكثيرة حول الغش و التطفيف و التسعير و غيرها، و هي مسائل تدلنا على واقع الحياة و مشاغل الناس اليومية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (9م).

لقد تطورت الحسبة حين تجاوزت أحكام السوق إلى مسائل تضم الأخلاق و أحكام البنين والنظافة و أهل الذمة و الصيارفة، حيث سئل ابن عمر إضافة إلى أحكام السوق (من غش و تطفيف و احتكار و مراقبة الحرفيين) عن مسائل تهم حياة الناس عامة مثل حماية العامة من تصرفات الجزارين و البقالين و غيرهم الذين يخلون السوق لواحد منهم، و الآداب العامة كحضور العرس و الختان الذي يسمع فيه صوت بوق أو ضرب كبر، أو يعلم أن فيه شرابا مسكرا و الحكم في دور الأذى و الفجور، و بيع الدوامات و الصور للصبيان و قطع النيذ و التضيق على أهله¹ و عن دخول النساء الحمام من غير مرض و لا نفاس و منعهن من الخروج إلى المقابر و لبس الأخفاف الصرارة و بكاء أهل الميت على الميت، و مسائل تهم نظافة الأنهج و الأسواق و حكم أبواب الدور أو من حفر حفيرا حول أرضه أو داره²، و مسائل عامة حول سلوك أهل الذمة من يهود و نصارى³ و الحكم في الصيارفة⁴.

إن نظام الحسبة تواصل تطوره في القيروان مع تطور الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في العهد الفاطمي فقال عنها ابن خلدون: " و قد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيديين بمصر و المغرب و الأمويين بالأندلس داخلة في عموم ولاية القاضي، ثم اندرجت في وظائف الملك و أفردت بالولاية⁵، و هذا التطور جعل من نشاط المحتسب يتمثل في القيام بشؤون مدنية بلدية⁶.

= أمكن من استنباط مادة تخص بعض الصناعات مثل تشديده على الحنطين و الصناعات التي تخالف الشرع الاسلامي، فاطمة بلهوارى: المرجع السابق، ص 235.

1- يحيى بن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص - ص 71 - 135.

2- نفسه، ص - ص 86 - 95.

3- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص 312.

4- نفسه، ص نفسها.

5- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 281.

6- كلود كاهن و محمد الطالبي: الحسبة، دائرة المعارف التونسية، كراس عدد 4، بيت الحكمة 1994، ص 189.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

* الموارد المالية:

- الجباية¹ و الخراج: لقد فرق ابن خلدون بين الجباية في أول الدولة و آخرها فقال: "أعلم أن الجباية أول الدولة تكون قليلة الزوائع كثيرة الجملة و آخر الدولة تكون كثيرة الزوائع قليلة الجملة والسبب في ذلك أن الدولة إن كانت على سنن الدين فليست تقتضي إلا المغارم الشرعية من الصدقات و الخراج و الجزية، فإذا قلت الزوائع و الوظائف على الرعايا نشطوا للعمل و رغبوا فيه فيكثر الاعتماد، و إذا كثرت الاعتماد كثرت أعداد تلك الوظائف و الزوائع فكثرت الجباية، فإذا استمرت الدولة و اتصلت و تعاقب ملوكها، وجاء الملك العضوض و الحضارة الداعية إلى الكيس، فيكثرون الوظائف و الزوائع، و يضعون المكوس على المبايعات في الأبواب ثم تتدرج الزيادات لتدرج عوائد الدولة في الترف و كثرة الحاجات و الانفاق بسببه حتى تثقل المغارم على الرعايا فتنبض كثير من الأيدي عن الاعتماد جملة فتنقص جملة الجباية فلا تزال الجملة في نقص و مقدار الزوائع والوظائف في زيادة إلى أن ينتقص العمران و يعود و بال ذلك على الدولة"².

و رأي ابن خلدون ينطبق إلى حد ما على الفترة التاريخية التي نحن بصدد دراستها، فقد بدأت الجباية بالمغارم الشرعية (الصدقات والخراج و الجزية) و تطورت مع تطور الحضارة بافريقية في العهد الأغلبي، و كانت من نقاط الضعف التي استغلها أبو عبد الله الشيعي ضد حكام رقادة حيث أدخل إصلاحا جبائيا في المناطق التي احتلها جيشه³.

و انقسمت الجباية في القيروان إلى قسمين:

- الجباية المرتبطة بالزراعة: إن أول من نظم افريقية كما رأينا هو حسان بن النعمان الذي دون الدواوين وصالح من ألقى بيده على الخراج و كتب الخراج على عجم افريقية و على من أقام معهم

1- الجباية لغة من جى الخراج يجباه و يجبيه: جمعه، و جبيت الشيء إذا خلصته لنفسك و جباية الخراج جمعه و تحصيله، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م، 1، ص 399-400، و يذكر الله تعالى الخراج في قوله سبحانه: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ

خَرْجًا عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾، سورة الكهف، الآية 94.

2- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 344-345.

3- الحبيب الجناحاني: المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص 82.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

على النصرانية من البربر و الروم¹، و هو الذي أقام بالقيروان بعد إتمام فتح افريقية و هزيمة الكاهنة، فعمرها المسلمون و انتشروا و كثروا فيها و آمنوا، و ولي حسان على صدقات الناس و السعي عليهم حنش بن عبد الله الصنعاني "التابعي"².

و بعد حسان يأتي دور موسى بن نصير الذي كان على خراج البصرة، و هو الذي قال عنه الحجاج بن يوسف: "لا قدر لما اقتطعه موسى بن نصير من أموال العراق"³، إذن ولي افريقية أحد العارفين بأمور الخراج و قد يكون كلف بالخراج و الصدقات و الجزية بعض مواليه الكثيرين الذين قال عن عددهم: "نعم وألفا و ألفا حتى ينقطع النفس، لقد خلفت من الموالي ما أظن أن أحدا لا يخلف مثلهم"⁴.

و بعد موسى يأتي دور ابنه عبد الله بن موسى، و في عهده حدثت تجاوزات الولاة و الجبابة في جمع الخراج، بدليل أن الخليفة سليمان بن عبد الملك وجه رجلا ثقة عنده يقبض خراج افريقية وأمر (الوالي) أن لا يوجه بما حصل من ذلك إلا مع عشرة عدول من أهل القيروان يصحبون المال حتى يصل إليه، ويشهدون عنده أن هذا المال أخذ من وجهه⁵.

كما تحدثنا سابقا عن دور سياسة عبد الله بن الحبحاب الجبائية⁶، و عن الجباية المرتبطة بالزراعة في ناحية القيروان تشير المصادر على تعسف الجبابة و من ولاهم من الأمراء، فكان أول إجراء جبائي ثقيل على السكان في العصر الأغلبي ذلك الذي اتخذه الأمير الأغلبي الثاني عبد الله بن ابراهيم (196- 201هـ / 812- 817م)⁷، إذ قال ابن عذارى: "أحدث بافريقية وجوها من

1- الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص34.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص57.

3- ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص49.

4- نفسه، ص70.

5- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ص127.

6- للمزيد عن هذه السياسة الجائرة لعبيد الله بن الحبحاب و واليه على طنجة عمر بن عبيد الله المرادي الذي أساء السيرة وتعدى في الصدقات و العشر و أراد تخميس البربر فكانت ثورة البربر الأولى في المغرب الأقصى و افريقية و الاسلام، ينظر، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 51- 52.

7- الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 80- 81.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

الظلم شنيعة، منها أنه قطع العشر حبا، و جعله ثمانية دنانير للقفيز أصاب أو لم يصب"¹، و لكن إشارة المالكي تبقى أكثر وضوحا فقال: "وكان (عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب) قد جعل على كل زوج تحرث ثمانية دنانير"².

و اعترف زيادة الله بتعسف الجبابة، فلما أتى إليه بجراب فيه مال من قسطنطينية، ففرغ بين يديه فإذا فيه خلاخيل و أسورة و حلي من حلى النساء، و دنانير عينا، قال للقوم الذين حضروا: "و الله ما أعطى هذا أهله و هم طائعون"³، و مما يدل على تجاوزات الجبابة و أخذهم الأموال لأنفسهم تفويض ابراهيم بن أحمد إلى القاضي عبد الله بن أحمد بن طالب النظر في الولاة و الجبابة و الحدود والقصاص و العزل والولاية⁴.

و لما استقام أمر أبي عبد الله الداعي بكتامة أراد ابراهيم بن أحمد أن يرضي العامة و يستميل قلوب الخاصة بفعله، رد المظالم، و أسقط القبالات، و أخذ العشر طعاما، و ترك لأهل الضياع خراج سنة، و سماها سنة العدل⁵، كما أظهر ابنه أبو العباس التقشف، و الجلوس على الأرض، لكن الدعوة الشيعية كانت قد تغلغلت في كتامة حيث أدخل (الشيعة) إصلاحا جبائيا في المناطق التي احتلها جيشه فخفف من شدة الضرائب⁶، و يذكر ابن عذارى في أحداث سنة 291هـ / 903-904م، و فيها قتل هذيل النفطي صاحب ديوان الخراج⁷.

و في سنة 297هـ / 909-910م وصل عبد الله المهدي إلى رقادة و ولى على ديوان الخراج أبا القاسم بن القديم فاشتدت وطأة الجبابة في العهد الفاطمي⁸، فكان الذي يتولى الخراج يصبح من

1- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص95.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 331-332.

3- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص169.

4- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص476.

5- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ص131.

6- الحبيب الجنحاني: المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص82.

7- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص136.

8- نفسه، ص- ص 173-181.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تهيئته

أثرى الأثرياء و من الذين يملكون القرى بأكملها، و مما يدل على تعسف الجباة وصف البكري لأبواب دور مدينة قلشانة بقوله: "و أبواب الدور بمدينة قلشانة قصار ليس تدخلها الدواب، فعلوا ذلك خوفا من نزول العمال و الجباة"¹.

— الجباية المرتبطة بالتجارة و الحرف: لقد كانت القيروان عاصمة لإمارة شاسعة فكانت أكثرها تجرا وأموالا، و اكن فيها ديوان جميع المغرب و إليها تجي أموالها²، و قد ذكر البكري عند الحديث عن عن طريق القيروان- سببية وجود مرصد قرب قرية الهري³، في سهل القيروان، و قد وضع لفرض الضرائب على التجار القادمين من المغرب الأوسط و الأقصى، و كان تجار المدينة الغربية يدفعون كراء حوانيتهم التي كانت ملكا للدولة فقد ذكر الدباغ في ترجمة أبي محرز أن الصف القبلي كانت دورا لقوم، فبنيت حوانيت و سميت "الجدد"⁴.

و الضرائب التي كانت تفرض على الدور و الأسواق و الخانات و الطواحين التي بناها الناس على أراض حكومية تعرف بالغلة أو المساعلات، حيث ذكر سحنون في مدونته: "أرأيت الذي يستأجر الغلمان الحمامين على أن يأتوه بالغلة... قال مالك لا بأس بذلك"⁵، و قال ابن ناجي:

1- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص681.

2- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص94، و أضاف في نفس الصفحة ما يمكن أن يكون صالحا للقرن الرابع هجري والقرن الثالث قبله: "و ما يؤخذ عما يرد من بلد الروم و الأندلس فيعشر على سواحل البحر، و ما يلزم الخارج من القيروان إلى مصر ويلزم ما يرد منها من الورق و المقوم بقيمة العين و العين المحتى من هذه الوجوه".

3- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص833.

4- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص37، و ذكر المقدسي عن القيروان: "و الضرائب موضوعة على أصحاب الدكاكين"، المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص225.

5- القاضي سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج3، ص404.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

"وما يأخذه القضاة من كراء تلك الحوانيت في مرتباتهم لا يجوز، و هو مكس¹، و جرت في إمامتهم وشهادتهم"²، وكان الجباة يأخذون ربع درهم على الباب³ على كل دابة.

و المكس⁴، فقد أنشأت الدولة محلات خاصة عرفت بالمراسد⁵، و فرضت ضريبة على الصناع الذين يستوردون البضائع و خاصة المواد الأولية من الخارج، و كانت هذه الضريبة تمه الصناع الذميين (و لا سيما اليهود) أكثر من غيرهم، لكونهم لعبوا في التجارة الدولية دورا تاريخيا هاما⁶، ولذلك نرى صاحب النوادر يذكر الذميين أكثر من غيرهم عندما يتكلم عن المكس⁷.

و من إشارات المصادر العامة حول المكوس أن ابراهيم بن أحمد أظهر في سنة 289هـ/ 902م التوبة، و أسقط القبالات⁸، فهذه القبالات لا تكون إلا على الأسواق أو الحرف، و قد

1- قال عنها ابن خلدون : "ثم لا تلبث الدولة أن تأخذ بدين الحضارة في الترف، فيكثر لذلك خراج أهل الدولة و يكثر خراج السلطان خصوصا، فسيحدث صاحب الدولة أنواعا من الجباية يضربها على البياعات و يفرض لها قدرا معلوما على الأثمان في الأسواق و على أعيان السلع في أموال المدينة"، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص246.

2- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ص38، و المكس: الجباية و النقص و الظلم، و هو ضريبة من بائعي السلع في الأسواق.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص337.

4- هو ما يأخذه أعوان الدولة عند بيع أمتعة معينة أو عند إدخالها إلى المدن، ابن سحنون : المدونة، المصدر السابق، ج1، ص239، الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج2، ص492-493، ويمكن أن يلاحظ من ترجمة الفقيه اسماعيل بن رباح الجزري أن فقهاء القيروان كانوا يجوزون المكس، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص337، و للوقوف على أنواع المكس وعلى صور حية عن المشاكل التي كان يتعرض لها المغاربة في مراكز التمكيس أثناء سفرهم إلى بلاد الشرق، أنظر أحمد الشتيوي: مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة و الأندلسيين و ثقافتهم بين القرنين 6-12هـ/ 12-18م، أطروحة دكتوراه، إشراف علي الشنوفي، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 1988، ج1، ص- ص532-540.

5- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص- ص71-235-242.

6- على أن وثائق الخنيزة تقدم أحسن مثال على ذلك D, Goitein, la tunisie du 11^{émé} siècle à la lumière des documents de la Geniza du caire, dans etudes d'orientalisme dédiées à la mémoire de E.Lévi- provençal, paris, maisonneuve et larose, 1962, T2K p- p 559- 579.

7- ابن أبي زيد: النوادر، المصدر السابق، ج2، ص212، إدريس هادي روجي: الدولة الصنهاجية، المرجع السابق، ج2، ص- ص382-212.

8- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص131.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

جعل الشيعة على الملح القبالة¹، وقد تقبل السوق في قرية من قرى الساحل أحد اليهود و الذي يعمل الخبز هناك²، و كان والد حشيش بن يحيى بن محمد بن حشيش ولي بعض معادن افريقية³، كما ذكر البكري أرقام صول مكوس أبواب مدينة القيروان⁴ قوله حول أحد أبواب صيرة: " و يذكر أنه كان يدخل واحد أبوابها كل يوم ستة وعشرون ألف درهم"⁵.

* الجزية: و هي مبلغ من المال يفرض على رؤوس أهل الذمة من اليهود و النصارى و غيرهم الجوس والصابغون، و قال سحنون: " و على كل من كان على غير الاسلام أن تأخذ منهم الجزية عن يد وهو صاغرون"⁶، و لفظ الجزية لفظ قرآني ورد في الآية الكريمة: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾⁷، و لم يذكر لفظ الجزية عندما دون حسان الدواوين لكن نفهم ذلك ضمينا من قول الرقيق: " و كتب الخراج على عجم افريقية، و على من أقام معهم على النصرانية من البربر والروم"⁸، و قد ذكر ابن عذارى جزية اليهود و النصارى في مدينة طبنة و كانت تابعة للأغالبة⁹، كما ذكر ابن حوقل الجوالي على اليهود في قابس¹⁰، و جوالي تصل إلى القيروان من كور المغرب¹¹.

-
- 1- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج3، ص27، و القبالة: الأداء، و القبالة: مصدر قبل: كفل، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م5، ص13.
 - 2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص273.
 - 3- نفسه، ص321.
 - 4- الحبيب الجنتحاني: المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص52-53.
 - 5- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص677.
 - 6- ابن سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج1، ص241، ابن أبي زيد: النوادر، المصدر السابق، ج2، ص213.
 - 7- سورة التوبة، الآية 29.
 - 8- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص34.
 - 9- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص141.
 - 10- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص72، الجوالي: اليهود الذين أحلوا عن الجزيرة العربية، ثم اتسع مدلول الكلمة ليشمل الجزية.
 - 11- نفسه، ص94.

2- التجارة الخارجية:

لقد مثلت القيروان مركزا تجاريا حيويا ، فتوسعها العمراني ارتبط بازدهار التجارة بها، و قد عكس ذلك مظاهر الثراء خاصة في عهد الأغلبة الذين اهتموا هم أيضا بطرق المواصلات البرية والبحرية، إذ عرفوا بأسطولهم البحري القوي الذي كان يجوب سواحل البحر المتوسط¹، و توسع النشاط التجاري من خلال القوافل ليشمل مناطق مختلفة من البلاد الإسلامية فضلا عن السودان الغربي، و من العوامل التي ساعدت على هذه الحيوية التجارية ازدهار النشاط الزراعي، فتنوعت المحاصيل الزراعية مثل الزيتون والقمح، و كان لصناعة النسيج و الزجاج و الذهب² شأن كبير في التطور الاقتصادي، و هذه المنتجات كانت بلا شك مواد للتبادل التجاري مع المناطق المجاورة.

لقد ربطت القيروان علاقات مع المشرق و بقية العالم الإسلامي و الأوروبي، و في هذا الإطار اعتبرت القيروان همزة وصل بين العوالم المختلفة، و من أبرز ما ميز المدينة في هذه الفترة كونها سوقا للرقيق بفضل الغزوات المستمرة ضد البربر و ضد الروم (صقلية و سواحل أوروبا) و قد ذكر ابن عذارى كيف أنه حتى عهد أبي جعفر المنصور لا زال المشاركة يعتبرون المنطقة مخزنا للعبيد، إذ قال الوالي عبد الرحمن بن حبيب الفهري للخليفة المذكور: "إن إفريقية إسلامية و قد انقطع منها السبي"³، السبي"³، و تحدثت المصادر عن اسماعيل تاجر الله المتخصص في تصدير الرقيق البربري إلى المشرق، و هو صاحب سوق و مسجد في نفس الوقت، و كان يوجه المولدات و الأحمال إلى المشرق⁴.

و قد وجدت هذه التجارة في الغزوات المتكررة ضد صقلية و السواحل الأوروبية الجنوبية منذ 120هـ/ 737م خير رصيد من السبي و العبيد، و كان حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع أول

1- محمد عليي : الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص78.

2- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص115.

3- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص7.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص107.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

من غزا صقلية و ظفر بأمر لم ير مثله¹، كذلك الشأن سنة 135هـ كانت غزوة عبد الرحمن الفهري صاحب افريقية صقلية فسبى و غنم².

لقد نشطت الحركة التجارية في القيروان و توسعت علاقاتها الخارجية، نذكر على رأسها:

* **علاقتها مع مدينة تيهرت الرستمية:** سنتحدث عنها في الباب الرابع.

* **علاقتها مع السودان الغربي:** أما علاقتها مع بلاد السودان فإنها تأكدت خاصة في القرن 3 هـ/

9م³، و إن أشارت بعض المصادر إلى وجود علاقة بين القيروان و بلاد السودان منذ فترة عهد الولاة حسب ما يروي المالكي في ترجمة ابن فروخ (ت 115هـ / 733م) بأن أحد المشتغلين بالصناعة يستفتي في شأن سلاسل نحاسية تطلّى بماء الذهب و يبعث بها لتباع في بلاد السودان، و قد اعتبر ابن فروخ العملية غشا واضحا⁴، و هناك إشارة أخرى لأهمية هذه العلاقة و فوائدها المادية بالنسبة إلى القيروان و ذلك في كتاب تراجم أغلبية لمحمد طالبي.

و في الحديث عن سحنون ذكر أنه رفض مقترح رجل حول بناء قنطرة يجوز عليها الناس إلى دار سحنون فأبى سحنون لأن كسبه كان من بلاد السودان⁵.

* **علاقتها مع المشرق:** و في نطاق المبادلات مع الشرق كانت القيروان تصدر العبيد و الحبوب

والزيوت و النسيج و تستورد المنسوجات الرفيعة و التوابل و الأسلحة و البضائع الخاصة باستهلاك الطبقة الارستقراطية، أما الطرق الإدارية فهذه أهم خطوطها العريضة: تنطلق من القيروان باتجاه الطريق الساحلية وبالمرور عبر السواحل الليبية باتجاه الفسطاط ثم الشام و العراق⁶، حيث كانت القيروان ترتبط بالفسطاط بطريق تجاري يبدأ من الفسطاط إلى ذات السلاسل و كوم شريك، ويستمر

1- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص51.

2- نفسه، ص65.

3- هشام جعيط : تاريخ تونس في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص57.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص182.

5- محمد طالبي: تراجم أغلبية، المرجع السابق، ص126.

6- هشام جعيط: تاريخ تونس في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص57.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

حتى برقة و منها إلى القيروان¹، و يرى جوتيان أن حركة القوافل البرية بين القيروان و مصر كانت تنشط في فصل الشتاء و ذلك لصعوبة السير في الطريق البحري².

و بعد سيطرة العرب على أهم الممرات المتواجدة داخل الجبال البربرية صارت القيروان نقطة انطلاق لطريق الهضاب العليا بداية من الساحل التونسي عبر حوض الطارف شمال الأوراس، و شط المهديّة بارتباط مع بجاية و بسكرة و ورقلة من جهة أخرى، فمرتفعات الغرب إلى تازة حتى سهول المغرب الأقصى.

و بذلك لعبت القيروان بفضل مركزها الجغرافي و السياسي دورا هاما في ربط المشرق بالأندلس و جنوب أوروبا عن طريق حوافي افريقية مما ساعد على تطور التجارة و نفاق أسواق القيروان³، فهذا الازدهار الاقتصادي هو العامل الأساسي الذي يشرح نجاح تأسيس القيروان إذ هو مكنها من أن تصبح عاصمة كبرى كما أذن ذهابه بذهابها و لولا إمكانيات المنطقة الاقتصادية لاستحال أن تتحول محلة حربية مهما كانت عزيمة البشر إلى عاصمة كبرى و لا زالت تلك المحلة بزوال الحاجة إليها بانتهاء الفتح⁴.

المبحث الثاني: النشاط الاقتصادي في تيهرت

لقد أشادت كتب الجغرافيين بصفة خاصة بغنى و ثراء مدينة تيهرت الاقتصادي، و من أهم النشاطات في تيهرت نجد:

1- جمال الشيال : العلاقات الثقافية بين المغرب و الاسكندرية، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 1951، مجلد15، ص148- 149، عبد الحميد حسين حمودة: أسواق القيروان في عصر الأغالبة، مجلة الدراسات الافريقية، معهد البحوث و الدراسات الافريقية، 2001، ص55- 56.

2- (S.D) Goitein, Mediterranean trad in the eleventh century, some facts and problems, in studies in the economic history of the middle east, edited by M.A Cook, London, 1957, p 58- 59.

3- الحبيب الجناحاني: القيروان عبر العصور، المرجع السابق، ص134.

4- محمد الطالبي: دراسات، المرجع السابق، ص136.

أولا- الزراعة و نظم الري

لقد عرفت تيهرت الرستمية أوائل القرن الثالث هجري التاسع ميلادي، مرحلة استقرار وهدوء، وهذا ما كفل ازدهار الزراعة بها¹، حيث أنه عندما هدأت الأوضاع السياسية في البلاد، ومال الناس إلى الاستقرار و الطمأنينة، حتى عرف المغرب نتيجة لذلك نهوضا اقتصاديا سريعا وتطورا ملموسا و ظهرت معالمه للعيان، فقد حظيت أقاليم الدولة الرستمية خاصة العاصمة تيهرت باهتمام الجغرافيين الذين عاصروا تلك الفترة² حيث كانت تيهرت مقرا لحياة اقتصادية مزدهرة، فقد ذكر ابن الصغير أن نمو المدينة كان سريعا في ولاية الإمام عبد الرحمن بن رستم و الإمام أفلح حيث قال: "كان افلح قد عمر في عمرانه ما لم يعمر أحد من قبله ... فأطعم فيها أيام الجفاف، و عم الرخاء في عصره، و كثرت الأموال و المستغلات... حتى ابنتي الضياع خارج المدينة وأجروا الأنهار"³، وقال ابن عذارى في هذا الصدد أنها " كان حولها بساتين من كل أنواع الثمار. وكثيرة الأشجار، و هي شديدة البرودة و الأمطار"⁴، و لقد ساعد تيهرت الرستمية عدة عوامل نذكر منها موقعها الاستراتيجي الممتاز، فقد كانت نقطة التقاء القوافل القادمة إليها من كل البلاد العربية، كما ساعدها أيضا كثرة المنابع، و خصوبة ضواحيها⁵.

كما كان للري⁶ دور كبير في رفع مردودية الإنتاج، فقد اعتمد الفلاحون على مياه الأنهار والوديان، و الأعين، و الآبار خاصة أن تيهرت تقع على ثلاثة أنهار⁷ و أقام الحكام في تيهرت خزانات للماء وأحواضا، و كانت محكمة التصميم و الهندسة، بحيث يحافظ على الحياة في أيام

1- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص102، الأوضاع الاقتصادية: المرجع السابق، ص35.

2- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 53.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 53.

4- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 198، و يصفها المقديسي بأنها: "التفت بها الأشجار و غابت في البساتين" المقديسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص 229

5- رشيد بوربية و آخرون: المرجع السابق، ص 110.

6- و يقول الإدريسي: " و لهم عن هذه المياه بساتين و أشجار تحمل ضروبا من الفاكهة الحسنة و بالجملة فهي بقعة حسنة"، الإدريسي: المصدر السابق، ص 87.

7- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 198.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

الصيف البخيلة الأمطار، وأثناء الجفاف، و توصل إلى المناطق المرتفعة في أحواز تيهرت وهي موجودة بكثرة¹ و نظرا للضروريات اليومية فقد فكروا في هذا فقد شقوا القنوات وأوصلوها بالدور و البساتين، و وضعوا أنابيب لهذا الغرض² وهذا ما ذكره ابن الصغير فيقول ثم "شرعوا في العمارات... و إحياء الموات و غرس البساتين و إجراء الأنهار و شقوا الترع"³، و قول الإدريسي: "و بمدينة تيهرت مياه متدفقة و عيون جارية تدخل أكثر ديارهم و يتصرفون فيها"⁴.

كما كان للاستقرار السياسي البعيد عن الثورات المذهبية و النزاعات القومية، أثر كبير في دفع سير عجلة الازدهار، و الرخاء الزراعي و التقدم الاقتصادي⁵ الذي عم بالفائدة على السكان الأهلين الآهلين في تيهرت و في كامل الدولة الرستمية.

و قد كانت الفلاحة في رقي بحيث أعيدت إحياء موات الأرض، و اتخذت البساتين على ضفاف وادي تيهرت⁶ و لقد كانت لها وديان تنفجر منها عيون، و أهمها وادي الشلف، الذي يتفرع يتفرع منه وادي مينة⁷، و يمتد مجراه حتى يصل تيهرت من جهة الجنوب، ومنها وادي عين سوفجج، و هو وادي ينبع من عين بجبل سوفجج و يتجه شرقا، فيلتقي بوادي الفرعة، ثم بوادي الوحش، و يتألف من ذلك واد يمر جنوبي مدينة شلالة و يلتقي بوادي سوفجج من الشمال واد آخر يسمى "قسني".

1- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 156.

2- و يقول سليمان الباروني: " إذ لا توجد غالبا في ذلك الوقت أنابيب من حديد، و ربما كانت من الفخار المغلي"، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 22.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 31.

4- الإدريسي: المصدر السابق، ص 87.

5- G. Marçais: la berberie musulmane, op, cit, p 10

6- عثمان لكعك: المرجع السابق، ص 123.

7 ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 280، رشيد بورويبة: المرجع السابق، ج2، ص 576.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

بالإضافة إلى الأمطار الغزيرة التي كان لها أثر في تكوين السهول الخصبة في المغرب الأوسط مثل سهول أسرسو في جنوب تيهرت، و سهول وادي شلف، و سهول الساحل¹ أما مناخها فيذكر اليعقوبي، أنها تمتاز بالبرد الشديد، و فيها رياح قوية، و شمس توقد و تحرق. و لم تكن تيهرت مقتصرة على زراعة البساتين، و ما تحتويه من الأشجار المختلفة و إنما هي منطقة زراعية خاصة لزراعة الحبوب لكثرة مياهها² و برودة مناخها و وقوعها قرب التلال الصالحة لزراعة تلك الغلال، و ما دل على وفرة الإنتاج الزراعي و لا سيما الحبوب ما ذكره بن الصغير أن من بين أبواب تيهرت باب يعرف باسم المطاحن³ لطحن الحبوب و قد اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بحاصلاتها الزراعية المتنوعة والوفيرة، فكانت البساتين و المزارع تحتوي على:

❖ **القمح و الشعير:** لقد كانت أكثر الزراعات المنتشرة، لأنها المادة الغذائية الرئيسية فمنها كان خبزهم، كما أنها لا تحتاج إلى أمطار غزيرة، و لا تتطلب الري بشكل كبير و هذا ما يسهل زراعتها في كل مكان، و مما ساعد على زراعتها بكثرة، إمكانية تخزينها حيث أن المدة تتجاوز المائة سنة في مطامير⁴ تحت الأرض⁵، و مما يدل على غزارة المنتج تلك القصة التي ينقلها الدرجيني عن العالم أبي مرداس مهاصر الذي توجه نحو تيهرت بقوله " أنه كان إذا قدم تاهرت فحصد الناس زروعهم، ولقط اللقاطون السنابل التي تبقى بعد اللقاطين، و رعي المواشي تعقبهم أبو مرداس فيلقط ما يقوم بقوت عام، فيعتقد أن الذي بقي بعد اللقاطين و رعي المواشي إنما هو متروك"⁶، و رغم ما في قول

1- محمد علي ديوز: المرجع السابق، ج3، ص 257-258، رشيد بورويبة و آخرون: نفسه، ص نفسها.6.

2- الإصطخري: المصدر السابق، ص 34.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 53.

4- المطامير: هي أجواف عميقة تحت الأرض و تخزن فيها الحبوب، و لا بد من توفر بعض الشروط في هذا المخازن فيكون ناشفا ناشفا من البلل و النداءة، و إن كانت الأرضية مبلطة فذلك أحسن، أنظر: جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 41.

5- جودت عبد الكريم: نفسه، ص41، ص 42.

6- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 293، جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص40.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقبيروان و تيهرت

محمد علي دبوز من مبالغة لكنه يعبر على وفرة المحصول عندما ذكر أن أندر الحبوب كانت ترى من مسافة أيام كالجبل¹.

❖ **البقول:** كانت هذه المزروعات تعم المغرب الأوسط، فنجد منها اللفت، و الجزر و الفجل والثوم، و البصل و الكراث، و الكرنب، و القرنبيط، و السلق، و الخس و غيرها. و يضيف جودت نقلا عن أبي فضل الله العمري، نفس الخضر بالإضافة إلى الباذنجان و الملوخيا و الخيار، واللوبيا، وغيرها².

❖ **الفواكه:** كانت توجد بالمغرب الأوسط و خاصة تيهرت فواكه مختلفة مثل: الرمان والإجاص والمشمش و العنب، و غيرها، و لعل من أهمها السفرجل: حيث اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بالسفرجل، فأشاد الرحالة بجودته، و يبدو أن تيهرت فاقت سواها في سفرجلها فكان يفوق طعمه سفرجل الآفاق حسا و طعما و رائحة³ و يعود الاهتمام به، إلى أكله طازجا، ويستعمل في صنع المعاجين و المرابي، فكانت تيهرت تملك الفواكه الحسنة و السفرجل الذي ليس له نظير⁴ فكانت مدينة واسعة البرية و الزروع و المياه⁵.

❖ **الزيتون:** شجرة مباركة نزل ذكرها في القرآن الكريم⁶ و لها أهمية، فحبه يعصر و يستعمل طعاما ويستعمل للإضاءة، و علاجا لقوله صلى الله عليه و سلم: " إئتدموا بالزيت و ادهنوا به فإنه شجرة مباركة".

و كان الزيت يحفظ في قلال أو زقاق من جلود الأغنام، و يذكر الدرجيني إنها كانت تحفظ في الخوابي⁷.

1- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص316، محمد بوشنافي: مقومات النشاط الحربي، الناصرية، المرجع السابق، ص153.

2- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 42.

1- البكري: المصدر السابق، ص66، القزويني، المصدر السابق، ج1، ص 813، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص 576.

4- القلقشندي: صبح الأعشى، المصدر السابق، ج 5، ص 111.

5- الاصطخري: المصدر السابق، ص 34.

6- سورة النور: الآية 35.

7- الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 164.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

❖ نباتات أخرى: و منها الغابات التي كانت تشمل على أنواع مختلفة مثل السرو والصنوبر والبلوط والعرعار، و لعل الاهتمام بالغابات إما نتيجة الطلب المتزايد على الأخشاب، التي تدخل في صناعات عديدة خاصة الخشبية، و صنع الفحم كوقود¹ بالإضافة إلى نباتات و التي تميز منها نوعين: أ. النباتات الطبية: حيث كانت تنمو بتيهت نباتات تستعمل لأغراض طبية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: شرس يدعى شوكة مغلية، و تفيد في إدرار البول، و تفتت الحصى و تسكين آلام الأسنان وكذلك نجد جوز مائل. و شجرة المرقد عند عامة المغرب و الأندلس، و يستعمل مخدرا ومسكنا و مسكرا، كما توجد نباتات قاتلة مثل خمالون مالمس، التي تستعمل في قتل الحيوانات المتوحشة².

ب. النباتات الزراعية: نجد منها: الكتان الذي كانت زراعته واسعة في تيهت و كانت بوفرة لاستعمالها في صنع الملابس والأنسجة ضف إلى ذلك أيضا زراعة القطن لما لها من نفس الاستعمالات، ضف إلى ذلك مجموعة من النباتات الأخرى، كالنيلة و الحلفاء و الحناء، و غيرها³.

ثانيا- الرعي و مقوماته

قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾⁴

لقد كانت لتربية الحيوان منافع كثيرة، فقد كانت تربية الماشية تسير جنبا إلى جنب مع الزراعة فكلاهما وجهان لعملة واحدة من الرخاء الاقتصادي، و قد عرفت تيهت في العهد الرستمي هذا النشاط، و وصف اليعقوبي بعض المناطق الرستمية قوله أنها " بلد زرع و ضرع"⁵ وقد استعملت هذه هذه في أمور شتى، فكانت جلودها تستعمل في صناعة القرب، و توضع أيضا تحت المطحنة، كما يستفاد من حليبها و أوبارها في صناعة الملابس، و الخيام و الأغطية و استعملت الحيوانات للحمل، و النقل و الركوب، و في الحرب، وتعتبر أيضا مالا كامهر مثلا و منها نذكر فرس يعقوب بن أفلق

1- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 196.

2- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص50.

3- مبارك الملي: المرجع السابق، ج2، ص 76.

4- سورة النحل: الآية 05.

5- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 104، ص 108. ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

الذي يضرب به المثل في المغرب لما فيه من صفات الهيبة و الحرب¹، لقد كانت تيهت كثيرة الأنعام بجميع أصنافها من ابل و بقر لا سيما الغنم، و كذا البغال و الحمير و الخيول الجياد و الصالحة للانسان².

و تعود أسباب تربية الحيوانات الناجحة إلى توفر الأمن، و التفقد الدائم من طرف المالك ووجود أعوان خبيرين بسياستها و ادخار ما تحتاجه من أعلاف كما ساعد أيضا المناخ من أمطار وزراعة خاصة في القرن الثالث، و كذا ملائمة الظروف الطبيعية لوقوع تيهت في منطقة الهضاب العليا التي تكثر بها النباتات البرية التي تشكل مناطق رعوية غنية، جعلت أهلها يركزون على هذه الحرفة و يعتبرونها مصدر عيشهم حتى أن ابن الصغير يذكر أن قبائل مزاتة و سدراتة و غيرهم كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب و غيرها في أشهر الربيع إلى مدينة تاهرت و أحواضها لما حولها من الشلاء (الكلاء)³ فقد كانت هذه المناطق كثيرة الغنم أو الماشية طيبة المراعي⁴ ولعل مجموع هذه الحيوانات نذكر الخيول و البغال و الأغنام، و الأبقار، و الإبل، و كذا تربية النحل، نظرا لأهميته في علاج بعض الأمراض. و يذكر ابن حوقل عن تيهت أنهما: " أصبحت أحد معادن الدواب و الماشية و الغنم و البغال و البرادين الفراهية، و يكثر عندهم العسل و السمن و ضروب الغلات"⁵.

1- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 124.

2- مؤلف مجهول: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، تحقيق محمد بن رمضان شاوش، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2007، ص32، كمال شبانة: الدويلات الاسلامية في المغرب، دراسة تاريخية، حضارية، دار العالم للملايين، القاهرة، 2007، ص119.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص47.

4- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 65، و يقول الإدريسي: " و أما البقر و الغنم فكثير بها جدا"، الإدريسي: المصدر السابق، ص 87.

5- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص22.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

و تجدر الإشارة إلى توفر الأغنام في تيهرت، حيث ذكر الشماخي أنه كان لـ: " لبيب بن زلعين أحد ملاك الماشية ثلاثون ألف ناقة و ثلاثة مائة شاة، واثنان عشر حمار، و كان رعاته من العبيد"¹.

و لعل ما دل على هذا القول الإمام عبد الوهاب: " لولا أنا و محمد بن جبرني بالحرث، وابن زلعين بالأنعام"².

فقد كانت المدن الرستمية و خاصة بتيهرت تموج بالمواشي و الخيول، و كانت غالبية أهلها يشتغلون بالرعي³، و لم تقتصر الرعي على القبائل المتنقلة، فحسب، بل تعدت بحكم وفرة المراعي الصالحة إلى الحكام و الأئمة الرستمين، فوجد من بين ملاكها أبي اليقطان و أبي حاتم، فكانوا يملكون الدواب و المواشي لمملكة تيهرت، و يكثر بها الغنم و الخيل و البقر و كان رعاتهم من العبيد⁴ و كان ليعقوب بن أفلاح بقرات يجلبها و يشربها و يقوم عليها ثلاثاً⁵. وقد يتولى صاحب الحيوانات الخروج بها إلى المراعي، يمكث بها هناك نهاراً أو بعضه، مصطحباً معه زاده و عصاه، ويعود وقت الغروب، وكان أحياناً يكلف أصحاب الحيوانات أجيالاً راعياً، و قد يكلف بمهام أخرى خارجة عن نطاق الرعي، و الراعي السمع و الطاعة⁶، و يمكن أن تكون الأراضي خاصة، فيرسل مالك الأرض حيواناته، لترعى في أرضه، و قد تكون عامة مشاعة تخرج كل راع بمواشيه إليها على حدى، و اتبع أيضاً نظاماً على طريقة البربر يسمى: " المشتى" و فيها يتعهد القبيلة أو مجموعة من السكان إلى راع مسؤول، يساعده عدد من الرعاة، و هم على معرفة أو دراية عامة بالمراعي، و قد كانت تدفع أجره

1 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص159، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص81.

2- الشماخي: نفسه، ص 161، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص234.

3- رابع بونار: المرجع السابق، ص 43.

4- ابن صغير: المصدر السابق، ص 54.

5- نفسه، ص 98.

6- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 71.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

الراعي بدينارين¹ في السنة² كما كان للجمال والخيول أثر واسع في اقتحام الصحراء و أعماقها³، بحيث كانت الوسيلة الأولى في نقل الذهب، ونقل القوافل القادمة من السودان باتجاه تيهرت، وغيرها من العواصم التجارية في المغرب الإسلامي، و بهذا كان الرعي النشاط الأساسي لسكان الصحراء بحيث كانوا يسيرون بقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾⁴.

و قد كانت قطعان الغنم و الجمال كثيرة، ينتقل وراءها البدو صيفا نحو الشمال و يرجعون إلى الصحراء في فصل الشتاء عندما تكثر الأمطار و الثلوج، التي تؤثر سلبا على الحيوانات خاصة حديثة الولادة⁵.

و هكذا قد ينتجع الرحل في فصل الصيف، و يبدلون محصول ماشيتهم الجنوب التل و كان رؤسائهم يبادرون عند وصولهم الاتصال بأعيان المدينة، ثم يرجعون إلى موضع خيامهم حتى الرحيل⁶.
الرحيل⁶.

و على إثر هذا يمكن القول أن تيهرت الرستمية، عرفت نشاطا واسعا في الزراعة، و قد ساعدها في ذلك مجموعة عوامل في مقدمتها، اتساع رقعتها و مناخها و كان لهذا الازدهار الزراعي، و الرعوي أثره البارز في النشاط الحربي.

ثالثا- الحرف و مقوماتها

- 1- يعرف ابن خلدون الدينار و الدرهم بقوله: " و ذلك أن الدينار و الدرهم مختلفا السكة في المقدار و الموازين بالآفاق والأمطار وسائر الأعمال، فالدرهم هو سبعة أعشار الدينار"، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 268.
- 2- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 72.
- 3- حيث يقول ابن الصغير: " و عجب ملك السودان ما أراه... و فروسيته إذا ركب الخيل... " ينظر ابن الصغير، المصدر السابق، ص 31، و يقول ابن خلدون أن " الإبل أعانت العرب على التوحش في القفر، و الأعراق في البدو"، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 408.
- 4- سورة طه: الآيتان 53، 54.
- 5- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 157.
- 6- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 42-43.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

لعل الملاحظ من خلال دراستنا قلة المصادر المراجع التي تدرس الجوانب الصناعية في مدينة تيهرت إلا النزر القليل فمثلا نجد ابن الصغير يذكر أهل الحروف¹ و هذا دليل على وجود حروف يدوية بسيطة² وبالتالي نشطت المهن و الحرف لهذه المدينة الصحراوية³ و كانت هذه الأخيرة مشتركة بين بربرية و فارسية وعربية و رومانية⁴ و بهذا لا يستبعد بأن يكون تيهرت أعداد من الحرفيين النجارين⁵ و الحدادين والخياطين⁶ و الطحانين و الدباغين و غيرها من الصنائع المشهورة آنذاك، حيث يذكر ابن الصغير: "و اتسعوا في البلاد، و تفسحوا فيها، و أتتهم الوفود، و الرفاق من كل الأمصار، و أقاصي الأقطار"⁷ و قد عرفت الحرف تطورا كبيرا و خاصة في عهد عبد الرحمن لعموم الأمن و الاستقرار فظهرت صناعة الأقمشة الكتانية و القطنية و المصنوعات الجلدية والدرع وأنواع أخرى من الأسلحة، و كانت أكثر الجهات تقدما هي الركن الجنوبي الشرقي المواجهة للبحر، والمقابلة لبلاد المغرب، وافريقية⁸.

و لعل الصناعة تختلف من وسط لآخر باختلاف التطور، فإننا نجد صنائع المجتمع الحضري تختلف عن المجتمع البدوي، فنجد مثلا صناعات هذا الأخير تركز على توفير الطعام، و الملابس والخيام، و بعض الأدوات التي تستعمل في توفير الأمن للناس، و بالتالي فهي تعتمد على ما هو

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 75.

2- جودت عبد الكريم: العلاقات الاقتصادية، المرجع السابق، ص 36.

3- رابع بونار: المرجع السابق، ص 43.

4- عثمان الكعك: المرجع السابق، ص 123.

5- يعرفها عبد الرحمن بن خلدون بقوله: " هذه الصناعة من ضروريات العمران و مادتها الخشب... و لها منافع كثيرة لأهل البدو البدو والحضر"، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 414.

6- يعرفها ابن خلدون بالحياكة و الخياطة و يقول: "و هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفه أو الدفء"، عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص 416.

7- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 31، عمار عمورة: المرجع السابق، ص 95.

8- عبد العزيز فيلاي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 105.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

أساسي و ضروري، و منه كان التصنيع في هذا المجتمع ضيق فنجد النجار و الحداد و الخياط و الحائك و غيرها¹.

و من بين الصناعات حسب طبيعة البلاد، الصناديق الخشبية و الأسرة و الخزائن البسيطة والأبواب، كما كانوا يهذبون الخشب لاستعماله في بناء القصور و البيوت و لعل الأمر يختلف بالنسبة للمجتمع الحضري، حيث أنه عندما كثر السكان² زاد تطلعهم إلى ما وراء الضروري، تقدم نحو حياة التقدم و البذخ و الترف و بالتالي زاد النشاط الصناعي، و يذكر ابن خلدون " إذا زخر بحر العمران، و طلبت فيه الكماليات، كان من جملتها التأنق في الصنائع و استحداثها، وبالتالي تزايدت صنائع أخرى معها، مما تدعوا إليه عوائد الترف و أحواله من زجاج و دباغ و جزار و صائغ و دهان و طباخ"³ و نظرا لتزايد الرقي و العمران، ظهرت حرف أخرى كالدهان و الحمامي و الطباخ و الشماع الشماع و كذا معلم الغناء و الرقص و قرع الطبول، و أصبحت تيهرت إحدى المراكز الصناعية الكبيرة و التي تسمى " بقصية الإقليم"، و قد تحولت الصناعة من بدوية إلى مدنية، و لعل من الضروري لهذه الصناعات أن يتخذ الصانعون مكانا يديره بنفسه، و أحيانا يكون في بيته، و مجموعة من المتدربين و الصبيان، و يكون هو المسؤول أي " المعلم" وهم الأجراء، و أحيانا يستلزم الأمر أن يكون جميعا شركاء و كان الصانعون يرتدون أزياء خاصة بصناعتهم⁴.

و من العوامل التي ساعدت على ازدهار الصناعة، نحملها في اتساع العمران و السكان وبالتالي كثرة الطلب على السلع، كما كان لتوفر المواد الأولية، سواء الحيوانية أو النباتية أثرا واسعا في ازدهار الصناعة، و كان من أهم الصناعات البارزة في تيهرت:

1- جودت عبد الكريم: العلاقات الاقتصادية، المرجع السابق، ص 77- 78.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 54.

3- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 381.

4- جودت عبد الكريم: العلاقات الاقتصادية، المرجع السابق، ص 80.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

أ. الصناعة النسيجية: المعتمدة أساسا على انتاج الصوف و الكتان و الحرير، و ينتج منها أنواع عدة من الملابس و الفراش و الستائر و الفوط، و التي كانت المرأة تقوم بصناعتها في البيت وتوظف معها الجوارى¹، و لعل هذه الصناعة كانت منتشرة في تيهرت، حيث ذكر ابن الصغير أن عبد الرحمن بن رستم كان يجمع ما بقي من الصدقات، و يشتري بها أكسية صوفا و جبابا صوفا وفراء².
و قد كانت المنسوجات مختلفة الأشكال و الألوان، و عرفت تيهرت صناعة الخبز، و هي مصنوعة من الصوف و الحرير، و يبدو أن هذا النسيج كان قيما، و لعل أشهر صناعات هذه الحرفة احمد بن فتح المعروف بابن الخزاز التيهرتي، و كانت تصنع منه القلنسوة و الجبة، و كان يعتمد في ذلك على أدوات خاصة مثل المناسج و المغازل و الأنوال من آلات الغزل³.

ب. الصناعات المعدنية: لا شك أن تيهرت قد عرفت صناعة معدنية متنامية تتماشى مع ازدهار المدينة، لا سيما في مجال الأسلحة، حيث أن هذه الصناعات تحتاج إلى المواد الخام و مواد الخشب، فقد كان الحديد ضروريا لكل دار و لكل شخص خاصة لصناعة السيوف، فنجد أنه رغم بساطة عبد الرحمن بن رستم، فإن بيته لم يخل من السيف⁴ و كان سكان تيهرت يتفننون في صناعته، ضف إلى صناعة الأبواب فقد اتخذ الإمام أفلح بابا من حديد⁵ كما استعمل منه الملاعق و الكلايب وأمواس الحلاقة و المواقد والسلاسل⁶ ضف إلى التحف المعدنية⁷ أما الذهب و الفضة فقد كانا متوفران حيث أن القوافل المتجهة إلى بلاد السودان الغربي كقيلة بتوفيرهما، و قد كانت لهما استعمالات متعددة، فتصنع نقودا و دنانير و تصنع منها حلبي للنساء من أقراط، و أساور و عقود ودبابيس تزين الصدر و خواتم و خلاخيل، كما صنعت منها الأقداح و غير أن استعماله كان مقتصرًا

1- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 206.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

3- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 98.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 29.

5- نفسه، ص 53.

6- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 101.

7- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 577.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

على الأثرياء و كان الممتن لهذه الحرفة يسمى بالصائغ، بالإضافة إلى الصناعات المعدنية السابقة نجد الرصاص و النحاس و غيرها من المعادن¹.

ج. الصناعة الفخارية: لعل من أبرز ما خلفته الصناعة في العهد الرستمي هو الأواني الفخارية أو الخزفية التي عثر عليها جورج مارسيه، و دوسس لامار في خرائب تيهرت سنة 1941 و انتهاء إلى أن تيهرت كانت تضم أفرانا للفخار، فقد وجدوا قطعتان من بقايا فرن رستمي و كذا القلل والصحون، و جزء من جرة كبيرة و كانت قليلة الزركشة².

د. الصناعة التحويلية: اشتملت بلاد أهل تيهرت على الأرحاء، فقد ذكر لنا ابن الصغير أن الرستمين شرعوا في اتخاذ الرحي و المستغلات³ و خاصة في عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم حيث قال: "... تغيرت المدينة... و نصبت الأرحاء..."⁴ و اتخذت لطحن القمح والشعير، و نظرا للازدهار الفلاحي في المنطقة، و لعل هذه الصناعة كانت مرتبطة ارتباطا بالخباز و الغرابلي⁵.

كما ظهرت مهن أخرى كالطباخ، الذي يستعمل عند الطبقة الراقية، و العطار الذي يقوم بصناعة العطور باعتماده على أزهار الريحان، ضف إلى ذلك صناعة الخمر، فقد ذكر ابن الصغير أن تيهرت قد فسدت، و فسد أهلها من ترك الحروب، و اتخذوا للمسكر أسواقا⁶.

هـ. الصناعة الجلدية: لقد كانت للثروة الحيوانية أثر و اسع المدى في ظهور بعض المهن، فقد قال ابن الصغير في هذا الصدد أن بتيهرت يوجد القصابين واللبنين، بالإضافة إلى ظهور الدباغة و هي صناعة تحويلية حيث يعتمد على جلود الماشية و تحول إلى نعال و سروج و أغطية، و كذا الطبول والدفوف، وأدوات حافظة للحليب و السمن وكذلك استخدمت حصيرا⁷.

1- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 103.

2- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 172،

(G) Marçais et L, dessus: Tahert Tagdamt, op, cit p.p 26-56.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 31.

4- نفسه، ص 33.

5- الغرابلي: هو المتخصص في صناعة أداة لإعداد الخبز و هو الغريال، جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، السابق، ص 101.

6- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 112.

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 29.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

و. الصناعات الخشبية: لعل من بين الصناعات المرتبطة بطبيعة منطقة تيهرت صناعة الخشب، إذ تتوفر هذه المنطقة على ثروة غابية كبيرة، حيث أنها تتوسط غابة كثيفة الأشجار، وبالتالي كان النجارون يصنعون مختلف الآلات، و الأدوات المستعملة آنذاك كالصناديق و الأسرة و الخزائن والقوارب الضرورية للملاحة النهرية¹.

و لعل من بين المهن الأخرى التي كانت تمارس في تيهرت نجد البناء و كذا الحمامي و هذا نفهمه من قول ابن عذارى: "أن في مدينة تيهرت حمامات كثيرة يسمى منها اثنا عشر حماما"² هذا إلى جانب عدد من الأعمال و المهن و الصناعات التي يصعب حصرها، ذكرنا بعضها على سبيل المثال لا الإجمال.

و على العموم كانت بتيهرت خصوصا، صناعة مزدهرة تعتمد على أدوات مختلفة غمرت الأسواق ومهدت بذلك الطريق لازدهار التجارة سواء الداخلية أو الخارجية.

رابعاً- الموارد المالية و أنواعها

تتم الدولة الإسلامية بمواردها المالية التي تدر عليها أموالا تودعها في بيت يعرف ببيت مال المسلمين، أو بيت المال، و قد كان في الدولة الرستمية، بيوت أموال محلية عديدة، و بيت مال مركزي مقره العاصمة تيهرت³ و قد تعددت هذه البيوت في عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم حيث يذكر ابن الصغير: "... و بيوت أمواله ممتلئة"⁴.

و كان الاهتمام بأمر جباية الأموال، تختلف من دولة إلى أخرى، و من طور إلى آخر فالدولة في طورها الأول - طور التأسيس - لا تكون بحاجة إلى المال، مثلما يكون الأمر في طورها الأخير - طور الترف و الرفاهية-، كما يختلف الحاجة إلى المال باختلاف الدول و سياستها، فإن حاجة الدولة الرستمية كدولة داخلية، ليست لها سياسة توسعية، و بحسب حاجتها تتنوع مواردها، فقد تكنفي بالموارد الشرعية.

1- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 98- 99.

2- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 125.

3- إبراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 237.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 35.

و كان من أهم مواردها المالية¹:

1- الزكاة:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾² و قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾³، فالزكاة فريضة ومورد شرعي⁴ و عليه فقد كان اهتمام جل الدول الإسلامية كبير بهذه الفريضة، فوجد ابن الميمون بن عبد الوهاب، خرج ساعيا يطوف بالناس و يجمع الزكاة المستحقة، و طوافه إنما دال على تقاعس الناس، أو بعضهم عن دفعها، فيضطر الساعي إلى تحليفهم الأيمان، ضف إلى وجود عائق آخر، و هو صعوبة حصر الماشية لأنها تعود إلى دور أصحابها ليلا، و ينطلق بها أصحابها صباحا⁵ و لم يكن بتيهرت بيت مال، فحسب بل كان بجانبه دار تعرف " بدار الزكاة"⁶ فقد أبرز الكعك دور كل منها، فقال أنه كان يوجد ديوان يعرف بيت المال يقبض الأموال الداخلة، و دار الزكاة لدخول المال و خروجه⁷ ولعل ابن الصغير ذكر سبب الافتراق بين الأموال التي تجنى من الزكاة، و بين التي تجنى من غيرها، و يتجلى في توزيعها، و أماكن إنفاقها حيث يقول ابن الصغير " و أهل الصدقة على صدقاتهم تخرجون في أوان الطعام، فيقبضون أعشارهم في هلال كل (...). من أهل الشاة و البعير، يقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون و لا يظلمون فإذا حضر جميع ذلك صرف عبد الرحمن بن رستم الطعام إلى الفقراء، وبيعت الشاة و البعير، فإذا صارت أموالا دفع منها إلى العمال بقدر ما يستحقون، ثم نظر في باقي سائر المال فإذا عرف مبلغه أمر بإحصاء من في البلد، و فيما حول البلد من الفقراء و المساكين، ثم أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة، فاشترى منه أكيسة، صوفا و حبابا صوفا، و فراء، و زيتا، ثم دفع في كل أهل بيت، بقدر ذلك ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه، ثم ينظر على ما اجتمع من مال الجزية، و خراج الأرضين و ما أشبه ذلك،

1- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 389.

2- سورة البينة: الآية 04.

3- سورة الشمس: الآيتان 9 - 10.

4- ينظر الآيات الخاصة بالزكاة: سورة التوبة: الآية 103، سورة المزمل: الآية 20، سورة الماعون: الآية 24، 25.

5- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 390.

6- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 88.

7- عثمان الكعك: المرجع السابق، ص 184.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

فيقطع لنفسه و حشمه و قضاة و أصحاب شرطته، و القائمين بأموره ما يكفيهم في سنتهم ثم إن فضل فضل صرفه في مصالح المسلمين"¹، وقد كان الإباضيون لا يرون أن نخرج الزكاة من بلد إلى آخر و أهل بلدها أحق بها، و لو كانوا فساقاً² و لعل مدلول الزكاة إنما هو مرتبط بالصدقات حيث قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾³ و نظراً للازدهار التجاري والصناعي و الزراعي، ونظراً لتوفر الذهب فقد فرضت على النساء التصدق من حليهن، فقد كانت بهذا دور الزكاة ممتلئة بمختلف الموارد و الزكوات و الصدقات، غير أن المصادر لم تشر مبالغ الزكاة والصدقة التي تدخل بيت المال.

2- الجزية:

قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾⁴ لقد فرضت الجزية مقابل حمايتهم، و هي أشبه بضريبة للدفاع الوطني، فكان لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح، و كانت تجنى من أحرار أهل الذمة و الرجال البالغين، و لا يدفعها الأطفال و لا النساء و لا العبيد و لا ذوا العاهات كالمقعدين و المجانين⁵ و جنى الرستميون الجزية، يذكر ابن الصغير أن الإمام عبد الرحمن بن رستم، كان ينظر إلى ما اجتمع من مال الجزية⁶ وإنما يدل هذا على وجود أهل الذمة بتيهرت وقد يطلق على الجزية مصطلح " الجوالي " و هما كلمتان مترادفتان، غير أن ابن الصغير لم يذكر مبلغ الجزية، و لا عدد أهل الذمة، ولهذا كانت مورداً شرعياً يضاف إلى قائمة الموارد المالية لتيهرت.

3- الخراج:

- 1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 35- 36.
- 2- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 393.
- 3- سورة التوبة: الآية 103.
- 4- سورة التوبة: الآية 29.
- 5- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 396.
- 6- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

هو مورد شرعي من موارد بيت المال الرستمي، و قد كان أول من ابتدأ جبايته الإمام عبد الرحمن بن رستم، حيث ذكر ابن الصغير، أن الإمام عبد الرحمن كان ينظر إلى ما اجتمع من مال... و خراج الأرضين، و ما أشبه ذلك¹، و كانت أموال الخراج، لا تبقى في المواطن التي جبيت فيها، وإنما تنتقل إلى بيت المال بتيهرت، و هذا ما نستنتجه من ذكر اليعقوبي أن أهل جبل نفوسة، لا يؤدون خراجا إلى السلطان، و لا يعطون طاعة إلا إلى رئيس لهم بتيهرت²، و كانت الجباية سنوية، بعدما ينتهي الناس من جمع محصولهم³، و هذا ما نفهمه من قول ابن الصغير: "فيقطع لنفسه وحشمه... ما يكفيهم في سنتهم"⁴.

4- العشور:

هي ضريبة، و رسوم تؤخذ على الأراضي التي يزرعها المسلمون و على أموال و عروض تجارة أهل الحروب و أهل الذمة، و يذكر ابن الصغير أن أهل الصدقة على صدقاتهم، يخرجون في أواني الطعام، فيقبضون أعشارهم⁵ و كان الرستميون يجيئونها على المحاصيل الزراعية، وإن اختلف بعض العلماء في المحاصيل التي تفرض عليها العشر. و لعل جباية العشور على أهل الذمة قليلة، إن لم نقل منعدمة، و ذلك لأن تيهرت منطقة داخلية، و بالتالي تقلل العشور المحببة من أهل الذمة. و يضيف جودت عبد الكريم أن الرستميين، واصلوا جباية العشور على الحاصلات الزراعية، و يذكر أن الشراة لم

1- نفسه، ص 37.

2- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 196.

3- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 398.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

5- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 35، و عن كيفية توزيع الإمام الأعشار قال ابن الصغير: " يخرجون في أوان الطعام فيقبضون أعشارهم في حلال كل... من أهل الشاة و البعير، يقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون و لا يظلمون، فإذا حضر جميع ذلك صرف الطعام إلى الفقراء، و يبعث الشاة و البعير، فإذا صارت أموالا دفع منها إلى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم، ثم نظر في باق سائر المال، فإذا عرف مبلغه أمر بإحصاء من في البلد و فيما حول البلد، ثم أمر بإحصاء الفقراء و المساكين، فإذا علم عددهم أمر بإحصاء ما في الأهداء من الطعام، ثم أمر بجمع ما بقي منه مال الصدقة فاشترى منه أكسبة صوفا و فراء، ثم دفع في كل بيت بقدر ذلك، و يؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه"، ينظر ابن الصغير، نفسه، ص 22.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

تكن تطعن الإمام أفلح في شيء من أحكامه و لا في صدقاته و لا في أعشاره. و لعلنا لا نجد أي تقدير لمبلغ هذه الضرائب، و لا حتى طريقة جبايتها¹.

و يضاف إلى جملة هذه الموارد الشرعية التي تدخل في بيت مال تيهرت، نجد أنه كان تدخله أموال عن طريق الوصايا، فقد كان أبو مرداس مهاصر السدراني، إذ أراد زيارة تيهرت أخذ الوصايا من أهل الدعوة من أهل الجبل - جبل المسلمين نفوسة- فيرفعها إلى تيهرت لنفع بيت مال المسلمين ولنفع أرباب الوصايا².

و منه يمكن القول أن العشور تشكل أحد أهم الموارد المالية التي كانت تيهرت تسدد من احتياجاها.

● نظام الجباية:

كان يتولى الإشراف على جباية الأموال و إنفاقها موظف يعرف في العهد الرستمي "بصاحب بيت المال"، و كانت الأموال تودع بيت المال أو بيت مال المسلمين، و يبدو أن صاحب بيت المال يشمل جمع الموارد المالية³، حيث كانت وظائف الدولة في أيدي ثلاثة موظفين، هم صاحب الشرطة⁴ أو القاضي و صاحب بيت المال⁵ و كان هذا الأخير يعمل بمعية عدد من الموظفين منهم السعادة و العاملين عليها، وكان للخراج ديوان خاص، و لعل الإمام عبد الرحمن كان يفضل أموال الجزية و الخراج على أموال الزكاة، كما أن الإمام له السلطة الكلية في تعيين العامل، حيث عين

1- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 402 - 403.

2- نفسه، ص 413.

3- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 414.

4- و كان من مهامه مراقبة المدينة و أخلاق السكان بالتحول في شوارعها و تأديب الفجار و القبض على اللصوص، و في الليل يسهر على أمن السكان و راحتهم و توقيف المشبهين و مراقبة الأسواق و ما يقع فيها من غش، قدور وهراني: تطور نظام الشرطة في العهد الرستمي (160-296هـ/ 776-908م)، مجلة الخلدونية، المرجع السابق، ص 109.

5- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 35، و غالبا ما كان ابن الصغير يذكر القضاء ثم بيت المال ثم الشرطة مجتمعة و متتالية في كثير من المواضع، زيادة على انكار المنكر في الأسواق و الاحتساب على الفساق، قدور وهراني: نفسه، ص نفسها.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

الإمام أبو اليقطان أفلح بن العباس عاملا على نفوسة¹ و أيضا من بين العمال سلام بن عمر اللواتي عاملا للإمام عبد الوهاب على سرت، و أبي يونس وسيم النفوسي على قنطرة².

ويبدو أن الرستمين كان لهم نفوذ اقتصادي على هذه المناطق، حيث أن الإمام عبد الوهاب، اقتطع أرضا للخارجين عليه في جبل نفوسة، في منطقة الساحل و كتب عليها "أغرسوا فيه بأمرنا، و احرثوا فيه بإذننا"³ و كانت هذه المناصب المالية هامة و حساسة، فهي بحاجة إلى شخصية قوية الإيمان و الإدارة، لا يضعف أمام الأحوال المكدسة، فتحدث بعض الاختلاسات مثلما يظهر في العهد الرستمي، حيث ذكر ابن الصغير قائلا من مقدمي مزاة و سدراتة إلى رؤساء قبائلهم، و طعنهم في استقامة و أمانة أصحاب المال في عهد الإمام عبد الوهاب، فقالوا: "صاحب بيت مالنا خائن، و صاحب شرطتنا جائر، و إمامنا لا يغير من ذلك شيئا"⁴ أما عن أسلوب الجباية، فقد سبق الإشارة إليه، إلا أن أهل الصدقة و السعة، كانوا يخرجون ليحببوا الأموال المستحقة في العهد الرستمي و قد كان القائمون على جباية الأموال رجال من البربر، إذ أنهم عصب الدولة.

و لقد كان أهل البادية يمتنعون عن دفع هذه الضرائب، لغلبة الطابع القبلي عندهم فلم يكونوا يألون دفع مثل هذه الضرائب⁵.

● نظام النفقات:

لعل كل بيت مال يتغذى من الموارد المالية المختلفة، التي تدخل خزينة تيهرت و بطرق شتى، و بموارد متباينة، تعتبر الممول الرئيسي لتيهرت التي تأخذ منها نصيب تصرف في أمور مختلفة، و منه يمكن حصر النفقات في رواتب الموظفين من حشم و قضاة و شرطة و قائمين بأمور الدولة عامة،

1- نفسه، ص 86.

2- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 163، صالح ياجية: المرجع السابق، ص 81.

3- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 417.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 41.

5- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 418.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

إضافة إلى أجر الإمام نفسه و الذي كانت تدفع مرة واحدة في السنة¹ فقد كان للدولة، موظفون يقومون بإدارة شؤونها، فهناك قضاة و أعوانهم، و كان لتيهت ديوان خاص بالقضاة، فاشتروا له خدما و أجروا عليه من بيت المال قوته² كما كان له أعوان وأصحاب دواوين مختلفة³ و كلهم يتقاضون رواتب على أعمالهم.

كما كانت ظروف الحياة تلزم على الرستمين حشد كبير من المقاتلين، فقد عد الإمام عبد الوهاب في عسكره ألف فرس، و كان الإمام أبو حاتم، قد أخرج له أبوه على يد جيش، و هؤلاء يكلفون بيت المال أموالا ضخمة⁴، فكانوا يدفعون لهم رواتبهم، و يؤمنون لهم المؤن و العتاد الحربي، إلى جانب نفقات المتطوعين، كما أنهم أيضا كانوا يتكفلون بأسر الجنود⁵، و يضاف إلى جملة هذه النفقات، تلك التي تصرف في مصالح المسلمين عامة كبناء المساجد و الأسواق والحمامات وإصلاح الطرق و الجسور، و مد القنوات وإصلاحها بل و بناء المدن، و بيوت الضيافة، والإنفاق على طلبة العلم⁶ و لعل الازدهار الاقتصادي الذي عرفته تيهت، كان من شأنه أن يغذي كلا من دار الزكاة، وبيوت الأموال في الدولة الرستمية عموما، و لم تكن النفقات كبيرة بحجم الموارد، لذلك فجزء منها يصرف في الصالح العام⁷، و لعل هذا ما يفسر ذلك الرخاء الذي شهدته تيهت الرستمية والازدهار الذي واكبها خلال كل مراحل حكمها، و كانت كل دار زكاة، و بيوت مال، ومواردها و نفقاتها مؤسسة وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية.

خامسا- التجارة الداخلية و الخارجية

- 1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 23، إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 243.
- 2- ابن الصغير: نفسه، ص 42.
- 3- من بين الدواوين: ديوان المظالم، ديوان الكشف، ديوان العطاء، ديوان الضياع، ديوان البريد، و غيرها، أنظر: هامش جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 422.
- 4- جودت عبد الكريم: نفسه، ص 422.
- 5- نفسه، ص 423.
- 6- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 243.
- 7- نفسه، ص 245.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

1- التجارة الداخلية

تعد تيهرت إحدى محطات العالم الاقتصادية الكبرى، فهي واسعة الأخذ و العطاء، فكانت الحبوب و الأزهار بأنواعها تزرع بأرضها، و الأسواق مملأى بمختلف البضائع و المصنوعات¹ وبالتالي كانت بها تجارة داخلية مزدهرة و لعل ما ساعد على ذلك هو تشابك مجموعة من العوامل، نوجزها فيما يلي:

إن موقع تيهرت هو منشأ ازدهارها، بحيث تعد نقطة التقاء القوافل القادمة إليها من كل بلاد العالم العربي، و كانت نقطة اتصال بين البدو و الرعاة، و بين المقيمين بالمدن، ضف إلى ذلك كثرة منابعها و خصوبة أراضيها و ضواحيها².

كما أسهم الأئمة الرستميون، و حرصهم على التجارة في ازدهارها، فقد كان الإمام عبد الوهاب تاجرا، و كذا أبو حاتم، فقد كان يخرج ليجر القوافل الآتية من المشرق³.

و كان لتعدد الحرف أثره الواسع، فكانت الحاجيات مختلفة من حربي إلى آخر، و لهذا استدعت الضرورة إلى التبادل فيما بينهم، و ذلك في أسواق منظمة، و مراقبة من طرف المحتسب⁴.
و من أشهر المحتسبين نذكر:

1- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 175، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 13.

2- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص 110.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 91.

4- ترجع التسمية إلى الحسبة: و هي خطة دينية جامعة بين الشرع و السياسة، تنظم سير المعاملات بين التجار و الحرفيين، أنظر: موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 255، و قد عرفها أيضا ابن خلدون: أنها وظيفة دينية تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر، و تعتبر الإمام أبي اليقطان بن الأفلح مؤسس نظام الحسبة في الدولة الرستمية و يطلق على المحتسب آنذاك - المشرف- ، موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، المرجع السابق، ص 16، عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام، المرجع السابق، ص 126، ابراهيم مجاز: الدولة الرستمية، ص 298.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

- أبو المنيب يانس¹: الذي اشتهر بأمره بالمعروف و نهي عن المنكر، قال عنه يحيى بن عمر: "هو المجاهد لنفسه، المطيع لربه ذو المناقب الشهيرة و المآثر الكريمة، من تلاميذه أبو خليل نصال الدركلي و أخوه عمرو بن يانس"².

- وجدليش بن في البجلاتي³: عالم عامل، أمر بالمعروف و ناه عن المنكر، كان مجتهدا لأجل التحصيل و التزود، كانت له حلقة علم تخرج منها العديد من العلماء منهم أبو الربيع سليمان بن موسى⁴.

- عمرو بن فتح النفوسي: أخذ العلم من الإمامين عبد الوهاب بن عبد الرحمن و أفلح بن عبد الوهاب، كما تعلم على يد علماء تيمهرت أمثال مزوز بن عمران الهواري، و محكم الهواري و أبي عبيدة الأعرج التيهرتي و غيرهم من العلماء⁵، و ذكرت له المصادر العديد من المؤلفات منها: "العمروسي"، "أصول الدينونة الصافية"، "أحكام المعارف"، "أعلام الملة"، و غيرها من المؤلفات لم يبق منها سوى كتاب "الدينونة الصافية" الذي قام مهنا بن راشد بدراسته كمذكرة تخرج⁶، و كان متمكنا في علم الكلام و تصدى للعديد من المخالفين للعقيدة الإباضية⁷.

و لعل الأمن و الاستقرار الذي كان سائدا آنذاك هو العامل الرئيسي لنمو التجارة وازدهارها وكان من أبرز البضائع التي تتبادل بين مدن تيمهرت و أسواقها بضائع الشمال ببضائع الجنوب،

1- هو محمد بن يانس الدركلي النفوسي (أبو المنيب) 200-250هـ/ 815-564م، علم من أعلام المنطقة و أحد مقرئي القرآن، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص103، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص58-59.

2- علي يحيى بن معمر: الإباضية في موكب التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص21، أسماء المشري: الحسبة في الدولة الرستمية وتأثيراتها الاقتصادية و الاجتماعية، ماجستير كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2013-2014، ص34.

3- أبو يوسف وجدليش بن في البجلاتي: أول محتسب ورد اسمه في المصادر داخل الدولة الرستمية، يحيى بن معمر: نفسه، ج2، ص26، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص301.

4- معجم أعلام ليبيا، www.tamatart.org، 2009/04/20.

5- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص41، ابن الصغير: المصدر السابق، ص32، ليفيتسكي: المرجع السابق، ص22.

6- عمرو الشامي: دراسات في الإباضية، مجلة الحياة، ع1، جمعية التراث، الجزائر، 1998، ص24، أسماء المشري: المرجع السابق، ص108.

7- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص- ص88-101، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص47-67.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

والعكس هي التي كان يقوم بها الرعاة البدو، باستبدال ما لديهم من الغنم والصوف والجلود والشحم وغيرها، ببضائع العاصمة من حبوب و قمح و بعض المواد الضرورية كالمالح والسكر والزيت أو الألبسة والأفرشة المجلوبة من بلاد الأندلس و السودان أو من مدن الغرب والمشرق¹.

و مما لا ريب فيه أن التجارة كانت تؤدي في نطاق الأسواق، حيث أنها كانت تقام أين توجد التجمعات السكانية، كما كانت لكل قبيلة أو قبائل سوق محلية، و تقام في نطاق دائرة أمير يكون قادرا على الحماية و الأمن، و غالبا ما يحمل السوق اسمه. كما أن وظيفة السوق تتعدى التجارة، فله وظائف اجتماعية، و ثقافية و دينية و غيرها و تستعمل في السوق عدة أنظمة من أجل تنظيمه ومنع الاحتكار والاستغلال و منها²:

* **نظام النقود:** يذكر ابراهيم بحاز أن الإشارات إلى العملة الرسمية قليلة، خاصة في تيهرت لكننا نجد ابن الصغير يشير إلى العملة في قوله عن الإمام يعقوب بن أفلاح، كان نزيه النفس ما جس بيده دينارا ولا درهما³ و هما عملتان متداولتان في العالم الإسلامي⁴ و لعل العملة كانت تضرب ذهباً لقول أبي أبي اليقطان:

و كم ضربوا ذهباً سكة رأينا له قطعة كأثر

و يضيف عبد الرحمن الجليلي، أن لتيهرت الإباضية سكة⁵ مضروبة باسمها⁶ و هذا ما أكده أكده محمد عمرو الطمار بحيث قال أن أهل تيهرت ضربوا في بلادهم سكة باسم بلادهم الإباضية⁷

1- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 178.

2- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 149.

3- حدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن الدينار الإسلامي كان يساوي الدينار البيزنطي، و كان هذا الأخير يساوي 4,25 غراما ذهباً أما الدرهم الإسلامي يساوي 14 قيراطا و بالتالي الدينار يعادل عشرين درهماً، أنظر، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 267، إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 182.

4- إبراهيم بحاز: نفسه، ص 183.

5- السكة: هي الختم على الدنانير و الدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيها صور أو كلمات مقلوبة، ينظر عبد عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 266.

6- عبد الرحمن الجليلي: المرجع السابق، ج1، ص121.

7- محمد عمرو الطمار: الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص 97.

الباب الثاني — الأوزان الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

وضربت هذه النقود في عهد الإمام عبد الرحمن، حيث ضربت من قبل الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليميني، و كتب عليها في الوجه الأول:

ضرب هذا الفلوس بافريقية، و على الوجه الآخر ستة و اثنين و أربعين و مائة، و لهذه الدلائل يمكن أن يثبت أن تيهرت عملة يتعاملون بها¹.

* **المكايل و الأوزان:** استعملت الأوزان و الوحدات الضرورية لتسهيل عملية التعامل بين التجار، ولعل من بين هذه المكايل و الأوزان التيهرتية نجد: المد²: و الذي يكتالون به القمح وغيره من

الحبوب والذي يعادل خمسة أقفزة³ و نصف قرطبية⁴ أما قنطار الزيت، و غيره، فهو عندهم قنطاران قنطاران غير ثلث بالوزن العادي، أما رطل اللحم فهو بمثابة خمسة أرطال⁵، بالمقارنة مع مكايل قرطبة، هذا بالنسبة للمواد الضرورية، ذات الأشغال اليومي و التي تنتج في تيهرت وضواحيها، و هي بخسة الثمن لوفرتها، فهي لا تباع بالمكيال العادي و إنما بالزيادة أضعافاً، أما المواد الغذائية المستوردة كالفلفل والبهارات فهي تكتال بالمكيال العادي و هو قنطار عدل لا أكثر ولا أقل، لأن المادة مطلوبة بكثرة، لا تكون موجودة باستمرار في المدينة فيبقى كيلها ثابتاً، وباختلاف المناطق و المدن تختلف المقادير و المكايل من واحدة إلى أخرى⁶ و منه ساعدت هذه الأوزان على تسهيل عملية

1- إبراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 183، ص 186.

2- ذكر البكري " أن مدهم الذي يكتالون به خمسة أقفزة و نصف قرطبية"، البكري، المصدر السابق، ص 69، و ذكر ابن الأثير أنه في سنة 207 هـ أثناء المجاعة في الأندلس بلغ المد في بعض البلاد ثلاثين ديناراً، ينظر، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج 5، ص 205، ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 81.

3- القفيز: يستعمل لكيل السوائل كالزيت و كذلك الحبوب، أنظر: جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 185، و حول المكايل و الموازين ينظر: موسى لقبال: الحسبة، المرجع السابق، ص- ص 73-78.

4 نسبة إلى الكيل القرطبي، أنظر: جودت عبد الكريم: نفسه، ص 185، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 121.

5- البكري: المصدر السابق، ص 69، و نفهم من قول البكري أن تيهرت مدها الخاص الذي يختلف في بعض النواحي، بحيث بحيث نجد مد تيهرت، مد القيروان، و مد سجلماسة و غيرها، للمزيد عن هذه المكايل و الأوزان في تيهرت ينظر، تالية سعدو: مدينة تيهرت من خلال المصادر الجغرافية، الخلدونية، المرجع السابق، ص 38-39،

(L) Golvin, Le magrib central à l'époque des zirides, paris 1957, p84.

6- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 184.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

التبادل التجاري داخل المدينة على الرغم من اختلافها، و هذا لا يتوافق مع التجارة الخارجية، وقد كان المحتسب هو الذي يقوم بعملية الفصل بين التجار في حال حدوث تجاوزات أو شيء من هذا القبيل، فيأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾¹.
و لقد اشتهرت تيهرت بتجارها، فنظم الرستميون الأسواق، و جعلوا لكل حرفة سوقا، وعينوا المحتسبين فعمرت أسواقها².

2- التجارة الخارجية و مبادلات تيهرت التجارية:

أصبحت تيهرت الحصبة عاصمة الرستميين مزدهرة ازدهارا كبيرا حتى صارت مجمعا للتجارة والشهرة العالمية، إذ سميت "بالعراق الصغير" أو عراق المغرب أو بلخ المغرب³ تشبها ببلاد العراق الصاخبة بمختلف الأجناس و الملل⁴، فاتسع نطاقها و أمنت طرقها، و تحولت قراها إلى مدن ومراكز ومراكز عامرة بالتجارة وأصحاب الأموال و الأسواق، و عرجت عليها طرق التجارة الزاهية، من شمال إلى جنوب، أو من شرق إلى غرب⁵ فكانت من مصر و إفريقية و المغرب⁶.
و قد أدت الإباضية دورا كبيرا في إنعاش التجارة في المغرب الأوسط، و ببلاد الصحراء فضمنت جماعات كبيرة من التجار الذين وجدوا الأمن في ظل الأئمة⁷، و لهذا تحولت تيهرت إلى مركز تجاري نشيط خلال القرنين الثالث الهجري و التاسع الميلادي، بحيث كانت قوافل التجار تدخل من تيهرت و تخرج جنوبا حتى واحة الأغواط في جنوب الجزائر الحالية، و من ثم يتجه بعضها

1- سورة آل عمران: الآية 104.

8- G. Marçais: la berberie musulmane, op, cit, p 104

3- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 10.

4- حسن أحمد محمود و منى حسن محمود: تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ط1، دار الفكر العربي، بورسعيد، القاهرة، 1999، ص 121.

5- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته، المرجع السابق، ص 332.

6- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 35.

7- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 120.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

شرقا إلى فزان¹ و من ثم إلى جبل نفوسة وطرابلس و يتجه بعضها إلى وارجلان، التي تعد مركزا تجاريا على أبواب الصحراء الكبرى² ، كما كانت القوافل التجارية، تصل إليها من فاس والقيروان وسيجلماسة و بلاد كوكو في شمال السودان.

لقد نشطت الحركة التجارية في تيهرت و توسعت علاقاتها في اتجاهات عديدة، نذكر منها:

* **العلاقة بالأندلس:** كانت العلاقة السياسية طيبة³ بين أمراء بني أمية في قرطبة و الأئمة الرستميين وهذا يرجع بالدرجة الأولى لأن عدوهم واحد هو الدولة العباسية لذلك قامت بين الأندلس و تيهرت علاقات وتجارية و كانت السفن تتردد بين وهران و ألميرية⁴ كما أن تيهرت كانت تضم جالية أندلسية أندلسية كبيرة فحتى عبد الرحمن ابن رستم عين مجلس للشورى كان منهم مسعود الأندلسي و عثمان ابن مروان الأندلسي⁵ وهذا دليل على وجود الجالية الأندلسية.

و كان التجار يسلكون طريقين إلى الأندلس طريق أول بري من تيهرت إلى طنجة و سبتة مرورا بمدينة تلمسان⁶ و من ثم إلى الأندلس عبر مضيق جبل طارق⁷ أما الطريق الثاني فهو طريق بحري بحري حيث تنقل السلع من تيهرت إلى موانئ وهران و تنس و مرسى الحجاج و مرسى فروخ ومنها بجرا إلى الأندلس⁸ فقد كان الطريق البحري هو المساعد في اتصال تيهرت بالأندلس عن طريق ميناء

1- و هم قوم يغلب عليهم اللون الأسود، و القزان ولاية فيها نخل و تمر كثير، أنظر: يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص184.

2- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 577.

3 - بدأت مبكرا حين وصل عبد الرحمن بن معاوية إلى المغرب فارا من بطش العباسيين حيث أقام بين بني رستم الذين أجاروه من الأخطار التي تعرض لها نور الدين، الرستميون و علاقاتهم ببني أمية بالأندلس، الخلدونية، المرجع السابق، ص75.

4- عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 569، أهم مدن ألميرية: ألميرية، برجة، بيرة، لسان الدين بن الخطيب: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003، ص- ص 13- 15.

5- محمد ابن عميرة، المرجع السابق، ص 118.

6- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 88.

7- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 153، و سمي أيضا بجبل الفتح، لسان الدين: المصدر السابق، السابق، ص263.

8- جودت عبد الكريم: نفسه، ص 155.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

فروخ على البحر الذي يواجه موانئ شاطية و تدمير¹ و مرسى أقلة الأندلسية² كما يذكر ابن حوقل أن تنس كان يقصدها الأندلسيون بمراكبهم و يقصدونها بمتاجرهم و ينهضون منها إلى ما سواها³ و من صادرات الأندلس إلى تيهرت: الحديد، الرصاص، النحاس، قصب السكر، الحرير، الياقوت الأحمر، الزئبق، القطن و هناك من يضيف الخدم الصقلية و الجواري الروميات و الأندلسيات⁴. و كانت هذه السلع تستقر في تيهرت أو تنتقل إلى مناطق أخرى باعتبار أن تيهرت كانت مركزا تجاريا، أما صادرات تيهرت إلى الأندلس فقد تمثلت في مواد غذائية خاصة الحبوب، الغلال⁵،

الأغنام⁶ و الخيول و المنسوجات الصوفية و التمور و بعض سلع بلاد السودان كالعبيد و العاج⁷ وهكذا وهكذا فقد ازدهرت التجارة بين المنطقتين خاصة و أن تيهرت كانت تقع على الطريق الرابط بين الأندلس و الشرق و هذا ما زاد في أهميتها الاقتصادية بالنسبة للأندلس و في مساهمتها في الحركة التجارية عموما.

* **العلاقة التجارية مع سجلماسة:** كانت العلاقة السياسية بين تيهرت و سجلماسة طيبة حسنة تربطها المصاهرة كما كانت العلاقة التجارية مزدهرة بفضل الطريق الذي يربط تيهرت بتلمسان ثم

-
- 1- كورة بالأندلس: و هي شرقي قرطبة، سميت باسم ملكتها، تبعد عن قرطبة مسيرة سبعة أيام بالنسبة للراكب، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 193، الإدريسي: المصدر السابق، ص 281.
 - 2- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 207.
 - 3- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 77.
 - 4- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص 92، ص 153.
 - 5- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 78، و يقول صاحب الاستبصار عن مدينة تنس بأنها: "... منها يحمل الطعام إلى الأندلس" ينظر مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 127، الحبيب الجيلاني: المرجع السابق، ص 38.
 - 6- مؤلف مجهول: نفسه، ص 178، و يبدو أن اعتماد الأندلس على تيهرت في الحبوب كان كبيرا، لذا حرص الأمير على صداقة الرستميين لضمان إمدادات الحبوب و السلع الرستمية لرعاياه، نور الدين عسال: الخلدونية، المرجع السابق، ص 78.
 - 7 عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج 2، ص 577، و أيضا،

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

سجلماسة وهناك طريق آخر مباشر من تيهرت إلى فاس ثم سجلماسة¹. و رغم أن سجلماسة كانت فقيرة زراعيا إلا أن وقوعها في الطريق من المغرب الإسلامي إلى السودان جلب إليها سلع الشرق ومنتجات الغرب، وهكذا فقد ربطت سجلماسة بتيهرت علاقة تجارية نشيطة أثمرت بالنسبة للطرفين فعاشت سجلماسة في جو يسوده الأمن و الاستقرار و ضمنت تدفق التجار إليها باعتبارها محطة على الطريق التجاري نحو السودان كما ضمنت تيهرت للأمن لطرقها التجارية نحو السودان أيضا².

* **العلاقة مع بلاد السودان الغربي:** ارتبطت تيهرت بالسودان اتصالا تجاريا و ذلك عن طريق القوافل التجارية نحو أقطار السودان الوسطى و الغربية و الشرقية فتصل إلى ساحل الذهب وساحل العاج و تشاد والنيجر و نيجيريا و بلاد الداومي و غانا و غينيا و مالي و ليبيرية³. و كان هذا الارتباط عبر طريقين رئيسيين:

الأول طريق غربي، عبر سجلماسة⁴ و الثاني شرقي عبر ورجلان و كانت هذه الطريق من أصعب الطرق التجارية لوقوعها في منطقة حارة جافة لذلك كان السفر في أوقات معينة و هي فصل الشتاء⁵ الشتاء⁵ و هناك العديد ممن أشاروا إلى معاناة المسافرين إلى السودان من شدة الحر، حيث ذكر كل من القزويني و الحموي و البكري حكاية السودان بقولهم: " دخل أعرابي من اليمن يقال له أبو هلال تاهرت ثم خرج منها إلى أرض السودان مع ركب التجار، فأتى عليه يوم له وهج و حر شديد و سموم

1- الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 41، أبو الفداء: المصدر السابق، ص 123، و يذكر ابن أبي زرع أن هذا الطريق كان متعبا مما دفع الإمام إدريس إلى بناء باب الفوارة، من جهة القبلة للجزء الأندلسي من فاس، و منها يخرج إلى سجلماسة" ينظر ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 20.

2- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 230.

3- هذه الأسماء جديدة أغلبها استعماري أما في الكتب القديمة فلا نجد فيها إلا اسما واحدا لهذا القطر و هو السودان، ينظر محمد على دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 346.

4- ذكر اليعقوبي أن الطريق تبدأ " من سجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة يريد أرض السودان" ينظر اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 360، و يؤكد ذلك الحموي بقوله: " أن التجار تسافر من سجلماسة إلى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة" ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج 2، ص 361، كما ذكر صاحب الاستبصار أنه بين "سجلماسة و غانة صحراء مسيرة شهرين في رمال و جبال غير عامرة قليلة الماء" ينظر مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 201.

5- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 103.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

في تلك الرمال فنظر إلى الشمس مصحرة راكدة فقال: " أما و الله لقد غرزت في هذه الرمال لظالما رأيتك ذليلة بتيهرت"¹.

و كان تجار تيهرت يصدرون إلى السودان المنتوجات الصوفية و القطنية و الكتانية و أواني الزجاج والملح ويستوردون من السودان الذهب و العاج و جلود الحيوانات² و كذا العبيد من أجل جعلهم خدما³، حيث كانت تيهرت الرستمية تسيطر على معظم منافذ الطرق المؤدية إلى السودان، و قد امتلكت تيهرت عددا من القواعد الصحراوية التي تقع على طرق التجارة مع بلاد السودان خاصة وارجلان التي ارتبطت بها ارتباطا وثيقا و السفر منها إلى هذه البلاد كان كثيرا يقول ابن سعيد: "و السفر منها (وارجلان) في الصحراء إلى بلاد السودان كثير"⁴. وكان تجار تيهرت يحملون المنسوجات الصوفية و القطنية و الكتانية و أواني الزجاج، والفخار والخزف ذي البرنق المعدني، و الملح إلى بلاد السودان لندرته عندهم فيبيعونه هناك بأسعار مرتفعة للغاية، ويعودون محملين بالذهب والعاج و جلود الحيوانات و كان أهل ورجلان يقودون هذه القوافل التجارية إلى بلاد السودان⁵.

و أشهر ممالك السودان التي كانت لها كانت لها علاقة وثيقة بأئمة تيهرت، مملكة كوكو التي تقع في شرق نيل غانا الذي ينبع من بحيرة كوري (تشاد)⁶، و هي مملكة تبعد عن تيهرت مسافة ثلاثة ثلاثة أشهر سيرا تقريبا⁷، و قام لها محمد بن عرفة و قد أعجب الملك بعظمة هذا السفير الرستمي

-
- 1- القزويني: المصدر السابق، ص 169، الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 813، البكري: المصدر السابق، ص 67، للمزيد عن هذه الحكاية ينظر: سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 30-31.
 - 2- مبارك الميلي: المرجع السابق، ص 75.
 - 3- يقول جودت عبد الكريم أن ثمن العبيد كان رخيصا لكثرة عددهم و أن قيمة العبد لم تصل قيمة حصان، ينظر جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 226.
 - 4 - ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1970، ص126.
 - 5- الإدريسي: المصدر السابق، ص120، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص347.
 - 6 - ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص93.
 - 7 - الإدريسي: المصدر السابق، ص 44-45، صلاح الدين المنجي: المرجع السابق، ص- ص103-110.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

الذي جاء يحمل هدايا أفلح بن عبد الوهاب. و قد علق ابن الصغير عن إعجاب الملك السفير، فقال: "وعجب ملك السودان ما أراه من هيئته و جماله و فروسيته إذ ركب الخيل فهز بيده (محمد بن عرفة) و قال له ملك السودان كلمة بالسودانية معناها أنت حسن الوجه و الهيبة والفعال¹.

و قد ظهرت آثار الإتصال بين تجار تيهرت و أهالي هذه البلاد واضحة في سلوكهم و ملبسهم و طرق معيشتهم و تجارهم، و أهل كوكو يلبسون القداوير (الجبب) و الأكنيسة و على رؤوسهم الكرازي و حليهم الذهب و خاصتهم يلبسون الأزرق و هم يداخلون التجار و يجالسونهم و يضعونهم بالبضائع على جهة المقايضة².

و كما حمل تجار تيهرت هذه الألوان الحضارية، حملوا معهم الإسلام إلى هذه الجهات، وكثيرا ما كان يرافق القوافل التجارية عدد من فقهاء المسلمين الذين خالطوا أهل بلاد السودان وتركوا فيهم آثارا بعيدة المدى، و بطبيعة الحال كان الأثر الذي تركه التجار المسلمون في نفوس الأهالي أكثر بكثير من المذهب الذي كانوا يحصلون عليه، و تعتبر جهود هؤلاء الفقهاء الأسس التي قامت عليها دولة مالي الإسلامية التي كان غالبية سكانها مسلمين لهم مساجدهم و فقهاؤهم.

و قد ظهرت في هذه المناطق بعض المؤثرات الإباضية التي تركها تجار الإباضية تمثلت في بعض ممن شاهدتهم ابن بطوطة من إباضية الخوارج في بلاد السودان³، و صاحب انتشار الإسلام اللغة العربية، فكان الكثير ممن يتكلمون أو يجيدون الحديث باللغة العربية إلى جانب لغتهم الخاصة⁴.

ارتبطت تيهرت أيضا بعلاقات تجارية مع مصر خاصة و أن حدود الرستميين كانت تصل شرقا إلى سرت ووجد في مصر الكثير من الإباضية و قد أعجبت مصر بحضارة الرستميين و عدل

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص31، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص240.

2- الإدريسي: المصدر السابق، ص45، سليمان الباروني: نفسه، ص نفسها، جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 248 - 249.

3 - ابن بطوطة: المصدر السابق، ص67.

4- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص213، صلاح الدين المنجد: المرجع السابق، ص62.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

أئمة تيهرت، لذلك فقد تدفقت القوافل التجارية نحوها محملة بالسلع الرستمية¹، و من جهتها كانت قوافل تيهرت التجارية تجوب صحراء سرت ذهابا و إيابا بين المدن الرستمية في المغربين، الأوسط و الأدنى و بين مصر محملة بالسلع، وقد كانت هذه القوافل تؤمن من طرف الأئمة الرستمين، فكانوا يرسلون إليها قادة يجيرونها، مثلما قام به أبو حاتم لحماية قوافل آتية من المشرق² وقد كانت القوافل التجارية تأتي من بغداد و البصرة إلى بلاد المغرب، مارة بالأنبار و هيت والرقة وحران و الرها و حلب ودمشق و الإسكندرية، و منها إلى برقة ثم إلى تيهرت فباقي المدن الرستمية.

3- نظام المبادلات التجارية:

و قد استخدمت تيهرت الرستمية عددا من النظم في تجارتها الخارجية نميز منها:

* **النقود:** خدمت النقود الحركة التجارية و سهلت عملية التبادل التجاري و لم يكن اختلافها بين الدول الإسلامية عائقا، إذ أن نفوذ دولة ما كانت مقبولة في الدول الأخرى، و لعل ما يؤكد هذا هو تلك النقود التي بعث بها محمد بن عبد الرحمن أمير قرطبة، و التي قدرت بمائة ألف درهم، إلى الإمام أفلح بن عبد الوهاب³ و كذلك دفع زيادة الله الأغلبي بكيس فيه ألف دينار إلى الخليفة المأمون، وكانت هذه الدنانير مضروبة باسم - إدريس-.

و بهذا فلعل المرجح في مسألة قبول النقود الأجنبية، اختلاف السكة في الوزن، فالتجار كانوا يجذبون وزنا لا عددا، و كان لزاما على التاجر، أن يحمل نقوده معه في ترحاله، و هذا ما يعرضه للغزو وقطاع الطرق، إلا أن هذا الأمر خفت حدته بوجود الصيارفة⁴.

* **الصيارفة:** أشار ابن الصغير إلى وجود الصيارفة في تيهرت و منهم أبو محمد الصيرفي في القرن الثالث، وهي دلالة كافية و شافية على وجودهم بتيهرت، و الأوساط التجارية⁵ حيث أن المصري كان له ضلع كبير فهذه المهنة - الصرف و الصيرفة- تدل على وفرة السائل النقدي وتنوعه، الأمر

1- عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص 573، محمد عمرو الطمار: الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص 99.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص91.

3- ماريا حبسوس: المرجع السابق، ص 71.

4- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 236.

5- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 38- 39.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

الذي يطلبه صياغة لاستبدال العملات ببعضها البعض، أو تقييم أوزان بعضها الآخر، و فرز المغشوش منها عن صحيحها¹ وهذا يمثل أرقى مظاهر النشاط التجاري و التقدم الاقتصادي و قد استفادت تيهرت خاصة و الرستميون عامة اقتصاديا و اجتماعيا من تجارتهم مع السودان خاصة أنهم أفادوا العالم الإسلامي، و ساهموا في تزويده بالمعدن الثمين و بهذا جنى الرستميون أطيب الثمار، حينئذ ذكر ابن الصغير، أن سكان تيهرت علت وجوههم سماء الحضارة و الرفاهية، و بدت في محياهم آثار النعمة و الغنى و لعل ما زاد في هذا الازدهار الاقتصادي، هو صك الأئمة الرستميين للعملة²، و مساهمتها في إنعاش الأحوال الاقتصادية، ضف إلى موقعها الجغرافي، إذ تعتبر جسرا ومعبرا و ملتقى القوافل التجارية³ من جميع الجهات، حيث أنها كانت تستورد السلع والبضائع من بلاد معينة، لتصدرها إلى بلاد أخرى، فلم يكن الذهب المجلوب من بلاد السودان، يستقر كله في تيهرت و المغرب الأوسط و مثله العبيد، بل كان يعاد تصدير بعضه إلى الخارج، و تتحقق فوائد و أرباح من وراء ذلك.⁴

إن ما تستشفه من خلال تعرضنا لمظاهر العلاقات و المبادلات التجارية بين تيهرت والدول المجاورة لها هو على الرغم من سوء العلاقات السياسية بين تيهرت و سجلماسة، و بين بغداد والقيروان و فاس، إلا أن قوافل التجار كانت تجتاز بلاد المغرب إل سجلماسة التي غصت بالعراقيين من بغداد و الكوفة والبصرة، و كانت هذه القوافل تحمل السلع إلى هذه البلدان، ثم تعود محملة بالمتاجر السودانية في صحبة أهل سجلماسة و بالتالي انتقل إلى تيهرت أهل الأموال والتجار من مصر و افريقية و المغرب⁵ و وفد إليها جماعة من الأندلسيين، و سكنها التجار المسيحيين⁶،

1- نفسه، ص 39.

2- نفسه، ص 39.

3- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 212.

4- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 245.

5- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص 35.

A. laraoui: l'histoire du maghreb, op. cit, p 104.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

والمسلمون و اليهود و أصحاب المذاهب و السنية و المعتزلة و غيرهم¹ بحيث أقاموا فيها، فكانت لهم منازلهم و مساجدهم و فنادقهم و أسواقهم².

لقد كانت لتيهت قوافل منظمة إلى السودان، و غيرها من الأقطار الشرقية كمصر وغيرها، تذهب معبأة بالصادرات و ترجع مثقلة بالواردات³، و كانت تيهت موصولة بشبكة من الطرق التجارية لكل الجهات، فازدهرت التجارة و الصناعة فيها كل الازدهار، فأحملت القيروان و غيرها من قواعد المغرب فصارت هي السوق العالمية في افريقية⁴.

و بهذا عرفت التجارة الخارجية ازدهارا واسعا عاد على تيهت و الدولة الرستمية عموما بالرخاء الاقتصادي و الاستقرار و الرقي التجاري.

1- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 35.

2- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 207.

3- محمد علي دبوبز: المرجع السابق، ج3، ص 281.

4- نفسه، ج3، ص نفسها.

الفصل الثاني: الأوضاع الاجتماعية في القيروان و تيمهرت

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية في القيروان

بدأت الحياة الاجتماعية في القيروان منذ تأسيسها¹ و جعلها موطننا لجند المسلمين، تتوجه منها الحملات لتوطيد السيادة الاسلامية، و كمنارة هداية لنشر تعاليم الاسلام السامية التي تدعو إلى إقامة مجتمع ناهض قوي الصلة بالله تعالى، تسود بين أفرادها الحرية و المساواة و التعاون.

1- يذكر أحمد الأسود أنه: "إلى حد بناء القيروان لا يمكن توقع توطن عربي بافريقية إلا بصفة فردية و تلقائية و لكن بعد بناء القيروان يمكن الكلام عن استقرار و توطن العرب في افريقية.."، أحمد الأسود: افريقية في عصر الولاة، المرجع السابق، ص 595.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

و مع مطلع القرن الثاني للهجرة زحرت القيروان بالسكان من مختلف الأمصار، فأصبحت بنيتها الاجتماعية تتألف من عناصر عربية و أفارقة و بربر و روم، و هذا ما أشار إليه يعقوبي بقوله: "في مدينة القيروان أخلاط من الناس من قريش و من سائر بطون العرب، من صفر، و ربيعة، وقحطان، و بها عجم البلد البربر و الروم و أشباه ذلك"¹.

إن عدد سكان القيروان تزايد في نهاية القرن الثاني و بداية القرن الثالث للهجرة بسبب كثرة الجند في آخر ولاية العكي، حيث ذكر الرقيق 50 ألفاً²، و من المعروف أن البربر الذين كان عددهم قليلا في القرن الأول قد دخلوا هذه المدينة بكثرة بعد إسلامهم و اندماجهم التدريجي خلال القرن الثاني، و هذا ما يعطينا رقما يتجاوز الخمسين ألفا كسكان القيروان و ضواحيها في بداية القرن الثالث الهجري³، فبناء ابراهيم بن الأغلب لمدينة العباسية يدل على كثرة عدد سكان القيروان، إضافة إلى ما ذكرناه من عدم ثقته في الجند⁴، و أيضا توسعة جامع عقبة في عهد زيادة الله بن ابراهيم (201-223هـ / 817-836م)، و أيضا بناء الحوانيت الجدد⁵، و خروج الجيش لغزو صقلية بقيادة أسد بن الفرات الذي خرج معه أشرف افريقية من العرب و الجند و البربر، و الأندلسيين، وأهل العلم و البصائر⁶، و ستكون المدينة أكثر سكانا في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة (9م)، و يتضح لنا ذلك من بناء رقادة سنة 263هـ / 876-877م وازدهار الاقتصادية بالقيروان و ناحيتها و افريقية عموما بظهور تجار كبار تعاطوا تجارة الرقيق و الذهب والعاج مع السودان.

فما هي إذن العناصر التي كونت المجتمع القيرواني؟ و ما هي طبقاته الخاصة و العامة؟ و كيف

كانت أوضاع و أحوال المجتمع القيرواني؟

أولا- التركيبة البشرية للمجتمع القيرواني

- 1- يعقوبي : البلدان، المصدر السابق، ص248.
- 2- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص181.
- 3- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص26.
- 4- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص187.
- 5- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص37.
- 6- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص102.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

لا يختلف اثنان على أن مدينة القيروان انجاز عربي محض¹، و قد عرفنا كيف اختطت مختلف القبائل و البطون و العشائر العربية في القيروان، و كيف توزعت في فضائها، إلا أن هذه المدينة ضمت أيضا غير العرب منذ تأسيسها فقد صحب العرب موالي عجم من المشرق و مصر (فرس وغيرهم)، و المؤكد أن هناك من البربر من صحب عقبة منذ كان في سرت و فزان²، ثم لما افتتح غدامس و قفصة و قسطيلية³، ثم أن القيروان كانت محاطة بالقبائل البربرية، و كانت المنطقة تضم حصونا للروم⁴، ثم أن كسيلة البرنسي دخل مدينة القيروان بجمع عظيم من البربر و الروم⁵، و صالح حسان من ألقى بيده على الخراج، و كتب الخراج على عجم افريقية، و على من أقام معهم على النصرانية من البربر و الروم⁶، كما كان موسى ينقل العجم من الأقاليم إلى الأديان⁷، و قد رأينا كيف كيف أمر عمر بن عبد العزيز بأن من كانت عنده بنت من البنات اللاتي قدمن في الجزية بأن يخطبها إلى أبيها، فيتزوجها منه⁸، و نتيجة لذلك امتزجت الأسر البربرية بالأسر العربية عن طريق هذه المصاهرات، مما ساعد على تقدم الحياة الاجتماعية و تقوية الاتصال بين السكان، وبالتالي عادات و تقاليد متشابهة⁹.

و بما أن العرب كانوا هم المؤسسين، و يمثلون الأغلبية من بقية العناصر الأخرى و لأنهم المخطوظون أكثر، سنتناولهم بالدراسة في المقدمة، ثم بقية الأجناس الأخرى، الأفارقة، و الروم، والبربر.

1- العرب:

1- H.DJAÏT, l'afrique arabe, op.cit, p611.

2- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص 194 - 195.

3- نفسه، ص 196.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص 32.

5- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 30 - 31.

6- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص 34.

7- نفسه، ص 38.

8- يوليوس والهاوزن: تاريخ الدولة العربية، المرجع السابق، ص 285.

9- حسن حسيني عبد الوهاب: وراقات، المرجع السابق، ص 381.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

يمكن التمييز بين فترتين للتوطن العربي، فترة أموية كانت فيها أغلب القبائل يمنية، مصرية وشامية، وفترة عباسية كان فيها العرب أغلبهم مضرين خراسانيين و حميريين من حمص¹، و يمكننا دراسة التوطن العربي في ثلاثة أشكال: الاختطاط، توطن الجند، توطن القبائل.

أ/ الاختطاط²: لقد أشارت كتب التراجم و الأخبار و التراجم إلى اختطاط المسلمين المساجد والدور بالقيروان، فعبد الله بن سعد قد اختط مسجدا في موضع القيروان بقي يسمى باسمه قرونا³، كما اختط رويغ بن ثابت الأنصاري مسجد الأنصار سنة 47هـ⁴، و قد اختط عقبة المسجد و دار دار الإمارة عند بناء القيروان و اختط المسلمون حول ذلك دورهم و مساجدهم⁵، و أمرهم أن يقتطعوا ويختطوا، و اتخذ لها من الخمس ما يتخذ الأمراء لحرس المسلمين و بنى الناس مساجدهم و مساكنهم و اتسعت خطة المسلمين⁶، ويشير المالكي إلى العديد من الشخصيات التي اختطت في القيروان مثل اختطاط حنش الصنعاني لدار ومسجد، و كذلك زياد بن أنعم⁷، و على أن ابن رباح و اسماعيل تاجر الله، و قد سكن بعضهم القيروان و لكن مواطنه كان قرية غير بعيدة مثل أبي عمران موسى بن الأشعث البلوي أو ميسرة الزرودي⁸، و هناك من استوطن القيروان لمدة ثم انتقل منها إلى موطن آخر مثل أبي معمر عباد بن عبد الصمد⁹.

و قد تجمعت بعض العشائر العربية في حارة أو زقاق أو رحبة في القيروان مثل:

- 1- أحمد الأسود: افريقيا في عصر الولاة، ج2، ص595، و منهم عشرة آلاف من العرب الذين اصطحبهم مؤسس القيروان وكان أغلبهم اليمانية 1 بطنا أو عشيرة من 44، محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص325.
- 2- اختط لغة، إذا تحجر فلان موضعا فخط عليه بجدار، و جمعها الخطط، و الخطة هي الأرض تنزل من غير أن ينزلها نازل، قيل قيل ذلك، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م2، ص278.
- 3- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص33.
- 4- نفسه، ص27.
- 5- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص224.
- 6- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص12.
- 7- نفسه، ج1، ص- ص 121-129.
- 8- المالكي: الرياض، المصدر السابق ج1، ص- ص 107-137.
- 9- نفسه، ج1، ص138، أحمد الأسود: افريقيا في عصر الولاة، المرجع السابق، ج2، ص596.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

- حارة يحصب: حيث كان يسكن عبد الله بن أبي حسان اليحصبي أحد أشرف افريقية في عهد زيادة الله الأغلي¹.
- حارة السدرة².
- زقاق بني غانم: حيث كان يسكن القاضي ابن غانم³.
- الحارثيون: حيث نزل أبو عيينة الشاعر⁴.
- رحبة القرشيين: ذكرها أبو العرب في حدود 308هـ / 920م⁵.
- محرس الأنصار: ذكره ابن ناجي، و قد أنشأ حول المسجد المزعوم لرويفع بن ثابت الأنصاري⁶، وكذلك رحبة الأنصار⁷.
- رحبة بني دراج⁸.
- مقبرة البلويه: في الواقع المقبرة لا تسير إلى خطة ما و إنما هي تنبي فقط بوجود عشيرة استوطنت القيروان و مقبرة البلوية تعود في وجودها إلى حيث دفن الصحابي أبو زمعة البلوي⁹، في نفس الإطار يمكن الإشارة إلى مقبرة القرشيين حيث دفنت ابنة عبد الله بن عمر بن الخطاب¹⁰.
- درب سنجار: سكنه قوم من سنجار من ربيعة¹¹.

1- محمد طالي: تراجم، المرجع السابق، ص- ص 71-76.
2- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص120.
3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص185.
4- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص185.
5- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص231، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص185.
6- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص27.
7- عبد الكريم ناريمان: مجتمع افريقية في عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000، ص63.
8- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج3، ص64، و هي عشيرة قرشية.
9- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص84.
10- نفسه، ج1، ص62.
11- عبد الكريم ناريمان: مجتمع افريقية، المرجع السابق، ص63، نقلا عن أبي العرب في الطبقات، ص250 الذي يذكر فقط درب السنجاري.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

- قوم فلان، أو رهط فلان: و قد وردت العبارة أكثر لدى يعقوبي، و هو ما يعكس تدهور القبيلة العربية في افريقية فقد احتلت الرابطة القبلية و ظهرت مجموعات ارتبطت أكثر بالموقع الذي استوطنته أو بشخصية معينة مثال: قوم من فهر¹ رهط عمر بن الخطاب².

و الأكيد أن العرب استوطنوا القيروان و أحوازها، فكانت سكناهم المدينة و منازلهم خارجها³، وهو ما يعني ثنائية الاستيطان العربي بالقيروان فكان حضريا و ريفيا، و بصفة عامة تواجدت بالقيروان أهم القبائل العربية ممثلة في بعض العشائر أو الأقوام مثل قريش و من سائر بطون العرب من مصر و ربيعة وقحطان⁴.

ب/ **توطن الجند:** وفدت على افريقية و القيروان أعداد هائلة من الجند يصعب تحديدها ذلك أنها تنقص أو تزيد حسب الظروف الأمنية، و قد قدرهم الطالبي ب 180 ألف رجل⁵ في شكل شعب مسلح، لكن هذه الجيوش توزعت على افريقية و المغرب و الأندلس و سقط الكثير منها في المعارك و عاد بعضهم إلى المشرق⁶، بقي منهم في افريقية 50 ألفا في العهد الأموي حسب ما ذكره هشام جعيط⁷.

و يمكن التمييز بين الجند الأموي و الجند العباسي:

* **الجند الأموي:** كان يتكون من مصريين و شاميين، و قد وقع التحلي عن هذا الجند في عهد محمد بن الأشعث الخزاعي إثر تمردهم عليه، و هذا ما أظهره البلاذري بقوله: "ثم وثب عليه جند

1- البكري: المسالك، المصدر السابق، ج1، ص 670-671، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص235.

2- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص348.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص218، مثال، منازل عبد الله بن غانم.

4- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص348.

5- و يكون ذلك العدد في حدود 900 ألف بضربه في 5 لتقدير عدد الجند بعائلاتهم، أي أخذ بعين الاعتبار عدد البنوة والأطفال الذين كانوا يصاحبون الجيوش، و عدد من التجار، و حاشية الأمراء و الموظفين و دعاة الدين و غيرهم كثير، أحمد الأسود: افريقية في عصر الولاة، المرجع السابق، ج2، ص598، محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص325.

6- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص 25-26.

7- H.DJAÏT, l'afrique arabe, op.cit, p 611.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

البلد و غيرهم، وسمعت من تحدث أن أهل البلد و الجند المقيمين فيه وثبوا به فمكث يقاتلهم.. حتى اجتمع إليه أهل الطاعة ممن كان شخص معه من أهل خراسان و ظفر بمن حاربه و عرضهم على الأسماء، فمن كان اسمه معاوية أو مروان أو اسما موافقا لأسماء بني أمية قتله، و من كان اسمه خلاف ذلك استبقاه...¹، و هو يعني أن أغلب هذا الجند كان يتكون من عرب الشام و مصر، و بدليل تحالفهم مع جند الشام القادم مع ابن أشعث، و أن جزءا كبيرا من هذا الجند كان يتكون من موالي الأمويين، و هو ما أكدته انتشار أسماء الأمويين في صفوفهم.

و كان الرقيق القيرواني أول من أشار إلى أبناء الجند الأموي عند حديثه عن مجريات ثورة عبدويه الأنباري حيث حاولوا منع ابن الجارود و الخراسانيين من دخول القيروان²، ثم يظهر ذكرهم مجددا في ثورة طرابلس على ابراهيم بن الأغلب³، و قد انخرط هؤلاء في الصراع الجهوي- القبلي: يمينون- شاميون ضد خراسانيين مضربين، و كانت آخر إشارة لهم عند ابن عذارى في وصفه لنهاية الأغلبة⁴.

* **الجند العباسي**: استقر الجند العباسي في أهم المراكز الحضارية و منها القيروان⁵، و كان يتكون هذا الجند من خراسانيين و شاميين حيث استقر الخراسانيون بالقيروان، و قد بين اليعقوبي انتشار الجند العباسي⁶ في المدن الافريقية و منها القيروان، استقر فيها الجند القادم مع ابن الأشعث، و كان في حدود 40 ألف رجل⁷.

و من الشخصيات التي ذكرتها كتب التراجم يعود أصلها إلى الجند:

-
- 1- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص334.
 - 2- الرقيق القيرواني : المصدر السابق، ص 194- 195.
 - 3- ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج4، ص77.
 - 4- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص123.
 - 5- الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص- ص 191- 196.
 - 6- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص350.
 - 7- البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص334، محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص325.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

- أبو داوود العطار: و اسمه أحمد بن موسى بن جرير الأزدي¹.
 - حبيب بن نصر بن سهيل التميمي².
 - جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة الصدي، من أبناء القادمين مع حسان بن النعمان³.
 - سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي⁴، من جند حمص.
 - أبو العباس إسحاق بن ابراهيم الأزدي⁵.
 - أحمد بن محمد المعروف بابن علامة التميمي⁶.
- و بعد وصول جيش يزيد (60 ألفا) تغيرت أعداد العرب في افريقية عامة و القيروان بصفة خاصة والأسباب في ذلك أن جيش يزيد لم يتعرض إلى ما تعرضت له الجيوش السابقة من الهزائم والخسائر، و قد أخذ ثورات البربر و أقام الأمور مستقيمة و البلاد هادئة⁷، كما أن يزيد جدد بناء المسجد الجامع⁸، ورتب القيروان، حتى لو قيل إنه الذي مصرها لم يبعد الحق، و لكنه حسنها و زاد في قدرها⁹، و كانت تفد الشعراء عليه¹⁰، و هذا يدل على صلته و إحسانه و يدل أيضا على استقرار افريقية و ازدهارها و هو ما تستفيد منه القيروان خاصة.
- ج/ توطن القبائل العربية: لا شك أن العرب حاولوا أن يجربوا ما قاموا به في المشرق في افريقية، وكان الأمر على منهاجين:

1- محمد الطالبي : تراجم أغلبية، المرجع السابق، ص- ص 277-374.

2- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج4، ص371.

3- نفسه، ص نفسها.

4- محمد الطالبي: تراجم أغلبية، المرجع السابق، ص328.

5- نفسه، ص نفسها.

6- أبو العرب: طبقات علماء افريقية، المصدر السابق، ص101.

7- الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص126.

8- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص111.

9- نفسه، ص نفسها.

10- نفسه، ص 114.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

* **المنهاج العراقي:** و هو الاستيطان الحضري بتمصير مدينتي البصرة و الكوفة مع بقاء الأرض في يد أصحابها.

* **المنهاج الشامي:** و المتمثل في نظام الأجناد و هو توطن الجند الكور الشامية على حساب خراج الجهة¹، و تمتعهم بقطعة من الأرض مع ضرورة القيام بالواجب العسكري عندما يتطلب الأمر ذلك²، ولا شك أن الأمر يتوقف على طبيعة الفتح في افريقية و هو أمر غامض و مبهم، إلا أن أغلب الدلائل تشير إلى أن فتح افريقية كان عنوة³، باستثناء قسطنطية و نفزاوة حسب وجهة نظر التيجاني⁴، و الذي يؤكد أن بقاء كنائس النصارى بها خرابا إلى زماننا هذا لم يتصرف فيها.

و قد يكون ممكنا مقارنة افريقية بوضع الأندلس، فقد وضع إنزال الجند الشامي في 124هـ كور الأندلس على مثال أجناد الشام، و قد جعل لهم 3/1 أموال أهل الذمة طعمة و بقي العرب البلديون من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم و لم يعرض لهم في شيء منها⁵، و لا شك أن هذا النظام و هو مقاسمة أهل الذمة 3/1 أموالهم نظام قديم، و قد عرفت افريقيا الوندالية ما يشابه الأمر مع الوندال فقد قسم جنسيريك Genseric افريقيا بينه و بين جنده فكانت البيزاكيوم و Lagetulie (قسطنطية و نفزاوة) تابعة له، أما زوجيتانيا فقد كانت لجنده، و ذلك على حساب 3/1 أموال الأهالي الأفارقة، و قد أكد موديران على أن الجند الوندالي قد استوطن البروقنصلية و لم يكن ذلك حائلا دون القيام بالواجب العسكري⁶.

E.I.tome 2, 1977, article «Djund», p616. Sourdel (D).

-1

2- ابن الخطيب: الإحاطة بأخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، م1، ص 109- 110.

3- "أرض عنوة صيرة فيما كأرض السواد... و مصر و المغرب"، ابن سلام: كتاب الأموال، المصدر السابق، ص- ص 49- 205، البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص316.

4- "فلم يأت أنه أخذ من الزيتون بالشام و المغرب زكاة قال تركوه لأنه عليه الخراج"، ابن أبي زيد: النوادر، المصدر السابق، ج3، ص108.

5- ابن الخطيب : الإحاطة بأخبار غرناطة، المصدر السابق، ص109.

6- Moderan, yves, létablissement des vandales en afrique, in antiquités tardives, -6 10, 2002, p87 à 122, p- p 98- 102- 110.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيممرت

و يبرز لنا أحمد الأسود غايتين على الأقل في توطن القبائل العربية بأفريقية و هما الغاية الأمنية والغاية الزراعية و الاشتغال بالأرض¹، فالاستيطان العسكري و الذي يهدف إلى تحقيق وظيفة أمنية تجسد توطن القبائل في المواقع الحدودية أو الاستراتيجية و هذا ذكره الرقيق القيرواني في قول الخليفة هشام بن عبد الملك إثر البربر بالمغرب في 123هـ، ثم لا تركت حصن بربري إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسي أو تميمي²، وهو ما قد يوحي بانتقال مجموعات مضرية إبان ثورة البربر و بعدها إلى أفريقية.

أما التوطن أو الاستيطان الاقتصادي أو الزراعي قد مس الأراضي الخصبة كأرض الساحل الذي وصف بالسواد لخضرته و كثرة زيتونه سواء عند التجاني³، أو عند اليعقوبي⁴، و في القيروان ونواحي قموودة و القرى (سببية و قموونية..)، هذه المنطقة التي تسمى بظهير القيروان، و قد تم استغلالها اعتمادا على منظومة من التجهيزات المائية للتحكم في الأودية و الأمطار أو استخراج مياه الموائد السطحية⁵، و قد انتشرت منازل أهل القيروان و ضيعاتهم، و ربعهم في هذا المجال، فلقبه عمرو عمرو بن عثمان القرشي راجعا من بعض منازل⁶، و قد أتى إلى زيد بن حاتم بعض وكلائه فقال له: "أعطيت في الفول الذي زرعناه في فحص القيروان.."⁷، و لهذا كانت فحص القيروان مكان اختطاط العرب لمنازلهم و ربعهم و أراضيهم.

إن السكان العرب مثلوا الفئة المحظوظة، فمنهم الأمير و قادة الجند و العلماء و القضاة وكبار التجار والملاكين، و منهم الشعراء و الأدباء⁸ و منهم خاصة الأمراء و الوزراء و الولاة و أصحاب

1- أحمد الأسود: المرجع السابق، ج2، ص605.

2- الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية، المصدر السابق، ص111.

3- التجاني: رحلة، المصدر السابق، ص86-87.

4- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص350.

5- أحمد الأسود: المرجع السابق، ج2، ص617.

6- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص136.

7- نفسه، ص157.

8- ذكر الزبيدي أكثر من 20 شاعرا و لغويا بين منتصف القرن الثاني و نهاية القرن الثالث هـ (8-9م)، طبقات النحويين، المصدر السابق، ص- ص245-272، و ذكر الباحث محمد المختار العبيدي في الحياة الأدبية بالقيروان في عهد الأغالبة، دار

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تهيئته

الدواوين¹ والموظفين و عمال البريد و دعاة الدين و المغامرين و أنواع اللاجئين²، فقد وجدت أغلب القبائل العربية في القيروان، و هذا ما أكده اليعقوبي: "من قريش و من سائر بطون العرب من مضر و ربيعة و قحطان"³.

و قد سكن العرب في معظمهم و العجم القادمون معهم مدينة القيروان، لكنهم كانوا يخرجون إلى ملكياتهم الشاسعة في الربيع مثل ما كان يفعل يزيد بن حاتم و عبد الله بن غانم⁴، و هو ما سماه أحد الباحثين "الارتباع" أي توزيع القبائل على الأرياف في موسم الربيع، و عن طريق الرباطات في الثغور، والاندماج في المدن و ممارسة مهام التنظيم العسكري و السياسي و الإداري في مراكز المسؤولية الكبرى⁵، و من مراكز المسؤولية الكبرى بالنسبة للمغرب عامة و افريقية خاصة مدينة القيروان التي سكنتها مجموعة هامة من العرب، كما سكن بعض العرب الأرياف المحيطة بالقيروان و في الساحل⁶.

2- الأفرقة⁷:

إن إشارة الرقيق على نقل موسى العجم من الأقصي إلى الأديني قد تجعلنا نؤكد على وجود الأفرق في مدينة القيروان⁸، فقد ساعدوا العرب على فهم لغة البربر و اللغة اللاتينية، و أيضا في مختلف أنواع الحرف كالبناء و التجارة و الحدادة بحكم أنهم كانوا أكثر الناس معرفة بها، كما استفاد

سحنون، تونس 1994، أكثر من مائة شاعر و أديب بعضهم من الفقهاء و الأمراء و وزراء (أكثر من 80 شاعرا و أدبيا فحسب ليست لهم وظائف أخرى).

1- القاضي النعمان : افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص- ص 233- 236.

2- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص26.

3- اليعقوبي : البلدان، المصدر السابق، ص348.

4- الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص- ص 121- 193.

5- هاشم العلوي القاسمي: مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن 4هـ/ 10م، وزارة الأوقاف، الرباط، 1995، ج1، ص314.

6- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص88، أحمد الباهي: محاولة في الجغرافيا التاريخية، المرجع السابق، ص103 و ما يليها.

7- تعرضنا لهم في الفصل التمهيدي.

8- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص332.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

العرب منهم في العمل الزراعي، و قد ذكرهم البكري في قرية منستير عثمان¹، و من المؤكد أن يكون هؤلاء الأفارق في خدمة هذا القرشي الذي امتلك هذه القرية منذ بداية الفتح خاصة و أن أغلب العرب كما رأينا كانوا يمتلكون القرى في ناحية القيروان و يستفيدون من خدمة البربر و الأفارق في ضيعاتهم و بقية أعمالهم في المدينة²، إلا أن وظيفتهم الأهم تمثلت في الوساطة بين العرب و البربر بحكم معرفتهم باللاتينية و البربرية و اصطحاب العرب الأقباط و عرب الشام الذين يتقنون اللاتينية³.

اللاتينية³.

3- الروم⁴:

لقد ذكرت بعض المصادر وجود في موضع القيروان "حصن لطيف للروم" و أن عسيلة الذي اجتمع معه الكثير من البربر و الروم أقام بالقيروان أميراً على سائر افريقية و المغرب مدة خمس سنوات⁵، كما أن بقرطاج في عهد حسان من الروم خلق لا يحصى كثرة و هي كانت دار الملك بافريقية⁶، و أن حسان صالح من ألقى بيده على الخراج و على من أقام على النصرانية من البربر والروم⁷، و قد بقيت بعض الحصون والقلاع ممتنعة إلى ولاية موسى و لا شك أنها كانت مليئة بالروم

1- و كان أربابها قوم من قريش من ولد الربيع بن سليمان و هو احتطها عند دخوله افريقية و بها عرب و بربر و أفارق، البكري: المسالك، المصدر السابق، ص718.

2- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص332.

3- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص34، فقال له (لعبد الله بن سعد) رجل من قبط مصر كان معه، ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص195، فسألهم (عقبة سأل أهل كوار): "هل من ورائكم أحد فقال الدليل ليس عندي بذلك معرفة"، الرقيق القيرواني: "تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص36، و أمره (الوليد بن عبد الملك أمر واليه على مصر) أن يوجه ألف قبطي و ألف قبطية، و يحملهم إلى افريقية، و يضيف البكري: المسالك، المصدر السابق، ص695، فوصل القبط إلى حسان و هو مقيم بتونس.

4- للمزيد عن هذا العنصر يرجع إلى الفصل التمهيدي.

5- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص- ص 16- 31.

6- نفسه، ج1، ص34.

7- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص34.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

بالروم و تمثل مصدر خوف لسكان القيروان، فقال موسى في خطبته بافريقية: "و أيم الله لا أريم هذه القلاع و الجبال الممتعة حتى يضع الله أرفعها، و يذل أمنعها"¹، و قد قال موسى عن الروم: "أسود في حصونهم، عقبان على خيولهم"²، فما هي المدن التي بقي فيها الروم و الذين يمكن أن ينتقلوا منها إلى القيروان؟

و قد ذكر اليعقوبي وجود "الروم القدم" في قسطيلية و هي أربع مدائن المدينة العظمى توزر والحامة و تقيوس و نفضة³، و كذلك في بلاد الزاب⁴، و ذكر البكري أن حسان عاهد صاحب قرطاجنة و تم له ما اشترط و هي المنازل التي بين الجبلين التي يقال فحص مرناق⁵، و ذكر الرقيق أن أن قلعة مجانة و كان يسكنها الروم لم تفتح إلا في عهد موسى من طرف بشر بن أرطأة الذي قتل المقاتلة و سبي الذرية⁶، و ذكرت المصادر وجود كنائس للنصارى في توزر إلى القرن السادس الهجري (12م)⁷، فهل كان كل النصارى من البربر و الأفارق؟ نجد الإجابة عن هذا السؤال عند اليعقوبي الذي ذكرنا أنه قال عن سكان الجريد بأنهم "قوم عجم من الروم القدم"⁸، و هذا يؤكد كلام الإدريسي الذي قال: "و أكثرهم (أهل قفصة) يتكلم باللسان اللطيني الافريقي"⁹، كل هذه المعطيات المعطيات تجعل فكرة أن روم القيروان جاؤوا من المشرق أو من مدن تجارية أخرى لما اشتهرت المدينة و أصبحت مركزا تجاريا حساسا¹⁰، نسبية و إن كان وجود بعض التجار الروم جائزا فلا نعتقد أنه

1- ابن قتيبة : الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص51.

2- نفسه، ص83.

3- اليعقوبي : البلدان، المصدر السابق، ص350.

4- نفسه، ص نفسها.

5- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص 693- 694.

6- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص40.

7- ابن شباط: صلة السمط، المصدر السابق، مخطط، ص18.

8- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص350.

9- الإدريسي : نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص139.

10- الجنحاني: المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص92.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيممته

القاعدة بل الاستثناء، فمن هم روم القيروان و أين سكنوا و ما هي الأنشطة الاقتصادية التي مارسوها؟

ليست لنا إلا إشارات نادرة تعطينا فكرة عن هؤلاء الروم، ذكر الرقيق إفريقي من موالي عبد الرحمن بن حبيب¹، كما ذكر قسطاس النصراني الذي طلب من الفضل بن روح أن يأذن له في بناء كنيسة، فأذن له، فبنى الكنيسة التي يقال لها كنيسة "قسطاس"، و وجود الكنيسة يدل على كثرة النصارى و ليس كل النصارى من البربر و الأفارق.

و ذكر الزبيدي في ترجمته لأبي وليد المهري أحد الروم من أهل "العطارين"²، و ذكر القاضي عياض أن سحنونا أرسل في رؤساء كنيسة النصارى، فجاء إليه منهم اثنان³، و هذا يؤكد ما ذكره الرقيق و يجعلنا نشاطر رأي الباحث المعاصر الذي قال أن حسان بن النعمان جمع قساوسة المذهبين (الكاتوليك والأرتودكس) و أمرها بقطع الصلات مع تلك المراجع (روما و القسطنطينية) و ربطها بالكنيسة المرقسية في الاسكندرية التابعة للخلافة⁴.

و من الفقهاء المنحدرين من أصل رومي أبو الغصن نفيس السوسي (ت 309هـ / 921-922م)⁵، و أبو حبيب نصر الرومي التونسي (ت 306هـ / 919م)، و عمل الروم في الحرف والتجارة والإدارة و الصيرفة⁶.

4- البربر⁷:

- 1- و كان العرب يعرفون الروم القادمين من بيزنطة و الرومان حكام افريقية قبل البيزنطيين و الإفرنج و سكان اسبانيا القوط، الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص91.
- 2- الزبيدي: طبقات النحويين، المصدر السابق، ص253.
- 3- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، م1، ص693.
- 4- الثعالبي: تاريخ شمال افريقية، المرجع السابق، ص80.
- 5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص162.
- 6- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج2، ص355، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص476.
- 7- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص34.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

افتتح عقبة مناطق كثيرة قبل بنائه للقيروان إذ مر بسرت و ودان و فزان و كان معه دليلا، وأخذ من هذه المناطق أكثر من ألف عبد¹، كما أخذ إلى أرض مزاتة فافتتح كل قصر بها ثم افتتح غدامس وقفصة و قسطيلية و لا بد أن بعض البربر الذين أسلموا كانوا معه، و لكن البربر دخلوا القيروان بأعداد أكبر مع أبي المهاجر الذي صالح بربر افريقية و فيهم كسيلة الأوروبي و أحسن إليه واتخذه صديقا²، لكن البربر سيدخلون القيروان بأعداد أكبر لما هزمهم حسان، فاستأمنوا إليه، واسلموا على يديه، و أخرجهم مع العرب يفتحون افريقية و يقتلون الروم و من كفر من البربر، فمن ذلك صارت الخطط للبربر بافريقية فكان يقسم الفيء بينهم و الأرض و حسنت طاعتهم³، و قد بين ابن عبد الحكم أن البربر الذين كانوا مع حسان جماعة من البتر⁴، و أنه وضع الخراج على عجم افريقية و على من أقام معهم على النصرانية من البربر و عامتهم من البرانس إلا قليلا من البتر⁵، وقد وقد أصبح البربر يشاركون في الفتح إذ خرج موسى بن نصير إلى الأندلس (سنة 93هـ/ 911م) بوجه العرب و الموالي و عرفاء البربر⁶.

و قد يكون دخول البربر إلى الاسلام أحد عوامل دخولهم إلى القيروان و هو ما وقع في عهد الولاة الذين تميزوا بالعدل و الانصراف مثل محمد بن يزيد الذي كانت ولايته في أحسن سيرة وأعد لها⁷، وكذلك اسماعيل بن أبي المهاجر الذي كان خير وال و خير أمير، و ما زال حريصا في دعاء دعاء البربر إلى الإسلام، فأسلم بقية البربر على يديه⁸، إلا أن الوالي عبيد الله بن الحبحاب يعود إلى اضطهاد البربر فتكون ثورتهم العارمة التي برزت فيها بعض القيادات ممن عاشوا في القيروان مثل ميسرة

1- ابن عبد الحكم : فتوح مصر، المصدر السابق، ص 194 - 195.

2- ابن ناخي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص46.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص56.

4- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص201.

5- نفسه، ص201.

6- نفسه، ص207.

7- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص58.

8- نفسه، ص62.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تهيئته

الحقير، و كان يبيع الماء في القيروان¹، ثم دخلت ورفجومة القيروان سنة 140هـ/ 758م، و عرفت القيروان الحصار و المجاعات إلى مجيء يزيد بن حاتم الذي استقرت في عهده الأوضاع و بدأ اندماج البربر تدريجيا في المدينة و محيطها وتواصل توافدهم ليصبح عددهم هاما خلال القرن الثالث الهجري، و في كل الحالات مثل البربر أغلبية السكان في القرن الثالث الهجري².

و ذكرت لنا المصادر بعض الفقهاء و المشاهير من البربر مثل البهلول بن راشد و أخيه بقية³ و محمد و عبد الرحمن ابنا يسوتا⁴، و ميسرة الصفري الذي ذكرناه آنفا⁵، و أبو عبد الله محمد بن أحمد السوسي⁶، و بكر بن حماد الزناتي⁷، و تولى بربري الوزارة و هو نصر بن حمزة⁸، و من البربر على الأرجح عبد الله بن سهل القبرياني (ت 249هـ/ 863م) و لآه سحنون قضاء قسطنطينية و قفصة و نفزاوة، و كان من ذوي المال و الجاه العريض⁹، و ابنه سهل (ت 282هـ/ 894 - 895م)، و كان كثير المال، فعالا للخير، بنى قصر الرباط على البحر بسوسة¹⁰، و غير هؤلاء، لكن البربر يمثلون خاصة أغلبية المزارعين و هو ما ذكرناه آنفا، كما عملوا في ميدان الحرف و الصنائع و التجارة¹¹.

5- أهل الذمة:

و يقصد بهم الرعايا غير المسلمين، و الذمة تعني العهد و الضمان و توضع على رقابهم الجزية ليقروا بها في الإسلام و يلتزم لهم ببذلها حقان: الكف عنهم و الحماية لهم¹²، و كان على رأسهم

1- ابن خياط: التاريخ، المصدر السابق، ص 278.

2- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص 339.

3- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص - ص 125 - 138.

4- نفسه، ص 154.

5- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 52.

6- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 196.

7- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج 2، ص 281.

8- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 109.

9- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص 94 - 95، الخشني: الطبقات، المصدر السابق، ص 134.

10- الخشني: المصدر السابق، ص 274.

11- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص 340.

12- الماوردي: الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 254.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهيرت

اليهود والنصارى أي أهل الكتاب¹، فكيف علاقتهم بالسلطة و بالمجتمع القيرواني؟ و ما هي تنظيماتهم الدينية و المهنية؟ وما هو وزن هذه الأقليات الدينية في القيروان؟

* **اليهود:** لقد وجد بمدن الساحل و قران عدد من اليهود و هم يرجعون بأصولهم إلى بعض القبائل البربرية المتهودة أو إلى الجالية الإسرائيلية النازحة إلى افريقية بعد خراب بيت المقدس في عهد الرومان (القرن 2م)²، و أكد حسين مؤنس على وجود قبيلة بربرية يهودية تتزعمها الكاهنة³، و من عوامل وجود اليهود في القيروان أيضا هجرة يهود خير من اليمن حوالي سنة 682م نحو العراق و سوريا ثم افريقية⁴.

تؤكد النصوص التاريخية على وجود الجالية اليهودية في القيروان فقد ذكر أبو العرب سوقا لليهود⁵ بالقيروان، و ذكر المالكي حيا كاملا يسمى "اليهودية"، يوجد جنوب القيروان بعد الخروج من من باب أبي الربيع⁶، و إضافة إلى السوق والحي وجدت لهم مقابر خاصة⁷، و أول إشارة عن وجود وجود اليهود سكنوا القيروان في عهد عبد الرحمن بن حبيب (127- 137هـ / 745- 754م) إذ

-
- 1- و قد ذكر الشماخي بعض المشركين في القيروان و سماهم "عابدي الكيش"، السير، المصدر السابق، ص196، و قد تألف تألف أهل في بغداد من النصارى و اليهود و الصابئة و المجوس و السامرة، سعد: العامة في بغداد، المرجع السابق، ص148.
 - 2- عبد الوهاب : الورقات، المرجع السابق، ج2، ص53، برنشفيك: العهد الحفصي، المرجع السابق، ج1، ص- ص 429-429.
 - 3- حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص244.
 - 4- بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي: المرجع السابق، ص92.
 - 5- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص130، الرقيق القيرواني: تاريخ افريقيا، المصدر السابق، ص130، على أن نسبة سوق إلى اليهود لا يعني عزلهم عن المسلمين آنذاك، و قد يفسر ذلك بكثرتهم في هذا السوق، و نجد في المعيار ما يثبت أنهم لم يكونوا معزولين وإنما كانوا يسكنون بجوار المسلمين و يعيشون معهم، ج2، ص 206- 207، ج8، ص273، و قد أكد = ذلك هادي روجي إدريس عندما شك في الروايات الشفهية التي تعزو إلى محرز بن خلف تأسيس حي ليهود تونس بالمالسين (الدولة الصنهاجية، ج2، ص- ص 381- 384، و ما ذكره المالكي أوضح من كل هذا، فقد أشار إلى أن قاضي والي القيروان يزيد بن حاتم (155- 170هـ / 771- 786م)، ابن طفيل التحجبي كان يسكن سوق اليهود في الدرب المعروف إلى اليوم باسمه، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص53.
 - 6- المالكي: نفسه، ج2، ص310.
 - 7- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص383.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيممته

قال صاحب أخبار مجموعة أنه كان عنده يهودي كان قد صحب مسلمة بن عبد العزيز بن مروان¹، وذكر روجي إدريس أن اليهود سكنوا القيروان منذ القرن الثامن الهجري أو قبله².

و يرى أحد الدارسين أن المسلمين جلبوا معهم إلى المغرب تسامحا عاما نحو اليهود تميزوا به دائما، ولو أنهم ناصبوا اليهود العداء في حالات معينة³، و من الحلالات التي تبرز لنا تراجع تسامح المسلمين مع اليهود سؤال محمد بن سالم محمد بن سحنون عن العبيد اليهود و الأمة اليهودية: "أيستعملون و يجبرون على العمل يوم السبت و لا إثم في ذلك؟ قال نعم يجبرون"⁴، و فيما قاله المالكي: "أن القاضي عبد الله بن طالب قطع المنكر و الملاهي من القيروان و جعل على أكتاف اليهود و النصرى رقاعا بيضاء في كل رقعة صورة "قرد" و "خنزير"، و على أبواب دورهم ألواحا مسمرة في الأبواب مصور فيها قردة⁵، و لكن هذه الإجراءات قد تكون لأسباب اقتصادية بحكم سيطرة اليهود على العمل الصيرفي و تعاملهم بالربا⁶.

1- مجهول: أخبار مجموعة، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص56.
2- إدريس هادي روجي: الدولة الصنهاجية، المرجع السابق، ج1، ص- ص 18-19، و ذكر الأستاذ نجم الدين الهنتاتي أن أول إشارة مباشرة وردت في المصادر تم أهل الذمة بافريقية تعود إلى سنة 64هـ/ 684م، تاريخ استيلاء كسيلة على القيروان، على أن هؤلاء الذميين كانوا يتكونون من يهود و نصرارى محليين أو وافدين على افريقية دخلوا إليها مع الفاتحين، هذا إلى جانب الجوس و الوثنيين من البربر الذين احتفظوا بديانتهم مقابل الجزية، مواقف علماء المالكية من أهل الذمة بافريقية إلى منتصف القرن 5هـ/ 11م، مجلة معهد الآداب العربية، عدد 186، السداسي الثاني 2000، ص59، و انظر أيضا، حسن حسيني عبد الوهاب: وراقات، المرجع السابق، ج2، ص53.

3- هوبكنز، ج.ف.ب: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، نقله عن الإنجليزية أحمد توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس 1980، ص120، و من علامات التسامح ما ذكره المالكي في ترجمة اسماعيل بن رباح على لسان ربيعة الجزري الذي قال: "كنا في الجزيرة على طعام إذ دخل علينا يهودي، فدعوناه، فجلس يأكل معنا، إلى أن أقبل اسماعيل بن رباح فقلنا له: دعونا يهوديا طوفا فأكل معنا"، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 336-337، و أورد القابسي أيضا وجود أعياد "أهل الكفر"، يدخل فيها أيضا الميلاد و الفصح و الأنداس عندنا و لا ينبغي للمسلمين أن يتزينوا بشيء من الزي، و لا يتهيؤوا بشيء من التهيئة، و لا يفرح الصبيان كعمل القباب في الأنداس، القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، المصدر السابق، ص154، و فسر هـ. إدريس الأنداس بعيد القربان أو عيد الميلاد أو عيد التقدمة، الدولة الصنهاجية، المرجع السابق، ج2، ص378.

4- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص 368-369.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 476-477.

6- نفسه، ص 506-507.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيممته

أما عن المهن التي مارسها اليهود فتأتي في المقدمة التجارة إذ قاموا باستيراد حرير اسبانيا وكتان وتوابل المشرق و تصدير الأقمشة و الملابس¹، و لا شك أنهم تعاطوا مثل إخوانهم في الأندلس تجارة الرقيق²، و مارس اليهود صناعة الصياغة و الخياطة³، كما تقبلوا الأسواق⁴.

و نجد في المدونة و النوادر أن من بين الحرف التي تعاطاها اليهود و النصارى، الخياطة والحياكة والصبغة، و خاصة الصرف الذي جنوا منه أرباحا طائلة⁵، إذ أنهم استغلوا هذه الحرفة لتعاطي الربا واستحلاله أكثر من غيرها⁶، و ذكر حسن حسيني عبد الوهاب أنهم عملوا في أفران

الجير و تجفيف ماء البحر ليصير ملحاً⁷، و من المؤكد أن الجالية اليهودية كانت منظمة مهنيا ودينياً⁸.
ودينياً⁸.

و من أشهر الشخصيات اليهودية التي عاشت في القيروان إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (ت955م)، كان طيباً فاضلاً بليغاً عالماً مشهوراً بالحدق و المعرفة⁹، و قد عمل في بلاط زيادة الله

-
- 1- Sebag, Histoire des juifs, op.cit, p46.
 - 2- بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، المرجع السابق، ص111، "أحتلوا مكان الريادة في تجارة الرقيق مشاركين إخوانهم الرهدانيين القادمين من منطقة بروقانس و المحتكرين للتجارة العالمية"، و لكننا نؤيد ما ذهب إليه أحد الباحثين حول عدم ارتباط الرهادينة بديانة معينة، و أن عبارة الرهادنة وصفة الرهدان كانت تطلق في افريقية على من يتعاطى تجارة القماش بصفة عامة، فوزي محفوظ: رهادنة القيروان، المرجع السابق، ص- ص 19- 23.
 - 3- سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج1، ص40، ابن أبي زيد: النوادر، المصدر السابق، ج2، ص212، ج6، ص178.
 - 4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص273، و هذه الإشارة تم سنة 330هـ / 942- 943م، و قد وجدت القبالات منذ العهد الأغلي، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص131.
 - 5- سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج1، ص40، ابن أبي زيد: النوادر، المصدر السابق، ج2، ص212، ص6 ص178.
 - 6- سحنون: نفسه، ج3، ص94.
 - 7- حسن حسيني عبد الوهاب: وراقات، المرجع السابق، ج2، ص53.
 - 8- الحبيب الجناحاني: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص91، و كان لهم مجلس أعيان يرأسه رئيس اليهود (أو "ناجد" بالعبرية)، Sebag histoire des juifs, op.cit, p51.
 - 9- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، المصدر السابق، ج3، ص58.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

الثالث، وكان اسحاق قد لازم اسحاق بن عمران و تتلمذ له¹، و كان ابن الجزار (ت 369هـ/980م) أعظم تلميذ له².

* **النصارى:** دخلت الديانة المسيحية إلى افريقية منذ القرن الثاني الميلادي، و أشهر القديسين الأفارقة ترتوليانوس (ت 240م) و قبريانوس (قتل سنة 258م) و أغسطينوس (354-430م)³، و قد انتشرت المسيحية في أوساط البربر حيث قال الرقيق: "و كانت البربر قد تنصرت، فكان رجل بربري قد أظهر اجتهادا في النصرانية حتى صار شماسا"⁴، و رغم انتشار الإسلام بين البربر، حافظ العديد من النصارى على ديانتهم⁵، فقد أشارت فتوى لابن أبي زيد إلى وجود اليهود و النصارى في الأسواق الأسواق حيث كانوا يبيعون الأقمشة، و اختلطوا مع المسلمين في لباسهم، و قد يكون الغالب في البلد النصارى⁶، و في سؤال سحنون لابن القاسم عن اشتراء مسلم من ذمي أرض خراج⁷ دليل على بقاء كثير المزارعين على ديانتهم وهذا يهم ناحية القيروان و التي نرجح كونها افتتحت عنوة و نفس الشيء ينطبق على الساحل و نحن نعرف ملكية سحنون لمنزل في الساحل⁸.

و إضافة إلى المسيحيين القدامى في القيروان و ناحيتها و منهم النصراني الذي يبيع زيتا في الساحل، ليس بذلك الموضوع زيت أعذب منه⁹، دخلت ناحية القيروان أقليات مسيحية نتيجة تجارة الرقيق القادم من بلاد اللبار منهم القديس إيلي الفتى (823-903م) و القائد فتوح الرومي¹.

- 1- نفسه، ص58، و هذا يخالف ما ذكره ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص122.
- 2- سير توماس آرنولد: تراث الإسلام، عربه جرجيس فتح الله، الطبعة الثالثة، دار الطليعة، بيروت 1978، ص467.
- 3- شارل أندري جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية، المرجع السابق، ج1، ص311.
- 4- الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص39.
- 5- أكدت دراسات عديدة تراجع المسيحية بصفة هامة في القرون الأولى من العصر الوسيط، برانشفيك : العهد الحفصي، المرجع السابق، ج1، ص461، "200 أسقفية في القرن السابع ميلادي، 5 سنة 1053م)، أحمد الباهي: محاولة في الجغرافيا، المرجع السابق، ص128، و ما يليها لكن هذا لم يمنع بقاء قرى عامرة بالفكر إلى ما بعد المائة الرابعة، ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص387.
- 6- البرزلي: جامع مسائل الأحكام، المصدر السابق، ج1، ورقة 60ب.
- 7- ابن أبي زمنين : منتخب الأحكام، مخطوط، د.ك.و، رقم 4863، ورقة 38 أ.
- 8- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص359، محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص388.
- 9- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص131-132.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

و لم يكن كل المسيحيين من العبيد و من الجنود في الجيش الأغلب فقد ظهرت منهم شخصيات مرموقة منهم سودة النصراني الذي عرض عليه ابراهيم بن أحمد ديوان الخراج على أن يسلم، فقال: "ما كنت لأدع ديني على رئاسة أناها"²، و تفيدنا هذه الإشارة إضافة إلى الارتقاء الاجتماعي للنصارى وتعليمهم ذي المستوى المرموق إلى أن النصارى كانت لهم كل الحقوق، و هذا أيضا ما كان لهم في أغلب فترات التاريخ الإسلامي في الأندلس، و نرجح أيضا أن يكون لهم قضاء خاص بهم³، و قد مارسوا كل المهن الفلاحة والصناعة و التجارة و الجيش و الإدارة و غيرها من المهن⁴، إلا أنهم برعوا في الصناعات العقلية أكثر من الصناعات اليدوية كالترجمة و التأليف و الطب⁵ و التحميم و نحوها⁶.

و رغم صمت المصادر يبدو أن الزواج من النصرانيات كان موجودا⁷، إضافة طبعا إلى الإماء وأمهات الأولاد من المسيحيات و غيرها من أهل الكتاب⁸، و نجد في المدونة صنفا آخر من أهل الذمة وهم المجوس، فقد أثبتت المدونة أنهم كانوا يتعاطون الصناعة، خاصة النساجة، جاء في المدونة أن الحسن كان لا يرى بأسا بالثوب ينسجه المجوس و يلبسه المسلم⁹.

1- الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص- ص 585-602.

2- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص122.

3- بوتشيش: المرابطون و سياسة التسامح، المرجع السابق، ص26.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 131-132، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص122، سودة النصراني، والحاج فتح، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص161، يوحنا المتطبب، الزبيدي: طبقات النحويين، المصدر السابق، ص253، رومي من أهل العطارين، و غيرها من النصوص.

5- البرزلي: جامع، المصدر السابق، ج3، ص543، على أن المسيحية كانت تمثل ديانة الأغلبية بافريقية منذ القرن 2م، سعد غراب: العامل الديني و الهوية التونسية، تونس، 1990، ص27، و تولت قبيلة أوربة المسيحية بقيادة كسيلة زمام المقاومة البربرية للإسلام، إلى حد سنة 69هـ/688م نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي، المرجع السابق، ص 17-18.

6- أحمدو تال ديالو: المرجع السابق، ص104.

7- سحنون: المدونة، المصدر السابق، م2، ص80.

8- نفسه، ص 80-81.

9- سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج1، ص36، و يدعم ذلك أن مالكا أدخل المجوس ضمن أهل الكتاب، الهنتاتي: المواقف، المرجع السابق، ص 61-62.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تهيئتها

ثانيا- الطبقات و الفئات الاجتماعية

هناك الكثير ممن استعمل كلمتي الخاصة و العامة مترادفتين¹ أو كل منها على حدة، أو ما في في معنى الخاصة²، و فرق اخوان الصفاء الناس إلى ست درجات اعتمادا على تفاوت عقولهم و جواهر نفوسهم و كثرة غرائب علومهم و معارفهم و عجائب أفعالهم و فنون أعمالهم و اختلاف أخلاقهم و اختلاف ديانتهم³، أما سعد فهمي فيرى أن عوامل تكون الطبقات⁴ في المجتمع واقعا هي هي السلطة و الثروة و المهنة و الثقافة⁵، و يمكن إضافة إلى ذلك النسب أو العصبية كما يسميها ابن خلدون⁶، و نستطيع أن نميز في مدينة القيروان وجود هاتين الطبقتين الخاصة و العامة، و من الفئة الأولى سنتناول الأمير و قادة الجيش و العلماء و القضاة و كبار التجار، و من الفئة الثانية سنتناول الجند و المزارعين و صغار التجار و الحرفيين و الرقيق و البطالين و الشحاذين و كذلك أهل الذمة.

1- الطبقة الخاصة:

فهي تمثل نخبة المجتمع القروي و كانت تضم الفئات التالية:

* الأمير⁷: مرت القيروان بفترتين، فترة الولاة الذين كانت ترسلهم السلطة المركزية في دمشق قبل 132هـ/ 750م، أو في بغداد بعد 144هـ/ 761م، ثم فترة الأغلبة بداية من 184هـ/ 800م،

1- الزبيدي : طبقات النحويين، المصدر السابق، ص249، القاضي النعمان: افتتاح، المصدر السابق، ص300، ابن عذارى: عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص- ص 131- 147.

2- ابن عذارى: نفسه، ص148 بقوله: "وجوه رجاله (رجال زيادة الله الثالث) أو وجوه الناس"، أما القاضي النعمان فاستعمل فاستعمل كلمة "خاصة" للملك، و أيضا: "مواليهم (بنو الأغلب) و رجالهم و أتباعهم و وجوههم و أكابريهم"، النعمان: افتتاح، المصدر السابق، ص- ص 234- 305.

3- اخوان الصفاء: الرسائل، المصدر السابق، م3، ص426.

4- كلمة طبقة استعملها ابن خلدون بمفهومها المادي بقوله: "ثم إن كل طبقة من طبقات أهل العمران من مدينة أو إقليم لها قدرة على من دونها من أطباق.."، المقدمة، المصدر السابق، ص489، كما استعملها اخوان الصفاء بقولهم: "إن الناس إذا اعتبرت أحوالهم فتبينت أمورهم أصناف و طبقات مراتب، الرسائل، المصدر السابق، ج1، ص321.

5- سعد فهمي: العامة في بغداد، المرجع السابق، ص32.

6- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص164.

7- الأمير ذو أمر أي الأمر، و الأمير تعني الملك لفاذ أمره، و جمعه أمراء، ابن منظور: المصدر السابق، ج5، ص86- 88.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

فالوالي أو الأمير هو ممثل الخليفة¹ و يجمع بيده كل عناصر السيادة، يقود الجيش و يؤم الصلاة ويرأس الجهاز الإداري و يمسك بالسلطة القضائية²، و يقيم الوالي في دار الإمارة إلى أن ابتنى ابراهيم بن الأغلب العباسية و انتقل إليها بعبيده و أهله و حشمه و أهل بيته³، ثم كانت إقامة ابراهيم بن أحمد أحمد و ابنه أبو العباس و حفيده زيادة الله برفادة بعد بنائها سنة 263هـ / 876 - 877م⁴، ثم حرس

الولاية فيما بعد الموالي⁵ و العبيد⁶، وكان للوالي أو الأمير حاجب⁷، و قائدا للشرطة⁸ و كاتباً⁹، لكن

لكن في العهد الأغلبي ستتطور الإدارة ليصبح هناك عدد من الكتاب¹.

1- يعرف ابن خلدون الخلافة بأنها حمل الكافة على مقتض النظر الشرعي في مصالحهم الدنيوية و الأخروية الراجعة إليها، وهي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين و سياسة الدنيا به، المقدمة، المصدر السابق، ص203، و الخليفة هو بمثابة العاهل أو الامبراطور أو الملك الأعظم الذي يحكم شعوبا مختلفة، ابن منظور: المصدر السابق، ج13، ص510.

2- H.Djait, L'afrique arabe, op.cit, p602.

3- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص187.

4- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص117، و قد أقام ابراهيم بتونس بين 281 و 283هـ، و كذلك أبو العباس و زيادة و زيادة الله من 289 إلى 292هـ، نفسه، ص- ص 129 - 136.

5- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ص68، الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص100.

6- الرقيق القيرواني: نفسه، ص93.

7- الحجابة هي وظيفة سلطانية مهمتها حجب السلطان عن الناس أن يزدحموا عليه فيشغلوه عن النظم في مهماتهم أو يدفع النظر في الملك كله و يعول على كفايته فيلك و اضطلاع، و كانت الحجابة في دولة بني أمية رفيدة الشأن فصاحبها يحجب السلطان عن العامة و الخاصة، فهو واسطة بين السلطان و وزرائه، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 247 - 253.

8- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص88، ابن الأبار: الحلة السيرة، المصدر السابق، ج1، ص 106 - 187. 187.

9- الرقيق القيرواني: نفسه، ص- ص 97 - 138، و الكتابة هي وسيلة نقل و تبادل الأفكار و المعارف بين البشر، و الاهتداء و الاهتداء إليها خلال العهد السومري كان من أبرز اكتشافات العالم القديم، لذلك قدستها الشعوب القديمة و أضفت عليها = صفة الألوهية، محمد صغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979، ص- ص 18 - 32، و أيضا، دافيد دير نجر: متحف الأجدديات، ترجمة عبد المنعم الصاوي، مجلة اليونسكو، عدد 60، السنة 1962، ص8.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

و كان يحيط بالوالي أو الأمير مجموعة من الحشم²، تزايدت مع ازدهار الحضارة العربية بافريقية، ويشرف على خدمه "قهرمانه"³، و منذ عهد حسان و موسى كانت الجوارى بالمئات في دار الإمارة ثم في العباسية و رقادة⁴، لكن بعضهن كان أكثر حظا مثل الجارية القندهارية في قصر روح بن حاتم، و كانت حظية عنده لجمالها و حسنها و أدبها و علمها⁵، و قد سماها الزبيدي "طلة الهندية"⁶، و ازداد عدد الجوارى مع ترسخ ملك بني الأغلب فأصبح في عهد ابراهيم بن أحمد و زيادة الله الثالث عشرات و ربما مئات⁷، كما أحاط بعض الأمراء أنفسهم بالعيارين و الشطار و الزمامرة والضرابين⁸، لكن قصر الأمير ضم أيضا الأطباء مثل اسحاق بن عمران المتطبب المعروف بسم ساعة⁹.

كما وجد الأطباء أيضا في قصور الولاة و الأمراء قبل الدولة الأغلبية مثل يونس المتطبب في عهد يزيد بن حاتم¹⁰، و قد مارس الأمراء إضافة إلى شرب الخمر و الاستماع إلى موسيقى زرياب

1- ابن الأبار: الحلة السيرة، المصدر السابق، ص172، و أول من استكتب في الإسلام هو رسول الله صلى الله عليه و سلم، حيث كان يرسل الملوك و الأمراء و زعماء القبائل يدعوهم إلى الدخول في الإسلام، و لم يخص صلى الله عليه و سلم كاتباً معيناً، حيث كتب له حوالي ثلاثين كتاباً، و على نحه سار أبو بكر الصديق رضي الله عنه، و في عهد عمر بن الخطاب نشأت خطة الكتابة بنسوة ديوان الانشاء، القلقشندي: صبح الأعشى، المصدر السابق، ج1، ص 91-92، أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى: الوزراء و الكتاب، تحقيق مصطفى السفا، ابراهيم الأبياري، و عبد الحفيظ شلي، ط2، القاهرة، 1980، ص12.

2- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص187.

3- الزبيدي: طبقات النحويين، المصدر السابق، ص248، و القهرمان: من أمناء الملك و خاصته و هو فارسي معرب و هو كذلك الخازن و الوكيل الحافظ لما تحت يديه و القائم بأمر الرجل بلغة الفرس، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م5، ص180.

4- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص- ص 36-72.

5- نفسه، ص139.

6- الزبيدي: طبقات النحويين، المصدر السابق، ص247.

7- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص- ص 132-147.

8- نفسه، ص143.

9- نفسه، ص122.

10- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص99، و سماه الرقيق "يجي"، تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص131.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

ومؤنس وغيرهما من المغنين و المغنيات¹، هوايات أخرى مثل هواية الصيد التي شغف بها محمد بن أحمد بن الأغلب الملقب بأبي الغرائق².

و كان ولاية افريقية من الموالي (أبو المهاجر، محمد بن يزيد و يزيد بن أبي مسلم و عبيد الله بن الحبحاب) أو المن العرب من قريش (عقبة بن نافع ثم حفيده الذي كون أسرة حاكمة) أو مضر (من تميم: الأغالبة) أو من القحطانية (من بلي: زهير بن قيس البلوي أو من غسان: حسان بن النعمان أو من لحم: موسى بن نصير أو من الأزدي: المهالبة) فإنهم يأتون إلى افريقية بعد أن يكونوا تمرسوا على الأعمال والولايات و الإدارة في المشرق و ينطبق هذا على موسى و كان على خراج البصرة³، و ابن الحبحاب الذي تناهت به الحال إلى ولاية مصر⁴ أو حنظلة و كان عامل هشام على مصر⁵ أو عمرو عمرو بن حفص الصفري الذي يقال له هزار مرد و كان واليا على السند⁶، و يزيد بن حاتم و كان خاصا بأبي جعفر المنصور، فكان لا يحجب عنه و تولى ولايات كثيرة قبل قدومه المغرب، منها: أرمينية والسند و مصر و أذربيجان⁷ و روح بن حاتم، و كان أكبر سنا من يزيد و أكثر ولايات بالمشرق، و حجب أبو جعفر المنصور في أول أيامه، ثم ولاه البصرة، و ولي الكوفة و السند و طبرستان و فلسطين و ولايات كثيرة⁸، و كذلك ابراهيم بن الأغلب، و كان الرشيد ولاه بلاد الزاب و كان فقيها، فقيها، أدبيا، شاعرا خطيبا، ذا رأي و نجدة و بأس و حزم و علم بالحروب و مكايدها⁹.

1- عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ص- ص175-199، و حول الندماء: البيان، المصدر السابق، ص- ص95-143-95.

2- ابن عذارى: نفسه، ص114.

3- نفسه، ص39.

4- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص51.

5- نفسه، ص58.

6- الطبري: تاريخ الرسل، المصدر السابق، ج8، ص33.

7- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص113.

8- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص135.

9- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص92.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

و مهما يكن فقد مثل هؤلاء الولاة عصورهم و حافظوا على علاقتهم بالسلطة المركزية و التي استمر تدخلها عند الضرورة حتى بعد توارث الحكم من طرف الأغلبة فقد طلبت بغداد من ابراهيم بن أحمد أن يكف هن جوره و سوء فعله بأهل تونس، و إلا فسلم العمل الذي بيدك لابن عمك محمد بن زيادة الله¹.

* **قادة الجيش:** تولى قيادة الجيش أشخاص تسميهم المصادر "رؤساء القواد" و "شجعان الأجناد" و سادات العرب و رؤسائها² أو فرسان³، فقد قاد الجيش في عهد موسى عياش بن أخيل و المغيرة بن بن أبي بردة، و زرعة بن أبي مدرك و عثمان و عبيدة بن عقبة و يزيد بن مسروق و أبناؤه مروان و عبد العزيز و عبد الله⁴، كما قاد الجيش في عهد عبيد الله بن الحبحاب حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة و خالد بن حبيب الذي قتل في غزوة الأشراف⁵، و بعد تغلب ورفجومة على القيروان قدم إلى افريقية بن الأشعث في أربعين ألفا عليها ثمانية و عشرون قائدا، و قد ساعد هؤلاء القواد الحسن بن حرب في ثورته على الأغلب بن سالم⁶.

و كان التغيير النوعي في الجيش و قيادته و بداية النهاية لسيطرة الجند على الحياة السياسية في القيروان و افريقية عندما ابتنى ابراهيم بن الأغلب القصر الأبيض و ابتاع عبيدا أعتقهم، فبلغوا خمسة آلاف⁷، و بعد ذلك أصبحت الدولة الأغلبية تستند أكثر فأكثر على المرتزقة و الموالي⁸، و أصبحت أصبحت بعض أسماء القادة: "خلف الفتى" و "فتح" و "ميمون الحبشي" و "راشد الأسود"⁹ إضافة

1- نفسه، ص129.

2- ابن الأبار : الحلة، المصدر السابق، ج1، ص107، ج2، ص342.

3- نفسه، ج1، ص110.

4- ابن قتيبة : الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص- ص 52- 58.

5- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص- ص 72- 75.

6- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص- ص 72- 74.

7- البلاذري : فتوح البلدان، المصدر السابق، ص328.

8- الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص238.

9- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص- ص 106- 149، و ذكر صاحب المعالم حاتم الجزري و زوكاي بن زريخ، ابن

ابن ناجي: المعالم، المصدر، ج2، ص- ص 89- 91.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

إلى بعض أفراد العائلة الأغلبية و غيرهم من القادة العرب و البربر مثل محمد بن حمزة و غلبون و نصر بن حمزة و خفاجة بن سفيان و سواده بن محمد بن خفاجة التميمي و ابراهيم بن حبشي و مدلج بن زكرياء و أحمد بن مسرور الخال و قرهب و ابراهيم بن أبي الأغب¹.

و مهما كان انتماء قادة الجيش فقد كانوا يعيشون في ترف و بذخ يظهر في القصور التي شيدها في العباسية و رقادة و في ضواحي القيروان مثل "قصر المغيرة"² و "قصر خلف"³ و "قصر بشير"⁴، كما امتلك القادة الضياع الشاسعة مثل يعقوب بن المضا الذي كانت له ضياع بناحية جمة⁵، كما تحصل قادة الجيش أيضا على أعطيات سنوية تساوي 1000 درهم للفارس⁶، و كان بن فروخ إذا أخذ الجند أعطياتهم أغلق حانوته تلك الأيام حتى يذهب ما في أيديهم⁷، ففي معظم الأحيان تمتع قادة الجيش بمكانة مرموقة في المجتمع القيرواني، و زيادة على العطاء تحصل بعضهم على امتيازات أخرى كعمران بن مجالد الذي سكن مع أبي العباس بن ابراهيم بن الأغب في قصره⁸، وعلى وعلى العموم مثل قادة الجيش فئة الخاصة أحسن تمثيل ومهما كان انتماءهم الأصلي (من العرب أو من البربر أو من العبيد السودان أو الصقالبة) فقد عاشوا حياة البذخ و الترف و تمتعوا بكل مباحج الحياة و قلدوا الأمراء في استهلاك النبيذ و الاستماع إلى الغناء و امتلاك الجوارى و العبيد و مارسوا

1- ابن عذارى : نفسه، ص- ص 98- 144، و ذكر ابن الأبار من القادة: عامر بن المعمر بن سنان التيمي و حمزة بن السبال و بهلول بن عبد الواحد المدغري و يعقوب بن المضاء بن سواده التميمي و أحمد بن سفيان بن سواده التميمي و مجبر بن ابراهيم بن سفيان و أحمد بن محمد بن أحمد بن حمزة بن السبال و الحسن بن منصور بن نافع المسلي المدحجي، ابن الأبار: الحلة، المصدر السابق، ج1، ص- ص 106- 187.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص126.

3- الداعي إدريس: عيون الأخبار، المصدر السابق، ج5، ص92.

4- ابن الأبار: الحلة، المصدر السابق، ج2، ص339، و البشير بن خالد صاحب الشرطة.

5- النعمان: الافتتاح، المصدر السابق، ص76.

6- H. Djait, l'afrique arabe, op.cit, p604. -6

7- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص187.

8- ابن الأبار: الحلة السيرة، المصدر السابق، ج1، ص105، محفوظ الغديفي: المصدر السابق، ص353.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيممته

هواياتهم من فروسية و قول شعر مثل أحمد بن حمزة الحرون و عمران بن مجالد و عامر بن المعمر التيمي و عمرو بن معاوية و غيرهم¹.

* **العلماء:** سنركز على العلماء الذين ينتمون فعلا إلى طبقة الخاصة² بسبب ثروتهم أو تميزهم الفكري الفكري وتأثيرهم في المجتمع القيرواني و مواقفهم المتميزة و علاقتهم بالسلطة و بالخاصة و أصولهم و طريقة عيشهم و دورهم في تاريخ افريقية عامة و ناحية القيروان خاصة.

و يرى الجنحاني أن النشاط الديني و التربوي لهذه الفئة خلال القرنين الثاني و الثالث بالخصوص لم يتخذ صبغة المهنة³، رغم تأثر أغلب فقهاء القيروان بفقهاء مالك الذي كان يقول: "كل من أدركت من أهل العلم لا يرى بأجر المعلمين بأسا"⁴، أي أن نسبة العلماء الذين يعملون بأجر كانت قليلة⁵، و يؤكد الطالب على وجود تعليم ابتدائي كان يلحق في الكتاتيب، و ينتقل التلميذ التلميذ من الكتاب مباشرة إلى المسجد، أي إلى التعليم العالي، و كان التعليم الابتدائي حرا بأجر، و كان التعليم العالي حرا أيضا لكن بدون أجر⁶، و قدم مجموعة من الأمثلة تؤكد تصوره حول كتاب في القيروان وأسد بن الفرات الذي علم القرآن في قرية على وادي مجردة و عبد الله بن غانم الذي أعطى الدنانير لمعلم ابنه و تأليف ابن سحنون و القابسي حول التعليم و توجيه سحنون لمعلم ابنه محمد⁷، و يضاف إليهم دروس التابعين العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز يفقهون أهل

-
- 1- العبيدي محمد المختار: الحياة الأدبية بالقيروان في عهد الأغالبة، دار سحنون، تونس، 1994، ص- ص 61-72.
 - 2- لأن بعض العلماء يعتبرون من صغار التجار و الحرفيين و العمال و سنتناول هذه الفئة في الطبقة العامة، و أما الناحية الثقافية فسنتناولها في الباب الثالث.
 - 3- الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص90.
 - 4- القابسي أبو الحسن علي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين و أحكام المعلمين و المتعلمين، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1986، ص99.
 - 5- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص353.
 - 6- محمد الطالب: دراسات في تاريخ افريقية و في الحضارة الاسلامية في العصر الوسيط، منشورات الجامعة، تونس 1982، ص- ص 151-156.
 - 7- محمد الطالب: المرجع السابق، ص151.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

افريقية¹، و عباد بن عبد الصمد التميمي الذي أخذ عنه ناس كثير من أهل طرابلس و القيروان²، و عبد الله بن فروخ الذي كان يدرس الناس³، و عبد العزيز بن يحيى المدني الهاشمي الذي سمع منه محمد محمد بن سحنون و بشر كثير⁴، و يحيى بن سليمان الخراز الحفوي و كان عالما بالفرائض والحساب و سمع منه بشر كثير من أهل القيروان⁵، و علي بن زياد الذي قال عنه أسد بن الفرات تعلمت منه العلم⁶، و زيد بن بشر وكان من أهل مصر سمع منه الناس بتونس و رحل إليه من القيروان ناس كثير يسمعون منه⁷، و محمد بن أحمد السوسي الذي صحبه البهلول بن راشد و انتفع به هو و غيره من أهل القيروان⁸.

و سحنون ابن سعيد و ابنه محمد و يحيى بن عمر⁹، و لم يكن العلم مقصورا على المذهب المالكي فقد كان أهل المذاهب الأخرى في المسجد الجامع حلقا للصفرية و الإباضية¹⁰، كما وجدت المناظرات في الاعتزال في الأماكن العامة مثل سقيفة العراقي¹¹ أو في قصر الأمير في تحليل النبيذ و تحريمه¹²، و كان أغلب علماء القيروان و نواحيها يتعاطون مهنا غير مهنة التدريس فأغلبهم كانوا من الملاكين العقاريين مثل ميسرة الزرودي و عبد الرحمن بن زياد و رباح بن يزيد و كانت له بنت لها مال

1- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص- ص 84- 87.

2- نفسه، ص 94.

3- نفسه، ص 110- 111.

4- نفسه، ص 158- 159.

5- نفسه، ص 174.

6- نفسه، ص 220.

7- نفسه، ص 226.

8- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 196، كما درس البهلول على سافر بن سليمان، القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، م 1، ص 336.

9- قال عنه ابن ناجي: "فلما كلمته و سألته في العلم رأيت بحرا لا تكدره الدلاء"، المعالم، المصدر السابق، ج 2، ص 234- 235، و للمزيد عن الإمام سحنون و ابنه محمد ينظر، أبو العرب: المحن، المصدر السابق، ص 451- 452، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 443.

10- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 184، الشماخي: السير، المصدر السابق، ص- ص 195- 198.

11- أبو العرب: نفسه، ص 129.

12- أبو العرب: المصدر السابق، ص 172.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

عظيم¹، و كان يشغل في الصيف أجراء حصادين²، و البهلول الذي قال عنه مالك بن أنس "هذا عابد بلده"³ كان يملك ضيعة بالبادية ويستغلها أخوه "بقية"⁴، و عبد الله بن أبي حسان اليحصبي وهو من أشرف افريقية بشرف أبيه وبيته وفقهه و أدبه، و كان يسكن بالقيروان بحارة يحصب المنسوبة إليهم.

و عبد الرحيم الربيعي الذي كان له سبعة عشر ألف أصل من الزيتون، و كان لسحنون اثنا عشر ألف أصل⁵، و كان الربيعي أول أمره تاجرا في سوق البنازين في القيروان⁶، و كان الكثير من العلماء يتعاطون التجارة مثل اسماعيل بن عبيد مولى الأنصار الذي يقال له "تاجر الله" و كان يوجه المولدات والأحمال إلى المشرق⁷، و ابن فروخ و كان من شيوخ أهل افريقية⁸ و ممن يبيحون شرب النبيذ⁹، و رغم ذلك يستفتيه البهلول و يقول عنه ابن فروخ الدرهم الجيد¹⁰.

كما كان عون بن يوسف الخزاعي يبيع الكتان في حانوته¹¹، و كان حماد بن يحيى السجلماسي تاجرا¹²، و إسحاق بن حلوان بنازرا¹³، و لم يكن كل العلماء من العرب فقد كان

1- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص302.

2- نفسه، ج1، ص305.

3- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، م1، ص331.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص127.

5- القاضي عياض : ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج2، ص99.

6- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص421.

7- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص84-85.

8- نفسه، ص107.

9- نفسه، ص110، كما كان يبيح شربه عبد الله بن المغيرة الكوفي، نفسه، ص162.

10- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص182.

11- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص189.

12- نفسه، ص203.

13- نفسه، ص208.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

بعضهم من البربر مثل عكرمة مولى ابن عباس¹ و البهلول ابن راشد² و محمد بن عبد الرحمن بن يسوتا³ و عمر بن سمك⁴ و مروان بن أبي شحمة⁵، و كان البعض الآخر من الفرس مثل ابن فروخ⁶ و فروخ⁶ و خالد بن يزيد الفارسي⁷، أو من الروم مثل أبي عبد الملك الملشوني⁸ و عيسى بن مسكين⁹ مسكين⁹ و أبو الغصن نفيس السوسي¹⁰، كما أن عديد العلماء قدموا من أقاليم أخرى في الغرب الإسلامي من الأندلس

مثل موسى بن منير¹¹ و يحيى بن عمر وأبو هارون الأندلسي¹² و من سرت¹³ و سجلماسة¹⁴ و من تيهرت¹⁵، إضافة إلى توافد العلماء على القيروان وناحيتها من مدن قسطنطينية و قفصة و قمودة

والأريس و تونس و الجزيرة¹⁶.

-
- 1- نفسه، ص 82-83، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص134، الطالبي: دراسات في تاريخ افريقية، المرجع السابق، ص157.
 - 2- أبو العرب: نفسه، ص-ص 126-138.
 - 3- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص154.
 - 4- نفسه، ص 179.
 - 5- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 200-201.
 - 6- نفسه، ص-ص 107-111.
 - 7- نفسه، ص156.
 - 8- نفسه، ص180، و قد يكون أيضا من البربر.
 - 9- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، م2، ص212.
 - 10- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص-ص 162-165.
 - 11- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص196.
 - 12- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص-ص 490-504.
 - 13- مثل سعيد السري، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص160.
 - 14- مثل حماد بن يحيى السجلماسي، نفسه، ص203.
 - 15- مثل بكر بن حماد التيهرتي، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص-ص 281-285.
 - 16- أبو العرب، الطبقات، المصدر السابق، ص-ص 138-152، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص-ص 234-344.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

و شارك العلماء في الحياة العامة فقد رابط عدد كبير من علماء القيروان و زهادها في رباطات افريقية وقادوا المعارك ضد غزوات الأسطول البيزنطي¹، كما وقفوا إلى جانب السلطة القائمة عند ثورات الجند و تأثروا بما كان يصيب مدينتهم من أفراح و أحزان و كانوا نخبة المجتمع التي يستشيرها الأمراء و القادة عند النوائب فقد أرسل عليهم ابراهيم بن أبي الأغلب بعد هزيمة الأربس ليدعموه في حربه ضد الشيعي فقالوا له: "أما السمع و الطاعة فهما علينا لك، و لكل من ولينا و أما عونك بأموالنا و أيدينا فنحن سوقة و تجار و باعة لا تبلغ ما تريده فقال: فانظروا ما في أيديكم من أموال الأحباس و الودائع فقالوا له: و ما عسى أن يكون في الأحباس و الودائع؟ و لو مددت يدك إليها لأنكر الناس ذلك و قاموا فيه"²، وستكون فترة الحكم الفاطمي من أسوأ الفترات التي عاشتها النخبة النخبة المثقفة في القيروان، فقد قتل بالقيروان (سنة 297هـ / 910م) ابراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون، و ابو بكر بن هذيل الفقيهان، و قتل بمدينة رقادة أحمد بن يحيى بن طيب المتطبب الفقيه بقول أهل العراق و مات (سنة 303هـ / 916م) المرودي و هو محمد بن عمر، في العذاب برقادة وامتحن جماعة من وجوه أهل القيروان و فضلائهم و تجارهم³.

* **القضاة:** كان أولى من استقضي بعد بناء القيروان عبد الرحمن بن رافع التنوخي و لاه موسى بن نصير سنة 80هـ / 700م، و هو أحد العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز (ت 113هـ / 731م)⁴، و تولى القضاء بعده عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة القرشي و لاه عمر بن عبد العزيز سنة 100هـ / 718م⁵، و إذا كان القاضي الأول ينتمي إلى أكبر تجمع عربي في افريقية (اليمانية)، فإن

1- الحبيب الجناحاني : المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 89.

2- القاضي النعمان : الافتتاح، المصدر السابق، ص 238-239.

3- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص- ص 154-173، و ستكون أكبر محنة تعرض لها فقهاء القيروان معركة "الوادي" "الوادي المالح" قرب المهديّة استشهد ربيع القطان و المسمي و استشهد معهما أئمة و عباد و صالحون و ذلك خمسة و ثمانون رجلا، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج3، ص- ص 29-34.

4- الجودي محمد بن محمد القيرواني: تاريخ قضاة القيروان، مخطوط د.ك.و، رقم 18397، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 86، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص 198.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 126.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيممته

الثاني ينتمي إلى الأرستقراطية القرشية بافريقية و هو من قادة الجيش عند فتح الأندلس¹، إضافة إلى دينه و فضله و ورعه الذي عرفه عند عمر بن عبد العزيز².

و يعد ثمانية قضاة من كبار الملاكين الذين تحدثت عن ثرواتهم المصادر منهم عبد الله بن المغيرة صاحب قصر المغيرة و قرية المغيريين³، و عبد الرحمن بن زياد، و قد ذكرناه في قسم الزراعة وكانت له ضيعة في المزاق⁴، و كانت لابن غانم ضيعة بالريدان⁵، و امتلك أبو محرز عبيدا كثيرة ومواشي من صنوف المواشي و منازل وورثها عنه ابنه أحمد⁶، و ذكرنا سابقا امتلاك سحنون لاثني عشر ألف أصل زيتون في الساحل⁷، و كان أعظم القضاة ثروة ابن طالب و هو ابن عم ابراهيم ابن أحمد و ذكرنا أنه يستعمل وكلاء في إدارة ثروته من الزيتون و الحبوب⁸.

و إذا كان بعض قضاة القيروان على علاقة طيبة مع خلفاء بني العباس مثل عبد الرحمن بن زياد⁹، و عبد الله بن غانم الذي، كان من إكرام الخليفة (الرشيد) له إذا كتب كتابا لابراهيم بن الأغلب يقول له فيه و أنا لا أفك لك كتابا حتى يكون مع كتابك إلي كتاب ابن غانم، فكان ابراهيم أكثر الناس مداراة وتعظيما له¹⁰.

و كان قاضي القيروان بمنزلة شيخ إسلام لعموم البلاد و إليه المرجع في تسمية قضاة الجهات¹¹، و زاد سحنون فقدم على الحسبة أمناء¹، كما جعل الودائع عند الأمناء²، و قد عرفت

1- ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص65.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص127.

3- نفسه، ج1، ص126.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص98.

5- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص193، و سماها أيضا منتزها، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص221-222.

6- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص167.

7- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، م2، ص99.

8- نفسه، ص- ص 194-212، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص- ص 159-174.

9- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص- ص 96-102.

10- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، م1، ص 318-319.

11- حسن حسيني عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص 44-45.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

مهنة القضاء و ما تبعها تغيرا كبيرا مع سحنون بظهور أمناء الحسبة ثم تدرجت إلى أعلى المراتب مع عبد الله بن طالب الذي فوض إليه ابراهيم بن أحمد النظر في الولاية و الجباة و الحدود و القصاص والعزل و الولاية³، و استعان القضاة بكتاب، فقد كان ابراهيم بن يونس الخشاب كاتب لابن طالب و لحماس بن مروان، و ولى قضاء مدينة رقادة و كان كاتبه أبو بكر محمد بن محمد اللباد الفقيه⁴.

لقد أصبح عدد القضاة هاما لذلك ألف القيسي ما يشبه القانون الأساسي لهذه الوظيفة⁵، ولما كانت خطة القضاء من الخطط الدينية الشرعية لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات فقد فوض فيها الخلفاء (و من ينوبهم من ولاية و أمراء)، أهل العلم و التدريس أي من هم أهل لها⁶.

و قد ازداد عدد الفقهاء و الزهاد في القرن الثالث فقد أرسل سحنون إلى جميع البوادي، في الصوفية، فاجتمع إليه نحو من ألف رجل⁷، و قال ابن عجلان الأندلسي: "ما بورك لأحد بعد أصحاب رسول الله، ما بورك من أيمن العلماء دخل المغرب، كأن أصحابه مصابيح في كل بلدة، عد له نحو سبعمائة رجل، ظهوروا بصحبته و انتفعوا بمجالسه"⁸، و بلغت مهنة القضاء بفضل ابن غانم و سحنون و ابن طالب أعلى الدرجات و أحسن المستويات من الاستقلالية التي تبقى مطمح كل المجتمعات في كل العصور⁹.

* **كبار التجار:** إن أول إشارة حول التجار ذكرها ابن ناجي عند سيطرة كسيلة على القيروان إذ قال: "وبقي بها أصحاب العيال و كل مثقل من التجار و أهل الذمة، فأرسلوا إلى كسيلة يسألونه

1- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص87.

2- نفسه، ص88.

3- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص476.

4- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص350.

5- القيسي: أدب القاضي و القضاء، المرجع السابق.

6- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 273 - 275.

7- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، م1، ص 606 - 607.

8- نفسه، ص613.

9- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص365.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

الأمان فأجابه إلى ذلك"¹، و لا شك أن ففة التجار قد ازدادت عددا و أموالا بعد فتح المغربين الأوسط و الأقصى والأندلس، و تاجرت بسبي موسى الذي قال عنه الليث بن سعد "لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام"، و قد ذكرت لنا المصادر أحد رموز هذه التجارة المرحة، قال أبو العرب: "كان اسماعيل بن عبيد المعروف بتاجر الله يوجه المولدات و الأحمال إلى المشرق، فوجه رفقة كلها له، فخرج يشيعهم إلى قصر الماء فأنزل من المحاسن سبعين مولدة"².

كما مارس التجارة فقهاء كبار منهم ابن فروخ³، و منهم يزيد بن محمد الجمحي الذي قال عنه أبو العرب "مات يزيد تاجر الله غازيا سنة اثني عشرة و مائتين"⁴.

و يبدو أن التجارة استفادت من الاستقرار الذي عرفته فترتا المهالبة و الأغالبة و من ازدهار الفلاحة و الحرف في ناحية القيروان و بروز فئات ثرية من ملاكين كبار و علماء و تجار و خاصة من ربط القيروان بأوروبا بعد فتح صقلية التي دعمت علاقة العالم الإسلامي بالعالم الغربي و استفادت خاصة من تجارة العبيد الذي أصبح عماد الجيش الأغلي منذ أن بدأ ابراهيم بن الأغلب في شراء العبيد⁵، كما استعمل العبيد السود في العمل الزراعي و الحرفي و في الأعمال المنزلية⁶، و كذلك من تجارة الذهب الذي كان المنشط الأساسي للتجارة الإسلامية و خاصة ابتداء من القرن الثالث الهجري (9م) عند اكتشاف العالم الإسلامي لمصدر جديد و ثري لتوريد هذا المعدن: بلاد السودان⁷.

و عموما كان التجار يحتلون مكانة بارزة في مدينة القيروان و تصنف فئتهم بعد الفئة الحاكمة ومصالحها مرتبطة بها⁸، إن التجار أنفقوا أموالهم في المنازل التي كانوا يشيدونها و في اللباس و في

1- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص55.

2- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص 85- 86.

3- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ص187.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص168.

5- الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص187.

6- الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص30.

7- نفسه، ص 31- 32.

8- الحبيب الجنحاني: المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص85.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

أعمال الخير (مسجد ابن خيرون و قصر زياد كما رأينا) و كذلك في المشاريع (فنادق ابن خيرون) وأيضا في المذات و اللهو و غير ذلك ألم يقل الزهري أنه كان في القيروان أربعمائة شاعر لا يمدحون ملوكا و لا وزراء و إنما يمدحون التجار و أولاد التجار¹، و ربما تكلم بعضهم عدة لغات ألم يقل ابن خرداذبة أن التجار اليهود الراذانية يتكلمون بالعربية و الفارسية و الرومية و الافرنجية و الأندلسية و الصقلية و أنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب و من المغرب إلى المشرق برا و بحرا يجلبون من المغرب الخدم و الجواري و الغلمان و الديباج و جلود الحز و الفراء و السمور و السيوف².

لقد ساهم التجار عموما في كل الأحداث التي عرفتها القيروان فتأثروا بها و أثروا فيها و مثلوا فئة لها دور في الحياة السياسية و الدينية بحكم نفوذها الاقتصادي³.

2- الطبقة العامة:

* الجند: لا شك أن هذه الفئة مثلت في المائة الأولى من تاريخ القيروان أهم فئة في المدينة التي تجمع فيها الجند سيكون قاعدة الارتكاز الهامة لسلطة العرب في المغرب إلى بداية القرن الثالث الهجري⁴، وهذا الجند الذي قامت عليه السلطة العربية في المغرب كانت له رواتب يعيش منها تسميها المصادر العطاء⁵، كما يتلقى مواد غذائية تسمى الأرزاق⁶، و يبلغ معدل العطاء السنوي بين 1000 و 1200 درهم للفارس و بين 500 و 600 درهم للجند من المشاة⁷، و يقدم العطاء حسب

1- الزهري: الجغرافية، المصدر السابق، ص109.

2- ابن خرداذبة: المسالك و الممالك، المصدر السابق، ص153، و قد ذكر الباحث قوتين أسماء بعض التونسيين عبدون، علون، عزرون، بحرون، فضلون، فرحون..

3- الحبيب الجناحي: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص44، محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص371.

4- ذكر الكندي أن المعتصم أمر واليه على مصر بإسقاط من في الديوان من العرب و قطع أعطيائهم، الكندي: ولاة مصر، المصدر السابق، ص193.

5- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج4، ص251.

6- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص155،

.Djait, la wilaya, ibid, p110

Djait, Idem, p112.

-7

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

الكفاية و هي معتبرة من ثلاثة أوجه، عدد من يعوله من الذراري و الممالك و عدد ما يرتبطه من الخيل و الظهر و الموضع الذي يحله في الغلاء و الرخص¹، و يقدم العطاء في وقت معلوم و عادة بعد الوقت الذي تستوفي فيه حقوق بيت المال².

فقد مثل الجند كما ذكرنا فئة هامة عدديا و متميزة داخل طبقة العامة ماديا بما أنها فقدت مثل الجند كما ذكرنا فئة هامة عدديا و متميزة داخل طبقة العامة ماديا بما أنها تتحصل على أجور قارة وهامة إذا قارناها بأجور الصناع³ و مداخيل المزارعين و هي غير قارة و مرتبطة بالظروف الطبيعية تضاف إلى ذلك الضرائب المفروضة على الأرض ثم أن الجند يتحصلون على أرزاق و هي المواد الغذائية الأساسية من حبوب و غيرها إضافة إلى المنح الاستثنائية⁴، و "الأسلاف" التي تعودوا على قبضها و التي حذفها الفضل بن روح (177-178هـ/ 794-795م)⁵، و كان العطاء مرتبطا بالعمل العسكري فإذا امتنع الجنود و هم أكفاء سقطت أرزاقهم⁶، لكن، إذا مات أحدهم أو قتل كان ما يستحق من عطائه موروثا عنه، و هو دين لورثته على بيت المال⁷.

و رغم بروز الحرس الخاص بقي الجند في القيروان و إن تناقص دورهم و تخلى أغلبهم عن الوظيفة العسكرية إلى العهد الذي زار فيه اليعقوبي القيروان (سنة 278هـ/ 891م) إذ قال: "و في مدينة القيروان أصناف من العجم من أهل خراسان و من كان وردها مع عمال بني هاشم من

1- الماوردي: الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص344.

2- نفسه، ص345.

3- كانت أجرة نجار زمن المنصور درهمين في اليوم، و أجرة بناء خمسة دراهم أو 4 في اليوم الشبخلي: الأصناف، المرجع السابق، السابق، ص89، و هو ما يعطي أجرا سنويا يساوي حوالي 700 أو 1400 درهم دون راحة و إذا توفر الشغل سنة كاملة.

4- الرقيق: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص83.

5- الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص89، و الأسلاف، جرايات إضافية و تسبقات و أورد نفس المؤلف ما ذكره ابن الأبار من أن الجند كتبوا للفضل: "و واسنا بالأسلاف كما كانت الولاة تصنع بما قبلك، و إلا فلا طاعة لك علينا"، الحلة السراء، المصدر السابق، ج1، ص77، لكن الرقيق ذكر غضب الجند على الفضل بطريقة مغايرة" مع ما في قلوبهم على الفضل من أشياء نكروها، أقلها استبداده برأيه دونهم، تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص151.

6- الماوردي: الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص345.

7- نفسه، ص نفسها.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

الجند"¹، و نستنتج من هذا النص أن نسبة الجند بقيت هامة في القيروان و أن أغلب العرب كانوا من الجند و أبنائهم و أحفادهم و إن الطائرين على القيروان من المشرق من غير الجند ليسوا إلا حالات نادرة².

* **المزارعون:** لقد عرضنا في باب الزراعة أن أغلبية المزارعين و رغم أنهم يمثلون السواد الأعظم من السكان، محرومة من ملكية الأرض و إن ملكت فمساحات قليلة و أراضي غير جيدة في مناطق وعرة، ورأينا أن الفلاح الذي يكتري الأرض معرض لنوائب الطبيعة و استغلال صاحب الأرض والضرائب و أن الشركات الفلاحية (المزارعة و المغارسة و المساقاة) هي علاقات انتاج غير متكافئة وهي نتيجة قساوة العوامل الطبيعية و الأزمات الدورية و حالة صغار الفلاحين السيئة التي ولدت عندهم غريزة الخوف³، وهذه الوضعية السيئة تبرز للعيان من خلال الأمثلة التالية: رفض ابن سحنون سحنون شهادة شهود البادية إلا في التافه اليسير⁴، و هذا دليل على مستوى الفقر الذي وصلوه، كما رفض شهادة من بعث خادمه أو زوجته أو بعض أولاده يلقط الزرع أو الزيتون أو التمر في أجنة الناس وفدادينهم⁵، و ما يفعل هذه الأشياء إلا الفقير الذي تعوزه هذه المواد.

و بما أن أغلبية السكان من المزارعين، فيكون أغلب الفقراء منهم أيضا، و يحكى أن رباح بن يزيد كان إذا دخل الشتاء أخذ في البكاء رحمة للفقراء⁶، و قد كان المزارعون أهم فئة من حيث العدد، و كانوا في معظمهم من البربر، و كانت سنوات الجفاف تزيد من بؤسهم و تدفعهم إلى النزوح إلى القيروان بأعداد كبيرة أو إلى مناطق الشمال⁷، و لكن المجتمع الاسلامي كان شديد التضامن،

1- يعقوبي : البلدان، المصدر السابق، ص348.

2- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص375.

3- محمد حسن، الريف المغربي من كتب النوازل، المرجع السابق، ص26.

4- ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص102.

5- نفسه، ص119.

6- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص142، للمزيد عن هذه الفئة ينظر، ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص- ص 101- 102.

7- محفوظ الغديفي: القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص376.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

وكانت كثرة لصدقات و توزيع المواد الغذائية في المناسبات و المواسم يخففان من مظاهر الفاقة¹، كما قامت الدولة بتوزيع الصدقات طبقا للآية الكريمة ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾²، أولم تكن أول مؤسسة جمع الزكاة و توزيعها على من يستحقها، قال المالكي: " و رجع حسان إلى مدينة القيروان و عمرها المسلمون و انتشروا و كثروا فيها و أمنوا، و ولي حسان على صدقات الناس و السعي عليهم حنش بن عبد الله الصنعاني³، و قد قال ابن خلدون في تعاون أهل البادية ما يؤكد ما ذهبنا إليه⁴.

* **صغار التجار و الحرفيين:** لقد ارتفع عدد الحرفيين في القرنين الثاني و الثالث الهجريين لازدهار الحرف و تطور عدد سكان المدينة و تنوع حاجيات سكان القيروان و ضواحيها لأنه حصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى و الرفه و استكثروا من الأقوات و الملابس و التأنيق فيها و توسعة البيوت ثم تزيد أحوال الرفه و الدعة⁵، و تطلب هذا التطور ازدياد عدد الأسواق لمختلف الصنائع و هو ما أكد ازدياد ازدياد حاجة التجار الطبار إلى غلمان و كانوا يقولون "فلان غلام فلان"⁶، و كان بعض الناس يعملون مكرهين، فقد ذكر الدباغ أنه بينما كان عبد الله بن طالب بين القصر و القيروان راكبا على دابته إذا بشيخ كبير ضعيف معه دويبة عليها حطب و قد أخذته الأودية، و الشيخ وحده قال فما حيلتي؟ لي بنات و عيال، أبيع هذه الشبكة، فأشتري منها شعيرا و علفا و لو تركت هذا اليوم بقينا

1- الحبيب الجنحاني: المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص94.

2- سورة التوبة: الآية 60.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص57.

4- يقول ابن خلدون: "إن اجتماعهم (أجيال البدو) إنما هو للتعاون على تحصيله (المعاش) و الابتداء بما هو ضروري منه و تنشيط قبل الحاجي و الكماي و كان حينئذ اجتماعهم و تعاونهم في حاجاتهم و معاشهم و عمرانهم من القوت و الكن و الدفاء إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة و يحصل بلغة العيش"، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص149-150.

5- نفسه، ص150.

6- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص121.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

بغير شيء¹، و كان هاشم بن مسرور يخرج في الشتاء، يقف عند باب تونس و مرة على باب نافع و مرة على باب أبي الربيع فإذا بصر بشاب أو شيخ خرج بجبل يحتطب في شدة البرد و الريح رده². و كان بعض الصناع من سوء حالهم لا يقدرّون على كراء حانوت لشغلهم لهذا اشتغلوا في المسجد³، و تكونت فئة من التجار الصغار كانت ظروفها سيئة جدا فقد ذكر المالكي أن هاشم بن مسرور (ت 307هـ / 919م) كان يمشي في الأسواق يدور على المقترين يزيد في رؤوس أموالهم و يقول لهم، كلوا الربح و ردوا إلي المال ثم يذهب عنهم فلا يعود إليهم أبدا⁴، و ذلك لأنه يعرف ظروف هؤلاء الباعة التعيسة، و من هذه الفئة يمكن أن نذكر الحمالين الذين ربما انتظروا أصحاب الأحمال وقد لا يأتون أياما متعددة، و هو ما يجعل قوتهم غير مضمون⁵.

* العبيد: وجد الرقيق منذ تأسيس القيروان سنة 50هـ / 670م، فقد فرض عقبة على كل واحد من ملوك "ودان" و "جرمة" و "كوار" 360 عبدا⁶، و كثيرا ما تحول العبد إلى مولى⁷، و الولاء لمن أعتق⁸، لذلك قال موسى عندما سئل: "كم تعد مواليك و أهل بيتك؟ قال: نعم و ألفا و ألفا"⁹، وكان خليفته يزيد بم مسروق قد ترك لابنه قرى بأكملها تعج بالعبيد¹⁰.

1- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص168.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص147.

3- نفسه، ص نفسها.

4- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص129.

5- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص378.

6- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص 194-195، و تشمل كلمة العبد هنا الذكر و الأنثى، ويرادف لفظ العبد الرقيق و المملوك، و إن كان البعض يرى أن لفظ المملوك خص به الأرقاء البيض و لفظ العبد للأرقاء السود، ابن أبي زيد: النوادر، المصدر السابق، ج7، ص71، كما أن كلمة العبد تشمل العبد المسلم و العبد غير المسلم، فكما كان المسلم يملك العبد النصراني، فكذلك كان النصراني يملك العبد المسلم، الوثنريسي: المعيار، المصدر السابق، ج9، ص 140-141.

7- المولى: ولاء النعمة، و هو رقيق تم تحريره بخلاف العبد الذي لا يملك رقبته و إنما يملكها غيره، ابن أبي زيد: النوادر، المصدر السابق، ج7، ص72.

8- قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إنما الولاء لمن أعتق"، مالك: الموطأ، المصدر السابق، ص514.

9- ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص70.

10- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 193-194.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

إن العبد اعتبر بحق في المجتمع العربي الاسلامي محرك عجلة الاقتصاد في جميع ميادينها، لا سيما أن دوره في ميدان المهن و الحرف كان هاما.

و رغم أن الاسلام شجع على عتق العبيد فقد تم الابقاء عليهم، حتى لا تتعطل الأنشطة الاقتصادية بما أنها كانت متوقفة عليهم آنذاك، و هو ما جعل مهنة النخاسية بالقيروان، التي كانت مزدهرة اقتصاديا في تلك العصور، لا تقتصر على العامة بل إنها همت بعض الفقهاء أيضا، فكان اسماعيل بن عبيد الأنصاري (ت 107هـ / 725م) باني مسجد الزيتونة نخاسا يوجه المولدات والأحمال إلى المشرق، حتى عرف سوق العبيد باسمه¹، و نجد في المدونة و النوادر أن العبيد قد استخدموا في جميع ميادين العمل ليلا ونهارا²، فكانوا يستسقون بالنهار و يطحنون بالليل³.

كما اعتمد أصحاب الملكيات الشاسعة على العبيد كقوة انتاج رئيسية يؤطرها الوكلاء في المنيات والمنازل التي انتشرت في ضواحي القيروان و الساحل و قمودة و منستير عثمان و غيرها⁴. و قد استعمل العبيد أيضا في خدمات البيوت كطباخين و خزانين و بوابين و كناسين وغسالين، واستخدموا كحرس خاص⁵.

1- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص85، و لا ندري ما إذا كانت سوق البركة لبيع و شراء العبيد هي التي حلت محل محل سوق اسماعيل هذا فيما بعد، فقد ذكر القاضي عياض تلك السوق في ترجمة القاضي عبد الله بن طالب (ت 275هـ / 888م) وتجدد الإشارة إلى أن هذا السوق كان موجودا بنفس الاسم في تونس و فاس و قرطبة، حسن حسيني عبد الوهاب: وراقات، المرجع السابق، ج1، ص 59-60.

2- ابن سحنون : المدونة، المصدر السابق، ج3، ص406.

3- جاء في طبقات أبي العرب أن رباح بن يزيد اللخمي كان إذا رأى الخادمة من جيرانه بالليل تطحن تسور الجدار عليها ليكفيها مؤنة الطحن، أتاني أبو خالد عبد الخالق في الليل... فذهبت إلى طحان عندنا في الجوار فأوقدت من عنده المصباح.."، الطبقات، المصدر السابق، ص123.

4- محفوظ الغديفي : المرجع السابق، ص379.

5- تذكر المصادر أن ابراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة الأغلبية اعتمد في جنده على العبيد المجلوب من بلاد السودان حذرا من من غدر جنود القيروان المحليين، سحن حسيني عبد الوهاب: البساط، المرجع السابق، ص134، و قال البلاذري: " و ابتاع عبيدا أعتقهم، فبلغوا خمسة آلاف و أسكنهم حوله"، البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص328.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

و إضافة إلى العبيد الذين جلبوا من السودان هناك من كان يأتي من أوروبا الوسطى و الشرقية وتسميه المصادر العبيد الصقالبة و منه كون ابراهيم بن الأغلب نواة الجيش الأغلبي¹، و هذا ما يؤكد ابن خرداذبة بقوله: "و الذي يجيء من البحر الغربي (المتوسط) الخدم الصقالب و الروم والافرنجيون واللبرديون و الجوارى الروميات و الأندلسيات"²، و قام بتوفير هذه البضاعة التجار اليهود الرهادنة الذين يجلبون من المغرب الخدم و الجوارى و الغلمان³، و قبل أن تصل هذه البضاعة إلى المشرق تمر بالمغرب و بافريقية وأساسا عاصمتها القيروان التي أصبحت في القرنين الثاني و الثالث الهجريين ملتقى الطرق و المواصلات⁴، وهي بلاد المغرب عامة محطة هامة في هذه التجارة يقول ابن حوقل: "فأما ما يجهر من المغرب إلى المشرق الخدم المجلوبون من بلاد السودان و الخدم المجلوبون من أرض الصقالبة على الأندلس"⁵.

كما أشار الاصطخري إلى أن القيروان كانت تستورد الخدم السود من بلاد السودان، و الخدم البيض من الأندلس، و الجوارى المثمنات، تأخذ الجارية و الخادم عن غير صناعة على وجهها ألف دينار⁶.

فعبيد الصقالبة و السودان مارسوا شتى ضروب النشاط الاقتصادي داخل مدينة القيروان في أشغال البناء و في الحرف، و في دكاكين التجارة، و فيما تحتاج إليه القوافل التجارية من أعمال وحراسة، و في الأعمال المنزلية⁷، و قد امتلك حتى أكثر الفقراء زهدا مثل البهلول سرية أو أكثر⁸، و شمل عملهن الرضاعة، تربية الأطفال، و شؤون الطحن و الطبخ و جلب الماء.

1- محفوظ الغديفي : القيروان و ناحيتها، المرجع السابق، ص379.

2- ابن خرداذبة : المسالك و الممالك، المصدر السابق، ص92.

3- نفسه، ص153.

4- العروي: تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص120.

5- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص95.

6- الاصطخري : المسالك و الممالك، المصدر السابق، ص45.

7- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص 132- 133، و كانت لمحمد بن سحنون تسعة أسر لكل سرير سرية، وأعطى وأعطى لرجل كان يسبه خمسا و عشرين جارية، المالكى: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 448- 452.

8- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 132- 133.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

* البطالون و الشحاذون و المكدون: عرفت القيروان مثل غيرها من المدن العربية في العصر الوسيط عددا هاما من البطالين والشحاذين والسراق و أهل الدعارة¹، و ما يدل على وجود هذه الظواهر في القيروان هو تخصيص محمد بن سالم مجموعة من الأسئلة التي وجهها لابن سحنون سماها المحقق "فصل السرقة والحراة"²، و يظهر من إحدى إجابات محمد بن سحنون حول الشهادة على السارق أن أكثر السرقات تقع في الليل، و في أوقات الغفلة التي لا يحضرها العدول³، و قد شملت السرقة الأمتعة و المواشي والمطامير⁴، و قد وجدت العصابات في الطريق، فقد ذكر المالكي "أن اسماعيل ابن رباح كان في رفقة، فسلبهم السلاية، و كانت له في حياصته دنانير"⁵.

كما قال أبو الوليد المهري: "خرج علينا قوم محاربون و أخذوا كل شيء كان معنا، و عرونا من ثيابنا و أخذوا دوابنا"⁶.

لقد ضم المجتمع القيرواني أعدادا هامة ممن تسميهم المصادر "أهل الدعارة"⁷ و العيارين والشطار والزمامرة و الضراطيين⁸ و الغوغاء⁹ و الضعفاء و المساكين¹⁰، و خاصة في سنوات القحط العظيم و الغلاء المفرط¹¹، و المجاعة العامة¹² و غيرها، و كانت كثيرة الوقوع، لذلك اشتهر العديد من الفقهاء بالقيروان بالإحسان إلى الفقراء و المساكين و أطببت كتب الطبقات في تعداد هؤلاء

1- محفوظ الغديفي : المرجع السابق، ص380.

2- نفسه، ص نفسها.

3- ابن سحنون : الأجوبة، المصدر السابق، ص 236 - 237.

4- نفسه، ص 238 - 239.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص341، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص337.

6- المالكي : نفسه، ص406.

7- القاضي النعمان: الافتتاح، المصدر السابق، ص236، و الدعارة: الفساد و الشر بما في ذلك السرقة.

8- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص143، و وصف البعض هذه الطبقة من شواذ الناس بالهامشيين و القيارين والشطار والشطار والزمامرة و الضراطيين، منجي الكعبي: المرجع السابق، ص 130 - 131.

9- ابن عذارى: نفسه، ص139.

10- نفسه، ص132.

11- نفسه، ص117.

12- نفسه، ص- ص 116 - 139.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

الذين يؤثرون على أنفسهم¹، وهؤلاء الأغنياء الذين يتكرمون بالقليل و القليل جدا مما كانوا يملكون مثل عبد الله بن طالب و هاشم بن مسرور²، و أغلب الفقهاء و الزهاد، و يدل انتشار قيم الرحمة والإحسان على طبقية المجتمع، فقد عوضت هذه القيم العدالة و المساواة، فالتصدق على السائلين هو في حد ذاته اعتراف ضمني بطبيعة التفاوت في الفقر و الغنى³.

ثالثا- الأحوال العامة للمجتمع القيرواني:

يمكن الإشارة إلى المظاهر الاجتماعية و الحياة العامة في القيروان من خلال النقاط التالية:

1- في السلوك الاجتماعي العام:

كان يشيع العدل بين الناس فحارب الظلم و عاقب مرتكبه خاصة في المعاملات، فكان قاضي القيروان يعين المحتسب الذي كان يقوم بمحاربة المنكرات و يحمل الناس على احترام المصلحة العامة كمنع المضايقة في الطرقات و الرفق بالحيوان و حمل أصحاب البيوت المتداعية على هدمها ومقاومة الغش والخداع في البيع و الشراء⁴.

و عامة أهل القيروان محافظون قوامون على الحق، لا يهدؤون حتى يردوا كل مستهتر عن غيه أو يناصره العدا، و هم بالمرصاد لكل شلة من شباب بالمدينة تلهو و تقصف، حتى إذا شاع لهوهم وافتضحت عريدهم و سكرهم، سلطوا عليهم أهل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و ربما أثاروا الفقهاء لرفع أمرهم إلى السلطان، ليريح منهم قبل أن تنفثى عدواهم⁵.

و يذكر أبو العرب أن أحد القائمين على أسواق القيروان من المحتسبين توفي فلم يوجد لديه ما يكفن فيه حتى كفنه بعض التجار⁶، و هذا دليل واضح على أمانة هؤلاء المحتسبين و عدم أخذهم

1- سورة الحشر: الآية 9.

2- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص- ص 164- 345.

3- بوتشيش ابراهيم القادري: مباحث في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب و الأندلس، دار الطليعة، بيروت، 1998، ص190.

4- حسن حسيني عبد الوهاب : بساط العتيق، المرجع السابق، ص27.

5- المنجي الكعي: القيروان، المرجع السابق، ص130.

6- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص251.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تدهورت

للمرشوة وعند تولية الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب حاول تغيير الظلم الذي أحدثه العمال و منعهم من الاستيلاء على أموال الرعية و قطع النبيذ من القيروان مما جعل الناس يحمدون له ذلك غير أن ابراهيم بن أحمد لما بنى رقادة قطع النبيذ من القيروان و أباحه برقادة مما جعل أحدهم يعرض على الأمير تحليل النبيذ بمدينة رقادة و تحريمه بمدينة القيروان¹.

أما بعض ظرفاء القيروان فيسجل ذلك بشعر أرسله إلى الأمير:

يا سيد الناس و ابن سيدهم و من إليه الرقاب منقادة

ما حرم الشرب في مدينتنا و هو حلال بأرض رقادة

و هذا مظهر من النقد الاجتماعي للحكام حيث أحل محرما في مقره رقادة و حرمه في

القيروان².

2- وضع المرأة:

كان للمرأة وضع مترف في القيروان يدل عليه موقعها حين هاجم الخوارج القيروان أيام حنظلة بن صفوان و مشاركة المرأة في الدفاع عن المدينة و حملها السلاح جنبا إلى جنب لحراسة المدينة والدفاع عنها حين هجم جيش المسلمين على الأعداء³.

بل كان للنساء تأثير قوى في الروح المعنوية للرجال و حملهم على مواصلة القتال و عدم الفرار عند مهاجمة الخوارج للقيروان و يعبر عن ذلك الرقيق القيرواني بأنهن عقدن الألوية و أخذن معهن السلاح وعزمن على القتال و استبسلن للموت مع الرجال و حلفن لأزواجهن لئن انهزم أحد منكم إلينا موليا عن العدو لنقتلنه، و علمن ما يريد بهن الصفرية من السبي و العبودية و وطن النفس على الموت فهش الناس للقتال واشتدت نصرتهم⁴، و قد خصص للمرأة في القيروان يوم خاص للقضاء

1- المنجي الكعبي: القيروان، المرجع السابق، ص130.

2- ابن الأبار : الحلة، المصدر السابق، ص- ص 128- 173.

3- مختصر تاريخ العرب، المرجع السابق، ص 144- 145.

4- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص120.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

حيث يفصل القاضي فيه بين النساء و هو يوم الخميس فيجلس القاضي فيه للنساء بعد أن يبعد الكتاب و الشهود و الحجاب¹.

و كانت المرأة القيروانية تقوم بشئون بيتها المنزلية فإذا ما انتهت منها قضت أوقات الفراغ في بيتها في القيام بالأعمال اليدوية كغزل الصوف و القطن و التطريز بالحريز و نسج البسط أو حياكة ثياب الأسرة وربما يساعدها في شؤون المنزل بعض الخدم من الرقيق و ذلك بالنسبة للأسر الغنية²، وهي تتمتع بشخصية قوية و بالحرية خاصة في شؤون الزواج، و يدل على حرية المرأة و قوة شخصيتها ما كانت تشتت عند العقد في الزواج من أن الزوج إذا تسرى عليها بغيرها يكون أمرها بيدها حيث تطلق نفسها إن شاءت و تلك عادة معمول بها في القيروان منذ القرن الثاني الهجري و تسمى في أحكام النكاح بالطريقة القيروانية³،

و مازال العمل بها جاريا في القيروان لحد الآن⁴، و نتج عن ذلك قلة رغبة أهل القيروان في تعدد الزوجات⁵.

و من هذا الوضع الخاص للمرأة يظهر لنا تماسك الأسرة و قوة بنائها و مدى تأثير المرأة في المجتمع القيرواني.

1- حسن حسيني: بساط العتيق، المرجع السابق، ص26.

2- نفسه، ص39، المنجي الكعبي: القيروان و دورها الحضاري، المرجع السابق، ص173.

3- الطريقة القيروانية أو الصداق القيرواني و هذا ما ذكره أحمد الطويلي: "فالصداق القيرواني يقضي بتطوع الزوج للمرأة أن لا يتزوج عليها و لا يتسرى فإن تزوج فأمر الداخلة عليها بيدها تطلقها عليه أي الطلاق شاءت من الواحدة إلى الثالث، و غاية هذا الطوع توخي مسرة المرأة و استجلاب مودتها و الحفاظ على متانة الأسرة و تربية الأبناء تربية سليمة، و ذكر لنا مثلا عن قضية عاجلها و أفتى فيها الفقيه أبو عبد الله محمد بن فنदार المرادي القيرواني المعروف بابن عظوم و هي أن امرأة اسمها أمة الحق الحضرمية القيروانية، حين تزوج عليها زوجها ابن مالوش الحضرمي بادرت بتطبيق هذه الزوجة بالثلاث بحجة أن العرف القيرواني يقضي بأن طوع الزوج لزوجته هو تملك عصمة المرأة الثانية بيد الأولى، أحمد الطويلي: شهيرات القيروان و معالم حضارية، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس 2013، ص- ص67-70، شعلاء بن عثمان: المرأة بجبل نفوسة منالفتح إلى بداية القرن السادس الهجري، الحادي عشر الميلادي، ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة تونس، كلية الآداب 2005-2006، ص- ص55-57.

4- محمد محمد زيتون: القيروان و دورها الثقافي، المرجع السابق، ص174.

5- حسن حسيني عبد الوهاب: بساط العتيق، المرجع السابق، ص- ص39-44.

3- اللباس و المأكولات:

* اللباس: كان لباس الرجل يتألف من قميص و سراويل و جبة صوف يتحزم عليها بازار ملون على رأسه عمامة و تسمى أيضا لفافة يوضع عليها الدوخلة التي تنزل على القفا و يلبس في قدميه النعال في الشتاء و الخفاف في الصيف و يلبس الأغنياء و العلماء الأسماط و الشروف و الفرو السامور و يلبسون القلنسوة¹ عوضا عن العمامة و تكون صوفا أو قطنا و يختلف شكلها من قصيرة إلى طويلة².

و يوضح لنا صاحب المدارك ما كان يتزبى به الإمام سحنون و كيف كان يتخذ لكل وقت لباسا عند الجلوس للسمع أو حضور الجمعة و شهود الجنازة أو وقت المطر و ذلك ليعطينا مثلا لما كان يسير عليه المجتمع في لباسه يقول سليمان بن سالم: " رأيت لسحنون ساجا كفليا و ساجا أزرق و رداء و قلنسوة حبرة و قلنسوة زرقاء و شيا و قلنسوة تشبه الأغلب فإذا قعد للسمع لبس الرداء و قلنسوة الأغلب و إذا شهد الجمعة لبس الساج و قلنسوة الحبر و إذا حضر الجنازة لبس الأزرق و القلنسوة الزرقاء... و كان له برنس أسود يلبسه في المطر و البرد"³، كما كان ابن غانم القاضي يلبس لباسا خاصا عندما يجلس للفصل بين النساء فهو يلبس من الثياب أرفعها و يجعل لخصومات النساء يوما يجلس فيه للنظر بينهن فيلبس يومئذ الفرو الخشن و خلق الثياب⁴، و في ذلك ما يوضح إدراكهم لأثر الثياب في الحياة الاجتماعية.

أما المرأة فكانت تلبس رداء قطن أو حريرا حسب رتبتها و تلبس فوقه غلالة تشدها بمئزر كما تتزبى بالحلي المختلفة من أساور مرصعة و خلاخيل منقوشة و معصفرات إلى غير ذلك⁵، فإذا ما

1- و هذا ما نستنتجه من قول القاضي عبد الله بن غانم بعد صلاة الجمعة أنه رأى سبعين قلنسوة تصلح للقضاء و ثلاثمائة قلنسوة فقيه الدباغ: معالم الإيمان، المصدر السابق، ج1، ص310، و جمعها أحمد الطويلي فقال: "ثلاثمائة وستون قلنسوة كلها تصلح للقضاء، أحمد الطويلي: صفحات من تراثنا الحضاري، المرجع السابق، ص81.

2- حسن حسني عبد الوهاب: بساط العتيق، المرجع السابق، ص24.

3- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ج2، ص593-594.

4- نفسه، ج1، ص319.

5- حسن حسني عبد الوهاب: بساط العتيق، المرجع السابق، ص- ص39-44.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

خرجت لبست الرداء و ضربت على وجهها المعجز و تلبس برجليها خفا لطيفا و للنساء في كل زمان و مكان تنوع في لباسهن حسب ما يجد من أزياء، و إذا كان المؤرخون قد حفظوا لنا أزياء مختلفة للرجال فلا شك أن القيروان كانت تزخر بأزياء أكثر بالنسبة للنساء¹.

* **المأكولات:** عندما أقام العرب في القيروان كانوا يتناولون طعامهم المعروف بالثريد و العصيد والبسيس ثم اقتبسوا من البربر المقيمين معهم الكسكس و هو الطعام الأساسي في أكل البربر، و بازدهار الحضارة في القيروان و تعمق التجارب بين سكانها تنوعت الأطعمة و تحددت فصاروا يطبخون من المرق منها "الكوكبية"، و يدخل فيها السلق و الحمص و اللحم "النسابورية" و "الفستقية"، و هما يصنعان باللحم و البقول و "الكنافة" و يتبل اللحم فيها بكيفية مخصوصة وينضج على البخار، ثم "الشرائح" و هو نوع من اللحم يطبخ شرائح و يؤكل بالخبز الرقاق².

و يبدو أنهم كانوا يتناولون كثيرا من اللحم، فالبكري يذكر أنه في بعض أيام عاشوراء ذبح في القيروان تسعمائة رأس من البقر غير ما ذبح من أنواع الحيوانات الأخرى³، و بجانب هذه الأنواع الرئيسية في الطعام كان يوجد بجوارها أصناف مختلفة من الحلو (كالإسفننج) و كان يباع في الأسواق و (الزلايية) و (الكعك) و (الغسانية) و هي نوع من الحلوى يصنع من سمن و عسل و زعفران و (السمسمية) و (الملبس) و أنواع المريات و البسكوت الملبس بالسكر و الزخرف بالترقيم و التخريم، كما كان يرب أهل القيروان السمسم بالياسمين و بالورد و البنفسج⁴، و لا شك أن موائد الحكام والسراة كانت تزخر بهذه الأصناف و بغيرها من أنواع الأطعمة المختلفة.

1- محمد محمد زيتون: القيروان و دورها الثقافي، المرجع السابق، ص175.

2- حسن حسيني عبد الوهاب : بساط العتيق، المرجع السابق، ص25.

3- البكري: المغرب، المصدر السابق، ص26، حسن حسيني: بساط العتيق، المرجع السابق، ص 40- 41، محمد محمد زيتون: القيروان، المرجع السابق، ص172.

4- البكري: نفسه، ص32، الكعك: المرجع السابق، ص85، حسن حسيني: بساط العتيق، المرجع السابق، ص25.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

4- المواكب و الاحفالات:

لقد أورد لنا الرقيق وصفا للموكب الذي استقبلت به القيروان الفضل ابن روح بن حاتم سنة سبع وسبعين و مائة عندما قدم واليا عليها من قبل الرشيد و كيف أقيمت السراذقات و زينت الشوارع و علفت فيها الإعلانات و هو يوضح لنا مظهر المواكب في القيروان فقد نصبت له القباب من مسجد أم الأمير إلى دار الإمارة في رحبة التمر فرعموا أن قسطاس النصراني نصب له قرية ريجان في طريقه و عليها طومار قد كتب فيه بخط غليظ ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾¹، فنظر إليه الفضل فقال من فعل هذا قالوا: قسطاس، قال: أحسن و الله النصراني فلما انتهى إلى مسجد أبي نظر إلى زير زجاج معلق و فيه ماء و في الماء حيتان تعوم فقال: من فعل هذا فقالوا: قسطاس فقال: أحسن و الله².

كما خصصت بعض المصليات ذات المساحة الواسعة المربعة المحاطة بجدار قصير رفيع من غير سقف لأجل الاجتماعات العامة كصلاة العيدين و الاحتفال بالمواسم و بيعة الأمراء و غير ذلك من المواكب التي تحتاج إلى مساحات متسعة لاستيعاب أفراد الشعب المشاركين في الموكب و أشهر هذه المصليات مصلى باب نافع و مصلى باب سلم³.

5- التسلية و الملاهي:

عندما تحولت القيروان إلى مدينة تضم مختلف الفئات و الطبقات بحيث وجد فيها العمال الكادحون في الزراعة و الصناعة و فيها التجارة و الإداريون و المثقفون و الأثرياء و وجد في المدينة وسائل للتسلية في أيام تعطل فيها الأعمال أو في أيام الأفراح و الأعياد و مع ذلك كانت القيروان حريصة على أن تكون وسائل التسلية فيها مما يبيحه الشرع الحنيف فكانت هناك ألعاب الفروسية مثل لعبة: الصولجان أو لعبة الكرة على الخيول ثم المبارزة على الخيول بين رجلين و تولد عن ذلك الصيد على الخيول و البازي أو بالسلوقي.

1- سورة الفتح: الآيتان 1 و 2.

2- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص184.

3- حسن حسيني عبد الوهاب: بساط العتيق، المرجع السابق، ص8.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

كما كان هناك من ألعاب الفروسية ما يسمى ملعب و هو أن يؤتى بطبال و صاحب ناي فينشأ عن ذلك توقيع خاص فترقص عليها الخيول اهتزازا و إيقاعا و تحريكا للأعناق ثم تجري في سباق و هجمة يسمى "المشاف" و يرقص أصحابه فوق ظهور الخيل وقوفا و جلوسا و امتدادا على أجنابها و اختفاء تحت بطونها و هذه الألعاب متولدة من الجيش القيسي الذي نظمه الأغالبة بمدينة بلزمة غرب تونس لحماية القيروان من هجمات الخوارج و كان جيشا مؤلفا من ألف فارس منتخبين يلبسون قبعات من ريش النعام الأسود يسمى العروج¹، و منها اللعب بالحراب و سباق الخيل في ملاعب خارج القيروان و لعب الشطرنج أو الفرند و مع تحفظ القيروان لم يمنع ذلك من أن يكون هناك ربح البقرية في طرف القيروان الذي يجمع الشبان أصحاب الخلاعة يطربون بسمع آلات الطرب و رقص الغانيات²، و يذكر ابن عذارى أن أحد أمراء بني الأغلب أغرم بصيد الغرائيق حتى لقب بأبي الغرائيق و بنى قصرا يخرج إليه ليصيدها أنفق عليه ثلاثين ألف مثقال من الذهب، كما كان هناك مركب يسمى بالزللاج في ماجل القيروان يتخذ للتنزه في القبة المثلثة المبنية في وسط الماغل الكبير، و كانت البساتين في رقادة ذات الهواء العليل و النسيم الرقيق متنزها لطيفا لأهل القيروان³.

و في قصور الأثرياء كان هناك حياة خاصة حيث يوجد الغلمان و الجوارى من موالي البيزنطيين وأسرى الحرب من صقلية و جوارى جلبهن التجار من المشرق و من بلدان افريقية المختلفة حيث كان لذلك بعض الأثر في نشر اللهو و المجون في تلك القصور⁴، بل كان من حكام الأقاليم من يحذق العناء وكان ذلك داعيا إلى أن يكون من ندماء الأمير فقد ذكر ابن الأبار أن مجبر بن ابراهيم بن سفيان كان من أهل الشرف و الثروة و ولاة ابراهيم ابن أحمد الأريس و غيرها و كان ينادمه لحذقه الغناء⁵.

1- عثمان الكعك : الحضارة العربية، المرجع السابق، ص- ص 80- 82.

2- حسن حسيني عبد الوهاب: بساط العتيق، المرجع سابق، ص23.

3- البكري : المغرب، المصدر السابق، ص26.

4- الحبيب الجناحاني: القيروان، المرجع السابق، ص150.

5- ابن الأبار: الحلة السيرة، المصدر السابق، ج1، ص185.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

و يذكر المنجي الكعبي أن عامة أهل الفضل و العلم و التقوى بالقيروان، فكانت لهم من المنتزهات الكثيرة و المعارض و المزارات و المجالس السنية ما يملأ نفوسهم أنسا و سرورا، من ذلك أنه كان للأغالبة أرض للاستعراضات الكبرى تدعى أرض الملعب، و كانت هناك البرك (الأحواض المائية الاصطناعية) الكثيرة خارج السور تساعد على تلطيف الجو وقت الحرارة و إضفاء البهجة على المكان، و كانت هنالك أيضا حدائق مخصوصة للفرجة على الحيوانات العجيبة المجلوبة من أقصى الأرض، مما جاءت بها هدايا الملوك و السلطان لصاحب القيروان، و كانت بها من الزرافات و البخاتي و الفيلة و الأسود، ما يثير فضول الزوار و الأطفال خاصة، و ربما أثارت فيهم الفرع الأكبر في بعض الأحيان، و احتفظت الكتب بروايات لا تكاد تصدق، من ذلك أن أسدا أفلت يوما من قفصه، فقتل من الهلع أكثر من مائة شخص لفراره¹.

6- الصحة و النظافة:

كانت الطرقات و الأزقة غير نظيفة، فقد كان حمار يزيد بن الطفيل القاضي (في خمسينيات القرن 2هـ/ 8 م) يشم ما يلقي في الأزقة من بقل أو حشيش أو ما أشبه ذلك²، و كانت الأزقة تحف بها، عن اليمين و عن الشمال، القنوات المكشوفة الخارجة عن الدور تجرف سيلا أسود من القذرات³، فقد مر اسماعيل بن رباح على دار أبي محرز فإذا على القناة التي تجري بين داره قرطاس فيه اسم من أسماء الله قد هم أن يغرق في الحمأة، فخاف أن يتلطح ذلك القرطاس بالنجاسة فرمى بنفسه في القناة فساخ فيها إلى الورك⁴، و لكن قنوات القيروان لم تكن لكها مكشوفة فقد كان حماس بن مروان (ت 302هـ/ 914م) يفتح القناة بنفسه⁵، و قد طرحت على الفقهاء أسئلة كثيرة حول

1- منجي الكعبي: القيروان، المرجع السابق، ص132.

2- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص106.

3- محمد الطالبي: تأسيس القيروان، المرجع السابق، ص97.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص148، و الحمأة: من حمى الماء حمأ، و حمأ خالطته الحمأة فكدر و تغيرت رائحته، و الحمأة: الطين الأسود المنتن، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م1، ص712، و النجاسة: القذارة و النجس: الدنس، لسان العرب، نفسه، م6، ص586-587.

5- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص324.

المباج الثاني ————— الأوضاع الأقتصادية و الأجتماعية بالقيروان و تيمهرت

كنس القناة في الدار المكتراة حديثا على صاحب الدار أم المكثري¹، و يرى سحنون أن سكان الأزقة يجب عليهم أن يكسوا الأول حتى يبلغ إلى الثاني، ثم يكس الأول و الثاني حتى يبلغا الثالث، ثم يكس الأول و الثاني و الثالث حتى يبلغوا الرابع، هكذا حتى يبلغوا إلى الآخر²، و يحمل يحيى بن عمر كل من انسدت قناته حتى يخرج إلى الأم التي تجري إلى الخندق³، و يبقى المسؤولية جماعية.

و لم تكن مشكلة القنوات التي تطلبت مجموعة هامة من الفتاوى، هي الوحيدة المفسدة لهواء مدينة القيروان، بل كانت الاصطبلات و دور الدبغ و ورشات الحرف الوسخة و حوانيت الجزارين تسبب الأوساخ الكثيرة الجالبة للذباب و الحشرات الناقلة للأمراض المعدية و الأوبئة الكثيرة التي لم تسلم منها أي مدينة في العصر الوسيط.

و لم تكن القيروان لتسلم في تاريخها من الأمراض العارضة و الأوبئة العابرة، رغم هاجس النظافة الملازم لأهلها و سلامة هوائها و مائها من العفونات و نحوها، و قد ساعد الإسلام على نظافة الفرد والبيئة، و كانت الوقاية و الرقابة من أجل الصحة العامة من مهام صاحب الحسبة، وكان الحمام أكثر انتشارا في الحواضر الإسلامية منه في غيرها، لارتباط المسلم بالطهارة في جميع صلواته وفي قراءة القرآن، وكان من الطبيعي أن تزدهر العلوم الطبية و الصيدلية بازدهار الحضارة، مع ما نعلمه من عناية رجال الدولة أنفسهم بالأمر و تشجيعهم للأطباء و استقدام بعضهم من بغداد و الأندلس ومصر.

فقد تفتن حكام القيروان إلى ضرورة عزل المجذومين في الدمنة⁴ أي حارة المرضى التي وجدت

1- ابن الرامي: الإعلان بأحكام البنيان، المصدر السابق، ص 127 - 128.

2- نفسه، ص 129.

3- نفسه، ص نفسها.

4- الدمنة: هي من أعظم المستشفيات التي أنشئت في القيروان في أيام الأغالبة و خصصت للمرضى العجزة و كان قسم منه خاص بالمجدومين و يعرف بدار الجذماء و قسم آخر كان لأمراض العيون حيث كان يعالجهم أطباء ماهرون في مختلف أنواع الأمراض، حسن حسيني عبد الوهاب: بساط العتيق، المرجع السابق، ص 10، منجي الكعبي: القيروان، المرجع السابق، ص 19.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

في القيروان و سوسة و صفاقس¹، و مما يصور لنا عدد الأطباء في القيروان في القرن الرابع أن المؤرخ المراكشي ابن عذارى تردد في ذكر من توفي منهم في سنة واحدة لكثرتهم، و تغني مؤلفات أحمد الجزار القيرواني (المتوفي سنة 369هـ) ذات الأربعين كتابا في الطب و في الصيدلة للدلالة عما وصلت إليه القيروان من تقدم في عصره، و ما يدل على العناية بالنظافة، كثرة مشاريع المياه بالقيروان و الحمامات المنتشرة هنا وهناك، كما كانت شوارع القيروان تتسم بالاتساع و الجمال و كان تنظيم أماكن الأسواق و الصناعات والتجارات مما ساعد على نظافة المدينة و أدى إلى التقدم الصحي للسكان².

7- ظروف السكن:

اختلفت ظروف السكن حسب الانتماء الطبقي فهناك مساكن الخاصة في القيروان والعباسية ورقادة وغيرها و هناك مساكن في الأحياء الفقيرة حول القيروان و في أرياف ناحيتها.

* مساكن الخاصة: و تكون أما منازل ذات غرف واسعة و متعددة و حتى قصور ذات طوابق بالنسبة للأمرء و الأثرياء، و قد وجدت الغرف في الطابق الثاني منذ عهد روح بن حاتم (171-174هـ / 788-791م)³، و هي منازل و قصور تصمد أمام السيول و تحمي أصحابها من البرد والحرارة و هي تحتوي عادة على سقيفة و مدخل و صحن و غرف كثيرة و حمام⁴، و تستعمل فئة الخاصة الطابية و الآجر في منازلها و الخشب و الحديد و الرخام بالنسبة إلى الفئة الثرية جدا و قصور الأمرء، و قد ترك لنا النعمان وصفا لنهب رقادة سنة 296هـ / 909م بين ثراء قصورها: "ففاض أهل القيروان و الناس من كل مكان إلى رقادة ينتهبون ما بها و يحملونه، فانتهبوا ما في قصورها مما

1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 411-412، ج2، ص- ص 51-147، و قال الدباغ عن محمد بن أبي حميد السوسي: "خرج من القيروان فسكن دمنة سوسة، و كان يخدم الأضرأ حتى صار ضريرا، و قال ابن ناجي: "و معنى الدمنة: موضع سكنى المجذومين، و كان يخدمهم حتى صار مثلهم مجذوما"، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص251، عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج1، ص- ص 273-289.

2- البكري: المغرب، المصدر السابق، ص26، عثمان الكعاك: الحضارة العربية، المرجع السابق، ص85، الحبيب الجناحاني: القيروان عبر عصور الازدهار، المرجع السابق، ص124.

3- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص139، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص175.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص129، البكري: المسالك، المصدر السابق، ص680، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص510-511.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تدهورت

خلفه زيادة الله و ما في دور رجاله و دور سائر الناس الأنفس فالأنفس، و الأعلى فالأعلى إلى أن لم يبق شيء مما على وجه الأرض إلا انتهبوه، وصاروا إلى البحث عن المطامير و انتزاع حديد الأبواب و حمل الأسرة و ثقيل الخرتي¹.

* **مساكن العامة:** يقيم سكان البادية المستقرين في مساكن بدائية من نوع الكوخ²، و قد سكنت الفئات الشعبية في أحياء مدينة القيروان الفقيرة في أكواخ ضيقة غير مرتفعة مبنية بالطوب و هي لا تصمد أمام الأمطار الغزيرة³، كما سكنوا نوات مبنية بالطوب و مسقفة بأغصان الأشجار⁴، و قد ذكر البكري أن أبواب الدور بمدينة قلشانة قصار ليس تدخلها دواب، فعلوا ذلك خوفا من نزول العمال و الجباة⁵، و يبدو أن كل دور القرى و الأرياف كانت مثل قلشانة أبوابها قصار لأن الأكواخ نفسها قصار، و عكس ما رأينا في منازل رقادة التي وصفها النعمان فإن أكواخ سكان الأرياف والأحياء الفقيرة لا تحتوي على أسرة وغيرها من الضروريات⁶.

و مما يجدر الإشارة إليه أن القيروان كغيرها من المدن الإسلامية عانت من بعض الظواهر الطبيعية والمناخية، و بعض الأزمات و المصاعب التي تأثر بها المجتمع القيرواني كالمجاعات و الأوبئة.

8- تأثر المجتمع القيرواني بالمجاعات و الأوبئة:

عرف مجتمع القيروان العديد من المجاعات لكننا سنركز على المجاعات الناتجة عن الأسباب الطبيعية لأن المجاعات الناتجة عن الحروب و الحصار تناولتها المصادر التاريخية⁷، فما هي إذن أهم المجاعات التي عرفتها القيروان خلال هذه الفترة؟

1- القاضي النعمان: الافتتاح، المصدر السابق، ص236.

2- إدريس: الدولة الصنهاجية، المرجع السابق، ج2، ص213.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 288-289.

4- نفسه، ج2، ص 293-294، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 510-511.

5- البكري: المسالك، المصدر السابق، ص681.

6- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص105، لم يكن له (مروان بن شحمة) سرير ينام عليه، إنما ينصب الطوب، فينام عليه.

7- ذكر ابن عذارى الحصار الذي ضرب على القيروان في ولاية عمرو بن حفص بن قبيصة سنة 151هـ إلى 153هـ بقوله: "إن عدة من حاصر القيروان مائة ألف و ثلاثون ألفا، و كان ابن حفص يخرج إليهم في كل يوم فيحاربهم، فلم يزالوا كذلك =

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

تتميز منطقة القيروان بعدم انتظام الأمطار، فتصل فترة الجفاف أحيانا أكثر من سنتين أو ثلاث، وهذا ما عبر عنه ابن ناجي بقوله: "أن المعتمد في الحرث إنما هو على السواني التي يسنى على بئرها بالدلو، و أما الحرث في الأراضي التي تأتي إليها الوديان فغير مأمون، فإذا جاء زرعها في عام طيبا تبقى أعواما لا يجيء فيها الزرع طيبا في الأعم الأغلب، فيفتقر الحارث فيها"¹، و هذه الوضعية المعروفة تجعل الجماعات دورية مرتبطة بدورية الجفاف و لذلك نجد في المصادر إشارات كثيرة عن صلوات الاستسقاء، فقد قحط الناس بافريقية في عهد موسى فخرج بالناس فاستسقى ودعا بالناس². و قد عرفت القيروان شدة و أزمة عظيمة في حياة أبي الوليد المهري (ت253هـ / 867م)³، و ساير رجل القاضي عبد الله بن طالب (ت275هـ / 888 - 889م) و رأى جمال عليها حمولة قمح فقال: "إن الذي تنزل هذه على بابه في أمن من هذه المجاعة"⁴.

كما ذكر ابن عذارى مجاعة سنة 260هـ / 373م إذ قال: "و في سنة 260هـ كانت المجاعة العامة بالمشرق و المغرب"⁵، كما ذكر القحط العظيم و الغلاء المفرط بافريقية سنة 266هـ / 879-880م⁶.

لا تذكر المصادر الأوبئة إلا نادرا، عموما كانت هذه الأوبئة تلم بصفة دورية (تقريبا كل 15 - 20 سنة)⁷، و من الأوبئة التي ذكرتها المصادر وباء وقع في عهد عبد الرحمن بن حبي (127-

= حتى ضاق أمرهم وأكلوا دوابهم و كلابهم و سنانيرهم، و ماتوا جوعا و انتهى الملح عندهم أوقية بدرهم"، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص76.

1- ابن ناجي : المعالم، المصدر السابق، ج1، ص232.

2- ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، المصدر السابق، ج2، ص85، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص120.

3- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص406.

4- نفسه، ص475.

5- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص116.

6- نفسه، ص117، و يذكر ابن أبي زرع: سنة 253هـ: قحط كثير، 260هـ: عم الغلاء و القحط جميع بلاد المغرب والأندلس وافريقية و مصر و بلاد الحجاز، 285هـ: مجاعة شديدة عمت بلاد الأندلس و بلاد العدة، ابن أبي زرع : روض القرطاس، المصدر السابق، ص- ص 119 - 121.

7- السعداوي أحمد : الآفات و الكوارث الطبيعية بالمغرب الوسيط، منتصف القرن 5هـ / منتهى القرن 11م، شهادة الكفاءة في البحث، تونس، 1982، ص- ص 15 - 17.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهمرت

137هـ / 745 - 755م)، قال الرقيق: "فوق البلاء و الطاعون، فأقام بافريقية سبع سنين لا يكاد يرتفع إلا وقتا في الصيف و وقتا في الشتاء"¹، و المؤكد أن هذا الوباء قد ذهب بنسبة من سكان مدينة القيروان لكن المصادر لا تقدم لنا الأرقام و لا النسب، و المعروف أن الأوبئة تصيب خاصة المدن لأنها تنتقل مع التجار و تكون العدوى أقل في الأرياف، و الوباء الثاني وقع في سنة 260هـ / 873 - 874م و صاحب المجاعة العامة التي ذكرناها، قال ابن عذارى: "كانت المجاعة العامة بالمشرق و المغرب، و الوباء و الطاعون"²، و لا شك أن الجفاف الذي أدى إلى المجاعة قد زاد من عدد الموتى، و رغم صمت المصادر يبدو أن هذه المجاعة و الطاعون قد أنقضا عدد السكان بنسبة هامة قد تكون قريبة من النسبة التي ذهبت أثناء الطاعون الجارف الذي وقع سنة 748هـ / 1347م، و الذي قال عنه بن خلدون: "هذا إلى ما نزل بالعمران شرقا و غربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم و ذهب بأهل الجليل و طوى كثيرا من محاسن العمران و محابها"³.

و كانت الأمطار الغزيرة تذهب بالمساعف مثلما وقع سنة 247هـ / 861م⁴، و كذلك في حياة عبد الله بن أبي حسان (ت 227هـ / 842م)⁵.

9- الهجرة الريفية نحو المدن:

ذكرت المصادر بعض الإشارات حول هجرة السكان من أريافهم إلى مدينة القيروان مثل البدوي الذي عليه أثر البؤس و معه أطفال و هو يقضم الشعير⁶.

1- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص 88.

2- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 116.

3- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 42، محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص 393.

4- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج 1، ص 113.

5- المالكي: رياض النفوس، المصدر السابق، ج 1، و ذكر ابن عذارى: "و في سنة 293هـ كسفت الشمس كلها و وقعت في المغرب الأقصى أوبئة و كوارث تظن أنها وقعت في افريقية أيضا، و في 254هـ خسف القمر، و في 267هـ زلزلة عظيمة، و في 285هـ وباء ومرض و موت"، ابن عذارى: نفسه، ص 140، محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص 394.

6- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 142.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

و يمكن اعتبار الممسي (ت 333هـ / 944 - 945م) من المهاجرين من قرية ممس إلى مدينة القيروان، و يمكن أن نضيف الأريسي (ت 323هـ / 934 - 935م)¹، كما وفد على القيروان مهاجرون من باجة و من مناطق كثيرة من ناحية القيروان لأن كتب الطبقات تؤرخ للمشاهير من العرب أولاً و سكان المدينة أساساً، و أسباب الهجرة كثيرة و أهمها ما رأيناه من ظروف صعبة يعيشها سكان الأرياف الفقراء وخاصة في سنوات الجفاف²، و يضاف إلى ذلك تعسف الجباة و خاصة قرار عبد الله بن ابراهيم جعل العشر ثمانية دنانير للقفيز أصاب أم لم يصب، و ذلك سنة 197هـ / 813م، و يضاف إلى ذلك استحواذ العرب منذ مجيئهم على أخصب الأراضي و خاصة سيطرة نمط الانتاج الإقطاعي في آخر العهد الأغلبي³، واعتماد الملاكين على العبيد⁴.

لذلك هاجر سكان الأرياف بأعداد كبيرة نحو المدن و خاصة القيروان للعمل في الحرف و في التجارة أو كحمالين أو محتطبين أو جامعي الحشيش⁵، و بعضهم ينضم إلى مهمشي المدينة من متسولين⁶ و سراق⁷ و غيرهم من المهمشين.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية في تيهرت

من ناحية البنية الاجتماعية لمدينة تيهرت، فإن المصادر التي رجعنا إليها لم تذكر أن عبد الرحمن بن رستم قام بنقل السكان المجاورين لتيهرت من أجل تعمير المدينة كما حدث في بناء أشير

-
- 1- القاضي عياض : ترتيب المدارك، المصدر السابق، 2م، ص- ص 313 - 323.
 - 2- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص 116 - 117، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 303 - 484، ج2، ص150.
 - 3- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص- ص 95 - 131.
 - 4- نفسه، ص- ص 68 - 101، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 158 - 475، الحبيب الجنحاني: المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص 92 - 93.
 - 5- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص- ص 168 - 331.
 - 6- نفسه، ص- ص 166 - 171.
 - 7- نفسه، ص337، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 122 - 125، محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص397.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

والقلعة، بل السكان أتوا إلى المدينة بإرادتهم و لعل الدافع لذلك رخاء و غناء المدينة¹ و حسن سيرة إمامها و عدله، وهذا ما نفهمه من قول ابن الصغير: " و أتتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار... لما يرى من رخاء البلد و سن سيرة إمامه و عدله في رعيته و أمانه عن نفسه وماله..."².

لقد كثر سكان تيهرت و اختلفت فيها عناصرهم و أجناسهم، فكان فيها من لماية و زناتة و سدراة و هواره و لواتة و زواغة، و نفوسة الجبل، كما سكنها قوم من القيروان و الكوفة و من فاس و غيرها، واجتمعت فيها مختلف المذاهب و الفرق اليهودية و المسيحية و غيرها³، حتى أنه ظهرت أحياء جديدة تمثلت في:

- حي الأجناد المهاجرين: اتخذ هذا الحي شكله البسيط ليصبح في القرن الثالث الهجري سرّة المدينة نفسها.

- العدوة عبر نهر مينا التي بنتها نفوسة⁴.

- منطقة القصور و الضياع و أكثرها في الضواحي حيث الجنات و البساتين.

و هذا التصنيف حسب الدكتور احسان عباس الذي يذكر أيضا أن المدينة عرفت ثلاثة

مراحل أساسية من الإستيطان نلخصها فيما يلي:

- الاستيطان الحضري: يشمل المدينة و سكانها على مختلف انتماءاتهم و قصور الأثرياء منهم في الضواحي.

1 - المقدسي: المصدر السابق، ص229، مختار حساني: المرجع السابق، ج4، ص291.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص31-32.

3 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص96، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص111، و قد تعرضنا لعناصر السكان وأصولهم العرقية في الفصل الأول، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص135.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص72.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

- الاستيطان القبلي المستقر: و تمثله القبائل التي تحيط بالمدينة حيث يذكر البكري¹ أن هناك قبائل تقطن حول المدينة، فعد في جنوبها: لواتة و هواره و في غربها: زواغة و في شمالها: مطاطة و زناتة و مكناسة.

- الاستيطان القبلي المتنقل: و يشتمل على القبائل التي تزور أحواز المدينة في الربيع بحثا عن الكلاء مثل قبيلة مزاتة و سدراتة، و بانقضاء فصل الربيع يفترقون مرة أخرى مع الإشارة أنهم كانوا يبعثون شيئا من الإنعاش الحيوية على أسواق تيهرت.

أما المحتوى البشري لمدينة تيهرت فهو صورة صادقة للتكوين الذي كان سائدا في المغرب في النصف الأول من القرن الثاني الهجري.

أولا- عناصر و بنية المجتمع التيهرتي

لقد ذكرنا في الفصل التمهيدي أن تكوين السكان في تيهرت الرستمية يمثل صورة صادقة لتكوين البشري الذي كان سائدا في بلاد المغرب في النصف الأول من القرن الثاني الهجري و الذي تبرز معالمه في انقسام السكان إلى عدة مجموعات و هي: البربر، العرب، العجم و الصقالبة و أهل الذمة.

* البربر: كان البربر يمثلون الغالبية العظمى في المغرب الأوسط عامة و في تيهرت خاصة حيث رحبوا بالمبادئ التي حملها إليهم عبد الرحمن بن رستم و اعتنقوها، و رغم انقسامهم فإنه كان لهم دور في الدولة الرستمية، و من أهم القبائل البتر التي ساهمت في قيام الدولة و دعمت أركانها:

- نفوسة: من بني مضغيس أبو البتر.

- لواتة: و هي بطن من بطون لوا الأكبر من مضغيس الأبتز، و من لواتة تنحدر قبيلتا مزاتة و مناغة و منها قبيلة سدراتة أخت قبيلة مغراوة عن طريق الأم، قال عنها ابن خلدون: "و كان من لواتة أمة

1 - البكري: المصدر السابق، ص 67، مختار حساني: المرجع السابق، ج 4، ص 295.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

عظيمة تنتسب إلى لؤ الأصغر نفزا بن لؤ الأكبر بن زحيك، ولها بطون متسعة منها مزاة وسدراتة...¹.

- لمائة: هم بطون فاتن بن تمصيت إخوة مطغارة، ولهم بطون كثيرة عدة، كانوا بضواحي تيهرت، وأخذوا برأي الإباضية و دانوا به و انتحلوه².

أما البرانس فكانت قبائل هواره الوحيدة التي شاركت في تأسيس الدولة الرستمية وأخذت برأي الإباضية³.

* **العرب:** و هم الجند الذين وفدوا إلى بلاد المغرب في إطار الفتح الإسلامي، إلى جانب الذين انتقلوا إلى هذه البلاد بعد إتمام عملية الفتح و اتخذوا منها موطناً لهم فاستقروا فيها و أقاموا فيها، ومنهم أيضاً الذين أرسلهم الخلفاء لبث تعاليم الإسلام و نشره بين سكان المغرب إلى جانب الخوارج الذين لجؤوا لنشر مبادئهم و آرائهم، إذ وجدوا في هذه الأرض منطقة خصبة لذلك، و ظل هؤلاء العرب في المجتمع التيهرتي يمثلون طبقة معروفة لدى الجميع و هي طبقة العرب⁴.

لقد هاجر العنصر العربي إلى تيهرت في شكل هجرات جماعية متفرقة و استقروا بها فازدهرت بوجودهم الحضارة و العمران⁵، و هذا ما أكده ابن الصغير بقوله: "...حتى لا ترى داراً إلا قيل لفلان الكوفي و هذه لفلان البصري و هذه لفلان القروي، و هذا مسجد القرويين و رحبتهم و هذا مسجد البصريين و هذا مسجد الكوفيين..."⁶.

1- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 2، ص 2410، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 90.
2- ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 2413، عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط 1، ليبيا، 2004، ص 30.
3- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر نفسه، ص نفسها، و ستحدث عن مكانة و دور هذه القبائل في الباب الرابع.
4- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص 37-38.
5- محمد بوركية: البنية الاجتماعية، الخلدونية، المرجع السابق، ص 126.
6- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 70.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

* العجم: و هم الفرس الذين جاءوا إلى المغرب مع جيوش الخلافة لإخماد ثورات البربر، حيث ذكر النويري أن جيش محمد بن الأشعث الذي أوفده أبو جعفر المنصور ضم ثلاثين ألف فارس من أهل خراسان¹، وظل هؤلاء العجم متميزين عن غيرهم من العرب في أحداث الدولة الرستمية في عهد الإمام أبي بكر بن أفلح وأخيه بن يقظان، و قد سماهم ابن الصغير باسم العجم².

و بحكم أصل الأئمة الرستميين الفارسي فقد أوكلوا للفرس مناصب عليا في البلاد كقيادة الجيوش، و هذا ما لاحظناه في إمامة أبي بكر بن أفلح حيث انضم إليه العناصر الأعجمية في محاربه للعرب والناقمين على حكمه³، كما سيطرت العناصر الأعجمية على التجارة، فكان لمقدمهم ابن وردة سوقا عرفت باسمه⁴، كما أقاموا القصور و الضياع و الحصون، كما شارك العنصر الأعجمي بقسط وافر في كل مجالات الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية داخل المجتمع الرستمي⁵.

* الأفرقة: تحدثنا عنهم في الفصل التمهيدي، عن أصلهم و نسبهم و كيف انصهروا و اختلطوا بمن تحضر من البربر في مدن المغرب، و قد عاش أفرقة المغرب الأوسط في المجتمع التيهري حياة المواطن العادي من أبناء الدولة، بل أن بعض هؤلاء الأفرقة من المسيحيين كانت لهم منزلة خاصة لدى بعض الأئمة الرستميين كأبي بكر بن أفلح⁶.

* الصقالبة: أشار ابن الصغير إلى وجود الصقالبة في المجتمع الرستمي فقال: "حين قدم الوفد الأول من المشرق الاسلامي وجد الإمام عبد الرحمن في أعلى بيته يعمل بيده في السقف و العبد من

1- النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج22، تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ص19.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص52.

3- محمد بوركية: البنية الاجتماعية، الخلدونية، المرجع السابق، ص128.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص80.

5- محمد بوركية: المرجع السابق، ص128.

6- ابن الصغير: المصدر السابق، ص36.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيممته

الصقالبه يناوله الطين"¹، فكان الصقالبه خداما في القصور و البيوت و حراسة أسواق المجتمع الرستمي².

* الأندلسيون: كان لهم شأن عظيم مما دفع بعبد الرحمن بن رستم إلى جعل الإمامة شورى في سبعة نفر من بينهم مسعود الأندلسي الفقيه الورع، و رجل آخر اسمه عمران بن مروان الأندلسي³.

كما كانت لهم مرتبة سامية في المجتمع و شغلوا مناصب عالية في الدولة الرستمية و اعتبروا المحرك الأساسي للتجارة و الاقتصاد⁴.

* أهل الذمة: أقر المجتمع الرستمي الإباضي بوجود أهل الكتاب من اليهود و النصارى و فرضت عليهم الجزية⁵

أ/ اليهود: بحكم تسامح الأئمة الرستميين الديني و المذهبي سمحوا لليهود بمزاولة نشاطاتهم الاقتصادية و التجارية و حتى العلم و الأدب كالمسلمين و التبحر فيه، حتى نبغ من بينهم عالم في اللغة ألا و هو يهوذا بن قريش التيهرتي، الذي أحسن اللغات العربية و العبرية و الآرامية و الفارسية و البربرية، ووضع أساسا لعلم النحو التنظيري بإبداعه لمنهجية جديدة في دراسة اللغة العبرية مقارنة لها باللغتين الساميتين المشابهتين لها العربية و الآرامية، و ترك كتابا عجيبا في هذا الميدان لا يزال حتى اليوم موجودا في متحف "أكسفورد" ببريطانيا⁶، كما وجد أطباء من أهل الذمة في العاصمة تيهرت⁷.

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص33.

2- ابراهيم فخار: دور الرستميين في وحدة مغرب الشعوب، الأصالة، العدد 42-43، فبراير و مارس 1977، ص40.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص72.

4- محمد بوركة: المرجع السابق، ص129.

5- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص92.

6- محمد بوركة: البنية الاجتماعية، المرجع السابق، ص130.

7- ابن أبي صبيعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح و تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، 1965، ج3، ص- ص 56-134.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

ب/ النصارى: لقد أشار إليهم ابن الصغير باسم المسيحيين في إمامة أبي بكر بن أفلق¹، و منهم من تولى مناصب سامية خاصة في عصره، إذ كانوا من خاصته و أنصاره في حروبه التي خاضها ضد العرب و قبيلة هواة البربرية²، و كانت لهم كنيسة معروفة في أعلى موضع بمدينة تيهرت، يقومون بطقوسهم التعبدية فيها بكل حرية³.

و لم يقتصر المجتمع التيهرتي على اختلاف عناصره و أجناسه فقط، بل تعداه إلى اختلاف في أنماط المعيشة، فنجد ابن الصغير يقسم المجتمع إلى أهل البوادي و الحواضر⁴، و سوف نستهل ب:

1 - أهل البدو:

كان سكان المغرب الأوسط و بالأخص مدينة تيهرت عبارة عن قبائل منتشرة في أماكن مختلفة، و يذكر ابن خلدون أن سكان البدو: "هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح، و القيام على الأنعام، و أنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات و الملابس، و المساكن و سائر الأحوال حيث أنهم يتخذون بيوتهم من الشعر و الوبر و من الشجر و الطين، و كذا الحجارة و بذلك فمن البدو نذكر الطواغن والمستقرون"⁵.

فأما القبائل الطاغنة حسب ابن خلدون هي تلك الأقوام الرحالة الذين ينتجعون من مكان إلى آخر، و يشير بدوره إلى لواتة القريبة من تيهرت، التي كانت تنتجع على وادي مينا⁶.

1- ابن الصغير : المصدر السابق، ص79.

2- نفسه، ص نفسها.

3- محمد بوركية : البنية الاجتماعية، المرجع السابق، ص130.

4 - وجدت عند العرب كلمات في معنى البداوة و الحضر، فنجد في معنى البداوة: الوبر، الحدر، و في معنى الحضر نجد المدر والحجر، فالوبر هو صوف الإبل و نحوها من الحيوان، و الحدر هي الأرض المنحدرة التي لا يبنى عليها و بالتالي تعني البداوة أما المدر فهو قطع الطين المتماسك و هو المعتمد في البناء، و كذلك نفس المعنى بالنسبة للحجر، جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص247، و الحواجر حسب ابن الصغير هم سكان البادية في مواقع الأحجار و الرمال لأنه يقول: "أهل الحواجر و البوادي..."، ابن الصغير: المصدر السابق، ص54، و في لسان العرب لعلها تعني أهل الحوافر، ابن منظور: المصدر السابق، م1، ص571.

5 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص134.

6 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص2411.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقبيروان و تيهرت

و أما القبائل المستقرة فلقد بلغت درجة حضارية أعلى من القبائل الظاغنة فعرفت الاستقرار، فكانت لهم مزارع و أرضون مباركة و حرث قائم بجد ذاته¹، و كان المستقرون يسكنون تجمعات سكنية، يطل على الواحدة منها اسم "القرية" و كانت منتشرة في أرجاء بلاد المغرب الأوسط، كما كانت تنتشر حول المدينة الكبرى بعض القبائل مثل قبائل لواتة، و هواره نواحي تيهرت، وكانوا يمثلون حلقة وصل بين الظواغن و أهل الحواجر².

و يتميز المجتمع البدوي بخصائص عديدة نميزها فيما يلي:

أن القبيلة تأتي على رأس تنظيم اجتماعي للمجتمعات البدوية، و هم جماعة ينتمون إلى جد واحد مشترك انحدروا منه، و يسكنون عادة منطقة واحدة يتجمعون لمواجهة ما يستجد عليهم، من ظروف حياتية و طبيعية، فكان كل فرد يعلن ولاءه أو طاعته لهذه القبيلة، مقابل حمايته و مساعدته و توفير الأمن له، لكنه إذا قصر هو أيضا في واجبه نحوها، فكانت تخلعه و تعتبره صعلوكا، وبالتالي فهي دائمة و متينة، فيعمل على إبقاء هذه القبيلة نقية، و تحفظ كيانها، و بالتالي تتكون العصبية التي هي مصدر القوة، و التي تتمثل أساسا في الاجتماع في الرأي، و عدم الإنقسام و التنافر حفاظا على السلامة العامة و الشعور بالمسؤولية المشتركة و الإستقامة و التماسك و حل النزاعات بالحسنى³، وكان على رأس كل قبيلة شيخ يحكمها و يدير شؤونها، و غالبا ما تكون الرئاسة وراثية و يساعده مجلس قبلي يتكون من أصحاب الحجة، و المنطق، كما كان لها ديوان أودار الضيافة الخاص، و فيه تعقد الاجتماعات و النقاشات كما تضم القبيلة عدة اجتماعات داخلية منها:

أ/ الأسرة:

لقد اعتنى النص القرآني بهذه المؤسسة الاجتماعية، كما تناولت السنة النبوية هذا الهيكل بالشرح والتحليل و التدقيق، و كرس الفقه الاسلامي قسما هاما من اهتماماته للاعتناء بالأسرة

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص135.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص2430.

3- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 250-251، عمار عمورة: المرجع السابق، ص96.

الباب الثاني ————— الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمهرت

وتنظيمها¹، و تعتبر المقدمة أهم دراسة متصلة بموضوع الأسرة المغربية خلال الفترة الوسيطة، و لقد أكد ابن خلدون أهمية النسب في تقوية صلة الرحم التي تحقق الالتحام بين الأفراد و المجموعات، و لقد أشار إلى ذلك عبد الباقي الهرماسي في بحثه المتعلق ببلاد المغرب، فهي الأكثر تكاملا من الناحية النظرية و المنهجية حسب رأيه²، خاصة و أن المرأة الرستمية كانت مثالا للصلاح و الثقافة والإسعاد لزوجها وأفراد أسرتها³، و هي أساس التنظيم الإجتماعي، و قاعدة القبيلة، و تشمل عميد الأسرة والأبناء والأحفاد والأعمام و غيرهم، ويعيشون تحت سقف واحد، و يشتركون في تحمل المسؤولية وهي أوسع من الرهط⁴.

ب / العشيرة:

و تتكون من اتحاد عدد من الأسر المشتركة في النسب، و ترجع إلى جد واحد و لكل أعضائها حقوق وواجبات، و يسكنون متجاورين، و لعل رئاسة هذه العشيرة تكون دينية و دنيوية ووراثية في غالب الأحيان⁵.

ج / الفخذ:

و تتكون من عدة عشائر ذات مصالح مشتركة و يشترط فيها وحدة النسب لا تتجاوز الجد الخامس، ويرتبط أفرادها بالدية و الثأر، و يتشاركون في الأفراح و الإقتراح، و للفخذ رئيس يتولى تسيير أمورها كتوفير الحماية و الأمن، و لهذا الأخير علاقة بالبطن، و هو أكبر من الفخذ غير إنما يشتركان في أغلب الحقوق والواجبات⁶، و لعل هؤلاء يكونون قبيلة، و التي سبق و أن أعطينا نبذة عنها و عن طريقة عيشها و علاقة الأفراد برؤسائهم، و كيفية تولي رئاسة حكامها.

1- عبد الرزاق الممامي : صورة المرأة في مدونة بعض الفقهاء، مجلة الحياة الثقافية، العدد62، تونس 1991، ص- ص 28-42.

2- (A.L) Hermassi, Etat et société au Maghreb, édition anthropos, 1975, p22.

3 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص406.

4 - الرهط: هي الأسرة التي تشمل الأب و الأبناء فقط، جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص251.

5 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص252.

6 - نفسه، ص253.

2 - أهل الحضرة:

أطلق عليهم ابن الصغير أهل الحواجر لأن تقسيمه كان حسب نمط السكن¹. و لعل الازدهار الاقتصادي الذي عرفته الدولة الرستمية خلال تاريخها الطويل رغم الفتن التي هزت بعض المناطق، كمنطقة العاصمة تيهرت بسبب الاختلافات الفقهية و التنافس الاجتماعي السياسي، وقد كان لذلك الازدهار بارز الأثر و الذي ظهر جليا على المجتمع الرستمي عامة والتهرتي خاصة، كما كان للمال و النشاط التجاري والزراعي من أسباب الحضارة و رفع مستوى المعيشة في الدولة، الأمر الذي ترتب عنه تحولات جذرية في المجتمع و نسيجه كظهور الطبقة من أغنياء و فقراء و عبيد، و تحول أعداد من البدو و إلى المدن و سكانهم و دخولهم شريحة الحضريين²، وبالتالي اعتبر الاستقرار سمة المجتمع الحضري، ففي عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم تطورت تيهرت، و اتسعت خلال ثلاث سنوات، و انتعش فيها الفقير، و حسنت أحوال الناس في البلاد، فشرعوا في العمارة و البناء و غرس البساتين³.

و كانت سياسة هذا الإمام ترمي إلى الرقي الاجتماعي و توفير الأمن لجميع رعاياه، و لعل هذا ما قام به الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب و التي انتقلت في عهده مدينة تيهرت إلى طور الزخم العمراني في كل النواحي⁴، و بالتالي تجاوزت بداوتها بما يتبعها من ظغن و ترحال، وتعددت مرحلة اعتمادها على مصادر عيشها من تربية المواشي و من غزو و نهب إلى أسلوب التجارة والحرف و لعل السمة الأخرى التي تميز هذا المجتمع الحضري هو الاختلاف السكاني في العرق والدم و غير أننا نجد تعايشا بين قبائل عديدة، يسيطر عليها شعور بالإنتماء إلى الأرض و المدينة، وتقع على عاتق أفرادها جميعا مسؤولية الدفاع عنها، ضد الغزو الخارجي، بل أكثر من هذا فقد وجد من بين

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص54، كما ذكر أهل الحواضر في موضع آخر عندما تحدث عن أبي اليقظان بعد عودته من المشرق بقوله: "إلا أن الضغائن بين القبائل و أهل الحواضر في الصدور"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص63.

2 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص25.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص31.

4 - نفسه، ص55.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

سكان تيهرت أيضا جنود من الجيش الأغلي الذين لجؤوا إلى تيهرت جراء وقوع خلاف بينهم و بين أمير القيروان، فانخرطوا في الجيش الرستمي و من بينهم من كان يشتغل في حرس الإمام¹، و بالتالي كانت تيهرت مسرحا يجمع شرائح غير متجانسة التركيب².

و قد لا نغفل عن سمة أخرى للمجتمع الحضري، حيث كان للإتصال الخارجي بالمشرق والأندلس و امتزاج الثقافات و الحضارات أثر واسع المدى في اكتساب كينونة جديدة لمعالم حضرية راقية³، و منه فالحقيقة أن المستوى المعاشي و الحضاري الذي بلغته الدولة الرستمية كان سببا في تغيير موازين الحياة و نمو الوعي الثقافي و الاجتماعي و الحضاري، و بالتالي انتقلت الدولة من البدوية القبلية المتعصبة إلى الحضرية المفتوحة المزدهرة وفق مبادئ روحية عالية و تفكير حضاري متوقد، و عمل مشترك و متكامل.

ثانيا- فئات و شرائح المجتمع

مما لا شك فيه أن التركيبة البشرية تختلف من مجتمع لآخر، و بالتالي تتكون داخل مجتمع طبقات متباينة، و لعل هذا ما نلمسه في المجتمع البدوي و كذا الحضري و الذي سوف نتطرق إليه فنستهل ب:

1- طبقات المجتمع البدوي:

يعتبر أفراد القبيلة متساوين في الاستفادة من الموارد الاقتصادية المشاعة كالمراعي و الآبار والعيون، إلا أنه لما كانت هذه القبائل تقوم بعمليات الغزو و السلب، كانت هذه الأخيرة فرصة مواتية لبعض أفراد القبيلة لإبراز شجاعتهم و قوتهم و جرأتهم، و بالتالي كانت هذه الفئة تحظى بامتيازات خاصة مكافأة على ولائها و كان هؤلاء ينالون أكبر عدد من الماشية، و هكذا تتحقق لهم ملكية أكبر تنمو بمرور الزمن، و يتوارثونها خلفا عن سلف حتى قيل أنه بلغ أحدهم عشرا لآلاف من

1 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص96، محمد عليلي: المرجع السابق، ص36.

2 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص255.

3 - نفسه، ص نفسها.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

البقر و الغنم و الحمير، و هذا مثل أملاك ابن زلغين¹، و بالتالي جعلت هذه الملكيات أصحابها يستأثرون بالموارد المشاعة و استخدام بعض أبناء القبيلة في مراقبتها و رعيها و خدمتها، و قد يلجأ إلى الاستعانة بالعبيد، و هو من الأسرى الذين ابتاعهم أسيادهم²، و يضيف جودت عبد الكريم أن الأمر لا يختلف للمستقرين في القرى و الأرياف، فهناك بعض القبائل التي ورثت إقطاعيات عن آبائها³، و منه، فمن خلال دراستنا لهذا المبحث ندرك تماما، أنه لا توجد طبقة واضحة المعالم في المجتمع البدوي، و بمفهومها المتداول، و لكن يمكن أن نميز أن هناك تباين بين الفئات الاجتماعية والتي تطورت فيما بعد إلى طبقة خاصة في المجتمع الحضري.

2- طبقات المجتمع الحضري:

لعل الدارس لهذا المجتمع يميز وجود طبقتين هما الخاصة و العامة، و سنبدأ هذا العنصر بـ:

أ/ الطبقة الخاصة:

يمثل الإمام الرستمي قمة الهرم، يليه أعوانه من الوزراء و رجال الدين و قادة الجند المرتبطين بالسلطة مثال كبار التجار و الإقطاعيين، و تظهر في هذه الطبقة الشرائح و الفئات التالية:

- فئة الرؤساء: تجمع هذه الفئة كبار الأئمة و الأمراء و الولاة، فذكر ابن الصغير عن الإمام عبد الوهاب أنه جمع رجاله، و رؤساء قبائله، فاستشارهم⁴، و كانوا يستشارون في الأمور السياسية والعسكرية منها، وقد ذكر هذا المصطلح بمعنية مصطلح (المشايع).

- فئة المشايخ: كان للمشايع نفس مهام الرؤساء حيث أنهم موجودون في تيهرت حيث قال ابن الصغير أن مشايخ البلد من الإباضية قد استولوا على...إباضية و غير إباضية جمعهم أبو حاتم واستشارهم⁵.

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص254.

2 - نفسه، ص 254 - 255.

3 - نفسه، ص255.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 44 - 54.

5 - نفسه، ص30.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

و بهذا كانت هاتان الفئتان محل استشارة الإمام.

- **فئة وجوه البلد:** تعددت الوجوه في هذا العهد، بحيث كانت منفصلة عن فئة المشايخ و الرؤساء، فذكر ابن الصغير: "وجوه الإباضية و وجوه العرب و وجوه التجار و وجوه الناس و وجوه أهل البلد ووجوه أهل المدينة و حتى وجوه أهل العجم"¹، و بالتالي كانت الوجوه هم أعضاء مجلس الجماعة، وهم أهل الحل والعقد، و نظرا لوجاهتهم، فقد فرضوا احترامهم على الجماعة التي ينتمون إليها بعيدين عن التعصب و القبيلة.

- **المقدمون:** لعل وجود هذه الفئة كان في الدولة الرستمية حيث ذكر ابن الصغير أن تيهرت مقدم خاص بهم و هو الإمام نفسه، كما ذكر أيضا أن وفود نفوسة الجبل أتوه إلى تيهرت ليقدم عليهم أميراً من أنفسهم، كان من مقدميهم أفلح بن العباس و الذي كان عاملاً للإمام أبي اليقظان على جبل نفوسة، وكان يختار المقدم من طرف الإمام²، و لعل مدلول المقدم إن دل على شيء إنما يدل على قادة أجنحة الجيش في المعركة كقائد للميسرة و الميمنة و هو أقل مرتبة من القائد العام للجيش³.

- **فئة الحجاب:** لما وصل أبو حاتم إماماً على تيهرت، أراد أن يبقى بابه مفتوحاً أمام رعيته لكنهم أبوا ذلك و أرادوا أن يجعلوا له حاجباً و هيبه⁴، و مهمة الحاجب هي حجب الإمام عن رعاياه والعمل كأذن على الباب، و كان يتمتع بمكانة مرموقة، باعتباره وسيطاً بين الإمام ورعيته⁵، و لم تذكر في المصادر أسماءهم و لا روايتهم أو غير ذلك.

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 30 - 31.

2 - نفسه، ص 87، كما ذكر أن للعجم مقداً يقال له ابن وردة، ابن الصغير، نفسه، ص 54.

3 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص 273.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 92، و يذكر أيضاً: "و كان محمد بن عرفة إذا أتى باب أبي بكر لم يحجب"، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص 64.

5 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص 274.

المبابة الثاني — الأوضاع الإقتصادية و الإجتامعية بالقيروان و تيهرت

- البطانة: اتخذ الرستميون البطانة، فقد ذكر ابن الصغير أن الإمام عبد الوهاب دخل عليه وجوه رجاله وقواته و أهل بطانته¹، و كان الجنء هم بطانة السلطان، و قد تعدى أمر البطانة إلى كبار الشخصيات وهذا ما لاحظناه عند محمد بن عرفة.

- الحاشية: هي فئة مميزة وجدت في تيهرت و هي تلك الجماعات التي تصاحب الإمام فتعطيه الهيبة، وهي تذوء عن شخصيته و بالتالي لها علاقة بالسلطان².

- الحشم: ظهرت هذه الفئة في تيهرت منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم، حيث أنها جزء من جنء السلطان، و قد كان الإمام يقتطع جزء من مال الجزية و الخراج لنفسه و لحشمه³.

- الحرس: يعتبر الحرس فئة مستقلة، مهمتها حراسة الإمام و أسرته و حراسة المدينة و أبوابها، وهم أصحاب الحراسة الليلية⁴، و لعل ابن الصغير ذكر عن حادثة حبس الحرس لشاب خرج في وقت متأخر حيث قال: "فأخذه صاحب حرسك و حبسه"⁵.

- الشرطة: ظهر منصب "صاحب الشرطة" منذ عهد الإمام عبد الرحمن، و كان يقوم باختياره وما دل على وجودهم في تلك الفترة، قول ابن الصغير أن: "أصحاب شرطته قائمون كما يجب"⁶، و لعل لعل الفوضى التي وقعت في تلك الفترة و في عهد الإمام عبد الوهاب غير مهام صاحب الشرطة واشتكى منه جماعة من المدينة، حيث اتصف أحدهم بالفسق و قد زاد ضعفه أيضا في عهد الإمام أفلح، فكان لا يجرؤ حتى على الدخول في أسواق تيهرت هيبة من صاحبه⁷، و بالتالي كان من الصعب إيجاد الشخصية التي تنال ثقة الجميع، حيث استشار مشايخ البلد من إباضية فيما يولوه من

1 - ذكر ابن الصغير: "و كانت الأجناء بطانة السلطان و أولاده و حشمه"، ابن الصغير، المصدر السابق، ص54.

2 - نفسه، ص68.

3 - نفسه، ص36.

4 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص 275.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص83.

6 - نفسه، ص نفسها.

7 - نفسه، ص84.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

الشرطة، قال قوم "زكار" و قال قوم "ابراهيم بن مسكين" فولاهما الإثنين¹، و كان لصاحب الشرطة أعوان يساعدونه.

-القضاة: لم تستدع الضرورة إلى إيجاد القاضي في أيام الدول الرستمية بحيث كان الإمام عبد الرحمن هو الذي يحمل عبأ هذه المسؤولية، و قد تولى القضاء في سرت في عهد الإمام أبي الخطاب²، و قد بلغ القضاء درجة عالية في الفقه و الفقهاء، و قد كان يشترط في القاضي شروط لخصها الإمام عبد الوهاب في رسالته إلى أهل طرابلس بقوله. "لا ينبغي للقاضي و المفتي أن يقضي حتى تتوفر فيه الخصال الخمس، أن يكون عالما بالكتاب و السنة، كافا عن أربع: أن يرتشي حليما عن الخصم يتحكم في الخصمين إن تخاصما أو تشاجرا بين يديه لا تأخذه في لومة لائم و ذوي الرأي و العلم والعقل"³ فإذا توفرت فيه هذه الشروط وحب فيه القضاء، و لعل من قضاة تيهرت محكم الهواري الذي كان محكما حقا شديدا حتى على الأمراء الرستميين أنفسهم، و كذلك محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ، و ابنه عبد الله الذين توليا القضاء في الظروف التي كانت تمر بها الدولة الرستمية بأصعب مراحلها⁴.

- فئة الشراة⁵: كانوا رقباء على الإمام في أحكامه و صدقاته و أعشاره، فإذا رأوا فيه اعوجاجا قوموه و إذا ارتابوا فيه امتحنوه، فكانت بمثابة السلطة العليا، و هم كما عرفهم سليمان الباروني: "وهم جماعة عاهدوا الله على إنكار المنكر و الأمر بالمعروف، و قد امتحنوا الإمام أفلح بتولية محكم الهواري القضاء"⁶.

1 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص276.

2 - نفسه، ص 276 - 277.

3 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص325.

4 - فتنة محمد بن عرفة التي كانت في عهد أبي اليقظان، ابن الصغير: المصدر السابق، ص83.

5 - ذكرهم الشماخي ب: الأخيار حين قال: "فاجتمع إليه الأخيار أن يولي عليهم من يستحق، فاتفق رأيهم على محكم الهواري"، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص192.

6 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 275 - 276، و قد ذكر ذلك ابن الصغير بصورة مفصلة، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 57 - 61، الشماخي: نفسه، ص نفسها.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

- الجنود: لقد كانت البدايات الأولى لظهور الجيش في تيهرت باشتراك الإمام عبد الرحمن بن رستم في حصار طبنة 154هـ، حيث كان يهتم بأمور الجند من كراع و سلاح، و نظرا لتعدد خصوم الإمام عبد الوهاب، زاد الاهتمام به حيث أنه اجتمعت له من الجيوش و الحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله، كما أن ألف ألف فرس أبلق، و يضيف ابن الصغير أن هذا الإمام خرج بعساكره من المدينة في جموع لا يعلم عددها إلا الله¹، و نظرا للفتن الداخلية في تيهرت، فقد كانت الجماعات و القبائل المتنازعة تقوم بدور الجيش مثل حرب الإمام عبد الوهاب مع بني الأوس، و كان الجيش ينقسم إلى قسمين، قسم دائم و هو القواد و بعد الجنود، و القسم الثاني جيش إحتياطي يمارسون أعمالهم الخاصة في وقت السلم، لكنهم جنود وقت الحرب و كان يتقاضى الأول عطاءه من بيت المال².

- أهل العلم: ظهر عدد كبير من العلماء و الأدباء على اختلاف مناهجهم في الدولة الرستمية، ومنهم ابن الصغير لشأنه الكبير في الفقه³، و كذا محمود بن بكر الذي كان يرد على الفرق في مقالاتهم، و يؤلف الكتب في الرد على مخالفيهم، و عبد الله اللمطي الذي تصدى للمعتزلة وناظرهم، بالإضافة إلى أبي عبد الله الأعرج الذي كان مرجعا في الفقه و علم الكلام، و كذا عبد العزيز بن الأوز، و كان له فقه بارع و رحلة نحو المشرق⁴، بالإضافة إلى الخطباء كابن أبي ادريس، و أحمد النية، و ابن القباس ابن فرحون، و عثمان بن الصفار، و أحمد ابن منصور، و من الشعراء نجد بكر بن حماد التيهرتي و رحلته إلى المشرق، و لعل من المحدثين نجد أبا الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التيهرتي "البزاز"، و من العلماء نجد مثلا أخت الإمام أفلح التي بلغت صيتا في التنجيم، و كذا يهودا بن قريش التيهرتي الذي كان يحسن اللغات البربرية و الفارسية و الأرامية⁵، و من الأدباء، و كان كان من المفكرين الذين شاركوا في التقدم العلمي و الفكري التيهرتي.

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص46.

2 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص283.

3 - و داد القاضي: المرجع السابق، ص- ص 39- 45.

4 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص284.

5 - بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص- ص 241- 249.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

- فئة كبار التجار: ظهرت هذه الفئة بتيهت بشكل كبير و واضح خاصة في عهد الإمام أفلح، حيث ابنتى القصور، بفضل الثراء الذي بلغه أهل التجارة، و أمثال ذلك امتلاك أحدهم لسوق خاص، و هو ابن وردة¹، و أيضا كان للقوافل التي خرج إليها أبو حاتم لحمايتها، و التي كانت قادمة من المشرق بأموال لا تحصى كانت لتجار كبار²، و كان هؤلاء التجار يقومون بفعل الخير و تقديم الصدقات و معونات المعوزين و الضيوف و الطلبة، و بناء المساجد، كما كانت لهم ثقافة واسعة اكتسبوها من خلال رحلاتهم التجارية³.

- كبار الملاك: كانت سياسة أحياء الموات التي بدأت في عهد الإمام عبد الرحمن أثر واسع في تكوين طبقة اقطاعية منهم محمد بن حماد الذي كان له منزل على بعد أميال من المدينة يقال له المثلث، و قد جمع الأشجار و الأنهار و النخيل و القصور⁴ و قد كان بعض كبار الملاك من قبيلة مزاتة، و هذا ما دل عليه قول الإمام عبد الوهاب: "ما قام هذا الدين إلا بسيوف نفوسة و أموال مزاتة"⁵، و كان محمد بن جري و ابن زلغين ينتميان إلى هذه القبيلة، و هما اللذان قال فيهما الإمام: "لو لم أكن إلا أنا و ابن جري و ابن زلغين لأغنيا بيت مال المسلمين، لما علينا من الحقوق الشرعية"⁶، و يذكر الشماخي أن الإمام عبد الوهاب قال: "لولا أنا و محمد بن جري و ابن زلغين لخرت بين المسلمين، أنا بالذهب و محمد بن جري بالحرث و ابن زلغين بالأنعام"⁷.

- الموالي: ظهر الموالي في مختلف أنحاء المغرب الأوسط عامة و تيهت خصوصا، حيث أشار ابن الصغير إلى وجودهم عند الإمام أبي بكر أثناء الحرب التي دارت بينه و بين أنصار محمد بن عرفة، فقال العجم: "قد أمكننا من العرب و الجند و العبيد من السودان في البلاد، فكان المسلمون منهم

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 27- 54.

2 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص 287.

3 - نفسه، ص 288.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 56.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 205.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 47.

7 - الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 205.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيمرت

يتولون قبيلة لأنهم بعيدون عن التعصب لأي من البربر أو العرب"¹، و منه يمكن القول أن الفئات التي سبق ذكرها سواء العامة أو الخاصة تشكل نسيجاً غير متجانس التركيب الاجتماعي فيتألف من شرائح اجتماعية متميزة بعضها ينتمي إلى الطبقة العامة و البعض الآخر إلى الطبقة الخاصة، وهذا ما تسبب في الفتن و الحروب التي شهدتها البلاد، و التي تفاقمت بمر الزمن و عادت سبباً من أسباب سقوط الدولة الرستمية.

و سوف نتعرض إلى الطبقة الثانية و هي:

ب/ طبقات العامة:

من خلال هذه الطبقة نذكر قول ابن الصغير في قوله: " و انصرف عوام² الناس و تخلف وجودهم"³، و يضيف أيضاً حين تحدث عن مقتل محمد بن عرفة أنه: "ابتدر إليه العامة والخاصة"⁴. و تشمل هذه الطبقة عدة شرائح و فئات مختلفة منها:

- الفلاحون: و تندرج تحت هذه الجماعة فئات مختلفة يمكن إيجازها في.

1 - أصحاب الماشية: و هم الذين يعتمدون في معيشتهم على ما تدره عليهم الحيوانات و غالباً ما تكون لديهم مراعى خاصة أو يرعون في المراعى المشاعة.

2 - المزارعون: هم الفلاحون الذين يعملون في الميدان الزراعى لحسابهم أو لحساب غيرهم مقابل جزء من الإنتاج أو أجر زهيد.

و غالباً ما يكون العمل في إقطاعيات كبار الملاك الساكنين في المدن⁵.

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص291.

2 - العوام و العامة: كلمتان مترادفتان، و استعمل ابن الصغير كلمة العوام عند حديثه عن أبي حاتن بقوله: "حملته العوام على درقة"، و استعمل كلمة العوام متقابلة مع الفرسان بقوله: "اجتمعت العوام و الفرسان"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 89-91.

3 - نفسه، ص30.

4 - نفسه، ص65.

5 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص258.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

– أهل الحرف¹: من المتعارف عليه أن الصبغة أو الحرفة باختلافها. تعطي صاحبها الشرف والرئاسة، ولعل ما زاد من رفع شأنها هو زيادة العمران و كثرة سكانه، و بالتالي زاد التطلع إلى حرف فيما وراء الكماليات، و لقد ظهرت هذه الفئة خاصة في عهد أبي حاتم، فكانت في مختلف مناطق المغرب الأوسط، و تيهرت خاصة².

– صغار التجار: و هم أصحاب الحوانيت المختلفة في المدينة، و كانوا يتعاملون مع عامة الناس على اختلاف مشاربهم و أخلاقهم و نسبهم، و كان منهم من يعتمد الغش و القسم و غيره من أجل بيع سلعته، و هذا ما جعل بعض المنتزهين يمتنعون عن امتهان هذه الحرفة³.

– الفتيان⁴: كان لأبي عبيدة الأعرج فتى حيث يذكر في هذا الصدد ابن الصغير أن الفتية هم جماعة أو فئة اجتماعية، و قد كان للإمام أبي حاتم فتى شاب، و كان يجمع الفتيان إلى نفسه فيطعمهم ويكسيهم⁵.

و يضيف أبو زكرياء أن الفتى كان مناظرا للواصلية حيث قال: "خرج الفتى المتناظر مع المعتزلة ووجه المعتزلة"⁶، و بالتالي كانت الفتوة في طياتها مجموعة من الصفات، منها الكرم والنجدة و العقل العقل و كذا الفصاحة، و إن مال بعضهم إلى اللهو و الخمر و النساء.

– العيارون⁷: فقد أشار ابن الصغير إلى وجود اللصوص في مدينة تيهرت، و كان أول ظهور لهم أيام أيام حكم الإمام أبي اليقظان عهد البدخ و الترف و الانحلال السياسي، و قد ذكر ابن الصغير قصة إقدام زكرياء بن الإمام أبي اليقظان على خطف بنت من بين يدي أمها و قد طلبت من ابنها أن

1 - استعملها ابن الصغير متقابلة مع العوام بقوله: "لما مات أبو اليقظان قامت العوام و أهل الحرف..."، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 89.

2 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 259.

3 - نفسه، ص 260.

4 - ذكرها الشماخي ب: "الفتيا" بقوله عند تعيين الإمام عبد الوهاب: "...و سألو سائر العلماء الذين بها و اتفقت الفتية على أن الإمامة تامة... الشماخي: المصدر السابق، ص 147.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 89.

6 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 67.

7 - هم اللصوص، الغوغاء، الأندال، جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 258.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

يقتني أثره و يلحق بأخته فأجابه أخاف إن أردت ذلك يقتلونني أو يدسوا علي لصا من لصوصهم فيقتلني¹.

و لعل هذه الفرقة ليست في الغالب دافعها سد الرمق و إنما هم مرتزقة امتهنت للصوصية.

- العبيد: كان للتجارة أثر في انتشار العبيد، و كانوا يأتون بهم من السودان خاصة و منه فقد انتقلوا من السودان إلى الديار الإسلامية، و قد ذكر عنهم الدرجيني، و أشار إلى وجودهم حيث أنه عندما جاء الوفد إلى الإمام عبد الرحمن بن رستم وجدوه يعمل بيده في السقف و العبد يناوله الطين²، و حين قدم الوفد الثاني إلى الإمام نفسه، وجد العبيد و الخدام قد تكاثروا عددهم³.

كما كان للإمام عبد الوهاب عدد منهم حيث أن هذا الأخير وعد من يبشره من عبيده بقدوم وفد جبل نفوسة بالحرية⁴ و كانت طبقة العبيد تتكون من السود و الصقالبة⁵.

كما كان للعرب و الجنود عبيد، و لم يقتصر وجودهم على تيهرت، و عليه فقد شكلوا شريحة من شرائح المجتمع الرستمي، و قد عملوا في مختلف الأعمال، خدما وجواري، و منهن من اتخذن للمتعة، و استخدم العبيد منهم في البناء و التجارة و الحدادة وغيرها⁶.

و بهذا نكون قد أعطينا ملخصا موجزا لأهم طبقات المجتمع العامة.

ثالثا- السلوك الاجتماعي و الأحوال العامة للمجتمع التيهرتي

لا شك أن انتشار الإسلام بمبادئه و قيمه السمحة، بين سكان المغرب الإسلامي، و اندماج عناصر السكان المختلفة فيه، و ظهور الفئات الاجتماعية المتباينة قد وفر الجو لتطور العادات

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص79.

2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص42، ابن الصغير: المصدر السابق، ص29.

3 - ابن الصغير: نفسه، ص33.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص59.

5 - ذكر ابن الصغير أن قاضي تيهرت قال: "فتحت الباب فإذا أنا بجارية منبهرة و معها صقلي..."، ابن الصغير: المصدر السابق، ص43.

6 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص270.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

والتقاليد الاجتماعية على أساس الحضارة الإسلامية و وفق المنظور الديني و المذهبي المتبع¹.

إن قلة المصادر و ندرتها من جهة و سعة أشكال الحياة الاجتماعية و تنوعها و تعقيدها في بعض الأحيان من جهة أخرى يصعب علينا الإمام بأحوال و خصائص المجتمع التيهرتي و الوصول إلى توضيح جميع جوانبها توضيحا دقيقا، و رغم تطور البحث التاريخي، فإننا لا نملك معلومات كثيرة عن نمط الحياة التي كان يعيشها سكان تيهرت و كيف كانوا يتغذون و يكتسون و كيف كان الأثاث عندهم².

لقد دلت المصادر التاريخية على القليل من هذه الأحوال و الميزات التي ميزت المجتمع التيهرتي سنذكر منها:

1- العادات و التقاليد:

إن مظاهر الأبهة و الفخامة و الترف لم تظهر على الأئمة الرستميين، بل اتصفوا بالتواضع خاصة الأئمة الأوائل، و هذا ما دللنا عليه أقوال ابن الصغير من خلال مجيء إباضية المشرق سواء في المرة الأولى أو الثانية حيث وجدوا في هذه المرة الأمور و قد تبدلت و أحوال المدينة و الأشياء قد حالت... إلا صاحبهم (الإمام عبد الرحمن) حيث لقوه على ما عرفوا عليه من التواضع... ما تغير ولا تبدل³.

و كان الإمام أفلح على شجاعة و فروسية، متواضعا كل التواضع، فمثلا عندما زاره وفد من علماء جبل نفوسة، في أيام إمامته و عهود قوته، فدعاهم إلى الطعام على مائدته، فوقف عليهم يخدمهم بنفسه، و كان المصباح في يده يحملهم لهم و هم يأكلون، فأرادوا أن يمتحنوا تواضعه، فمد إليه أحدهم لقمة مما يأكلون، فتلقى اللقمة بكلتا يديه كما يفعل العبد الملوك و شكر من أعطاه اللقمة وأكلها، و ذلك من تواضعه وبعده عن تجبر الملوك⁴، كما تميز الأئمة الرستميون بصفة الورع و العفة

1 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص264.

2 - لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص93، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص110.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص33.

4 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص192، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص533.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيممته

خاصة في أموال الدولة وممتلكات الناس حيث ذكر لنا ابن الصغير قصة أبي اليقظان مع خادمه أبي سابق الذي كان يتولى علف فرسه، أنه في يوم خرج ليأتي له بعلف من عند حريف¹، و عندما وجده مغلق الباب فتح بيت المال و أخذ منه علف فرس أبي اليقظان، و لما علم الإمام قال له: "هاه يا أبا سابق، و الله لا قام محمد و لا أكل و لا شرب حتى تمضي و ترد في بيت المال ما أخذته منه، و بعد ما فعل ما أمره قال له: "أمنت، أما الآن فاجلس"².

و كان من تقاليد الدولة الرسمية إكرام الضيف، حتى إن الرستميين كانوا يخصصون دارا للضيوف³ تكون متصلة بمسكنهم، و هذه الدار تشتمل على كل ما يحتاجه الضيف أثناء إقامته، و لا يعتنون بالضيف وحده، بل يعدون المرابط لدوابهم و يكرمونها بالعلف، و يقتنون الثياب الكثيرة ليلبس منها الضيف، و قد ذكر الباروني ما يوضح ذلك الكرم و الإعتناء بالضيف بقوله: "بينما كان الإمام عبد الوهاب عند سفره إلى الحج و نزوله بجبل نفوسة يسير بين المنازل و القرى إذ أدركه المطر، واشتد البرد و كان ذلك بالقرب من قرية ويغور⁴، فقصد الإمام و معه صحبه الكثيرون دار العلامة مهدي النفوسي، فوجدها دار عابد زاهد لا غطاء و لا وطاء، فأقبل الشيخ فرج ابن خالة مهدي و كان موسرا، فطلب منه الشيخ نقل الإمام و من معه إليه فساعفه، و في الحال حضرت الخدم و هيا لهم ولدوابهم ما يكفيهم من المحلات، و خصص لكل واحد منهم فراشا و وسادة و غطاء، و بدلها ثياب نظيفة طاهرة، و نشر أثوابهم المبلولة بالمطر و قدم لكل واحد كانونا من الجمر أمامه، و أحضر لهم في الحال ما كفلهم من أنواع الطعام الفاخر، و أكرم دوابهم بما لزم من العلف و الشعير، و بسط عليهم مما لديه من الخير ما جعلهم في راحة تامة"⁵.

1 - أي صاحب حرفة، و هو الشخص الذي تعود أن يشتري عنه العلف.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 88-89، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 589-590.

3 - و هذا ما نفهمه من قول ابن الصغير عن أبي اليقظان: "أنته وفود نفوسة، فأنزلهم في دار الضيافة"، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص85.

4 - قرية ويغور: الواقعة فوق جبل مدينة شروس و هي قرية جميلة المنظر، تدل أطلالها و رسومها العتيقة على اتقان صنعة بنائها، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص182.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص73، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 182-183.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

و بما أن محمد علي دبوذ ربط حضارة الدولة الرستمية بحضارة وارجلان و سدراتة بقوله: "إننا فقدنا آثارا لحضارة الدولة الرستمية في الشمال... فإن الله قد حفظ لنا كثيرا من حضارة هذه الدولة في جنوبها بوارجلان و سدراتة... هذه الأخيرة التي أصبحت العاصمة، و هي بنت تيهرت ومظهر تام لها، تحمل طابعها في الحضارة و تحذو حذوها في كل شيء"¹، فإنه يضيف عادة أخرى تتمثل في كون الرستمين كانوا يقيمون حياة استقلالية هنيئة كريمة، لكل أسرة دار تملكها تتكون من طبقتين أو أكثر لا يشاركها فيها غيرها، و هذه الحياة الاستقلالية في الديار الخاصة الجميلة الواسعة و الصحية المصونة لا زالت موجودة بوادي ميزاب في جنوب الجزائر²، كما اعتنا الرستميون بالنظافة في كل نواحيها لأنها مصدر للصحة و العافية وكذا الإيمان، فاتخذ الأغنياء والفقراء الحمامات التي أكد البكري وجودها في تيهرت يسمي منها اثني عشر حماما³.

و قد ذكر ابن الصغير طهارة الإمام يعقوب بن أفلح بقوله: "و كان وضوؤه طاهرا في الموضوع الذي يكون فيه"⁴.

2- ظروف و أنماط السكن:

عاش سكان المغرب الأوسط في أنماط مختلفة من المساكن تبعا للمستوى الحضاري و حسب أسلوب معيشة المجتمع⁵، و يمكن تقسيم سكان المجتمع التيهرتي إلى سكان البادية⁶ و سكان المدن:

أ- مساكن البادية: و تميز فيها بين نصفين من السكن هما:

- 1 - محمد علي دبوذ: المرجع السابق، ج3، ص546.
- 2 - نفسه، ج3، ص554.
- 3 - البكري: المصدر السابق، ص68.
- 4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص98، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص359.
- 5 - محمد بوركبة: النمط العمراني، مجلة منبر التراث الأثري، المرجع السابق، ص141.
- 6 - وجدت عند العرب كلمات في معنى البداوة و الحضر مثل: الوبر و المدر و الحدر و الحجر و البادية و الحضر، الوبر هو صوف الإبل و الجمال و نحو ذلك من الحيوانات، الذي يصنع منه البدوي خيامه و ملابسه، و تعني البادية. و الحدر، فهي الأرض المنحدرة التي لا يبني عليها، و تعني البادية، و أما المدر فهو قطع الطين المتناسك، و هو ما يبني منه و يعني الحضر، وكذلك الحجر يعني المدينة، محمد بوركبة: النمط العمراني، منبر التراث، المرجع السابق، ص146.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

* سكنى الخيام: ظلت الخيام تمثل بيوتا و مساكنا لعدد كبير من القبائل البربرية بحكم اعتمادها في معيشتها على تربية الماشية و الرعي، و الخضوع للظروف القاسية و مواصلة الترحال من منطقة إلى أخرى، فأفراد فرقة الواصلية المعتزلة في عهد الإمام عبد الوهاب كانوا يعيشون في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها معهم في ترحالهم من العاصمة تيهرت إلى مدينة مستغانم مرورا بمنطقة وهران إلى الجنوب من اقليم تيلغمت، و منه إلى بعض المناطق الصحراوية¹، و كانت الخيمة ترمز إلى مركز صاحبها و إلى منزلته الاجتماعية والاقتصادية في القبيلة، و كلما ارتفع علوها و عمادها ازدادت اتساعا و عبرت في نفس الوقت عن ساكنها، و إن نوع و لون نسيجها و جودته يدل على المركز الاجتماعي و الاقتصادي للقبيلة و صاحبها، و تكون خيمة شيخ القبيلة في مكان مرتفع عن بقية الخيام الأخرى².

* مساكن القارة (مساكن الحجر): يقصد الصغير بعبارة "أهل الحواجر"³ الأفراد الذين انتقلوا من حالة الظغن و الرعي و الترحال إلى حالة الاستقرار و بنوا منازل قارة التي تبنى من الحجارة و الطين والخص (ورق النخل و الشجر)، و من الشعر و الوبر⁴، و أصبحوا يسكنون في بيوت من الحجر أي أي المدن، و هو تعبير صريح عما وصل إليه الرستميون من سلم الحضارة و البناء و التشييد، مما جعلهم يختلفون إلى حد بعيد عن حياة البدو⁵، و في هذا المجال يشير المؤرخ الدرجيني أن في عصر إمامة أفلح بن عبد الوهاب (190-240هـ / 805-854م) أن العالم الإباضي أيوب بن العباس مجادل فرقة المعتزلة في تيهرت، استضافته فأنزله في حص و رحبت به⁶.

1- محمد بوركبة : المرجع السابق، ص142.

2- آدم متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405هـ / 1986م، ج1، ص- ص 39-96.

3- ابن منظور : لسان العرب، المصدر السابق، ص168.

4- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص175.

5- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص250.

6- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص63.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

ب- مساكن المدن: من خلال ما نشره الأثريان جورج مارسيه و دوسوس لامار في المجلة الافريقية سنة 1946¹ فهي تشمل: السور و القصبه و مخازن المياه، إضافة إلى القصور و الأبواب والحمامات والفنادق و حتى المنتزهات، و قد ذكرنا كل هذا في الباب الأول الخاص بعمران تيهرت.

3- اللباس و الطعام:

كانت تيهرت جميلة في مبانيها، جميلة في ناسها، فوجههم تسيل بالملاحه، و قدودهم وألبستهم تفيض بالحسن².

لقد دلت المصادر التاريخية أن الإمام عبد الرحمن بن رستم كان تغذى بقرص مسخنة ملتوتة بسمن و بشيء من الملح، و كان ينام على حصير فوقه جلد و وسادة ينام عليها و سيف ورمح وفرس³، و أن عبد الوهاب بنى الجفان و أطعم فيها، هذه الجفان أو الأواني استعملها أيضا جباة الضرائب و عمال الزكاة في إخراج الصدقات⁴، و أن الإمام يعقوب كان قوته اللبن⁵، حيث كانت له له بقرات يأمر بجلبها بين يديه في إناء جديد، فإذا امتلأ شربه أجمع، و كانت له أخلاق في لباسه وركوبه تخرج عن طبع البشر، حجزه سراويله في جنبه و ركوبه فرسه من بين يديه، و كان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب قبله و لا بعده، به يضرب المثل إلى اليوم⁶.

1- (G) Marçais, (A) Dessus, Tihert tagdemt, op.cit, p. p 24- 57.

2 - محمد علي ديبوز: المرجع السابق، ج3، ص283، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص329.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص29، لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص94، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص140.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 35- 53.

5 - رشيد بوروية و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص110، لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص94، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص359.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص98، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص359، و بخصوص الفرس الذي كان يملكه يعقوب و الذي هرب به من قبضة العبيديين سنة 296هـ إلى وارجلان، ذكرتها المصادر الإباضية مثل أبي زكرياء: المصدر السابق، ص124، الدرغيني: المصدر السابق، ص104، سليمان الباروني: نفسه، ص نفسها.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

و إنه كان لأبي اليقظان سرداق أتى به من العراق¹، و أنه كان يوزع على الفقراء حبوبا وزيتا وأكسية و جباب من صوف و فراء²، و من هنا نستنتج أن سكان تيهرت لبسوا أكسية و جباب من الصوف لوفرة الأغنام حيث ذكر ابن الصغير: "أن الإمام عبد الرحمن بن رستم كان يقوم بإحصاء ما في الأهراء³، و من الطعام ثم أمر بجميع ما يفي من مال الصدقة فاشتري منه أكسية صوفا و جبابا صوفا و فراء و زيتا"⁴، أما ألوان الطعام فيما أن القبائل كانت تمتهن الرعي حيث امتلكت مراعي غنية بالكلاء⁵، فبدون شك أنها اتخذت من لحوم الأغنام و الأبقار و الإبل وألبانها طعاما، إضافة إلى السمن والعسل و الفواكه و قد دلت لنا المصادر على وجودها بكثرة في تيهرت.

و يضيف محمد علي دبوز أن ألبسة التيهريين هي نفسها ألبسة أهل المغرب الأوسط عامة ومنها الجبة، و السراويل⁶ العربية، كما كانوا يتخذون العمائم⁷ الجميلة البيضاء و الصفراء المزركشة والسوداء وكذا البرنوس، و هي أجمل نبرة إسلامية و أجملها و هي أجمل لباس أهل المشرق⁸.

4- وضع المرأة:

من خلال كتب السير الإباضية نستنتج جوانب من حياة و مكانة المرأة داخل المجتمع التيهري، فقد تمتعت المرأة بممارسة حقها في التعليم، إذ كان لها نصيب من المجالس العلمية من حيث

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص76.

2 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص110، لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص94.

3 - الأهراء: جمع هري و هو بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان ابن منظور: المصدر السابق، م3، ص801.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص38.

5 - و هذا ما نفهمه من قول ابن الصغير: "كانوا ينتجعون أوطانهم إلى تاهرت و أحوازها لما حولها من الكلاء"، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص41.

6 - و هذا ما نستنتجه في ذكر الشماخي للإمام عبد الوهاب عندما أته الكتب من المشرق بقوله: "و قيل أنه كان مجرد ثيابه إلا إلا السراويل"، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص162.

7 - ذكر أبو زكرياء: "العمائم بقوله عن الإمام عبد الوهاب بقوله: بلغنا أنه سمر ذات ليلة هو و أخوه... و كانا يقيدان مصباحا يجعل له عبد الوهاب الفتائل من عمامته... و ذكر أيضا: "الشاشية في سرد المناظرة بين المهدي و الفتى المعتزلي: "فلما غلبه المهدي، أخذ الشاشية فنزعها عن رأسه"، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص- ص 65-71.

8 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص556.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

الحضور والمشاركة¹، شاركت أيضا المرأة في الحياة الدينية إلى جانب الرجل، فكانت تحضر للصلاة بالمسجد، و تشاركه في خروجه إلى الحج، هذا فضلا عن تمكنها من التفقه في بعض المسائل التي تخص العبادات و الطهارة والحساب و الثواب²، كما تمتعت المرأة الإباضية بحرية التنقل إذ أباح الأسيخ للمرأة الخروج من المنزل والتنقل لقضاء مشاغلها اليومية كالا اجتماع و التزاور و الخروج للحقل و الذهاب إلى مجالس العلم، إلا أنهم أوجبوا عليها ضرورة التستر و عدم التبرج رغم أنهم لم يلزموها لا بالحجاب و لا بالنقاب، فإنهم يرفضون خروج المرأة عارية الرأس، فقد اضطر الشيخ أبو مرداس مهاصر السدراتي (أواخر ق 2هـ / 8م)³ للصوم سنة كاملة كفارة عن مشاهدته لأمة مكشوفة الرأس، الرأس، كما اعتنى الإباضية بموضوع الزواج و خصصوا له كتابا كاملا عند تأليفهم للديوان يعرف بكتاب "النكاح"⁴، و الصورة المتميزة التي رسمتها لنا كتب السير حول المرأة الرستمية و الإباضية عامة، اتسمت أولا بجانب التقوى و العبادة، و الفطنة و الذكاء والحكمة ثانيا، و الصبر و القوة ثالثا⁵.

و كانت المرأة الرستمية كغيرها من نساء ذلك الوقت ترغب في احراز كل أنواع الحلبي الذهبية والفضية وخاصة أن تيهرت كانت لها علاقات تجارية واسعة مع السودان الغربي أين يتوفر الذهب، فقد وصف مثلا الإدريسي لباس أهل مدينة كوكو: " و لباس عامة أهل كوكو الجلود، وتجارهم يلبسون الجلبب والأكسية وعلى رؤوسهم الكرازي و حليهم الذهب..."⁶، و لا شك أنهن كانت تتقلدن القلائد و الأسورة و الخواتم و الأقراط و تتزين بها باعتبار المرأة بغريزتها تحرص على جمال مظهرها

1- الشماخي : المصدر السابق، ص270.

2- نفسه، ص269.

3- أبو مرداس مهاصر السدراتي: فقيه إباضي من سدراتة سكن تبرست غربي جبل نفوسة في أواخر القرن 2هـ / 8م، و بداية القرن 3هـ / 9م، له سبعة مشاهد في فرسطاء، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص292.

4- نفسه، ج2، ص465.

5- نفسه، ص- ص 168-250.

6- الإدريسي: المصدر السابق، ص45.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

وحسن أناقتها، والرستميات جميلات، يذكر محمد علي دبوز: "و مع جمال البشرة في النساء الأنوثة، و مع قوة الأنوثة حياء الدين الذي هو رأس الجمال و سبب البهاء في المرأة"¹.

و كان الجنود يحملون أعلاما خافقة و يلبسون الخوذ و الذروع و يضعون فوق رؤوسهم البيضة²، وأسلحتهم تشتمل على سيوف و رماح و درق³.

5- المواكب و الاحتفالات:

إن انتماء الدولة الرستمية للحضارة الإسلامية جعلها تعطي اهتماما لبعض الاحتفالات الدينية ومنها عيد الأضحى و عيد الفطر، إضافة إلى الاحتفالات العسكرية و هذا استعدادا لمعركة وما يصحب ذلك من مظاهر الفرح التي كانت تعم السكان، فقد كان الجنود مثلا يعبرون عن الفرح بضرب الطبول لحشد و جمع الجنود⁴.

و قد اعتنت الدولة الرستمية بتعليم أبنائها التربية العسكرية و تعلم الفروسية، فكان أحسن ألعاب الشباب في أعيادهم و أفراحهم سباق الخيل و ألعاب الفروسية، حتى أن المعتزلة طلبوا من أيوب بن العباس⁵ أن يعلم أبنائهم أساليب الحرب و فنون الفروسية⁶.

و كان للدولة الرستمية غناؤها، تقيم حفلات أعراسها و أعياد و ليالي سمرها، و لكن غناءها نظيف طاهر لا يخالف الدين، فأكثره كان في تمجيد البطولات و مدح الرسول صلى الله عليه و سلم

1 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 283 - 284.

2 - البيضة: لباس الرأس الحديدي كالذي يلبسه الجنود الآن، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص367.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص73، عمار عمورة: المرجع السابق، ص94، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص109.

4 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص109، عمار عمورة: المرجع السابق، ص94.

5 - فارس المغرب لشجاعته و بداعته في أساليب الحروب و الفروسية، كان إذا ركب للحرب و النزال رمى في الجو بحريته و سنان رمحه، وكانت ترن ثمانية عشر رطلا، فتعلو حتى تكاد تغيب عن الأنظار فيهبئ لها رمحه فتتنزل فيه مستوية متمكنة لا تحتاج إلى تركيب، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص72، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص63، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص167.

6 - أبو زكرياء: المصدر نفسه، ص نفسها، و عن قصة استدعاء المعتزلة لأبي العباس، و حين أجهزم ما رأوا منه...، سليمان الباروني: المرجع نفسه، ج2، ص168.

الباب الثاني — الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تيهرت

و الصحابة¹، و كانت لهم أغان شعبية بالبربرية و أخرى بالعربية الفصحى يتغنون فيها بالشعر الفصيح، لا يزال هذا النوع من الغناء في وادي ميزاب إلى اليوم، و هو من تركة الدولة الرستمية².
لكن للأسف هذه الآثار و غيرها بالخصوص الأحوال الصحية و كيف كان التيهرتيون يواجهون الأمراض وكذا الكوارث منها الجفاف و الذي ضرب بلاد المغرب ما بين عامي 235-265هـ/ 867-898م، و تلك المجاعة التي أصابت المنطقة في عام 285هـ/ 898م فأثر ذلك على القدرة الشرائية للسكان، و سبب هلاك عدد كبير من الناس³، و لكن للأسف الشديد لا نجد معلومات كافية عن آثار هذه الكوارث على تيهرت و سكانها.

يضاف إلى الجوائح و الكوارث الطبيعية ما عاشته تيهرت من حروب و فتن حول الحكم منذ عهد الإمام الثاني عبد الوهاب، إلا أنها اشتدت في أواخر عهد هذه الدولة، و كان من نتائج الصراع بين الإمام أبي حاتم و عمه يعقوب أن أهمل الناس فلاحه أراضيهم و تربية مواشيهم، و تاقوا إلى السلم و الأمن⁴، و في السياق نفسه عبر ابن حوقل بصدق شديد عما حل بتيهرت بسبب هذه الفتن: "و قد تغيرت تاهرت عما كانت عليه، و أهلها و جميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا -أي منتصف القرن الرابع الهجري- فقراء بتواتر الفتن عليهم و دوام القحط و كثرة القتل و الموت"⁵، وكان وكان أعظم خطر واجهته المدينة و سبب اندثار نشاطها الحرفي، هجوم أبي عبد الله الشيعي عليها في عام 296هـ/ 909م، و نهاية عهد الدولة الرستمية.

1 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص556.

2 - نفسه، ج3، ص557.

3- جودت عبد الكريم : الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 453- 454.

4- ابن الصغير : المصدر السابق، ص113.

5- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص93.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحركة الفكرية و العلمية في المدينتين

المبحث الأول: عوامل ازدهار الحركة الفكرية و العلمية في القيروان

شهدت القيروان نهضة شملت شتى الميادين الفكرية و الثقافية و العلمية، و ذلك بفضل

مجموعة من العوامل نذكر منها:

أولاً- تمصير القيروان و الهجرة و دورهما في الحركة الثقافية

لقد شهدت القيروان حركة تمصير سريعة ساهمت في إعطائها السمات البارزة ككل المدن الشبيهة بها، و منه الفترة الأولى حيث قدر لهذه المدينة أن تكون مركزا حضاريا يتمتع بكل مقومات المدينة الاسلامية (من مسجد و دور و مساكن)، يستخلص هذا من كلام ابن عذارى... متحدثا عن كيفية تحديد عقبة لاجاه القبلة لمسجده، و اقتدى به سائر مساجد المدينة، ثم أخذ الناس في بناء الدور و المساكن والمساجد و عمرت و شد الناس إليها المطايا من كل أفق و عظم قدرها¹، في نفس المستوى نستشهد بكلام المالكي الذي يؤكد على الدور الريادي للقيروان على مستوى الثقافة و العلوم حيث يقول: "ثم أخذ الناس في بنيان الديار و المساجد و غير ذلك فشد إليها الناس المطالبة من كل مكان و عمرت بفضلاء الناس من الفقهاء و المحدثين و المتطوعين و العابدين و النساك والزاهدين"²، و من خلال هذا الكلام يمكن لنا أن نستخلص دور هذا التمصير في نشأة العلوم و الثقافة بالقيروان، و لا تخلو المصادر من إضفاء نزعة قدسية على المدينة التي عرفت مصيرا لا يليق بها مع أبي المهاجر، و كذلك بعد مقتل عقبة و استيلاء كسيلة على المدينة، و لم يغادر العرب المدينة التي استوطنوها منذ تأسيسها و استقرار الجند و عائلاتهم (النواة الأولى للمجتمع القيرواني)، فأمن كسيلة من بقي بالقيروان من المسلمين³، و عاد العرب إلى مدينتهم بعد مقتل كسيلة و انتقام المسلمين لمقتل زعيمهم

1- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص65.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص182.

3- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص31.

المباج الثالث ————— الأوامر الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و قائدهم عقبه على يد زهير بن قيس البلوي الذي انصرف إلى القيروان فأوطنها و إن انصرف عنها فقد أقام بها كثير من أصحابه¹.

فكانت القيروان من أبرز المدن التي اعتبرت قلاعاً للفكر و الحضارة في بلاد المغرب، و ارتبط دورها الثقافي و الفكري بالمؤسسات الدينية و في مقدمتها المسجد² الذي يعتبر أول معلمة دينية و حضارية بالمغرب، أسهم في إقامة قواعد و مبادئ الدين الإسلامي و نشر الثقافة الإسلامية في ربوع المغرب، و نظراً لدوره البالغ الأهمية قيل: "لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعاً له مدينة"³، فسمعة القيروان ارتبطت بمكانة هذا المسجد الجامع الذي تخرج منه فقهاء و علماء تحطت سمعتهم حدود المغرب فهو منارة بل كعبة العلم في المغرب و حتى الأندلس في طلب العلم و الانتاج الديني والعلمي و كان فيه جناحان للتعليم، جناح للرجال و آخر للنساء⁴.

استقر بالقيروان علماء كبار من أمثال أبي أيوب سليمان بن يسار من رواة الإمام مالك واستقطبت لغويين كالطرماح و عياض بن عوانة⁵، حيث التقت فيها مختلف المذاهب التي وفد أصحابها من المشرق ثم ما لبث أفكارها أن انتشرت في ربوع المغرب و الأندلس، لقد كانت القيروان إذن بوابة العلم إلى المغرب كله.

لقد ركزت المصادر الإفريقية الخاصة بالعصور الوسيطة على البعد الديني للمدينة بذكر عدد لا يستهان به من الصحابة و التابعين الذين دخلوا المدينة و تراجعوا عنها إلى المشرق أو أولئك الذين استوطنوا و اختطوا ديارهم و مساجدهم و صاروا من أعيانها و لنا أسئلة عديدة في هذا المستوى. و نظراً لما لهذه النقطة بالذات من تأثير كبير على مستقبل الحياة العلمية و الثقافية بالقيروان، سنحاول استقصاء الأحوال التي ينتهي إليها المهاجرون العلماء الذين صارت تستقطبهم مدينة

1- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص33.

2- محمد علي: المرجع السابق، ص47.

3- أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته و نظمه، دار الفكر، ط2، دمشق 1982، ص358.

4- عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص61.

5- محمد طالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص47.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

القيروان وقد تلت هجرة العلماء أو صحت عملية الإخضاع العسكري و الإحاق السياسي شأنها في ذلك كما في المدن التي شابه وضعها وضع القيروان، بعد الإخضاع العسكري تغيرت معطيات الوضع السياسي و دخلت المنطقة في الإحاق السياسي و انطلقت مسألة تنظيم الولاية الجديدة من القيروان بالذات التي دون بها حسان الدواوين و نظم الإدارة و الخراج.

إذن هذه العاصمة البعيدة عن الحجاز و العراق و مصر أهم المراكز العلمية و مصادر التحولات الثقافية من فكر و أدب و دراسات فقهية، لم تكن منعزلة تماما عما يحدث في المشرق يقدر ما استوعت ما تمكنت من استيعابه نتيجة معطيات متعددة من أهمها قدوم العلماء واستيطانهم بالمدينة، فإلى أي مدى أثرت هجرة العلماء إلى القيروان في العلوم و الثقافة بهذه المدينة؟

نستطيع أن نقسم الهجرة إلى مرحلتين:

1- مهاجرو المرحلة الأولى:

و التي بدأت منذ أن وطأت أقدام العرب تراب افريقية و كانت صفة العلم موازية تماما لصفات أخرى كالجهد و القيادة و الإدارة، و يورد ابن عذارى أنه كان في عسكره (عقبة) ثمانية عشر رجلا من أصحاب رسول الله، و سائرهم من التابعين¹، كذلك خلال ولايته الثانية بعد أن أمر بتخريب تاكروان ورد الناس إلى القيروان و ركب في وجوه العسكر و من معه من الصحابة والتابعين²، وهذا طبعا دون أن ننقل عن ذكر القادة من الصحابة و التابعين الذين دخلوا افريقيا خلال الغزوات الأولى قبل تأسيس القيروان، ونلاحظ أن شخصية عقبة بن نافع لا تخلو من الهالة القدسية التي أضفتها المصادر الافريقية عليها من خلال تقربه من الله و استجابة الله إلى دعاء هذا المجاهد والمؤسس للمدينة و الناشر للدين و هازم الكفار و الشهيد، فيصحب ذكر اسمه عادة دعاء المصادر بالرضى عنه، و هذه صفة نجدها مصاحبة لعدد من الأسماء البارزة من علماء القيروان.

1- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص20.

2- نفسه، ص23.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممته

و إضافة إلى صفات الجهاد و التفاني في سبيل نشر الدين، تميز عقبة بالفصاحة و البيان إلى جانب قدرته العسكرية و الإدارية، و يورد المالكي خطبة لعقبة أهم ما يستنتج منها، موقفه من العلم و المعرفة فهو ينصح أبناءه قائلا: "إياكم أن تملؤوا صدوركم بالشعر و تتركوا القرآن دليل على الله عز و جل و خذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللبيب و يدلکم على مكارم الأخلاق"¹، و يدل هذا الكلام عن دور المجاهدين الأوائل في نشر الاسلام عبر القرآن و اللغة العربية.

عبر كلام العرب و لعله موقف شامل من العلم كان يسود آنذاك و ليس عقبة غير أنموذج لعربي قائد متشبع بالروح الدينية، و قد ساهم وجود المهاجرين العرب داخل القيروان منذ وقت مبكر في انتشار العلم و الثقافة العربية الاسلامية.

بفضل انتشار الاسلام و اللغة العربية أداة التعريب و الأسلمة، و بذلك تم دخول المدينة ضمن المنظومة الحضارية العربية و الاسلامية بكل تجلياتها من دين وفقه و أدب و شعر و نمط وسلوك و عادات كلها انتقلت من الشرق لتؤسس حياة علمية و ثقافية متميزة داخل القيروان و قد شكل المقاتلة القواة الأولى لهؤلاء المهاجرين كما رأينا نموذج عقبة و عددت المصادر أسماء الكثيرين الداخلين إلى افريقية قبل عقبة و معه و بعده بعضهم إلى المشرق و استقر البعض الآخر بالمصر الجديد، مما يدل على الأثر الواضح لهذه الفئة الاجتماعية (العلماء) صحابة و تابعين في المرحلة الأولى و ما يجسدونه من قنوات تمر عبرها العلوم الاسلامية إلى جمهور المسلمين².

و من بين الذين قدموا إلى القيروان أو افريقية بصفة عامة حتى قبل تأسيس القيروان ثلة من الصحابة والتابعين مثل ابن عباس الذي دعا له النبي صلى الله عليه و سلم: "اللهم علمه الكتاب والحكمة"³، ويصفه المالكي أيضا: "بكونه من العلماء بكتاب الله عز و جل بتفسيره و محكمه ناسخه و منسوخه وعالما بالسنة و جميع العلوم الشرعية و هو بحر العلوم"⁴، أما ابن عمر فكان من

1- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص34.

2- محمد سعيد: الحياة العلمية و الثقافية، المرجع السابق، ص56.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص60.

4- نفسه، ص- ص 60- 61.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

أهل الورع و العلم بالكتاب والسنة¹، و كذلك ابن الزبير الذي وضع النبي صلى الله عليه و سلم تمرة مضموغة في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو الذي اشتهر بإطالة السجود في الصلاة².

و عبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان يحمل عنه العلم³ و ابن أبي سرح كاتب وحي النبي صلى الله عليه و سلم و ينتسب إليه مسجد بالقيروان عند باب عبد الله يقال له "مسجد ابن أبي سرح"⁴، و يذكر المالكي نحو تسع و عشرين صحابيا و تابعيا دخلوا إفريقية و على سبيل الذكر لا الحصر نذكر، أبو زمعة البلوي، المدفون بالقيروان، و كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و من بايع تحت الشجرة، و كذلك عقبة بن نافع و كل هؤلاء ساهموا بقسط كبير في تعريب المنطقة و نشر الاسلام، و كانوا نواة العلماء بالقيروان، و كان كل هؤلاء من حفظة القرآن و جملة الحديث و رواته، و قد دخل بعضهم في الأسانيد مثل موطأ الإمام مالك و مسند ابن سنجر⁵، إضافة إلى هذه الفئة من العلماء التي جاءت القيروان بصفة اختيارية أو ضمن الجند الغازي، فإن هناك فئة أخرى من المهاجرين من العلماء الذين أرسلوا قصدا إلى المنطقة لاستكمال عملية الأسلمة و التعريب التي بقيت على ما يبدو محدودة و رغم المجهودات العسكرية التي بذلها العرب.

2- مهاجرو المرحلة الثانية:

و المتمثلة في البعثة المتكونة من عشرة علماء تم إرسالهم من المشرق إلى مختلف بلاد المغرب في عهد عمر بن عبد العزيز الأموي⁶، و كانت مهمة هؤلاء العلماء تتمثل في تعليم البربر أمور دينهم

1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص62.

2- نفسه، ص- ص 63- 64.

3- نفسه، ص65.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص75، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص 66- 67.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص85.

6- هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أمه هي أم عاصم بن عاصم بن عمر بن الخطاب، عهد إليه سليمان بن عبد الملك بالخلافة و هو على فراش الموت بمشورة و تشجيع من رجاء بن حيوة و بويح بالخلافة في صفر 99هـ/ 717م، و دامت خلافته سنتين و خمسة أشهر، و توفي في أواخر رجب من سنة 101هـ/ 720م، ابن سعد: الطبقات، المصدر السابق، ج5، ص236، الطبري: تاريخ الأمم و الملوك، المصدر السابق، ج6، ص- ص 1320- 1361.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

بتأسيس المساجد و الكتابيب لأن الاسلام في هذه الفترة لم يتعمق في نفوس الأهالي بل إن كثيرا من الجهات البعيدة عن القيروان لم يكن يعرف أهلها من الاسلام إلا الشهادتين¹، و من هؤلاء العلماء هم اسماعيل بن عبيد الأنصاري الملقب بتاجر الله²، و هو الذي جمع العلم و الفلاح و الثروة جميعا، و هو صاحب مسجد وسوق في نفس الوقت³، و أبو عبد الله بن يزيد المعافري⁴، و أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي⁵، وأبو

سعيد جعيل بن عاهان بن عمير الرعيني الغساني⁶، و حسان بن أبي جبلة القرشي⁷، وموهب وموهب بن جبير المعافري⁸، و أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي⁹، و بكر بن سواده بن ثمامة الجذامي¹⁰، و اسماعيل بن عبد الله الأعور، و طلق بن حيان الفارسي¹¹.

و إضافة إلى هؤلاء العشرة الذين قدموا افريقية و استوطنوا عاصمتها القيروان بأمر من الخليفة الأموي في حدود المائة الأولى للهجرة و بداية المائة الثانية، فإن هناك أسماء أخرى وردت في كتب

-
- 1- محمد عليلي: المرجع السابق، ص 56-57.
 - 2- كان يجعل ثلث كسبه لله يصرفه في وجوه الخير، أقام بالقيروان إلى أن خرج يوما في غزو صقلية فغرق في البحر و قيل مات وهو معانق للمصحف سنة 107هـ/725م، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص186.
 - 3- المالكي: المصدر السابق، ج1، ص 106-107.
 - 4- ابن حزم: جمهرة الأنساب، المصدر السابق، ص403، و هو الذي ترأس البعثة و سكن القيروان و توفي بها، عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق، ص119.
 - 5- القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، المصدر السابق، ص189، و توفي بالقيرون سنة 113هـ/731م، محمد محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص186.
 - 6- توفي سنة 115هـ/773م، عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق، ص119.
 - 7- سكن القيروان و توفي بها سنة 125هـ/742م، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص187.
 - 8- ابن حزم: المصدر السابق، ص393، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص187.
 - 9- ابن حزم: نفسه، ص 403-404، رابع بونار: المرجع السابق، ص 63-64.
 - 10- ابن حزم: المصدر السابق، ص395، يكنى أبا ثمامة و جده صحابي، كان فقيها كبيرا من التابعين روي عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن عمر بن العاص، توفي في افريقية في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 128هـ/745م، المقرئ: المصدر السابق، ص329.
 - 11- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص187.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

التراجم والتي قدم أصحابها من المشرق و استقروا بالقيروان، فغالبا ما تواترت العبارة التالية للحديث عن فلان: سكن القيروان و اختط بها دارا و مسجدا.

حيث شهد أن هؤلاء العشرة استوطنوا القيروان و اختطوا الدور و المساجد و اندمجوا مع المجتمع القيرواني و أثروا في مجرى الأحداث السياسية و الثقافية و الاقتصادية أيما تأثير كما هو الشأن بالنسبة إلى اسماعيل بن عبيد الملقب بتاجر الله، و ذكر: "فما كان من هؤلاء المرشدين إلا أن اختط كل واحد منهم دارا لسكناه و بنى بجذائها مسجدا لعبادته و مجالسه و اتخذ بقربه كتابا لتحفيظ القرآن و تلقين مبادئ العربية.

كانت ثمرة هذه البعثة تأسيس قاعدة فقهية للإسلام إذ تتلمذ على أيدي هؤلاء الفقهاء طائفة من العلماء و الفقهاء و المحدثين من أهل المغرب، ساهموا هم بدورهم في نشر الثقافة الإسلامية و بث علومهم في كامل ربوع المغرب لصغار أطفال البلد¹.

و نضيف إلى أن جل هؤلاء الذين استوطنوا القيروان كانوا يتمتعون بسمعة طيبة حتى أن أصحاب الأسانيد قد أدخلوا ضمن سلسلة الرواة فهناك بن رباح اللخمي الذي انتفع به و تفقه على يده أهل القيروان قد أدخله ابن سنجر في كتابه².

و يورد المالكي ما يقارب من ستة عشر إسما لعلماء استوطنوا افريقية أو القيروان بصفة خاصة و اختطوا المنازل و المساجد بها، كما أدخلوا ضمن رواية الحديث كما سبق أن ذكرنا، و كانوا معدودين في التابعين و أن تحدد المصادر أصولهم الجغرافية فإنها تشير إلى أصولهم القبلية أو الاجتماعية ففيهم العربي والمولى، و لكن جلهم من رواية الحديث عن جلة من الصحابة مثل أبي هريرة و أنس بن مالك و عائشة وابن عمر بن العباس، و قد أشار المالكي إلى أحدهم: ربيعة بن يزيد و هو مولى أبي سفيان و قد كان من سكان دمشق و أوطن افريقية³.

1- طه الولي: التعليم عند المسلمين في بدايته و تطوراته عبر مراحل و مناهجه و مؤسساته، مجلة الفكر العربي، العدد 20، معهد الانماء العربي لبيبا، لبنان، مارس و أبريل، 1981، ص24.

2- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص119.

3- نفسه، ص131.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و هكذا ساهمت هجرة الكفاءات العلمية إلى المصير الجديد في خلق نواة لمركز من أهم المراكز العلمية بشمال افريقيا و أحد المراكز بالعالم الاسلامي ألا و هو القيروان.

و نلاحظ أن الصحابة و التابعين و خاصة الصنف الثاني الذين استوطن جانبا كبيرا منهم بالقيروان و عاد جزء منهم إلى المشرق قد تمكنوا من بث العلم الذي حملوه من كبار الصحابة و انتفع بهم أهل القيروان و القادمين إليها من مختلف الآفاق، و قد نوهت المصادر بهذه الفئة حيث نجد كتاب التراجم يضيفون صفة الرضوان على أسماء العديد من هؤلاء كتأكيد على دورهم و كاعتراف لهم بالفضل في نشر الثقافة و العلوم في القيروان.

تواصل الدعم البشري المغذي للحياة الفكرية داخل العاصمة الجديدة خلال وصول الجند إلى افريقية في أكثر من مناسبة و هي ظاهرة هامة بدون شك إذا اعتبرنا أنه من ضمن هؤلاء الجند يتواجد العديد من المفسرين المحدثين و القراء و حفظة القرآن و الشعراء و المهتمين باللغة أي حاملين اختصاصات متنوعة إلى جانب اختلاف انتماءاتهم المذهبية و العرقية و الاجتماعية المختلفة أهل الشام، و أهل خراسان و عرب الجزيرة، و قد اجتمعوا بمواطنيهم و بالمولدين من أبناء مسلمة البربر سامروهم بأخبار الجاهلية و الاسلام¹، و يكفي أن نذكر أن أبرز علماء القيروان كانوا من أبناء الجند القادمين من الشرق: أسد بن الفرات وكذلك سحنون بن سعيد و هو من أصل شامي من جند أهل حمص أما أسد فقد قدم أبوه مع جيش ابن الأشعث².

و هكذا نتبين أن القيروان التي بدأت تتطور شيئا فشيئا و تبرز كعاصمة لها علاقات متينة بالعالم الاسلامي و كانت مركز استقطاب المهاجرين العرب منذ بداية الغزوات الأولى و بذلك ساهمت الهجرة منذ تأسيس المدينة إلى النصف الأول من القرن الثاني بدور مصيري في تحديد عالم الثقافة القيروانية و تنشر مختلف أصناف العلوم التي كانت مزدهرة بالمشرق العربي.

1- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص184.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص254.

المابج الثالث — الأواخ الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

ثانيا- سياسة عمر بن عبد العزيز و أثرها على الحركة الثقافية

إنه الخليفة الذي شد عن القاعدة العامة للسياسة الأموية، محاولا أن يرد الاعتبار لعنصر الموالي من غير العرب¹، و يتجلى ذلك من خلال توليه لابن أبي المهاجر اسماعيل و هو أحد الفقهاء العشرة²، فكان خير وال و خير أمير ما زال حريصا على دعاء البربر إلى الاسلام حتى أسلم بقية البربر بافريقية على يديه وهو الذي علم أهل افريقية الحلال و الحرام³، و مقارنة مع خلفه يزيد بن أبي مسلم الذي كان ظلوما غشوما⁴، يتأكد توجيه الخليفة الجديد عمر بن عبد العزيز باتجاه الموالي بصفة عامة و الأفارقة بصفة خاصة، و لا شك أنه من خلال إيفاد والي مولى و فقهاء من ضمنهم بعض الموالي دليل على توجيه نحو الموالي، والتعامل مع الأطراف غير العربية و لا سيما في منطقة مثل افريقية⁵.

لقد كان اختيار الوالي الجديد على أساس الورع في الدين و الحكمة في السياسة، فسار اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر سيرة طيبة في أهل المغرب، فشار بسلوك قدوة لما يجب أن يكون عليه أي وال فقد حرص على أن يكون أمينا على ما كلف به⁶ خاصة و أنه بعث برفقته عشرة من الفقهاء العدول يعلمون أهل المغرب أمور دينهم، فقد أدرك عمر بن عبد العزيز سياسة القوة التي انتهجها الولاة السابقون عمقت الخلافات و زادت من حدة الصراعات، و بالتالي لم تعمق الإسلام في نفوس البربر⁷.

1- محمد سعيد: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص57.

2- عينه واليا جديدا على افريقية خلفا لمحمد بن يزيد القرشي سنة 100هـ/ 718م، ابن خلدون: العبر، م1، 2035، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص160.

3- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص48.

4- نفسه، ص نفسها.

5- محمد سعيد: المرجع السابق، ص57.

6- محمد عليلي: المرجع السابق، ص56.

7- نفسه، ص نفسها.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

شب عمر بن عبد العزيز على حب العدل و كره الظلم و الجور فكان شديد الكره للحجاج وأمثاله و كثير النصح للخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ / 705-715م) و أخيه الخليفة سليمان ابن عبد الملك من بعده (96-99هـ / 715-717م)¹.

إن المناقب و الخصال الحميدة التي تربى عليها هذا الخليفة و هو فتى سار عليها و هو وال²، وطبقها منهجها لسياسته و هو خليفة للمسلمين، فكان يجالس العلماء و الفقهاء و يأخذ بمشورتهم في أمور الدين و الدنيا.

و كان عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد في الدنيا المقبل على الآخرة، يخاف الله في الرعية في أدق الأمور فقد تشبه بجده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خطب في الناس يوم ولي الخلافة و هو كاره لها قائلاً: "أيها الناس إني و الله ما سألتها الله في سر و لا علانية قط فمن كره منكم فأمره إليه"³.

لقد عرف عمر عبئ المسؤولية و عظم الأمانة، لذلك كان يختار ولاية الأقاليم الإسلامية على أساس الصلاح و التقوى و التزام العدل بين الرعية، فقد كتب إلى أحد عماله قائلاً له: "أما بعد فالزم الحق ينزلك الحق منازل أهل الحق يوم لا يقضى بين الناس إلا بالحق و هم لا يظلمون"⁴.

إن عمر بن عبد العزيز لم يكتف باختيار الرجال على شاكلته ثم يتركهم بعد ذلك يفعلون ما يشاؤون، بل كان يشعر أنه مسؤول هو نفسه عما يجري في جميع البلاد، و على يديه صار الفقهاء و أهل العلم كلمة مسموعة⁵.

1- عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص13.

2- عندما عينه الوليد بن عبد الملك واليا على الحجاز و مكة و المدينة حدد شروط ثلاثة لقبوله الولاية فقال للوليد: "انك استعملت من كان قبلي فأنا لا أحب أن تأخذني بعمل أهل العدوان و الظلم و الجور، فقال الوليد: اعمل و إن لم ترفع إلينا إلا درهما واحدا"، ابن القيم الجوزي: سيرة و مناقب عمر بن عبد العزيز، منشورات دار مكتب الهلال، مصر 1988، ص58.

3- ابن القيم الجوزي: نفسه، ص89.

4- نفسه، ص125.

5- يوليوس فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريرة، راجع الترجمة حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، ط2، 1968، ص262.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممته

إن ارسال عمر بن عبد العزيز لبعثة العلماء العشرة إلى بلاد المغرب أثمرت بتأسيس قاعدة فقهية للإسلام، إذ تتلمذ على أيدي هؤلاء الفقهاء طائفة من العلماء و الفقهاء و المحدثين من أهل المغرب ساهموا هو بدورهم في نشر الثقافة الاسلامية و بث علومهم في كامل ربوع المغرب لصغار أطفال البلد¹.

و بفضل مناقبه و فضائله، اعتبر عمر بن عبد العزيز الخليفة المميز في بني أمية، و عد خامس الخلفاء الراشدين²، بل هناك العديد من الفقهاء و العلماء يرون بأنه هو الذي بعث على رأس المائة الثانية ليجدد للأمة أمر دينها³، كما جاء في الحديث "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها"⁴.

و كان لسياسة عمر بن عبد العزيز المالية أثرها الإيجابي في توطيد دعائم الإسلام في بلاد المغرب، فقد أثمر العدل انسجاما اجتماعيا كانت نتيجته الطبيعية الهدوء و الاستقرار الذي عم في هذه الربوع، ذلك أن ولاية افريقية السابقين أثقلوا البربر بالضرائب التي لم تكن من الإسلام بل كانت سياسة مالية أموية هدفها ضمان موارد مالية قارة و هو السبب الأساسي في قيام ثورات البربر ضد هؤلاء الولاة⁵.

1- طه الولي : التعليم عند المسلمين، المرجع السابق، ص24.

2- ابن القيم الجوزي: السيرة، المصدر السابق، ص92، بل هناك مؤلف بعنوان "الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين" لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم المتوفي سنة 214هـ، رواية ابنه أبي عبد الله ممد المتوفي سنة 268هـ، تحقيق أحمد عبيد، مراجعة و تعليق أحمد عبد الثواب عوض، دار الهدى للطباعة و النشر، عين ميله، الجزائر.

3- محمد الخضري بك: تاريخ الأمم الاسلامية، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، ط6، القاهرة، 1376.

4- رواه أبو داود و الحاكم و البيهقي عن أبي هريرة، ينظر محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير: المجلد1، ج2، المكتب الاسلامي، بيروت، ط3، 1979، ص143، و كان عمر بن عبد العزيز يحث على العلم و حب العلماء فيقول: "إن استطعت فكن عالما، فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم..."، عبد الله بن عبد الحكم: عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل، المصدر السابق، ص136.

5- محمد عليي : الاشعاع الفكري: المرجع السابق، ص58.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و يظهر الأثر الإيجابي لهذه السياسة من خلال رواية يحيى بن سعيد¹ الذي قال: "بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقية فاقتضيتها و طلبت فقراء نعطيها لهم، فلم نجد بها فقيرا و لم نجد منهم من يأخذها، فقد أغنى بن عبد العزيز الناس، فاشترت بها رقابا فأعتقتهم"².

و كذا إقبال أهل المغرب الواسع على الاسلام و اختفاء الثورات التي ترجمت تدمر البربر واستياءهم من عمال ولاية افريقية، و هذا ما يفند آراء المستشرقين الذين يفسرون سبب قيام هذه الثورات برفض السكان للإسلام، و منهم روبر كورنيفان في كتابه "تاريخ افريقيا" و الذي يرى أن اعتناق البربر للإسلام سببه خوفهم من أن يتحولوا إلى عبيد، و أن تلك الثورات هي مقاومة البربر للاحتلال العربي³.

ثالثا- الرحلة و دورها في الحياة الفكرية و العلمية بالقيروان

من ضمن العوامل المختلفة التي ساهمت في بناء الثقافة و إرساء الحياة العلمية بالقيروان عامل الرحلة في طلب العلم و هو تقليد اسلامي لم يظهر في القيروان فحسب، و بفضل هذه الرحلة ازدهرت العلوم داخل المدينة و صارت مركز استقطاب حضاري، فما هي الرحلة و ما هي أبرز مظاهرها؟ و ما هي الأماكن التي قصدتها طلبة العلم من القيروانيين؟

لقد عرف العرب الرحلة قبل مجيء الإسلام حيث كانت حياتهم قائمة على الترحال، و قد أشار القرآن الكريم إلى رحلتي قريش التجاريتين في الشتاء و الصيف إلى الشام و اليمن⁴، ﴿لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ (1) إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2)﴾⁵، و لم يكن الترحال من مكان إلى آخر لأهداف

1- هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري، النجاري، قاض من أكابر أهل الحديث، من أهل المدينة، ولي القضاء بالمدينة في زمن بني أمية، و توفي بالهاشمية سنة 243هـ، عبد الله ن عبد الحكم: الخليفة العادل، المصدر السابق، ص78.

2- نفسه، ص نفسها، رايح بونار : المرجع السابق، ص28.

3- محمد عليي : المرجع السابق، ص58، Roben CORNEVIN, op.cit, p262.

4- نوال عبد الرحمن الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون، الأردن، 1429هـ / 2008م، ص35.

5- سورة قريش: الآيتان 1 و 2.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

لأهداف مادية فحسب، وإنما لتحقيق أهداف معنوية أيضاً¹، منها الرحلة في طلب العلم التي كثيراً ما كانت تتبع رحلة الحج، فالحج من أقوى البواعث التي حركة الرحالة المغاربة إلى طلب العلم من منابعه الأصلية مكة و المدينة، و من المراكز الإسلامية الأخرى كبغداد و دمشق و مصر و غيرها.

و في المغرب الإسلامي كانت الرحلة في طلب العلم و لقاء المشيخة من المسائل المحمودة²، وهذا ما قصده ابن خلدون بقوله: "الرحلة في طلب العلوم و لقاء المشيخة... أقوى رسوخاً"³.

إن الحياة العلمية و الثقافية داخل القيروان أخذت تتطور تدريجياً منذ إنهاء الإلحاق السياسي والإداري للمنطقة و استقرار العرب و توافد المهاجرين و العلماء الذين رافقوا الجند أو الذين أرسلتهم دمشق، و يبدو أن بواكير الثقافة القيروانية نضجت مع جيل عبد الرحمن بن زياد بن أنعم⁴ الذي كان أول مولود في الإسلام بعد فتح إفريقية روى عن جماعة من التابعين، و قد أدخله المؤلفون في كتبهم⁵، و نلاحظ أن هذا الجيل و من سبقه كان يتلقى العلم بالقيروان عن التابعين الذين استوطنوا استوطنوا المدينة، و تعتبر الرحلة من أبرز مظاهر العلاقة التي تربط القيروان بالمشرق مركز الإشعاع الثقافي و طريق القوافل التجارية إلى الحج، مما يؤكد سهولة مرور البضائع و الأشخاص من مختلف الأمصار، و تعتبر الرحلة إحدى العوامل الأساسية المكونة للحياة الثقافية داخل القيروان⁶، و هي تجسيد للاضطلاع على أبرز المستجدات في المجال العلمي والثقافي.

إن علماء القيروان لم يرحلوا فقط للأخذ عن المشاركة بل أننا نجد عبد الرحمن بن زياد الذي برز برواية الحديث يلتقي بسفيان الثوري و يسمعه بعض الأحاديث، و كان سفيان هذا يعظم شأنه،

1- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام أنواعها و آدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996م، ص15.

2- عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية و الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 7 و 8 الهجريين، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1417هـ/ 1996م، ص 46.

3- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص591.

4- عبد الوهاب بن زياد (75-161هـ)، ولي القضاء مرتين بالقيروان، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص95.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص152.

6- محمد سعيد: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص62.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و قد كان لقيه بمكة، و قد انفرد عبد الرحمن برواية بعض الأحاديث¹، فالرحلة بما فيها من مشاق التنقل و الإقامة، فرحلة سحنون مثلا تطلبت ثلاث سنوات، و هذا موسى بن معاوية الصمادي دامت رحلته خمس سنوات²، و من جهة أخرى لم تكن الرحلة حكرا على سن معينة، فهذا أحد شيوخ افريقية عبد الله بن فروخ الذي تتلمذ لمالك و سفيان الثوري و ابي حنيفة و غيرهم كان مسنا ممن رحل في طلب العلم³، فما هي أهم المراكز التي توقف بها طلبة العلم من القيروان؟

ارتبطت هذه المحطات العلمية بطرق الحج أولا و بتواجد أبرز العلماء ببعض المراكز في المشرق، و قد أشارت المصادر إلى أسماء بعض الأعلام الذين أخذ عنهم القيروانيون و الأفارقة والمحطات التي توقف عندها الطلبة الرحالة، تتواجد كلها في المشرق العربي و نذكر منها:

* الحجاز:

يتميز هذا الإقليم بطابعه القدسي لكونه منبع الدين الاسلامي و مسرحا لأهم الأحداث التي عاشها الرسول صلى الله عليه و سلم و معاصروه، و من جاء من بعدهم من التابعين. و الحجاز يضم مكة مهبط الوحي و منبع الرسالة المحمدية و المدينة هجرة و مستقر وعاصمة الدولة المحمدية، و بذلك اكتسبت المدينتان صبغة مميزة على مستوى المعرفة بمصطلح ذلك العصر، بفضل ما تواجد بهما من علماء ورثوا العلم عن النبي و الصحابة و التابعين و اجتهدوا فيه فضلا عن ذلك⁴.

و اشتهرت مكة منذ عهد الرسول بأول فقيه تركه الرسول بها و هو معاذ الذي روى عنه ابن عباس ابن عمر، و قد تخرج من مدرسة مكة مجاهدين جبير و عطاء بن أبي رباح و طاووس بن كيسان و سفيان بن عيينة و مسلم بن خالد أستاذ الشافعي⁵.

1- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص96، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص152.

2- أبو العرب: نفسه، ص- ص 184 - 190.

3- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص107، محمد سعيد: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص64.

4- محمد سعيد : الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص64.

5- أحمد أمين: فجر الاسلام، المرجع السابق، ص173.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و أما مدرسة المدينة فتمتد جذور الحركة العلمية بها منذ عصر الصحابة- العلماء...عمر وعلي وزيد بن ثابت الذي كان ابن عباس يأخذ بركابه، كما أنجبت المدينة أجيالا من التابعين المهتمين بالعلم مثل سعيد بن المسيب و عروة بن الزبير و شهاب الزهري نهاية بالإمام مالك¹، الذي سمع عنه معظم علماء القيروان سيما الذين رحلوا في طلب العلم و اتصلوا به مباشرة مثل بن فروخ والبهلول بن راشد و أسد وغيرهم و قد رحل من افريقية أكثر من ثلاثين رجلا، كلهم لقي مالكا بن أنس².

* العراق:

كان العراق في ذلك العصر أهم مراكز الحياة العقلية في فروع العلم و الفن من تفسير وحديث وفقه و لغة و نحو و صرف و ترجمة³، و يتميز بمدينتيه البارزتين في الحياة الثقافية الكوفة والبصرة، و قد أثرت هذه المراكز في الثقافة القيروانية إلى أبعد الحدود.

و قد اشتهرت البصرة بمهرجان المرید الشعري الأدبي، و برزت الكوفة في العلوم الدينية و نهل منها طلبة القيروان كما سنرى.

و تستمد الكوفة حجمها من الإرث الثقافي و العلمي الذي جسده استقرار علي بن أبي طالب بها و عبد الله بن مسعود، و ينقل المالكي عن أسد بن الفرات: "أهل الكوفة إذا أرسلوا في الرواية عبد الله فهو بن مسعود"⁴.

و قد نزل بن مسعود الكوفة بإمام الرأي أبي حنيفة و تلميذه أبو يوسف صاحب كتاب "الخراج"، وقد اتصل به غير واحد من أهل القيروان⁵، فهذا عبد الله بن فروخ الذي كان يعتمد في الحديث و الفقه على مالك بن أنس، و يميل إلى النظر و الاستقلال، فرما مال إلى قول أهل

1- أحمد أمين: فجر الاسلام، المرجع السابق، ص173.

2- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص93.

3- أحمد أمين : ضحى الاسلام، المرجع السابق، ص77.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص267.

5- أحمد أمين: فجر الاسلام، المرجع السابق، ص184.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القبروان و تيمرت

العراق¹، و ابن فروخ هذا يذكر أنه صادف جارية كانت ملكا لأهله و بيعت و هي صغيرة عند الأعمش و هو من أشهر محدثي الكوفة²، و قد اختلف بن فروخ إلى أبي حنيفة و سمع منه نحو عشرة آلاف مسألة، و قد عنت له حادثة طريفة في دار أبي حنيفة إذ سقطت على رأسه آجرة من أعلى السقف، فخيره الإمام بن الأرش و ثلاثمائة حديث فاختار الحديث³.

و هذا أسد بن الفرات يقدم الكوفة للسمع من أبي يوسف تلميذ أبي حنيفة⁴، و قد نقل القبروانيون من مدرسة الكوفة علما كثيرا، و تفيد كتب التراجم أن معظم الذين رحلوا في طلب العلم لم تفتهم فرصة السماع من سفيان الثوري، مثل عبد الرحمن بن زياد و ابن فروخ و ابن غانم و البهلول وغيرهم.

* مصر:

كانت تمثل نقطة عبور ضرورية بين افريقية و بقية المشرق بحجازه و عراقه و شامه، فكان لا بد للأفارقة بمختلف مصالحهم من طلبه علم و تجار و حجيج من العبور من مصر، و قد رحل العديد من القبروانيين إلى مصر في طلب العلم، و قد ورد اسم مصر في وصية سحنون لابنه ناصحا إياه بالمراكز العلمية الواجب التوقف عندها: "إذا أردت الحج فتقدم طرابلس ففيها رجال مدينون ومصر و فيها الرواة"⁵.

و قد توارت في كتب التراجم أسماء لعلماء من مصر أخذ عنهم القبروانيون و الأمثلة عديدة منها: سماع البهلول بن راشد من الليث بن سعد و سماع سحنون من أبي القاسم و ابن وهب خلال رحلته إلى مصر⁶، و قد كان ابن القاسم أستاذا لأسد بن الفرات ثم لسحنون فيما بعد و هو الذي أسقط من كتب أسد ما كان شك فيه من قول مالك و كاتبه بذلك: "عارض كتبك بكتب سحنون

1- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص40.

2- نفسه، ص47.

3- نفسه، ص نفسها.

4- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص54.

5- نفسه، ص93.

6- نفسه، ص88.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

فإني رجعت عن أشياء مما رويتها كذا عني"¹، و بذلك كان ابن القاسم سببا في تجاوز مدونة سحنون لأسدية بن الفرات، و نسيت الأسدية و لا ذكرى لها الآن².

و كان القيروانيون يحضون بمكانة هامة في المشرق، فهذا بن وهب المصري يعتبر عبد الله بن فروخ خليفة الليث بن سعد³، و قد روى عن بن فروخ كل من الليث بن سعد و عبد الله بن وهب⁴، وهب⁴، و كان ابن فروخ يحضى بالاحترام و التقدير من طرف مالك ابن أنس، فلما رآه مالك قام إليه و كان لا يكاد يفعل ذلك لكثير من الناس⁵، ثم التفت إلى أصحابه و قال هذا فقيه أهل المغرب⁶.

كانت هذه أهم المراكز العلمية التي اختلف إليها القيروانيون في رحلتهم طلبا للعلم و مما لا شك فيه أن هذه المراكز أثرت أبعداً تأثير في تكوين خصوصية الثقافة القيروانية بصفة خاصة و الافريقية بصفة عامة، و بذلك عدت الرحلة من أبرز العوامل لبناء الحياة العلمية و الثقافية بالقيروان.

رابعا- تشجيع الأمراء و الحكام للحركة الفكرية

و هو ما عبر عنه محمد سعيد بالبلاط الذي ساهم في تشجيع الأدب و العلم، فكل ما وصلنا من تراث ثقافي و فكري لم يكن بمعزل عن البلاطات بل كان مظهرا من مظاهر مساندة أهل الأدب و العلم للسلطة بالمدح و تشجيع الحكام بالصلة و العطايا و التقرب من العلماء و الأدباء لأغراض مختلفة، وكذلك سعى حكام القيروان إلى استدراج أهل العلم و الأدب من جهة و من جهة أخرى اهتمامهم ذاتيا و بصفة مباشرة بالأدب و العلوم و الاسهام فيه بدرجة كبيرة، و من الأمثلة الكثيرة خلال عصري الولاة و الأغالبة نذكر:

1- القاضي عياض: المصدر السابق، ص54.

2- نفسه، ص60.

3- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص103.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص175.

5- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص180.

6- محمد الطالبي: المرجع السابق، ص42.

1- عصر الولاية:

لقد ذكرت المصادر صفات الأدب و العلم لبعض الأمراء و الولاية إلى جانب حسن السيرة، و يعتبر أبو المجاهد جردينار أول الأمراء العلماء الذين مسكوا بزمام السلطة في مدينة القيروان، ويقول عنه ابن عذارى: "كان خير أمير و خير وال و ما زال حريصا على دعاء البربر إلى الاسلام حتى أسلم بقية البربر على يديه، و هو الذي علم أهل افريقية الحلال و الحرام"¹. و كذلك تنطبق صفة الأمير العالم على ابن الحبحاب الذي كان رئيسا نبيلا و كان بليغا و حافظا لأيام العرب و أشعارها و وقائعها و أخبارها، و كان يقول الشعر²، و كان أول الأمر كاتباً³. و هناك إشارة ليزيد بن حاتم المهلبى الذي أرسله أبو جعفر المنصور في ستين ألفا لنصرة القيروان سنة 155هـ / 771م⁴، و قد ساهمت حالة الاستقرار النسبي و الظرفي لفترة حكم العائلة المهلبية بدور فعال في تنشيط الحركة الثقافية، كما يعبر عن ذلك ابن عذارى: "و تهدنت افريقية ليزيد بن حاتم و ضبطها و قد جدد بناء المسجد الجامع بالقيروان سنة 157هـ / 773م، و كان حسن السيرة بافريقية..امتدحه كثير من الشعراء فأجزل لهم العطاء"⁵، و كان هذا الأمير من أكبر مشجعي الأدب و الشعر و أصبح بلاطه مركز استقطاب للشعراء و النحويين من مدرستي الكوفة و البصرة⁶، و قد كان هؤلاء الشعراء و غيرهم من أهل اللغة يتوافدون على القيروان و يعودون إلى المشرق، و رغم عدم اعتبارهم يمثلون الثقافة الافريقية في تلك الفترة فإنهم ساهموا بلا شك في الاشعاع الذي تميزت به الفترة المهلبية على مستوى الحياة الثقافية و ساهموا في نشر اللغة العربية و آدابها بين أهل البلاد⁷.

1- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص48.

2- الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص107.

3- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص51.

4- نفسه، ص76.

5- نفسه، ص- ص 79 - 81.

6- هشام جعيط: تاريخ تونس في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص79.

7- نفسه، ص79.

2- عصر الأغالبة:

أصبحت القيروان من أهم مراكز الإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي¹، كما انتهت الحياة داخل المدينة على النمط الشرقي في إطار تقليد الأغالبة للعباسيين من خلال ما برز من نمط معين للحياة، حياة البلاط²، و تأسيس بيت الحكمة و التسامح النسبي تجاه الاتجاهات الفكرية السائدة، ثم محاولة إرضاء الفقهاء و العلماء بحضور الأمراء الأغالبة لمسجد القيروان³.

فالبلاط الأغلبي شبه البلاط العباسي، و قد غصت قصور الأغالبة بالغلما و الجوارى و أهل الأدب⁴، و قد ساهم البلاط في تنشيط الحياة الثقافية بصفة عامة، لسيما على المستوى الأدبي و الفني الفني كما تقدم ذكره، و رغم أن كبار الشعراء كانوا ملازمين للخلفاء العباسيين في قصورهم و لم يغاروا بالقدوم إلى القيروان، فإن لهذه المدينة شعراءها و إشعاعها الثقافي، و رغم عدم وجود دواوين لشعراء القرن الثالث، فإن كتب الطبقات تحمل في طياتها عينات هامة من الانتاج الأدبي القيرواني و خاصة في ميدان الشعر الذي كان مميزا في الحضارة العربية هوية و احترافا⁵.

و أخبرتنا المصادر عن شغف أمراء بني الأغلب بأخبار الأولين كما روى أبو العرب: "كان أمراء بني الأغلب يرسلون إلى إسحاق الملقبون فيكون عندهم من رمضان فيحدثهم بتلك العجائب حتى يقطع بهم طول النهار، و كذلك نجد بعض الأمراء من بني الأغلب الذين اهتموا بالعلم و الأدب و يذكر الرقيق أن ابراهيم بن الأغلب كان فقيها دينيا، عالما، شاعرا، خطيبا، و كان كثير الطلب للعلم و الاختلاف إلى الليث بن سعد الفقيه⁶، و إلى جانب ذلك كان ابراهيم بن الأغلب يستقبل الشعراء

1- محمد الطالبي: تاريخ تونس، المرجع السابق، ص158.

2- حسن حسيني عبد الوهاب: وقات، المرجع السابق، ص67.

3- محمد طالبي: تاريخ تونس في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص102.

4- الحبيب الجنحاني: المرجع السابق، ص152.

5- محمد الطالبي: تاريخ تونس في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص143.

6- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص214.

الباب الثالث ————— الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

الشعراء و يسمع منهم و يصلهم كما ذكر عياض¹، كما أن بعض الأمراء كانوا من مفتونين بحب الشعر والأدب مثل أبي العباس محمد الأول، إلى جانب ذلك تميز بعض الأمراء بإتقان اللسان اللاتيني مثل ابراهيم الأصغر و ابنه عبد الله الثاني و زيادة الله الأخير².

خامسا- دور مدينة القيروان في تطوير الحركة الفكرية و الثقافية

إن من أبرز المدن التي اعتبرت قلاعا للفكر و الحضارة في بلاد المغرب القيروان، حيث ارتبط دورها الفكري و الثقافي بالمؤسسات الدينية، و في مقدمتها المسجد الذي كان يؤدي وظيفة التعليم إلى جانب وظيفته الأصلية و هي العبادة، و يعتبر المسجد الجامع أول معلمة دينية و حضارية بالمغرب الاسلامي، أسهم في إقامة قواعد و مبادئ الدين الاسلامي و نشر الثقافة الاسلامية في ربوع المغرب حتى قيل: " لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعاً له مدينة"³.

إن سمعة و شهرة القيروان ارتبطت بمكانة هذا المسجد الجامع الذي تخرج منه علماء و فقهاء تجاوزت سمعتهم حدود المغرب، فهو منارة العلم في المغرب و الأندلس⁴.

استقر بالقيروان أكبر العلماء من أمثال أبي أيوب سليمان بن يسار، من رواة الإمام مالك، ولغويون مثل الطرماح و عياض بن عوانة⁵، و في هذا السياق قال عنها عبد الواحد المراكشي: "كانت القيروان... دار العلم بالمغرب، إليها ينسب أكبر علمائهم و إليها كانت رحلة أهله في طلب العلم"⁶، حيث التقت فيها مختلف المذاهب ثم ما لبثت أفكارها أن انتشرت في ربوع المغرب والأندلس، فكانت إذن القيروان بوابة العلم إلى المغرب كله.

و هناك مدن أخرى لا تقل أهمية عن القيروان في الاسهام الثقافي و الفكري منها: مدينة تونس حيث ارتبط دورها بجامع الزيتونة الذي اعتبر جامعة علمية إلى جانب دوره في تعليم و نشر

1- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص19.

2- حسن حسيني عبد الوهاب: وراقات، المرجع السابق، ج1، ص200.

3- أنور الرفاعي : المرجع السابق، ص358، محمد عليلي: المرجع السابق، ص47.

4- عمر رضى كحالة : المرجع السابق، ص61.

5- محمد طالي : الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص47.

6- عبد الواحد المراكشي : المعجب، المصدر السابق، ص255.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

العلوم الشرعية، درس فيه كبار الفقهاء و العلماء، و يفهم من دلالة اسمه أن هذا الجامع ينير المغرب بنور و هدى الاسلام¹.

و مدينة طبنة التي اشتهرت بعدد كبير من العلماء خاصة في الفقه و الأدب، تخرج أكثرهم على يد سحنون منهم النعمان بن المنذر من مجانة و علي بن السبار قاضي ميلة و تلميذ سعيد بن الحداد²، و ابراهيم الطبني، و أحمد بن فروخ الذي عاصر الغزو الشيعي للقيروان³.

و مدينة سوسة التي احتوت على معالم دينية حيث بني فيها مسجد يعرف بأبي فتاة، ما بين سنتي 232 - 226هـ / 838 - 841م، و مسجدها الجامع سنة 236هـ / 850م في عهد الأمير الأغلبي أبي العباس⁴.

كما أن مدينة صقلية التي فتحها الأغالبة أضحت إحدى أهم مراكز الاشعاع الفكري، ولعل اختيار الفقيه أسد بن الفرات قائدا على رأس الحملة التي فتحتها له دلالة العلمية إذ سرعان ما انتشر فيها الاسلام و بنيت فيها الجوامع مثل جامع بلارمو عاصمة صقلية⁵.

1- إحسان حقي: المرجع السابق، ص53.

2- المهدي بوعبدلة : مراكز الثقافة و خزائن الكتب بالجزائر، مجلة الأصالة، العدد 11، أبريل 1972، ص40.

3- محمد الطمار : الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1983، ص88.

4- عبد العزيز سالم : المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص443.

5- عمر رضى كحالة : المرجع السابق، ص80.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

المبحث الثاني: عوامل ازدهار الحركة الفكرية و العلمية في تيهرت

لقد تضافرت عدة ظروف سياسية و اقتصادية و اجتماعية إضافة إلى جهود الأئمة الرستميين

أنفسهم في النهضة الثقافية و الثراء المعرفي نذكر على سبيل المثال:

أولاً- تشجيع الأئمة الرستميين للحركة الفكرية

مما لا شك فيه أن الطابع الذي كان غالباً على الأئمة الرستميين زهدهم في شؤون الحياة الدنيا، وعدولهم عن شهواتها و ملذاتها، حيث كان همهم الوحيد هو الظفر بمرضاة الله تعالى، لذلك كانت عنايتهم الكبيرة بالعلوم خاصة الدينية منها¹.

و لذا فقد بذل الأئمة الرستميون جهودهم في سبيل تنشيط الحركة الفكرية و العلمية في ربوع دولتهم من تشييد للمساجد و الدور العلمية و جلب الكتب من المشرق، فكان لاهتمامهم أثر في تفعيل المجال العلمي²، كما اهتمت أيضا الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم والآثار، و لعل من أشهر مكتباتها، مكتبة المعصومة التي كانت تحوي آلاف من المجلدات والكتب، قدرها الباحثون بثلاثة آلاف مجلد³، فمن بين ما كانت تحويه، كتب الحرف والفنون الدينية و الدنيوية⁴، و لعل تسامح الأئمة هو الذي زاد و أفاد توسع النطاق المعرفي، وأصبحت بهذا تيهرت توازي القيروان حاضرة العلم⁵، حيث أنهم كرسوا حياتهم للعلوم و شرائها و نشرها في كل طبقات

1 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص111.

2 - معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

3 - المعصومة: ربما يكون قد أطلق عليها هذا الإسم لقرابها من القصة التي كانت مشرفة على السوق المسماة المعصومة، البكري، المصدر السابق، ص66، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص8، مهنا السعدي: الدولة الرستمية دولة جهلها التاريخ، على موقع www.FRWLA.com، نظر يوم، 11-02-2006، 10:45.

4 - موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي، مكتبة المعصومة، هل أحرقت؟ أم نقلت عيونها إلى سدراتة في حوار بني وارجلان؟ مجلة الأصالة، العدد 44، وارجلان، 1977م.

5 - صالح باجية: المرجع السابق، ص57، و قد تحدث عنها ابن حوقل فقال: "فكانت القيروان أعظم مدينة بالمغرب و أكثرها تجراً وأموالاً و أحسنها منازل و أسواقاً، و كان فيها ديوان جمع المغرب و إليها تجنى الأموال و بها دار سلطانتها و بظاهرها المكان المدعو رقادة كانت منازل لآل الأغلب"، ابن حوقل: المصدر السابق، ص96، خاصة الدور الذي لعبه مسجدها الجامع حيث قيل: "لم يبن عقبه مدينة لها جامع بل بنى جامعاً له مدينة"، أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته و نظمه، دار الفكر، ط2، دمشق، 1982، ص358.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

المجتمع، و ذلك بشجعهم على طلب العلم، حتى وصل بهم الأمر إلى لتدريس بأنفسهم في جامع تيهرت و بجبل نفوسة¹، حيث أنه كان من بين الشروط التي تؤخذ بعين الاعتبار عند اختيار الإمام، و مبايعته أن يكون عالما ورعا²، و هذا ما لمسناه من أغلب الأئمة الرستميين لا سيما الأولين منهم. فالإمام عبد الرحمن بن رستم كان قد أخذ العلم من المشرق، و اعتبر من حملة العلم كم ذكرنا³، وكان له من العلم الغزير، حيث قال عنه أحد معاصريه: "لا أعلم من يخرج مسائل الدماء، أهل القبلة في زماننا إلا عبد الرحمن بن رستم بالمغرب كما كان سمحا غير متشدد في الدين"⁴، بارعا في علوم الدين و اللغة و الفلك، و كان محبا للعلم فأقبل على التأليف على قلة ما كان يجده من الوقت، فصنف كتابا في التفسير⁵، هذا الذي تنافس عليه الإباضية الوهبية و النكارية على اقتنائه، ذلك لأن الكتاب هو لأول إمام لم يقع عليه الاختلاف، و تولته الطائفتان معا، أما كتابه الثاني فقد جمع في خطبه التي كان يلقيها و ما أسهم به ذلك في نشر الدين و الفقه و الثقافة⁶، ليليه فيمات بعد بعد ابنه الإمام الرستمي الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن (171-208هـ)، والذي سار على خطى أبيه، فكان عالما يلقي دروسا في مساجد جبل نفوسة⁷.

1 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص574.

2 - معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص26.

4 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص265.

5 - محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبد التاريخ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، ص- ص34-36، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص574، و رغم أن البرادي و موتلنسكي يذكران عبد الرحمن ألف شرحا للقرآن، و قد اختفى هذا الشرح و هو أقدم شرح للقرآن ذكرته الآثار الأدبية الإباضية، إلا أن ابن الصغير يذكر أن عبد الرحمن لم يكن له كتاب معروف من تأليفه، تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في افريقيا الشمالية، ترجمة رما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت2000، ص38-39.

6 - مهنا السعدي: المقال السابق، في الموقع الإلكتروني السابق.

7 - بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و من المؤلفات التي نسبها إليه ابن الصغير هي نوازل¹ نفوسة الجبل، و يضيف ابن الصغير أن هذا الكتاب كان في أيدي الإباضية، مشهورا عندهم، معلوما يتداولونه قرنا بعد قرن، و قد كان هذا الإمام يبعث بالأموال إلى العراق لشراء الكتب، و لا يمل قراءتها شتاء أو صيفا².

أما الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ) فيعتبر عهده من أزهى عصور الدولة الرستمية ثقافة و فكرا، و رخاء اقتصاديا، فقد كان قبل توليه الإمامة يقعد بين يديه ثلاث حلقات في علم الفقه و الكلام و اللغة³، و له أجوبة و نوازل تخص المسائل الفقهية، حيث نقل عنه عنه العديد من المؤرخين أمثال أبي زكرياء في الحديث و الشعر و غيرهم⁴، فأصبح من العلماء المشهورين، و انفرد بأقوال في علم الكلام، و اعتبر من أجلها إماما، كما بلغ مبلغا في حساب الغبار، و النجامة، كما حث على دراسة الكتب حيث قال: "عليكم بدراسة كتب المسلمين، لا سيما كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل"⁵، و الإمام محمد بن أفلح بن عبد الوهاب الذي قال عنه الدرجيني: "فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدلون أيامه و سيرته إلا بأيام جده عبد الرحمن و سيرته، و ذلك أنهم اتخذوا مجلسه حينئذ كالمسجد، فطائفة يصلون و طائفة يقرأون الكتاب، و طائفة يتذاكرون في فنون العلم... و له تأليف في الرد على أهل الخلاف لا يشق فيها غباره"⁶.

1 - هي التي تنزل على العباد مما ليس لهم عهد من كتاب الله، و لا سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فيسرع لهم الجهاد بين مخطئ و مصيب، و الكل محمول عنهم، أو مسائل نفوسة، يجيب فيه عن 300 سؤال، ابن الصغير: المصدر السابق، ص45، هامش ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص267، ذكر المخطوطة رقم تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص42.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص162، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج3، ص272-273، تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص نفسها.

3 - الوسياني نقلا عن تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص143، و سنتطرق للعلوم في الحياة الفكرية.

4 - بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص242، و لقد نحا نحو أبيه الإمام عبد الوهاب و ألف كتابا سماه "جوابات الإمام أفلح"، محمد عليلي: المرجع السابق، ص84.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص81.

6 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص83-84.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

أما عهد الإمام أبي بكر الرستمي، فيبدو أنه كان عهد شعر و أدب، حيث ذكر عنه ابن الصغير أنه كان يحب الأدب و الأشعار و أخبار الماضين، وكان يحب اللذات و يميل إلى الشهوات¹، كما كان مشهورا بعلمه، فقد ألف عدة كتب ليحجب المخالفين² و يدافع عن دينه و يرد على الفرق في مقالاته³.

فكان يحثهم على الاهتمام بالأدب و الشعر و التاريخ، أضف إلى ذلك جعلهم اللغة العربية لغة رسمية⁴ فاعتبروها لسان الدولة الرستمية، و ما دل على ذلك تلك الرسائل التي كان يعثها الأئمة الرستميون إلى الأئمة البربريين في الحث على الطاعة و التمسك بالدين، و عقود ولايتهم لعمال طرابلس، و بالتالي كانت اللغة الرسمية، و لسان علومهم و آدابهم أيضا⁵، و أسلوبا لمناظرتهم⁶، ولذلك لشيوع المذاهب في تلقيح الأفكار و خدمة أدباء الإباضية حيث كانت هذه الأخيرة تتمتع بجرية فكرية، و كانت لكل فرقة مسجدها و علماءها و حلقات دروسها⁷.

ثانيا- تيهرت و دورها في الإشعاع الفكري

ارتبط إنشاء المدن في المغرب الإسلامي منذ بداية الفتح على غرار مدن المشرق بالإطار التنظيمي للمجتمع الإسلامي، فقد عبرت عن قالب حضاري و فكري للدول التي نشأت في المغرب فشكلت منظومة اجتماعية اقتصادية ثقافية متكاملة⁸.

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص82، يقول جودت عبد الكريم أنه كان شغوبا باللغة و الأدب، جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص107.

2 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص112.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص81.

4 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص371.

5 - مبارك الميلي: المرجع السابق، ص77.

6 - تكون المناظرات بين فقهاء الفرق المختلفة، و تكون متمسة باللياقة و الملائفة، تخاض فيها مسائل مذهبية و دينية، و كان يحكمهم شيخ إباضي متطلع في اللغة العربية و القرآن و الحديث و علم العقائد و التاريخ، و غالبا ما يتحول إلى صراعات، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص113.

7 - محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص- ص 124-159.

8 - محمد علي: المرجع السابق، ص45.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

إن المدن المغربية عامة و تيهرت خاصة و التي شيدت على الأسس المادية و الفكرية للحضارة الإسلامية¹، لعبت دورا كبيرا في إثراء الثقافة و الفكر الإسلاميين، فقد ظلت زمنا طويلا كمراكز لإنتاج علمي و فكري غزير في ظل مؤسسات علمية و دينية زحرت بها المدن المغربية، ومن أبرز المدن التي قادت هذا الدور الفعال في بلاد المغرب، تيهرت التي عرفت توسعا عمرانيا كبيرا، خاصة في عهد الإمام أفلاح بن عبد الوهاب²، فقد أصبحت مقعدا للعلماء و الفقهاء والأدباء بمختلف أفكارهم المذهبية، فكان شأنها كبيرا بين المدن الإسلامية الأخرى، و ما مقارنتها بحواضر العالم الإسلامي في هذه الفترة إلا دليل على المكانة التي بلغت في مجالات في مجالات عدة و خاصة الثقافية، فقد شبهها بعض المؤرخين بقرطبة و دمشق و بغداد³.

إن مدينة تيهرت لم تكن فقط العاصمة السياسية للرستميين، بل كانت عاصمتهم الثقافية والحضارية، و من أكبر المؤسسات الثقافية و العلمية في تيهرت مسجدها الجامع و هو ثاني معلمة دينية وحضارية في المغرب الإسلامي بعد القيروان، و الذي كان بمثابة مدرسة الإباضية⁴، ليس فقط لإباضي الدولة الرستمية بل لمعتنقي هذا المذهب من كل مكان لدور و اهتمام أئمتهم في إنشاء الفقه الإباضي وتطويره، دون أن ننسى دور مكتبة المعصومة التي جسدت جهود أئمة الدولة الرستمية وحققت مساعيهم في تحويل حضرة دولتهم إلى مركز إشعاع فكري يضاهي لا بل ينافس المراكز الثقافية الأخرى في العالم الإسلامي في زمانها⁵، خاصة و أن الأئمة الرستميين قاموا بتزويد مكتبتهم

1 - محمد حسين سليمان: التراث العربي الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص57.

2 - إحسان عباس: المجتمع التاهري في عهد الرستميين، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، المجلد1، 1977، ص126.

3 - عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية (دراسة في الهوية و الوعي)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1984، ص79.

4 - سليمان داود بن يوسف: مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية و تركيزها، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، م1، ص82-83.

5 - محمد علي: المرجع السابق، ص51.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

بأمهات الكتب و نفائسها، فكانت عامرة بمختلف ألوان الأدب و فروع العلم، وما يفسر ضخامة الكتب التي حوتها أنه قيل أنها قدرت ب300 ألف مجلد¹ في شتى صنوف العلم والأدب.

إن موقع تيهرت الوسطي في المغرب الإسلامي جعلها ملتقا تجاريا و علميا و مذهبيا، فقد توافد عليها عدد كبير من الناس إما لغرض الإقامة الدائمة أو ارتحالا طلبا للعلم، كما كانت التجارة وما توفره من مكاسب عاملا مهما في الترحال إليها، فقد سكن تيهرت أهل المشرق والقيروان و من الأندلس، فضلا عن بعض المسيحيين و حتى اليهود²، و بما أن أصول الدول التي تأسست في المغرب كانت عربية، فقد حرص أمرائها و أئمتها على تنشيط حركة التعريب³، و قد واكب انتشار اللغة العربية، التعريب الجنسي⁴، وهو يعني استقرار القبائل العربية في المدن و بناء مدن حديثة انصهر فيها العنصر العربي و البربري في مجتمع واحد ولاءه للعقيدة أو المذهب الديني الذي ينتمي إليه، كما أن ازدهار التجارة في المدن ترتب عنه تحول في البنية الاجتماعية فقد شهد القرنان الثاني و الثالث الهجريين⁵، انتقال قبائل بدوية إلى المدن و هو انتقال من البداوة إلى التحضر، ما يعني زيادة فرص تعلم العربية بين هذه القبائل.

إن المدن المختلطة⁶ التي يسكنها العرب و البربر و التي أسهمت في نشر العربية بشكل واسع، واسع، فالبربري المسلم كان يرى لزاما عليه تعلم العربية حتى يفهم دينه، فالإسلام إذا هو الحافز الذي دفع البربر إلى الإقبال على تعلم اللغة العربية، فضلا على أن اكتساب العلم و الثقافة في ذلك العصر يتطلب معرفة اللغة العربية.

1 - عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص86، عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص60.

2 - محمد علي: المرجع السابق، ص60.

3 - عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص77.

4 - شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، لبنان، 1981، ص- ص157-160.

5 - عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص77.

6 - نفسه، ص نفسها.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

و ما يمكن قوله هو أن المدينة تيهرت و حواضر أخرى كالقيروان و فاس كانت بوثقة انصهرت فيها عناصر الإشعاع الحضاري و هو ما يعني النهضة¹.

ثالثا- تعايش المذاهب و الفرق الدينية في المدينتين

كان المغرب الإسلامي تربة خصبة لاحتضان و نمو الفرق و المذاهب الدينية و الإسلامية التي نشأت في المشرق، و تسربت إلى المغرب في فترات مختلفة، إما نتيجة صراعات جعلت زعماءها يفرون بأفكارهم لبثها في أوساط البربر أو نتيجة وفود العلماء و الفقهاء القادمين من المشرق خاصة في عصر الولاة².

إن المتتبع لتاريخ المغرب الإسلامي يجد أنه معلم من معالم الحضارة الإسلامية أو يظهر له هذا جليا في الحياة الفكرية بمختلف اتجاهاتها لا سيما منها الدينية و المتمثلة أساسا في المذاهب الإسلامية بمختلف أنواعها السياسية و العقائدية من خوارج و شيعة و معتزلة و الفقهية من حنفية و مالكية و شافعية و حنبلية، اختفت في غالبيتها من حواضر المغرب الإسلامي، و بقي منها راسخا المذهب المالكي.

و قبل معرفة ما دور الاختلاف المذهبي من إثراء الجانب الثقافي و الفكري، و هل كان هناك صراع أو حوار مذهبي؟ يجب علينا أن نقف على نشأة هذه المذاهب و الفرق الإسلامية، والتي كان لها بدون شك أثر بارز في المغرب الإسلامي سياسيا و ثقافيا، و منها المذاهب الفقهية أو السنية والفرق الدينية.

R.Cornevin : op.cit, p265.

- 1

2 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص58.

1- المذاهب السنية¹:

نشأت المذاهب السنية الأربعة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، إلا أن المغرب تأثر أكثر بالمذهب المالكي و الحنفي.

- **المذهب المالكي**: نسبة إلى الإمام مالك بن أنس²، و هو من وضع أصولاً للمذهب و هي الكتاب والسنة و الإجماع و القياس، و عمل أهل المدينة و قول الصحابة و الاستحسان³.

و قد نال الإمام مالك من ثناء العلماء⁴، ما لم ينله عالم قبله حيث يقول عنه شيوخ من أهل المدينة: "ما بقي على ظهرها - يعني الأرض - أعلم بسنه ما فيه و لا بقية منك يا مالك"⁵.

خلف الإمام مالك عدة مؤلفات و رسائل و مصنفات في مقدمتها الموطأ⁶ و المدونة التي ألفها الفقيه عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون⁷ (160هـ/240م)، و هي عبارة عن مجموعة

1 - المذاهب السنية المشهورة في الفقه هي: المذهب المالكي اتبعه بصفة خاصة أهل المغرب الإسلامي، المذهب الشافعي اتبعه أهل مصر، الحنبلي اتبعه أهل الشام و بغداد و المذهب الحنفي، أتبعه أهل الهند و الصين و خراسان...، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 496-497.

2 - مالك بن أنس: هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث يقول عنه ابن فرحون: "كان طويلاً جسماً، عظيم الهامة، شديد البياض يميل إلى الصفرة، حسن الصورة"، ابن فرحون إبراهيم بن علي: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق برهان الدين إبراهيم، مطبعة الفحامين، مصر، 1351هـ، ص18، الزرقاوي: موطأ مالك، دار الجليل، بيروت، ج1، ص02.

3 - شهاب الدين عبد الرحمن: إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، ب.ط، المكتبة الثقافية، لبنان، ب.ت، ص74.

4 - ابن فرحون: المصدر السابق، ص20، محمد أبو زهرة: مالك بن أنس، المرجع السابق، ص66، الزرقاوي: المرجع السابق، ص4.

5 - ابن فرحون: نفسه، ص22.

6 - قيل سمي بالموطأ لأن الإمام مالك على بضعة عشر تابعياً، و كلهم واطئوه على صحته، ينظر بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص59.

7 - هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، أصله من الشام و هو مفتي القيروان و قاضيها، أخذ عن أبي القاسم وابن وهب و أشهب، ينظر أبي الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي: شذرات المذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، 1979، ط2، ج2، ص12، أبو العرب التميمي: المصدر السابق، ص83، بن محمد بن مخلوف، المصدر نفسه، ص69-

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

رسائل جمعها أسد بن الفرات¹، ما سمعه من مالك في الموطأ و كانت تسمى الأسدية² و جمعها ابن القاسم أحسن تلاميذ الإمام مالك³.

انتشر المذهب المالكي انتشارا واسعا، و قد أخذ به أهل المغرب حتى أصبح مذهبا مميذا لهم منذ القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا، و انتشر مذهب مالك بالمغرب الإسلامي جاء نتيجة جهود تلامذته منهم: الليث بن سعد المتوفي 165هـ/783م⁴ و عبد الرحمن بن القاسم المتوفي سنة 191هـ/806م⁵ و عبد الله بن وهب المتوفي سنة 197هـ/812م⁶، و أشهب بن عبد العزيز القيسي المتوفي سنة 204هـ/819م⁷ سنة 213هـ/828م⁸ في صقلية⁹ الذي جمع بين المذهبين الحنفي و المالكي.

- 1 - أسد بن الفرات: ولد 145هـ، و توفي سنة 214هـ، يكتب بأبي عبد الله مولى بني سليم، من أصل خرساني، رحل إلى المشرق، سمع من مالك موطأه، ينظر، أبو العرب: المصدر نفسه، ص- ص 81-83، بن مخلوف، نفسه، ص62.
- 2 - الأسدية نسبة إلى أسد بن الفرات، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص458.
- 3 - أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، ص27، عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص نفسها.
- 4 - و هو من أصحاب مالك محدث استقل بالفتوى في مصر، له كتاب "مسائل في الفقه"، ينظر، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة و النشر، 1958، ج7، ص517، ابن الجوزي، ذكر أن وفاته كانت سنة 175هـ، و كذلك ابن قنفذ القسنطيني، ينظر ابن الجوزي: صفوة الصفوة، المجلد2، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992، ص458 و ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس بن الخطيب: كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة، دار النشر، بيروت، 1982، ص139، و كذلك النديم: الفهرست، ضبط و شرح يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص339.
- 5 - و هو الذي راجع كتاب المدونة مع قاضي القيروان سحنون بن سعيد التنوخي، أحمد فراج حسين: المرجع السابق، ص194.
- 6 - محمد مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص138، ينظر، ابن القيم الجوزي: المصدر السابق، 1992، ص459، و أيضا أيضا ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق، ص153.
- 7 - محمد مصطفى الشكعة: نفسه، ص141، ابن قنفذ القسنطيني: نفسه، ص147.
- 8 - الدباغ: المصدر السابق، ص255، عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص203.
- 9 - صقلية: جزيرة عظيمة تحادي بلاد إفريقية، ينظر، القيسي الغرناطي: المصدر السابق، ورقة رقم 5.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

لقد كان أول تواجد للمذهب المالكي بمنطقة تيهرت، في عهد عبد الرحمن بن رستم (144-168هـ) لأن عصره تميز بسيادة التعايش الفكري و تنوع المذاهب و المساجد، فهذا مذهب البصريين والقيروانيين الذين ينتمون للمذهب المالكي¹.

و قد كان لهذا التواجد مظاهر فيما بعد، تجسدت في مجموعة من العلماء الذين مثلوا المذهب المالكي و منهم: ابن الصغير الذي تذكر المصادر عنه الكثير، إلا أنه عاش بتيهرت في العصر الرستمي الأخير في فترة أبي اليقظان بن أفلاح (242-281هـ)²، كشيخ من شيوخ المالكية، ولم يقف ابن الصغير موقف عداء من الإمارة الرستمية بالرغم من مخالفاته للمذهب الإباضي، و قد كان له دور في نشر الفقه المالكي، و تجلّى في محاوراته و مناظراته المذهبية مع رؤساء الإباضية والمعتزلة خاصة في المسائل الفقهية³، وبكر بن حماد بن سهل بن أبي اسماعيل الزناقي، إمام فقيه عالم بالحديث⁴، نشأ بتيهرتن و برز دوره في نشر المذهب المالكي، من خلال رحلته إلى المشرق 217هـ، فاجتمع بعلمائه وسمع الحديث منهم ثم عاد إلى القيروان، و سمع من سحنون و غيره⁵، و تصدر للعلم بجامعة الكبير، الكبير، فرحل إليه أهل إفريقية والأندلس⁶.

إن إقبال أهل المغرب على هذا المذهب يعود خاصة إلى رحلة طلب العلم و التي كانت وجهتها في معظمها إلى الحجاز أي المدينة و ميلهم إلى الحجاز يفسره ابن خلدون بكون البداوة كانت غالبية عليهم، والحجاز أنسب لبداوتهم⁷، فأخذوا الكثير عن شيوخها و فقهاءها.

1 - قادة سبع: المرجع السابق، ص45.

2 - رايح بونار: المرجع السابق، ص37، و داد القاضي: المرجع السابق، ص233.

3 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص20.

4 - بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص72.

5 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص120.

6 - مبارك محمد المليي: المرجع السابق، ج2، ص86.

7 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص431.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

- المذهب الحنفي: ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت من أصل فارسي¹، ولد بالكوفة سنة 80هـ/700م، و توفي بها سنة 150هـ/768م، لقب بالإمام الأعظم². اعتمد الإمام أبو حنيفة في منهجيته على القرآن و السنة أولا ثم أقوال الصحابة و القياس³ و الاستحسان⁴، أي إعمال الرأي إذا لم يجد نصا في القرآن و السنة، كما اعتمد على الفقه التقديري أو الافتراضي أي استنباط الحكم لأحداث أو وقائع يحتمل وقوعها في المستقبل⁵، و كان يرى أن أقوال فقهاء الصحابة، حجة تقدم على القياس، و هذا ما كان يراه و يأخذ به الإمام مالك، غير أن الشافعي خالفهما، و ذهب إلى أن الحجة في أقوال المعصوم وهم غير معصومين⁶.

انتشر المذهب الحنفي في مناطق واسعة من العالم الإسلامي و منها بلاد المغرب في عهد الدولة الأغلبية⁷، حيث كان أمراؤها مرتبطين اسما و مذهبا بالعباسيين، لكن الرعية اعتنقت المذهب المذهب المالكي الذي ترسخ في عهد الفقيه سحنون الذي أثر تأثيرا بالغا في دولة الأغلبة و أمرائها الذين عرفوا مكانتهن فولوه القضاء سنة 234هـ فلم يتعرضوا له في أمره و نهيته، و لو كان ذلك ضد مصالحهم، و هذا ما يعلل غلبة المذهب المالكي بالمغرب و تمسك أهل هذه البلاد به، لأن سحنون بتوليه القضاء قام بتفريق حلقات جميع المخالفين و منع الفتوى بغير مذهب مالك⁸.

- 1 - محمد اسماعيل ابراهيم: المرجع السابق، ص45.
- 2 - أحمد فراج حسين: تاريخ الفقه الإسلامي، الدار الجامعية، القاهرة، 1989، ص168.
- 3 - يقصد به إلحاق أمر غير منصوص على حكمه، بأمر منصوص على حكمه، ينظر محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، الإسلامية، المرجع السابق، ص417.
- 4 - و هي مصلحة لم يشهد لها من الشرع، لقب معين بالبطلان و حل النزاع في العمل بما إذا عارضت دليلا آخر من نص أو قياس، ينظر، أبو زهرة: المرجع نفسه، ص418.
- 5 - مصطفى محمد الشكعة: المرجع السابق، ص1661.
- 6 - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب، المرجع السابق، ص417.
- 7 - أحمد أمين: المرجع السابق، ج1، ص293.
- 8 - أبو العرب: المصدر السابق، ص83، بن محمد بن مخلوف: المصدر السابق، ص69، كمال السيد مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل فتاوي المعيار المغرب للونشريسي، مركز الإسكندرية، مصر، 1996، ص14.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

و هو العامل الذي أدى إلى تراجع نفوذ المذهب الحنفي في بلاد المغرب، كما أن اتصال أصحابه بالمعتزلة حسم الموقف لصالح المالكية، و جعل الأمراء الأغلبية يخضعون للرأي العام، فيجبرون إلى تعيين قضاة القيروان من الفقهاء المالكيين¹، و هو ما جعل العلاقة بين الأحناف و المالكية في القيروان تشهد تنافسا حادا²، و قد تواجد الأحناف أيضا في تيهرت منذ إمامة عبد الرحمن بن رستم، رستم، و كان غالبيتهم من أهل الكوفة حتى أنهم بنوا مسجدا خاصا بهم يسمى مسجد الكوفيين³. ساد المذهب الحنفي بلاد المغرب إلى حوالي 400هـ/1900م و انقطع على يد المعز بن باديس⁴، و فقهاء المالكية الذين رسخوا الفقه المالكي بالمنطقة⁵.

2- الفرق الدينية: و كان منها:

أ/ الخوارج⁶

ب/ الشيعة:

الشيعة في مدلولها اللغوي تعني: القوم و الأتباع و الأعوان و الأنصار⁷، و يقال شيعة الرجل أي أتباعه و أنصاره، و يقال تشايح القوم أي صاروا شيعا، و كل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي

1 - شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص65.

2 - رابح بونار: المرجع السابق، ص84.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص13.

4 - هو المعز بن باديس بن المنصور، ولد بالمنصور، سنة 398-454، و لما توفي أبوه أخذت البيعة في 407هـ، و لما كانت سنة صغيرة ثمان سنوات، مارست المهام بدلا منه عمته السيدة ملال، و قد بلغت في أيامه حضارة المغرب أوجها، ينظر، ابن أبي دینار: المصدر السابق، ص81، ابن عذارى: المصدر السابق، ص267، اسماعيل العربي: دولة بني حماد، المرجع السابق، ص158.

5 - رابح بونار: المرجع نفسه، ص نفسها.

6- لقد سبق الحديث عن الخوارج في الفصل التمهيدي

7 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص206.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

بعض فهم شيع، و قوله تعالى: ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾¹، أي بأمثالهم من الأمم الماضية².
أما مدلولها الاصطلاحي فهو مرتبط أساسا بأطوار نشأتهم، و مراحل تطور مبادئهم لأن أفكار وعقائد الشيعة في تطور و تغير مستمر³، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده، فتعريف الشيعة في الصدر الأول: أنهم الذين يقدمون عليا على عثمان⁴ فقط، لهذا ذكر ابن تيمية: أن الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي - كرم الله وجهه - كانوا يفضلون أبا بكر و عمر⁵، ولهذا ولهذا سمي الطاعنون على الشيخين بالرافضة⁶ لأنهم لا يستحقون وصف التشيع⁷، و يقول الذهبي بضربين من التشيع، تشيع أصغر أو بدعة صغرى كالتشيع بلا غلو، و بدعة كبرى كالرفض الكامل و الغلو فيه، فالشيعي الغالي في زمان السلف هو من تكلم في عثمان و الزبير و طلحة و معاوية و طائفة ممن حارب عليا - كرم الله وجهه - و تعرض لسبهم، و الغالي في زمننا هو الذي يكفر هؤلاء السادة وتبرا من الشيخين، فهذا ضال مفتر⁸.

1 - سورة سبأ: الآية 54.

2 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ج3، ص508.

3 - محمد علي الصلابي: الخوارج و الشيعة، المرجع السابق، ص95.

4 - ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، دار الرضا للنشر و التوزيع، الحيزة، مصر، 1418هـ/1998م، ج1، ص64.

5 - ابن تيمية: مجموع الفتاوى، دار الفضاء بالمنصورة، مكتبة العبيدات، الرياض، ط1، 1418هـ/1998، ج3، ص153.

6 - الرافضة: هي إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر و عمر و سائر أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم إلا القليل منهم، و تكفيرهم لهم و سبهم إياهم، و قال الإمام احمد: "الرافضة هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم يسوئهم و ينتقصونهم"، ينظر، أبو يعلى: طبقات الحنابلة، المصدر السابق، ج1، ص33، ويقول الأشعري: "أنهم سمو بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين، أي رفضهم إمامة أبي بكر و عمر"، ينظر، أبو حسن الأشعري: مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، المصدر السابق، ج1، ص89.

7 - ناصر القفاري: المرجع السابق، ج1، ص66 - 67.

8 - الذهبي: ميزان الاعتدال، تحقيق علي محمد البحايوي، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص5 - 6، ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، بيروت، 1390هـ، ج1، ص9 - 10.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

إن التشيع درجات و أطوار و مراحل، كما أنه فرق و طوائف، فقد انقسم إلى عدة فرق حسب الشهرستاني¹، و كل فرقة تشعبت إلى فرق عديدة و من أشهرها و التي كانت لها دور في المغرب الإسلامي:

- الزيدية:

و هم أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط²، الذين كانوا يفضلون عليا عن سائر الصحابة، و يتولون أبا بكر و عمر³، و هي أقرب الفرق الشيعية إلى السنة، فقد اعترفوا بخلافة بخلافة أبي بكر و عمر -رضي الله عنهما- بمبدأ جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل⁴ و هو علي -كرم الله وجهه- وهؤلاء يسمون بالإمامية⁵، و هم أبعدهم عن الغلو و الإنحراف⁶.

- الإسماعيلية:

نسبة إلى القول بإمامة اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقي بن علي زيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-، و يسمون أيضا الملحدة لما في ضمن مقالاتهم من الإلحاد⁷، و يسمون أيضا بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أي المستور⁸.
انتقل المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى المغرب بفرار إدريس بن عبد الله الفاطمي¹ و هو على مذهب الزيدية² لحق إدريس بن عبد الله بالمغرب الأقصى هو و مولاه راشد، فنزل بوليلي و بها يومئذ يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربة سنة 172هـ³.

1 - الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص147.

2 - السبط: ولد بنت و لذلك يطلق على الحسن و الحسين ابني الإمام علي بن فاطمة الزهراء، فكل منهما سبط الرسول صلى صلى الله عليه و سلم، ينظر، عبد ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 208-210، العبر، م1، ص1420.

3 - أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، المصدر السابق، ج1، ص- ص 37-66-88.

4 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص272، ناصر القفاري: المرجع السابق، ج1، ص71.

5 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص208.

6 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1420.

7 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص211.

8 - فاطمة بلهوارى: الفاطميون و حركات المعارضة في المغرب الإسلامي، دار المسك للطباعة و النشر، د.ت، ص14.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و بدأ في الإنتشار على يد الداعي أبي عبيد الله الشيعي الذي دخل ديار كتامة سنة 280هـ/893م⁴، و قد قام هذا الداعية بجهود كبيرة حتى استطاع التغلب على الأغالبة، وإخضاع ممالك أخرى بالمغرب الأوسط كمملكة بني رستم و مملكة بني مدرار، و قد عرف بالاحتساب، والمعلم، فهو المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية⁵.

لقد ضيق الشيعة الإسماعيلية على فقهاء المغرب من السنة و الإباضية على حد سواء، خاصة بعد ما تمكن الداعية الشعبي من إخضاع العشائر الكتامية و حتى بعض القبائل الأخرى مثل عجيسة و زوارة⁶، فكانوا يجبرون الناس على اعتناق المذهب الشعبي و الذي يرفض منهم يجبس أو يقتل⁷.

- المعتزلة (الواصلية):

اختلف المؤرخون في أصل التسمية من حيث دلالتها التاريخية و الاصطلاحية، فهناك من أطلق تسمية الاعتزال على الفئة التي وقفت على الحياد في الفتنة الكبرى سواء في معركة الجمل⁸، أو في معركة صفين⁹، و هناك من أرجعها إلى اعتزال قول الأمة أي أهل السنة و الجماعة، إذ اعتبروا أن

-
- 1 - مؤلف مغربي مجهول : الإستبصار، المصدر السابق، ص280، حيث لقبه بالفاطمي و كذا ابن أبي دينار الذي يسمي الأدراسة بالفواطم، ينظر، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص99، و في جمهرة الأنساب نجده "إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي كرم الله وجهه"، ابن حزم: جمهرة الأنساب، المصدر السابق، ص49.
 - 2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص210، كما يذكر بن خلدون: "كان واضح، يتشيع.."، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1428.
 - 3 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر نفسه، ص نفسها، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص210.
 - 4 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص127.
 - 5 - أبو حنيفة النعمان: رسالة افتتاح الدولة، تحقيق و داد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1970، ص71، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر نفسه، ص133، موسى لقبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979، ص- ص 231-329، فاطمة بلهوارى: الفاطميون، المرجع السابق، ص185.
 - 6 - أبو حنيفة النعمان: المصدر السابق، ص 121-122، حيث يقول: "و استولت أمور أبي عبد الله الشعبي على عامة كتامة و علب أمره عليها و لم يبق فيها إلا من يدخل دعوته، إما راغبا و إما راهبا أو مخذولا".
 - 7 - ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج6، ص158، فاطمة بلهوارى: الفاطميون، المرجع السابق، ص22.
 - 8 - للمزيد من المعلومات عن وقعة الجمل، ينظر، ابن طبطبا: المصدر السابق، ص- ص 84-86، يعقوبي: تاريخ يعقوبي، المصدر السابق، ص193.
 - 9 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص290.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

الفاسق من المسلمين لا مؤمن و لا كافر بالقول المنزلة بين المنزلتين¹، و في الفهرست يرجع التسمية إلى اعتزلهم أقوال الخوارج و المرجئة و الإباضية في صفة مرتكب الكبيرة من حيث الشرك و الكفر والنفاق و الإيمان بقولهم بأن مرتكب الكبيرة فاسق و هي الصفة التي أجمعت عليها هذه الفرق²، وقد ذهب بعضهم إلى القول بأن الاعتزال يعني الأخذ بموقف الحياد من الفتنة، فهو موقف سياسي عكس حالة دينية³، إلا أن دلالة التسمية ارتبطت تاريخياً بأبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال الأثع⁴ الأثع⁴ من خلال القصة الشهيرة و التي مفادها أن أحدهم دخل على الحسن البصري فقال له: "يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبراء، والكبيرة عندهم كفر يخرج من الملة وهم وعيدية الخوارج، و جماعة يرجئون أصحاب الكبراء، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان و لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر الطاعة، و هم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً فتفكر الحسن في ذلك و قبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: "أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً و لا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن و لا كافر ثم اعتزل في جانب من المسجد، فقال الحسن البصري اعتزل عنا واصل"⁵.

1 - حنا فاحوري و خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل، ط1، بيروت، 1993، ج1، ص140.

2 - النديم: الفهرست، المصدر السابق، ص282.

3 - D.sourd el et J.sourd el : La civilisation de l'islam classique, les edition Arthand, paris, 1983, p139.

4 - تنسب إليه الجماعة المسماة بالواصلية، و هم من المعتزلة حيث يقول الشهرستاني: "الواصلية أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال الأثع، كان تلميذاً للحسن البصري، يقرأ عليه العلوم و الأخبار، و كانا في أيام عبد الملك بن مروان، و هشام ابن عبد الملك، و بالمغرب الآن منهم شذمة قليلة في بلد إدريس بن عبد الله الحسني، الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور"، الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص46.

5 - الشهرستاني: المصدر السابق، ص48.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و ما نستنتجه أن اسم المعتزلة أطلقه فقهاء أهل السنة و الجماعة على من اشتغل بمسائل الجدل كصفات الله عز و جل، و الوعد و الوعيد لهذا أتهمهم بالخروج عن السنة، إلا أن أهل هذه الفرقة اعتبروا الاعتزال خروجاً عن الباطل و ليس خروجاً عن السنة و الجماعة¹.

نشأت المعتزلة بالبصرة حيث نشأ واصل بن عطاء² و عمرو بن عبيد المولود سنة 80هـ/699م³، وهما من تلامذة الحسن البصري المتوفي سنة 110هـ/728م⁴، ثم انتشرت في كامل بلاد العراق حيث أصبحت المدرسة الثانية للإعتزال⁵، و يقول أحمد أمين أن الفترة الممتدة من 100هـ إلى 255هـ 718م - 869م، يحق فترة العصر الذهبي للمعتزلة⁶، و من علماء المعتزلة في هذه الفترة أبو الهذيل العلاف المتوفي سنة 235هـ/849م⁷، و قد تلقى على يده الخليفة العباسي المأمون أفكار الإعتزال⁸، و كان يتميز بالفصاحة وقوة الجدل و البراعة في المناظرة مع الزنادقة والمجوس والمجوس إذ يقال إنه أسلم على يديه ثلاثة آلاف رجل⁹.

1 - علي الشابي و حسن أبو لبابة و عبد المجيد النجار: المعتزلة بين الفكر و العمل، الشركة التونسية للتوزيع، 1986، ص25.
2 - هو من أئمة البلاغة و علم الكلام، ولد بالمدينة المنورة (80 - 131هـ/699 - 848م) و نشأ بالبصرة، و قد كان ممن بايع لمحمد بن عبد الله بن الحسيني و له عدد من المؤلفات منها: "المعتزلة بين المنزلتين"، "و أصناف المرجئة"، ينظر أبو زكرياء: المصدر السابق، ص74.

3 - محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي، دار المعرفة الجامعية، ط4، ص1986، ص267، و أيضاً:

Abdurrahman Badawi: Histoire de la philosophie en Islam, Librairie philosophique, place de la sorbonne, paris, 1972, p 35, 36, 37.

4 - محمد علي أبو ريان: نفسه، ص نفسها.

5 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص299.

6 - أحمد أمين: ضحى الإسلام، المرجع السابق، ج3، ص90.

7 - نفسه، ص98، Abdurrahman Badawi : op.cit, p54- 55.

8 - الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، ص401.

9 - أحمد أمين: ضحى الإسلام، المرجع السابق، ص99.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

دخل مذهب الاعتزال إلى بلاد المغرب في أوائل القرن 2هـ/ 8م¹ تزامنا مع المذاهب الأخرى مثل الإباضية و الصفرية، إذ تشير بعض المصادر أن جماعة من بربر زناتة كانت قد اعتنقت الواصلية، ذلك أن واصل بن عطاء بعث عبد الله بن الحارث إلى المغرب²، و يبدو أن انتشاره في المغرب الأوسط كان واسعا بين قبائل زناتة حيث ذكر البكري أن مجمع الواصلية في عهد الرستميين كان قريبا من تاهرت و كان عددهم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها³، و كان أول ظهور لهم على مسرح الأحداث في تيهرت في عهد الإمام عبد الوهاب الذي كانت له مناظرات معهم حسب ما يورده ابن الصغير⁴، فقد عبروا عن معارضتهم للرستميين عن طريق هذه المناظرات و كذا خروجهم مع المعارضة لاستقبال عبد الله الشيعي سنة 297هـ⁵.

بينما كان وجود المذهب في المغرب الأدنى بصورة محدودة إلا ما كان من ميل بعض أمراء الأغلبة لفكر الاعتزال مثل زيادة الله الأول و محمد بن الأغلب⁶.

- المرجئة:

هي فرقة عبرت عن موقفها بالحياة تجاه الأحداث التي وقعت للمسلمين، و قولها بالإرجاء أي أنهم لم يكفروا أي فريق من المتخاصمين، بل يرجعون أمره إلى يوم القيامة¹، فإذا قالت الإباضية أن

1 - محمد منصور الزاوي: المرجع السابق، ص38، و يفهم مما ذكره القاضي عياض: "قال المهدي: أخبرني بعض نقاض المعتزلة من القرويين، قال: "أتيت مالك بن أنس..."، القاضي عياض: ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ج1، ص90.

2 - محمد منصور الزاوي: نفسه، ص38.

3 - البكري: المصدر السابق، ص67، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص74، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص8.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص93-94، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص62-67، و ما يوضح كثرة عددهم في تيهرت قولهم: "إذا كنا جماعة و كان الغالب عندنا أنا نكفي مخالفتنا عقدنا للإمام و نخضنا فقتلنا السلطان"، ينظر أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، المصدر السابق، ص466.

(M) Gouja, la théologie, op.cit, p.p 167- 169.

5- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص112، عبد الكريم جودت: المرجع السابق، ص104، و للمزيد عن فرقة الواصلية المعتزلة ووعدها و تحركها ضد الإباضية ينظر، فوزية لرغم: التسامح المذهبي، الخلدونية، المرجع السابق، ص65.

6 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص102، و أيضا، A.Laroui : L'histoire du Maghreb, op.cit, p110.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممته

من أذنب ذنب فهو من أهل النار، فإن المرجئة تقول: "لا تضر الذنوب مع التوحيد"² أو كما قال أحمد أمين: "لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة"³.

و المرجئة على النقيض من الخوارج فهم لا يكفرون أحدا لأنهم يرون أن الإيمان هو الإنقياد بالقلب⁴، هذه المبادئ جعلتهم يقفون موقف الحياد في الصراعات السياسية خاصة فيما تعلق بمسألة الخلافة و الحكم⁵.

وصلت أفكار المرجئة إلى المغرب في النص الثاني من القرن الثاني الهجري⁶.

و لكن ما نستنتجه من هذا المذهب لم يكن له اتباع في المغرب مثل المذاهب الأخرى إنما اقتصر عن أفكار فقط.

و مما لا شك فيه أن تعدد المذاهب و الفرق الدينية في المغرب الإسلامي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، لم يكن فقط عاملا للفتن و الصراعات و التي حددت العلاقة بين أتباع هذه المذاهب و الخلافة في المشرق سواء الأموية أو العباسية بل كان له أثر إيجابي في الحركة الفكرية والثقافية في هذه الفترة، فإنه وأن حرية الفكر و التسامح المذهبي عنصران امتاز بهما أئمة الدولة الرستمية، ضف إلى ذلك تمسك الرستميين بالفتوح الفكري و الدليل على ذلك هو عقد مجالس للمناظرة تشجعا على طلب القلم و إقبال عليه في جو يسوده التنافس العلمي، و كان من نتائج حرية الفكر و تعدد المذاهب، تعدد حلقات المناظرة و الجدل مما أسفر عن نشاط في حركة التأليف، فكثر وضع الكتب للرد على المخالفين⁷.

-
- 1 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص71.
 - 2 - سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج2، ص109.
 - 3 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص279.
 - 4 - الحاج سعيد عيسى: المذهب الإباضي و علاقته بالمذاهب الأخرى، محاضرات الملتقى الخامس للفكر الإسلامي، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية من 27 جمادى 1 إلى 10 جمادى 2، 1391هـ/7/20، إلى 10/8/1971، ص269، أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص218.
 - 5 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص71.
 - 6 - سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج2، ص109.
 - 7 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص109.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

ثالثا- التبادل التجاري و الثقافي

للتجارة دور كبير في تنشيط و تفعيل الحركة الفكرية و الثقافية، فتيهرت ذات الموقع الوسطي كان لها شأن كبير في المبادلات التجارية، فتوافد عليها التجار من أماكن بعيدة كبلاد فارس¹، والعراق و مصر والقيروان، و حتى التجار المسيحيون²، على أن العلماء و الحجاج الخارجين من تيهرت و القادمين إليها مقيمون أو عابرون شرقا أو غاربا، قد أسهموا أيضا في نقل مختلف العلوم والفنون³، إن عبارة ابن الصغير "واستعملت السبل إلى بلد السودان و إلى جميع البلدان من مشرق و مغرب بالتجارة و ضروب الأمتعة"⁴، تعطينا صورة عن اتساع المبادلات التجارية الرستمية مما سمع للتجار أو الذين كانوا يرافقونهم من طلبة العلم أن يجلبوا معهم نفائس الكتب من المشرق من مختلف إيقاع العلوم لتزويد مكتبة تيهرت، و بهذا كانت التجارة وسيلة لتبادل السلع و الأفكار إذ أن التاجر غالبا ما يكون من العلماء⁵، فالتاجر النشط صار بإمكانه أن ينتقل بين قطر و آخر و مدينة وأخرى وأخرى يشتري و يبيع و ما كان له أن يمر بالبلد دون أن يتعرف على أهله و يخبر أحوالهم، و كانت هذه المعرفة تنقل رواية و أخبار، فأصبحت جزءا من التراث الأدبي للرحلة⁶، خاصة و أن التجار الرستمين اتصفوا بالحدق و البراعة و الأمانة في المعاملات التجارية⁷، هذه الصفات الحميدة التي تميز تميز بها تجار تيهرت جعلت أهل السودان الغربي يتقربون منهم، فكانت الآثار الثقافية، تعريب جزء كبير من تلك المناطق و دخولهم في دين الإسلام، دون أن نهمل أثر و دور الرحلة العلمية و التي كانت من المسائل المحمودة في المغرب الإسلامي عموما، إذ نتج عنها تبادل المعارف و الآراء في

1 - إيف لاکوست: المرجع السابق، ص62.

2 - A.Laroui : L'histoire du Maghreb, op.cit, p104.

3 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص108.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص36.

5 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص282.

6 - نكولا زيادة: الجغرافيا و الرحلات عند العرب، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت، 1962، ص147.

7 - موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول (القرن 2 - 5هـ/8 - 11م)، ترجمة و تعليق اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1979، ص324.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

مختلف العلوم العقلية والنقلية حيث كان علماء المغرب يتصلون بعلماء المشرق و الأندلس و يتداولون معهم الكتب والمصنفات و شتى العلوم، فكانت الحركة متواصلة للإستزادة من العلوم¹، فلم تكن أمام الطلبة في تبليغ العلم حدود بل كانت الرحلة في طلبه من أقوى الدوافع في تذليل الصعاب و مشقة السفر²، وبهذه الرحلات احتك علماء المغرب الأوسط بعلماء باقي دول المغرب و المشرق بدافع حب العلم والإستطلاع³، و يقول ابن خلدون في أهمية و فائدة الرحلة: "...فلقاء أهل العلم و تعدد المشايخ يفيد تمييز الإصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها و يعلم أنها أنحاء تعليم و طرق توصيل... فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"⁴.

و لا يخفى دور الوراقين و النساخ في عملية انتشار العلوم و تنشيط التبادل الثقافي، فقد كانوا يتنقلون بين الأقاليم الإسلامية شرقها و غربها بحرية تامة، و كانوا يحظون بالمكانة المرموقة والتقدير لدى الأمراء و العلماء⁵، مما أدى إلى انتشار الكتب التي كان يتهافت طلاب العلم على شرائها حتى حتى و لو اقتضى ذلك السفر إلى مدن بعيدة للحصول عليها شراء أو استنساخها، و انتقال صناعة الورق و الكاغد و كذا الحبر من بغداد إلى القيروان⁶، هي أهم الوسائل التي ساهمت في تسيير العلم وانتشاره.

1 - رشيد الزواوي: التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1، 1993، ص- ص 324-339، هواري بكاي: العلاقات الثقافية للزيانيين و المرينيين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، تلمسان، 2007-2008، ص227.

2 - لخضر لعبدلي، المرجع السابق، ص160.

3 - القلصادي علي بن محمد القرشي الأندلسي: رحلة القلصادي، دراسة و تحقيق محمد أبو الأحنان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978، ص59.

4 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 559-560.

5 - محمد الفاضل بن عاشور: المرجع السابق، ص8.

6 - عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص62.

المباج الثالث — الأواام الثقاففة و الفكرةفة فف القفروان و تفهرف

و لعل الرلفة العلمفة كانت أقوى فف عهد التفرف السفسف¹، فلما ذهبت الوءة السفسفة، بقفف وءة الءفن و هفأف و رفبف الحءاء و طلاب العلم و رسل السلاطفن و ءملة البضائف وزعماء الصنائف فاففظوا بالصلة²، و هذا ما ففسر لنا عءم فأفرف الففرف بالنزاع السفسف بفن الأفالبة والرسمفن، فف الفءلاف السفسف و كذا المذهبف مءلا بفن القفروان و تفهرف لو فكن ءائلا ءون إفقامة ءسر من الففافل الففرف و الففافف بفن الءاضرففن لوءوء مسافءة ثقاففة مشرفة صنعها العلماء و الفءار فف ءرفة انفقاهم بفن المءففن³، فقء سافمف ءماعة من القروففن فف الءرفة العلمفة فف تفهرف، فظهر ففها عءء من العلماء العرب و البربر منهم مءكم الهوارف وابنه هوء الءف وفع ءتابا فف ففسفر القرآن من ءزائف⁴، و عبء الله بن اللمطف وهو الءف كان ففولى المناظرة المعفزة، المعفزة، و أبو عبفءة الأعرف الءف قال عنه ابن الصفر أنه: "كان عالما بالفقه و الكلام و النءو و اللغة"⁵، و عبء العفرز بن الأوز (الأوس) و هو صافء ففه ورفلة فءو المشرق⁶، و فرهم ءففر و اسفمرف رءلة العلماء وطففة العلم بفن القفروان و تفهرف، و كانت ففءء الرءال فف المشرق قصف الءصول على العلم و الفقه من منابعه الأصلفة و ممن صافء الأءمة الكبار و كانت العراق و الءءاز بءواضرفها منفهى من فرغب فف الففصف العلمف و الففه من أهل المغرب ءل على مءءمس لمذهبف فالقفروان و فاهرف هف المءطة الأولى لفلفف المرافل الأولى من العلم فم فكون وءهفه فف المشرق و ءالبا ما فكون مناسبف الءء فرصة للفزوء بالعلم (الءء العلمف)⁷.

و فقول ءالء بلعرفف أن هءه الرءلاف ففءف فف هءه الأماكن فف سبفل طلبة العلم و الفسفزاة منه، سواء من تفهرف أو ففها، فكانف الصلة قوفة بفن تفهرف و بفن فرها من مراكز

1 - نءولا فزفءة: المرفء السابق، ص15.

2 - نءولا فزفءة: المرفء السابق، ص15.

3 - مءمء علىفل: المرفء السابق، ص74.

4 - البراءف ففقال عن ءوءف عبء الءرفم: المرفء السابق، ص108.

5 - ابن الصفر: المصءر السابق، ص46.

6 - نفسه، ص47.

7 - عمر رضا ءءالة: المرفء السابق، ص59.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

الفكر، و يضيف قائلاً أن تيهرت: "عراق المغرب تعد إحدى معاقل الفكر الإسلامي في القارة الإفريقية، بل امتدت إلى جزر البحر المتوسط و أوروبا¹، و بالتالي حدوث تقارب ثقافي واجتماعي، وربما عسكري و سياسي و كذا اقتصادي و حضاري بين الرستمية و عدة دول أخرى تدفعهم مصالح متباينة.

و خلاصة القول أن الرحلات العلمية و التجارية بين تيهرت و عواصم الدول المجاورة، ساهمت في التقارب الثقافي و إثراء المعارف و العلوم كما أدت إلى حدوث التآلف الاجتماعي رغم الاختلاف المذهبي، و هذا ما حصل بين الأغالبة و الرستمين، فقد ذكر الونشريسي أن رجلاً من الإباضية الوهبية تزوج امرأة مالكية لتقوى شوكته بمصاهرة أهل السنة².

و بهذا تكاملت مجموعة من العوامل و على رأسها اهتمام أئمة تيهرت في إضفاء صبغة فكرية متقدمة، أسهمت إسهاماً بالغاً في تحريك عجلة الحركة الثقافية، و عكس بذلك الوجه الحقيقي الثقافي لمدينة تيهرت خاصة و الدولة الرستمية عموماً.

1 - خالد بلعربي: العلاقات الثقافية بين تيهرت و مراكز الفكر في المغرب الإسلامي حتى القرن 5هـ/11م، مجلة القضاء المغاربي، العدد2، مخبر الدراسات الأدبية و النقدية في المغرب العربي، تلمسان، 2004، ص252.

2 - الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص446.

الفصل الثاني: مظاهر الحياة الفكرية و العلمية في المدينتين

المبحث الأول: الحياة الثقافية و الفكرية في القيروان

أولاً- أنواع و أصناف العلوم و المعارف

يقول ابن خلدون: "أعلم أن العلوم التي يخوض فيه البشر و يتداولونها في الأمصار تحصيلاً و تعليماً هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، و صنف نقلي يأخذه عن وضعه، و الأول هي العلوم الحكيمة الفلسفية العقلية يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، والثاني هي العلوم النقلية الوضعية و هي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي و لا مجال فيها للعقل"¹.

لقد كانت جل العلوم و المعارف في البداية مرتبطة بالشريعة التي اعتبرت مصدر و منبع جميع العلوم و المعارف هذا بالإضافة إلى العلوم المتصلة باللغة العربية و آدابها²، و التي صنعها العلماء وحتى المحدثون ضمن ما اصطلاح عليه بالعلوم النقلية التي تعتبر انتاجاً عربياً إسلامياً على نقيض المعارف الأخرى أو العلوم العقلية التي أخذها العرب عن الأمم القديمة³.

فالعلوم النقلية تشمل العلوم الدينية و دنيوية أي السياسية و الاجتماعية، يقول ابن خلدون: "وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة، و أصلها كلها هي الشرعيات من الكتاب و السنة، و ما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للإفادة ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي... فمنها العلوم الدينية من علم التفسير، و علم الحديث و علم القراءة و علم الفقه، و العلوم اللسانية من لغة و نحو و أدب و علم الكلام و علم البيان... و هذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية و أهلها"⁴.

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 442 - 443.

2 - محمد سعيد : الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 82.

3 - نفسه، ص نفسها.

4 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة: المصدر السابق، ص 443.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

أما العلوم العقلية فيعرفها ابن خلدون بقوله: "أما العلوم العقلية فهي طبيعية للإنسان من حيث أنه ذو فكر، و يصنفها إلى علوم الفلسفة و الحكمة و من فروعها المنطق مثلا و العلوم الطبيعية و الفلك و من فروعها الطب و العلوم العددية و منها الحساب و الفلك و التنجيم"¹.

1- العلوم النقليية:

سنحاول تصنيفها إلى علوم مرتبطة بالشرعية أي تلك التي لها علاقة بالدين انطلاقا من علوم القرآن و الأحاديث و علوم الفقه و علم الكلام و اختلاف مذاهبها، و العلوم المرتبطة باللغة والآداب من نحو و شعر و نثر، و علوم اجتماعية و إنسانية، و منها علم التاريخ و السير و الجغرافيا.

أ/ العلوم الدينية:

و منها علوم القرآن و القراءات و التفسير و علم الحديث و علم الفقه و علم الكلام. * علوم القرآن: يقصد بذلك ما تفرع عن القرآن من قراءات مختلفة و تفاسير، و قد شكلت هذه العلوم القرآنية إن صح التعبير بواكير العلوم الإسلامية انطلاقا من أهمية القرآن بالنسبة إلى المسلمين من جهة و مكانته ضمن المنظومة الإسلامية بصفة أشمل.

و لنا أن نتساءل عن وضعية علوم القرآن في القيروان طيلة الفترة المدروسة، و تشير المصادر إلى تركيز الفاتحين لبلاد المغرب على تعليم البربر القرآن كما أشار إلى ذلك ابن عذارى: "و ترك موسى بن النضير سبعة عشر رجلا من العرب ليعلمهم القرآن و شرائع الإسلام و قد ترك عقبه بن نافع فيهم بعض أصحابه يعلمونهم القرآن و الإسلام"².

و يمكن أن نستنتج من هذه الرواية أن العرب الفاتحين كانوا يسعون بكل جهودهم إلى إتمام عملية الإلحاق السياسي بفضل هذا العامل الثقافي الذي سوف يسهل عملية ادماج البربر ضمن النسيج العربي الإسلامي فكان تعليم القرآن للبربر أمرا ضروريا باعتبارهم حديثي عهد بالإسلام ولتسهيل ممارسة الطقوس و مدهم بالإمكانيات الضرورية لذلك³.

1- ابن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 504 - 520.

2- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص42.

3- محمد سعيد: الحياة الثقافية و العلمية، المرجع السابق، ص84.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و تشير المؤلفات الافريقية المتعلقة بهذه الفترة إلى ضرورة تعليم القرآن مثل كتاب "آداب المعلمين" الذي تضمن بعض الأحاديث الداعية إلى ضرورة تعلم القرآن و تعليمه مثل : "أفضلكم من تعلم القرآن و علمه" أو "يرفع الله بالقرآن أقواما" و كذلك "حملة القرآن هم أهل الله وخاصته"¹، و يشير القابسي مؤلف رسالة المتعلمين إلى أهمية القرآن و ضرورة تعلمه قائلا: "و قد أمر المسلمون أن يعلموا أولادهم الصلاة و هم لا بد لهم أن يعلموهم من القرآن ما يقرؤونه فيها"².

و التفسير علم مستقل بذاته له أصوله و قواعده، و في هذا الشأن يقول ابن خلدون: "إن الصحابة رووه عن الرسول صلى الله عليه و سلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه و كيفيات الحروف في أدائها، وتواتر ذلك و استمر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراء"³.

* التفسير و علم القراءات: يرجع السبب في ظهور بعض القراءات إلى خاصية الخط العربي إذ أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة يقرأ بأشكال مختلفة تبعا للنقط فوق الحروف و تحتها و قد ظهرت سبع قراءات تمثل كل طريقة منها مدرسة معترفا بها ترجع قراءتها إلى إمام ترتبط باسمه و تستند إلى أحاديث موثوق بها وعلينا يقتصر في قراءة المصحف"⁴.

و تطور هذا الصنف من العلوم الدينية كما يؤكد ذلك ابن خلدون: "و لم يزل القراء يتداولون هذه القراءات و روايتها إلى أن كتبت العلوم و دونت فكتبت فيها كتب من العلوم و صارت صناعة مخصوصة وعلما مفردا"⁵.

و فيها يخص وصفية هذا العلم داخل القيروان، فقد أشارت المصادر إلى أن القيروان و افريقية قد عرفتا هذا الصنف من العلوم منذ بداية الفتح و حتى قبل تأسيس المدينة، و قد وردت بعض أسماء

1- محمد بن سحنون : كتاب آداب المتعلمين، المصدر السابق، ص- ص 69- 71.

2- القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين المتعلمين، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للنشر و التوزيع، تونس، 1986، ص92.

3- ابن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص346.

4- حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص244.

5- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص346.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

للصحابا الذين دخلوا البلاد و كانوا يعدون من حملة القرآن و من أبرز المهتمين به فهذا عبد الله ابن العباس كان عالما بكتاب الله و تفسيره و محكمه و ناسخه و منسوخه و عالما بالسنة و جميع العلوم الشرعية¹.

كما كان يلقب "بترجمان القرآن"² دليلا على شدة معرفته بالقرآن، و كذلك عبد الله بن عمر الذي يعتبر من أهل الورع و العلم بالكتاب و السنة³، و ابن الزبير الذي كان طويل الصلاة و ربما قرأ في الركعة الواحدة البقرة و آل عمران و النساء و المائة⁴.

إلى جانب كاتب الوحي أمير الغزوة الأولى، عبد الله بن سعد ابن أبي سرح⁵، و لنا أن نذكر أيضا الصحابة الذين قدموا مع عقبة و ساهموا في تأسيس القيروان، و يذكر المالكي أن عقبة أوصى أبناءه قبل سفره قائلا: "إياكم أن تملأوا صدوركم بالشعر و تتركوا القرآن فإن القرآن دليل على الله عز و جل"⁶، و يذكر ابن عذارى أنه كان مع عقبة ثمانية عشر صحابيا و سائرهم من التابعين⁷، و قد أفرد المالكي في ترجمة أحد الفقهاء العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز، صفة القارئ الجعثل بن هاعان الذي قال عنه: "كان أحد القراء الفقهاء"⁸.

و إن لم تحدد المصادر التي تحدثت عن أفراد البعثة اهتمامهم بالقراءات فإننا نستنتج من خلال كلام المالكي الذي قال: "بعثهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يفتقروا أهل افريقية و يعلمونهم أمر دينهم"⁹، إذ أن التفقه بالدين يمر حتما عبر القرآن مبدئيا و كل ما يتصل به من قراءات

1- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص60.

2- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص74، ذكره المحققات ضمن الحاشية في ترجمة عبد الله بن العباس.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص62.

4- نفسه، ج1، ص64.

5- نفسه، ج1، ص66.

6- نفسه، ج1، ص32.

7- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص20.

8- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص114.

9- نفسه، ج1، ص99.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

وتفاسير، و لعل التأكيد على إعطاء لقب القارئ إلى أحدهم هو بروزه في ميدان القراءات مثلما يبرز غيره في الحديث أو في الفقه¹.

و هناك بعض الإشارات الواردة في المصادر الافريقية و المغربية حول القراءات و القراء بالقيروان، فهذا أبو منصور مولى سعد بن أبي وقاص كان مقراً للقرآن و مغنياً²، و كذلك أبو عبد الله الله عكرمة مولى بن عباس الذي كان مفسراً للقرآن³، و تشير أيضا إلى اسماعيل بن رباح الذي مات يتقلد المصحف في حادث غرق⁴، و هذا رجل آخر قتله القرآن فلقب بشهيد القرآن و هذا أحمد بن بن مغيث بن أبي الأزهر الذي خر صعقا و توفي، و ذلك لمجرد سماعه قراءة سورة التكاثر⁵.

كما أن هناك من اشتهر بكثرة قراءته للقرآن، فهذا أحمد بن يزيد القرشي الذي كان يعلم القرآن قد ختمت على يديه ستة آلاف ختمة⁶، و كذلك الشأن بالنسبة إلى محمد بن أبي حميد الذي الذي كان يختم القرآن كله في كل ليلة من شهر رمضان⁷، كما أنه هناك من تميز بتأليف حول القرآن القرآن نذكر أبا الأسود موسى القطان الذي ألف أحكام القرآن في اثني عشر جزءا⁸، و كذلك أحمد بن زياد الفارسي الذي كان له كتاب في أحكام القرآن في عشرة أجزاء⁹، و كذلك محمد بن سحنون¹⁰.

1- محمد سعيد : المرجع السابق، ص 87.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص 133.

3- نفسه، ص 145.

4- أبو العرب: المصدر السابق، ص 145.

5- محمد الطالبي: تراجم أغلبية، المرجع السابق، ص 256.

6- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ص 473.

7- محمد الطالبي: تراجم أغلبية، المرجع السابق، ص 332.

8- نفسه، ص 365.

9- نفسه، ص 173.

10- نفسه، ص 385.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و قد وردت إشارات تخص آداب قراءة القرآن، فيورد ابن سحنون عن مالك: "لا أرى لأحد أن يقرأ القرآن و هو مار على الطريق إلا أن يكون متعلما و لا أرى أنت يقرأ في الحمام"¹، وكذلك رفض اسماعيل بن رباح أن يقرأ للأمير الأغلي عبد الله بن ابراهيم حيث رد عليه قائلا: "عندما طلب منه هذا الأخير أن يقرأ عليه لا سبيل إلى ذلك، فمن قرأ على إمام جائر لعن بكل حرف عشر لعنات"².

و يبدو أن بعض المساجد قد خصصت للقراءة و كانت مجلسا للقراء، مثل مسجد السبت الذي يجلس فيه القراء، و تنشده فيه أشعار الزهد، و قد كتب يحيى بن عمر كتابا نهي فيه عن حضور مسجد السبت³ بقي أن نشير إلى استحسان قراءة نافع مثل ما نستنتج من كلام سحنون: "يلزمه أن أن يعلمهم من القراءة الحسنة و هو مقراً نافع"⁴.

لقد تطور علم القراءات فتأثر بالغناء و الموسيقى أي استعمال الألحان، و المقصود بالألحان هنا ليس المعنى اللغوي و الذي يناقضة الاعجاز بالمعنى النحوي و البلاغي، بل أن القراء بالألحان تستمد جذورها من القرآن ذاته⁵.

و ينسب إلى أبي موسى الأشعري القراءة بصوت جميل كان النبي صلى الله عليه و سلم يعجب بها⁶.

و مهما يكن من أمر فإن القيروان قد عرفت هذه القراءات بالألحان، و قد أورد أبو العرب رواية حول هذا الموضوع في ترجمة أبي خالد عبد الخالق، و تنسب الرواية إلى أحد القراء و هو سحنون الدباغ الذي كان من قراء القرآن و إليه ينسب اللحن الحسنوني، و تقول الرواية أن عبد

1- محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص88.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص140.

3- محمد الطالبي: المرجع السابق، ص265.

4- ابن سحنون: المصدر السابق، ص82.

5- ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ مُرْتَبِلًا ﴾ سورة المزمل : الآية4

6- محمد الطالبي: دراسات في الحضارة الافريقية، ص354، مقال بالفرنسية حول القراءة بالألحان.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

الخالق أمر المقرئ المذكور بالقراءة: "فلم أزل أقرأ و هو يتمرغ حتى إذا كان السحر خرجنا من المسجد"¹.

و يبدو أن الفقهاء لا يجذون القراءة بالألحان كما يستدل من كلام ابن سحنون الذي و إن يقر باختلاف القراءات: "أنزل الله القرآن على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه"²، إلا أنه ينهى ضمناً أو لا يجذب القراءة بالألحان، حيث يقول: "و لا أرى أن يعلمهم ألحان القرآن لأن مالكا قال لا يجوز القرآن بالألحان"³.

إن المصادر لا تتحدث عن تفاسير خاصة بأهل القيروان بقدر ما تتحدث عن القراءات وعن التأليف في أحكام القرآن⁴، و من أبرز المؤلفات الافريقية حول القرآن⁵: أحكام القرآن لأحمد بن محمد بن زياد الفارسي - أحكام القرآن لمحمد بن سحنون⁶ - أحكام القرآن لأبي الأسود القطاني - كتاب التصاريف ليحيى بن سلام البصري.

* **علم الفقه:** بعد الفقه، أهم العلوم الدينية و أعلاها مكانة من حيث هو إفراز و تطور طبيعي لعلمي القرآن و الحديث⁷، و هو كما عرفه ابن خلدون: "الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المتكلفين في الوجود و الحظر و المنتدب و الكراهة و الاباحة و هي مستقاة من الكتاب والسنة

1- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص141.

2- محمد ابن سحنون: آداب المتعلمين، المصدر السابق، ص71.

3- نفسه، ص82.

4- محمد بن سعيد: المرجع السابق، ص90.

5- نفسه، ص91.

6- هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، ولد بالقيروان سنة 202هـ و توفي سنة 256هـ، و دفن بباب نافع بالقيروان، بالقيروان، له عدة مؤلفات في جميع فنون العلم تنتهي إلى المائتي كتاب، في علم الحديث مثل المسند في الحديث، في التفسير مثل تفسير الموطأ، و غيرها من الكتب في مسائل عدة كالإمامة و الجهاد، و للمزيد عن ترجمته ينظر: المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 249- 345، الدباغ: المصدر السابق، ص- ص 49- 68، محمد بن سحنون: آداب المعلمين، المصدر السابق، ص- ص 39- 50، ابن فرحون: الدياج المذهب، المصدر السابق، ص- ص 161- 166.

7- محمد سعيد: المرجع السابق، ص103.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

وما يصيبه الشارع لمعرفة من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه¹، ويفسر لنا ابن خلدون عوامل ظهور الفقه و مظاهر تطوره كما يلي: "ثم عظمت أمصار الاسلام وذهبت الأمية من العرب... و كمل الفقه و أصبح صناعة و علما فبدلو باسم الفقهاء و علماء من القراء و انقسم الفقه فيهم إلى طريقتين طريقة أهل الرأي و القياس و هم أهل العراق و طريقة أهل الحديث و هم أهل الحجاز"².

إن ظهور الفقه و تفرع مدارسه كان بلا شك نتيجة لتطور المجتمع الاسلامي، و تداخل الأجناس و تلاقح الحضارات، فظهرت مدارس الفقه السنية الأربع على اختلافها إضافة إلى أصول الفقه الأخرى التابعة للخوارج و الشيعة³، و يقول ابن خلدون في هذا الصدد: "و شد بمثل ذلك الخوارج و لم يحتفل الجمهور بمذاهبهم بل أوسعوها جانب الانكار و القدح فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم و لا نروي كتبهم و لا أثر لشيء منها إلا في مواطنهم"⁴.

لقد كان الصحابة و التابعون يستنبطون الأحكام مباشرة من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة إلى أن أثمرت اجتهادات العلماء منذ القرن الثاني الهجري آراء فقهية، فتأسست بذلك المذاهب أو المدارس الفقهية السنية، فصار كل يتبع مذهباً معيناً، و أول المذاهب هو مذهب أبي حنيفة ثم مذهب مالك و مذهب أحمد بن حنبل و مذهب الشافعي و يعد مذهب أبي حنيفة أول المذاهب السنية التي وفدت إلى المغرب، ثم كان اعتناق المغاربة لمذهب مالك الذي أصبح أكثر رسوخاً في هذه الديار⁵.

و السؤال المطروح هو كيف وصل علم الفقه إلى القيروان؟ و ما هي أهم المذاهب الفقهية

المتواجدة خلال القرنين الثاني و الثالث؟

1- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص353.

2- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص353.

3- محمد سعيد : المرجع السابق، ص104.

4- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص354.

5- محمد علي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص111.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

لقد ذكر موسى لقبال أن القيروان أصبحت مركزا ثقافيا يعج بمختلف الأفكار المذهبية، فتفتحت حلقات الدروس في مساجدها للسنة و الإباضية و المعتزلة و تعددت المذاهب السنية من مالكية و حنفية وحتى أوزاعية و شافعية¹، و سمح الأغلبة مثلا بتواجد مذاهب مختلفة بالقيروان منها المذهب الإباضي فكانت تعقد حلقات المناظرة لا سيما بين فقهاء الإباضية و الحنفية إلى أن جاء سحنون ففرق هذه الحلقات².

إن مسألة الفقه تبقى خاصة بالقرنين الثاني و الثالث الهجريين نظرا لعدم بروز هذا العلم في المشرق إلا بداية من القرن الثاني كما أن القرن الأول شكل بالنسبة إلى القيروان نقطة انطلاق بالنسبة إلى العلوم التي يبدو أنها مقتصرة على القرآن و الحديث الذين أخذهما علماء القيروان عن التابعين، وفي الفترة التي قدم فيها هؤلاء لن تظهر بعد المدارس الفقهية بأتم معنى الكلمة إذا بقيت الرحلة العامل الرئيسي في وصول الفقه بمدارسه المختلفة إلى القيروان³.

لا شك إذا رجعنا إلى كتب التراجم لمعرفة تاريخ إطلاق تسمية "فقيه" و على من من علماء القيروان تم إطلاقها، فهل كان ذلك قبل الرحلة أم بعدها؟ نستنتج أن هذه الكلمة أطلقت على بعض التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز ليفقهوا أهل افريقية و يعلموهم أمر دينهم، فقد وقع تعميم هذه التسمية على العشرة التابعين إلا أن المالكي يحددها و يطلقها على بعضهم فيما يعد مثل اسماعيل تاجر الله يعطيه المالكي صفات عديدة و يضيف إليها "مع علم و فقه"⁴، و كذلك الشأن بالنسبة لأبي ثمامة بكر بن سودة الجذامي، كان مفتيا فقيها⁵، و هذا أبو سعيد جعثل بن عاهان كان

1- موسى لقبال : المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص134.

2- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص9.

3- محمد سعيد: المرجع السابق، ص105.

4- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 106- 112.

5- نفسه، ص 114.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

كان أحد القراء الفقهاء، و أخيرا اسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر الذي استعمله عمر ابن عبد العزيز على أهل افريقية ليحكم بينهم بالكتاب و السنة و يفقههم بالدين¹، فهو إذن وال و فقيه.

و يبدو أن هؤلاء التابعين الذين أطلق عليهم تسمية فقيه كونوا النواة الأولى لكل العلوم الدينية للقيروان و لا سيما علم الفقه.

اعتمد المغاربة في البداية على المؤلفات الفقهية المشرقية، ثم استقلوا بإنتاجهم الفقهي، و يظهر ذلك من خلال التأليف و المصنفات المغربية، و بلا شك فإن تزامن المذاهب و تنافس فقهاءها كان عاملا مهما في إثراء الانتاج الفقهي، و كان من أبرز مظاهر تطور العلوم الدينية و خاصة الفقه هو أن افريقية و بلاد المغرب بشكل عام أصبح لديها استقلالية في هذا المجال، و نعي بذلك ظهور كتب و تصانيف في العلوم الشرعية من تأليف المغاربة أنفسهم، و تعد المدونة الكبرى للفقهاء سحنون من أهم تلك المؤلفات، إلى جانب تفسير ابنه محمد².

أما العلماء القيروانيون الذين قصدوا المشرق طلبا للفقه، و كانوا من الأوائل الذين أسهموا في تنشيط الحركة الفقهية، و وضعوا قاعدة فقهية متنقلة في افريقية نذكر منهم:

عبد الله بن فروخ الفارسي: كان حافظا للحديث و الفقه³، رحل إلى المشرق فلقي مالكا و أبا حنيفة و سفيان الثوري⁴، و كان يكا تب مالكا في شأن المسائل التي استحدثتها المعتزلة و الخوارج، فيرد عليه بضرورة مقارعتهم بسعة العلم و قوة الحجة⁵، كان اعتماده على مالك لكنه كان يميل إلى طريقة

1- نفسه ص نفسها.

2- محمد عليي : الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص111.

3- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص167.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص107.

5- نفسه، ص نفسها.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممته

أهل النظر والاستدلال، و كان مالك يقدره و يكرمه و يعظمه و يقول لأصحابه هذا فقيه أهل المغرب¹.

و قد دون ابن فروخ عن أبي حنيفة قرابة عشرة آلاف مسألة، و قد ناظر "زفر" أحد أصحاب أبي حنيفة و علا عليه، و رغم اعتماده على مالك يقول المالكي ربما مال إلى قول أهل العراق إذ تبين له أن الصواب في قولهم².

أراد روح بن حاتم والي افريقية أن يوليه القضاء و أبي، و قال سألت يوما أبا حنيفة فقلت: "ما منعك أن تولي القضاء؟ فقال لي: يا ابن فروخ، القضاء ثلاثة: رجل يحسن العوم أخذ البحر طولاً فما عسى أن يعوم يوشك أن يكل فيغرق، و رجل لا بأس بعومه فعام يسيرا فغرق، و رجل لا يحسن العوم فألقى بنفسه على الماء فغرق من ساعته فهذا منعي من الدخول في القضاء"³، توفي سنة 176هـ و دفن بالمقطم في مصر⁴.

عبد الله بن غانم الرعيني القيرواني: أخذ العلم عن مالك و أبي يوسف أحد تلاميذ أبي حنيفة، والذي أوصى به روح بن حاتم الذي كان داخلاً افريقية آنذاك أن بمدينة القيروان فتى يقال له عبد الله بن غانم قد فقه قوله قضاء افريقية⁵، و كان ابن غانم يكتب مالكا و أبا يوسف حول المسائل⁶.

ولي القضاء إذن في عهد روح بن حاتم في رجب من سنة 171هـ / 787م، و عاصر الأغالبة، و توفي في ربيع الأول من سنة 179هـ / 795م¹.

1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص177، و قد نظر مالك يوماً إلى ابن فروخ، فقال: "هذا فقيه بلده"، و نظر إلى ابن غانم و قال: "و هذا قاضي بلده" و نظر إلى البهلول بن راشد و قال: "هذا عابد بلده"، الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص- ص 179-217.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص181.

3- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص179.

4- نفسه، ص 298، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص109.

5- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص11.

6- نفسه، ص12، و كان يقول عنه مالك: "هذا قاضي بلده"، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص217.

البهلول بن راشد أبو عمر القيرواني: ولد سنة 128هـ/745م، و توفي سنة 183هـ/799م²، تلقى العلم و الفقه عن الإمام مالك بن أنس و سفيان الثوري و فقيه مصر الليث بن سعد، عرف بورعه واجتهاده، و أعجب مالك بعلمه و قدرته على استنباط الأحكام، فقد نظر إليه يوما و قال: "هذا عابد بلده"³، كان يغلب عليه الزهد، ألف ديوانا في الفقه و الغالب عليه مذهب مالك⁴.

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري: ولد ببرقة سنة 74هـ/693م، و هو من المحدثين، كان يروي عن عبد الله بن عباس و عبد الله ابن عمر و عن سفيان الثوري، و تولى قضاء القيروان، لكن والي افريقية يزيد بن حاتم (155-171هـ/772-788م) عزله بسبب حكم أصدره في قضية ولم يرق للوالي⁵، من أقواله: "لكل شيء آفة تستعبده و آفة العبادة الرياء، و آفة الحلم الذل، و آفة الحياء الغضب، و آفة اللب الإعجاب، و آفة الظرف الصلف، و آفة العلم النسيان، و آفة الجود السرف"⁶، و توفي سنة 161هـ/778م، و يقال أن سبب وفاته هو أنه أكل حيتانا ثم شرب لبنا على مائدة الوالي يزيد بن حاتم⁷.

1- المالكي أبو الحسن بن عبد الله: تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط5، بيروت، لبنان، 1983، ص 25-26.

2- قاسم علي سعد: تراجم جمهرة الفقهاء المالكية، ج1، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، ط1، 2002، ص357.

3- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص217.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص201.

5- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص99.

6- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص116.

7- أبو العرب: المصدر السابق، ص99.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

علي بن زياد أبو الحسن العبسي: هو أول من أدخل الموطأ و جامع سفيان إلى المغرب¹، تلقى على يديه العلم مجموعة من فقهاء المغرب أمثال سحنون و أسد بن الفرات، فكانوا إذا اختلفوا في مسألة ما استصوبوها عنده².

لقد تتلمذ على أيدي هؤلاء الفقهاء الكثير من علماء و فقهاء المغرب و يمثلون الجيل الثاني الذي نشر المذهب المالكي في افريقية و التي كانت بدورها قاعدة لانطلاق هذا المذهب إلى المغرب الاسلامي ونذكر منهم:

أسد بن الفرات: هو أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم أصله من أبناء جند خراسان نيسابوري، ولد بنجران سنة 142هـ / 759م، قدم مع أبيه ضمن جيش محمد بن الأشعث سنة 144هـ / 761م، حيث كان يبلغ من العمر سنتين³، خرج إلى المشرق (الحجاز) سنة 172هـ / 788م⁴، و سمع من مالك و كان مولعا بالرأي و حدث أن سأل مالكا يوما عن مسألة فأجابه إلى أن بلغ ثلاثا، فقال له مالك: "حسبك يا مغربي إن أحببت الرأي فعليك بالعراق"، فارتحل إلى صاحب أبي حنيفة محمد بن الحسن الشيباني و لازمه، ثم رجع إلى مصر، و لازم ابن القاسم، و كان يدون ما يسأله عنه في كتاب سماه "الأسدية" نسبة إليه، ثم رجع إلى القيروان سنة 181هـ / 797م حاملا معه "أسديته" التي بفضلها حصلت له في القيروان رئاسة⁵.

1- قاسم بن سعد: المرجع السابق، ج2، ص851، و الموطأ يعني الممهد الميسر أو المعبد، و هو كتاب جمع فيه مالك الفقه والحديث، مصطفى محمد الشكعة: المرجع السابق، ص124.

2- محمد علي: المرجع السابق، ص113.

3- محمد عبد الله عدنان: تراجم اسلامية شرقية و غربية، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1972، ص154.

4- حسن حسيني عبد الوهاب: خلافة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص65، و ذكر تاريخ الرحلة ب 173هـ / 789م، أحمدو أحمدو تال ديالو: المرجع السابق، ص30.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص262، محمد الطالبي: تراجم أغلبية، المرجع السابق، ص58-59، أحمد توفيق المدني: المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1985، ص59-60.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

تولى القضاء بافريقية سنة 204هـ / 819م، ثم قيادة جيش الأمير الأغلي زيادة الله لفتح صقلية فتوفي بها في شهر ربيع الثاني سنة 213هـ / 828م¹، من جراء جراح كثيرة أصابته في حصاره لمدينة سرقوسة و دفن بمحل استشهاده².

أبو محرز محمد بن عبد الله بن قيس: سمع من مالك و عبد الرحمن بن أنعم و عبد الله بن فروخ، كان فصيح اللسان، ولي القضاء بعد عبد الله بن غانم سنة 191هـ / 807م³ على كره منه، إذ قال للأمير ابراهيم بن الأغلب عندما أراد توليته هذا المنصب: "لست أصلح لهذا و لا أطيعه"، فرد عليه ابراهيم بن الأغلب: "لو كان الأغلب بن سالم و يزيد بن حاتم باقيين لم أكن أميراً، و لو كان عبد الله بن غانم و ابن فروخ باقيين لم تكن أنت قاضياً و لكل زمان رجال و على الأمير الاختيار"⁴، وكان يميل إلى التروي في إصدار أحكامه، و كان الغالب على أبي محرز مذهب أبي حنيفة، توفي سنة 214هـ / 829م⁵.

سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي: هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني مولدا و وفاة (160هـ / 854م، 240هـ / 777م) و الملقب بسحنون لذكائه و حدثه في النظر⁶، أصله شامي من حمص، وفد أبوه في جند حمص إلى افريقية⁷، تلقى أول علومه على شيوخ القيروان من تلامذة مالك أمثال علي بن زياد التونسي، و البهلول بن راشد⁸، و عبد الله بن غانم،

1- أحمدادو تال ديالو: المرجع السابق، ص30.

2- حسن حسيني عبد الوهاب: الخلاصة، المرجع السابق، ص65.

3- الدباغ: المصدر السابق، ص29.

4- محمد بن محمد خلف: المصدر السابق، ص119.

5- نفسه، ص38.

6- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، م2، ص326، محمد بن سحنون: آداب المعلمين، المصدر السابق، ص39،

الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص77.

7- الزركلي: الأعلام، المصدر السابق، ج4، ص307.

8- سعد زغلول عبد الحميد: المغرب العربي الكبير، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر 1990، ج3، ص86، أحمدادو تال

ديالو: المرجع السابق، ص28.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

ومعاوية بن الصمادحي والعباس بن أشرس¹، ثم رحل إلى المشرق سنة 178هـ/ 794م، و هي رحلته الأولى إلى هناك، فسمع من كثير من تلاميذ مالك في كل من مصر و المدينة المنورة، و الشام ومكة². ومكة².

ثم ارتحل ثانية إلى المشرق سنة 188هـ/ 803م، بعد رجوع أسد بن الفرات من هناك سنة 181هـ/ 797م، و تلقيه الأسدية منه، فلازم ابن القاسم (ت 191هـ/ 806م)، و عرض عليه الأسدية، و حج معه و مع ابن وهب (ت 197هـ/ 812م) و أشهب (ت 204هـ/ 819م)، و كان زميل ابن وهب على راحلته، و تلقى كثيرا من العلم في المدينة على أيدي فقهاء من أمثال أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز القرشي المتوفي سنة 212هـ/ 827م³.

هذه الرحلة العلمية مكنته من أن ينهل من فقه مالك لا بل و يتفوق فيه حتى قيل عنه بأنه فاق في براعته الفقهية أصحاب مالك أنفلسهم، فكان أفقه منهم في مذهب مالك، ثم عاد إلى القيروان سنة 191هـ/ 807م⁴، و قد عاصر مالكا لكنه لم يلتق به⁵، و قد تميز بغزارة فقهه والتقوى والتقوى و الحزم في الحق، فلم يكن يخاف في الحق لومة لائم، و قد قال عنه البهلول بن راشد: "إن سحنون بن سعيد ممن يطلب اعلم لله عز و جل"⁶.

ثم رجع إلى القيروان سنة 191هـ/ 806م⁷، فأظهر فيه علم أهل المدينة و مذهب مالك بن أنس، و هو أول من ركزه في افريقية مركزا ثابتا، و لما اشتهر سحنون و ذاع صيته راوده الأمير أبو

1- الدباغ: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص78، محمد علي: المرجع السابق، ص114.

2- الدباغ: نفسه، ج2، ص77.

3- محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور، المصدر السابق، ص56، الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص78.

4- الدباغ: المصدر السابق، ص78.

5- ذكر ابنه محمد أن رحلة قام بها 177هـ أي قبل وفاة مالك و لكنه توقف في مصر و لم يكمل رحلته بسبب نقص المال، ينظر الدباغ: نفسه، ص79.

6- الدباغ: نفسه، ص80.

7- أحمدو تال ديالو: المرجع السابق، ص29.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

العباس أحمد بن الأغلب حولاً كاملاً على خطة القضاء حتى قبل منه الولاية سنة 234هـ/ 848م، على شروطها منها: إطلاق يده في تنفيذ الأحكام الشرعية على أقاربه من بني الأغلب و رجال دولته، و منها إلزام المتنازعين من البيت المالك بالحضور لديه مع الخصوم، فقبل أحمد الشروط كلها وانتصب سحنون للقضاء و باشر الحسبة و المظالم بنفسه و وفي العدل حقه إلى أن لقب ب "سراج القيروان"¹.

و كان سحنون فقيهاً بارعاً، ورعاً، صادقاً، صارماً في الحق، فيوم ولي القضاء دخل على بنته فقال لها: "اليوم ذبح أبوك بغير سكين"²، و هو ما يعني أن قبوله لهذا المنصب لم يكن بالأمر السهل، فكثير من الفقهاء كانوا يرفضونه، لأنهم يعتبرونه سيف الحق مسلط على رقابهم متى أخطأوا في تطبيق الأحكام، و من أقواله في الفتوى: "أجرء الناس على الفتيا أقلهم علماً، يكون عند الرجل باب واحد من العلم يظن أن العلم كله فيه"³، و لذلك فقد كان يتحرى في فتاويه قبل أن يصدر أي رأي أو حكم شرعي في مسألة ما، و في ذلك اقتداء بالإمام مالك، و من أقواله في العلم: "مثل العلم القليل في الرجل الصالح مثل العين العذبة في الأرض الخصبة، يزرع صاحبها زرعاً فينتفع به، ومثل العلم الكثير في الرجل غير الصالح مثل العين الخراة في الأرض السبخة تهدر الليل و النهار و لا ينتفع بها"⁴.

لقد كان زاهداً في الدنيا، متخشناً في المطعم و الملبس يلبس ساجاً كحلياً و قلنسوة حبراً إذا شهد يوم الجمعة، و ساجاً أزرق، مع قلنسوة زرقاء إذا حضر الجنائز⁵، و لا يقبل من أحد شيئاً، و لا

1- حسن حسيني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص66.

2- المالقي أبو الحسن عبد الله: المصدر السابق، ص28، الدباغ: المصدر السابق، ص86.

3- الدباغ: المصدر السابق، ص96.

4- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص189.

5- الدرقاش الهادي: فقهاء القيروان في القرنين الثالث و الرابع المحجرين، دكتوراه دولة، إشراف أحمد بكير محمود، جامعة الزيتونة، الزيتونة، تونس، 1989، ج2، ص815.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

لا يهاب الملوك، شديدا على أهل البدع فقد طردهم من الجامع عندما تولى القضاء، و أدب جماعة منهم، و أجمع أهل عصره على تقدمه و فضله¹.

إنه كان شديدا على من يخوض في الجدل، ففرق حلقات المعتزلة و الإباضية و الصفرية من جامع القيروان²، و لم يمنع سحنون من مباشرة الأحكام، من بث العلم و نشره، فكان يحضر مجالسه بجامع عقبة تلامذة من جميع أقطار المغرب و الأندلس يروون عنه أصول الدين و فروعه و قد عدلوا له نحو 700 رجل بالآفاق تخرجوا عليه³.

و من أشهر مؤلفات سحنون "المدونة الكبرى" التي اعتبرها البعض الكتاب الأم بلا منازع لدى المذهب المالكي⁴، كما وصفها البعض الآخر بـ "الكتاب الجامع لفروع الفقه المالكي" و التي وضعت أسس الفقه المقارن بعرضها لآراء مالك على أقوال الصحابة رضوان الله عليهم⁵.

و المدونة في الأصل هي أسدية بن الفرات، ذلك أن سحنون لم يقتنع ببعض المسائل التي تضمنتها لأنه رأى فيها اختلافات عما سمعه الفقيه علي بن زياد، فانتقل بها إلى عبد الرحمن بن

1- سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج1، ص62، الدباغ: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص78.

2- سعد زغلول عبد الحميد: المغرب العربي، المرجع السابق، ص93، محمد عليلي: الأشعاع الفكري، المرجع السابق، ص116.

3- سعد زغلول عبد الحميد: المغرب العربي، المرجع السابق، ص93.

4- يقال أن الدواوين في المذهب المالكي سبعة: "مدونة" سحنون، "واضحة" ابن حبيب، "عتبية" العتبي، "موازية" ابن المواز، و يطلق على هذه الأربعة لقب "الأمهات الأربعة"، في حين يطلق على مدونة سحنون وحدها لقب "الكتاب" لأنها بالنسبة إلى غيرها من كتب المذهب كالفاتحة في الصلاة تجزئ عن غيرها و لا يجزئ غيرها عنها، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض: المصدر السابق، ص61، و الدواوين الثلاثة الباقية هي: "مجموعة" ابن عبدوس، "مختلطة" ابن القاسم، "مبسوطة" القاضي اسماعيل، حمزة أبو فارس: مدونة الإمام سحنون، مراحل تدوينها- منزلتها بين الأمهات- شروحها و اختصارها، محاضرات ملتقى الإمام سحنون، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، 7- 8- 9 جمادى الثانية 1412هـ/ 13- 14- 15 ديسمبر 1991، 1993، ط1، ص- ص 113- 116.

5- الشيخ عبد الرحمن خليف: القيروان من أغزر المنابع للفقه المالكي، محاضرات ملتقى القيروان، مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، ذو القعدة 1414هـ/ 15- 16- 17 أفريل 1994م، 1995، ط1، ص 155- 156.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القبروان و تيمرت

القاسم في مصر حيث راجعها معه، فهدبها و كاتب ابن القاسم أسد بن الفرات بأن يراجع كتبه وفقا لكتب سحنون فأعرض عن ذلك¹.

فعندما سافر سحنون في رحلته الثانية إلى ابن القاسم بمصر سنة 188هـ/ 803م، هناك عارضه بمسائل الأسدية، فرجع ابن القاسم عن كثير منها، و بعد إعادته النظر في عدد مسائل الأسدية، واستدراكه منها أشياء و إسقاطه منها ما كان شك فيه من قول مالك، و إجابته فيه على رأيه، كتب ابن القاسم كتابا إلى أسد يأمره فيه أن يرد مدونته على مدونة سحنون فأنف²، و من هنا انقلب أسد على المذهب المالكي، فأظهر مذهب أبي حنيفة، و أصبح إمام العراقيين بالقبروان، و بدأ التنافس بين المذهبين، و كان التغلب في النهاية للمذهب المالكي بفضل عوامل منها مدونة سحنون و شخصيته الفريدة³.

أما المنهجية المتبعة في تدوين المدونة، فيمكن ملاحظة ذلك من خلال عرضه الأسدية على ابن القاسم، إذ أنه لم يعرضها عليه عرض الطالب على الشيخ، بل عرضها عرض الفقيه على الفقيه، إذ كان في هذا العرض نقاش و إعمال رأي، و تحقيق من الأقوال، و تثبيت من النصوص بهدف الوصول إلى الحقيقة العلمية و إرجاع المسائل إلى أصولها، و الأقوال إلى مصادرها⁴.

1- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص432.

2- قد يكون السبب في ذلك من ناحية نتيجة لتأثره بنصيحة معمر بن منصور الذي نناه عن ذلك، و من ناحية أخرى لإمكانية تنزيهه من مرتبة الآخذ مشافهة إلى مرتبة الآخذ بواسطة، هذا إلى جانب أن سحنونا هو تلميذ لأسد: "أعرض كتيبي على كتبه (سحنون) و أنا ربيته"، نجم الدين الهنتاني: المذهب المالكي، المرجع السابق، ص204.

3- سحنون: المدونة، المصدر السابق، ص64، الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص11، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص14.

4- الدرقاش الهادي: فقهاء، المرجع السابق، ج2، ص817، و نجد في المدونة ما يؤكد ذلك، سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج3، ص- ص 375-406.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

لقد كان هذا المنتج الفقهي الكبير خلاصة لجهود أربعة فقهاء هو عبد الرحمن بن القاسم في مصر، و علي بن زياد في تونس، و أحمد بن الفرات و سحنون في القيروان¹.

قال الشيخ عبد الرحمن خليف: "و منذ أن أدرك الناس قيمة المدونة ذاع صيتها في العالم الاسلامي، و عكف كبار العلماء على الاشتغال بها، إما شرحا و إما استظهارا و حفظا..."².

فعكف أهل القيروان على المدونة، فاختصرها ابن أبي زيد في مختصره، و لخصها أبو سعيد

البرادعي و هو من فقهاء القيروان (ت في أواخر القرن 4هـ / 10م) في كتابه المسمى بـ "التهديب"³، كما علق على المدونة كل من أبي إسحاق ابراهيم بن حسن المعافري التونسي (ت 443هـ / 1051م)، و عبد الخالق بن عبد الوارث المعروف بالسيوري (ت 460هـ / 1067م)، إلا أن أشهر هذه التعليقات و أكثرها إثارة، هي "التبصرة" لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي المعروف باللخمي نزيل صفاقس (. 478هـ / 1085م)، هذا الكتاب الذي يمكن إدخاله ضمن مختصرات المدونة⁴.

و من كتب سحنون أيضا "مختصر المناسك"⁵، توفي سحنون يوم 6 رجب سنة 240هـ / 854م، ودفن بالقيروان، و صلى عليه الأمير محمد بن الأغلب⁶، و قد عم الحزن يوم وفاته أرجاء القيروان، كما حضر الجنازة جمع من الأندلس⁷.

أبو عبد الله محمد بن سحنون التنوخي: هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، ولد بالقيروان سنة 202هـ / 817م، و توفي سنة 256هـ / 869 - 870م¹، و دفن بباب نافع

1- محمد علي: المرجع السابق، ص 116.

2- الشيخ عبد الرحمن خليف: القيروان من أغزر منابع، المرجع السابق، ص 155.

3- يظهر من هذا أن أهم المختصرات الأفرقية للمدونة ظهرت في القرن 4هـ / 10م، غير أن أول من اختصر المدونة بأفرقية هو حمديس بن ابراهيم اللخمي، و هو من أهل قفصة، توفي بمصر سنة 279هـ / 892م.

4- اهتاني (نجم الدين): المذهب المالكي، المصدر السابق، ص 219.

5- قاسم علي سعد: المرجع السابق، ج 1، ص 504.

6- نفسه، ص 506، حسن حسيني: الخلاصة، المرجع السابق، ص 66.

7- محمد علي: المرجع السابق، ص 116.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

بالقيروان، تربي و تعلم في كنف والده سحنون الذي بوأه مكانة خاصة لأنه ترسم فيه ذكاء فطريا بارزا و تغرس فيه الإمامة فقال: "ما أشبهه إلا بأشهب"²، فقد سمع من أبيه و تفقه على يديه، و كان يناظره في شتى المسائل العلمية، وأخذ العلم كذلك من موسى بن معاوية الصمادي و عبد العزيز بن يحيى المدني و عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (تلميذ مالك بن أنس)³، رحل إلى المشرق سنة 235هـ / 848م لأداء فريضة الحج و طلب العلم، فأخذ العلم في المدينة عن أبي بكر الزهري، ويعقوب بن حميد بن كاسب، و عبد الله بن عبد الله بن نافع، و أنس بن عياض و ابن الماحيشون وغيرهم كثر⁴، و في مصر أخذ عن عبد الرحمن بن القاسم وابن وهب، و أشهب و شعيب بن الليث و يوسف بن عمر و غيرهم من رواة الحديث و أصحاب مالك بن أنس⁵.

لقد كان ابن سحنون صورة من أبيه في النوع و التفقه في الدين، فقال أحد معاصريه القاضي، عيسى بن مسكين: "ما رأيت بعد سحنون مثل ابنه"⁶، لقد أدرك من والده جميع العلوم فكان يسمع بعض كتب أبيه في حياته يأخذها الناس قبل خروج أبيه، فإذا خرج أبوه قعد مع الناس سمع معهم من أبيه⁷، وكانت له حلقة على حلقة أبيه⁸.

-
- 1- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 249- 260، الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص- ص 49- 68، ابن فرحون: المصدر السابق، ص- ص 161- 166، محمد بن سحنون: آداب المعلمين، المصدر السابق، ص39، و هذا التاريخ يتفق مع التاريخ المنقوش على مشهد قبره أو مقامه الموجود بإزاء مقام والده سحنون بالقيروان، محمد بن سحنون: نفسه، ص نفسها.
 - 2- الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص80، محمد الطالبي: تراجم أغلبية، المرجع السابق، ص181.
 - 3- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص346، القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص180، الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص80.
 - 4- الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص79، محمد بن سحنون: آداب المعلمين، المصدر السابق، ص43- 44.
 - 5- محمد بن سحنون: آداب المعلمين، المصدر السابق، ص43.
 - 6- الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص79.
 - 7- محمد الطالبي: تراجم أغلبية، المرجع السابق، ص171، محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص43.
 - 8- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص345.

المباج الثالث — الأواخ الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

كان محمد بن سحنون أكثر أهل زمانه تأليف، و كان يؤلف في حياة والده الذي كان يقول: "يا محمد احذر أهل العراق فإن لهم ألسنة حدادا، و إياك إن فلف قدمك فتعتذر فلا يقبل عذرك"¹، كان غزير التأليف، ألف في جميع فنون العلم كتبا كثيرة تنتهي إلى المائتي كتاب²، و منها: الجامع في الفقه، المسند في الحديث، الإمامة³، تفسير الموطأ، الحجة القدرية، الحجة على النصارى، آداب القاضي، آداب المعلمين وغيرها كثير⁴.

محمد بن عبد الله بن أبي حسان اليحصبي: سمع من مالك بن أنس و عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وكان مالك يميل إليه، و قد تتلمذ له سحنون و كان يأخذ عنه بعض المسائل⁵.

كان له جرأة في قول الحق بالحجة و المناظرة، فقد حدث ذات يوم أنه دخل على زيادة الله الأول و في مجلسه النبذ فسأله عن رأيه فيه فقال: "أصلح الله الأمير كم دية العقل؟ فقال الأمير: و ماذا مما نحن فيه؟ قال: جوابكم ينبئكم سؤالي، قال الأمير دية العقل ألف دينار، فرد عليه: أصلح الله الأمير يعمد الرجل إلى ما فيه ألف دينار فيبيعه بزجيحة تسوى نصف درهم؟ فقال الأمير: يا أبا محمد إنه يذهب و يعود، فقال أبو حسان: بعد ماذا أصلحك الله؟ بعد إنقاء ما في بطنه، و كشف سوءته، و قتل هذا و ضرب هذا؟ فرد عليه الأمير: صدقت و الله صدقت و الله صدقت و الله⁶، كانت وفاته سنة 226هـ/ 841م، و قد بلغ من العمر 87 سنة⁷.

-
- 1- الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص80، محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص40.
 - 2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص245، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص129.
 - 3- قال القاضي عيسى بن مكين: لما وصل كتاب الإمامة إلى بغداد كتب بالذهب و أهدي إلى الخليفة"، المالكي: نفسه، ج1، ص1، ج2، ص246، الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص82.
 - 4- محمد الطالبي: المرجع السابق، ص172، محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص50-51، سعد زغلول: المغرب العربي، المرجع السابق، ص108.
 - 5- محمد سعيد: الحياة العلمية، المرجع السابق، ص108، محمد عليلي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص117.
 - 6- الدباغ: المصدر السابق، ص61-62، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص108.
 - 7- الدباغ: نفسه، ص62.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

محمد بن ابراهيم بن عبدوس: هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبدوس، ولد سنة 202هـ/ 817م، و توفي سنة 261هـ/ 874م¹، جرى بينه و بين محمد بن سحنون جدال علمي حتى انقسم أتباعهما إلى فريقين، سحنونيون و عبدوسيون، و له كتاب في الفقه سماه "المجموعة في فقه مالك وأصحابه"².

عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي: تفقه على يد سحنون، تولى قضاء القيروان بين سنتي 257- 267هـ/ 871- 880م³، ناظر المخالفين في كتاب سماه "الرد على من خالف مالكا"⁴، أعاب على ابراهيم بن الأغلب فسوقه و استطالته على الناس، فسجن حتى مات سنة 275هـ/ 888م⁵.

أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني (ابن الحداد): ولد سنة 219هـ/ 834م و توفي سنة 302هـ/ 914م، سمع من سحنون، لكنه كان يخالفه، مما أوقع الخصومة بينه و بين أصحاب سحنون بسبب ميله إلى مذهب الشافعي⁶، عرف بالجدل و المناظرة و قوة الحجة، له مناظرات مع المبتدعين حتى مثله أهل القيروان بأحمد بن حنبل أيام محنته⁷.

يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني الأندلسي القيرواني: فقيه بارز له مجموعة من المؤلفات منها "الصراف" و "الميزان" و كتاب "النظر إلى الله" و كتاب "اختصار المستخرجة للرد على الشافعي"

1- سعد زغلول: المغرب العربي، المرجع السابق، ص 109، محمد عليلي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص 117.

2- رابح بونار: المغرب العربي و ثقافته، المرجع السابق، ص 81.

3- نفسه، ص نفسها، محمد عليلي: المرجع السابق، ص 118.

4- الدباغ: المصدر السابق، ج 2، ص 162.

5- نفسه، ص 173.

6- الدباغ: المصدر السابق، ص - ص 295 - 315.

7- نفسه، ج 2، ص 243. محمد عليلي: المرجع السابق، ص 118.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

وكتاب "اختلاف بين القاسم و أشهب"¹، اتهم بالإرجاء فأنكر التهمة عنه و كان يقول: "بباعتها بباعتها"²، توفي بسوسة سنة 289هـ / 901م و عمره 76 سنة³.

هؤلاء الفقهاء شكلوا قوة سياسية⁴، و كانوا كثيرا ما ينتقدون سياسة الأمراء الأغالبة خاصة فيما يتعلق بالمال، و ترتب عن ذلك مضايقات عديدة⁵.

و تشير المصادر إلى عدد من الفقهاء الذين عرفوا بانتمائهم لغير مذهب مالك و بالخصوص مذهب أبي حنيفة، و من خلال استقصاء مذاهب القضاة الذين تداولوا على هذا المنصب في عصر سحنون و بعده، نلاحظ وجود بعض الفقهاء من المذهب الحنفي يتولون القضاء⁶، و يورد الخنشي أربعة وعشرين ترجمة لعلماء غير مالكيين و يذهبون مذهب العراقيين، و خاصة من مذهب أبي حنيفة⁷، و ذكر أيضا أحد عشر ترجمة لعلماء تشرقوا⁸ أي اتبعوا المذهب الشيعي، و قد دخلوا في خدمة الدولة الفاطمية.

و من أشهر فقهاء المذهب الحنفي نذكر:

أبو العباس بن عبدون: تولى القضاء في عهد الأمير الأغلي ابراهيم الثاني (261- 289هـ/ 876- 902م)، عرف بتعصبه للمذهب الحنفي، لذلك لم يكن من الغريب أن تكون له خصومات

1- رابح بونار : المغرب العربي، المرجع السابق، ص67.

2- محمد عليلي: المرجع السابق، ص118.

3- الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص244.

4-

Abdallah laroui, op.cit, p 109.

5- محمد عليلي: المرجع السابق، ص119.

6- محمد سعيد: المرجع السابق، ص110.

7- الخنشي : المصدر السابق، ص- ص 186- 197.

8- الخنشي : نفسه، ص- ص 223- 226.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

مع فقهاء المالكية، وصلت إلى حد الاضطهاد¹، أمثال ابن معتب المتوفي سنة 277هـ/ 890-891م².

أبو الربيع سليمان بن عمران: ولد سنة 183هـ/ 799م، و توفي سنة 270هـ/ 883م، فقيه حنفي تولى القضاء³، و عرف عنه نفاذ البصيرة و الكفاءة في القضاء حتى أنه كان يقول: "لو شئت أن أقضي بين الخصمين دون بينة لفعلت و الله ما يقعد بين يدي الخصمان و يتناظران إلا و أعرف من له الحق منهما"⁴، و لعل هذه الميزات التي دفعت بالفقيه سحنون إلى توليته قضاء باجة فلم يرض يرض به أهلها بحجة أنه على مذهب أبي حنيفة، فقال لهم سحنون: "ما قدمته عليكم إلا و أنا أعلم أنه يحكم بمذهبه"⁵.

* علم الحديث: إن علاقة علم الحديث بعلم الفقه ثابتة و وطيدة، ذلك أن الفقيه يستند في إصداره للفتوى على النصوص القرآنية و الحديث⁶، لقد احتضنت افريقية منذ نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري عددا كبيرا من الفقهاء كما رأينا، كانوا رواة للحديث و قد سمعوا بدورهم من كبار المحدثين في المشرق بالشكل الذي سمح بتطور علم الحديث في القيروان.

و كغيرهم في سائر الأمصار، اهتم علماء القيروان بالحديث منذ العصور الأولى خاصة و أن البلاد قد دخلها العديد من الصحابة و التابعين الذين توافدوا على القيروان بعد تأسيسها، و ساهموا في نشر الحديث الذي ورد عن الصحابة الذين يروونه بدورهم عن النبي صلى الله عليه و سلم⁷.

لقد ساهم العلماء القادمون من المشرق في إرساء تقاليد علمية، و قد أورد المالكي حوالي أربعين شخصا بين تابعين و صحابة كانوا من حملة الحديث، دخلوا القيروان منذ تأسيسها، و قد

1- رابح بونار : المرجع السابق، ص84.

2- محمد الطالبي: المرجع السابق، ص- ص 298- 343.

3- محمد عليلي : المرجع السابق، ص120.

4- محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص71.

5- الدباغ: المصدر السابق، ص152.

6- محمد الجودي : المصدر السابق، ورقة 13- 14.

7- محمد سعيد: الحياة العلمية، المرجع السابق، ص 96.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

نشروا بها العلم والحديث بصفة مميزة، و سواء كانوا استوطنوا أو غادروا العاصمة الافريقية فإن بصماتهم بقيت و طبعت الحياة الثقافية و العلمية بالقيروان¹.

و يظهر التأثير الإيجابي للتابعين في ميدان الحديث من خلال تميزهم بالرواية عن جماعة من الصحابة، و من أبرزهم و أكثرهم تواترا، ابن العباس و ابن كثير و ابن عمرو بن العاص، و ابن الزبير، وابن مسعود و أبو هريرة، و قد سبق لجل هؤلاء أن دخلوا افريقية قبل تأسيس القيروان، و قد أوردت كتب التراجم لهم صفحات هامة ضمن تراجم العلماء مع التأكيد على الصحابة و التابعين بعدهم (الصحابة حملة العلم و حفظة القرآن و رواة الحديث) علما أن هؤلاء الصحابة الذين دخلوا البلاد أو التابعين الذين عرفوا القيروان أو استوطنوا بها قد أدخلوا معارفهم و علومهم، و القيروانيون اشتهروا بدورهم بتهافتهم على طلب الحديث حيث اعتبرهم المالكي من أهل الذهن و الذكاء و العقول ضمن أهل الأمصار (المدينة والكوفة و القيروان)².

و إذا نظرنا إلى التابعين الذين دخلوا القيروان و كان لهم اهتمام بالعلوم، فمن بين أربعين شخصا تقريبا، نجد ستة عشر شخصا ورد ذكرهم في مصنفات الحديث في موطأ مالك و مسلم، والنسائي، و أبو داوود، و ابن وهب و سحنون صاحب المدونة³.

لقد تميز القرن الأول و الربع الأول من القرن الثاني للهجرة ب بروز طبقة من التابعين استقرت بالقيروان و ساهمت في نشر الاسلام و تعريب البلاد من خلال العلوم التي تحملها عن الصحابة، وذلك قبل ظهور الجيل الأول من المحدثين و العلماء الأفارقة الذين يعتبر عبد الرحمن بن زياد رائدهم كيف لا و هو أول مولود بافريقية في الاسلام حسب إجماع كتب التراجم⁴.

1- نفسه، ص نفسها.

2- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 286.

3- نفسه، ج 1، ص 215، محمد سعيد: المرجع السابق، ص 98.

4- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص 99.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممته

يعتبر عبد الرحمن بن زياد من الرعيل الأول لعلماء القيروان، و قد ذاع صيته بالمشرق مما جعل المؤلفين يدخلونه في كتبهم و حتى سفيان الثوري كان يعظمه¹، و يعتبر جيل عبد الرحمن بن زياد نهاية فترة و بداية فترة أخرى، فهو باكورة ما أنتجت القيروان من علماء تلقوا علومهم عن التابعين المذكورين آنفا وهو الجيل الذي ستشهد معه الرحلة إلى المشرق ازدهارا كبيرا نظرا لتطور الأمصار المشرقية على المستوى العلمي و الثقافي.

لقد ارتبط علم الحديث في القيروان باسم الإمام مالك بن أنس الذي شدت إليه الرحال والمطايا واهتم به أهل القيروان و ساهموا في نشر مذهبه بالمغرب و الأندلس، و لئن سمح القيروانيون من جلة علماء مصر و الكوفة و الشام و البصرة، فإن أكثر سماعهم كان من مالك بن أنس حسب تواتر اسمه في كتب التراجم ضمن المحدثين.

و من أبرز هؤلاء الذين كان لهم السماع عن مالك نذكر عبد الله بن فروخ الفارسي الذي كان مالك يقول عنه "هذا فقيه أهل المغرب"²، و هنا يحدث آخر سمع عنه مالك و هو أبو زكرياء يحيى بن سلام البصري الذي يقول: "أحصيت من بنفسي من العلماء فعددت ثلاث مائة و ثلاث وستين عالما سواء التابعين و هم أربعة و عشرون و امرأة تحدث عن عائشة"³، و قد روى عنه مالك بن أنس و الليث بن سعد العالم المصري، و نذكر أيضا البهلول بن راشد الذي سمع من مالك و الليث و سفيان و تتلمذ له سحنون و يصفه أبو العرب بكونه عنده علم كثير⁴، و كذلك عبد الله بن غانم الذي صاحب مالكا و أخذ عنه⁵ دون أن ننسى أسد بن الفرات⁶ و عبد الله بن أبي حسان

1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص156.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص177، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص217.

3- نفسه، ج1، ص188.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص126.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص215.

6- أبو العرب: المصدر السابق، ص163.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

حسان اليحصبي و الذي يعتبره أبو العرب ثقة في حديثه¹، إلى غير هؤلاء و هم خلق كثير في كتب الحديث ضمن الأسانيد المعتمدة في هذا العلم.

لقد تنوعت مصادر رواية الحديث عند علماء القيروان في القرن الثاني و إن حظي مالك بنسبة كبيرة من اهتماماتهم فإن ذلك لا يعني إقصاء بقية العلماء المشاركة الذين كانت تشد إليهم الرحال من كل مصر، بالإضافة إلى مالك نجد من بين أساتذة علماء القيروان في الحديث أبو حنيفة².

كما سمع علماء القيروان من علماء مصر مثل أبي القاسم و هو من أصحاب مالك، و الذي أخذ عنه أسد بن الفرات "الأسدي"³، و كذلك للثوري نصيب من اهتمام طلبة الحديث و كان يلقب بأمر المؤمنين في الحديث⁴، و كذلك كثر أخذهم عن المحدث الليث ابن سعد الذي يعتبره الشافعي أفضقه من مالك⁵.

و من أبرز و أكبر المحدثين نذكر:

علي بن زياد: يذكر بأنه هو أول من أدخل موطأ مالك إلى افريقية، و الموطأ هو كتاب جامع للحديث والفقهاء توخى فيه الصحيح من حديث أهل الحجاز و مزجه بأقوال الصحابة و فتاوى التابعين⁶، و هو أقدم مصنف في الحديث و قد جمع فيه ما صحح من الحديث و تفسير و فقه و تاريخ

1- نفسه، ص155.

2- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص181، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص215، محمد الطالبي: تراجم أغلبية، المرجع السابق، ص47، كما أخذ الحديث كل من عبد الله بن غانم و أسد بن الفرات و أبي يوسف تلميذ أبي حنيفة، القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص54.

3- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص255.

4- ابن النديم: الفهرست، ضبط و شرح و تعليق يوسف الطويل، وضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، لبنان، 1996، ص225.

5- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص58.

6- عمر سليمان الأشقر : تاريخ الفقه الإسلامي، قصر الكتاب، البلدة، الجزائر، 1990، ص90.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممته

تاريخ أي السير¹، فلم يأخذ إلا عن الثقة فاعتمد على عبد الله بن عمر و عبد الله بن عباس² لأنه كان أكثر الناس تمسكا بما ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم، و قد قال: "لا يؤخذ العلم إلا من أربعة و يؤخذ ممن سواهم و لا يؤخذ من سفيه، و لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعة، و لا من كذاب يكذب في أحاديث الناس، و إذا كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا من شيخ له فضل و صلاح و عبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل و يحدث به³."

عبد الله بن فروخ: كان من الفقهاء المحدثين، سمع الحديث عن أبي حنيفة كما ذكرنا، قال: "كنت يوما عند ابن أبي جمعة⁴ فسقطت آجرة من أعلى داره على رأسي فأدمتني، فقال لي: اختر إن شئت أرش الجرح و إن شئت ثلاثمائة حديث، قلت الحديث، فحدثني ثلاثمائة حديث"⁵.

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم: المتوفي سنة 161هـ/816م، يعد من كبار المحدثين في افريقية، ذلك لأنه لقي أبا حنيفة و مالكا بن أنس و سفيان الثوري في أثناء رحلته إلى المشرق⁶، و روى الحديث عن هؤلاء الأئمة الفقهاء فكان من المحدثين الثقة.

كما احتضنت القيروان الكثير من الفقهاء المحدثين أمثال أبي خارجة عنيسة بن خارجة الغافقي الإمام الثقة الأمين الفقيه المحدث، توفي سنة 220هـ/835م⁷، و أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي الإمام الثقة الأمين العالم بالحديث و الفقه، توفي سنة 225هـ/839م، سمع من أبيه و وكيع بن الجراح والفضيل بن عياض⁸، و عون بن يوسف الخزاعي الفقيه المحدث أخذ عن بن

1- نفسه، ص93.

2- نفسه، ص94.

3- مصطفى محمد الشكعة: المرجع السابق، ص125.

4- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص215، الدباغ: المصدر السابق، ج1، ص240.

5- الرقيق القيرواني: نفسه، ص نفسها.

6- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص107.

7- محمد بن محمد بن مخلوف: المصدر السابق، ص63.

8- نفسه، ص69.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

وهب، ولد سنة 150هـ/767م، و توفي سنة 239هـ/853م¹، و محمد بن سحنون الذي ألف كتاب "المسند في الحديث"² فكثرت المؤلفات و المصنفات التي تعنى بهذا الباب.

و هكذا نلاحظ أن علماء القيروان لم يكتفوا بالأخذ عن المشاركة و عن الذين قدموا القيروان من التابعين في فترة أسبق، بل نراهم قد دخلوا ميدان وضع الحديث من بابه الكبير، و هذه الأحاديث جاءت تمجيذا لافريقية و القيروان و تزخر كتب التراجم بهذا النوع من الأحاديث.

و من أبرز هذه الأحاديث التي تعتبر موسوعة بلا شك: "يخسر من افريقية قوم وجوههم مثل القمر ليلة البدر"³، و كذلك الحديث الذي يمجّد فضل المرابطة بالمنستير: "من رابط بالمنستير ثلاثة أيام وجبت الجنة"⁴، و الحديث الذي يمجّد أهل افريقية: "إن البرد الشديد و الآجر العظيم لأهل افريقية"⁵.

و حديث آخر يمجّد افريقية ذاتها: "من أتى افريقية لقي خيرا كثيرا"⁶، إلى غير ذلك من الأحاديث التي جاءت لتؤكد محاولة إبراز افريقية بين سائر الأمصار انطلاقا من الشرعية الدينية.

و يبدو أن هذه الأحاديث قد وضعت في فترة تميزت فيها البلاد بعدم الاستقرار السياسي من جهة و ما يترتب عن ذلك من نظرة للمشاركة إلى هذه المنطقة النائية التي اشتهرت بمعاداتها للسلطة المركزية في دمشق و في بغداد حتى قيام دولة بني الأغلب، فلعل هذه الأحاديث محاولة من الأفارقة لرد الاعتبار لبلادهم.

1- نفسه، ص نفسها.

2- محمد بن سحنون: آداب المعلمين، المصدر السابق، ص50، سعد زغلول: المغرب العربي الكبير، المرجع السابق، ص108.

3- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص45.

4- نفسه، ص48.

5- نفسه، ص50.

6- نفسه، ص53.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

* علم الكلام: هم علم اتصل بالشرعية، ربطه ابن خلدون بعلم التوحيد فقال: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة، و سر هذه العقائد هو التوحيد..."¹.

فهو العلم الذي يمكن الانسان من فرض العقائد و الأفعال التي فرضها الشارع و تغليبها عما سواها، كما يمكن اعتباره العلم الذي يفرض المعتقدات الدينية بالحجة و إبعاد الشكوك²، و نعرفه حسب ابراهيم حسن: "و يقصد به الأقوال التي كانت تصاغ على نمط منطقي أو جدلي و على الأخص المعتقدات"³.

ظهرت تسمية علم الكلام في عصر المأمون (198-218هـ / 813-833م)، و يقول في ذلك الشهرستاني: "ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخلقت منهاهجها بمناهج علم الكلام و أفردتها فنا من فنون العلم"⁴، و يسند الشهرستاني هذا العلم إلى غيلان الدمشقي (ت125هـ) و الذي يعتبر أول من تكلم في القدر و خلق القرآن في الاسلام، و اعتبر غيلان الدمشقي "المتكلم" أول خارج عن إجماع الأمة، و قد انتهى الأوزاعي يقتله⁵، و مهما يكن من أمر فإن علم الكلام يبدو أنه ظهر و تطور نتيجة عاملين أحدهما داخلي و الآخر خارجي: العامل الداخلي خاص بالمجتمع الاسلامي و ظهور الخلافات و المذاهب السياسية التي نشأت إثر خلاف المسلمين حول مسألة الخلافة و ما أفرزته من صراعات مسلحة بعد مقتل عثمان خلال العصر الأموي.

1- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص467.

2- نفسه، ص نفسها، محمد سعيد: المرجع السابق، ص113.

3- حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، مكتبة النهضة، القاهرة، 1964، ج2، ص329.

4- علي الشابي: مباحث علم الكلام، الطبعة الأولى، دار بوسلامة، تونس، 1977، ص11.

5- الشهرستاني: الملل و النحل، المصدر السابق، ج1، ص- ص 21-22.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

العامل الخارجي يتمثل ذلك فيما أفرزته عملية الفتوح من تفتح المسلمين على ثقافات الشعوب القديمة، و لا نستغرب أن يتطور هذا العلم و يبلغ ذروته مع عصر المأمون، العصر الذي اطلع خلاله المسلمون على الكتب المترجمة اليونانية و الهندية و غيرها¹.

فكيف وصل هذا الصنف من العلوم إلى القيروان؟ و متى كان ذلك؟

يذكر المالكي أن أبا قبيل المعافري الذي دخل افريقية غازيا مع حسان بن النعمان قد رجع إلى مصر و توفي بها سنة 128هـ، كان سأله رجل في القدر فرد قائلا: "لا أنا في الاسلام أقدم منه فدين أنا في الاسلام أقدم من لا خير فيه"²، و يبدو من خلال هذه الرواية أن المسائل التي بدأ الخوض فيها بالمشرق قد وصلت إلى القيروان في أوائل القرن الثاني، و ينسب إدخال علم الكلام إلى القيروان بصفة رسمية إلى عبد الله بن الأشبح و هو حنفي المذهب (ت 286هـ / 899م)، يقول عنه الخشني: "كانت له أيضا رحلة و دخل العراق و كان من أهل المناظرة لما قدم من العراق دخل عليه أحداث القيروان فقال لهم ما الذي يتكلم فيه أهل القيروان اليوم، قيل له الأسماء و الصفات فقال: إنما تركت الناس بالعراق يتوافقون في مسألتين: القدر ومسألة الوعد و الوعيد"³، و يبدو أن شيوخ الجدل و المناقشات الكلامية دخلوا افريقية منذ أواخر القرن الثاني، و فشا التشبيه بالقيروان على عهد ابراهيم الثاني (261-285هـ / 874-892م)⁴.

و قد شاعت المناظرات الكلامية و تطور الجدل حتى أن محمد بن سحنون قد وضع كتابا سماه "ادب المتناظرين"⁵، أو "ما يجب على المتناظرين من حسن الأدب"، و هو في جزئين، و كتاب "الحجة على القدرية"، و كتاب "الحجة على النصارى"¹.

1- محمد سعيد: المرجع السابق، ص114.

2- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 143-144.

3- الخشني: المصدر السابق، ص220.

4- عبد المجيد بن حمدة: المرجع السابق، ص46.

5- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص173، محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص50.

المباحث الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

فما هي أهم المسائل المثارة في هذه المناظرات التي كانت مزدهرة داخل القيروان؟ و من هو أبرز المتكلمين؟

مسألة القدر:

لقد شغلت هذه المسألة جانبا كبيرا من اهتمامات المتكلمين من السنة و المعتزلة نظرا إلى الخلاف الجوهرى القائم بين الطائفتين، و تروي كتب التراجم بعض مظاهر هذه النزاعات حول موضوع القدر في إطار المناظرات و المناقشات، فما هي مسألة القدر و ما هي مظاهر الجدل حولها؟ مسألة القدر بدأت تطفو على ساحة النقاش منذ أواخر القرن الأول، و قد ذكروا أن من أسبق الناس قولاً بالقدر سعيد الجهني و غيلان دمشقي²، و المسألة تدور حول قدرة الانسان على خلق أفعاله، هل هو مجبر أم مخير في أفعاله، و قد وصلت عدوى هذه النقاشات إلى القيروان منذ بداية القرن الثاني كما أسلفنا القول، و ارتبط القول بالقدر مع فرقة المعتزلة التي ورثت هذه المفاهيم عن القدرية و القول بالقدرة الانسانية أمر غير جائز عند السنة، خاصة عند المالكيين، الذين يعتبرون ذلك بدعة.

و كثيرا ما وردت هذه اللفظة مصاحبة لبعض تراجم رجال يعدون من أولئك الذين يباينون أهل البدع و يحاربونهم أو هم من المتشددين عليهم، فالسنة ترى أن القدر يجب الإيمان به خيره و شره حلوه و مره.

و من مظاهر الجدل القائم حول مسألة القدر ما رواه المالكي في مناقشة بين علي بن زياد و أبي محرز حول القدر و أفعال العباد، قال ابن زياد: "بلغني أنك تقول أن ابليس يستطيع السجود فإذا كان يستطيع السجود فكيف يجوز لك أن تلعه فلعله قد سجد؟ فوجم أبو محرز و أخذ يتكلم

1- محمد بن سحنون: نفسه، ص نفسها.

2- أحمد أمين: فجر الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، 1969، ص284.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

في غير الجواب المطلوب"¹، و دائما مع علي ابن زياد و أبي محرز: "سأل الأول الثاني: يا أبا محرز ما الذي أراد الله سبحانه و تعالى من عبادته؟ قال: الطاعة، فقال له: و الذي أراد ابلis منهم؟ قال له: المعصية، فقال أي الارادتين غلبت؟ فقال أبو محرز: أقلني أقالك الله"².

و تذكر المصادر أن الفقيه ابن فروخ الفارسي قد رمى بشيء من القدر حتى تبينت براءته³، وفي رواية أخرى ذكر أبو العرب عن بعضهم الذي قال: "جزت بسقيفة العراقي و هم يتفاخرون بالاعتزال، فبلغ ذلك بهلولا فجعل يقول: بلغني أنك مررت بسقيفة العراقي و هم يتفاخرون في القدر فوقفت تستمع منهم، و أغلظ علي"⁴، و نلاحظ تمجيد كتب التراجم لعلماء السنة و إبراز مقدرتهم الفائقة في الجدل و إبراز الخصم في موقف العاجز، و قد اعتبر أهل السنة القدر بدعة و وضعوا في ذلك أحاديث نبوية، مثل ما أورده ابن عبد ربه في "عقده الفريد": "جاء رجل و قال للنبي: يا رسول الله أيقدر علي الشر ثم يعذبني عليه؟ قال: نعم و أنت أظلم" و حدث آخر: "لا تجالسوا أهل القدر و لا تفاتحوهم"، و آخر: "ما كان كفر بعد نبوة قط إلا كان مفاتحه التكذيب بالقدر"⁵.

كانت هذه مسألة القدر، فما هو الشأن إذن بالنسبة إلى مسألة خلق القرآن التي شغلت الناس مشرقا و مغربا من ضمنهم أهل القيروان؟

مسألة خلق القرآن:

لقد وصلت هذه المسألة إلى مدينة القيروان في عهد زيادة الله الأول الذي نص مذهب المعتزلة في القول بخلق القرآن، و يبدو أنه تأسى بالخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/ 813-

1- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص236.

2- نفسه، ص نفسها.

3- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص107.

4- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص129.

5- ابن عبد ربه: العقد الفريد، المجلد2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1965، ص381.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

833م) الذي كان من أنصار هذه الفكرة¹، بل تطورت هذه المسألة في عهده حيث حمل الناس على القول بخلق القرآن سنة 218هـ/ 833م².

و يذكر أبو العرب في ترجمة عبد الله ابن أبي حسان اليحصبي أن هذا الآخر قد دخل على زيادة الله و الجعفري و العنبري يتناظران في القرآن³، و يذكر المالكي نبأ مناظرة جرت بين محمد بن سحنون و شيخ قدم من المشرق يقال له أبو سليمان النحوي، و كان يقول بخلق القرآن و يذهب إلى الاعتزال، و قد أخرج ابن سحنون بسؤاله: رأيت كل مخلوق هل يذل لخالقه؟ فمكث الشيخ و فسر ابن سحنون ذلك قائلا: إن قال يذل لخالقه فقد كفر بأنه جعل القرآن ذليلا⁴.

و لنا أيضا مثال آخر من هذه المناظرات حول القرآن ما ذكره المالكي في ترجمة سعيد بن الحداد الذي واجه جماعة من العراقيين على رأسهم عبد الله بن الأشبح في وجود الأمير ابراهيم بن أحمد⁵.

و على هذا الأساس فقد احتدم صراع فكري و فقهي بين أئمة أهل السنة الذين يقولون بأزلية القرآن و أنه وحي الله، و بين المعتزلة الذين يقولون بأن القرآن مخلوق، و قد دافعوا عن هذه الفكرة بحجة أن الأخذ بمبدئ أزلية القرآن يمس بوحداية الذات الإلهية⁶.

لذلك لم يكن من الغريب أن تشهد مدن افريقية، و لا سيما القيروان في هذا العهد معارك كلامية بين الفريقين، فانبرى كل فريق يدافع عن فكرته، إلا أن الظروف في بعض الأحيان كانت في صالح الفريق القائل بخلق القرآن، و لعل استعمال الحجج العقلية كان عاملا في انتصارهم أحيانا،

1- محمد عليي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص128، Abdallah laroui, op.cit, p110.

2- أحمد أمين: فجر الاسلام، المرجع السابق، ص- ص 163- 164، محمد سعيد: الحياة العلمية، المرجع السابق، ص118.

3- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص172.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص449.

5- نفسه، ج2، ص72.

6- شارل أندري جوليان : المرجع السابق، ص63.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

فسبب ذلك كثيرا من المضايقات لفقهاء المالكية وصلت إلى حد الملاحقات، حتى اضطرت بعضهم إلى الابتعاد عن ساحة المعركة و التخفي¹.

و كان الإمام سحنون واحدا ممن ابتلي بمحنة خلق القرآن، شأنه شأن سائر علماء القيروان، فلما وقف بين يدي الأمير الأغلبي أحمد بن الأغلب و بحضرة قاضيه المعتزلي ابن أبي الجواد (قاضي القيروان سنة 232هـ / 846 - 847م)²، سأله عن القرآن فأجابه بقوله: "أما شيء أبدته من نفسي فلا، و لكني سمعت ممن تعلمت منه و أخذت عنه كلهم يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، فقال ابن أبي الجواد: كفر فاقتله و دمه في عنقي"³، كما كان جزاؤه منعه من الفتوى و فرض الإقامة الجبرية عليه، حيث فضل الأمير الأغلبي عزل سحنون و أمره بلزوم بيته و أن لا يسمع أحدا علما⁴، و ظل كذلك إلى أن جاء محمد الأول بن الأغلب (226 - 242هـ / 840 - 856م)، ففواه قضاء القيروان سنة 234هـ / 848م، بعد إلحاح دام سنة، و تعهد له هذا الأمير بإطلاق يده في تنفيذ أحكامه، و استمر قاضيا إلى أن مات رحمه الله⁵.

و تصدى ابنه محمد أيضا لمن يقول بهذه الفكرة، و قيل أنه ناظر شيخا معتزليا قدم إلى القيروان فألزمه الحجة⁶.

1- محمد عليلي: الإشعاع الفكري، المرجع السابق، ص128.

2- صالح باجية: الإباضية بالجريد في العصور الأولى، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، تونس، 1972، ص103، و قد عرف هذا القاضي بتعصبه لفكرة خلق القرآن حتى وصل به الحد إلى أن طالب بالحكم بالموت على سحنون لرفضه قبول فكرة خلق القرآن، محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص254.

3- الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص94، رابع بونار: المرجع السابق، ص78، و قال: "مثله غيره ممن يرى برأيه، فقال بعضهم: يقطع أرباعا و يجعل كل ربع بموضع من المدينة، و يقال هذا جزاء من لم يقل بكذا"، أحمد الطويلي: شهيرات القيروان، المرجع السابق، ص22.

4- أبو العرب: المحن، تحقيق يحيى وهيب الجودي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص- ص458 - 465.

5- الزركلي: الأعلام، المصدر السابق، ج4، ص307، أحمدادو تال ديالو: الصناعة بالقيروان، المرجع السابق، ص29.

6- الدباغ: المصدر السابق، ص134.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

لكن القول بفكرة خلق القرآن و حتى أفكار المعتزلة لم يكتب له النجاح في افريقية رغم أن الأمير الأغلي أبا العباس عبد الله الثاني (289-290هـ / 902-903م) حاول إحياءها مجدداً في الأوساط الدينية بأن كتب سجلات في خلق القرآن و أمر بقراءتها على المنابر، و قد ترتب عن هذا التصرف من قبل الأمير إثارة سخط فقهاء السنة¹.

و من عوامل و أسباب عدم رواج فكرة خلق القرآن نجد:

- لم يكن يؤمن بهذه الفكرة إلا فئة قليلة من الفقهاء و هم على مذهب المعتزلة و بعض الأمراء الأغلبة أمثال زيادة الله أي أنها لم تكن تعبر عن حركة فكرية عامة في البلاد بل كانت في إطار محدود.

- أثرت مسألة خلق القرآن في قالب جدلي، و الجدل هو منهج المعتزلة²، و أساس فكرهم و ثقافتهم، فهو يقوم على المنطق و سعة الثقافة و حدة الذهن، و هو من المجالات التي أبدعوا فيها، لا بل إنه روح هذا المذهب، و لما كان المذهب المالكي يرفض الخوض في الجدل و إطلاق العنان للعقل في المسائل الفقهية، فقد كره منهم فقهاء المالكية هذا المنحى، الأمر الذي جعل الفقيه سحنون يتصدى لحلقات المعتزلة و الإباضية و الصفرية في جامع القيروان³، حتى لا تثار مثل هذه المسائل المتعلقة بالعقيدة و التي تؤدي إلى متاهات فقهية.

و من الذين اشتهروا بالمناظرات، العنبري الذي عاش في القرن 3هـ / 9م⁴، و هو من الإباضيين، وقد تصدى لمناظرة فرق الخلاف و هي في الغالب من المعتزلة باعتبار ما كان يحدث في تيهرت بين الإباضيين و المعتزلة، إذ يصل الأمر بين الطرفين في معظم الأحيان إلى صراع فكري يصل إلى حد العنف، و كانت له مناظرات في حضرة الأمير الأغلي زرادة الله الأول.

1- محمد الطالبي : الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص596.

2- عبد الحكيم بليغ: أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، دار نضرة مصر للطبع و النشر، ط2، القاهرة، 1969، ص220-221.

3- الدباغ: المصدر السابق، ص87.

4- جمعية التراث: المرجع السابق، ص673.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

و من المتكلمين الإباضيين في القيروان سعيد الحدائي الذي عاش في نهاية القرن 3هـ / 4م¹.
و بالإضافة إلى مسألتي القدر و خلق القرآن أثرت مسألة الصفات و رؤية الله يوم القيامة،
ويذكر أبو العرب بأن أسد بن الفرات حدث يوماً بحديث في رؤية الله تبارك و تعالى يوم القيامة،
وسليمان ابن الفراء في مؤخر المجلس، فتكلم ابن الفراء و أنكر فسمعه أسد فقام إليه، فضربه ضرباً
شديداً حتى أدماه²، وأما مسألة الذات و الصفات، فلنا مثال عن مناظرة دارت بين محمد بن
سحنون و سليمان ابن الفراء الذي خاطب ابن سحنون قائلاً: "يا أبا عبد الله، الله سمي نفسه؟ أراد
بذلك أن يقول نعم فيثبت عليه الاقرار بحدوث الأسماء و الصفات فقال له ابن سحنون: الله سمي
نفسه لنا و لم يزل و له الأسماء الحسنى"³، و هذه المسألة اختلف فيها المعتزلة و السنة، فالمعتزلة لا
تفصل بين الذات و الصفات و ترى التوحيد المطلق في حين أن أهل السنة يثبتون الصفات و يرونها
متميزة عن الذات⁴.

كانت هذه لمحة عن علم الكلام و أهم مظاهره من جدل و نقاشات و مناظرات بين محورين
منازعين، السنة و المعتزلة أو العراقيون كما تسميهم المصادر، و يبدو أن المسائل المطروحة للنقاش
سادت إلى أواخر العهد الأغلي حين سيدخل علم الكلام مرحلة جديدة بدخول طرف ثالث
وحاسم، الشيعة بثقلها السياسي و الفكري و خاصة مسألة الإمامة التي اعتبرت الدعامة الأولى في
بنية العقيدة الاسماعيلية⁵.

و في الجدول التالي يورد لنا الخشني العلماء المتكلمين بالقيروان خلال القرن الثالث للهجرة
حسب انتمائهم المذهبي:

المتكلمون العراقيون (المعتزلة)	المتكلمون من مذهب السنة
- سلمان بن عصفور الفراء	- محمد بن نصر بن حضرم: معلم بن سحنون

1- نفسه، ص358.

2- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص 163-164.

3- الخشني: المصدر السابق، ص198.

4- عبد المجيد بن حمدة: المرجع السابق، ص148.

5- نفسه، ص240.

الباب الثالث — الأوزاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

<ul style="list-style-type: none"> - عبد الله بن الأشج - أبو إسحاق: العمشاء - الفزاري - أبو الفضل: ابن ظفر - محمد بن الكلاعي - محمد المعروف بالمسيحي - القمودي - ابن أبي روح - أحمد محمد ابن شهر 	<ul style="list-style-type: none"> - محمد بن سحنون: مناظر و فقيه و متكلم - أبو العباس عبد الله أحمد بن طالب: قاض و مناظر - أبو عثمان سعيد بن الحداد: من أشهر المتكلمين من السنة - محمد بن محبوب - أبو عبد الله البجلي محمد بن علي - ابراهيم اسحاق بن نعمان: على مذهب الشافعي - أبو بكر بن القمودي - ابن الصباغ - ابراهيم بن محمد الضبي - أبو جعفر أحمد بن زياد - أبو جعفر أحمد بن موسى التمار - أبو العباس ابن السندي - علي بن منصور الصفار - محمد الرقادي - عبد الملك بن الضبي - عباس بن عيسى - ابراهيم بن أبي مسلم - مجاهد الشركاء
10	19

ب- العلوم اللسانية و الاجتماعية:

* علوم اللغة العربية: و تمثل الأسس النظرية لعلم اللغة من حيث قوانينها من نحو و صرف، يقول ابن خلدون: "أعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، و تلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها و هو اللسان في كل أمة حسب اصطلاحهم"¹.

1- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص454.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و لم تزل العرب تنطق على سجيتهما في صدر إسلامها و ما في جاهليتها حتى أظهر الله الاسلام، فدخل الناس فيه أفواجا و اجتمعت فيه الألسن المتفرقة و اللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة، فتفطن بذلك من نافي بطباعه سوء إفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظم الإشفاق من فشو ذلك¹، و لما فشا اللحن و صار يهدد كلام العرب، قام بعض علماء اللغة بمجهود جبار لتأسيس علم النحو و يقول ابن خلدون: "فاستنبطوا من مجازي كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام و يلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع و المفعول منصوب و المبتدأ مرفوع..."².

و يواصل الزبيدي تفسير أسباب ظهور النحو قائلا: "حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه و تثقيفها لمن زاغت عنه"³، وجعلوها صناعة لهم مخصوصة و اصطلاحوا على تسميتها بعلم النحو⁴.

و لعنا نتساءل عن الفرق بين عالم اللغة و عالم النحو، و في هذا الإطار نقل ما جاء في كتاب أحمد أمين "ضحى الإسلام" نقلا عن البغدادي: "أعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب و لا يتعداه، و أما النحوي فشأنه أن يتصرف في ما ينقله اللغوي و يقيس عليه"⁵.

نستنتج من خلال هذا الكلام أن المسألة كانت على غاية من الأهمية و الخطورة من خشية العرب على ذهاب لغتهم بفشو الألمان نظرا لاختلاط الأجناس، فكان تقنين اللغة و هيكلتها أمرا ضروريا جدا فأين و متى بدأ تقنين اللغة؟

و قد نبت هذا البحث في العراق و نما في العراق، و كما نشأ جمع اللغة و تكوينها في العراق و كما نشأ الفقه في العراق⁶.

1- الزبيدي : طبقات النحويين و اللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر سنة 1973، ص11.

2- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص454.

3- الزبيدي: المصدر السابق، ص11.

4- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص454.

5- أحمد أمين: ضحى الإسلام، المرجع السابق، ج2، ص277.

6- نفسه، ص نفسها.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و ينسب النحو إلى أبي الأسود الدؤلي بإشارة من علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة، ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد، فهدب الصناعة و كل الأبواب و أخذها عنه سيبويه¹.

فكيف وصل علم النحو إلى القيروان؟ و متى كان ذلك؟ و من هم أبرز و أكبر النحاة القيروانيين؟ و ما هي الميزات التي تميزوا بها خلال هذه الفترة؟

و قبل الإجابة عن هذه التساؤلات، يجدر بنا الحديث عن اللغة العربية، و التي كانت تعتبر أجنبية بالنسبة لسكان البلاد الأصليين، و إلى أي مدى تفاعل معها هؤلاء السكان؟

لقد كانت اللغة العربية مرتبطة بعاملين أساسيين و ضروريين هما:

- عامل نشر الدين الاسلامي، أي ضرورة تعلم المسلم دينه من قرآن و أحاديث و لإقامة الفرائض والسنن كالصلاة و الوضوء، و هو ما يتطلب حدا أدنى من معرفة اللغة العربية².

- العامل السياسي و المتمثل في ضرورة تعريب الدواوين و النقود و التي لم تجسد إلا في أيام عبد الملك بن مروان، و قبل ذلك كانت اللغة اليونانية مستعملة منذ زمن الفتح، و يقول حسن حسيني عبد الوهاب أنه يمتلك ورقا للبردي مؤرخ سنة 95هـ / 714م³، و قد قام حسان بن النعمان بدور كبير في إخضاع المنطقة و ضمان تبعيتها النهائية لدمشق و أن دون الدواوين و كتب الخراج على من أقام من البربر و غيرهم على دينهم، فقد أبقي على العملات المتداولة و التي كانت تكتب باللاتينية، و زاد أن وضع عليها نقوشا دينية إسلامية.

و قد قام موسى بن نصير بضرب نقود على الطراز البيزنطي اللاتيني السائد، و سجل عليها نصوصا بحروف لاتينية مقتطية مثل كتابة اسم الوالي مصحوبا بلقب أمير افريقية، و قد ظلت النقود تضرب بحروف لاتينية حتى سنة 102هـ حين ظهر أول دينار خالص ضرب بافريقية، بينما ظهرت

1- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص454.

2- محمد سعيد : المرجع السابق، ص125.

3- حسن حسيني عبد الوهاب: ورقا. المرجع السابق، ص63.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمهرت

الدرهم المعربة ابتداء من سنة 104هـ/ 722م، أما الفلوس المعربة ابتداء من سنة 108هـ/ 726م¹. لا شك أن رواج انتشار اللغة العربية على المستوى الرسمي قد انطلق مع بدايات القرن الثاني للهجرة متزامنا مع بداية تنظيم شؤون الإدارة و تعريبها، و قبل ذلك كانت اللغة اليونانية لغة رسمية وهي لغة سكان المدن، كانت مزيجا من اليونانية و اللاتينية و من السامية الفينيقية، إلى جانب اللغة البربرية التي يتكلمها البربر في المناطق الداخلية².

و يمكن تفسير انتصار اللغة العربية بالعوامل التالية:

- كون اللغة اليونانية قد هاجر أصحابها خارج افريقية بعد انتصار المسلمين و بعد تنظيم الدواوين ونقلها إلى العربية³.

- كون لغة سكان المدن الأفارقة مزيجا من اللغات مكن اللغة العربية لما كان من انتشار الاسلام و ما يستتبعه من تعلم اللغة و كذلك القرابة بين العربية و اللغة الفينيقية السامية، حتى أن لغة سكان المدن الأفارقة كانت مثقلة بآثار الفينيقية، ثم أن سكان المدن هم الأقرب للاندماج مع الغالب نظرا لتقارب المصالح⁴.

- أما نجاح العربية في صراعها مع البربرية، فيمكن تفسيره بفقر البربرية الثقافي⁵، ثم عدم تمكنها من الصمود أمام لغة الأغلبة.

- انتصارات العرب العسكرية و ضرورة تعلم الاسلام و مبادئه ساعدتها على نجاح اللغة العربية وانتشارها في ربوع افريقية لا سيما القيروان، المركز الحضاري الذي أسس على نمط عربي إسلامي،

1- علي حلاق : تعريب الدواوين في العهد الأموي، دار الكتاب اللبناني، دار الكتب المصري، الطبعة الأولى، 1978، ص69.

2- شكري فيصل : المجتمعات الاسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1983، ص 180- 181.

3- محمد سعيد : المرجع السابق، ص127.

4- شكري فيصل : المرجع السابق، ص 182- 183.

5- نفسه، ص183.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

فأصبحت لغة الدولة و الدين، و رمز الاسلام و مظهرا من مظاهر دخول البربر ضمن هذه المنظومة العربية الاسلامية.

- إنه لم يمض نصف المائة الثانية حتى أصبح أبناء البلاد ينسبون أنفسهم إلى القبائل العدنانية والشعوب القحطانية¹، و يذكرنا هذا الموقف البهلول بن راشد الذي أولم وليمة عندما تبين صحة نسبة العربي (البهلول ت183)²، و مهما يكن من أمر فإن مسألة علماء اللغة تبقى مرتبطة بالهجرة و التمسير و قدوم العلماء إلى القيروان إذ أن هذا العلم كغيره من سائر العلوم نشأ بالمشرق و وصل إلى القيروان، أما بقدم المشاركة أو برحلة القيروانيين إلى العراق.

هذا عن اللغة العربية، أما النحو فقد ارتبط وجوده بالقيروان ببلاط الأمير المهلي يزيد بن حاتم حيث كان العلماء النحاة يقدون من المشرق لاستجداء الأمراء و الولاة قبل أن تنتشر الثقافة العربية في البلاد، و قبل أن تقوى رحلة أبنائها إلى مصر و الشام و العراق في طلب العلم³.

و كان من أشهر علماء النحو المتواجدين ببلاط الأمير المهلي يزيد بن حاتم، يونس النحوي من أبناء البصرة، و قد سمع منه الكسائي و الفراء، و روى عنه سيبويه، و كانت له حلقة بالبصرة، و قد عاد إلى البصرة، و كذلك قتيبة الجعفي النحوي، و هو من أعلام نحاة الكوفة، و قد قدم إلى الأمير يزيد بن حاتم في القيروان و أخذ عنه جماعة من أبناء البلاد⁴، و هذا قتيبة النحوي الذي حسم خلافا لغويا بين عبد الله بن غانم و يزيد بن حاتم⁵.

و يذكر الزبيدي مجموعة من علماء اللغة العربية و النحو نذكر منهم:

1- حسن حسيني عبد الوهاب : مجمل تاريخ الأدب التاريخ التونسي، مكتب المنار تونس 1968، ص20.

2- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص134.

3- محمد سعيد : المرجع السابق، ص128.

4- حسن حسيني عبد الوهاب: ورقات، ص- ص 146- 148، هشام جعيط: المرجع السابق، ص621، أحمد أمين: ضحى الاسلام، ج2، ص284.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص219.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

أبان بن الصمصامة بن الطرماح (أبو مالك الطرماح): قدم من العراق في أواخر القرن 2هـ / 8م¹، اشتهر بتفقهه في علم اللغة و كلام العرب و نظمه الشعر، و له معرفة بعلم أنساب العرب²، فكان يجمع بين الشعر و علم اللغة، و صنفه الزبيدي ضمن علماء النحو من أهل القيروان³.

عياض بن عوانة الكلبي: وصله روح بن حاتم بخمس مائة دينار و بعض الهدايا، صنفه أيضا الزبيدي ضمن علماء النحو من أهل القيروان⁴.

عبد الله بن غانم: قاض و فقيه، وصفه الرقيق القيروان بفصاحة اللسان و حسن البيان⁵.

عبد الرحمن بن زياد الافريقي: المحدث، كان متفنا في علم اللغة و الشعر⁶.

ابراهيم بن قطن المهري: عاش في القرن 3هـ / 9م⁷، عالم إباضي من علماء افريقية الأغلبية، تلقى علمه في القيروان، و قد استقر هناك و كان نحويا بارزا، و من تلاميذه أخوه عبد الملك بن قطن المهري⁸.

أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهري: فهو شيخ أهل اللغة العربية و النحو المقدم في عهده وزمانه، وكان لقي جماعة من العلماء بالعربية، ابن الطرماح و عياض ابن عوانة و أبو عبد الرحمن المقري الكوفي وقتيبة النحوي، و له كتب الألفاظ و اشتقاق الأسماء⁹.

و يروي المالكي أن أكثر الأشعار تقرأ عليه مجردة من الشرح فيشرحها و يبين معانيها، و كان قليل النظر في تدبير معاشه على كثرة ما يوصل و يحبى و يعطى¹، و قد توفي سنة 253هـ².

1- محمد الطالبي : الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص311.

2- محمد عليي: المرجع السابق، ص127.

3- الزبيدي: المصدر السابق، ص 225- 226.

4- نفسه، ص نفسها.

5- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص175.

6- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 163.

7- جمعية التراث : المرجع السابق، ص59.

8- محمد عليي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص127.

9- الزبيدي : طبقات النحويين، المصدر السابق، ص229.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمهرت

حمدون النحوي (المعروف بالنعجة): و كان مقدما بعد المهري في اللغة و النحو، و كان يقال أنه أعلم بالنحو خاصة من المهري لأنه كان يحفظ كتاب سيبويه، و له كتب في النحو و أوضاع في اللغة³.

أبو محمد المكفوف النحوي: كان من أعلم خلق الله باللغة العربية و الغريب و الشعر و تفسير المشروحات، و له كتب كثيرة أملاها في اللغة العربية و الغريب، و له كتاب في العروض يفضله أهل العلم على سائر الكتب المؤلفة فيها، و إليه كانت الرحلة من جميع افريقية و المغرب، و قد توفي سنة 308هـ / 920م⁴.

ابن عاصم اللؤلؤي: المتوفي سنة 318م⁵، يعتبر من العلماء النقاد في العربية و الغريب و النحو والحفظ، و قد ألف كتابا في الظاء و الضاد⁶.

سعيد بن الحداد: تميز بنزعتة الموسوعية، و كان أستاذا فيما غير فن، عالما باللغة العربية و النحو⁷.
عبد الله بن أبي حسان اليحصبي: المتوفي سنة 226هـ / 841م، ينحدر نسبه من أشرف العرب الوافدين إلى افريقية⁸، كان عالما لغويا، سكن حارة يحصب في القيروان، فنسب إليها، تلقى النحو من سيبويه المتوفي سنة 180هـ / 796م، و الكسائي المتوفي سنة 189هـ / 804م⁹.

و اعتمادا على ما ورد في كتاب الزبيدي، نستطيع أن نصنف علماء اللغة القيروانيين حسب الزمن الذي عاشوا فيه، فنحصل على الجدول التالي الذي يضم مجموعة من النحويين القيروانيين خلال القرنين 2-3هـ:

1- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص404.

2- الزبيدي: المصدر السابق، ص229.

3- نفسه، ص235.

4- نفسه، ص236.

5- الزبيدي: المصدر السابق ، ص243.

6- محمد سعيد: المرجع السابق، ص130.

7- الزبيدي: المصدر السابق، ص239.

8- محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق، ص63.

9- رابع بونار: المرجع السابق، ص106.

الباب الثالث _____ الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث
	- أبو مالك طرماح	- ابراهيم الفهري
	- عبد الرحمن بن زياد	- عبد الملك بن قطن الفهري
	- عبد الله بن غانم	- أبو سعيد بن غورك
	- عياض بن عوانة الكلبي	- أحمد بن أبي الأسود
		- حمدون النحوي
		- أبو محمّد المكفوف
		- الطزري
		- علي بن حضرمي
		- محمد المعروف بالعقّاق
		- ابن الحداد
		- خلف الطرابلسي
		- الطلاء المنجم
		- أبو السميّد
		- القياس الجهني
		- الحزقن
		- ابن أبي عاصم اللؤلؤي
		- محمد ابن زرزور

من خلال هذا الجدول يتبين لنا أن أكثر العلماء ينتمون إلى القرن الثالث الذي يعد عصر ازدهار مادي و فكري بالنسبة إلى مدينة القيروان، بينما لا نجد لغويا واحدا في القرن الأول الهجري. و خلاصة القول أن علم النحو قد ظهر في القيروان في نفس الفترة التي ظهر فيها بالمشرق لا سيما و أن بعض النحويين الذين قدموا إلى القيروان في العصر المهلبّي قد تتلمذ لهم علماء النحو المشاركة، و مدى مساهمة الأسرة المهلبية في العلوم و الثقافة، و إن ظهر هذا العلم في نهاية القرن الثاني للهجرة فإنه قد عرف أوج ازدهاره في القرن الثالث الهجري.

* **الآداب:** و يمثل الجانب التطبيقي للغة العربية أو الجانب الإبداعي و الفني بفرعيه النثر والشعر، و يعرفه ابن خلدون بقوله: "هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها و إنما

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته و هي الإيجادة في فن المنظوم و المنثور على أساليب العرب ومناحيهم¹.

و بعد فترة قصيرة من تاريخ الفتح الاسلامي ظهر من أبناء البلاد ممن تعاطوا الأدب و أجادوا فيه، و تأثروا باللغة العربية، و أعانهم على إيجادتها استقرار فصحاء العرب من خطباء و شعراء²، وتشير المصادر الافريقية إلى تمييز بعض قادة الفتوح بالجانب الأدبي من فصاحة و بيان.

و شهد العهد الأغلي خاصة نخضة أدبية كبيرة بفضل اهتمام الأمراء الأغلبة بالأدب و رعاية أهله، فقد كان البيت الأغلي بيت علم و أدب بدءا من جدهم الأغلب بن سالم ثم مؤسس الدولة ابراهيم بن الأغلب و زيادة الله الأول هذا الذي كان شاعرا و يحرص على التقرب إلى الشعراء والأدباء فقد كان كالخليفة العباسي المأمون في حرصه على العلم³.

لقد تزامن تأسيس الدولة الأغلبية مع العصر الذهبي للدولة العباسية، فكان من الطبيعي أن تواكب الازدهار و التطور العلمي الذي كان يحصل في بغداد و المشرق عموما، فاستفادت من تشجيع الخلفاء لمختلف صنوف الآداب و العلوم، لا سيما في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل أمثال هارون الرشيد (170- 193هـ / 786- 809م) و ابنه المأمون (198- 218هـ / 813- 833م) الذي طور حركة الترجمة فنقل علوم و تراث اليونان و آداب الفرس و الهند، و قد أنشأ لهذا الغرض بيت الحكمة في بغداد سنة 215هـ / 830م⁴، و هو في الأصل معهد للترجمة فكان طبيعيا أن ينهل بنو الأغلب من هذه المعارف وينقلوها إلى المغرب، فتعكس بذلك ما كان يحدث في المشرق⁵.

1- ابن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص459.

2- رابح بونار: المغرب العربي، المرجع السابق، ص 47- 48.

3- محمد عليلي: المرجع السابق، ص122.

4- مجموعة من المؤلفين: دراسة في تاريخ العلوم عند العرب، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العراق، 1986، ص87.

5- محمد عليلي: الاشعاع، المرجع السابق، ص122.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

* النثر: تعددت مجالاته فهو يتضمن الوصايا و الرسائل الديوانية و الخطب التي كان يلقيها الفقهاء، و كان يطغى عليها الاهتمام بالمعنى على حساب البيان و الجمالية في الأسلوب و التعبير لأن الهدف منها هو الوعظ و الارشاد و لأنها موجهة للامة.

فما هي خصائص النثر و أهم مواضيعه؟ و من هم أبرز الذين اشتهروا به في القيروان خلال الفترة المدروسة؟

إن الخاصية الأولى للنثر القيرواني تتميز بالخطابة¹، و يذكر العلماء نموذجاً من فن الخطابة عند مؤسس القيروان من خلال خطبته عند حصار تيهرت²، يدعو فيها إلى القتال و كذلك تبدو شخصية عقبة الأديبة من خلال وصيته لأبنائه: "إياكم أن تملؤوا صدوركم بالشعر و تتركوا القرآن وخذوا كلام العرب ما يهتدي به اللبيب و يدلکم على مكارم الأخلاق"³، و الكلام عن الخطابة يجعلنا نذكر أيضاً خطبة موسى بن نصير في جامع القيروان تدل على خطابة و فصاحة و بيان، و نقتطف منها هذه الفقرة: "إن كل من كان قبلي كان يعمد إلى العدو الأقصى و يترك عدواً منه أدنى ينتهز منه الفرصة و يدل منه على العورة، و يكون عوناً عليه عند النكبة و أيما الله لا أريم هذا القلاع و الجبال الممتعة حتى يضع الله أرفعها و يذل أمنعها و يفتحها على المسلمين بعضها أو جميعها أو يحكم الله لي و هو خير الحاكمين"⁴.

نجد أيضاً إلى جانب الخطابة عينات من فن الترسل، و لعل أقدم رسالة احتفظت بها المصادر التي كتبت من طرف الفقهاء العشرة على لسان حنظلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة الخارجين عن طاعة أمير القيروان سنة 122هـ / 739م، و تبدأ الرسالة بالبسملة، و موضوعها تحذير من مغبة الخروج عن طاعة الأمراء و الترغيب في الطاعة و تنتهي هذه الرسالة بالسلام و الرحمة و البركة⁵.

1- و هناك من ينسب أول إنتاج نثري إلى عبد الله بن الزبير، و ذلك حتى قبل تأسيس القيروان، حسن حسيني عبد الوهاب: مجمل تاريخ الأدب التونسي، مكتبة المنار، تونس، 1968، ص 23.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 37.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 34.

4- رابح بونار: المرجع السابق، ص 49، حسن حسيني عبد الوهاب: المجمل، المرجع السابق، ص 26.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 103.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمهرت

و قد يصبح الأديب المترسل من أبرز موظفي الدولة لفضل دخوله سلك الدواوين، مثل أبي علي الحسن بن سعيد البصري الذي كان من المشاهير¹، و قد كان من ضمن ولاية افريقية من ترأس بالمشرق ديوان الرسائل و هو يزيد بن أبي مسلم (102-103هـ / 720-721م)².

و لا شك أن ديوان الرسائل³ كان من ضمن المؤسسات الهامة داخل الدولة الاسلامية سواء في العاصمة أو في الأمصار الأخرى، و من ذلك افريقية و عاصمتها القيروان فإن أشرف هذا الديوان يتطلب معرفة جيدة بأدب الكتابة و فن الترسل، سواء كان ذلك في عهد الولاة أو في العهد الأغلي.

و كان من أبرز من اشتهر بالنثر:

خالد بن ربيعة الافريقي: اشتهر بإجادته في الكتابة في الترسل، و كان صديقا لعبد الحميد الكاتب، رحل إلى الشام صغيرا و تعرف بأفراد من كبار اللغويين و النحاة و أعيان الأدباء، و ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك، و انخرط في سلك الدواوين، و قد استعان به عبد الرحمن الفهري، و قد كانت لخالد مراسلات مع عبد الحميد الكاتب⁴.

عبد الملك بن قطن المهري (ت 255هـ / 869م): اشتهر بقوة البيان و محاكاته لأسلوب الجاحظ، نستشف ذلك من خلال ما قاله لعبد الله بن غانم قاضي افريقيا و هو مريض: "رفع الله ضجعتك من هذه العلة، إلى إفاقة و راحة، و أعاد عليك ما عودك من الصحة و السلامة، فطالما صححت و عوفيت أصلحك الله فاصبر لحكم ربك، فإن الله عز و جل يحب أن يصبر على بلواه، كما يجب أن يشكر على نعماه"⁵، و من هذه القطعة الأدبية تظهر قوة البيان، و قال في الشعر أيضا لما رتى سحنون بعد وفاته.

1- حسن حسيني عبد الوهاب: المرجع السابق، ج1، ص61.

2- هشام جعيط: المرجع السابق، ص87.

3- نفسه، ص نفسها.

4- حسن حسيني عبد الوهاب: ورقات، المرجع السابق، ج1، ص 151-152.

5- رابع بونار: المرجع السابق، ص103، محمد عليلي: المرجع السابق، ص126.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

أبو العباس محمد بن حيون المعروف بالبريدي (ت 276هـ / 889-890م): يعد أبرز شخصية أدبية في النثر، و كان أحد كتاب الدولة الأغلبية و أحسن ظرفائها، كتب إلى الأمير ابراهيم الثاني رسالة يعتذر له فيها من السجن بعد أن سحق عليه ابراهيم قال: "من كرم العفو و علو قدره و جليل خطره، تسمى الله عز و جل به فسمى نفسه العفو الغفور، و الطبع البشري مركب على النقص، مقرون بالزلل، إلا ما خص الله به الأنبياء و أودعه السادات الأمراء من طهارة الأخلاق، و نزاهة النفس، و لست أيد الله الأمير ممن يدعي العصمة و البراءة من الهفوة، و لست أمت إليك إلا بفضلك علي، و إحسانك إلي، و لا أعرفك بل أذكرك أن من غرس غرسا فواجب أن لا يجتثه و إن أبطأ بسوقه، بل يمدده بمد موارده العذب، حتى تمتد حيطانه و تورق أغصانه، أعاذك الله بما أودعك من معالي الأخلاق، من ترك العفو عن مقرر معترف لا يعترف إلا بفضلك و لا يرجو إلا عدلك"¹.

أبو يسر الكاتب: اشتهر في العصر الأغلي بآثار أدبية مثل "لقيط المرجان" و "رسالة الوحدة المؤنسة"، و "قطب الأدب"، و هي كتب كلها ضائعة².

* **الشعر:** كان حظه أوفر، و اللون الأدبي الغالب، إذ أن المصادر و المراجع التي تؤرخ للأدب تنقل لنا كثيرا من الشعراء اشتهروا في هذه الفترة.

و مما يميز القيروان في هذا الميدان هو وجود شعراء ضمن الأمراء سواء كان ذلك في عهد الولاة أو في العهد الأغلي، و أول من كانت له علاقة بالشعر من بين الولاة هو عبد الله بن الحبحاب الذي كان بليغا حافظا لأيام العرب و أشعارها، و أخبارها و كان يقول الشعر³، و كذلك يزيد بن حاتم المهلي الذي كان تنفذ عليه الشعراء لطلب صلته و إحسانه، و كان كذلك يقول الشعر و من شعره:

لا يألف الدرهم المضروب خرقتا *** إلا لماما قليلا ثم ينصرف.

1- رابع بونار: نفسه، ص 104-105، محمد عليلي: نفسه، ص نفسها

2- محمد الطالبي: تاريخ تونس، المرجع السابق، ص 193.

3- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية و المغرب، المصدر السابق، ص 107.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و قد اشهر بعض الأمراء الأغلبة بحب الشعر و إجادته و حتى قبل تأسيس الدولة، عرف جدهم الأغلب التميمي بشاعر بيته، و نذكر مقطوعة أرسلها إلى الحسن بن حرب الذي تمرد عليه يتوعده فيها وهذه بعض أبياتها:

ألا من مبلغ عني مقالا *** يسير إلى الحسين بن حرب
بأن البغي أبعد و بالا *** عليك و قربه لك شر قرب
و إن لم تدعني لتنال سلمي *** و عفوي فادن من طعن و ضرب¹.

أما ابراهيم بن الأغلب فقد بقي لنا من شعره نصيب لا بأس به، لنا منه ثلاثة عشر نصا بين مقطوعة و قصيدة، أغلبها في الشعر الحماسي و الفخري، و منها في الغزل هذان البيتان الرقيقان خاطب بهما جلاجل زوجته و هي بعيدة عنه بمصر و قد خلفها في مجيئه إلى افريقية:

ما سرت ميلا و لا جاوزت مرحلة *** إلا و ذكرك يثني دائبا عنقي
و لا ذكرتك إلا بت مرتفقا *** أرعى النجوم كأن الموت معتنقي².

و من شعر ابراهيم بن الأغلب في الفخر أبيات قالها بعد انتصاره في إحدى معاركه:

لقد علمت سعد و أبناء مضر *** أني منعت عزها أن يعتصر

و من شعره في الفخر أيضا:

ما سار كيدي إلى قوم و إن كثروا *** إلا رمي شعبهم بالحزم فانصدعا
و لا أقول إذا ما الأمر نازلي *** يا ليته كان مصروفا و قد وقعا
حتى أجليه قهرا بمعترم *** كما يجلي الدجى بدر إذا طلعا³.

1- رابح بونار : المرجع السابق، ص57.

2- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص57، ذكرها ابنت عذارى مغتبي: البيان، المصدر السابق، ج1، ص92.

3- أحمد الطويلي : ملوك القيروان الشعراء، المرجع السابق، ص14، أحمد أمين: ظهر الاسلام، مكتبة النهضة العربية، ط2، ج1، 1966، ص302.

المابج الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممرت

و كثيرا ما خاطب ابراهيم خصومه في الحروب و الثائرين عليه من البربر أو الجنود أو العرب بالشعر و يتحادهم به، و قد قدمه المختار العبيدي شاعرا فحلا كثير الفخر في قصائده بنفسه و ببطولاته على غرار ما كان يفعل شعراء الجاهلية و الاسلام في قصائدهم¹.

و هناك أمير آخر اشتهر بإجادة الشعر و هو زيادة الله الأول الذي يذكر عنه النويري: "يقول الشعر الحسن الجيد"²، و يذكر ابن الأبار: "أنه كان أفصح أهل بيته لسانا و أكثرهم بياناً، و يصوغ الشعر الجيد"³.

و من مقطوعة أرسلها إلى المأمون و هي في غاية التعدي بالنسبة إلى وضعيته كأمر تابع للعباسيين:

أنا النار في أحجارها مستكنة *** فإن كنت ممن يقدح النار فاقدح

أنا الليث يحمي غيله بزئيره *** فإن كنت كلبا حان موتك فانبح⁴

فإن زيادة الله من أنبغ شعراء افريقية في الفخر و الغزل و أدب الحماسة حتى أن الخليفة المأمون كان يتمثل بشعره فيقول:

أنا النار في أحجارها مستكنة *** متى ما يهجها قادح تتضرم⁵

كما تفنن زيادة الله في شعر الغزل⁶.

1- محمد المختار العبيدي : الحياة الأدبية بالقيروان في عهد الأغالبة، نشر مشترك عن مركز الدراسات الاسلامية بالقيروان و دار سحنون للنشر و التوزيع بتونس 1994، ص 44 و ما يليها.

2- النويري : المصدر السابق، ج24، ص106، محمد سعيد: المرجع السابق، ص141.

3- ابن الأبار: الحلة السراء، المصدر السابق، ج1، ص163، و قال عنه لسان الدين بن الخطيب: "فجاء أفصح أهل بيته لسانا وأكثرهم أدبا...و كان مع محله من الفهم و المعرفة أيبا حازما"، لسان الدين بن الخطيب: الأعلام، المصدر السابق، القسم الثالث، ص 16- 17، أحمد الطويلي: ملوك القيروان الشعراء، المرجع السابق، ص 17- 18.

4- أحمد الطويلي : المرجع السابق، ص21.

5- ابن الأبار : الحلة، المصدر السابق، ج1، ص166.

6- للمزيد عن هذا الغرض من الشعر ينظر : أحمد الطويلي: ملوك القيروان الشعراء، المرجع السابق، ص 19- 20، وكذلك: الخلفاء و الأمراء العشاق، تونس، 2004، ص27، و كذلك: الجوازي المغنيات، تونس، 1997، ص45.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و هذا الأمير أبو العباس الأغلب محمد الأول (226-242هـ / 841-856م)، يقول مفتخرا بنفسه و أهله:

أليس أبي وجدني أوطائي *** و جد أبي و عمي الرقابا؟
ورثت الملك و السلطان عنهم *** فصرت أعز من وطئ الترابا
أنا الملك الذي أسمو بنفسي *** فأبلغ بالسمو بها السحابا
أنا الملك الذي أيدت ملكي *** بسيفي إذ كشفت به الضبابا¹

و للأمير ابراهيم بن أبي ابراهيم بن أحمد بن الأغلب المتوفي سنة 289 شعر يتباهى فيه بأسرته الأغلبية و نسبه التميمي:

نحن النجوم بنو النجوم و جدنا *** قمر السماء أبو النجوم تميم
و الشمس جدتنا فمن ذا مثلنا *** متواصلان: كريمة و كريم

و هذا الأمير أبو العقال غلبون بن الحسن بن غلبون المتوفي سنة 291هـ الذي انقسمت حياته إلى مرحلتين، المرحلة الأولى و هي مرحلة الشباب قضاهها بالمجون و اللهو²، أما المرحلة الثانية فلجأ فيها إلى الزهد و التوبة على حياته الماضية عبر عنها في أشعاره طالبا من الله سبحانه و تعالى العفو و الغفران منها:

إن الزمان عدا علي فزادني *** علما بأنك خالقي تحقيقا
ما نالني يوم بوجه مساءة *** إلا عبرت به إليك طريقا
حسبي بأنك عالم بمصالحني *** إذ كنت مأمونا علي شفيقا

و قد تخلى غلبون عن أهله و أسرته و أحبابه و أولاده و هاجر القيروان قاصدا بلاد الحرمين الشريفين و قد حدثنا عن نفسه شعرا فقال:

أبصر بالقلب سبيل الرشدا *** فباين الأهل معا و الولد

1- رابع بونار : المرجع السابق، ص- ص 105-109، محمد سعيد: الحياة العلمية، المرجع السابق، ص141، محمد عليلي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص123.

2- أحمد الطويلي : ملوك القيروان الشعراء، المرجع السابق، ص39.

الباب الثالث — الأوزاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و جد في السير إلى ربه *** مشمرا يطلب ملك الأبد

قد صارت الدنيا بأقطارها *** عليه كالسجن فمنها رشد¹

إضافة إلى هؤلاء الأمراء الشعراء نجد أعلاما كثيرين تميزوا بقول الشعر من بين من اختصوا في الفقه أو في اللغة، فنظم الفقهاء الشعر بل حتى أجادوا فيه، فقلما نجد شاعرا ليس فقيها²، كما تعددت الأغراض الشعرية من فخر و مدح و وصف و رثاء و حتى الهجاء مثل الفقيه عبد الله بن أبي حسان اليحصبي المتوفي سنة 227هـ / 841م، الذي يهجو الثوار الذين أغاروا على منازل أبي عقب ثورة الجند سنة 213هـ / 828م في عهد زيادة الله الأول يقول فيها:

أباح طعام الجند جهلا حريما *** و شقوا عصا الإسلام من كل جانب

و عانوا و جاروا في البلاد سفاهة *** و ظنوا بأن الله غير معاقب

و لو أنهم عرب كرام لدافعت *** نفوس كرام عن حريم الأعراب

و لكنهم أوباش كل قبيلة *** و قبط و أغنام لغام المناسب³

و كثيرهم من نبغ في الشعر في هذه الفترة و منهم:

عيسى بن مسكين: كان فصيحاً يجيد الشعر⁴، و كان فقيهاً، له قصائد في أغراض مختلفة من الشعر

منها مثلاً أبيات يصف فيها عجزه بع أن أصبح و افتقد إلى فتوة الشباب حيث يقول:

لما كبرت أتتني كل داهية *** و كل ما كان زائداً مني نقص

أصافح الأرض إن رمت القيام و إن *** مشيت ففي ذات اليمين عصا⁵

1- أحمد الطويلي : شهيرات القيروان، المرجع السابق، ص- ص 41- 42.

2- محمد عليي : الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص123، محمد سعيد: المرجع السابق، ص144.

3- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص289، محمد الطالبي: المرجع السابق، ص230.

4- القاضي عياض : المدارك، المصدر السابق، ص233.

5- رابع بونار: المرجع السابق، ص114.

الباب الثالث — الأوزاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

مجبر بن سفيان: المتوفي سنة 285هـ/ 898م، ينتمي إلى الأسرة الأغلبية، و قد أسندت إليه ولاية صقلية، و قد وقع في أسر الروم حيث مات بالقسطنطينية و أرسل من محبسه أحبد قصائده و هذه قطعة منها:

ألا ليت شعري ما الذي فعل الدهر *** بإخواننا بالقيروان و يا قصر

و نحن فإننا طحطحتنا يد النوى *** فلم يجتمع شمل لدينا و لا وفر

رأينا وجوه الدهر و هي عوابس *** بأعين خطب في ملاحظها شزر¹.

عبد الملك بن قطن المهري: توفي سنة 255هـ/ 868م، و قد كان من أحفظ الناس لكلام العرب وأشعارها و وقائعها و أيامها، و كان شاعرا خطيباً²، و هذه قطعة من بعض قصائده التي رثا بها الإمام سحنون:

من يبصر نحو الأفق قد لمعا *** لما تسربل ثوب الليل و أدرعا

و لى لعمري بأرض الغرب قاطبة *** ميت له البدو و الحضار قد جشعا³

أبو عبد الله بن محمد بن زرزور: المتوفي سنة 291هـ/ 903م⁴، هو أحد طلبة سحنون، كان من الشعراء الزهاد، عرف بقوة الحفظ و جودة شعره الذي سخره للدفاع عن العقيدة بالرد على الزنادقة

والملاحدين⁵، وفي هذا الشأن يقول في إحدى قصائده:

تَهْتِكُ السُّتْرَ عَنِ ذِي الْغِيِّ وَ الْفُنْدِ *** وَ حَصْحَصَ الْحَقَّ بَعْدَ الْبَغِيِّ وَ الدِّدِ

وَ أَيْقَنَ الْمَشْرُكَ الدَّاعِيَ لَهُ وَ لِدَا *** بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَلِدْ

لَا مَوْتَ يَدْرِكُهُ لَا شَيْءَ شَبِهَهُ *** يَبْلَى الْآبَادَ وَ لَا يَبْلَى عَلَى الْآبَدِ

1- نفسه، ص 119، محمد سعيد: المرجع السابق، ص 147.

2- الزبيدي: المصدر السابق، ص 229.

3- القاضي عياض: المدارك (تراجم أغلبية)، المصدر السابق، ص 136.

4- الدباغ: المصدر السابق، ص 249.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 515.

المباج الثالث — الأواخ الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

ويح ابن آدم من عاص لخالقه *** و من مصر على الآثام معتقد

و في الخلود نعيم غير منصرم *** باق بقدرته، باق بلا أمد¹

سعدون الورييني: يصنف من شعراء البلاط مدح الأغالبة ثم بني عبيد²، حيث مدح عبيد الله المهدي بعد دخوله رقادة و قد أظهر له التشيع إذ قال فيه:

هذا الإمام الفاطمي و من به *** أمنت مغاربها من المخدور

و الشرق ليس لشامه و عراقه *** من مهرب من جيشه المنصور

حتى يفوز بالخلافة بالمنى *** و يفاز منه بعدله المنشور³

هذه إذن وضعية الأدب من نثر و شعر داخل القيروان في عهدي الولاة و الأغالبة، و لم يصلنا هذا الأدب في إطار كتب أو رسائل أو دواوين، بل غاية ما في الأمر أننا لا نعثر إلا على نتف مبعثرة بين ثنايا صفحات كتب الطبقات، فعمل المصادر لم تصنف هذه الناحية الأدبية.

إن ما وصلنا يبدو أنه لم يرق بعد إلى مرحلة النضج التي اشتهرت بها مدرسة القيروان في القرنين الرابع و خاصة القرن الخامس.

بقي إنتاج النثر ضئيلا جدا بالنسبة إلى المشرق، أما الشعر فإنه لم تتبلور فيه بعد مضامين متعددة أو أشكال فنية ابداعية مقارنة بإنتاج المشاركة آنذاك، و لعل سيطرة الثقافة الدينية التي وصلتنا معلومات هامة حولها، كان عاملا في طمس آثار فنية أدبية قد تكون مبداعة، لكن ما وصلنا لا يرتقي إلى مستوى الأدب المشرقي على الأقل.

* علم التاريخ: لقد تعامل العرب مع ماضيهم لا يخلو من البعد المقدس و الأسطوري، حيث اهتموا بأيام العرب في الجاهلية ثم بسيرة النبي، و قد تأثر ما يروى في السيرة من أحداث قبل الاسلام بالنمط الذي تروى به أيام العرب في الجاهلية، كما تأثر ما يروى منها من أحداث الاسلام بنمط

1- الدباغ: المصدر السابق، ص248، المالكي: الرياض، ج1، ص515.

2- المالكي : نفسه، ج1، ص501.

3- موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، المرجع السابق، ص230.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

الحديث¹، إذن في بداية نشأته تأثر التاريخ عند العرب المسلمين بالدين كغيره من أصناف العلوم الأخرى.

و لما رتبت الأحاديث في الأبواب جمعت السيرة في أبواب مستقلة كان من أشهرها باب يسمى المغازي و السير ثم انفصلت هذه الأبواب عن الأحاديث و ألفت فيها الكتب الخاصة²، فقد ارتبط التدوين التاريخي بالمغازي و السير و لم يتخلص من السرد القصصي المتعلق بالأنساب أو أخبار العرب في الجاهلية و في صدر الاسلام، و يذكر أن المعمر بن سنان التميمي كان من أعلم الناس بأيام العرب و أخبارها ووقائعها و اشعارها، و عنه أخذ أهل افريقية حرب غطفان و غيرها من وقائع العرب³.

وقد بدأ الاهتمام بالتاريخ على المستوى الشفوي في مرحلته الأولى، حتى إذا جاء القرن الثاني بدأ المسلمون في جمع الأخبار و تدوينها، و من أشهر من اهتم بهذا الميدان أبو مخنف و سيف بن عمر الكوفي الأسدي⁴، ولئن تميز هؤلاء بين سائري العلماء باهتماماتهم التاريخية، فإن الوضع في القيروان يختلف نسبيا في المرحلة التي هي موضوع البحث على الأقل، إذ أننا لا نجد علماء برزوا في هذا الميدان قبل أبي العرب التميمي (265-334هـ) الذي عاش في أواخر الدولة الأغلبية و بداية الدولة الفاطمية، و قد اشتهر بتأليف كتابي "طبقات علماء افريقية و تونس" و كتاب "المخن"⁵.

و إذا اعتبرنا هذه المرحلة مؤشرا لتحديد الانتاج التاريخي القيرواني يمكن القول بأن مرحلة النضج لن تأت بعد إذ أن أبا العرب قد اكتفى بتأريخ لتراجم العلماء، إذ أن التأريخ بالمعنى المتعارف عليه سوف لن يوجد قبل الدولة الفاطمية.

1- أحمد أمين : ضحى الاسلام، المرجع السابق، ج2، ص319.

2- نفسه، ص نفسها.

3- محمد الطالبي : المرجع السابق، ص166.

4- نفسه، ج2، ص- ص 341-343.

5- جان فونتان : فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية، تعريب صودل، بيت الحكمة، 1986، ص48.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و رغم ذلك فإننا لا نجزم بأنه ليس هناك من اهتم بهذا العلم أبدا، فكتب التراجم ذاتها تحمل بين طياتها بعض إشارات تدل على اهتمام القيروانيين بالتاريخ و السير، دون أن نعثر على تراجم المؤرخين بالمفهوم المتعارف، بل صفة "المؤرخ" قد تكون إضافية في شخص جمع الفقه و الأدب ورواية الأخبار، فهذا عبد الله بن أبي حسان اليحصبي أنموذج لمتقف موسوعي، و يقول عنه عياض: "كان عبد الله بن أبي حسان غاية بمذهب مالك، حسن البيان عالما بأيام العرب و أنسابها راويا للشعر قائلا له و عنه أخذ الناس أخبار افريقية و حروبها"¹، و قد أخبر الزبيدي أن جل اللغويين كانوا على معرفة بأيام العرب و وقائعها².

و الملفت للانتباه أن بعض الفقهاء قدموا اسهامات في مجال التاريخ، و تعد مؤلفاتهم الفقهية من كتب الفتاوى و النوازل في حد ذاتها تدوينا تاريخيا، و يعود الفضل في لفت الانتباه إلى أهمية الفتاوى والنوازل كمصادر للتاريخ الاقتصادي و الاجتماعي، العربي عموما و المغربي خصوصا في الفترة المعاصرة إلى مجموعة من المستشرقين نذكر منهم:

كلود كاهان Claude CAHEN: الذي اعتبر كتب النوازل و المصادر التشريعية بصفة عامة تستحق أن يعطيها المؤرخ عناية خاصة، و أن هذه الفتاوى تتعلق بمجالات واقعية... و لها أهمية كبيرة³.

يوسف شاخت Josef SCHACHT: و الذي أشار إلى أن كتب الفتاوى تكتسي أهمية تاريخية بالغة لأنها تعرفنا بالمسائل المطروحة في الواقع المعاش في مكان معين و زمن معين⁴.

1- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص73، الدباغ: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص58.

2- الزبيدي: المصدر السابق، ص229.

3- مستشرق فرنسي معاصر، مختص في التاريخ الاسلامي، و قد دعا إلى ذلك في محاضرة ألقى في سنة 1954 و نشرت سنة 1955 في مجلة Studia islamica عدد 3، ص- ص 93- 116 بعنوان:

l'histoire économique et sociale de l'orient musulman médiéval

4- J. SHACHT, introduction au droit musulman, trad. Paul Kempt et Abdel Magid turki, paris, 1983, p66.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممرت

دافيد باورز **David POWERS**: الذي ترجم فتاوى معيار الونشريسي، و حللها نية على

أن هذه الكتب تعرفنا بالتاريخ الاجتماعي، و لا سيما تاريخ الفئات المتواضعة¹.

كما استغل كل من روبير برانشفيك و هادي روجي ادريس نوازل البرزلي في أطروحتهما،

الأول حول العهد الحفصي في افريقية² و الثاني حول الواقع الاجتماعي في افريقية الزيرية³.

أما الكتاب المغاربة فنجد محمد الطالبي أول من تنبه لأهمية المصادر الفقهية عامة و الفتاوى

خاصة، فاستغلالة لنوادر ابن أبي زيد استقى من فصل الجهاد أخبارا تخص الجانب العسكري من

قرصنة بحرية ورباطات، و طرق القتال، و خلص إلى القول: "لا وجود لنص فقهي لا يعكس الواقع

بطريقة أو بأخرى"⁴.

كما اعتمد على مدونة سحنون في تحليل جوانب من الحياة الزراعية مثل الشفعة و القسمة

والمساقاة فقال: "إن المدونة وثيقة فريدة من نوعها، لم تستغل بعد بمال فيه الكفاية... و يرتكب المؤرخ

خطأ كبيرا بازدرائه إياها..."⁵.

David POWERS, fatwas as sources for legal and social history, dans Al -1
Quantara, vol 11, fasc2, 1990, p- p 297- 298.

نقلا عن الأستاذ نجم الدين الهنتاني: جوانب، المرجع السابق، ص - ص 210 - 211.

La berbérie orientale sous les hafides des origines à la fin du 15ème siècle, -2
paris, 1947.

نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1988، ط1.

La berbérie orientale sous les zirides, parisen 1962 -3
نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، 1992، ط1.

TALBI Mohamed, intérêt des œuvres juridiques traitant de la guerre pour -4
l'historien des armées médiévales ifriqienne, Cahiers de tunisie, n° 15, 3ème
trimestre, 1956, p- 289- 293.

TALBI Mohamed, droit et économie en Ifriquiya au 3ème/ 4ème siècle, -5
études d'histoire ifriqienne et de la civilisation musulmane médiévalen tunis, 1982,
p 229.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و هناك مجموعة أخرى من الكتاب مثل سعد غراب، محمد حسن، محمد حجي، عبد الله العروي، و غيرهم ممن أحسنوا استغلال الكتب الفقهية في استنباط الأخبار و الأحداث التاريخية واستنتاج المعالم الحضارية من فكرية و اقتصادية و اجتماعية للمغرب الاسلامي¹.

و من بين الذين اشتهروا باهتمامهم بالتاريخ نجد:

إسحاق بن أبي عبد الملك الملشوني: من ملشونة²، كان عالما بالتاريخ أخذ عن الإمام سحنون وقد روى عن تاريخ القيروان و عقبة بن نافع، كان الأمراء الأغلبية يستقدمونه في مجالسهم للمسامرة خاصة في شهر رمضان³.

و يذكر أبو العرب أنه كان يحدث أمراء بني الأغلب بتلك العجائب في رمضان حتى يقطع بهم طول النهار⁴، و قد دخل يوما الفقيه سحنون على الأمير محمد بن الأغلب في أول رمضان فوجده وحيدا في مجلسه فنصحه باستدعاء الملشوني ليحدثه عن أخبار الأمم السابقة و ما كان من الأمير إلا أن هب في طلبه فكان نديمه طوال شهر رمضان⁵.

الحسن بن منصور المنجحي: كان عالما بأيام العرب و أخبارها و وقائعها⁶.

عيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر: كان له باع في التاريخ حيث أسهم في التأليف، وقد ألف كتاب "فتوح افريقية"⁷.

1- للمزيد عن أهمية و دور كتب الفقه و النوازل كمصادر لاستنباط الأخبار التاريخية ينظر: أحمدادو تال ديالو: المرجع السابق، ص- ص 17- 26، فاطمة بلهاري: النص النوازلي للمغرب الاسلامي، أداة لتحديد البحث في تاريخ الحضارة الاسلامية، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي (مصادر و تراجم) كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، العددان 16- 17، جوان- ديسمبر، 2010- 2011، ص- ص 139- 145.

2- هي قرية من قرى بسكرة، و هي اليوم تحمل إسم مشونن، ينظر، اسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص183.

3- محمد الطالبي: المرجع السابق، ص14.

4- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص181.

5- محمد الطمار: المرجع السابق، ص44.

6- حسن حسيني عبد الوهاب: ورقات، المرجع السابق، ج1، ص139.

7- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص173.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

محمد بن سحنون: يعتبر حسب كتب التراجم محمد بن سحنون الذي قيل عنه أنه ألف كتابه "الجامع الكبير" في مائة جزء، عشرون في السير و خمسة و عشرون في الأمثال، و عشر في آداب القضاة و خمس في الفرائض و أربعة في الاقرار و أربعة في التاريخ و الطبقات¹، و في جانب آخر يذكر عياض أنه ألف كتاب التاريخ في ستة أجزاء²، و طبقات العلماء في سبعة أجزاء³.

و هناك مؤلفات تشير إلى عناية بعض العلماء بالكتابة التاريخية في الدولة الأغلبية منها "تاريخ بني الأغلب" ألفه الأمير الأغلي محمد بن زيادة الله الثاني الذي قتله ابراهيم الثاني⁴، و كتاب "أحمية الحصون" ليحيى بن عمر المتوفي سنة 289هـ/902م، و "المولد و الوفاة" لحسين بن المفرج المتوفي سنة 303هـ/920-921م⁵.

و مهما يكن من أمر فإن هؤلاء الذين ذكروا في ميدان تأليف التاريخ و السير لم يتميزوا بذلك عن سواهم من العلماء بل كانوا مجرد علماء موسوعين ألفوا في عدة ميادين و من ضمنها التاريخ، كما أن صمت المصادر حول هذه المسألة و في غياب تأليف تاريخية يجعلنا نطرح الاشكالية التالية: هل أن المعلومات المتفرقة بين ثنايا كتب التراجم تكفي للقول بوجود علم للتاريخ مستقل بذاته في القيروان خلال الفترة المذكورة؟ أو أن ذلك لا يعدو أن يكون اهتماما إضافيا من ضمن أصناف عديدة من العلوم لعل أبرزها العلوم الدينية التي كانت تحمل مكانة أولية ضمن اعتمادات العلماء المسلمين؟

2- العلوم العقلية⁶:

-
- 1- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص173، ابن سحنون: الأجوبة، المصدر السابق، ص50.
 - 2- القاضي عياض: نفسه، ص173، ابن سحنون: نفسه، ص نفسها.
 - 3- ابن سحنون: نفسه، ص نفسها، محمد بلغراد: الحركة الإباضية في تيمرت و سدراة، مجلة الأصالة، العدد 41، 1977، ص114.
 - 4- محمد الطالبي: المرجع السابق، ص14.
 - 5- نفسه، ص نفسها.
 - 6- يسميها ابن خلدون العلوم الحكمية الفلسفية و هي التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره و يهتدي بمداركه البشرية البشرية إلى موضوعاتها و مسائلها و إنحاء براهينها، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص345.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

تشمل هذه الأصناف من العلوم الطب و الفلسفة و الحساب و علم الفلك و المنطق والهندسة، وقد راجب هذه العلوم بالمشرق رواجاً كبيراً مع العصر العباسي و خاصة مع المأمون وذلك نتيجة ازدهار حركة الترجمة و شدة اقبال العرب على الثقافات الفارسية و الهندية و الهلنستية، و في عهد المأمون أرسلت البعث إلى القسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة في الفلسفة و الهندسة والموسيقى و الطب¹.

إن تأسيس الدولة الأغلبية تزامن مع العصر الذهبي للدولة العباسية، فكان من الطبيعي أن تواكب الازدهار و التطور العلمي الذي كان يحصل في بغداد و المشرق عموماً، فاستفادت من تشجيع الخلفاء لمختلف صنوف الآداب و العلوم لا سيما في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل أمثال هارون الرشيد (170-193هـ / 786-809م) و ابنه المأمون (198-218هـ / 813-833م) الذي طور حركة الترجمة، فنقل علوم و تراث اليونان و آداب الفرس و الهند، و قد أنشأ لهذا الغرض بيت الحكمة في بغداد سنة 215هـ / 830م²، و هو في الأصل معهد للترجمة فكان طبيعياً أن ينهل بنو الأغلب من هذه المعارف وينقلوها إلى المغرب، فتعكس بذلك ما كان يحدث في المشرق³.

و لكن كان بيت الحكمة العباسي من أكبر خزائن الكتب في تلك الفترة فإننا نتساءل عن دور بيت الحكمة الأغلبي الذي كان تقليداً إيجابياً لما قام له العباسيون في بغداد، فما هي العلوم العقلية التي يمكن أن نعثر لها على أثر بين طيات الكتب دون غيرها في القيروان و متى كان ازدهارها؟ و تكون البداية مع الطب

* **الطب:** للطب علاقة متينة بالفلسفة ، و قد تعلقت همّة القدماء بمعرفة الروح أو ماهية النفس، إذ أن العوامل النفسية تدل على خلل من المزاج أو الهضم أو العقل لذلك يجب الاطلاع

1- حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ج2، ص345.

2- مجموعة من المؤلفين : دراسة في تاريخ العلوم عند العرب، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العراق، 1986، ص87.

3- محمد علي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص122.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمهرت

على حقيقتها ليتمكن الطب من علاجها مثل المالنخوليا¹ التي أطلق كثير من القدماء اسمها على سائر الأمراض العقلية، لذلك وجب على الطبيب معرفة الفلسفة²، إل جانب ارتباط الطب بالفلسفة فإن هذا الطب قد أخذه العرب عن اليونانيين و قد وصل إليهم عن طريق الترجمة و خاصة كتب جالينوس³.

فهل عرفت القيروان الطب كعلم مستقل بذاته و غير الذي عرفه العرب في جاهليتهم؟ إنه من المؤكد أن أول طبيب أو متطبب عرفته القيروان هو يوحنا بن ماسوية⁴ الذي تذكره المصادر ضمن من كانوا مع يزيد بن حاتم، فقد ذكر ذلك أبو العرب في ترجمة عبد الرحمن بن زياد وقال متحدثا عن ظروف موته: "و كان سبب موته أنه أكل حيتانا و شرب لبنا على مائدة الأمير وكان يوحنا المتطبب حاضرا، قال يوحنا إن كان الطب حقا فإن هذا الشيخ يهلك الليلة"⁵. إن هذه الرواية تفيدنا كثيرا في موضوع الطب، فمن جهة لم تتحدث المصادر عن طبيب واحد قبل هذا، من ناحية أخرى نلاحظ اكتمال بلاط المهلبين، فعلاوة على اللغويين و الشعراء، نسجل تواجد الطب في شخص يوحنا، و ذلك بلا شك أمر ضروري بالنسبة إلى أمير و وال. و إذا كان آخر عهد الولاة قد شهد بدايات الطب في القيروان فإن العهد الأغلي سيشهد تطورا في هذا الميدان إلى مرحلة الانتاج و التأليف علاوة على مداواة⁶.

1- قد ألف الطبيب اسحاق بن عمران كتاب اسمه "المالنخوليا" كان له أهمية كبيرة في تاريخ الطب في عهد زيادة الله الثاني الأغلي، محمد سويس: نماذج مما قدمه المغرب العربي للعلوم و الحضارة الانسانية، محاضرات الملتقى 13 للفكر الاسلامي، الجزائر، 1979، ج4، ص68، و قد قسم كتاب "المالنخوليا" إلى قسمين: الأول خصصه لأسباب و مظاهر المالنخوليا و أعراضها، والثاني خصصه لطرق العلاج منها، و يصف حالات الكتابة و الهوس و الهذيان و الصرع الذي قد يفضي إلى المالنخوليا و هي مرض في الجسم تظهر أضراره وعلاماته في النفس كالخوف و الحزن، محمد عليي: المرجع السابق، ص132.

2- أحمد بن ميلان: تاريخ الطب العربي التونسي، شركة ديمتير تونس، 1980، ص26.

3- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص391.

4- يذكر حسن حسيني عبد الوهاب بأنه سرياني من مشاهير مدرسة جند نيسابور، و هو أحد نقلة العلم اليوناني القديم إل اللغة العربية، لكونه ترأس بيت الحكمة البغدادي على عهد المأمون، حسن حسيني عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ج1، ص270.

5- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص99.

6- محمد سعيد: الحياة العلمية، المرجع السابق، ص159.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

اهتم الأغلبية بهذا العلم بأن أسسوا معهدا خاصا للطب و الصيدلة إدراكا لأهمية الصحة و تم في عهدهم بناء أول بيمارستان¹ في مكان يسمى الدمنة²، و قد كان في تنظيمه شبيها بيمارستان بغداد فهو يجمع بين الاستشفاء و تعليم مهنة الطب، فمن هم أشهر الأطباء في هذا العهد:

يذكر لنا بن أبي أصيبعة بعض الأطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب و أقاموا بها، و نجد كذلك معلومات حول الطب في كتاب "طبقات الأطباء و الحكماء" لأبي داوود سليمان بن حسان الأندلسي، و نذكر منهم:

اسحاق بن عمران (المتوفي 279هـ/ 892م)³: هو أول من أظهر الطب في المغرب و الفلسفة، وهو مسلم من بغداد جلبه زيادة الله الثاني فاستوطن بالقيروان و أفاد أهلها في التطبيب و تعليم الطب و قام بفصل الصيدلة عن الطب⁴، تتلمذ على يديه اسحاق بن سليمان الاسرائيلي، كان

معاصرا للرازي، أنشأ مدرسة الطب القيروانية⁵ و ألف كتبا كثيرة⁶، يقول عنه ابن أبي أصيبعة: "هو طبيب مشهور و عالم مذكور و كان بغداديا الأصل دخل افريقية في عهد زيادة الله الأغلبي و هو الذي استجلبه و أعطاه شروطا ثلاثة لم يف له بأحدها... و كان طبيبا حاذقا متميزا بتأليف الأدوية المركبة، بصيرا بتفرقة العلل، و من مؤلفاته "نزهة النفس" و كتاب في داء المالنخوليا لم يسبق إلى مثله،

1- البيمارستان كلمة ذات أصل فارسي تتكون من مقطعين، بيمار بمعنى مريض و ستان بمعنى مكان أي المكان الذي يعالج فيه المرضى و اختصرت في كلمة مارستان، ينظر، عبد العزيز سالم: محاضرات في تاريخ الحضارة الاسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، القاهرة، 2004، ص- ص 365-366.

2- سلمان قطاية: (أحمد بن ابراهيم الجزار القيرواني) مجلة المورد، المجلد 9، العدد 1، دار الحرية للطباعة، بغداد 1980، ص 57-58.

3- قتل صلبا لأنه حسب ابن عذارى كان فتي تميز بالحركة و النشاط و الحدة، عن قصة صلبه ينظر ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج 1، ص 122، محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص 316.

4- عمر رضا كحالة: دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1393-1973، ص 62.

5- محمد سويس: المرجع السابق، ج 4، ص 68.

6- أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي: طبقات الأطباء و الحكماء، تحقيق سيد فؤاد، القاهرة 1955، ص- ص 84-86.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و كتاب "القصء" و كتاب في النبض، إلى جانب كتب في البول من كلام أبقراط و جالينوس وكذلك مقالات و رسائل عديدة في مختلف أنواع الأمراض"¹، و من مؤلفاته أيضا: كتاب "الأدوية المفردة" و كتاب "العنصر و التمام في الطب"².

اسحاق بن سليمان الاسرائيلي: كان طبيبا فاضلا بليغا عالما مشهورا بالحذق و المعرفة جيد التصنيف عالي الهمة، و هم من أهل مصر، ثم سكن القيروان و لازم اسحاق بن عمران و تتلمذ له³، و قد خدم الأغالبة مثل أستاذه و كذلك خدم الشيعة الفاطميين⁴، و إذا كان ابن عمران مسلم مسلم النحلة فإن اسحاق ابن سليمان كان يهوديا، و قد اشتهر بكثرة التأليف إذ ورد في كتاب فهرس المؤلفين ثمانية كتب تنسب إليه أشهرها كتاب "الحميات" و كتاب "الأغذية و الأدوية" و كتاب "البول"⁵، و يقال كان بحوزته كتب يزن مجموعها خمسة و عشرين قنطارا⁶، و من مؤلفاته أيضا أيضا كتاب "سنان الحكيم"⁷.

أحمد بن ابراهيم المعروف بابن الجزائر: يكنى بأبي جعفر، من أهل القيروان عاش في أواخر عهد الأغالبة و أدرك القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي⁸، و قد توفي عن عمر يناهز ثمانين سنة⁹، و قد تتلمذ على يد إسحاق بن عمران و إسحاق بن سليمان الإسرائيلي و كذلك زياد ابن

-
- 1- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت 1958، ص- ص 56- 58.
 - 2- رابح بونار : المرجع السابق، ص98.
 - 3- ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق، ج3، ص58.
 - 4- رابح بونار: المرجع السابق، ص98، إذ قره أبو عبيد الله الشيعي فأصبح معالجا له من الحصاة، محمد عليلي: المرجع السابق، ص132.
 - 5- جان فونتان: المرجع السابق، ص49.
 - 6- أحمد أمين: ضحى الاسلام، المرجع السابق، ص300.
 - 7- رابح بونار: المرجع السابق، ص100.
 - 8- هناك تضارب بين المصادر و المراجع في تاريخ ميلاده و وفاته إلا أن معظمها ترجح سنة 369هـ/ 978م هي تاريخ وفاته، وفاته، ينظر سلمان قطاية: المرجع السابق، ص- ص 47- 53، حسن حسيني عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ص107.
 - 9- حسن حسيني عبد الوهاب: الورقات، المرجع السابق، ص107.

المباج الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

خلفون سنة 308هـ/ 920م¹، إضافة إلى أنه سليل أسرة اشتهرت بمزاولة الطب، إذ كان أبوه و عمه عمه طبيين²، و ألف وحده ما يقارب من ثلاثين كتابا في الطب منها "طب الفقراء و المساكين"، "زاد المسافر و قوت الحاضر و الدم و التخدير من إخراجة لغير الحاجة"، و هو الذي فصل الصيدلة عن الطب³.

أما عن الخصائص التي تميزت بها المدرسة الطبية القيروانية فيوضحها لنا الحكيم أحمد بن ميلاد في نقطتين بارزتين هما:

- أن بداية الطب كانت مع الأغالبة و ازدهر مع العبيدين، و قد اشتهرت هذه المدرسة بأطباء من المسلمين و اليهود و لها طابع خاص و هي أنها نشأت بالقيروان عاصمة افريقية و هي لائكية⁴.

- و عن كيفية التشخيص و العلاج يذكر أن الأطباء كانوا يعدلون عن التشريح و يعتقدون بما قاله اليونانيون و من ذلك تتركز أصول العلاج على معرفة أمزجة المريض مفردة كانت أم مركبة، و يكون العلاج بالقصد و المسهلات و الحقنة و الأدوية المفردة و المركبة، و المواد المستعملة في ذلك أشربة و أقراص و حبوب و أدهان و ضمائد، و بالنسبة إلى الجراحة كان العمل مقتصرًا على قطع العضو و جبر الكسر و الخلع⁵.

و من النقاط التي يمكن استنتاجها بعد استعراضنا لعلم الطب و التطبيب أن الطب بمفهوم ذلك العصر لم يكن اسلاميا بل مأخوذا عن اليونان و أن القيروان عرفت الطب عن طريق أطباء قدموا من بغداد، و أن الطب في القيروان خلال الفترة المعنية لم يصل إلى درجة من النضج كما وصل في عهد الفاطميين و الصنهاجيين إذ أن فترة الأغالبة تعتبر نقطة البداية و فترة تأسيس لعلم الطب.

1- سلمان قطاية : المرجع السابق، ص- ص 47- 58.

2- نفسه، ص 47.

3- عبد الله شريط: تاريخ الثقافة و الأدب في المشرق و المغرب، بدون تاريخ، ص 133، رابح بونار: المرجع السابق، ص 69.

4- الحكيم أحمد بن ميلاد : المرجع السابق، ص 29.

5- نفسه، ص 30.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

* علم الحساب: ينعت ابن خلدون بالصناعة فيقول: "صناعة الحساب و هي صناعة عملية في حساب الأعداد بالضم و التفريق، و هذه الصناعة حادثة احتيج إليها للحساب في المعاملات، و من فروع الفرائض و هي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثة فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه و كسره و جذره و معلومه و مجهوله"¹.

و باعتماد هذه التعاريف الواردة في المقدمة، نلاحظ أن هناك عددا قليلا جدا ممن ورد ذكرهم في المصادر من أهل الاختصاص في الحساب و الفرائض و نذكر في هذا الصدد ما ذكره أبو العرب عن بعضهم مثل:

شقران بن علي: المتوفي في أواخر القرن الثاني الهجري و الذي كان عالما بالفرائض له فيها كتاب².

أبو زكرياء يحيى بن سليمان الخراز الحفري: المتوفي سنة 237هـ / 851م، و كان هو الآخر عالما بالفرائض و الحساب، و أرادوا أن يولوه ديوان افريقية لعلمه بالحساب و هو يومئذ حدث³.

و يبدو أن علم الحساب كان له من الأهمية بمكان لدى أهل القيروان مما دفع بابن سحنون إلى إدخاله ضمن المواد التي يجب أن يتلقاها الصبي في الكتاب إذ يقول: "و ينبغي أن يعلمهم الحساب، و ليس ذلك يلزم له إلا أن يشترط ذلك عليه"⁴، و كذلك الشعر؟ و الغريب؟ و العربية؟ و الخط؟ و جميع النحو؟ و هو في ذلك متطوع، و ينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن و ذلك لازم له؟"⁵، و قد وردت كلمة الحساب قبل كلمتي الشعر و العربية و جل العلوم الأخرى.

* الفلسفة: و إن أشارت المصادر إلى وجود علم الحساب و الفرائض كفرع منه، فإننا لا نعثر على تراجم لفلاسفة أو غير ذلك من أهل المنطق أو في اختصاصات أخرى تدخل ضمن تصنيف

1- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 508-509.

2- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص 139.

3- نفسه، ص 174.

4- محمد ابن سحنون: آداب المعلمين، المصدر السابق، ص 82.

5- محمد ابن سحنون: آداب المعلمين، المصدر السابق، ص 82.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

العلوم العقلية، و لكن بالنسبة إلى الفلسفة يمكن التعريف بها انطلاقا من تراجم الأطباء الذين عرفتهم القيروان في الفترة المعنية.

فقد ورد في طبقات الأطباء و الحكماء أن اسحاق بن عمران به ظهر الطب و عرفت الفلسفة بالمغرب¹، و يذكر ابن ميلاد أن للطب علاقة وطيدة بالفلسفة كما أسلفنا القول مؤكدا وجوب معرفة الطبيب للفلسفة²، و يذكر حسن حسيني عبد الوهاب أن بيت الحكمة كان يضم مصنفات عديدة مترجمة من اللغات الأعجمية و هي بالتأكيد لن تكون فقها أو لغة بقدر ما هي مصنفات من العلوم العقلية من فلسفة و منطق و جغرافيا و فلك و تنجيم و طب و حساب و هندسة³، و لعل هذه الأصناف العقلية قد عرفت ازدهارا منذ نهاية العهد الأغلي، و ذلك أمر منطقي إذ علمنا أن هذه العلوم مأخوذة عن الأمم الأخرى بواسطة الترجمة التي بدأت مع القرن الثاني و لذلك يشهد النصف الثاني من هذا القرن تأسيس بيت حكمة و ما ينتج عن ذلك من انتشار واسع لثقافات جديدة غير مرتبطة بالشرعية⁴.

و لعل اهمال كتاب التراجم لهذه الأصناف العلمية التي كانت تقام في بيت الحكمة أمر عادي باعتبار الموقف الديني من أصناف العلوم التي لم تكن مرتبطة بالدين و تتميز بصبغتها اللائكية إن صح القول، بوجود عناصر غير اسلامية ضمن المهتمين بهذه العلوم التي لم تكن تدرس في المساجد⁵.

و من النقاط التي نستنتجها في آخر دراستنا لأصناف و أنواع المعارف و العلوم نذكر:
إن العلوم التي عرفتها القيروان كانت كلها نتيجة قدوم المشاركة أو رحلة القيروانيين باعتبار تأثرها المباشر بكل المستجدات على الساحة العلمية.

1- أبو داوود سليمان الأندلسي : المصدر السابق، ص84.

2- الحكيم أحمد بن ميلاد: المرجع السابق، ص26.

3- حسن حسيني عبد الوهاب: الورقات، ج1، ص195.

4- نفسه، ص نفسها.

5- محمد سعيد: المرجع السابق، ص163.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القبروان و تيمرت

إن معظم أصناف العلوم التي نالت جانبا كبيرا من اهتمام العلماء أو أصحاب كتب التراجم هي العلوم الدينية من قرآن و حديث و فقه و علم كلام.

أما بقية العلوم الأخرى مثل اللغة العربية و آدابها أو التاريخ فإنها لم تكن بارزة على حدة باستثناء حالات محدودة بل كانت في أغلب الأحيان و كأنها هامشية و تأتي بعد العلوم الشرعية سواء لدى العلماء القبروانيين الذين وصفوا باهتمام علمي آخر غير العلوم الدينية.

أما بالنسبة إلى العلوم العقلية فإنها بقيت دون الأصناف الأولى من حيث عدد المهتمين بها ومن حيث امتدادها الزمني، فالعلوم العقلية لا تمثل إلا جزء ضئيل جدا من الأصناف المتقدمة، وتعتبر حديثة النشأة إذ لم تبد موجودة إلا في النصف الثاني من القرن الثالث و هذه العلوم تبدو و كأنها غائبة مقارنة بين التراجم المخصصة لغير الفقهاء و تراجم الفقهاء.

ثانيا- المؤسسات التعليمية و الثقافية

إن الحديث عن هذه المؤسسات و دورها التعليمي و العلمي يجزنا بالعودة إلى الظروف العامة للمؤسسة التعليمية في الحضارة العربية الإسلامية اعتبارا بأن القبروان جزء من هذا النسيج الحضاري، وفي هذا الصدد هناك من يذكر أن المؤسسات التعليمية عند المسلمين قبل تأسيس المدرسة كانت المساجد والكتاتيب و بيوت المشايخ، و فيها كان المسلمون الأولون يتلقون و أبناءهم و بناتهم ومواليهم آيات الكتاب المبين و علم الفرائض و الدين¹.

1- الكتاب:

1- محمد أسعد طلس : التربية و التعليم في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1957، ص53.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

إن الكتاب كمكان للتدريس لم ينشأ منذ ظهور الاسلام، فالمعروف أن بلاد العرب في عهد النبي لم يكن فيها تعليم منظم و المشهور عن العرب أنهم أميون¹.

و يتضح أن الكتاب كان موجودا في زمن عمر بن الخطاب الذي تذكر المصادر أنه ضرب أعرابيا وسلمه إلى الكتاب فمكث فيه ثم هرب و أنشد قائلا:

أتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة أسطر متتابعات

و أنا و الكتابة و التهجي و ما حظ البنين من البنات²

و قد ذكر السيد محمد أسعد طلس أن التعليم في مدارس الأطفال (الكتاتيب) كان أقدم من التعليم الذي جاء به الاسلام بحيث أن الطفل الجاهلي كان يلحن مبادئ القراءة و الكتابة و كذلك كان الأمر في صدر الاسلام³.

مما لا شك فيه أن القيروان لا تختلف عن سائر المدن الاسلامية في هذا المجال، فقد تنوعت فيها مراكز التعليم و مؤسسات التثقيف بداية بالكتاتيب و المساجد و مرورا بالمدارس و مجالس العلم بما فيها مجالس الحكام و بيوت الفقهاء، فكيف كانت وضعية هذه المؤسسات في القيروان؟ و ما دورها في نشر التعليم و الثقافة؟

تعد من أقدم المعاهد التعليمية في العالم الاسلامي⁴، و قد واكب انتشارها توسع الفتوحات الاسلامية و تحمس الناس الشديد للقرآن الكريم⁵، و كانت في العادة عبارة عن غرفة بسيطة مفروشة

1- أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الاسلام، دار المعارف بمصر، ط2، 1975، ص64.

2- الأهواني: التربية في الاسلام، المرجع السابق، ص65.

3- محمد أسعد طلس: التربية و التعليم في الاسلام، المرجع السابق، ص68.

4- محمد مكوي: المؤسسات التعليمية في العهد الزياني القرن 8هـ/ 14م، مجلة الفكر الجزائري، مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي و النقدي، العدد الرابع، 1430هـ/ 2009م، الجزائر، ص91.

5- محمد بن سحنون: آداب المعلمين، المصدر السابق، ص62.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

بالحصير يتحلق فيها التلاميذ حول المعلم¹، يقوم بإنشائها في الغالب الأولياء الميسورون باعتبارها صدقة جارية²، و عليهم دفع الإيجار إذا كان المعلم المبادر بالدين في محل لتعليم الصبيان واستجاره³. و رغم عدم توفر احصائيات حول العدد الفعلي لهذه المؤسسة خاصة في القيروان، إلا أن هذا لا يعني أن دورها في انتشار التعليم في شتى المدن و القرى رغم انحصاره في مرحلة أولى في تعلم الكتابة والقراءة و حفظ القرآن⁴.

و هذا ما يؤكد محمد الطالبي بقوله: "كان أساس التعليم و العلوم القرآن، فالعلم الابتدائي الذي كان يلحن في الكتاتيب، كان مركزا على حفظه و لم تكن الكتاتيب بدءا اسلامية كما يدل عليه اشتقاق اسمها الخط و القراءة"⁵.

و بالنسبة للقيروان فإنه لم تكد تؤسس المدينة حتى أنشئت بها الكتاتيب كما أنشئ الجامع لتلقين أبناء المؤسسين و غيرهم الخط و القراءة⁶، و يمكن الاستشهاد بما أورده المالكي من خلال الحديث عن سفيان بن وهب حيث قال: "ذكر أبو الحسن الدارقطني بإسناد يتصل بغياث بن أبي شبيب قال: كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم يمر بنا و نحن غلمة بالقيروان، فيسلم علينا ونحن في الكتاب و عليه عمامة قد أرخاها من خلفه"⁷، و يدل هذا الخبر على أنه القيروان كانت قد عرفت هذا الصنف من المؤسسات التعليمية منذ وقت مبكر نظرا لأهمية

1- عاشور بوشامة: المرجع السابق، ص422، لخضر عبدلي: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص- ص 92-106.

2- الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج8، ص156.

3- محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص90.

4- كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي، مركز الاسكندرية للكتاب، 1418هـ/ 1997م، ص113، عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزباني، المرجع السابق، ص35.

5- محمد الطالبي: دراسات في تاريخ افريقية، المرجع السابق، ص151.

6- نفسه، ص نفسها.

7- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص91.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

تعليم القرآن لدى المسلمين و لا ننسى أن موسى بن نصير أمر العرب أن يعلموا البرابر القرآن و أن يفقهوهم في الدين¹.

و يبدو أن الكتاب كغيره من المؤسسات التعليمية يعتبر أحد آليات الاخضاع الثقافي بالنسبة للبربر كما يدعم البعد الديني للعمل الثقافي لدى المسلمين².

أما عن كيفية تسيير هذه المؤسسة و طرق عملها و البرامج المدروسة، فقد أفادتنا المصادر بمعلومات هامة و تخص بالذكر كتابي "آداب المعلمين" لمحمد بن سحنون الذي عاش في القيروان في القرن الثالث الهجري، و كتاب "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين و أحكام المعلمين و المتعلمين" للقاسبي الذي عاش في القرن الرابع الهجري.

و يعتبر كتاب ابن سحنون أول دليل موحد لأهل المهنة و تلاميذهم، و كل ما يهم أمر هذه المؤسسة التعليمية، أما رسالة القاسبي و إذ لم تأت بجديد، فقد أكدت ما ورد عن ابن سحنون و لو بأكثر دقة، و من خلال هذين الكتابين يتبين لنا أن أهل القيروان قد اهتموا منذ وقت مبكر بتنظيم هذه المؤسسات التعليمية، و قد أحاط الكتابان بجميع ظروف التعليم في الكتاب و أدق التفاصيل، و من المعطيات الخاصة بالعلم و التعليم في مدينة القيروان، و التي نستنتجها من خلال هذين الكتابين نذكر الآتي:

- التأكيد على فضل تعلم و تعليم القرآن، و هذا ما أكده ابن سحنون في مستهل كتابه مرددا بعض الأحاديث المرفوعة إلى كبار الصحابة عن الرسول صلى الله عليه و سلم³.

- التأكيد على أن قضية التعليم مسألة خاصة بالأولياء، و قد رأوا أنه شيء مما يختص أمره كل

1- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص43.

2- محمد سعيد : الحياة العلمية، المرجع السابق، ص170.

3- محمد بن سحنون : آداب المعلمين، المصدر السابق، ص 69- 70.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

انسان في نفسه، فأبقوه عملا من عمل الآباء¹، و يقوم المعلم بهذا الدور نيابة عن الأولياء²، و هكذا يساهم المعلم بدور كبير في نشر المعرفة المرتبطة بالشريعة أساسا.

- تحديد مكان ممارسة مهنة التعليم و التعلم حيث أورد ابن سحنون عبارة الحانوت الذي يجب على المعلم أن يكثره و ليس الصبيان³، أما القابسي فيورد موقفا مفاده عدم جواز استعمال المسجد لتعليم الصبيان، لا يترك لمعلم الصبيان أن يجلس بهم في المسجد و إن اضطر إلى ذلك بأنهدم مكانه، فليتخذ مكانا يعلم فيه إلى أن يصلح ما انهدم له إن أحب، و اتخذ المكان عليه كان بيتا أو حانوتا، و عن استعمال المسجد يرى المؤلف عدم جواز ذلك لأنهم لا يتحفظون من النجاسة⁴.

- ضرورة تلقين القرآن لصبيان المسلمين⁵، بقراءة حسنة و من المستحسن قراءة نافع⁶.
- عدم إلزامية بقية المواد، و هذا ما نستخلصه مما ذكره ابن سحنون: "لا بأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب و أخبارها، و ليس ذلك واجبا عليه، و لا بأس من أن يعلمهم الخطب إن أرادوا، و لا أرى أن يعلمهم ألحان القرآن⁷، و هذا الموقف دلت عليه خطبة عقبة بن نافع نافع قبل خروجه من القيروان إلى المغرب الأقصى في وصيته لأبنائه: "إياكم أن تملؤوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن..."⁸.

- ضرورة تعليم الصبية إلى جانب القرآن أسس الإسلام من أخلاق و عادات، حيث يؤكد ابن سحنون على الأمر بالصلاة لمن بلغ السابعة و الضرب عليها لمن وصل العاشرة، إلى جانب تعليمهم

1- القابسي : الرسالة المفصلة، المصدر السابق، ص89.

2- نفسه، ص نفسها.

3- ابن سحنون : آداب المعلمين، المصدر السابق، ص83.

4- القابسي: الرسالة المفصلة، المصدر السابق، ص145.

5- عدم جواز التعليم ابناء النصارى و اليهود و عدم جواز الأخذ منهم، القابسي: الرسالة المفصلة، المصدر السابق، ص120.

6- محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص82.

7- نفسه، ص 82- 83.

8- المالكي: الرياض، ج1، ص34.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

الوضوء والصلاة و قواعدها و تلقينهم بعض الأدعية و سنن الصلاة كالفجر و الوتر و الاستسقاء والخسوف والصلاة على الجنائز و عدم لمس المصحف إلا في حالة الطهارة¹.

- جواز و وجوب أجرة المعلم حيث ينقل ابن سحنون عن مالك: "لا بأس أن يأخذ الأجر على تعليم القرآن و الكتابة، و كذلك يجيز ابن سحنون الأجرة على تعليم الشعر و النحو و الرسائل وأيام العرب²، فالمعلم هنا أجير يتقاضى مقابلًا لعمل قام به و هو تعليم القراءة و الكتابة.

- وجوب الختمة و هي من واجبات المعلم نحو تلميذه، أي أن ينتهي من حفظ القرآن حتى يتمكن من الارتقاء في درجات المعرفة إن عز له ذلك، و يصف الأستاذ الطالب التعليم في الكتاب بكونه تعليمًا ابتدائيًا يخول للتلميذ المرور إلى التعليم العالي من التعليم الذي بأجر إلى تعليم حر و بدون أجر³.

2- المساجد:

لقد ساهمت المساجد بدورها في تأسيس الحركة العلمية و الثقافية في القيروان منذ أواخر القرن الأول الهجري، لأن المسجد كان يتميز بتعدد الوظائف الدينية و السياسية و الثقافية، و هو ذلك القلب النابض للمدينة العربية الإسلامية، فكيف الشأن بالنسبة إلى مساجد القيروان؟

إن المسجد بصفة عامة كان يمثل مركز بحث للشؤون السياسية و التربوية و الاجتماعية، ففي المسجد استقبل الرسول صلى الله عليه و سلم سفراء الدول و فيه كان يخطب في جماعة المسلمين، واستمر المسجد الجامع في تأدية هذه الوظائف و أضيفت إليه بعض الوظائف الأخرى كالدرس والتصوف⁴.

لقد كانت مساجد القيروان ملتقى بين العلماء و الطلبة و مقر نقاشات بين مختلف التيارات الفكرية، يخلقون فيها الناس لسماع الفقيه أو العالم، و مشاهدة المناظرات العلمية التي كانت تدور

1- ابن سحنون : المصدر السابق، ص 86- 87.

2- نفسه، ص 99.

3- محمد الطالب: دراسات في تاريخ افريقية، المرجع السابق، ص 156.

4- عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، العدد 168، أوت 1988، ص 234.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

حول أهم المسائل التي كانت تشغل بال الناس آنذاك، و يورد القاضي عياض في ترجمته لابن سحنون قوله عن يحيى بن عمر: "كان يناظر أباه و يسمع عنه بجلوسه مع الناس في الجامع¹، و يذكر الدباغ أن الناس أصبحوا يخلقون عليه بعد حلقة أبيه، و يشير أبو العرب إلى ذلك في ترجمته للفقير سحنون: "و كان أول من شرد أهل الأهواء من المسجد الجامع و كانوا فيه حلقة".

و يورد المالكي في ترجمته ليحيى بن عمر أن هذا الأخير كان له كرسي في الجامع للسمع فيجلس عليه و يسمع عليه الناس.

و في سياق آخر يذكر المالكي ذاته ما يلي: "و كان يسمع بجامع القيروان إلى آخر الخبر"²، ويتحدث أبو العرب عن عكرمة مولى ابن عباس الذي كان مجلسه في مؤخر المسجد الجامع، الموضع الذي يسمى بالركيبة"³.

و يعتبر المسجد ملكا عاما مشتركا لجماعة المسلمين، و قد استخدمته الجماعات الاسلامية في تسيير شؤونها العامة مستقلة بذلك عن سلطان الدولة، كاستخدام المساجد للقضاء و التعليم لأن العلم كان دائما من اختصاص الجماعة و لم تكن السلطة مسؤولة عن التعليم حتى في عصر الخلفاء الراشدين⁴، ويبدو أن مسجدا بمدينة القيروان قد اتخذه بعضهم مقرا لتعليم الحرف، يذكر المالكي الخبر التالي عن شخص يصف واقعة جرت بين معلم الخياطة و اسماعيل بن رباح قال: "كنت أحيط و أنا غلام حدث السن مع شباب عند معلمنا في المسجد المعروف اليوم بمسجد ابن نصر، إذ أقبل اسماعيل بن رباح الجزري فقال لمعلمنا: يا شيخ بكم اكتريت هذا الحانوت؟ و رد الشيخ أنه مسجد فأردف اسماعيل: إن المساجد لم تبني للصناع و إنما بنيت للصلاة و الذكر و تلاوة القرآن"⁵، و تدل هذه الحادثة على تشدد بعض رجال الدين حول استعمال المسجد لأغراض غير دينية أو تعليمية.

1- القاضي عياض : المدارك، المصدر السابق، ص171.

2- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ج1، ص134.

3- نفسه، ج1، ص83.

4- حسين مؤنس : المساجد، المرجع السابق، ص36.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص236، أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ج1، ص146.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و يظهر أيضا أن المسجد قد كان مقرا لبعض من لا شغل لهم مثل ما أورد المالكي كانت بالقيروان طبقة تسمى الركنية كانوا لا شغل لهم، فكان جلوسهم و مجتمعهم في ركن الجامع، و كان الناس يدارونهم و يتقون ألسنتهم"¹.

و مهما يكن من أمر فإن المساجد قامت بدورها الفعال في نشر العلوم و الثقافة في القيروان خاصة في غياب المدارس النظامية التي لم تظهر للوجود إلا في أواسط القرن 5هـ².

3- بيت الحكمة:

إن مظاهر تقليد الأغلبية للعباسيين تتجلى في تأسيس بيت الحكمة على غرار ما أنجزه العباسيون³، هذا البيت الذي أسسه فيما يبدو هارون الرشيد و قام المأمون بتنميته و تطويره و تقويته حيث قام بنقل تراث اليونان و آداب الفرس و الروم و الهند، و وضع له علماء يترجمون تلك الآثار القديمة من غير المسلمين⁴، فيوحنا بن ماسويه كان يترجم للرشيد الكتب الطبية القديمة، و قد ذكر أن الفضل بن توبخت كان في خزانة الحكمة للرشيد⁵.

و فيما يخص اسم هذه المنشأة العلمية فيقال له بيت الحكمة أو خزانة الحكمة، و قد زعم بعضهم أن بيت الحكمة كانت جامعة كبيرة يتصل بها مكتبة و مرصد و الغالب أنها مكتبة ملحقة بقصر الخليفة⁶.

و من خلال تشبه الأغلبية بالعباسيين يمكن القول بأن الوضع لا يختلف كثيرا عن بيت الحكمة القيرواني الذي أنشئ بأمر من الأمير الأغلي ابراهيم الثاني سنة 265هـ/ 878م، رغم

1- الخشني : طبقات العلماء، المصدر السابق، ص188، الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص80.

2- محمد سعيد : الحياة العلمية، المرجع السابق، ص181.

3- أنشئ بيت الحكمة ببغداد عام 215هـ/ 830م، في عهد هارون الرشيد و ابنه المأمون، مجموعة من المؤلفين: المرجع السابق، ص87.

4- محمد سعيد: المرجع السابق، ص181، محمد عليلي: المرجع السابق، ص122.

5- حسن حسيني عبد الوهاب: ورقات، المرجع السابق، ج1، ص192.

6- محمد سعيد : الحياة العلمية، المرجع السابق، ص181.

المباج الثالث — الأواام الثقاففة و الففكرفة فف القففروان و تفهرف

العموض اللف ففكفف هفه المنشأة البارزة الف لا ففء لها ففكراف فف ففب الفرافم و الففبقات¹.

و ففم فعرفوا بالففءف عن ففب الففكمة القففروانف و فعرففه ففء:

- ففن ففسفف عبء الوهاب الفف ففءرف: "ففب الففكمة الففرقف الفف ففوء برفاة ففزل الأمراف فف ففب الأفلب ففوار ففنازفهم و فواوفن فولفهم كان ففل بأفء القصرفف إما الففن أو الففءف، و هما فف ففء فابف الأمراف ففراهفف الففانف، و لم فففسر فعففن ففرفه بأفنى فف ففلك، و فف كان ففب الففكمة فف ففءوفى على ففزانف للففب الففءففة فف العلوم الففنفة و ففر الففنفة و العفءف فف الففصنفاف الففرفمة فف الففلسفة و الففنطق و الففرفاففا و الففلك و الففنففم و الففب و الففساب و الففنسة، و لم ففن هفه الأفصناف ففرفس فف ففامع القففروان، و فف افءوف ففب الففكمة على آلاف ففلكفة لفساب ففر الكواكب و رفصها، الإسفرفلاباف و الففقفنطراف و الففوفب، و ما ففابفها، و فف كان ففب الففكمة ففلسا للفرفسة و الففطالعة و ففلا لففسخ الففب و ففل ففراعة و اسفعمال للآلاف الففلكفة"².

و فف ففناسبة أفرى ففءءف ففن ففسفف عبء الوهاب واففا ففب الففكمة: "أول ففامعة افرفقفة للعلم و الففرفمة و فف المباءف الرفاصفة فف الأفوساط الففرففة و هف ففب الففكمة القففروانف، و فف ففلب إلها الأفالبة ففائف الففب فف أطراف العالم العربف فف العراق و الففام و ففصر كما ألقوا فمائله فف القفسفسففن الففسفففففن اسفءفموفهم فف صقلفة الفابعة لهم ففومئذ، و فف فرفمف الففب القفءفمة فف مؤلفاف ففوناففة ولافففففة فف ففب الموضوعات فف فلسفة و فارفخ و ففرفاففا و ففب و ففباف، و الففؤكف أن فف ففمفها قسما فف ففصنفاف "بلفف" القفءفم فف معنف الفارفخ الففبعبف الففعلق بالففوان و الففباف"³.

- ففان فونفان الفف أعطى الفعرفف الفف لهذا الفعلم: "أسس افراهفف الففانف سنة 878م برفاة مؤسسة لفشر العلوم العقلفة و فامف أرفففن عاما ففشر العلوم و فقوم فف رفائفها الفناقشاف الففنفة ففب

1- أحمء أمفف: فففى الاسلام، المرفع السابق، ص62.

2- ففن ففسفف عبء الوهاب : ورقاف، المرفع السابق، ف1، ص 192-193.

3- ففسفه، ف1، ص27.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

الشعب وأهل السنة خاصة و كان لهذه المؤسسة مكتبة ساعدت على ازدهار مدرسة الطب و قد نقل الفاطميون محتوياتها إلى القاهرة سنة 973م¹.

- و محمد الطالبي يعرفنا بكونها مكتبة ملكية مفتوحة للعلماء و مركز بحوث و ترجمة، و قد ساهم بيت الحكمة في نشر علوم الطب و تكوين مدرسة القيروان التي ستخرج منها اسحاق بن عمران وزياد بن خلفون و ابن الجزار².

و نستخلص من هذه التعريفات أن بيت الحكمة العباسي ينطبق على بيت الحكمة القيرواني الذي ساعد على التطلع على مختلف العلوم و المعارف بفضل الترجمة، و قد نجحت هذه المؤسسات الثقافية والعلمية من كتاتيب و مساجد و مكاتب في ابراز مدينة القيروان كمركز اشعاع ثقافي وعلمي و حضاري.

البحث الثاني: مظاهر الحياة الثقافية و الفكرية في تيهرت

أولاً- المذهب الإباضي و آراؤه الفكرية

المذهب في مفهومه اللغوي هو الطريقة و المسلك، يقال ذهب الشخص أي سار في طريقه ومسلكه، أما مفهومه الاصطلاحي فهو استنتاج و استنباط الأحكام الفقهية تفسيراً لما ورد في القرآن الكريم و السنة النبوية، أو عن طريق الاجتهاد، و هو أيضاً مجموعة من الأفكار و النظريات العلمية والفلسفية³.

1- جان فونتان : من كتاب فهرس تاريخي للمؤلفين التونسيين، تعريب حمادى صمود، نشر بيت الحكمة، 1986، ص44.
2- محمد الطالبي : عن مقال في كتاب تاريخ تونس، العصر الوسيط، المرجع السابق، ص193، محمد سويس: المرجع السابق، ص68.
3 - مجموعة من اللغويين: المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم، 1989، ص 487- 488.

1- نشأة المذهب الإباضي:

يعد المذهب الإباضي أول المذاهب الفقهية في نشأته حيث تذكر المصادر الإباضية أن أول من جاء يدعو إلى مذهب الإباضية هو سلمة بن سعد¹ الذي قدم من أرض البصرة إلى المغرب² ومعه عكرمة³ مولى بن العباس على بعير واحد، فسلمة بن سعد يدعو إلى الإباضية و عكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية، ويروي الدرجيني على لسان عبد الرحمن بن رستم نفسه فيقول: "أول من جاء يطلب مذهب الإباضية ونحن بقيروان إفريقية، سلمة بن سعد، قال: قدم علينا من أرض البصرة... فسمعت سلمة يقول: وددت أن لو ظهر هذا الأمر... يوماً واحداً، فلا آسف على الحياة بعده"⁴.

اشتهرت الإباضية ضمن فرقة الخوارج و كان ظهورها مرتبطاً بتلك الحركة، إلا أنها انشقت عنها لما ظهر غلو بعض المتطرفين من الخوارج، و كان الخلاف حول مسألة الخروج لمحاربة السلطة الأموية المناهضة لهم حيث أن فريق رأي الخروج واجبا بينما الفريق الآخر التزم القعود واعتبر الخروج لا يحل لأن المخالفين لهم بريؤون من الشرك، و بالتالي لا يجوز لهم مقاتلتهم⁵، وابتداءً من هذا

1 - سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليميني، عالم و داعية إباضي، اخذ العلم من أبي عبيدة مسلم، و هو أول داعية قدم إلى المغرب لنشر المذهب الإباضي رفقة الداعية الصفري عكرمة مولى بن عباس، و دخل بلاد المغرب سنة 95هـ، توفي أثناء عودته إلى المشرق لأداء فريضة الحج، ينظر، الدرجيني: المصدر السابق، ص 11-12، بلحاج معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص 32، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 123.

2 - لكننا لا نعلم على وجه الدقة متى وفد هؤلاء الدعاة، و من المرجح أن يكون ذلك مع نهاية القرن 1هـ أو مطلع القرن 2هـ، ينظر، عبيد بوداود: ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي و تداعياتها، مجلة المواقف، عدد خاص، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، أبريل 2008، ص 303، و هناك من يحدد تاريخ وصول الحكومة إلى المغرب في السنوات الخمس من القرن الثاني الهجري، لصالح الدين شعباني، المرجع السابق، ص 17.

3 - ذكره الشهرستاني من بين رجال الخوارج دون أن يحدد أي فرقة منهم، ينظر، الشهرستاني: المصدر السابق، ج 1، ص 137، أما بن خلكان فقال فيه: "و قد تكلم الناس فيه لأنهم يرى رأي الخوارج"، ابن خلكان، المصدر السابق، ج 3، ص 265، أما المالكي فيقول عنه: "دخل عكرمة إفريقية و أقام بالقيروان و بث بما العلم و كان مجلسه في مؤخر جامع القيروان في غربي الصومعة"، المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 146.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 11-12، صالح باجية: المرجع السابق، ص 24-25، ابراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص 11، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 123.

5 - ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 74، محمد بلقراد: المرجع السابق، ص 43.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

الاختلاف الذي وقع حوالي 64هـ ، انقسم الخوارج إلى معتدلين ومتطرفين¹ والتي قيل أنها تصل إلى العشرين فرقة تقريبا² لا تجمع بينهم سوى نظريتين، أولهما: نظرية الخلافة التي لم يرفضون أن تكون من قريش، و ثانيهما: نظرية اعتبار العمل جزءا من الإيمان³.

و من أشهر هذه الفرق الإباضية التي تمتاز بالإعتدال في نظريتها إلى مخالفيها، حيث أنهم لا يحكمون بتكفيرهم، بل يعتبرون التزواج و الميراث مع غيرهم من المسلمين حلالا، و لا يستيحيون قتل غير الخوارج من المسلمين إلا في حالة إعلان الحرب عكس الأزارقة⁴، و أول من تزعم الإباضية هم أبو بلال مرداس بن حدير التميمي⁵ الذي وصفه الدرجيني بالورع و الديانة و العلم الصيانة والفضائل والفضائل التي لا تحصى⁶، ثم تولى بعد ذلك الزعامة السياسية أو قيادة الحركة عبد الله بن إياض التميمي⁷، صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثالثة و قال عنه: "كان عبد الله بن إياض إمام أهل الطريق، و جامع الكلمة لما وقع التفريق، فهو العمدة في الاعتقادات و المبني لطرق الاستدلالات والاعتمادات، والمؤسس لأبنية مسندات الأسلاف، و المهدم لما اعتمده أهل الخلاف، و كان رأس العقد، و رئيس من البصرة و غيرها من الأمصار و المتقدم في حلبة الفضل بين أولئك الأخيار"⁸، كان معاصرا لمعاوية و عاش إلى أواخر عهد عبد الملك بن مروان، وصفه الشماخي بأنه: "إمام أهل التحقيق و العمدة" كما أن علاقته المتينة بعبد الملك بن مروان (26-86هـ) سمحت له بأن يقوم

1 - محمد الطمار: المرجع السابق، ص93، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 78-79.

2 - الشهرستاني: المصدر السابق، ص34، بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص30.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص3، و أيضا: Ch.Bekri : Le royaume, op.cit, p57.

4 - أبو زكرياء: نفسه، ص نفسها.

5 - يذكر أنه ظهر على رأس جماعة القعدة في البصرة حوالي سنة 50هـ/760م، صلاح الدين شعباني: المرجع السابق، ص40، ص40، تم القضاء عليه من طرف القائد الأموي عبد الله بن زياد أثناء الصلاة، كان في قرية أساك عام 61هـ، و لم يكن في نية أبي بلال مرداس القتال و قد كان رفقة ثلاثين من أصحابه، محمد عليي: المرجع السابق، ص 62، و ينظر أيضا:

Ch.B : Le royaume, op.cit, p60.

6 - الدرجيني: المصدر السابق، ص214-215.

7 - المبرد: الكامل، المصدر السابق، ج3، ص297، جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 5-551، محمد عليي: المرجع السابق، ص62، و ذكره الشماخي ب: عبد الله بن إياض المري التميمي، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص77.

8 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص214، الشماخي: نفسه، ج1، ص77.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

بدور المستشار لهذا الخليفة¹، و تميز بقوة الحجة، و تم اختياره للمرافعة عن الإباضية، لما له من ملكة لسانية، فكان قوي المناظرة، إضافة إلى انتمائه إلى قبيلة بني تميم التي تولت الدفاع عنه، مما قد يلحقه الأمويين به².

و يتجلى موقف عبد الله بن إباح من الخوارج من خلال الرسالة التي بعثها إلى عبد الملك بن مروان يعظه فيها و يدعوه إلى الإعتصام بكتاب الله و سنة رسوله حيث قال: "أنا براء إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه، لقد كان خرج إلى الإسلام فيما ظهر لنا و لكنه أحدث و ارتد و كفر بعد إسلامه، فترا إلى الله منهم"³.

2- علماء و أعلام الإباضية:

ومن بين أشهر أعلام و علماء المذهب الإباضي نذكر:

جابر بن زيد الأزدي: أما الزعامة الروحية للمذهب الإباضي، فالمصادر الإباضية تؤكد على أنها كانت في يد جابر بن زيد الأزدي العماني البصري المتوفي سنة 93هـ / 711م⁴، و يكنى بأبي الشعثاء⁵، صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثالثة و وصفه ببحر العلوم العجاج، و سراج التقوى ناهيك

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص3، الشماخي: نفسه، ج1، ص 77، صالح باجية: المرجع السابق، ص106.
2 - الشيخ بلحاج: المرجع السابق، ص27 و أيضا لخضر سيفر: المرجع السابق، ص21، و اعتبره الإباضيون أنه مختص في المذهب ومدافع عنه، عمار عبد الكافي: آراء الخوارج الكلامية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978، ج1، ص193.

3 - الحاج سعيد عيسى: المرجع السابق، ص268، قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج: المرجع نفسه، ص23.
4 - عون التابعين و أحد كبارهم، ولد بقرية فرق من أعمال نزوي بعمان، ولد حوالي سنة 21هـ، روى الحديث عن الكثير من الصحابة أمثال عائشة و عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عاص، تعتبره الإباضية إمام المذهب الإباضي الأول، و يعتبر بشهادة أبي زكرياء نفسه من أكبر علماء المذهب، جمعية التراث: المرجع السابق، ص 117-118، البخاري: التاريخ الكبير، المصدر السابق، ج1، ص204، الذهبي: المصدر السابق، ص- ص 68-72، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص40، عمر عبد الكافي: المرجع السابق، ص193.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص 70-71، و الشعثاء هي بنت جابر التي كني بها، و قد توفيت في مدينة الفرق بعمان، وقبرها معروف بها إلى الآن، ينظر هامش علي دبوب: المرجع السابق، ص 139، و للمزيد عن أبي الشعثاء ينظر: يحيى بكوش: فقه الإمام جابر بن زيد، ج1، الدار العربية، ط2، غرداية 1988، ص11، جمعية التراث: المرجع السابق، ص 117-118.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممته

به من سراج، أصل المذهب و رأسه و منار الدين، و من انتصبت به أعلامه، صاحب بن العباس رضي الله عنه، وكان أمهر

من صحبه، و قرأ عليه¹، أخذ العلم عن كثير من الصحابة أمثال عائشة و ابن مالك و عبد الله بن عباس²، و قد كان أبو عباس يمتدح علمه فيقول: "إسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه"، و قال أيضا: "جابر بن زيد أعلم الناس، عجا لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا وعندهم جابر بن زيد، لو قصدوا نحوه لوسعهم علما"، و لما مات جابر بن زيد قال أنسب بن مالك: "مات أعلم من على ظهر الأرض" أو "مات خير أهل الأرض"³.

اعتمد جابر بن زيد في دعوته استعمال التقية الدينية و جعلها منهاجا لعمله الدعوي، فلم يكن يعلم بنشاطه إلا الخاصة من أتباعه و كان يخفي انتماءه و يوصي أصحابه أن يحافظوا على السرية، فكانت التقية سببا في نسب المذهب الإباضي إلى عبد الله بن إياض الذي تولى التمثيل السياسي بعد جابر بن زيد⁴.

و النماذج التي تحلت فيها هذه التقية لدى الإمام جابر بن زيد أنه سار على سياسة ودية تجاه الأمويين، و ارتبط بعلاقات وثيقة مع الحجاج بن يوسف الثقفي (40-95هـ) إذ كانت له زيارات دورية له في قصره⁵ بحيث عرض عليه عامل بني أمية منصب القضاء، و قد بلغت ثقة الحجاج به إلى أن عرض عليه منصب القضاء، و قد كان لجابر بن زيد كتاب ضخم عنوانه "ديوان جابر" أتلّف عندما أحرقت مكتبة بغداد العظيمة⁶.

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ج2، ص205.

2 - كان عبد الله بن عباس أعلم الصحابة بالقرآن الكريم و صاحب حجة و اقتناع، و قد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه دعا له بقوله: "اللهم علمه الكتاب"، ينظر، البخاري: المصدر السابق، ص41.

3 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص205، الذهبي: المصدر السابق، ص72، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص70.

4 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص63، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص21.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص4.

6 - الحجاج سعيد عيسى: المرجع السابق، ص264، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص4.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: بعد وفاة الإمام جابر بن زيد سنة 93هـ، خلفه على إمامة الإباضية، أبو عبيدة مسلم الذي كان مثالا للورع و التمسك بالدين، من أعلم تلامذة جابر بن زيد و أشدهم تفانيا في الدفاع عن الدعوة، شديد التمسك بمبادئ أستاذه¹.

و قد اشتهر أبو كريمة بصناعة القفاف و كان زنجيا أسود اللون أعور و فقيرا، وصفه الشماخي قائلا: "تعلم العلوم و علمها، و رتب روايات الحديث و أحكامها، و هو الذي يشار إليه بالأصابع بين أقرانه و قال: "و قد اعترف مع ذلك بضيق الباع مع ما لديه من المتاع"²، و صفه الدرجيني ضمن الطبقة الثالثة قائلا في حقه: "منهم أبو عبيدة كبير تلامذته جابر، و ممن حسنت أخباره، تعلم العلوم و علمها، و رتب الأحاديث و أحكامها، و حافظ في خفية على الدين حتى ظهر على يد الخمسة الميامين، حسب ما تقدمه من ذكر دراستهم و حملهم العلوم، و كان عالما مع الزهد في الدنيا و التواضع مع نيل الدرجات العليا و الاعتراف بضيق الباع على ما عليه من الأتباع"³.

و لقد آثر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أسلوب المناقشة و الحوار مع معارضيه، و من بينهم الإباضية، فحاول أبو عبيدة و مشايخ الإباضية بالبصرة التقرب من الخليفة، فأرسلوا إليه وفدا برئاسة جعفر بن السماك⁴ و الذي وصفه الدرجيني قائلا: "و منهم جعفر بن السماك، شيخ الصيانة و النزاهة و ركن الديانة و الفقاهاة... له الكعب العالي في أهل زمانه، و التقدم في فضله و مكانه"⁵ و قد قد رجع الوفد راضيا عن سياسته الخليفة⁶.

و لأن العلاقات اتسمت بالود بين الإباضية و السلطة في عهد الخليفين سليمان بن عبد الملك (96-99هـ) و عمر بن عبد العزيز، فإن أبا عبيدة استغل هذه المرحلة و هذه الظروف في

1 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص534، لخضر سيفر، ص22.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص83، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص23.

3 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص238.

4 - جعفر بن السماك: أحد تلامذة أبي عبيدة مسلم، عرف بحماسة الإباضية و بعلمه الغزير و تقواه و ورعه و بلاغته و فصاحته، موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص226.

5 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص232.

6 - عوض خليفات: المرجع السابق، ص34.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممته

حركته من أجل تأسيس إمامة الظهور، فقام بتطوير تنظيمات المجالس السرية التي كانت تقام بالبصرة، فشهدت الجماعة في عهده تنظيماً محكماً، قسم المهام على مجالس العلماء و الأعيان والعامّة لتدعيم الدعوة، مما يسمح بوصولها إلى أبعد المناطق في العالم الإسلامي¹، و يمكن تمييز ثلاثة أنواع من المجالس السرية:

أولاً- المجالس العامة: و كان يحضرها كل شخص من أهل الدعوة و تعقد سرّياً في بيت أحد المشائخ أو في سراديب أرضية، و تقدم فيها دروس في العقيدة.

ثانياً- مجالس المشائخ: و كان يحضرها فقط زعماء الإباضية و تقرر فيها السياسة التي يجب اتباعها اتجاه المستجدات، و يقوم بدور التخطيط و التنظيم.

ثالثاً- مدارس حملة العلم: قام أبو عبيدة بإنشاء مدرسة يتلقى فيها الطلبة دروساً مباشرة من أبي عبيدة، و كان ظاهر المدرسة معملاً لصناعة القفاف حتى سمي بالقفاف²، و هو عبارة عن سرداب وضع في مدخله سلاسل حديدية، ففي حالة ما إذا سمع صلصالها، انشغلوا بصناعة القفاف فلا يشتبه في أمرهم³. فلما أدرك أبو عبيدة صعوبة الدعوة للمذهب الإباضي بالمشرق الإسلامي خاصة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز واعتلاء يزيد بن عبد الملك الخلافة (101-105هـ) حيث ظهرت نزاعات ثورية و برزت طائفة متطرفة من بين الإباضية تنادي بوجوب ثورة⁴، أي أن ينطلق الإباضية بدعوتهم إلى أطراف الدولة و على الأخص بلاد المغرب، فاختر أحد تلامذته معروف بحماسه الإباضية و بعلمه الغزير و تقواه و ورعه و بلاغته و فصاحة لسانه و هو سلمة بن سعد، و الذي بدأ دعوته في سرت ثم طرابلس إلى أن وصل إلى إفريقية، كان يجمع الطلبة من جهات مختلفة و يكون منهم بعثة للسفر إلى البصرة، و منهم الخمسة، جملة العلم إلى إفريقية وهم عبد الرحمن بن رستم،

1 - لخضر سيفر: المرجع السابق، ص22.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص83، عوض خليفات: المرجع السابق، ص53.

3 - يذكر الشماخي: "في سرب و على فمه سلسلة..."، الشماخي: نفسه، ج1، ص164، بلحاج معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص30.

4 - بلحاج معروف: المرجع السابق، ص31.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممته

وعاصم بن جميل السدراتي، واسماعيل بن درار الغدامسي و أبو داوود القبلي النفاوي¹، ثم انضم إليهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، و قد اختاره أبو عبيدة مسلم رئيسا للإباضية التي ينوي البربر إقامتها في المغرب لغزارة علمه و مهارته في الاستنباط².

و عاد حملة العلم الخمسة إلى المغرب الإسلامي بعد إقامة دامت خمس سنوات في البصرة، فلما أرادوا الخروج عنه سأله اسماعيل بن درار عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام فقال له أبو عبيدة، أتريد أن تكون قاضيا يا ابن درار؟، قال: رأيت إن أبتليت بذلك، قال: لا تفت بما سمعت مني و لا بما لم تسمع، فمنعه من الفتوى كلية³.

الربيع بن حبيب: هو ابن عمر الأزدي الفراهدي، خرج إلى البصرة طالبا للعلم، من علمائها الأجلاء كيفية العمانيين الذين تلاحقوا على هذه المدينة منذ عهد عمر بن العاص⁴، و كان صاحبا لأبي عبيدة، فتصدر من بعده كل علماء المذهب، و أدرك في شبابه الإمام جابر، و لعل أكثر ما حماه الربيع بن حبيب و ضمام بن السائب أحد تلاميذه جابر بن زيد الأزدي، فكان الإمام الربيع بن حبيب يقول: "أخذت الفقه عن ثلاثة، أبي عبيدة، أبي نوح و ضمام ن السائب"⁵، و صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الرابعة (150-200هـ) قائلا: "منهم الربيع بن حبيب رحمه الله، طور المذهب الأشم، و علم العلوم الذي إليه الملجأ في معظمت الخطب، و من تشد إليه حبال الرواحل و تزم، صاحب أبا عبيدة فاغترف من بحره الزاخر، و لزم مجلسه، فكان الأول و الآخر، روى عنه "المسند" المشهور، المتعارف البركة على مر العهود، وله في الفروع كل قول و مذهب، أجوبته من المعتمدة في المذهب، باين من خالف من حاضريه أهل العدل و الطوب و ووصف في الإمامة و الولاية

1 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص164. موسى لقبال: المرجع السابق، ص227.

2 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص353.

3 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص164، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص23.

4 - عمر بن العاص (تعريف بحث)

5 - مريم بن سعيد: المرجع السابق، ص23.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

بالبراءة عند موافقة السنة و الكتاب و الصواب عندنا في كل ذلك جوابه، فإن سمعت بأصحابه فنحن و الحمد لله أصحابه"¹.

3- مبادئ المذهب الإباضي و آراؤه الفكرية:

مما لا شك فيه أن الصورة تبقى مبتورة إذا توقفنا عند هذا الحد، لهذا من الضروري ذكر بعض المبادئ و الأفكار الإباضية، و لعل المذهب الإباضي أقرب المذاهب إلى السنة، إذ يقول ابن إباض أقرب الأقاويل إلى السنة²، و ذكر الدرجيني في وصفه لابن إباض ما يلي: "و المهدم لما اعتمده أهل الخلاف...وعلى ما اعتقده بن الأزرق في المحمدية و عدل عن طريقي البيهسية والنجدية"³، و هذا يعني أن الإباضية لا يوافقون الأزارقة في دمويتهم و غلوهم و تحلة دماء و أموال أمة محمد عليه الصلاة و السلام، لهذا خالفوهم و تبرؤوا منهم، فانفصلوا عنهم و كان ذلك في سنة 65هـ/684م في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/675-705م).

و من هنا نستنتج أن الإباضية من الفرق الإسلامية المسالمة المعتدلة في آرائها و مبادئها، وهي أقرب إلى أهل السنة و الجماعة، و منه يمكن إجمال هذه المبادئ و الأفكار فيما يلي:

- مصادر التشريع الإباضي هي القرآن و السنة و الإجماع و القياس و الإستدلال⁴، كما يصف تساشو المتخصص في الإباضية أن البرهان يصدر من الكتاب و السنة و الإجماع و العقل و هو ما يعادل القياس، و بالتالي، الأسس الأربعة للتشريع هي الكتاب و السنة و رأي المسلمين و العقل، و منه الإباضية متوافقة مع السنة⁵.

1 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص273.

2 - المبرد: المصدر السابق، ج3، ص299، ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص77.

3 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص214.

4 - بلحاج معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص42-43.

5 - سلفادور غومث نوغاليس: الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر و الأندلس من خلال الإباضية، العدد46، رجب 1977، الملتقى الفكري الحادي عشر للفكر الإسلامي، وارجلان، ص16.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

- القرآن مخلوق عند قسم منها المغاربة خاصة، و غير مخلوق عند القسم الآخر¹، و توجد في "الجواهر المنتقاة" للبرادي رسالة مطولة لرابع الأئمة أبو اليقظان، يتحدث فيها عن خلق القرآن في الفصل الخاص بالحياة الفكرية².

- يرى فقهاء الطائفة أن مرتكب الكبيرة موحد و ليس مؤمناً، فمن أقوال عبد الله بن إباح: "لا تقل فيمن خالفنا أنه مشرك لأنه معه التوحيد و الإقرار بالكتاب و الرسول صلى الله عليه و سلم و إنما هو كافر للنعم، و مواريتهم و مناكحتهم و الإقامة معهم حل و دعوة الإسلام تجمعهم و قتالهم غير جائز إلا بعد إقامة الحجة عليهم و دارهم دار السلام ما عدا معسكر السلطان"³.

فكانت بذلك نزعتهم أميل إلى السلم، فلم يتعالوا في الحكم على مخالفيهم كالأزارقة، فهم يرون أن مخالفتهم براء من الشرك و الإيمان، و أنهم ليسوا مؤمنين و لا مشركين، و لكنهم كفار، وأجازوا شهادتهم وحرّموا دماءهم في السر و استحالوها في العلانية، و صححوا مناكحتهم و التوارث منهم، و قاموا باستحلال بعض أموالهم دون بعض، و الذي استحلوه الخيل و السلاح، أما الذهب و الفضة فإنهم يردونها إلى أصحابها عند الغنيمة⁴.

- رؤية الله مستحيلة و لا تتحقق للإنسان أبداً، لا في الدنيا و لا في الآخرة، كما جاء في الفصل الثالث من "الرسالة الشافية" لمحمد أطفيش المتوفي سنة 914⁵.

- الإتفاق مع المذاهب السنية في أن أفعال الإنسان من خلق الله، لكن للإنسان حرية اكتساب الأفعال، فهو ليس مجبراً على القيام بها⁶.

Ch.Bekri :le karijisme op.cit, p58.

- 1

Ibid : p59.

2 - البرادي عن:

3 - موسى لقبال: المرجع السابق، ص- ص 229 - 230.

4 - البغدادي: الفرق، المصدر السابق، ص83.

Louis Garder : op.cit, p - p 214- 215.

- 5

6 - الحاج سعيد عيسى: المرجع السابق، ص272، ابراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 77- 78، أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 289 - 290.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممته

-الإيمان يكون بتطبيق أركان الإسلام، و من مات على كبيرة و لم يتب خلد في النار¹، أي أن الخلود في الجنة و النار أبدي، لا يشقى من سعد في الآخرة و لا يسعد من شقى في الآخرة أبدا.

-الإنكار معلوم من الدين بالضرورة².

-الصفات الإلهية هي عين ذات الله.

-النفاق منزلة من الشرك و الإيمان و لا منزلة بين الإيمان و الكفر.

-الإيمان قول تصديق و عمل و ليس قولاً و تصديقاً فقط دون عمل.

-شفاعة الرسول ثانية³.

-يعتبرون الجوانب المادية و الروحية متكاملة، لذلك أنكروا التصوف⁴.

- الإمامة فرض و لا ينحصر في عنصر خاص، و إنما شرطها هو الكفاءة و الشرعية⁵.

-الإمامة أربعة أنواع و تعرف عند الإباضية بمسالك الدين وهي: الظهور، الدفاع، الشراء و الكتمان⁶.

أ/إمامة الظهور: و هي واجبة عندما تتوفر شروطها لتأسيس دولة إباضية المذهب و شروطها هي أن يكون مسلمو الإباضية أقوى من غيرهم بحيث يستطيعون انتخاب من يحكم علناً و ذلك طبقاً لكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و سيرة الخلفاء الراشدين، من بعد فيقوم إمام الظهور بالقطع و الجلد و الرحم و أخذ الحقوق⁷، و الظهور بمعنى تولية إمام عدل تسند إليه الأمور⁸.

ب/ إمامة الدفاع: هي مرحلة بين الظهور و الكتمان⁹، فإن كان الإباضية في طور الكتمان و داهمهم العدو، فتجب عليهم أن يعلنوا حالة الدفاع عن انفسهم، و يعقدوا إمامتها لمن يعرف بالشجاعة

1 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص64.

2 - نفسه، ص نفسها.

3 - بلحاج معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص43.

4 - الحاج سعيد عيسى: المرجع السابق، ص272.

5 - محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص78.

6 - عوض خليفات: المرجع السابق، ص- ص 113 - 190.

7 - محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص79.

8 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص6.

9 - الكتمان: ملازمة الأمر سرا بلا إمام، ابن الصغير: المصدر السابق، ص25.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

والخبرة العسكرية و من يطلق عليه إسم إمام الدفاع¹، و مهمته الدفاع عن الوطن حتى نهاية الحرب، و نزول إمامته بزوال الخطر الداهم².

د/ إمامة الكتمان: و تعبر عن مرحلة الضعف بحيث يركنون إلى السرية و استعمال التقنية و ينتخبون إماما عليهم، يكون عادة هو أعلم كجابر بن زيد الأزدي، و أبي عبيدة مسلم، و يقومون بنشر الدعوة سرا.

و لعل هذه الأفكار و المبادئ الإباضية و التي يكون مسك ختامها ما ذكره الإمام الإباضي في القرن الرابع عشر الشيخ أطفيش قطب الأئمة حيث قال: "إن الحق ما نحن عليه و الباطل ما عليه خصومنا، لأن الحق عند الله الواحد، و مذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ، و مذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصدق"³.

نستنتج من خلال الحياة الدينية في الدولة الرستمية أن أغلب سكان تيهرت كانوا يعتقدون المذهب الإباضي، لكن هذا لا يمنع وجود أقليات مذهبية و دينية كالصفرية و المالكية و المعتزلة بالإضافة إلى النصارى و اليهود عاشوا مع الإباضيين في سلام و وئام طيلة حكم الرستميين، و هذا ما يشير إليه بن الصغير عندما ذكر تسامح الإباضية بقوله: "و لا يمنعون أحدا من الصلاة في مساجدهم و لا يكشفون عن حاله ما خلى المسجد الجامع، فإنهم إذا رأوا فيه من رفع يديه منعه و زجره، فإذا أعاد ضربوه"⁴.

ثانيا- المؤسسات التعليمية و مراحل التعليم

تعددت و تنوعت مراكز و مؤسسات التعليم في تيهرت، كما احتوى البيت التيهرتي على علوم كثيرة و متنوعة⁵.

1 - إمامة الدفاع: أن يدعم أهل الكتمان

2 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص5، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص80.

3 - أطفيش نقلا عن ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص88.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص162.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

1- المؤسسات التعليمية و الثقافية:

مما لا شك فيه أن طلاب العلم كانوا يحرصون في مساجد تيهرت و نفوسة، على أيدي كبار الإباضية، في أصول الدين و الشريعة و الرياضيات، التي ساهمت بدورها في ازدهار الحياة العلمية¹. و بالتالي اعتبر المسجد أهم هذه المؤسسات التعليمية في دولة تيهرت الرسمية، و غيرها من الدول الإسلامية حيث كان يؤدي دوره التثقيفي و التعليمي، إضافة إلى إقامة الشعائر الدينية حيث أن أول ما اهتم به عبد الرحمن بن رستم في تأسيس الدولة الرسمية هو بناء المسجد، و تعددت في عهده، فكان مسجدا للكوفيين، و آخر للقيروان و مسجد للبصريين و غيرها².

أ/ الكتابات:

يذكر بحاز ابراهيم أن المعلومات الخاصة بهذه المدرسة جد منعدمة، و يعتبرها اللبنة الأولى في التعليم في المغرب، و هو من أشهر أنواع التعليم الابتدائي فكان الصبية يتلقون دروسا دينية بحتة، و يتعلمون مبادئ اللغة العربية و حفظ القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة بطريقة التكرار و التزديد وراء الشيخ³، و الكتابات عبارة عن حجات صغيرة مجاورة للمساجد، تخصص لتعليم الصبيان الصغار، بدلا من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة، حفاظا على طهارتها⁴. و لعل هذه الطريقة ما زالت متداولة إلى حد الآن في الكتابات، و بنفس الوتيرة بالنسبة للصبية الذين لو يبلغوا سن الرشد، و قد أشار أبو زكرياء إلى الكتاب، و ذلك عندما أشار إلى أحد الإباضيين الذين انشقوا عن المذهب، و يعرف باسم الشكاس⁵، و قال بأنه أدخله أبوه في الكتاب فقرأ و حفظ⁶، وكان يعتمد في تلقين الدروس على لوح من خشب و دواة، بحيث يكتب على

1 - السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص575.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص32.

3 - ابراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص276.

4 - محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص87.

5 - كان يكنى "أبد الله"، و كان أبوه رجلا صالحا، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص133.

6 - أبو زكرياء: المصدر نفسه، ص134.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

الألواح القرآن بواسطة الدواة، و بقيت متوارثة إلى حد الساعة، و لعل أول من علم القرآن رجل يدعى عمر بن يمكن¹ بجبل نفوسة، و كانت تسلك نفس الطريقة في الكتابة على الألواح، فإذا أتم الصبي حفظ ما عليها يقوم بحفيها²، و قد كانت عناية الرستميين ببناء المساجد كبيرة، حتى أنهم وصلوا إلى جزيرة جربة و يسمى هذا الجامع "بتاجديت".

كما وجدت أيضا بوارجلان و أريغ و قنطرار، هذا الأخير الذي كان يقصده كبار العلماء و الطلبة لأخذ العلم فقد كان عبد الله محمد بن بكر يسأل أبا نوح بمحراب هذا المسجد عن عدة مسائل، و لعل مرحلة التعليم الابتدائي في الكتاب هي أرضية ممهدة و مساعدة لمهمة المساجد، حيث قال أبو زكرياء: "...فقرأ و حفظ، فلما اشتد، و بلغ الحلم، سولت له نفسه طلب العلوم"³، لقد تأسست مدارس لتعليم القرآن الكريم و العلم و الفقه تسمى بالمنازل في العاصمة تيهرت و المدن الرستمية الأخرى⁴.

ب/ المكتبات:

تقوم المكتبات بدور ريادي في تنشيط عجلة الفكر النير و العلم المتوقع، و تغذية الحركة العلمية و دفعها إلى الإمام، و لعل هذه المكتبات، كانت نتاج عمل و جهد الأئمة و من بينهم عبد الوهاب، حيث أنه بعث ألف دينار إلى إخوانه من أهل المشرق بالبصرة، أن يشتروا له بها ورقا، فنسخوا له أربعين جملا من الكتب، و بعثوا بها إليه، فلما جاءته نشرها و قرأها، حتى أتى إلى آخرها⁵، و لعل ما زاد في إثراء المكتبات

1 - من رجال القرن 2هـ، توفي مع أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 144هـ، ينظر هامش أبو زكرياء: المصدر السابق، ص122.

2 - ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص277، عمار عمورة: المرجع السابق، ص97.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص134، صالح باجية: المرجع السابق، ص62.

4 - محمد بوركية: النمط العمراني، منبر التراث، المرجع السابق، ص144، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص182.

5 - ذكر الشماخي أنه: "تشمر و جد لقراءتها ليلا و بعض أوقات النهار... فقال الحمد لله وجدت جميع ما فيها محفوظا عندي عندي و لم أستفد منها إلا لمسألتين، و لو سئلت عنهما لأجبت فيهما.."، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص162، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص65، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص112.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

الرستمية، هو نسخ عمرو بن فتح النفوسي¹، لمدونة أبي غانم بشر بن غانم الخرساني²، و بالتالي كانت عملية هذا النسخ مثالا من بين العديد من النسخ التي قاموا بها آنذاك، و التي أسهمت في إثراء المكتبة التيهرتية و التي عرفت بالمعصومة و كذا مكتبة نفوسة الجامعة لآلاف الكتب، و لعل أغلبيتها كانت من إسهام الأئمة العلماء، و لعله سبب حرقها، حيث أن عبد الله الشيعي لما دخل تيهرت و اقتحم دار إمامتها في المعصومة، وجد تلك المكتبة، فانتقى منها ما يعجبه من كتب الصنائع و الحساب و سياسة الملك، و أضرَم النار في الباقي من كتب الفقه و الفكر الإباضي³، و بالتالي كان هذا العمل قضاء على بعض الإرث الرستمي.

ج/ حلقات التعليم في المساجد:

تعد هذه الطريقة من أنجح الطرق و أكثرها تأثيرا في نشر تعاليم الدين، و الأدب و غيرها حيث تلقى في المساجد مواعظ و دروسا للعامة و الخاصة، محاولين بث العلم، مثلما كان يفعل أبو خليل الدركلي⁴، و قال لتلامذته: "سيروا إلى الحلقة، واقصدها حيثما كانت باكسالي، فإن رجلا سار من الجبل "نفوسة" إلى فزان و إلى غدامس، و إلى الساحل رغبة في الحلقة، و فيما يستفاد منها".

و لم نجد في المصادر التي تمكنا من الرجوع إليها توضيح هذه الحلقات ما عدى ما ذكره ابن الصغير عن الإمام أبي اليقظان بقوله: "و كان إذا جلس (أبو اليقظان) في المسجد الجامع جلس على وسادة من أدم مستقبلا الباب البحري، و له سارية تعرف به يجلس إليها و لم يكن غيره يجلس إليها في حلقاته"⁵، وهو ما يدل بأن الحلقات كانت مرتبطة بالسواري، و ربما كان لكل عالم وقت خاص

-
- 1 - عمرو بن فتح النفوسي من أعلم أهل زمانه النفوسيين (250هـ - 300هـ)، ابن الصغير: المصدر السابق، ص51.
 - 2 - أبو غانم بشير بن غانم الخرساني: أحد علماء الإباضية بالمشرق، زار الدولة الرستمية و قصد عاصمتها، و قد طبع كتابه في جزأين بسوريا، و نشره الشيخ سالم بن أحمد سليمان الحارثي العثماني، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص82.
 - 3 - موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي، المرجع السابق، ص13.
 - 4 - صالح باجية: المرجع نفسه، ص65.
 - 5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص81.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

به لعقد حلقاته¹، أو ما ذكره أبو زكرياء عن الإمام أفلح، "أنه كان هناك أربعة حلقات تدرس العلوم المختلفة على الإمام أفلح وذلك قبل أن يبلغ سن الرشد²، و كانت حلقة العلم تعقد في المساجد في غير أوقات الصلاة، ويذكر سليمان داوود أن الرستمين جعلوا بجوار كل مسجد كبيرا أو صغيرا مدرسة للصغار وحلقات العلم للكبار في المسجد، و في كل مسجد تخصص ناحية للنساء، و أما كل مسجد بيت للضيوف و أكثرهم من الحجاج، يقوم رواد المسجد بما يجب لإعالتهم و لا يزال هذا النظام ساري المفعول إلى اليوم³، بحيث لم يكن في المساجد أو الكتاتيب فحسب بل حتى في دور الأئمة و في الليل، و هذا ما نفهمه من قول أبي زكرياء عن محمد بن أفلح، "فكانت نفوسة تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله يتحدثون ف فنون العلم⁴، كما وجدت المجالس العلمية للمناظرات كالتي كانت تقام بين علماء الإباضية و المعتزلة⁵.

و ما نستنتجه أن التعليم نال حظا وافرا و عناية كبيرة من طرف الأئمة الرستمين ضف إلى ذلك أنه كان يشمل جميع النواحي التربوية من تعليم و سلوك، و حتى الفروسية⁶.

2- مراحل التعليم:

و كان التعليم مقسما إلى ثلاث مراحل و هي:

أ/ مرحلة التعليم الابتدائي: و يشمل تحفيظ القرآن و المبادئ الأولى للفقهاء، يتعلم فيه التلاميذ الصغار عن طريق الألواح، أي أنه يقتصر على الكتاتيب و يخص الأطفال و الصبيان⁷.

1 - مختار حساني: المرجع السابق، ص305.

2 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص89، كما ذكر الوسياني أنه أدار ثلاث حلقات علمية، الوسياني نقلا عن تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص143.

3 - سليمان داوود بن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص60-61.

4 - أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص98، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص84.

5- محمد بوركبة: النمط العمراني، منبر التراث، المرجع السابق، ص144.

6 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص97.

7 - نفسه، ص97، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص277.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

ب/ مرحلة التعليم الثانوي: و يشمل العقيدة و الفروع و الأدب، يعتمد فيه الطالب على الكتب، وهو النوع الثاني الذي يأتي مباشرة بعد النوع الأول، و هو ما يتأكد من نص أبي زكرياء عن أبد الله الشكاس: "فنشأ الغلام، فلما احتل الأدب أدخله أبوه في الكتاب، فقرأ و حفظ، فلما اشتد وبلغ الحلم سولت له نفسه طلب العلم"¹.

ج/ مرحلة التعليم العالي: و يشمل التبحر في علوم التفسير و الفروع و علم الأموال و اللسان والنجوم²، وكان التعليم مجانا مباحا للذكور و الإناث، تلقى الدروس في حلقات بالمساجد في إطار منظم و دقيق تراعى فيه كل قواعد التعليم سواء من حيث السيرة أو الحضور أو اللباس، و متابعة الطلب هو من اختصاص الشيوخ الذين يصهرون على احترام أوقات الدراسة و كيفية السؤال و آدابه و الثواب و العقاب و مراقبة نتائج الطلبة و الأكل و النوم، إلا أن من سلبياته يعتمد على الحفظ أكثر من العقل كما يمتاز بالصرامة في تطبيق العقوبة البدنية³.

و حتى الكهول كان لهم نصيب من التعليم في تيهرت يتمثل فيما يطرحونه من أسئلة على الشيوخ في حلقات الدروس و المناظرات التي تخص كل مسائل العقيدة و الشريعة. و لعل نظام الحلقات تحول إلى نظام آخر خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية حيث تحولت الإباضية إلى مرحلة الكتمان، و استحدثوا نظاما يعرف بالعزابة⁴.

و لقد ظهرت فئة من العلماء و الفقهاء و الأدباء في هذه الحلقات، و منهم كان الشيخ أفلح بن عبد الوهاب الذي كان على قدر كبير من العلم و الفقه و اللغة العربية⁵، و كان ابن الصغير يقول

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص134، حسن حساني: المرجع السابق، ص305.

2 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص97.

3 - نفسه، ص نفسها.

4 - أعزبوا عن الدنيا و تفرغوا للآخرة، فأقاموا حلقة العزابة الرئيسية، التي تفرغ عنها حلقات العلم، و أول من أحدث هذا النظام هو أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي في القرن5هـ، الذي رتب قواعده و أسسه، ينظر، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص123، B.Fekar, op.cit, p – p 120- 121.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 56- 57.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

يقول عن ذلك من أتى إلى الإباضية و من غيرهم قريوه و ناظروه أطف مناظرة¹، و قد كان المسجد الجامع بتيهرت أهم مركز لتعليم و تلقين الفقه الإباضي، و عقد اجتماعات و تدارس أوضاع الأمة باجتماع أعيان القبيلة و هذا ما قام به عبد الرحمن بن رستم عندما جاءه وفد من إباضية المشرق (البصرة) فجمع أعيان كل قبيلة، ينوبون أفراد القبائل من أجل النظر في هذا الموضوع²، ضف إلى الأئمة في هذا الصدد، نجد بعض المشايخ (حملة العلم) كعاصم السدراتي الذي كان يشق طريقه بالأحياء الضاربة في الصحراء، و اتخذ في طريقه عدة مساجد صغيرة، تعرف بالمصليات و كذلك لأبي داوود القبلي (حملة العلم) الدور الواسع في تثقيف المغاربة و تعليمهم الديني خاصة³.

و لم يكن التعليم في عهد الدولة الرستمية مقتصرًا على علوم الشريعة بل كان يشمل تعليم الحرف وهو ما يؤكد الوسياني بقوله: "ثلاثة نجارين أحدهم يحسن قطع الخشب و الثاني يشقها وينشرها و الثالث يركب الألواح و يسمرها فيما يصلح من الأدوات"⁴.

ثالثاً- أنواع المعارف و العلوم المتداولة

يقول ابن خلدون: "أعلم أن العلوم التي يخوض فيه البشر و يتداولونها في الأمصار تحصيلًا و تعليمًا هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، و صنف نقلي يأخذه عن وضعه، و الأول هي العلوم الحكيمة الفلسفية العقلية يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، والثاني هي العلوم النقلية الوضعية و هي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي و لا مجال فيها للعقل"⁵.

1 - مهنا السعدي: الموقع الإلكتروني السابق.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص30، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص141.

3 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 283 - 284.

4 - الوسياني نقلاً عن مختار حساني: المرجع السابق، ص305.

5 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 442 - 443.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

لعل الجو العلمي الذي كان سائدا في الأسرة الرستمية الحاكمة، أثر في التجاوب الفعلي من طرف أفراد المجتمع التيهرتي خاصة، و بروز فئة من العلماء الأجلاء في مختلف المجالات: العلوم النقلية و العقلية التي حملت مشعل العلم في الأوساط الرستمية خاصة و البلاد الإسلامية عامة. و من بين هذه العلوم نذكر:

أ/ العلوم النقلية:

و تشمل العلوم الدينية و الدنيوية أي اللسانية و الاجتماعية، يقول ابن خلدون: "و أصناف هذه العلوم النقلية كثيرة، و أصلها كلها هي الشرعيات من الكتاب و السنة، و ما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للإفادة ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي... فمنها العلوم الدينية من علم التفسير، و علم الحديث و علم القراءة و علم الفقه، و العلوم اللسانية من لغة و نحو و أدب و علم الكلام و علم البيان... و هذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية و أهلها"¹.

— العلوم الدينية: (التفسير، الفقه، الحديث، و علم القراءات)

إن الأوضاع السياسية و الإقتصادية و تواجد عدة مذاهب في المغرب الإسلامي و لا سيما الدولة الرستمية، و تحديدا حاضرتهم تيهرت و جهود الأئمة الرستميين كانت عوامل بالغة الأثر في جعل العلوم النقلية من حديث و تفسير و فقه تحظى بالنصيب الأوفر من التطور و العناية والاهتمام مقابل العلوم الأخرى، فقد كانت هذه المدينة عامرة بحفاظ الحديث و ثقافات المحدثين².

و تميزت تيهرت الرستمية بغزارة الإنتاج في العلوم الشرعية و السبب الرئيس في ذلك هو الاهتمام الكبير لأئمتها فأغلبهم كان قائما بالعلم و التفقه في الدين ساهرا على رعايته و نشره بين رعيته حريصا على طلبه من مصادره غير مضيقين على من خالفهم في الفكر و المذهب، و ينطبق هذا الوصف على الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذي جمع بين الفقه والشعر فكانت له حلقات لتدريس الفقه و الأصول و علم الكلام و اللغة و تتلمذ على يديه جمع من

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص443.

2 - ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص8.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

العلماء منهم إبنه أبو اليقظان و أبو بكر¹، كما كثر الإنتاج الفقهي أيضا بسبب تعدد المذاهب ومنها المذهب المالكي الذي انتقل إلى تيهرت عن طريق التجارة و الحج²، إن وجود هذه المذاهب في تيهرت رفقة كفالة الحرية في الدفاع عنها من طرف الأئمة أنفسهم أدى إلى انتشار أهم مظهر من مظاهر التطور الفكري و التنوع الفكري في تيهرت، ألا و هو المناظرات العلمية، فقد كان علم المناظرة هو أول ما يدرسه الشيخ الإباضي فيكون مضطرا إلى الإمام باللغة العربية و القرآن و التاريخ و علم الفقه و الفلسفة³، و لقد وصف لنا أبو زكرياء بعض المناظرات التي عرفتها تيهرت فقال: "ثم إن الإمام رضي الله عنه أمر بالصفوف فصفت و الواصلية قد صفت صفوفها فقد خرج مهدي للمناظرة بين الصفيين و من معه من أصحابه و جماعة المسلمين فخرج معهم الإمام بوجود أصحابه فخرج الفتى المناظر من المعتزلة و وجوه المعتزلة معه فقال مهدي⁴ لمحمد بن يانس أخرج عليه فناظره فقال له بن يانس فأخرج إليه أنت و لست بأعلم مني، قال خرج المهدي و تقدم إلى الفتى المعتزل و قد كان قبل ذلك أسلمته نفسه و ظنت به الظنون فأرسل المهدي في سر من أصحابه يقول له أني إذا ناظرتك و غلبتني أريد أن تستر علي و إن غلبتك سترت عليك و ليس فينا أحد يدري من الدائرة على صاحبه فانفق المهدي مع أصحابه إذا غلبته ينزع الشاشية عن رأسه و يضعها تحت ركبته⁵.

و كانت أهم و أشهر المناظرات التي احتضنتها تيهرت تلك التي دارت بين الإباضية و المعتزلة، إذ تذكر المصادر و المراجع أن علماء الفريقين كانوا يلتقون بوادي مينة⁶، في حلقات مناظرة تدور حول مواضيع فقهية بالأساس إلى جانب العلوم الأخرى كعلم الكلام و اللغة.

1 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج1، ص120.

2 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص98.

3 - مختار حساني: المرجع السابق، ص303، محمد عليلي: المرجع السابق، ص80.

4 - قال عنه الشماخي أنه كان شيخا فاضلا فقيها، و كان ممن أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم، ينظر الشماخي: المصدر

السابق، ج1، ص143، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص - ص 69 - 78.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص70.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص94.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

لا شك أن هذه المناظرات كان لها محاسن و آثار إيجابية من حيث أنها أسهمت في ظهور مؤلفات أظهرت جهود العلماء و الفقهاء في حركة التأليف اعتبرت ذخيرة علمية و أدبية للمؤسسات العلمية في هذا العصر.

* التفسير:

هو من أعظم العلوم الدينية مقدارا، و أرفعها شأنًا و منارا لكونه رئيس العلوم الدينية ورأسها، و مبنى قواعد الشرع و أساسها¹.

لقد كان اهتمام العلماء المسلمين به كثيرا و خاصة بالقرآن الكريم، كونه المصدر الأساسي والأول للتشريع الإسلامي، و نظرا لما ورد من الترغيب فيه من النصوص الشرعية كقوله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾²، و قول الرسول صلى الله عليه و سلم: "كتاب الله تبارك و تعالى، فيه نبأ

من قبلكم و خير ما بعدكم و حكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله و من

ابتغى الهدى في غيره أضله الله..."³، و من هنا فقد تفرغ بعضهم لتفسيره، قصد تيسير و تسهيل فهمه

على المسلمين، لأن نزوله بلغة العرب لا يعني أن كل العرب يفقهون أحكامه و معانيه و لأن فهم أي

كتاب لا يتوقف على اللغة وحدها إنما يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق و درجة الكتاب في رقيه³،

وبما أن المجتمع الرستمي كان معظم تركيبته البشرية من الجنس البربري، فقد كان الإحتياج أكبر إلى

فهم ما جاء في القرآن الكريم⁴، و بحاجة ماسة إلى تفسير بعض الآيات التي شكلت عليهم، وقد

تفرغ بعضهم إلى هذا، و اهتموا بالتفسير للألفاظ و الكلمات و شرح معانيها و معاني الآيات،

و عرفوا بالمفسرين لكتاب الله، و ذكر الدرجيني أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن طلب من أهل

1 - أحمد محمد الصاوي المالكي: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، ج1، مطبعة مصطفى محمد مصر، 1934،

ص2، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص - ص 484 - 486.

2 - سورة الحشر: الآية 21.

3 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص196.

4 - معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص242، مختار حساني: المرجع السابق، ص307.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

نفوسة أن يبعثوا له وفدا من علمائهم، يضم من كل صنف من العلوم مائة عالم بما في ذلك التفسير، ليتناظروا مع المعتزلة بتيهت¹.

و لعل أهل نفوسة أرسلوا له مفسرا واحدا، يمكنه أن يحل محل المائة مفسر المطلوبة، و هو محمد بن يانس² الدركلي النفوسي المعروف ب"ابن أبي المنيب"، عاش ما بين (200-250هـ/815-864م)³، وهو أشهر مفسري نفوسة و أعلمهم، و من أشهر علماء التفسير أيضا: - لوأب من سلام التوزري المزاتي: من علماء قبيلة مزاتة، كان شيخا و إماما عالما بالأصول والفروع⁴، وقد قام بتفسير جزء من سورة الشورى⁵ في كتابه "شرائع الدين" باعتماده على الحسن البصري و ابن العباس⁶، كما تطرق إلى حكم حجاب المرأة، و فسر الآيات التي تحتويها لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾⁷ وليس في تفسيره أي غموض أو ابهام.

- هود بن محكم الهواري: كان أبوه محكم الهواري قاضي تيهرت في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ/823-871م)⁸، و هو أشهر مفسر عرفته الدولة الرستمية و تداولته المصادر و المراجع الإباضية و غير الإباضية.

تلقى هود بن محكم تعليمه في تيهرت و كان يفسر القرآن الكريم بالمأثور من الأقوال، و قد اتبع في ذلك شروطا ثمانية هي: معرفة المكّي و المدني، الناسخ و المنسوخ، التقديم و التأخير، المقطوع

1 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 57-58.

2 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص67.

3 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص828، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص299.

4 - جمعية التراث: المرجع نفسه، ج4، ص733.

5 - قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾، الآية 13.

6 - معروف بلحاج: المرجع السابق، ص143، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص299.

7 - سورة الأحزاب: الآية 59.

8 - محمد مختار اسكندر: المرجع السابق، ص40، موسى لقبال: دور كتامة، المرجع السابق، ص77.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و الموصول والخاص و العام و الإضمار و اللغة العربية¹، ألف كتابا في التفسير فيه أربعة أجزاء²، و يعتبر تفسيره مرجعا أساسيا للإباضية بالإضافة إلى الأحاديث النبوية³.

* الفقه:

الفقه لغة هو الفهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِّحُّ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾⁴، أي لا تفهمون، وقيل الفقه هو معرفة الأشياء الدقيقة، واصطلاحا هو معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد⁵، و عرفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله: بقوله: "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين"⁶.

يعتبر هذا العلم في نظر الإسلام جزء من الدين و من أمور الدنيا، حيث يتناول الفقه حياة الإنسان كلها من الصغر إلى آخر مراسم الدفن و هو إذن قواعد عملية نتيجة التطور و اختلاف البيئات، و لعل الخطوات الأولى للفقه الإسلامي وضعت وقت الرسول صلى الله عليه و سلم وصحابته، و ذلك قبل الانقسامات السياسية و الخلافات العقائدية⁷، و لقد كان التنافس على أشده أشده بين المذاهب الإسلامية داخل العاصمة، و على شكل مناظرات بين الإباضية و المالكية والحنفية والمعتزلة و الصفرية، هذا الجو التنافسي أثر في توجيه اهتمام العديد من العلماء إلى هذا العلم.

1 - محمد مختار اسكندر: المرجع السابق، ص41.

2 - هود بن محكم الهواري: تفسير كتاب الله العزيز 4 أجزاء، تحقيق شريفي بلحاج، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، لبنان، و يذكر الشيخ سليمان داود بن يوسف أنه رغم ضياع كتب الإباضية فإنني وجدت نسخة كاملة من هذا الكتاب في خزانة جدي الشيخ أحمد ابن أيوب التجينيتي، كتبه بخطه سنة 1050هـ، و هو بصدد التقديم للطبع، و قد وجدت بعض الأجزاء من الكتاب متفرقة في وادي مزاب وجرية، ينظر، سليمان داود بن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص60.

3 - صالح باجية: المرجع السابق، ص54.

4 - سورة الإسراء: الآية 44.

5 - أحمد بن زكريا لتلمساني: غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محمد أو إدير مشنان، المجلد الأول، ط1، دار التراث، دار دار ابن حزم، الجزائر، 2005، ص 281 - 282.

6 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص443.

7 - صالح باجية: المرجع السابق، ص53.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

إن التنافس بين الفقهاء على اختلاف مذاهبهم أفضى إلى غزارة التأليف، فكثرت بذلك المدونات الفقهية، و لا أدل على ذلك ما قاله ابن الصغير: "...و من بالبلد من فقهاء الإباضية وغيرهم من الكوفيين و المدنيين (أي المالكية) لم يطلب بعضهم بعضا، و لا يسعى بعضهم ببعض...إلا أن الفقهاء تابحت المسائل فيما بينها، و تناظرت و اشتهدت كل فرقة أن تعلم ما خالفتها فيها صاحبها..."¹.

و الجدير بالذكر أن الحلقات العلمية و المناظرات التي كانت تقام في تيهرت بإشراف الأئمة الرسميين عليها في بعض الأحيان كان لها دور فعال في إثراء الفقه كانت حلقات الجدل و المناظرة تعقد بين فقهاء المالكية و الإباضية، يورد بحاز ابراهيم جانبا من مناظرة فقهية بين ابن الصغير المالكي و أبي الربيع الإباضي حول تفسير الآية ﴿وَاللَّائِي يَيْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾²، فابن الصغير فسر "لم" بأنها لا تعني النفي القاطع إنما تنطبق على الفتيات الصغيرات اللائي لن يبلغن سن الحيض، بينما أبو الربيع فسرها على أنها تعني النساء المسنات³.

كذلك الأمر بين فقهاء الحنفية و الإباضية، حيث يتفق المذهب الإباضي و المذهب الحنفي على الكتاب و السنة و القياس و الإجماع و الإختلاف هو أن الإباضيين يأخذون بقتاوى الصحابة والتابعين، أما الأحناف فلا يأخذون إلا بفتاوى الصحابة⁴.

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص117.

2 - سورة الطلاق: الآية5.

3 - بحاز ابراهيم: المرجع السابق، ص300، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 104.

4 - عبد الكريم جودت: العلاقات، المرجع السابق، ص96، محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص269.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

كما أن الفقه الإباضي¹ تميز بالتشدد و هو ما كان عليه شيوخ المذهب الأوائل، و الدافع إلى ذلك هو الرغبة في زيادة الأجر و الحيلة من الوقوع في الحرام، إذ يذكر أن أبا مرداس رأى على غير قصد امرأة مكشوفة الرأس فصام سنة كفارة على ذلك²، و من بين الأحكام الفقهية التي يتميز بها المذهب الإباضي عن سائر المذاهب الأخرى، سواء السنية أو الشيعية، فمثلا في نطاق العبادات و ما يتصل بها: تعتبر الصلاة بدون البسمة قبل الفاتحة باطلة، و كذلك الأذان بدون أربع تكبيرات إحرام، و ما تتميز به صلاتهم أن كل ركعة سرية يكفي فيها بالفاتحة، و الأفضل عند الصلاة إفراد لباس خاص بها تبريا من نجاسة قد تعلق بالثوب، أما في مسألة الصيام، فمن أصبح جنبا أصبح مفطرا (إذا كان عمدا كان عليه القضاء والكفارة)، و في نطاق المحرمات: من زنى بامرأة فلا يجوز له الزواج بها، و كذلك التدخين، و لعب الشطرنج و الغناء و الموسيقى، و حلق اللحية، و الصيد و الذبيحة على يد اليهود، و بناء القبور على الموتى³.

إن الاجتهاد الفقهي في المغرب خاصة بالنسبة للمذهب الإباضي بدأت معاملة تظهر بشكل جلي ونهائي، مع ظهور عدد كبير من الشيوخ و الفقهاء، الذين كانوا قد خدموا الفقه في المغرب الأوسط وساهموا في تنشيط الحياة الفقهية في الدولة الرستمية⁴ سواء كانوا إباضيين أو غير إباضيين، نذكر منهم:

1 - للإباضية آراء فقهية جيدة اقتبست القوانين المصرية في الموارث بعض آرائهم، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد، ج1، دار الفكر العربي، ص85.
2 - صالح باجية: المرجع السابق، ص66.
3 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص99.
4 - رابح بونار: المرجع السابق، ص85.

المباحث الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممته

● الفقهاء الإباضيون:

كان الأئمة الرستميون أنفسهم علماء و فقهاء و منهم الإمام عبد الوهاب الذي ألف كتابا في الفقه الإباضي سماه نوازل نفوسة¹، جاءت في حوالي ثلاثة مائة سؤال يجيب فيها عن أسئلة النفوسيين²، كما ألف الإمام أفلح بن عبد الوهاب كتاب الجوابات التي بحث فيها عن أسئلة فقهية، و ما زال هذا الكتاب عبارة عن مخطوط يشمل ثمانين ورقة و يحتاج إلى التحقيق³.

و من بين العلماء و الفقهاء من غير البيت الرستمي و الذين أسهموا في ازدهار الحياة الفكرية نذكر منهم:

- أبو عبيدة الأعرج: عاش في القرن 3هـ/9م، و عاصر الإمام أبا اليقظان، كان عالما بالفقه⁴ و علم الكلام و البلاغة و النحو، قال عنه ابن الصغير: "كلهم مقرون له بالفضل، معترفون له بالعلم، مسلمون له في الورع إذ اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه"⁵، و مما ذكر عن خصاله قلة تردده على الأمراء و حسن أدبه⁶، و ابن الصغير كان أحد تلامذته، كان مشهودا له بالورع حتى أن إباضية سجلماسة يبعثون إليه زكاتهم ليصرفها حيث يشاء⁷، و لقد احتضنت تاهرت فقهاء آخرين تمتعوا بنفس المكان الفقهية، و نذكر منهم:

1 - حسين مؤس: تاريخ المغرب و منارته، المرجع السابق، ص332، ابن الصغير: المصدر السابق، ص36، و يذكر محمد علي دبور بأن هذا الكتاب لا زال موجودا في مدن ميزاب و جبل نفوسة و جربة، محمد علي دبور: المغرب الكبير، المرجع السابق، ج3، ص 272-273.

2 - ابن الصغير: نفسه، ص45.

3 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص244.

4 - و داد القاضي: المرجع السابق، م1، ص233.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص84.

6 - و قال عنه ابن الصغير: "و كان قليل الدخول على أبي اليقظان، و لم يكن يجمعه و إياه سوى المسجد الجامع"، ابن الصغير، الصغير، المصدر نفسه، ص83.

7 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج3، ص596.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

- عبد العزيز بن الأوز: عاش في تيهرت في عهد الإمام أفلح و الإمام أبي اليقظان، و كان فقيها بارزا رغم أن بالبعض أخذ عليه فكره السطحي¹ يقول عنه ابن الصغير أنه كان صاحب فقه ورحلة نحو المشرق².

- عبد الله بن الخير: و تتلمذ عل يد أبان بن وسيم، و لغزارة فقهه برز في الإفتاء³، اشتهر بعلمه وقيل عنه من ضيع كتابا كمن ضيع خمسة عشر عالما مثل الخير⁴، و نبغ أيضا في الفقه عيسى بن فرناس النفوسي و أبو ربيع سليمان و عثمان بن أحمد بن يحنج و أبو ميمون الجيلاطي⁵.

كما لا ننسى جهود حملة العلم الفقهية، أمثال اسماعيل بن درار الغدامسي الذي أدى دورا هاما في التعليم، و نشر الفقه الإباضي، و أيضا داورد القبلي النفزاوي الذي أخذ عنه الإمام عبد الوهاب العلم⁶، ولم تكن تيهرت وحدها المدينة الرسمية التي كانت تحتضن الفقهاء، فقد ظهر أيضا في جبل نفوسة عدد من الفقهاء، و رأينا أن نذكر و لو البعض منهم لأن الأئمة الرسميين استعانوا بهم في المناظرات و في القضاء و من أشهر هؤلاء العلماء و الفقهاء:

- عمرو بن فتح المساكني النفوسي: عاش في عهد الإمام أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح، تولى القضاء بجبل نفوسة، قام باستنساخ مدونة أبي غانم⁷ التي لها أهمية في الفقه الإباضي حيث يعتمد

1 - تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص36.

2 - قال عنه ابن الصغير: "و كان له فقه بارع و له رحلة نحو الشرق، ولكنه سفيه اللسان خفيف العقل، ينزهون مجالسهم عن حضوره، ويستغنون عنه في معضلات مسائلهم"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص86.

3 - ابراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 318 - 319.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص179.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 81 - 110.

6 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص245، جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 109 - 2856 - 499 - 505 - 515.

7 - و يذكرني هذا السياق أن أبا غانم بشر بن غانم الخرساني خرج من المشرق متوجها نحو المغرب قاصدا الإمام عبد الوهاب ومعه مدونته، و أثناء مروره بجبل نفوسة استودعها عند عمرو بن فتح الذي عكف هو و أخته على استنساخها، ينظر، حبيب الجنحاني: دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1990، ص105.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

يعتمد عليها بعد القرآن و السنة، و مسند الربيع مثل مدونة أبي سحنون من أهمية عند المالكية¹، وكان من الفقهاء الذين قتلوا في موقعة مانوا سنة 283هـ/896م، حيث أخذ أسرا إلى الأمير الأغلي ابراهيم الثاني ثم قتل بطريقة بشعة².

- عيسى بن فرناس و محمود بن بكر: استعان بهما الإمام أبو اليقظان في أمور الدين والسياسة³، والسياسة³، حيث يذكر ابن الصغير: "و كان إذا جلس (أبو اليقظان) في المسجد الجامع... كان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس، و كان عندهم من الورع بمكان... و كان عن يمينه وعن يساره و بين يديه وجود الناس، و كان محمود بن بكر يدافع عن الإباضية و يرد عن الفرق الأخرى بمقالاته و يؤلف الكتب في الرد على مخالفه⁴.

- محكم الهواري: عينه الإمام أفلح بن عبد الوهاب قاضيا على تيهرت، قيل أنه كان شديدا في الحق، فلم يفرق بين أمير و مأمور و بين حاكم و رعية، لهذا ارتضاه الناس قاضيا يحكم بينهم بالعدل⁵، و كان حيا فيما بين 208 - 258هـ/871 - 871م⁶.

- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ: محمد بن أفلح فقيه من تيهرت، عاصر الإمامين أبي اليقظان و أبي حاتم يوسف الذي عينه قاضيا، و قد كان متطلعا في الفقه⁷، و مجموعة أخرى من العلماء والفقهاء أمثال ابن أبي عياض اللواتي الذي عاش في القرن 3هـ بين عهدي أبي حاتم يوسف ويعقوب بن أفلح⁸، و أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي الذي كان يستغل بالتدريس في

1 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص99.

2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص89.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص81.

4 - يقول ابراهيم بحاز: "لم تصل إلينا هذه الكتب التي رد بها محمود بن بكر عن مخالفه الإباضية و لعلها ذهبت ضحية حرق مكتبة الرستميين"، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 310 - 311، ابن الصغير: نفسه، ص نفسها.

5 - ابن الصغير: نفسه، ص 59 - 60.

6 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص 745 - 746.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص89، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص178، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص86.

8 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج3، ص675، محمد عليلي: المرجع السابق، ص87.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

الفقه واللغة بجبل نفوسة¹، و ماطوس بن هارون المتوفي 283هـ/896م، له كتاب يسمى "كتاب ماطوس"²، و أبو حسان عامر بن عاصم السدراتي و هو من ذرية عاصم السدراتي، كان يعقد مجلسين، مجلس للقضاء و آخر للنساء، يعلمهن الأحكام و يفقهن في دينهن³، و من فقهاء وخطباء وخطباء تيهرت أيضا: أحمد التيه الذي برز في فن المناظرة، و عثمان بن القفار و أحمد بن منصور، وقد عاصروا الإمام أبا حاتم يوسف بن أبي اليقظان⁴، و غيرهم كثير.

و ما نستنتجه من خلال عرض هؤلاء العلماء و الفقهاء مكانتهم الكبيرة عند الأئمة الرستميين، الشيء الذي دفعهم إلى تعيين هؤلاء الفقهاء في منصب القضاء باعتباره جهازا إداريا له علاقة وطيدة بالفقه لأن إصدار الأحكام القضائية يجب أن يتطابق مع الأحكام الفقهية الشرعية، لا سيما إذا علمنا أن من شروط تولي مهمة القضاء، هو أن يكون المؤهل له درجة عالية من الفقه و الفتوى، و لعل أشهر قاض شهدته الدولة الرستمية هو عمرو بن فتح النفوسي، الذي وصف بالبحر الزاخر، و لعل أبرز تصنيف يعرف باسم العمروسي⁵.

● الفقهاء غير الإباضيين:

لم يقتصر الإنتاج الفقهي للمذهب الإباضي فحسب بل فتح المجال لمختلف العلماء و الفقهاء على اختلاف مذاهبهم و مشاربهم الفكرية مما مكن من وجود تعايش مذهبي جعل من تيهرت رمزا لما يمكن أن نسميه "حوارا مذهبيا" إلا ما كان يعترض هذا التعايش من تصادم بين الإباضية و المعتزلة الواصلية و أسبابه في غالب الأحيان النزعة القبلية⁶، فقد فتحت تيهرت أبوابها أمام الوافدين إليها من من كل حذب و صوب دون تضييق أو تعصب و كان من الطبيعي أن يتواجد عدد من الفقهاء غير الإباضيين خاصة فقهاء المالكية، نذكر منهم: أبو الفضل عباس بن محمد العواف الغدامسي المتوفي

1 - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص121.

2 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص738.

3 - نفسه، ص 244 - 245.

4 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص266.

5 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص320.

6 - محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص120.

المابج الثالث — الأواخ الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

سنة 309هـ/921م¹، و ابراهيم بن عبد الرحمن التنسي، سمع من أبي علي القالي، توفي 307هـ/919م²، و كذلك الفضل بن سالم البجائي المتوفي 319هـ/931م، كان له باع كبير في الفقه من تأليفه "جامع المسائل الموازنة و المستخرجة"³، و أيضا قاسم بن عبد الرحمن و زكرياء بن بكر و المؤرخ الفقيه المالكي بن الصغير⁴، كما كان للفقهاء الحنفية قدم راسخة في تيهرت بدليل وجود مسجد خاص بهم و كان يطلق عليهم تسمية الكوفيين⁵، و منهم أبو مسعود و أبو دنون و كانا و كانا فقيهين على مذهب الكوفيين⁶، و قد كان لهذين الفقيهين طلع بارز في إحداث المنافسات التي التي وقعت بين الإمام أبي حاتم و عمه يعقوب بن أفلق في سنوات 282هـ/286م⁷.

إن الانتاج الفكري الإباضي لا سيما الفقه منه لم ينته بعد انتهاء دولتهم و سقوط تيهرت بل استمر في واحات وارجلان و سدراتة و جربة، إذ نزع يعقوب بن أفلق إلى وارجلان عقب مقتل يوسف أبو يقطان، هذه المناطق كانت في الحقيقة معاقل لانطلاقة جديدة للفكر الإباضي بعد سقوط تيهرت فقد أنجبت هذه المدن علماء و فقهاء مثلوا استمرارية فكرية و مذهبية للدولة الرستمية و عرفوا بقوة الإستماتة في الدفاع عن مذهبهم⁸، إذ عاش العديد من أئمة الفكر الإباضي خلال القرن الرابع و الخامس الهجريين⁹ حتى يومنا هذا و من هؤلاء الفقهاء نذكر منهم:

- 1 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص246.
- 2 - رايح بونار: المرجع السابق، ص92.
- 3 - نفسه، ص93.
- 4 - محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص237.
- 5 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص95، ابن الصغير: المصدر السابق، ص36.
- 6 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص180.
- 7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص134.
- 8 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص92.
- 9 - و للمزيد عن هؤلاء، ينظر، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص - ص 35-174.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتي المتوفى سنة 570هـ/1174م¹، سعيد بن زنگيل (أبو نوح) أوائل القرن 4هـ/10م²، أبو عبد الله محمد بن بكر الذي تتلمذ على يدي أبي نوح سعيد بن زنگيل وقد أشاد بنبوغه في الفقه، رحل إلى القيروان لتعلم علوم اللغة العربية³.

إن جهود هؤلاء العلماء و الفقهاء في الحفاظ على المذهب الإباضي عملت على التواصل الفكري عبد العصور هو الأمر الذي أدى إلى استمرارية هذا المذهب حتى يومنا هذا إضافة إلى صفة الاعتدال التي لزمتم هذا المذهب منذ نشأته و هي في الحقيقة من عناصر قوته و عوامل انتشاره وبقائه على غرار المذاهب الأخرى التي ظهرت في المغرب ثم سرعان ما اندثرت بسبب جنوحها إلى القوة و الإكراه.

و من المظاهر و المعطيات التي نستنتجها بعد اطلاعنا على هذا العلم نذكر:

- أن الفقه طبع الحياة العلمية بتيهرت طيلة وجود الدولة الرستمية، و ازدهار هذا العلم يرجع بالدرجة الأولى إلى التنافس الذي عرفته تيهرت بين الفرق و المذاهب المختلفة و حتى انشقت عن الإباضية النكارية، فقد برز في تيهرت عدد هائل من هؤلاء الفقهاء أورد ابن الصغير البعض منهم أمثال أبو عبيدة الأعرج و عبد العزيز بن الأوز و عيسى بن فرناس النفوسي و ابن محكم الهواري، و منهم أيضا مسعود الأندلسي و أبو قدامة بن يزيد اليفريني و عمران بن مروان الأندلسي و أبو الموفق سعدوس بن عطية و سكر بن صالح الكتامي و مصعب بن سلمان و كلهم من فقهاء تيهرت.

و يلاحظ كذلك وجود علماء أجلاء ينسبون إلى القبائل الأمازيغية مثل قبيلة بني يفرن، مما يؤكد على أن الأمازيغ اهتموا بعلوم الشريعة منذ القرون الأولى، لكن أغلب مؤلفات علماء تيهرت لا

1 - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 127.

2 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج3، ص 364 - 365.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 173، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 167.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

تزال مخطوطة بخزائن وادي ميزاب، نذكر منها على سبيل المثال جوابات الإمام أفلح ورسالة أبي عبيدة في الزكاة وديوان أبي سهل¹.

* الحديث:

عرف الإباضية بروايتهم للحديث عن شيوخهم بالمشرق منهم حملة العلم الخمسة بالإضافة إلى هؤلاء ذكر ابن الصغير أبو عبيدة الأعرج الذي كان يأتي إليه ليسمع منه كتاب اصلاح الغلط وهو تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة²، و لعل النقص في المصادر التي تتحدث على مؤلفات الإباضية في هذا العلم دال على عدم الإهتمام الكبير به، فتراجع و سير العلماء لا تأتي على ذكر المحدثين إلا قليلا، و لعل ذلك راجع إلى أن تعدد المذاهب في تيهرت جعل الفقه يحظى بالإهتمام الكبير في بيئة تميزت بالمنظرات الفقهية و الكلامية، و مع ذلك تشير هذه المصادر إلى أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258م) له روايات في الحديث³.

و لعل أبرز كتاب إباضي في الحديث هو مسند الربيع بن حبيب الأزدي⁴ الذي كان على اتصال بعلماء المغرب، وقد اعتمده الإباضية في الحديث و أولوه عناية كبيرة و اعتبروه سندا صحيحا، و هذا المسند يحتوي على أربعة أجزاء: الأول تناول فيه أحاديث الوحي و ذكر القرآن و العلم والولاية و الصلاة و الزكاة و الطهارات، أما الثاني فقد ضم سبعة و خمسين بابا تناول فيه أحاديث الحج والجهاد و الطلاق والأحكام، أما الثالث فقد ضم أحاديث احتج فيها الربيع على خصومه كحجة

1 - أبو سهل النفوسي: و يعرف أيضا بالفارسي نسبة إلى والدته المتحدرة من عائلة الأئمة الرستميين، و تروي لنا الأخبار أنه كان ترجمان الإمام أفلح، و كتب حوالي اثني عشر كتاب شعر باللغة البربرية، الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 289-290، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 115-116.

2 - ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي، بما مولده و يقال له الدينوري لأنه كان قاضي الدينور، و توفي سنة 270هـ، له كتاب "إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث"، ينظر، النديم: المصدر السابق، ص- ص 58-59، هامش ابن الصغير، ص84، مختار حساني: المرجع السابق، ص308.

3 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص242.

4 - هو مسند الربيع بن حبيب الأزدي الفراهيدي العماني، من علماء القرن الثاني هجري، تولى إمارة الإباضية بعد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، عاصر الإمام عبد الوهاب، يحتمل أنه توفي في 172هـ، بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص243.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

تكفير أهل الكبراء، ككفر النعمة، أما الجزء الرابع فضم روايات محبوب بن الرحيل عن الربيع، وروايات الإمام أفصح عن أبي غانم بشير الخرساني، و مراسيل جابر بن زيد¹.

أما بالنسبة لإباضية المغرب، فنجد بعض رواة الحديث الذين اهتموا بالفقه الإباضي منهم الشيخ: أبو قاسم سدرات بن الحسن اليعقوبي، و أبو ذر إبان بن وسيم، أبو خليل صال، من أهل دركلل، و كذا أبو المنيب محمد بن يانس²، و جابر بن زيد الأزدي، اعترضه نفث في طريقه و أخذ عنه الديوان الذي جمع فيه أحاديث تسعين من الصحابة، و حوى ما عندهم و قام بحفر له و دفنه ولم يعرف وضعه إلى يومنا هذا، كله حسد و غيلة³، و لعل هذه الحادثة من حوادث الدهر آنذاك.

و يبدو هذا الفراغ في مصنفات الحديث لعلماء إباضيين، هو الذي دعى أبا عبيدة الأعرج التيهرتي، العالم الفقيه بالكلام و الوثائق و النحو و اللغة، إلى دراسة كتب غير الإباضية التي كانت من مخلفات العديد من رواة الحديث، نذكر منهم أبا عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن اسماعيل الوناتي التيهرتي⁴ الذي يعد من أشهر علماء الجزائر و أدبائها في هذا العصر عالما بالحديث، إماما، صدوقا، حافظا للحديث⁵، ولد بتيهرت عام 200هـ، أخذ العلم عن علماء بلده، ثم ارتحل إلى القيروان، فأخذ عن صاحب المدونة سحنون بن سعيد، و قد أخذ الحديث عن بكر العديد من العلماء أمثال قاسم بن إصبع والذي نقل مسند مسدد بن مسرهد إلى الأندلس، و هو في عشرة أجزاء⁶، و أيضا ولده عبد الرحمن⁷، و كذا صالح القحطاني المعافري، و قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التيهرتي التميمي الذي كان من جلساء بكر بن حماد⁸.

- 1 - بلحاج معروف: المرجع نفسه، ص244.
- 2 - الشماخي المصدر السابق، ج1، ص155.
- 3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص96.
- 4 - ذكره الدباغ باسم بن سمك و بن عذارى باسم بن سمر، ينظر، الدباغ: المصدر السابق: ص281، ابن عذارى: المصدر السابق، ص103.
- 5 - ابن عذارى: المصدر السابق، صج1، ص153، مختار حساني: المرجع السابق، ص308.
- 6 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص174.
- 7 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص309.
- 8 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص244.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و من المحدثين أيضا أبو سعيد بجيج بن خدّاش توزري، توفي بنفزاوة سنة 296هـ/909م، وقد روى الحديث عن محمد بن سحنون¹، و يظهر أن معظم هؤلاء المحدثين كانوا قد رحلوا إلى القيروان لتلقي العلم من شيوخها، و المؤلفات في هذا الباب شبه معدومة إلا ما كان قد استعين به في التفسير، وهي طريقة هود محكم²، السالف الذكر و يذكر أن نفاثا بن نصر قد أتى معه بنسخة من ديوان جابر بن زيد الأزدي من بغداد، و هو مؤلف يعتقد أنه في الحديث³، لما كان يسمعه جابر عن الصحابة منهم بن عباس، يذكر الدرجيني أن مدونة أبي غانم احتوت على جملة من الأحاديث⁴.

الأحاديث⁴.

*علم القراءات:

و هو معرفة القراءات المشهورة و كيفية أداء الحروف، كما يضاف إليه فن الرسم، و هي أوضاع حروف القرآن الكريم في المصحف و رسومه⁵.

هو من أفضل و أشرف العلوم لتعلقه بالقرآن الكريم⁶، واضعه من الناحية العملية هو سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، فهو أول من تلا القرآن الكريم مجودا⁷ من البشر، أما واضعه من الناحية الناحية العملية فقيل: أنه أبو الأسود الدؤلي و قيل: أبو عبيد القاسم بن سلام، و قيل: الخليل بن

1 - معروف بلحاج: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص244.

2 - بحاز ابراهيم: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص301.

3 - بحاز ابراهيم: لدولة الرسمية، ص 305 - 306.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ص10.

5 - لقي فن رسم القرآن الكريم عناية و اهتمام كبيرين و ألقت فيه العديد من المصنفات، ابراهيم بن محمد المغني: دليل الحيران على مورد الظمان في فن الرسم و الضبط باعتبار قراءة الإمام نافع لمحمد بن محمد الشريسي الخراز، دار الكتاب، الجزائر، د.ت، ص10.

6 - رحيمة غيساني: الميسر في أحكام الترتيل، مراجعة و تصحيح رمضان يخلف و صالح فريوي، دار الهدى عين ميله، الجزائر، 2000، ص11، و يقول عنه بن خلدون بأنه علم يتعلق بكتاب الله ببيان ألفاظه أولا ثم اسناد نقله و روايته إلى النبي صلى الله عليه و سلم واختلاف روايات القراء في قراءته، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص443.

7 - أي تجويد القراءة و تلاوة القرآن الكريم بتمهل و تؤدة و اطمئنان، و إخراج الحروف من مخارجها، بلقاسم مصباحي: هبة الرحمن في تجويد القرآن، دار الهدى، عين ميله، الجزائر، 2006، ص12.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

أحمد الفراهدي¹، و من أعلام القراءة و أئمتها الذين اشتهروا بتفاصيل علم القراءات رواية و دراية تامة بما كان الصحابة رضوان الله عليهم يقرؤون القرآن كما تعلموا من رسول الله صلى الله عليه و سلم وهم سبعة²، الإمام نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي. و زاد ابن الجزري ثلاثة قراء مختلف في توتر قراءاتهم و هم: أبو جعفر في المدينة المنورة، ويعقوب في البصرة و خلف في بغداد³.

لم تشر المصادر التي رجعنا إليها في التأليف في هذا العلم رغم وجود أئمة جودوا و رتلوا القرآن في المساجد طبقا لما جاء في الآيات الكريمة و التي تحث على الترتيل مثل قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾⁴، و كذا قوله عز وجل: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾⁵، و هذا ما ذكره ابن الصغير⁶: "حضرت "حضرت لهم خطبا كثيرة أولهم ابن أبي دريس، و الثاني أحمد التيه و الثالث أبو العباس بن فتحون، و الرابع عثمان بن الصفار، و الخامس أحمد بن منصور، فسمعت أحمد التيه يقرأ بعد فراغ إلى بلغ: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا﴾⁷، فقد كان هؤلاء الخطباء يؤمون الناس في الصلاة و من ثم كان عليهم تجويد القرآن و ترتيله بأحكامه لأنها فرض عين⁸.

ب/ العلوم اللسانية: (علم الكلام، اللغة، النحو، الأدب، التاريخ، الجغرافيا)

تنوعت العلوم اللسانية و الإجتماعية من أدب و ما يتصل به من فنون مثل الشعر و النثر، وعلوم اللغة و قواعدها من نحو و علم كلام و كذا التاريخ و الجغرافيا، و قد حظيت هذه العلوم باهتمام و إقبال كبيرين من قبل أئمة تيهرت حيث تذكر المصادر أن الإمام أبا بكر كان شغوفًا باللغة

1 - رحيمة عساني: المرجع السابق، ص11.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص444.

3 - بلقاسم مصباحي: المرجع السابق، ص 10 - 11.

4 - سورة المزمل: الآية4.

5 - سورة الفرقان: الآية32.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص105.

7 - سورة طه: الآية4.

8 - مختار حساني: المرجع السابق، ص308، رحيمة عساني: المرجع السابق، ص12.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

و الأدب¹، إذ أن المجالس العلمية و الحلقات التي كان يقيمها حملة العلم العائدون من المشرق كانت بمثابة مدرسة لتلقين الأتباع علم الأصول و الفروع و السير و آراء الفرق و علوم اللغة والأدب، و قد تمثلت هذه العلوم فروعاً شتى من شعر و أدب و تاريخ، لكن حرق المكتبة بعد دخول العبيديين إلى تيهرت صعب الحصول على المؤلفات التي تفي هذه العلوم سواء النقلية أو العقلية².

و من هذه العلوم نذكر:

*علم الكلام:

يعرفه ابن خلدون بقوله: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة"³، فهو العلم الذي يعتمد على الجدل للبحث في مسائل العقيدة الإسلامية بغرض الدفاع عنها بالحجة و الإقناع، أي الغوص في مسائل فلسفية بحتة، و قد اشتهرت تيهرت بالمناظرات التي تعتمد على علم الكلام و كان أغلبها يتم في المساجد والساحات العمومية⁴.

تعد الخلافات التي كانت تصدر عن الإباضية من أهم أسباب التفرق المذهبي عن الإباضية الأم، التي احتفظت لنفسها باسم الوهبية، نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن⁵، و تعود الانشقاقات إلى أسباب فقهية سياسة الباطن، و لعل سببه الرئيسي هو مسألة الإمامة⁶، و قد كانت كانت لهم عدة اجتهادات فقهية، انحرفوا فيها عن الإسلام، و كانت الوهبية، ترد عليهم و تدحض حججهم، و بالتالي ظهر النزاع والجدل و المناظرة، و كانت الإباضية دائمة المناظرة الكلامية والمنافسة

1 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص238.

2 - عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص86.

3 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص467.

4 - مختار حساني: المرجع السابق، ص309.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص37.

6 - تعد الإمامة و شروطها من أهم المسائل التي أشغلت المسلمين، و كانت سبباً لظهور الفرق الإسلامية، موسى لقبال: المغرب المغربي الإسلامي، المرجع السابق، ص202.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

الفقهية¹، فكانت مسألة خلق أسماء الله و مسألة الله هو الدهر الدائم من أهم الأفكار الكلامية التي أثارت هذه المناظرات، و لعل الرستميين فتحوا المجال واسعاً أمام حرية الفكر، فلم يضايقوا أحداً و لا طردوا مخالفاً، و كانت الإباضية يدعون في أغلب الأوقات أتباع الفرق الأخرى لحضور ندوات، و كان كل مشارك فيها حر للدفاع عن وجهته و عن مذهبه، و كان يشترط في الشيخ الإباضي أن يكون متطلعاً في معرفة اللغة العربية، و القرآن الكريم والحديث، والفقه و علم العقائد و تاريخ الخلفاء وتاريخ صحابة رسول الله عليه الصلاة و السلام²، و كانت هذه المناظرات تقع بين المذاهب الواسلية والحنفية³، و غيرها من المذاهب، و لعل ابن الصغير من الشخصيات البارزة في تيهرت، فكانت معرفته الفقهية خاصة تجعل له القدرة الكلامية في المناظرة على الرغم من علم عبد الوهاب الواسع، وثقافته الكبيرة، فإنه لم يقدر على الرد على مناظرات الواسلية، و بالتالي استمد العون من نفوسة⁴.

و قد كان له ما طلب، فجاءه أشهر مناظر إباضي في علم الكلام، مهدي النفوسي الوغوي المتوفي سنة 196هـ/811م⁵ الذي عاش في عهده، و كان رجلاً شديداً الورع و الزهد في الحياة الدنيا⁶، فكان هو المقوم في علم الجدال الذي له اليد العليا في البرهان و الاستدلال، هو المحتج على على أماكن الممكن استحالة المحال، و على الفرق بين الحلال و الحرام الرادع لقيام أهل البدع والضلال⁷، و كان يغيب لعدة أيام قبل انعقاد المناظرة، فلما سئل عن مكان غيابه، قال: "إني رددت إلى مذهب الحق"⁸، و من أمثلة هذه المناظرات، تلك التي كانت بين النفوسي و الواسلي، الذين لم

1 - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص331.

2 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص113.

3 - أهم أتباع الإمام أبي حنيفة النعمان المشهور بعلم الكلام، ثم تفرغه للعلوم الشرعية و عرف بآثاره الاجتهادية، محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص82، ابن الصغير: المصدر السابق، ص92.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص171.

5 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج2، ص892، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص100-101.

6 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص143، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص113، يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص119.

7 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص313-314.

8 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص113-114.

الباب الثالث — الأوزاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

تذكر المصادر اسم هذا الأخير، حيث كان الناس في بداية الأمر يعملون ما يقولان، فلم يفلح أحدهما على الآخر، ثم أنهما دخلا في فنون من العلم، فلم يفهمهما أحد من الناس سوى الإمام عبد الوهاب، وتعمقت المناظرة الكلامية، أكثر حتى أصبح لا يفهمها إلا المتناظران وحدهما، و استوى الإمام عبد الوهاب في هذه المرحلة مع العامة من الناس، فما كان أوشك من أن ظفر به مهدي، فكبر أصحابه و انتصر على الواصلية¹، فتحولت هذه المناظرة بعد انتصار المهدي إلى مبارزة أفضت إلى مقتل المعتزلي²، و قال عنه الدرجيني: "هو المقوم في علم الجدل الذي له اليد العليا في البرهان و الاستدلال و هو المحتج على امكان الممكن و استحالة المحال، و كلها للفرق بين الحرام و الحلال... الرادع لقيام أهل البدع و الضلال... استطاع أن يقنع سبعين عالما ممن سماهم بأهل الخلاف إلى مذهب الإباضية³، و ممن برع في علم الكلام و المناظرات أيضا عبد الله بن اللمطي الهواري، عاش في أواخر القرن 3هـ/9م⁴ من علماء تيهرت كان معاصرا للإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح (261-281هـ/874-894م) اشتهر في الجدل و المناظرة و التأليف له باع كبير في علم الكلام و كان يناظر المعتزلة الواصلية ونظرا لمكانته في الجدل و رسوخ قدمه في الحجة و البرهان اختاره الإمام يعقوب بن أفلح للتحكيم في الفتنة التي جرت بينه و بين ابن أخيه أبي حاتم يوسف⁵، و قد انتقلت روايته المتعلقة بالمناظرة بين الإباضيين والمعتزلة بواسطة بن بشير إلى ابن الصغير⁶، و نذكر أيضا محمود محمود بن بكر⁷ الذي عاصر هو الآخر أبا اليقظان محمدا بن أفلح، تميز بشدة استماتته في الدفاع

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 71 - 72.

2 - محمد بلغراد: المرجع السابق، ص 114، الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 57 - 63.

3 - الدرجيني: المصدر السابق، المصدر السابق، ج 1، ص 60، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 336.

4 - انتقلت روايته المتعلقة بالمناظرة بين الغباضية و المعتزلة بواسطة أحمد بن بشير إلى ابن الصغير، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 93 - 94، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 55، تاديوس ليفيتيسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 2000، ص 43.

5 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص 362، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص 113.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 93 - 94، تاديوس ليفيتيسكي: المرجع السابق، ص 43.

7 - البرادي نقلا عن محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 236، الباروني: ج 2، ص 119.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

عن المذهب بالتصدي للفرق و الرد عليهم في مقالته و كتبه و من المتكلمين أيضا عبد الله بن يزيد الفزازي عاش في القرن 3هـ/9م، له كتاب في علم الكلام عنوانه "الرد على الروافض"¹.

كانت المناظرات تتم في جو تسوده الملاحظة، إلا حينما كانت تتم مع المعتزلة الواصلية في أمور عقديّة، و هؤلاء عظم نفوذهم في تيهرت و ما جاورها من مناطق و كان يستعان في مناظرتهم بفضاحل الفقه و علم الكلام من النفوسيين و كانت المسائل المحورية في هذه المناظرات تدور حول خلق القرآن والتأويل المجازي مثل الميزان من الصراط و الاستواء على العرش².

و كانت أهم مسألة بحثها علم الكلام هي خلق القرآن، و نستشف رواج هذا العلم في تيهرت من خلال رسالة الإمام محمد بن أفلح في مسألة خلق القرآن بقوله: "اجتمعت الأمة على أن القرآن كلام الله ولا يخلو هذا الكلام من أن يكون شيئا أو ليس بشيء يختلف فيه المخالفون وينازع فيه و لو صح أنه ليس بشيء لبطل أن تكون رسل الله جاءت بشيء"³.

هذه المسألة أثارت جدلا و جدالا⁴ في هذا العهد مما يجعلها موضوعا بمختلف المناظرات الفقهية والكلامية، قال بها حتى الأئمة الرستميون، فالإمام أبو اليقظان كان يقول: "إذا قلنا أن نعترف أن القرآن هو الله لزم حينئذ أن نعترف له بنفس صفات الأبدية و القدرة والخلق... وبالتالي يجب أن يعبد و ذلك مستحيل.. إذا قلنا أن القرآن هو جزء من الله يصير الله تعالى حينئذ ممكن الإنقسام إلى أجزاء و ذلك مستحيل إذن القرآن ليس هو عين الله أو جزء من الله بل هو منفصل عنه فليس أمامنا حينئذ إلا حالتان إما أن يكون قديما فهو إذا سرمدي مثل الله، و إما أن يكون مخلوقا،

1 - جمعية التراث: المرجع السابق، ص589.

2 - صالح باجية: المرجع السابق، ص50.

3 - البرادي نقلا صالح باجية: المرجع السابق، ص213.

4 - الجدال: هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية و غيرهم، و قيل فيه: "إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو 7 غيره، و هي طريقتان: طريقة البردوي و هي خاصة بالأدلة الشرعية من النص و الإستدلال و الإجماع، و طريقة العميدي و هي عامة في كل دليل يستدل به ممن أي علم كان، وأكثره استدلالا"، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص466.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهمرت

فإذا استحال أن يكون سرمديا من غير أن يكون جزء من الخالق فلا يكون إلا حقيقة غير الله ويكون الله هو الذي خلقها"¹.

و منه كانت المسائل الكلامية من المواضيع الفكرية التي شغلت العلماء على حد سواء في الدولة الرستمية و أمدتها بأفكار جديدة².

*اللغة و النحو:

يقول ابن خلدون: "أركان علوم اللسان العربي أربعة و هي اللغة و النحو و البيان و الأدب ومعرفتها ضرورية عند أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب و السنة و هي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة و التابعين عرب، و شرح مشكلاتها من لغتهم... فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، و ليس كذلك اللغة"³.

تعتبر اللغة العربية من أغنى اللغات السامية و أرقاها، لأنها تتميز بكثرة المفردات، و تتصف بالمرونة و القدرة على صياغة المشتقات من ألفاظها، مع سهولة التعبير الدقيق في إطار من الجزالة و سمو البلاغة و سحر البيان، و بفضل غنى اللغة العربية و قوتها و قدرتها على الإشتقاق و البحث و اللفظ المعبر، استطاعت أن تكون أداة التعبير عن حضارة سادت خلال العصور الوسطى⁴.

و لما كان فهم الدين الإسلامي و القرآن الكريم تحديدا يتطلب معرفة اللغة العربية لأداء العبادات و فهمها بشكل صحيح، فإن تعلم قواعد اللغة العربية كانت ضرورة لغوية فضلا على أنها ضرورة دينية، و نستشف أهمية هذه العلاقة من قول أحد شيوخ الإباضية هو أبو عمران موسى بن زكرياء: "إن تعلم حرف من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفقه و تعلم مسألة من الفقه كعبادة ستين سنة"⁵.

1 - محمد بلقراد: المرجع السابق، ص112، البرادي نقلا عن: CH.Bekri : Le royaume, op.cit, p151.

2 - محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص202.

3 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 597-598.

4 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص452.

5 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص348، جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص 896-897.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

احتضنت تيهرت أقواما عديدة، و بذلك تعددت فيها اللغات إلا أن اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية للدولة، لأن الرستميين عملوا ما في وسعهم لنشرها في أوساط البربر، كما أن اللغة البربرية عاشت بل تعايشت مع اللغة العربية، فقد كان يستعملها الفقهاء في خطبهم لأنها كانت لغة العامة¹، فكانت صعوبة تمكن البربر من اللغة العربية سبب في اضطرابهم إلى اللجوء إلى مترجمين رستميين²، ولعل كتاب المهدي النفوسي أحد مشايخ نفوسة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري³، و هو كتاب رد به على نفاث بن نصر الذي طعن في الإمام عبد الوهاب، و يعد هذا الكتاب أقدم كتاب إباضي بالبربري و ألف نثرا، ووضع بهذه اللغة يتناقله البربر⁴، لأنها لغتها و هي أسهل عليهم، و لكن لا يستعبد أن يكونوا يتقنون اللغة العربية و ما دل على ذلك الانقلاب اللغوي الذي كان في عهد الخوارج، حيث قلبوا الخط البربري إلى العربي، و بالتالي توغلت اللغة العربية إلى اللسان البربري⁵، ومنه عاشت اللغة العربية مع البربرية عيشة العامية مع الفصحى⁶.

و لقد خلفت بعض الكتابات النثرية التي كتبت بالبربرية كتلك الرسائل التي كان الأئمة يبعثونها إلى الرعية في الولايات، و لم تكن تصدر بالبربرية و إنما بالعربية و يقوم بترجمتها الشيخ أبو سهل النفوسي إلى البربرية، فقد كان فصيحاً بلغتهم و قد وصلت صدى هذه الترجمات إلى الواحات في الصحراء أو جبال نفوسة و الأوراس، و لعل منهم من يتحدث البربرية إلى اليوم⁷.

كما كان من البربر شعراء بالبربرية، فالأبي سهل النفوسي دواوين شعرية حيث شبه أحد المؤرخين قصائد أبي سهل بقصائد عمران بن حطان الشاعر الخارجي حيث قال: "من أراد قراءة

1 - محمد علي: المرجع السابق، ص101.

2 - صالح باجية: المرجع السابق، ص150.

3 - تولى الترجمة للإمامين أفلح بن عبد الوهاب و أبي حاتم يوسف، ينظر، جمعية التراث: المرجع السابق، ج3، ص452، رابع بونار: المرجع السابق، ص91.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص- ص 372-375، صالح باجية: المرجع السابق، ص158.

5 - مبارك الملي: المرجع السابق، ص77.

6 - نفسه، ص78.

7 - صالح باجية: المرجع السابق، ص158.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

الشعر، فعليه بشعر أبي سهل الفارسي"، ضف إلى هذا نجد أبا ربيع سليمان بن علي بن يخلف، فكان شاعرا، يجيد الشعر باللغة الدارحة البربرية، و له قصيدة و عيظة بلسان البربر و هي مقفاة¹، كما كانت تستعمل البربرية في حلقات الوعظ و الإرشاد في المساجد، تسهيلا للبربر تتناول الإسلام وتعلمه و فهمه²، و بهذا يمكن القول أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، و قد تعايشت مع اللغة البربرية من أجل تنشيط الحركة الفكرية، وقد كانت تعتمد على المشافهة بها في التسيير و الشرح أكثر من كتابتها و التدوين بها.

أما النحو فقد بدأ في البصرة و الكوفة في القرن الأول الهجري على يد أبي الأسود الدؤلي الذي وضع قواعد اللغة العربية و يقال إنه تلقى أصول هذا العلم عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-³، والدوافع التي اقتضت الإهتمام بهذا الجانب هي أن كثيرا من الموالي الفرس كانوا يختلطون بالعرب فتعرضت العبارات العربية إلى اللحن في النطق و حتى لا يتعرض القرآن الكريم للتحريف كان لا بد من تقويم اللسان العربي بوضع قواعد تحفظ سلامة النطق.

إذن تعد البصرة المركز الأم للنحو، و إحدى المدارس النحوية البارزة في ذلك الوقت، ولكن كانت تيهرت بعيدة عن مسaire البصرة في هذا الاختصاص، و ذلك لأن البربر كانوا في هذا الوقت يحاولون التحدث باللغة العربية، على أكثر تقدير دون النظر إلى النحو و القواعد، و يذكر بلحاج معروف أن المعلومات في هذا العلم قليلة جدا، فيقول إننا لا نعرف عن هؤلاء الكثير إلا ما صنفه الزبيدي من النحويين الرستميين خطأ مع العلماء القرويين، أمثال الأخوين ابراهيم المهري، و أبو عبد الملك المهري ابن قطن، و أبو محمد عبد الله بن محمد المكفوف النحوي من مواليد سرت، التي كانت تابعة للدولة الرستمية، حيث قيل في شأنه: "كان من أعظم خلق الله بالعربية و الشعر و تفسير

1 - للمزيد عن مصير هذه المؤلفات، الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 289-290، أيضا، الوسياني نقلا عن تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص116، صالح باجبة: المرجع نفسه، ص160.

2 - عثمان الكعاك: المصدر السابق، ص218.

3 - يقول ابن خلدون: "و أول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، و يقال بإشارة علي -رضي الله عنه- "...، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص599، حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص277.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمهرت

المشروحات... و له كتب كثيرة أملاها في اللغة العربية، و له كتاب في العروض، يفضله أهل العلم على سائر الكتب المؤلفة، و توفي سنة 920هـ¹، ضف على ذلك أبو عبيدة الأعرج² الذي قال عنه ابن الصغير: "كان عبيدة عالما بالفقه و الكلام و الوثائق والنحو واللغة"³، و أضاف قائلا: "قد أتته يوما أسمع منه كتاب إصلاح الغلط الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة على أبي عبيدة، فلما افتتحت قراءته و قلت لعل ناظرا في كتابنا، هذا ينفر من عنوانه ويستنفذ من تلمجته و يربأ بأبي عبيدة عن الزلة، فلم أهمزه و أمده، فقال لي يربأ بأبي عبيدة، بهمز الألفن و ضمه و إنما ذكرت هذا الحرف لأدل على براعته في اللغة"⁴، و لعل هذا التنوع في اللغات و اللهجات بالعاصمة الرستمية أنجبت شخصية ساهمت مساهمة فعالة في مجال اللغات هو يهوذا بن قريش التيهري، و كان يحسن اللغات العربية و الآرامية و الفارسية و البربرية و الكنعانية و العبرية، هو الذي أكد في كتابته أن هذه اللغات ذات أصل واحد⁵، و بالتالي أول واضع للنحو التنظيري⁶، و يضيف عبد الرحمن الجليلي أن هذا الكتاب موجود في مكتبة أكسفورد الإنجليزية.

1 - النشر:

يقول ابن خلدون: "و أما النشر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعا، و يلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا، و منه المرسل، و هو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا و لا يقطع أجزاء، بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية و لا غيرها، و يستعمل في الخطب و الدعاء و ترغيب الجمهور و ترهيبهم، و أما القرآن و إن كان من المنثور إلا أنه خارج عن الوصفين و ليس يسمى مرسلا مطلقا و لا مسجعا، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يعاد الكلام

1 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص353.

2 - هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي من تيم قريش لا تيم الرباب له كتاب غريب الحديث، توفي أبو عبيدة سنة 210هـ، وقيل 211هـ، الندم: الفهرست، ص- ص 59- 96، ابن الصغير: المصدر السابق، ص84.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 84.

4 - نفسه، ص نفسها.

5 - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص80.

6 - عبد الرحمن الجليلي: المرجع السابق، ج2، ص174، رابح بونار: المرجع السابق، ص91.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

في الآية الأخرى بعدها، و يثنى من غير التزام حرف يكون سجعا و لا قافية، و هو معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾¹. لقد برز النثر في شكل خطب و وصايا و رسائل ديوانية أو أقاصيص تعليمية أو حكم أو أجوبة، ولعل من أشهر الرسائل الديوانية رسائل الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى جدبل نفوسة في مسألة خلف بن سمح²، جاء في مضمونها ما يلي: (بسم الله الرحمن الرحيم، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه وسلم، من أمير المؤمنين عبد الوهاب إلى جماعة المسلمين بطرابلس، أما بعد فإنني أمركم بتقوى الله و الإتيان لما أمركم به، و الإنتهاء عما نهاكم عنه، فقد بلغني ما كاتبتموني به من وفاة السمح، و استخلاف البعض خلفا، و رد أهل الخير ذلك، فإن من ولي خلفا بغير رضا إمامه فقد أخطأ سيرة المسلمين و من أبي من توليته فقد أصاب، فإذا أتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل استعمله السمح إلى عمله الذي ولي عليه إلا خلف بن السمح فحتى يأتيه أمري و توبوا إلى ربكم لعلكم تفلحون)³.

كما كان للإمام أفلح بن عبد الوهاب مجموعة من الرسائل التي وجهها إلى الرعية و عماله ينصحهم فيها بالتقوى و الصلاح⁴، كما وجه أيضا رسالة⁵ أخرى إلى نفاث بن نصر يتوعده فيها بعواقب صنيعه في دق عصي الطاعة⁶.

1 - سورة الزمر: الآية 23.

2 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص80، بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص247.

3 - ورد اختلاف في بعض العبارات بين أبي زكرياء يحيى و الدرجيني و هي (بتقوى الله)، (الانتهاه عما نهاكم عنه) و (توبوا إلى ربكم لعلكم تفلحون) وردت عند أبي زكرياء بالشكل التالي: (بتقوى الله العظيم)، (الانتهاه كما نهاكم عنه) و (راجعوا التوبة لعلكم تفلحون)، أبو زكرياء يحيى: نفسه، ص نفسها، الدرجيني: المصدر السابق، ص69.

4 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 281-282.

5 - ستكون هذه الرسالة ضمن قائمة الملاحق، ص5.

6 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص267، و عن مسألة نفاث بن نصر، ينظر، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص- ص 92-93-94.

الباب الثالث — الأوزان الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و قد امتازت كل هذه الرسائل بالإيجاز و صحة الألفاظ و التسلسل المنطقي، و ببساطة الخطب وترك ما لا يدخل في الموضوع، و هي توحى بجمال أسلوب الأئمة و قدرتهم البلاغية وثقافتهم الدينية، وتميزت بثلاثة أبعاد، أو لهم أدبي و ثانيهم تاريخي و ثالثهم ديني¹.

و هذه الرسائل كانت تمثل نموذجاً لما كان عليه النثر في هذا العصر، من عمق في المعاني والبلاغة، ليس فقط في رسائل الأئمة و إنما حتى في الرد على تلك الرسائل من طرف الولاة و هذا ما نستشفه من خلال رد والي نفوسة أبي منصور الياس على العباس بن طولون حينما كان يحاصر طرابلس سنة 267هـ/880م، حيث قال: "قل لهذا الغلام إنك أقرب الكفار مني و أحقهم بمجاهدتي، فقد بلغني من قبيح أفعالك ما لا يسعني التخلف عن جهادك، و أنا على أثر رسالتي إليك"².

و للفقهاء أيضاً بصمات في مجال النثر و نستشف ذلك من خلال الوصايا المتضمنة للنصح والوعظ أمثال أبي يعقوب يوسف بن سيلوس السدراتي، كان شيخاً عالماً قال لابنه و هو يعظه ويرشده لعمل الخير: "لا يكن ندبك الناس للخير أوكد من ندبك نفسك، و لا يكن غيرك أسبق إلى خير منك، و كن للناس كالميزان و كالسيل للأدران و كالسماء للماء"³.

2 - الشعر:

يعرفه ابن خلدون بقوله: "هو فن من فنون كلام العرب... و هو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى، إذ هو كلام مفصل قطعاً قطعاً، متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة، وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً، و يسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه، رويًا و قافية، ويسمى جملة الكلام إلى آخره: قصيدة و كلمة، و ينفرد كل بيت منه بإفادته في

1 - رابح بونار: المرجع السابق، ص152.

2 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص340.

3 - رابح بونار: المرجع السابق، ص91.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

تراكيبه، حتى كأنه كلام وحده، مستقل عما قبله و ما بعده، و إذا أفرد كان تاما في بابه في مدح أو تشبيب أو رثاء¹.

يعتبر الجو الثقافي الذي كان سائدا في تيهرت، هو الذي ساعد على ظهور الشعراء الذين ترعرعوا في كنف الدولة الرستمية فنجد للإمام أفلح قصيدة تقع في أربعة و أربعين² بيتا، يشيد فيها بفضائل العلم ويحث فيها على العلم و طلبه فيقول في مطلعها:

العلم بنى لأهل العلم آثارا	و ليلهم بشموس العلم قد نارا
حتى و إن مات ذو علم و ذو ورع	ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا
العلم در له فضل و لا أحد	في الناس يدري لذلك الدر مقدار
للعلم فضل على الأعمال قاطبة	في العلم أعظم عند الله أخطارا
يشرف العلم للإنسان منزلة	و يجتبي من جناة العذب أثمارا
العلم فخر علا عن كل مرتبة	و يرفع العلم للإنسان أقدارا ³

و يقال عن هذه القصيدة أنها من نوع النظم التعليمي، و فيها تعابير فقهية و هي نتاج عربي في جو بربري و تمهيد لعبقرية بن حماد التيهرتي⁴ الزناتي الذي ولد في تيهرت سنة 200هـ/815م، وارتحل إلى المشرق سنة 217هـ/832م⁵، حيث تنقل بين البصرة و الكوفة و بغداد⁶ فالتقى بعظماء الشعراء أمثال أبي تمام و دعبل الخزاعي⁷، عاد إلى القيروان من المشرق سنة 239هـ/853م، و تفرغ

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 621 - 622.

2 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 376 - 377.

3 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص- ص 247 - 248 - 249، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص 106 - 107.

4 - رابح بونار: المرجع السابق، ص112، مختار حساني: المرجع السابق، ص309.

5 - الدباغ: المصدر السابق، ص282، يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص122.

6 - يحيى بوعزيز: المرجع نفسه، ص نفسها.

7 - هو أبو تمام حبيب بن أوس المعروف بأبي القاسم المتوفي سنة 228هـ/843م، نشأ في دمشق و كان معظم شعره في المدح، المدح، أما دعبل المتوفي سنة 246هـ/860م، فقد ولد بالكوفة فهو عكس أبي تمام، اشتهر بالهجاء و قتل بسبب حدة لسانه في

الهجاء، ينظر، حنا الفاخوري: المرجع السابق، ص- ص 729 - 731 - 738.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

للتدريس في جامع القيروان سنة 274هـ/887م¹، لكن سوء علاقته مع الأمير الأغلي ابراهيم بن أحمد جعلته يخرج هاربا من القيروان يريد تيهرت سنة 295هـ/907م²، فاعترض سبيله قطاع الطرق بالقرب من تيهرت فقتل ولده عبد الرحمن وجرح بكر في بطنه، و لعل الجراح التي أصيب بها في الحادث المذكور³ كانت سبب وفاته في قلعة بن حمّة بالقرب من تيهرت على ما ذكر ابن عذارى، وكان ذلك في شوال سنة 296هـ/جويلية 909م⁴.

و يعد بكر بن حماد من أعظم شعراء الدولة الرستمية، و كانت له مساجلات أدبية أسفرت عن ثبوت قدمه في الأدب و صناعة الشعر و النثر، و قد اتصل بالخلفاء العباسيين، و قال فيهم الشعر، و نال حبهم و عطفهم و إحسانهم، و لما عاد إلى بلاده إنحال عليه الطلب من كل فج و صوب حتى من الأندلس⁵، و قد كان نابغة في الأدب و الشعر و له قصائد في جميع الأغراض الشعرية من غزل و وصف و مدح و زهد و رثاء و غيرها⁶، نذكر بعضها:

في موضوع الرثاء له قصيدة يرثي فيها ولده يقول فيها:

بكيّت على الأحبة إذ تولوا	و لو أني هلكت بكوا عليا
فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا	و فقدك قد كوى الأكباد كيا
كفى حزنا بأني منك خلوا	و أنك ميت و بقيت حيا
و لم أك آسيا فيئست لما	رميت الترب فوقك من يديا
فلا تفرح بدنيا ليس تبقى	و لا تأسف عليها يا بنيا
فقد قطع البقاء غروب شمس	و مطلعا عليا يا أخيا

1 - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 123.

2 - المالكي: المصدر السابق، ج 2، ص 21.

3 - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 124.

4 - ابن عذارى: المصدر السابق، ص 153.

5 - محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، المرجع السابق، ص 99.

6 - مبارك الميلي: المرجع السابق، ص 81.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

و ليس لهم يجلوه نهار
تدور له الفراقد و الثريا¹

في موضوع الوصف لم نجد لبكر بن حماد إلا مقطوعة واحدة و هي في وصف تيهرت ذكرناها سابقا
مطلعها:

ما أخشن البرد و ريحانه و أطرف الشمس بتاهرت²

و استعمل لونين من الشعر، المدح و الهجاء في قصيدة يمدح فيها علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- و يهجو في نفس الحين عمران بن حطان³ الذي مدح عبد الرحمن بن ملجم على قتله لعلي بن أبي طالب جاء فيها:

قل لابن ملجم و الأقدار غالبية هدمت و يلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم و أول الناس إسلاما و إيمانا
و أعلم الناس بالقرآن ثم بما سن الرسول لنا شرعا و تبيانا
صهر النبي و مولاه و ناصره أضحت مناقبه نورا و برهانا⁴

* في باب المدح كانت له قصائد عدة نذكر منها:

1 - قصيدته التي رد فيها على دعبل الخزاعي الذي هجأ الخليفة العباسي المعتصم قال فيها:

أيهجو أمير المؤمنين ورهطنه و يمشي على الأرض العريضة دعبل
أما و الذي أرسى ثيرا مكانه لقد كادت الدنيا لذلك تنزل
و لكن أمير المؤمنين بفضله يهم فيعفو أو يقول فيفعل
و عاتبني فيه حبيب و قال لي لسانك محذور و سمك يقتل

1 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص92.

CH.Bekri, op.cit, p157.

2 - رابح بونار: المرجع السابق، ص72، و أيضا:

3 - عمران بن حطان السدوسي الشيباني المتوفي سنة 89هـ/707م، نشأ في البصرة و كان مناصرا للخوارج من خلال شعره، وقد اعتبره الصفرية في ما بعد إمامهم، حنا الفاخوري: المرجع السابق، ص457، و كذلك Laoust Henri : op.cit, p37.

4 - محمد عمرو الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1984، ص34، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص109.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و إني و إن صرفت في الشعر منطقي لأنصف فيما قلت و أعدل¹

2 - مدح أيضا أحمد بن القاسم أمير فاس قال فيها:

إن السماحة و المروءة و الندى جمعوا لأحمد من بني القاسم

و إذا تفاخرت القبائل و انتمت فافخر بفضل محمد و بفاطم

و بجعفر الطيار في درج العلى و علي العضب الحسام الصارم

إني مشتاق إليك و إنما يسمو العقاب إذا سمى بقوادم

و أعلم بأنك لن تنال محبة إلا ببعض ملابس و دراهم²

* و في الزهد له قصائد كثيرة منها:

لقد جمعت نفسي فصدت و أعرضت و قد مرقت نفسي فطال مروقها

فيا أسفي من جنح ليل يقودها و ضوء نهار لا يزال يسوقها

إلى مشهد لا بد من شهوده و من جزع للموت سوف أذوقها

ستأكلها ديدان في باطن الثرى و يذهب عنها طيبها و خلوقها

سحاب المنايا كل يوم يظله فقد هطلت حولي و لاح بروقها

و للنفس حاجات تروح و تغتدي و لكن حدثان الزمان يعوقها

تجهمت خمسا بعد سبعين حجة و دام غروب الشمس لي و شروقها

و أيدي المنايا كل يوم و ليلة إذا فتقت لا يستطيع رتوقها

يصبح أقوام على حين غفلة و ياتيك في حين البيات طروقها³

و في موضع آخر يقول:

كيف البقاء و هذا الموت يطلبنا هيهات هيهات يا بكر بن حماد

1 - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص122.

2 - ابن عذارى: المصدر السابق، ص236.

3 - عبد الله شريط و محمد مبارك المليي: مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتابين ط2،

1985، ص84.

الباب الثالث — الأوزاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

بينما ترى المرء في لهو و في لعب حتى تراه على نعش و أعواد¹
و ما يمكن أن نلاحظه من خلال استعراضنا لشعر بكر بن حماد أنه يمتاز بالبساطة، والألفاظ
السهلة و قلة الصور البيانية لأن شعره يغلب عليه طابع الزهد بسبب ثقافته الدينية والأدبية و كذا
انتقاله بين حواضر المغرب الإسلامي، كل ذلك جعل منه شاعرا و فقيها، وصل صيته حتى إلى
الأندلس، إذ انتقل علمه و أدبه إليها عن طريق تلامذته أو الأندلسيين الذين سمعوا منه أثناء وجوده
بالقيروان².

و لعل من الشعراء الذين برزوا في هذه الفترة كذلك سعيد بن واشكل التيهرتي، نشأ وعاش في
تيهرت في القرن 3هـ/9م، ثم انتقل في آخر حياته إلى تنس له قصيدة يقول في بدايتها:
نأى النوم عني و اضمحلت عرى الصبر و أصبحت عن دار الأحبة في أسر
و أصبحت عن تاهرت في دار معزل و أسلمني مر القضاء من القدر³
و شعراء آخرون أمثال أحمد بن فتح المعروف بابن خراز التاهرتي قاضي تيهرت و الذي اشتهر بمدحه
لعيسى بن ابراهيم بن القاسم حاكم طنجة 272هـ/890م⁴، و يقال أنه لما زار فاس فتن بنسائها،
فقال في إحداهن شعرا جاء فيه:

قبح الله الدهر إلا قينة	بضرية في حمرة و بياض
الخمر في لحظتها و الورد في	وجنتها و الكشح غير نغاض
في شكل مرجي و نسك مهاجر	و عفاف سني و سمت إباح
تيهرت أنت خلية و برقة	عوضت عنك ببصرة فاعتاض
لا عذر للحمرء في كلفي بها	أو تستفيض بأبحر و حياض ⁵

1 - الدباغ: المصدر السابق، ص284، المالكي: المصدر السابق، ص25.

2 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص174، محمد علي: المرجع السابق، ص99.

3 - معروف بلحاج: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص248.

4 - مختار حساني: المرجع السابق، ص309.

5 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص101.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

و أبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن التيهرتي المعروف بالبزاز و ابراهيم بن علي المعروف بابن الهرمة الشاعر المضروب به المثل في إجادة النقد و حذق الشعر¹، و أبو سهل الفارسي² و هو شاعر ومؤرخ، عاش حوالي النصف الثاني من القرن الثالث، و سكن (بعد سقوط تيهرت) في مرسى الخرز أو في مرسى الدجاج³.

*التاريخ و الجغرافيا:

إن فن التاريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية إذ يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم، و الأنبياء في سيرهم، و الملوك في دولتهم، و سياستهم حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يروونه في أحوال الدين و الدنيا⁴، و في موضع آخر قال: "إن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم الأجيال، و تشد إليه الركب و الرحال، و تسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، و تتنافس فيه الملوك والأقيال، و تتساوى في فهمه العلماء و الجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام و الدول، والسوابق من القرون الأول تنمو فيها الأقوال، و تضرب فيها الأمثال، و تطرف بها الأندية إذا غصها الإحتفال، و تؤدي إلينا شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال، و اتسع للدول فيها النطاق و المجال، و عمروا الأرض حتى نادى بهم الإرتحال، و حان منهم الزوال، و في باطنه نظر و تحقيق، و تحليل للكائنات و مبادئها دقيق، و علم بكيفيات الوقائع و أسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، و جدير بأن يعد في علومها و خليق"⁵.

و لكن التاريخ بمدلوله هذا لا يتناسب مع تلك الفترة، حيث ذكر ابن الصغير قولاً عن الإمام أبي بكر و حبه للتاريخ، حيث قال: "كان يجب الآداب و الأشعار، و أخبار الماضين"⁶.

1 - مختار حساني: المرجع السابق، ص309.

2 - سبقت لنا ترجمته و للمزيد عنه، ينظر، الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص289، الوسياني نقلاً عن تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص115.

3 - الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص289-290، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص- ص115-116.

4 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص23.

5 - نفسه، ص16-17.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص62.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

فقد كان أبو بكر يجب التطلع إلى أخبار الماضين و الأولين و السلف من الائمة، فضلا عن تاريخ صدر الإسلام، و ما حدثت فيه من أحداث، فنجد مثلا لهذه الكتب التاريخية، كتاب لوأب بن سلام بن عمر¹ بكتابه "شرائع الدين"، و قد روى فيه نبذة عن تاريخ أبي بكر و عمر -رضي الله عنه- و ما حدث في عهدهمان و لم يتطرق إلى الخليفين عثمان بن عفان، و علي بن أبي طالب، و تحدث أيضا على معركة صفين، و اختصر فيها ثورقي أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري في اليميني، و إلى حاتم الملزوزي بالمغرب²، و كان ما زال على قيد الحياة في العام 260هـ/873م³، و هو صاحب مؤلف تاريخي عن إبااضي شمال إفريقيا، يوجد في مصنف الشماخي بعض المقتطفات منه⁴.

كما تذكر المصادر الإباضية أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب كان أحد الرواة المهمين للأثر الإبااضي في المغرب، و يذكر أبو زكرياء أنه نقل عن أبيه عبد الوهاب الأثر المتعلق بدخول الإباضية إلى إفريقيا الشمالية و بالائمة الإباضيين الأوائل الذين ظهوروا في هذا البلد، و يرجع هذا الأثر على أي حال إلى عبد الرحمن بن رستم و لم يكن لعبد الوهاب أو لأفلق سوى دور الوسيط⁵.

و إذ نتحدث عن التاريخ فلا بد من ذكر مؤرخ هذه الدولة و هو ابن الصغير الذي عايش المراحل الأخيرة من الدولة إذ عاصر فترة حكم أبي اليقظان بن أفلق (261- 281هـ/874- 894م)⁶، و أبو حاتم، و هو على أرجح الروايات ولد في تيهرت بين سنتي 265- 270هـ⁷، لم

1 - أقدم مؤرخ إبااضي رستمي سكن تيهرت سنة 240هـ/854م، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 367-368، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 48.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص- ص 133- 143، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 369.

3 - الشماخي: نفسه، ج 2، ص 261.

4 - نفسه، ج 1، ص- ص 133- 162، ج 2، ص- ص 260- 262، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص- ص

150- 151.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 89، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 143- 144.

6 - محمد بلقراد: المرجع السابق، ص 119.

7 - نفسه، ص 120.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

يشهد تاريخ نهاية الدولة الرستمية استقى أخباره من معارفه أمثال أحمد بن بشير¹ الذي عاش في أواخر القرن 3هـ/4م²، كانت أسرته مقربة إلى الإمام أبي اليقظان بن أفلح فكان ذلك دافعا قويا في اعتماد روايته الشفوية في تدوين أخبار الأئمة الرستمين انطلاقا من ثقته في روايته لكون معلوماته مستقتات من مصادر صنع القرار بالدولة الرستمية³.

يمتاز تدوينه التاريخي بالبساطة في عرض الحوادث التاريخية، و يعتبر مؤلفه ابن الصغير تاريخا قصصيا أكثر منه سياسيا أو دراسة أحادية عن تيهرت الإباضية في حياته، كما يذكر موتيلنيسكي بحق⁴، فقد أشاد بالأئمة الرستمين رغم اختلاف مذهبه، عمل في التجارة في نفس الوقت، كان يتلقى الفقه و علم اللغة من فقهاء تيهرت منهم أبو عبيد بن الأعرج، الأمر الذي مكنه من أن يحصل على زاد معرفي كبير سواء في الفقه أو في العلوم الأخرى فكان قادرا على الولوج في العديد من المناظرات بكل ثقله المعرفي غير أن مبارك ميلي يعتبر لغته قريبة للعامية⁵، أما محمود اسماعيل فقد اعتبره اعتبره شاهد عيان على أحداث و أطوار الدولة و سير أئمتها، و بهذا فهو أقرب إلى الواقع ومعاصر للأحداث⁶، و بالتالي هذا الكتاب جامعا لأخبار الأئمة وأهم الفتن و الثورات التي وقعت في عهدهم، و تشير معظم المصادر التاريخية أن ابن الصغير كان مالكيا في مذهبه⁷ و لكن لم يمنعه ذلك من أن يكون لديه معرفة بالمذهب الإباضي، ألف كتابه "أخبار الأئمة الرستمين"⁸، حيث

1 - أحمد بن بشير: راو من تيهرت و أحد مصادر المؤرخ ابن الصغير، كان على صلة طيبة مع عدد من أعلام الإباضية في تيهرت، و لعله ابن لآخر المفريين من الإمام أبي اليقظان الذي يدعى بشيرا، ابن الصغير: المصدر السابق، ص82، تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص144.

2 - جمعية التراث: المرجع السابق، ص 82-83.

3 - نفسه، ص83.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 37-58.

5 - مبارك ميلي: المرجع السابق، ص80.

6 - محمود اسماعيل: المصدر السابق، ص9.

7 - وداد القاضي: المرجع السابق، ص233.

8 - كانت مجموعة الأخبار التاريخية لابن الصغير مقدرة جدا من قبل المؤرخين الإباضيين في المغرب و قام اثنان منهم، و هما أبو أبو الفضل أبو القاسم البرادي و أبو العباس الشماخي، بنقل مقاطع كثيرة منها، تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص148، كتب ابن الصغير، هذه المجموعة على الأرجح عام 290هـ/902م، المصدر السابق، ص 148-149.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

سجل مختلف الأحداث التي وقعت في الدولة الرستمية منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم حتى ولاية أبي حاتم يوسف بن محمد بن أبي يقظان بن أفلاح¹، و رغم ذلك يبقى من أهم المصادر التاريخية التي تؤرخ للدولة الرستمية، و من ثم لا يمكن الإستغناء عنه من حيث أنه يرصد حياة الأئمة الرستميين منذ نشأة الدولة.

و من بين المؤرخين أيضا:

- **يعقوب بن أبي يعقوب**: راو و يعتبر المرجع الرئيس لأبي زكرياء² و للدرجيني³ الذي يعيد سرد روايته فيما يخص تاريخ التجمعات الإباضية في طرابلس و جزيرة جربة في عصر الأئمة الرستميين المتأخرين في تيهرت، و لا نعرف شيئا عن حياته أو عن عصره، و نستنتج من عبارة في تاريخ أبي زكرياء بأنه كان معاصرا، أكبر سنا لهذا المؤرخ و بأنه توفي قبل إتمام كتاب السيرة و أخبار الأئمة.

- **سليمان مولى محمد بن عبد الله**: راو إباضي، أحد مصادر المؤرخ ابن الصغير (نحو بداية القرن العاشر الميلادي) عن فترة حكم الإمام الرستمي أبي يقظان (المتوفي سنة 894/281 - 95)، وهو مولى أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ القاضي الإباضي للإمام أبي يقظان في تيهرت⁴.

- **سليمان بن زرقون**: راو يعتمد عليه المؤرخ ابن سلام بن عمر في روايته المتعلقة بتاريخ إباضي المغرب تحت حكم الإمام أبي حاتم المزوزي⁵، فهو على الأرجح معاصر لابن سلام بن عمر الذي كتب مصنفه بعد العام 260هـ/873م، و أكبر منه بقليل، و علينا التمييز بين سليمان ابن زرقون، مصدر ابن سلام بن عمر و بين الربيع سليمان بن زرقون النفوسي، عالم إباضي أصله من إقليم قسطلية كان يعيش في النصف الأول من القرن الرابع عشر، و كان معاصرا و زميلا في الدراسة لأبي

1 - و داد القاضي: المرجع نفسه، ص234، تاديوس ليفتسكي: نفسه، ص149.

2 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص39.

3 - الدرجيني: المصدر السابق، ورقة 30.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص90 - 91.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص135، تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص168.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

يزيد مخلد بن كيداد "صاحب الحمار"، الرئيس النكاري الشهير الذي كاد أن يطيح بدولة الفاطميين¹.

و التاريخ عند الدولة الرستمية كان منصبا في مجمله على دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة و الأئمة الإباضيين أي دراسة تاريخ المذهب الإباضي، و هذا الإهتمام ندركه في حرص أفلح بن عبد الوهاب على دراسة سيرة أئمة المذهب الأوائل في قوله: "عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة لاسيما كتب أبي سفيان"²، و كان الإمام أبو بكر بن أفلح قد ولى اهتماما كبيرا بالتاريخ³، لهذا قال فيه ابن الصغير: "...و يجب الآداب و الأشعار و أخبار الماضين"⁴.

أما الجغرافيا فإنها لم تحظ باهتمام هذه الدولة، غير أن هذا لا يمنع أن يكون بعض الناس، اهتموا بالمسالك و الممالك، و معرفتها خاصة بعد ازدهار التجارة و طرقها، الأمر الذي تطلبت معرفة جغرافية للمواقع و البلدان و المدن و تأمين القوافل التجارية، و بخاصة في عهد الإمام أفلح الذي امتاز بتوثيق علاقات تيهرت بعدد من ممالك السودان مثل مملكة كوكو و كذلك مع الأندلس⁵.

ب- العلوم العقلية:

يقول ابن خلدون: "أما العلوم العقلية فهي طبيعية للإنسان من حيث أنه ذو فكر"⁶، ويصنفها إلى علوم الفلسفة و الحكمة و من فروعها المنطق مثلا و العلوم الطبيعية و الفلك و من فروعها الطب و العلوم العددية و منها الحساب و الفلك و التنجيم، أما بالنسبة لثقل هذه العلوم من فروعها في الدولة الرستمية، فيشير معظم المؤرخين على أن عناية الرستميين كانت شاملة لكل العلوم بما فيها العلوم العقلية بمختلف أصنافها و منها:

- 1 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص164، يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص121.
- 2 - بحاز ابراهيم: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص296، أبو سفيان هو قنبر البصري المعروف بأبي سفيان، تتلمذ على يد جابر بن زيد و قد عاصر عمر بن عبد العزيز، جمعية التراث: المرجع السابق، ج2، ص728.
- 3 - بحاز ابراهيم: المرجع نفسه، ص نفسها.
- 4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 62- 71.
- 5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص89.
- 6 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص504.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

* الطب:

يعرفه ابن خلدون بالتالي: " و من فروع الطبيعيات صناعة الطب و هي صناعة تنظر في بدن الإنسان... هذه الصناعة ضرورية في المدن و الأمصار لما عرف ما فائدتها، فغن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء و دفع المرض بالمداواة بالأدوية و الأغذية"¹.

إلا أن المصادر و المراجع التاريخية لا تعطينا إلا معلومات قليلة جدا عن الطب و الأطباء في الدولة الرستمية إلا ما يمكن استنتاجه من بعضها، و لما كانت هذه المهنة ضرورية في أي مجتمع فلا شك أن الرستمين اهتموا بهذا العلم إدراكا منهم بأهميته، و لما عرف عنهم من تشجيع لكل العلوم ونقلها إلى بلادهم، حيث يذكر ابن الصغير أن طبقات الأطباء الذين ظهروا بتيهرت وأقاموا بها كان يعدون على الأصابع من اليهود و النصارى، و كان لهم درب في تيهرت يعرف بالرهادنة²، كما يضيف دبوز إلى هذا وجود أطباء في تيهرت، فالطب في نظره يقوم الصحة، و لا يمكن لدولة كالدولة الرستمية أن تغفل عن هذا الجانب³، أو تغفل عن الكيمياء لتكوين العقاقير والأدوية والأصباغ، أما أبو زكرياء، فيقول أن الرستمين أتقنوا الطب ما دام بينهم بين علم⁴، فاشتهروا في هذا المجال، حيث كانت المراكز العلمية في تيهرت، ومدينة شروس بجبل نفوسة، ولعل محمد بن سعيد أحد حفدة عبد الرحمن بن رستم قد نبغ في هذا المجال⁵، لكنه كان مقيما في الأندلس⁶.

* الحساب:

يعتبر علم الحساب أحد فروع العلوم العددية التي تلعب دورا بالغ الأهمية في العلوم العقلية (التجريبية) و غيرها من العلوم التي لا غنى لها عن الرياضيات⁷، و يعرفها ابن خلدون بأنها: "معرفة

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص520.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص102، بحاز ابراهيم: الدولة الرستمية، ص373.

3 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج2، ص372.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص85.

5 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص374، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص575.

6 - محمد علي: المرجع السابق، ص108.

7 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص470.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو التضعيف"¹، و يقول أيضا: "و هذه الصناعة الحسائية حادثة احتيج إليها للحسبان في المعاملات، و ألف الناس فيها كثيرا و تداولوها في الأمصار بالتعليم للولدان، و من أحسن التعليم عندهم الابتداء بها لأنها معارف متضحة و براهينها منتظمة، فينشأ عنها في الغالب عقل مضىء درب على الصواب، و قد يقال: "من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره، إنه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني و مناقشة النفس، فيصير ذلك له خلقا و يتعود الصدق ويلزمه مذهباً. و من أحسن التأليف المبسوطه فيها لهذا العهد بالمغرب كتاب "الحصار الصغير" لابن البناء المراكشي² فيه تلخيص ضابط لقوانين أعماله مفيد، تم شرحه بكتاب سماه -رفع الحجاب-"³.

و في الدولة الرستمية كان لعلم الحساب شأن كبير لأنه ارتبط بعدة عوامل أهمها:

- النشاط التجاري الذي تميز بربط علاقات تجارية مع الدول المجاورة و حتى البعيدة عنها فرض عملية العد و ما تتطلبه من أرقام في المعاملات التجارية.

- علاقة الحساب أو العد بالفروض الدينية خاصة ما تعلق منها بالمواريث، و في ذلك يقول بن خلدون: "وهي صناعة حسائية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثة إذا تعددت، و هلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته، أو زادت الفروض عند اجتماعها و تزامها على المال كله"⁴.

- عملية تنظيم بيت المال من حيث حساب نفقات الدولة على القائمين بأمورها من قضاة و أصحاب الشرطة و غيرهم و كذلك الحاجة إلى إحصاء الفقراء و المساكين و تحديد متطلباتهم من الطعام والصدقات⁵.

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص508.

2 - ابن البناء المراكشي العددي المتوفى سنة 721هـ/1321م، و للمزيد عن مصنفه في تلخيص أعمال الحساب "الحصار الصغير" و "رفع الحجاب"، عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص470.

3 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص509.

4 - نفسه، ص511.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص41-42.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

عرف هذا العلم انتشارا واسعا في أوساط الرستميين، حيث ذكر أبو زكرياء و الشماخي عن الإمام أفلح أنه: "...بلغ في حساب الغبار و النجامة مبلغا عظيما، ضف إلى أخته التي برعت هي الأخرى في الحساب و الفلك و التنجيم¹ و لعل الغبار نسبة للأرقام الغبارية، و سميت كذلك لأن أهل الهند كانوا يأخذون غبارا لطيفا و يبسطونه على لوح من خشب أو غيره و يرسمون عليه الأرقام التي يحتاجون إليها في عملياته الحسائية و معاملاتهم التجارية و هي الأرقام المستعملة اليوم في المغرب العربي² مثل: 0، 1، 2، 3...8، 9 و انتقلت إلى الأندلس و منه دخلت أوروبا، فعرفت فيما بعد بالأرقام العربية³، وقد دونت هذه العلوم في كتب إلى أن عبد الله الشيعي انتقى جملة من هذه الكتب وأحرق ما تبقى منها.

*علم الفلك (التنجيم):

يسميه ابن خلدون بعلم الهيئة و يقول عنه: "و هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة و المتحيرة، و يستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال و أوضاع للأفلاك"⁴، اهتم الرستميون بعلم الفلك و التنجيم بنفس مستوى الإهتمام بالحساب لارتباط أحدهما بالآخر، ونستشف هذا من قول أبي زكرياء عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب، و ذكروا عنه أنه قعد ذات ليلة هو و أخته، فقال لها، هلم نحسب ماذا يذبح في السوق غدا أولا إن شاء الله، فحسب فقال لها أفلح، إن أول ما يذبح في السوق بقرة صفراء، في بطنها عجل ذو غرة في جبهته، فقالت له، صدقت

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص89، كما قيل عن أفلح أنه كان بارزا ذا معرفة شبيهة شاملة... و كان متطلعا جدا في علمي الحساب والفلك على الخصوص، تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص143، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص193.

2 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص374.

3 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص- ص 575-576، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص374، عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص472، لقد عرف أهل المغرب إلى جانب الأرقام الغبارية المستعملة في الترقيم الشرطي، و هي الغالبة في ترميز جداول الأوقاف ببلاد المغرب الأقصى، هناك حساب الحمل تكتب بالحروف الأبجدية و به ترسم الحسابات الفلكية و أحيانا تستعمل في الرياضيات، كما أن الأرقام الرومية هي الأخرى كانت تستعمل في محاسبات الوثائق العدلية بالتركات و تقدير النفقات و أحيانا في تاريخ المنتسحات و ترقيم صفحاتها، الونشريسي: المصدر السابق، ج10، ص142.

4 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص513.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

هي البقرة الصفراء و في بطنها عجل، غير أن الذي رأيته هو طرف ذنبه أبيض تعممه على جبهته، فخلته أبيض الجبهة ذا غرة، وإنما ذلك طرف ذنبه"¹.

و من العوامل الأخرى التي دفعت الرستمين للاهتمام بهذا العلم نذكر:

- العلاقات التجارية المرتبطة بالمسالك و الطرق و رصد مواقع النجوم يسهل عملية الإهتداء إلى الطرق خاصة لتلك القوافل التي تسير ليلا، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾².

- الفروض الدينية المتعلقة برؤية القمر و مصدقا لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾³.

و علاوة على ذلك فإن أهمية علم الفلك من رصد لحركة القمر و التنجيم و الكواكب هو تدبر و تأمل في خلق الله و في ذلك عبادة.

لقد كان بيت الرستمين بيت علم في فنونه من الأصول و الفقه و علم النجوم و غيرها من العلوم حيث ذكر كل من الدرجيني و أبي زكرياء و الشماخي عن أحد أفراد تلك الأسرة: "معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر"⁴.

و يقول أيضا أبو زكرياء عن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن: "و بلغنا أن عبد الوهاب رضي الله عنه سمر ذات ليلة هو و أخوه يتعلما مسائل الفرائض، فلم يصبح عليهما إلا و هما يورثان أهل المشرق و أهل المغرب، و كانا في سمرهما يقدان مصباحا يجعل له عبد الوهاب الفتائل من عمامته حتى أتى عليها"⁵.

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 89.

2 - سورة النحل: الآية 16.

3 - سورة يونس: الآية 5.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 65، الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 56، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 193، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 375.

5 - أبو زكرياء: نفسه، ص 65.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و بالتالي أصبح هذا العلم متوارثا ابتداء من عبد الرحمن بن رستم حيث أن أباه رستم كان عنده من العلم أن ذريته ستلي أرض المغرب¹ إلى آخر إمام و هو يعقوب، فقد كان أيضا متمكنا في الحساب والتنجيم، حيث قال عنه أبو زكرياء: "...أنه نظر إلى الطالع في طريقه ذلك، فالتفت إلى أصحابه، و قال لهم أنه لا يجتمع منكم اثنان إلا إذا كان عليهم الطلب، افترقوا، فقد انقضت أيامكم، و زال ملككم و لا يعود إليكم على يوم القيامة²، و لهذا فعلم النجوم و مواقعها، وحساب الأمور قبل وقوعها، قد عرف ازدهارا و انتشارا في أوساط الأئمة الرستميين، كونه علما يعتمد على قواعد مضبوطة و حسابات مدققة وفكر نير.

رابعا- المرأة و دورها في الحياة العلمية و الفكرية

احتلت المرأة مكانة محترمة في مجتمع بلاد المغرب الأوسط، و خاصة في الدولة الرستمية حيث كانت سواء في البادية أم في المدينة، فكانت المرأة تتمتع بحرية واسعة النفوذ³ كثيرة الإعتناء بالشعائر الدينية وحملته بأمانة، و أنشأت على نهج الأجيال و الخلف الصالح، فقد برز عدد كبير منهن في الفقه و العلم، وإسداد النصائح للرجال.

و قد وصلت درجة العلم حتى الخدم و الإماء و الذي كان عاملا مساعدا في عتقهن و مثال ذلك الأمة السودانية التي تدعى غزالة⁴، هاته التي كانت تخدم مولاها، و بعد نومهم تذهب لتحضر مجلس الذكر عند أبي محمد عبد الله بن الخير⁵.

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص35.

2 - نفسه، ص124، و هذا ما جعل سليمان الباروني يصف الإمام يعقوب بن أفلق بالعلامة، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص358.

3 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص318.

4 - كانت غزالة مالكة لأمر الإمام أبي اليقظان و حشمه، و هي أم لإبنة يوسف المكنى بأبي حاتم يقول عنه ابن الصغير: "أنه كان شابا يجمع الفتيان إلى نفسه، فيطعم و يكسي، و كانت له أم تسمى غزالة و كانت مالكة لأمر أبي يقظان و حشمه، فلما كان في بعض الأعياد و أبو اليقظان حي في قصره و لم يحضر المصلى مع الناس حملته العوام على درقة، و نادى بطاعته، فلما اتصل الخبر بأبي اليقظان قال لأمه احذري يا غزالة، فقد أصبح اليوم ابنك باغيا، ابن الصغير، المصدر السابق، ص89، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص 348-349.

5 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص319.

الباب الثالث ————— الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

و لقد بلغت المرأة درجة ذكاء فائقة، و درجة عالية في الرأي الصائب و السديد، و لعل ما دل على ذلك هو استشارة أبو عبيدة عبد الحميد الحناوي، عجزوا من جبل نفوسة و هذه الأخيرة مشهورة بالعلم والدين في تحمل مقاليد الحكم التي أوكلها إليه الإمام عبد الوهاب في توليه أمور الجبل و الصلاح¹، و قد عرضت عليه القبول و أقامت عليه الحجج²، كما كانت المرأة الرستمية، تشهد المجالس العلمية، و لعل أخت الإمام عبد الوهاب لأحسن دليل، حيث كانا يتعلمان مسائل الفرائض والحساب، فلم يطلع عليهما الفجر إلا و هما قد تعلمهما جميعاً³، كما كان الأمر كذلك بالنسبة لأخت عمروس⁴ بن فتح، التي كان لها دور ثقافي في الدولة الرستمية، حيث كانت تمثل المساعد الرئيسي لأخيها في الاستنساخ لمدونة أبي غانم بشير بن غانم الخرساني، و التي كانت في اثني عشر جزء، و بالتالي كانت المرأة الرستمية فقيهة، أفتت نساء تلك الفترة، و أظهرت دورا بالغا في الحياة الفكرية و العلمية حيث كانت ربة البيت، الفقيهة و الورعة الناضجة.

و مما لا شك فيه بأن اهتمام الرستمين بنشر العلم و التشجيع على طلبه لم يكن قاصرا على الرجال دون النساء إنما كان المجال مفتوحا أمام المرأة، فكسيرا من النساء بلغن منزلة كبيرة في العلم، و في الفقه بوجه خاص حيث اكتسبن سمعة طيبة بين الفقهاء بل إن منهن من كانت في نفس مكانة الرجال في التطلع في الفقه و العلوم الشرعية الأخرى نذكر منهن:

- أم الربيع الوريورية 250هـ/912م: امرأة فاضلة اشتهرت بالعلم و الكرم، ما جعل المشايخ يلجأون إليها للمشاورة و المناقشة العلمية.

1 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص71.

2 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص82.

3 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص163، جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص318.

4 - عاشت في أواخر القرن 3هـ/9م، لم تذكر المصادر إسمها، ساعدت أباها على استنساخ مدونة أبي غانم بشير، حيث كانت تلمي عليه المدونة، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص323، سليمان داود بن يوسف: حلقات تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص61.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممرت

و امرأة أخرى يقال لها زيديت الملوشية، و هي شاعرة يقال أن شعرها نظمتة باللهجة البربرية، لكن للأسف لم نجد أثرا لهذا الشعر¹.

و نختتم هذه المسيرة الثقافية لتيهرت الرستمية خاصة و الدولة الرستمية عامة بما قاله الشماخي عن البيت الرستمي: "و بيت الرستميين احتوى على علوم كثيرة من فقه و إعراب و لغة و فصاحة وعلم نجوم"²، وهذا ما لاحظناه من خلال دراستنا للحياة الثقافية و الفكرية.

1 - مختار سليمان: المرجع السابق، ص84.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص163.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

الفصل الثالث: علاقات المدينتين الثقافية مع خيرهما من مراكز الفكر

المبحث الأول: علاقات القيروان الثقافية

إن القيروان بحكم وضعيتها كمدينة عربية اسلامية و بحكم موقعها الجغرافي ظلت طيلة قرون عديدة همزة وصل بين المشرق و المغرب بين المتوسط و افريقيا بحكم وجودها كمنطقة عبور ضمن شبكة الطرق التجارية القادمة من الجنوب، و نظرا للازدهار التجاري الذي تمثل في سهولة عبور البضائع و الأشخاص بين أنحاء العالم الاسلامي، فإن القيروان المدينة النموذج لم تكن معزولة عن العالم، و على العكس من ذلك، ظلت مدينة متفتحة على التأثيرات القادمة من الشرق، كما كانت المدينة محطة لرحلات التجارة والحج من الأندلس و المغرب صوب المشرق، كل هذه العوامل جعلت القيروان تربط علاقات ثقافية بأطراف عديدة كالمشرق و الأندلس و شمال افريقيا و صقلية و المغرب الاسلامي.

1- العلاقة مع المشرق:

بحكم اعتبارات سياسية تاريخية و عسكرية، فإن صلة القيروان بالمشرق كانت متينة أكثر من أي مدينة أخرى في المغرب الاسلامي، فالقيروان تأسست و تمصرت على يد و بفضل القادمين من المشرق، و حكمت عن طريق ولاة قدموا من المشرق، و كانت رغم بعدها الجغرافي مدينة مشرقية كالقوفة و البصرة مدينة هجرة ضمت العرب المقاتلة و مقر الولاية و مركز قرار عسكري و إداري وسياسي¹.

فتأسيس المدينة و ازدهارها العمراني و بروز دورها الثقافي مدين للذين قدموا من المشرق بأنماط عيش و تناقضات و اختلافات على جميع الأصعدة، و كانت المدينة مرآة عكست كل أنواع التطورات المعرفية والثقافية و السياسية التي نشأت بالمشرق و تحولت إلى القيروان.

و هذا ما يؤكد وجود علاقات متينة على الصعيد الثقافي و الفكري بين المشرق و القيروان،

فما هي مظاهر هذه العلاقات الثقافية بينهما؟

1- حبيب الجناحي: المغرب الاسلامي، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، تونس، 1978، ص23.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

إن المظاهر الأولى المبرزة للعلاقات الثنائية، كانت على المستوى الرسمي منذ وقت مبكر، من خلال توافد العلماء على البلاطات في عهدي الولاة و الأغالبة، حيث قدم الولاة الذين تميزوا بنشاط علمي وثقافي مثل عبيد الله بن الحبحاب، و صارت القيروان في العصر المهلي مع يزيد بن حاتم¹ مركزا يستقطب الشعراء و اللغويين المشاركة الذين قدموا للمدينة و ساهموا في نشر الثقافة العربية، و منهم رجال و علماء اللغة من كوفيين و بصريين و شعراء قدموا لمدح يزيد بن حاتم².

استمرار العلاقة الثقافية بين القيروان و بغداد من خلال تأسيس بيت الحكمة القيرواني على غرار ما أنجزه العباسيون كما ذكرنا سابقا.

إلى جانب العلاقة بين الاعتزال كمذهب رسمي للدولة العباسية و علاقة ذلك بالبلاط المهلي، و كذا الموقف من المذهب الحنفي إذ نجد فقيها حنفيا يتولى قضاء بغداد و هو أبو يوسف صاحب كتاب الخراج، كما تسرب الفقه الحنفي إلى البلاط المهلي بإشارة من أبي يوسف على المهليين بتعيين ابن فروخ قاضيا للقيروان³، كما أن الأمير الأغلي حسب المالكي كان ملزما بطاعة الخليفة و حمايته عسكريا إضافة أنه كان مطالبا بالدعاية و نشر المذهب⁴، حيث انتشر المذهب المعتزلي في افريقية بداية من خلافة المأمون، و أول قاض يقول بخلق القرآن كان أبو محرز في ربيع الثاني سنة 190هـ/ 806م⁵.

تدعيم العلاقات الثقافية بين دمشق و القيروان عن طريق بعثة الفقهاء العشرة في فترة تميزت بتسرب التيارات المعارضة من خوارج و شيعة⁶.

-
- 1- و كان كاتباً بليغاً، و حافظاً لأيام العرب و أشعارها و وقائعها و أخبارها و كان يقول الشعر، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 133، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج 1، ص 51، النويري: المصدر السابق، ج 22، ص 15.
 - 2- ابن عذارى: نفسه، ج 1، ص 79، محمد سعيد: الحياة العلمية، المرجع السابق، ص - ص 142 - 228.
 - 3- حسن حسيني عبد الوهاب: ورقات، المرجع السابق، ج 1، ص 133.
 - 4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 221.
 - 5- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص 367، أحمد الأنور: المرجع السابق، ج 1، ص 507.
 - 6- محمد سعيد: الحياة العلمية، المرجع السابق، ص 228.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

توطد العلاقات بتعدد رحلة رجال التعليم و الشريعة من القيروان إلى المشرق للحج أو طلبا للعلم¹ كما أشرنا إلى ذلك، و كان تأثير المشرق واضحا على الفقه و الأدب فحسب، بل تعداه إلى علم الطب الذي أدخل في عهد الأغالبة بفضل استدعاء إسحاق بن عمران الذي كان له فضل كبير في إدخال الفلسفة و الطب إلى القيروان².

استمرار العلاقات بين القيروان و المشرق عندما فصل الكثير من المشاركة الاستقرار بالقيروان، فقد أشارت كتب التراجم و الطبقات إلى العديد من أسماء الذين توافدوا من المشرق و سكنوا القيروان نذكر منهم علي بن يونس الليثي الذي سمع من مالك و مروان بن عبد الرحمن اليحصبي الذي كان ناسكا، و كان قد قدم افريقية و كان قد أحرزها هنا غير ما فاسدة إذا بلغه عن المرأة أنها فاسدة تزوجها فاحصنها التماسا للثواب³، و كان أيضا دخل القيروان عبد الله بن يزيد المقرئ سنة 156هـ في تجارة، و قد كان يسكن مكة⁴.

و الملاحظة الهامة في هؤلاء العلماء الذين قدموا إلى القيروان هي تنوع أصولهم، فنجد الحجازي والكوفي و البصري و المصري و الشامي، منهم أبو البشير زيد بن بشير الأزدي المصري⁵، و مصري آخر قدم القيروان و اسمه عبد العزيز بن يحيى الرعيني⁶، و آخر من البصرة و هو محمد بن بطام الضبي⁷، و قدم محمد بن موسى الطرسوسي من الشام ليستقر بالقيروان⁸.

تميزت العلاقات الثقافية بين القيروان و المشرق أيضا عن طريق المراسلات، فهذا ابن فروخ بكتب إلى مالك رسالة يخبره فيها بانتشار البدع و أنه ألف كلاما في الرد على أصحابها، و قد أجابه

1- ابن سحنون: آداب المعلمين، المصدر السابق، ص41.

2- أبو داوود سليمان: المصدر السابق، ص- ص 84- 86، محمد سويس: المرجع السابق، ص68.

3- أبو العرب : الطبقات، المصدر السابق، ص- ص 154- 155.

4- نفسه، ص161.

5- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ج1، ص390.

6- نفسه، ج1، ص167.

7- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص384.

8- أبو العرب: المصدر السابق، ص130.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

مالك: إنك إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تذلل أو تهلك أو نحو ذلك، لا يرد عليهم إلا من كان عالما ضابطا عارفا بما يقول لهم¹.

كما ارتبطت مدرسة القيروان الفقهية منذ بدايتها بمدرسة الفسطاط الفقهية، و التي كانت أكثر ازدهارا من الأولى بفضل تنافس الفقهاء و اجتهادهم مما ساعد على اجتذاب فقهاء القيروان وعلمائها طلبا للعلم و الدراسة، مثل أسد بن الفرات و سحنون و غيرها من مشاهير فقهاء القيروان و علمائها، و نتج عن ذلك ازدهار مدرسة المالكية بالقيروان و أصبحت من أشهر مدارس الفقه المالكي في العالم الاسلامي بعد الفسطاط²

إذن هذه بعض مظاهر العلاقات الثقافية التي ربطت القيروان بأمصاير المشرق الاسلامي، هذه العلاقة التي انطلقت مع تأسيس المدينة و استمرت و تدعمت إلى نهاية العصر الأغلبي، و يذكر محمد الطالبي الذي اعتمد على دراسة للمستشرق الأمريكي GIBB أن إمارة الأغالبة ظلت متصلة بالعباسيين حتى بعد سقوطها حيث التجأ زيادة الله الثالث إلى الخلفاء العباسيين حينما فر من افريقية³، خلال الفترة المحددة، و كانت مظاهر العلاقة مجسدة في قدوم المشاركة من القرن الأول إلى القرن الثالث سواء بصورة رسمية ضمن الجند أو البعثات الثقيفية أو بصورة اختيارية، و كذلك كانت رحلة القيروانيين مظها هاما من مظاهر هذه العلاقة إلى جانب المراسلات التي كانت قائمة بين علماء القيروان و مشايخهم المشاركة، هذه العلاقة التي استفادت كثيرا من عملي التجارة و فريضة الحج.

1- أبو العرب : المصدر السابق، ص166.

2- سيد اسماعيل الكاشف: مصر في عصر الولاة، القاهرة، 1950، ص181، ابراهيم القادري بوتشيش: دور علماء المغرب والأندلس في تدعيم المذهب المالكي بالمغرب الاسلامي، مجلة الأحمديّة، العدد 20، دبي، يونيو 2005، ص- ص 213-254.

3- ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص176، محمد الطالبي : الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص- ص 367-376، Gibb HAMILTON, A.R, studies on the civilisation of Islam, edeted by stanford j.shard and william R, pork london 1969, p-p 151- 165.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

2- العلاقة مع المغربين الأوسط و الأقصى:

لقد تميزت الحدود الغربية الافريقية بسيطرة المذهبين المعارضين للسنة سياسيا و إيديولوجيا وعقائديا و نعني بهذا انتشار المذهب الخارجي بتيهرت، و المذهب الشيعي بفاس، فهل كان لذلك تأثير على وضع العلاقات و الروابط الثقافية بين القيروان و المغربين الأوسط و الأقصى؟

أ- العلاقة بين القيروان و المغرب الأوسط (تيهت):

تميزت العلاقات بين المدينتين في البداية بالتوتر و كان الصراع من أجل البقاء حاسما في تاريخ الخوارج الذين انسحبوا من القيروان بعد اصدار الجند العباسي على المحافظة على القيروان لفائدة العباسيين¹، و نلاحظ أن علاقة قرطبة بتيهرت كانت متينة و ذلك في إطار حلف ضد الأغلبة ممثلي النفوذ العباسي، ورغم ذلك فإن العلاقة بين القيروان و تيهرت لم تكن دائما متوترة بل أن المصالح الاقتصادية و لا سيما ميدان التجارة الخارجية لم تخضع كثيرا للعوامل السياسية و الإيديولوجية²، ولكن ما يجب ملاحظته أن المغرب الأوسط و خاصة مدينة تيهرت و نظرا لهذه الظروف التاريخية السياسية، لم تكن علاقتها الثقافية بالقيروان في نفس الدرجة من الأهمية التي كانت تربط قرطبة بالعاصمة الافريقية إذا ما قارنا العدد من العلماء الذين توافدوا على القيروان أو خرجوا منها سواء من الأندلس أو المغرب الأوسط فإن ما نلاحظه هو قلة عدد الذين قدموا إلى القيروان من المغرب الأوسط مقارنة بالأندلس و المشاركة، و لكن ذلك على كل حال يكفي للدلالة على وجود علاقة ثقافية بين القيروان و تيهرت، و يذكر أبو العرب أن اسحاق الملشوني و أباه عبد الملك هما من ملشون، قرية للعجم بتهودة.

و يذكر أبو العرب أن اسحاق و هو الابن كان يسمع من سحنون و اسحاق هذا كان من رواة الأخبار، و كان يقضي رمضان عند بني الأغلب، يحدثهم بتلك العجائب³، و لنا بعض الأسماء لعلماء قدموا إلى القيروان من المغرب الأوسط: أبو جعفر أحمد بن نصر الهواري الذي كان عالما

1- حبيب الجنحاني: المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص 129-130.

2- نفسه، ص 102-103.

3- نفسه، ص 129-130.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

بالفرائض و الوثائق و يكتب و يحسب¹، و كذلك نجد محمد بن محبوب الزناتي الذي كان جليسا لابن طالب و كان جيد المناظرة حسن القريحة²، و لنا عالم آخر يعرف سحنون فضله هو مروان بن شحمة المسيلي الافريقي³، ولعل أشهر شخص من المغرب الأوسط كان يرتاد القيروان هو بكر بن حماد الزناتي الذي سمع بافريقية من سحنون⁴، و انتقل إلى المشرق و دخل البصرة و بغداد و قد ذاع صيته بالمشرق و مدح الخليفة المعتصم⁵، و يتميز بكر بن حماد بشعر تطغى عليه الزهديات سيما تلك التي نجدها في شعر أبي العتاهية، و قد عاد إلى تيهرت في سنة 296هـ، بعد فترة طويلة قضاه في المشرق و القيروان التي كان يرتادها من حين إلى آخر إلى أن فر منها خوفا من بطش الأمير الأغلي ابراهيم بن أحمد⁶.

ب- العلاقة الثقافية بين القيروان و المغرب الأقصى:

إن العلاقة بن القيروان و فاس رغم الجفاء لا تخلو من بعض المظاهر، فإن المؤسس لمدينة فاس نجح في استمالة عدد كبير من أهل القيروان الذين غادروها و استقروا في العاصمة الجديدة، و قد كان لهم حي خاص بهم يسمى "عدوة القرويين"⁷. و يمكن الإشارة إلى هجرة بعض أهالي القيروان مثل محمد بن عبد الله الفهري الذي شيدت ابنتاه فاطمة و مريم مسجدين: فاطمة جامع القرويين سنة 245هـ، و مريم جامع الأندلس سنة 245هـ، و ذلك من ميراث أبيهما⁸.

1- أبو العرب: المصدر السابق، ص 180 - 181.

2- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ج1، ص366.

3- نفسه، ص401.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص392.

5- نفسه، ج2، ص21.

6- رابع بونار: المرجع السابق، ص121.

7- محمد سعيد : الحياة العلمية، المرجع السابق، ص243.

8- اسماعيل العربي: دولة الأدارسة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 130 - 131.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

و من جهة أخرى يذكر القاضي عياض اسم شخص أصله من سجلماسة عاصمة المداريين الخوارج، هو حماد بن يحيى السجلماسي الأصل، و عداده في أهل القيروان، و هو أول من قدم بفقته ابن الماجشون إلى القيروان، و قد سمع من سحنون و سمع منه عامة أصحاب سحنون¹.

3- العلاقات الثقافية مع الأندلس:

إن العلاقة بن القيروان و الشمال الافريقية تعود إلى الفتح، فوالي القيروان هو الذي فتح الأندلس، ورغم التوتر السياسي فإن المؤلففة الودية بين أهل الأندلس و أهل القيروان قد أسفرت عن تلاقح ثقافي بارز الأثر، و رغم العلاقة التي كانت تربط تيهرت بقرطبة فإن أهل الأندلس لم يتجنبوا القيروان و هي مرحلة ضرورية في طريق المشرق ذهابا و غيابا، خاصة خلال القرن الثالث الهجري أزهى عصور الرحلة²، و قبل أن يذهب أندلسي إلى المشرق لا بد أن يعرج على القيروان و يسمع من رجالها سواء كان متجها إلى المشرق بقصد الحج أو متجها بقصد الدراسة³.

و نظرا لهذه العوامل فقد نشأت علاقة متينة بين القيروان و أهل الأندلس رغم الجفاء السياسي بين قرطبة و القيروان بحكم طبيعة التحالفات التي تربط القيروان بالعباسيين و ما ينجر عن ذلك من تأثير على مصالح الأمويين بقرطبة، و من مظاهر هذه العلاقة الثقافية بين القيروان والأندلس انتشار المذهب المالكي بكل من القيروان و الأندلس، إلى جانب تواجد جالية أندلسية كثيرة بالقيروان كما تشير إلى ذلك كتب التراجم.

و بالنسبة إلى المستوى الأول من العلاقة الثقافية بين الأندلس و القيروان و كذلك انتشار المذهب المالكي بين أهل الأندلس و أهل القيروان نستعرض رأي ابن خلدون: "أما مالك رحمه الله فاختص بمذهبه أهل المغرب و الأندلس، و إن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، بما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز و هو منتهى سفرهم و المدينة يومئذ دار العلم و منها

1- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص146.

2- محمد سعيد : الحياة العلمية، المرجع السابق، ص232.

3- محمد العروسي المطوي: سيرة القيروان، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس، 1981، ص 77- 78.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

خرج إلى العراق و لم يكن العراق في طريقهم فاقترضوا على الأخذ من علماء المدينة و شيخهم يومئذ مالك فرجع إليه أهل الأندلس وقلدوه¹.

لقد ساهم الإمام سحنون بقسط كبير في العلاقة مع الأندلس من خلال مدونته، و هذا ما نستشفه من رواية المالكي: "و أتى قوم من الأندلسيين قد كتبوا المدونة و أرادوا أن يسمعوها من سحنون، فقال لهم إني مشغول، فقال له شاب منهم: إنا قد كتبناها فما نصنع بها؟ لئن لم تسمعناها لطرناحا في هذا الغدير..."²، و في مجال آخر يتحدث المالكي عن رجل أندلسي كان يسمع من سحنون يقال له ابراهيم بن لبيب³.

و يذكر عياض خيرا آخر عن بعض الأندلسيين الذين كانوا يقرأون على سحنون بعض الكتب، وقد عاتبهم سحنون على أخذهم عن بعض العلماء، فقال: "يا أهل الأندلس أما تبالون عمن تأخذون دينكم؟"⁴، و كان سحنون محل إعجاب أهل الأندلس إذ روى عياض عن أحدهم، قال ابن عجلان الأندلسي: ما بورك أحد بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ما بورك لسحنون في أصحابه - إنهم بكل بلد أئمة⁵.

إن القيروان إضافة إلى كونها محطة في طريق الحج و التجارة، كانت أول مركز علمي استقطبت عددا كبيرا من الجالية الأندلسية و منهم عبد الله بن فروخ الفارسي أشهر فقهاء القيروان، ولد بالأندلس و يعتبر من شيوخ افريقية⁶، و فقيه آخر هو يحيى بن عمر و هو أندلسي من أهل جيان سكن القيروان و استوطن سوسة، و قد نشأ بقرطبة و كان قد سمع من سحنون و يعتبر من بني الذين

1- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص356.

2- المالكي : الرياض، المصدر السابق، ص369.

3- نفسه، ص368.

4- القاضي عياض : المدارك، المصدر السابق، ص125.

5- نفسه، ص 120.

6- أبو العرب : المصدر السابق، ص107، محمد سعيد: المرجع السابق، ص233.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

ألفوا كتبا كثيرة في الفقه والرود على مرجئة و الشافعية، و يعتبر يحيى بن عمر أيضا من العلماء الموسوعين بمصطلح ذلك العصر فهو فقيه و شاعر أيضا، و من أشد المدافعين عن المذهب المالكي¹.

و لنا مثال آخر لعالم أندلسي هو أبو زكرياء الهرقلي، و أصله من الأندلس، و كان صاحباً لسحنون لا يكاد يفارقه جلوسا و حديثاً، فلما ولي القضاء ترك مجالسته و صد عنه².

و لا يمكن أن نحصر عدد الأندلسيين من أهل العلم خاصة الذين قدموا القيروان و استقروا بها أو غادروها إلى المشرق أو إلى غيرها من مدن افريقية، و ما وجود أسماء بارزة لعلماء أندلسيين داخل القيروان إلا دليل على أهمية العلاقة التي كانت تربط الأندلس بالقيروان، و لكن لا ننسى أيضا أن نشير إلى رحيل أهل القيروان إلى الأندلس في القرن الثالث، فهذا محمد بن هشام بن الليث اليحصبي تحول إلى الأندلس، ويقول عنه عياض: "قيرواني سكن قرطبة و أخذ عنه بها روى يحيى بن عمر من مشائخ القيروان و ولاه القاضي ابن أبي عيسى بقرطبة الأحباس فأحسن القيام بها"³.

و هذه الرواية لعياض تبرز مدى الاشعاع الثقافي الذي كان للقيروان خاصة خلال القرن الثالث، فالقيرواني يحظى بالاحترام و التبجيل داخل بلاد الأندلس و تسند إليه بعض الوظائف الهامة كما رأينا.

إن القيروان ظلت مركزاً ثقافياً أثر على الحياة الثقافية بالأندلس من الناحية الفقهية على الأقل بتبني الأندلس للمذهب المالكي الذي أدخله القيروانيون إلى المغرب الاسلامي.

4- العلاقة الثقافية مع صقلية:

إن هذه الجزيرة ظلت منذ بداية الفتوحات و حتى قبل تأسيس القيروان هدفاً لطموحات قادة الفتح العربي منذ معاوية بن حديج⁴، و منذ ذلك التاريخ إلى حملة أسد بن الفرات كانت صقلية

1- القاضي عياض : المدارك، المصدر السابق، ص107.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص415.

3- القاضي عياض : المدارك، المصدر السابق، ص413.

4- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص183.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

تعرض بين الحين و الآخر إلى غزوات حكام القيروان لأنها كانت مغنا كبيرا و هذا ما ذكره بن عذارى: "إن بشر بن صفوان غزا بنفسه صقلية فأصاب منها سببا كثيرا و قفل إلى القيروان"¹.

فإلى جانب العامل السياسي الذي جعل من صقلية امتدادا للفضاء القيرواني² أكثر من أي مكان خارج حدود افريقية، فإن العوامل الجغرافية قد دعمت هذه العلاقة، و يبدو أن علاقة صقلية بافريقية كانت متينة كما نستخلص من كلام أسد بن الفرات خلال تحريض مقاتليه على الصمود قائلا لهم: "هؤلاء عجم الساحل هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم" و معنى قول أسد هؤلاء عجم الساحل يعني الذين كانوا هربوا من الساحل لما فتحت افريقية³.

هذه العوامل سيكون لها تأثير على مصير العلاقة الثقافية بين الجزيرة و العاصمة الافريقية إضافة إلى هجرة أهل الساحل العجم تواصلت بعد الحملة الأخيرة حركة هجرة نحو الجزيرة خاصة ارساليات الجند، وكذلك كان الأدباء و الشعراء من الصقليين و الافريقيين كانوا ينتقلون بين بلاط القيروان و بلاط بلزم ومازر⁴.

و لعل أبرز مظاهر العلاقة الثقافية التي تربط صقلية بالقيروان تلك التي بدأت مع الحملة ذاتها، هذه الحملة التي اكتست طابعا خاصا من خلال قيادة القاضي الفقيه أسد بن الفرات لها و هو القاضي الأمير، و لم تجتمع الإمارة و القضاء لأحد ببلد افريقية إلا لأسد⁵، و إلى جانب دور أسد كقاض و فقيه نلاحظ رحيل بعض العلماء إلى صقلية خاصة لتولي منصب القضاء مثلما هو الشأن بالنسبة إلى سليمان بن سالم القطان الملقب بأبي الربيع، و هو من أصحاب سحنون، و قد سمع منه و كان ثقة كثير الكتب و الشيوخ، له تأليف في الفقه، و ولاه بن طالب قضاء باجة، و ولاه بن

1- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص49.

2- فقد استمرت جزيرة صقلية بعد عملية الحاقها بالقيروان خاضعة و تابعة لحكام القيروان حتى بعد انقراض الحكم الأغلي،

محمد سعيد: الحياة العلمية، المرجع السابق، ص234.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص272.

4- محمد العروسي المطوي : المرجع السابق، ص42.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص271.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

مسكين مظالم القيروان ثم ولاه قضاء صقلية فخرج إليها و نشر بها علما كثيرا و كان خروجه إليها سنة 281هـ/ 894م¹.

و يستفاد من هذا أن حملة العلم من القيروان كانوا يقصدون الجزيرة للأسباب التي ذكرت و من أبرز مظاهر تأثير الثقافة القيروانية في صقلية انتشار المذهب المالكي، يقول عياض عن سليمان القطان المذكور آنفا: "و عنه انتشر مذهب مالك بها"²، و عبد الله بن سهل القبرياني الذي كان عالما بالمذهب حسن الحفظ جيد القراءة، و كان سحنون قد ولاه قضاء صقلية³.

و نضيف إليهم محمد بن نصر بن حزم و هو من فقهاء القيروان و من أصحاب سحنون، كان بن سحنون يتعلم منه و كان فقيها نظارا ذا جدل، و يقال أنه كان معلم بن سحنون النظر و توفي بصقلية⁴.

و ممن وفد من صقلية إلى القيروان، يذكر المالكي شخصا اسمه أبو الحسن الصقلي الجزيري و يصفه بأنه كان من خيار الناس⁵.

لقد تولى إمارة صقلية العديد من شعراء القيروان و أدبائها نذكر منهم:

أحمد بن سودة التميمي: و هو من شعراء القيروان و أدبائها⁶.

مجبر بن سفيان: و هو الآخر شاعر، أبلى في الجهاد و له قصائد يصف فيها حالته عندما وقع في الأسر: ألا ليت شعري ما الذي فعل الدهر *** باخواننا بالقيروان و يا قصر⁷

1- القاضي عياض: المدارك، المصدر السابق، ص261.

2- نفسه، ص نفسها.

3- نفسه ص 158.

4- القاضي عياض: المصدر السابق، ص201.

5- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص204.

6- محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص49، محمد سعيد: المرجع السابق، ص238.

7- محمد سعيد: نفسه، ص نفسها.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

أبو سعيد بن غورك: الأديب اللغوي الذي اصطحبه معه أبو الأغلب (ابن أخ زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب) لما تولى إمارة صقلية، و كان بن غورك أعلم من المهري بالقيروان و بحدود النحو و أعلم باللغة والشعر¹.

و الملاحظة التي نستنتجها من خلال دراستنا لعلاقة القيروان مع صقلية، هو أنها استمرت وظلت وطيدة حتى بعد ذهاب حكم بني الأغلب، و نشير إلى أن أديب القيروان المشهود ابن رشيد قد توفي بصقلية² إلى جانب ترجمة كتب الطب التي ألفها القيروانيون بمدارس صقلية في فترة لاحقة³. هذه إذن مظاهر إشعاع القيروان و علاقتها الثقافية مع الأندلس و صقلية كجزء أوروبي من العالم الاسلامي.

و بعد استعراضنا للروابط الثقافية بين القيروان و المشرق و المغرب الاسلاميين و الأندلس و صقلية، نستنتج النقاط التالية:

- إن القيروان حافظت على علاقة ثقافية وطيدة مع المشرق و لعل المعطيات السياسية و الاقتصادية ساهمت في دعم هذه العلاقة، فالتجارة و الحج و الرحلة العلمية كلها عوامل جعلت المدينة ترتبط بالمشرق أكثر من غيره من الأقطار.

- إن امتداد اشعاع القيروان إلى ما وراء البحر كان واضحا في علاقتها مع صقلية، و كذلك بلاد الأندلس برغم اختلاف المصالح السياسية بين حكام الأندلس و حكام القيروان.

- إن القيروان كانت رغم الاختلاف مع المغربيين مذهبيا مشعة و لو بدرجة أقل مقارنة مع الأندلس.

- إن ما يميز العلاقة الثقافية مع المشرق هو أن القيروان ظلت مستوردة للتأثيرات الثقافية المشرقية منذ تأسست إلى نهاية القرن الثالث و حتى أكثر من ذلك.

- بروز أهمية مدينة القيروان من الناحية الثقافية و خاصة خلال العهد الأغلبي، فالمؤسسات التعليمية والثقافية كانت دعائم هامة في تنشيط حركة العلوم و الثقافة.

1- الزبيدي: المصدر السابق، ص 254.

2- محمد العروسي: المرجع السابق، ص 54.

3- نفسه، ص 57.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

- إن المستوى الثقافي الذي وصلت إليه القيروان يبرز لنا بدون شك الحركة التي كانت عليها الثقافة داخل القيروان من خلال تأثير العلماء في الحياة العامة و من خلال الصراعات الفكرية و المذهبية بين العلماء، كل ذلك ليس إلا دليلا واضحا على الأوضاع العامة للثقافة داخل المدينة التي لم تكن منعزلة عما يحدث في المشرق أو دون أن يكون لمدينة القيروان اشعاع محلي و مغربي بل أن اشعاع القيروان بلغ الأندلس و صقلية.

المبحث الثاني: تيهرت و علاقاتها الثقافية

و لعل الغاية المتوخاة من هذا البحث هو إعطاء الوجه الحقيقي لتلك العلاقة التي كانت تربط بين تيهرت و المراكز الفكرية في المغرب الإسلامي مع ذكر نماذج لبعض العلماء الذين كان لهم صيت في هذا المجال الحيوي، و الذين كانت لهم رحلات علمية إلى مراكز الفكر المختلفة على حسب ذكر خالد بلعربي الذي يقول أن هذه الرحلات شدت إلى هذه الأماكن في سبيل طلب العلم و الاستزادة منه، سواء من تيهرت أو إليها فكانت الصلة قوية بين تيهرت وغيرها من مراكز الفكر¹، و يضيف قائلاً أن تيهرت "عراق المغرب" تعد إحدى معاقل الفكر الإسلامي في القارة الإفريقية، بل امتدت إلى جزر البحر المتوسط وأوروبا². وبالتالي حدوث تقارب ثقافي و اجتماعي، و ربما عسكري وسياسي، و كذا اقتصادي وحضاري بين تيهرت الرستمية وعدة دول أخرى، تدفعهم مصالح متباينة³، و منه كانت لتيهرت علاقات ثقافية، خاصة مع بلدان المغرب و الأندلس و كذا مع بلاد السودان و بلدان المشرق العربي⁴ ونذكر منها:

1- خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 252، العلاقات الثقافية بين تيهرت و مراكز الفكر في المغرب الإسلامي حتى القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، مجلة القضاء المغربي، العدد الثاني، خاص بالملتقى الوطني الثاني مخبر الدراسات الأدبية والنقدية في المغرب العربي، تلمسان 2004، ص 252.

2- خالد بلعربي: نفسه، ص 252.

3- عبد العزيز فيلاي: العلاقات بين الدولة الأموية، المرجع السابق، ص 96.

4- مهنا السعدي: الموقع الإلكتروني السابق.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

أولاً - علاقة تيهرت مع دول المغرب الإسلامي

مما لا شك فيه أن تيهرت تعد مركز إشعاع قوي للإباضية، بحكم مركزها المتوسط في بلاد المغرب، حيث كانت تربط بين عواصم المغرب بعضها ببعض و مما سهل ذلك هو طرق التجارة، حيث كانت تحمل معالم الثقافة في بضائعها، و في رحال التجار و كثيرا ما كان ينتقل العلماء مع قوافل التجارة و غالبا ما يمتهن العلماء هذه الحرفة، و منه فقد واكبت التجارة، الحياة الفكرية. إن وجود القيروانيين في تيهرت ساهم في تفعيل الحركة العلمية و ذلك عن طريق مساجدهم، و ما كانوا يقومون به من مناظرات مع علماء الإباضية و الكوفة و البصرة¹.

كانت تربط تيهرت بالقيروان علاقات ثقافية، و مما يدل على ذلك وجود شخصية يوسف الفتاح، الذي درس بتيهرت، وانتقل إلى القيروان ليعلم إباضيها ما كان قد أخذه من العاصمة الرستمية، و قد توفي سنة 260هـ²، لقد كانت القيروان مثابة للإباضيين الواردين من مختلف بقاع المغرب، ليعلم العربية و آدابها و التعلم بيت الحكمة للتفقه في الدين، و تعلم العربية، و من طلبه العلم الذين وفدوا إلى القيروان من تيهرت بكر بن حماد التيهرتي الذي ولد و نشأ في تيهرت ثم رحل إلى القيروان و منها إلى المشرق لطلب العلم 217 هـ/832³.

أ - **علاقة تيهرت بالأدراسة:** تمثل دولة الأدراسة⁴ الجار الغربي لدولة الرستمين، و يمكن القول أن علاقة الرستمين بالأدراسة ابتدأت بدخول إدريس بن عبد الله أرض المغرب، فقد ذكر بعض المؤرخين أنه سار من مكة إلى إفريقية و منها تلمسان، ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى، و قد سبقت الإشارة إلى

1- محمد الطمار: الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص 93.

2- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 383.

3- إبراهيم بحاز: نفسه، ص 384، جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 112، يقول الدباغ أنه: "سمع من سحنون... ثم رحل إلى البصرة"، ينظر، الدباغ: المصدر السابق، ج 2، ص 281.

4- تضم دولة الأدراسة لإقليم المغرب الأقصى بأعمه، و هذا الإقليم يحده من الشرق وادي ملوية و جبال تازة و هما يمثلان خط حدود مع الدولة الرستمية، أما حدها من جهة الغرب، فالبحر المحيط و من الشمال بحر الروم و من الجنوب جبال درن و مؤسس هذه الدولة هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، و دولة الأدراسة دولة علوية من النوع المعتدل الذي يتقرب مع أهل السنة و لذا أطلق عليها بن عذارى إسم الدولة الهاشمية، ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 82.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

أن تيهرت تقع على الطريق الرابط بين إفريقية و فاس، و هذا يعني أن إدريس قد مر بتيهرت، و كان أصحاب تيهرت قد سبقت لهم معرفته حيث أنه نزل بين ظهرانهم سنة 169هـ/785م، و مع هذا فإن الإباضيين في تيهرت لم يتعرضوا له بسوء، بل على العكس رغم نسبه العلوي، و بما كان ذلك مروره صادف انتشار الفوضى في تيهرت، و لأنه ثار على الخلافة، و المهم في الأمر أنه اجتاز بسلام فحفض لهم ذلك و انعكس على موقفه منهم¹، و هذا ما ذكره الطبري أن إدريس لحق بتيهرت من بلاد المغرب فلجأ إليها فأعظموه².

و كان مرور إدريس في تيهرت فرصة ذات أهمية سمحت له أن يطلع على تجربة الرستمية وتأسيس دولة على أرض المغرب، فقد لاحظ أنه في وحدانيته يشبه عبد الرحمن بن رستم الفارسي، ورأى تشابهما في الهدف، فكلاهما كان يسعى لإقامة قبائل بربرية تائرة على الخلافة، فاستفاد إدريس من الأساليب السياسية التي اعتمدها الرستميون.

إن قرب دولة الأدارسة من أهل السنة جعلها قريبة في ميولها السياسية من الرستميين أصحاب المذهب الإباضي الأقرب هو الآخر إلى مذهب أهل السنة، ومن ثم لم تكن هناك خلافات مذهبية حادة بينهما، وتدعمت علاقة حسن الجوار لما كان يجمع بينهما من موقف العداء المشترك نحو الدولة العباسية، حيث أصبح لكا منهما كيانهما المستقل بعيدا عن سلطة الخلافة العباسية و ولائها³.

1- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص182، و يذكر ابن خلدون: "...و لحق إدريس بالمغرب الأقصى... و نزل بوليبي وأجمع البرابرة على القيام بدعوته... و احتدمت عليه زواغة و لواتة و مدراتة و غيائة و نفرة و مكناسة و غمارة و كافة البربر بالمغرب، فبايعوه وقاموا بأمره... ثم زحف إلى تلمسان و بدل لسائر زناتة الأمان فأمكنه من قياد البلد... و أما سليمان اخوه الأكبر ففر غلى المغرب أيام العباسيين و لحق بجهات تاهرت بعد مهلك أخيه إدريس، و لحق بتلمسان فملكها، و أذعنت له زناتة و سائر قبائل البربر هنالك..."، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م1، ص- ص 1428-1432

2- الطبري: تاريخ الأمم و الملوك، المصدر السابق، ج6، ص106.

3- بلخير ليبدري: العلاقات السياسية بين الدولة الرستمية و دول المغرب خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، مجلة المقتطف المصري التاريخية، السنة الثانية، العدد الخامس، جوان 2010، ص39، Gautier :op.cit, p31.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

لقد فتح الرستميون أبواب دولتهم لكثير من العلويين الفارين من العباسيين و سمحت لهم بالعيش في المناطق المنتشرة حول تلمسان، و بعضهم عاشوا في تيهرت و استقروا بها حتى بعد انقراض الدولة الرستمية في القرن 4هـ / 10م¹.

كما كانت لتيهرت علاقة بالأدارة ثقافيا حيث يقول الشاعر بكر بن حماد الذي مدح حكاما أدارسة قائلا:

إني لمشتاق إليك و إنما يسمو العقاب إذا سما بقوادم

فابعث إلي بموكب أسمو به علي أكون عليك أول قادم

و أعلم بأنك لن تنال محبة ألا ببعض الملابس و الدراهم²

و بحكم أن دولة الأدارة علوية من النوع المعتدل الذي تقترب آراؤه من أهل السنة، فهي سياسيا وفكريا قريبة من الرستمين أصحاب المذهب الإباضي، لذا رسم الرستميون سياستهم مع الأدارة على أساس حسن الجوار المتبادل بينهما باستثناء بعض الفترات³.

ب- علاقة تيهرت بسجلماسة: قامت إلى الجنوب الغربي لحدود الدولة الرستمية دولة بني مدرار في سجلماسة، تلك الدولة التي تربط مع الرستمين بأوثق الروابط، و قد قامت دولة سجلماسة سنة 140هـ/757م⁴ على أساس المذهب الصفري، و ذكر بعضهم أن تأسيس سجلماسة يرجع

1- بلخير ليبدري : المرجع السابق، ص 39.

2- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 236.

3- نفسه، ص 40.

4- كان أبو القاسم سمغون بن واسول المكناسي صاحب ماشية كثيرة ينتجع لها موضع سجلماسة و يتردد إليها، فاجتمع قوم من الصفرية على أبي قاسم و سكنوا معها هناك في خيمات، و في سنة 140هـ، قدموا عليهم عيسى بن الأسود، و شرعوا في بناء سجلماسة، و لكن هؤلاء الصفرية ما لبثوا أن نعموا على عيسى بن يزيد أشياء فأحدوه و شدوا وثاقه إلى الشجرة في رأس جبل وتركوه حتى مات و ولوا أمرهم إلى أبي القاسم سمغون بن واسول الذي ظهر أمر دولة سجلماسة و أولاده من بعده، ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 156، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 2، ص - ص 2422 - 2406.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

لرستميين¹، كما لعب الفرع المكناسي دورا إلى جانب القبائل الإباضية في مبايعة الإمام عبد الرحمن بن رستم، و كانت العلاقات بينهما تتسم بالسلم و حسن الجوار، بحكم المذهب الخارجي الذي يجمعهما و الجغرافي كذلك²، و تقوت العلاقات بينهما بزواج مدرار بن اليسع الذي تولى الحكم سنة 207هـ/723م³ من أروى ابنة عبد الرحمن بن رستم⁴، و هذا ما أكده بن خلدون حيث قال: "إن اليسع بن أبي القاسم أصهر لعبد الرحمن بن رستم صاحب تيهرت بإبنة مدرار في ابنته أروى فأنكحه إياها"⁵، و يمثل هذا الزواج قمة التقارب في العلاقات بين الدولتين، و قد تحدث الباروني عن الأهداف الحقيقية لهذا الزواج بقوله: "و على عهده اليسع بن القاسم الذي تولى الحكم سنة 714هـ استفحل أمرهم و اشتد ملكهم، و كان يرى في نفسه العظمة لكثرة الجنود و الأتباع، و له ابن يعرف بمدرار، فلم يرى له كفتا للمصاهرة غير الإمام عبد الرحمن، و كانت له ابنة تعرف بأروة، فخطبها اليسع، و بعد أن أظهر الإمام العزة و الإمتناع مع إلحاح الخطيب، أجابه إلى طلبه و زوجها من مدرار إبنة، و لم يصغ للمعترضين و المنكرين عليه مؤملا أن يأتي يوم ما على أولادها إن قدر الله بحملها وهم على مذهبه، فيضمهم هو أو خلفه إليه، أو تتوثق علائق الوداد بين المملكتين فلا يطرقه منهم طارق سوء، و لا يأتيه من قبلهم ما يكدر راحته أو يوجب له قلقا أو خللا في داخلته إذا كان تحت حكمه من الصفرية ما يعد بعشرات الألوف من المقاتلين الموصوفين بالشجاعة و البسالة، كما أن بسجلماسة من الإباضية أمثال ذلك من الفرسان الأشداء..."⁶.

1- جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية و الاجتماعية للمغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجري (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص 210-211.

2- عبد الرحمن بلاغ: قبيلة مكناسة البربرية و دورها المذهبي و السياسي في بلاد المغرب من القرن 2 إلى 4هـ (8-10م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، المركز الجامعي بشار، 2006-2007م، ص 84.

3- البكري: المصدر السابق، ص 130

4- Chikh Bekri: Le Royaume Rostomide, op.cit, p172.

5- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص 2422.

6- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 125، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، المرجع السابق، ج 2، ص 571.

الباب الثالث ————— الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

و يبدو أنه لم يظل المذهب الصفري هو السائد بسجلماسة، و ذلك أن أبا القاسم سمكو كان إباضيا صفريا، و اليسع بن أبي القاسم كان إباضيا صفريا أيضا، و مما يؤكد عدم وضوح المذهب هو عند الأخوين ميمون بن أروى الذي يقول عنه ابن خلدون أنه يسمى عبد الرحمن أيضا، و ميمون بن تقي¹، ولم يتوقف اعتناق المذهب الإباضي عند الأسرة الحاكمة فقط بل تعداه إلى رعاياها، و هذا ما يؤكد ابن الصغير بقوله: "إن إباضية سجلماسة كانوا يبعثون بزكاتهم إلى الإمام أبي اليقظان²." و بالمقابل كانت الصفرية منتشرة بين القبائل التيهرتية، خاصة قبيلة مكناسة لأن أبا عبد الله الشيعي عندما عسكر أمام تيهرت خرج إليه من فيها من شيعة و واصلية و صفرية و مالكية قدموا له الشكاية في أبي اليقظان³، و تظهر علاقات المصلحة بينهما من خلال موقف اليسع من أحداث الفوضى التي شهدتها تيهرت في أواخر أيام الرستميين، فلم يذكر أحد من المؤرخين أنه ناصر فريقا على فريق من الأطراف المتصارعة فيها، أو أنه حاول استغلال الفوضى لكي يوسع حدود دولته، رغم أن تيهرت لا تبعد عن سجلماسة أكثر من عشرة مراحل، بل إن موقفه من هجوم الشيعي على تيهرت يزيد سياسته تجاه الرستميين وضوحا، فهو لم يحاول أن يحرك ساكنا، و ليس هناك من يشير أنه قدم مساعدة لتيهرت أو حاول التحالف معها خاصة و هو يحتفظ بعبيد الله المهدي سجينا عنده، وهذا ما يدل على أن نظره لم يكن يمتد أبعد من حدود دولته⁴.

و قد وجد العديد من الإباضية في عاصمة المدرارين⁵، ولعل المنافسة التي جرت بين ولدي مدرار بن اليسع قبيل سنة 253 هـ، على الحكم، و سببها اعتناق ابن الرستمية للإباضية⁶، و ميول والده إلى ابن أروى و هذا ما يدل على تأثير الإباضية في الدولة المدرارية، و بالتالي التأثير و التأثير

1- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص2424، جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص218.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص97.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص169.

4- جودت عبد الكريم: علاقات الدولة الرستمية الخارجية، المرجع السابق، ص217.

5- ابن الصغير: المصدر السابق، ص46.

6- أحدهما ابن أروى بنت عبد الرحمن، و يعرف باسم جده من أمه، و آخر من زوجة ثانية لمدرار تدعى - تقي - ينظر: ابن الصغير: المصدر السابق، ص46.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

الثقافي و المذهبي بين تيهت الإباضية و سجلماسة الصفرية، فقد استوطن سجلماسة عدد من العلماء أمثال ابن الجمع الذي كان غزير العلم، و كان أبرز تلامذته الربيع سليمان بن زرقون النفوسي، و كذا أبو يزيد مخلص بن كيداد صاحب الثورة على العبيدين¹ و استمرت العلاقة بين سجلماسة، و أبو الربيع بعد مغادرته لها، و ما دل على هذه العلاقة هي تلك المسألة التي استفتوه بها و كادوا يقتلون من أجلها لولا تدخله، و إرجاعهم إلى الصواب².

إن المذهب الإباضي غزى فكر أئمة دولة سجلماسة و علمائها³، و هذا ما لخصه محمد علي دبور بقوله: "و كانت المعاملات التجارية و العلاقات الثقافية و السياسية على أتمها و أحسنها بين الدولتين⁴.

ج- علاقة تيهرت بالأندلس:

لقد كانت مرحلة متكاملة، ذات سمات خاصة تتلاءم مع خطوات التاريخ بالنسبة للإسلام في الغرب، حيث كانت علاقة ثقافية في غاية الأهمية، مثل حالة تواجد شخصين أندلسيين في مجلس الشورى، المكون من ستة أعضاء، و هما مسعود الأندلسي، و الثاني عثمان بن مروان الأندلسي⁵.

و لعل ما يدل على عمق العلاقة الثقافية المزدهرة بين تيهرت و الأندلس، و التي اتسمت بالتأثير و التأثير سماح الأمويين بتواجد المذهب الإباضي، إلا أن تأثيره كان محدودا، فيذكر أن قرية بلفين في المرية عرفت شيئا من الإباضية⁶، كما تسرب المذهب الحنفي مع بعض أفكار المعتزلة إلى

1- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 128، ص 131.

2- نفسه، ص 128 - 129.

3- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص94.

4- محمد علي دبور: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص445، ليديري بلخير: المرجع السابق، ص38.

5- ماريا خوسوس فيغيرا: المرجع السابق، ص 74، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ص153.

6- محمد عين الحريري: المرجع السابق، ص 221، و قد كشف ابن القوطية عن وجود الخوارج في الأندلس، ينظر، ابن القوطية: القوطية: المصدر السابق، ص 71.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

الأندلس عبر تيهرت نتيجة رحلة العلماء الحنفية إلى هناك و قد أكد ذلك المقديسي الذي يذكر مناظرة بين الأحناف و المالكية أمام أمير قرطبة¹.

و ظلت الدولتان تسمى كل منهما إلى كسب صداقة الأخرى، فقد ذكر ابن سعيد: "...وعليه قدم بنو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم صاحب تيهرت"²، و يذكر الشيخ بكري و ماريا خيسوس أن أبناء هؤلاء هم: دحيون و عبد الغني و بهرام³، و في سنة (207هـ/822م) بعث عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أبناءه الثلاثة في سفارة رستمية إلى قرطبة عاصمة الإمارة الأموية و قد كان يوم وصول هذه السفارة الرستمية إلى قرطبة يوما عظيما مشهودا حيث استقبلهم عبد الرحمن الثاني استقبالا ملكيا رائعا و أنفق عليه ألف دينار⁴، حتى أصبح حديث الناس و مصدر إعجابهم⁵، و هذا ما يدل على متانة الروابط بينهم و على أهمية الوفد⁶.

و في عهد أفلح بن عبد الوهاب نمت العلاقات الرستمية الأندلسية نمو مضطردا و كانت كلتا الدولتين تبليغ الأخرى بأخبار انتصاراتها أولا بأول و تبادل الهدايا فيما بينها بهذه المناسبات، فحين ابنتى الأغلبة مدينة العباسية سنة (227هـ/741م) قرب تيهرت لتهدد عاصمة الرستمين وتوتر على مركزها الإقتصادي و السياسي، قام أفلح بن عبد الوهاب بدمها و إحراقها⁷، و بادر

1- المقديسي: المصدر السابق، ص 272.

2- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب، تحقيق و نشر شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1953، ج1، ص448.

3- ماريا خيسوس: المرجع السابق، ص15، و أيضا: Chikh Bekri :Le kharigisme, op.cit, p99, Levi provencal :Histoire d'Espagne musulmane, Ed, G.P, Maisonneuve, paris, 1950, T1, p171.

4- ابن السعيد المغربي: المصدر السابق، ج2، ص246.

5- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص132.

6- نفسه، ص 132-133.

7- حيث يذكر ابن خلدون: "و شيد أبا العباس محمد بن الأغلب مدينة يقرب تيهرت و سماها العباسية، و أحرقها أفلح بن عبد الوهاب"، و قد ذكر أيضا ذلك البلاذري لكنه قال إن ذلك كان سنة 231هـ، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص 1442، البلاذري: المصدر السابق، ص234.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيممته

باختيار خليفة عبد الرحمن الأوسط بما فعل، فأرسل إليه عبد الرحمن الثاني (الأوسط) هدية كبيرة قدرها المؤرخون بمائة ألف دينار¹، و ذكر ذلك بن خلدون بقوله: "...و كتب (أي أفلح) إلى صاحب الأندلس يتقرب إليه بذلك، فبعث إليه بمائة ألف دينار"² و أصبح تبليغ أنباء الانتصارات بين الدولتين تقليدا سياسيا متبادلا بينهما، فحينما انتصر عبد الرحمن الأوسط على الجوس (النورماندين) في سنة 230هـ/844م، بادر بإبلاغ ذلك النصر إلى الخليفة الرستمي أفلح بن عبد الوهاب، فهناً أفلح الأمير الأندلسي³. و قد استعانت الدولة الأموية في الأندلس بعدد من خيرة القادة الرستميين في أعمالهم الحربية، فاستعان الأمير عبد الرحمن الثاني بالقائد الرستمي محمد بن رستم في القضاء على الثورة التي قام بها هاشم الضراب بطليطلة سنة 214هـ/729م⁴. كما استعان الأمير عبد الرحمن بن محمد بن رستم أيضا في صد الغارات التي دأب الجوس على شواطئ الأندلس، و تمكن هذا القائد الرستمي من القضاء على هذا الخطر الجوسي الذي كان يتهدد المسلمين في بلاد الأندلس⁵.

كما شهد بلاط الأمويين في الأندلس عدد من الرحالات السياسية الذين احتلوا منصب الوزارة و الحجابة في دولتهم، فكان الوزراء و الحجاب الذين أثبتوا كفاءة لا مثيل لها، يقول أحد المؤرخين: "و كان له (عبد الرحمن بن الحكم 256هـ/383م) وزراء لم يكن للخلفاء قبله و لا بعده مثله، بعد عبد الكريم بن مغيث الحاجب، فمنهم عيسى بن شهيد و يوسف بن بخت و عبد الله بن أمية بن يزيد و عبد الرحمن بن رستم"⁶.

1- ابراهيم العدوي: بلاد الجزائر، المرجع السابق، 222-223.

2 - ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص 1445، لكن البلاذري رغم أنه ذكر قصة إحراق و تدمير مدينة العباسية من طرف الإمام أفلح بن عبد الوهاب لكنه لم يذكر ذلك التقرب إلى صاحب الأندلس، البلاذري: المصدر السابق، ص234.

3- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص216، و أيضا: Levi Provencal :op.cit, T1, p156, Chikh Bekri :op.cit, p99, Royaume, p166.

4- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 87-88.

5- ابن قوطية: المصدر السابق، ص83، ماريا خيسوس فيغيرا: المرجع السابق، ص 70-71.

6- نفسه، ص نفسها، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص217.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

كان التبادل الثقافي نشيطا إذ كان الكثير من العلماء يمرون على تيهرت في طريقهم من و إلى الأندلس لتطوير معارفهم و اكتساب مختلف العلوم، خاصة أن الأندلس قد اشتهرت بحركة ثقافية كبيرة، و من بين هؤلاء العلماء: محمد بن عبد الله الغازي، الغازي بن قيس، أبو العباس أحمد بن عيسى بن محمد المقرئ، سعيد بن حسان بن العلا، زكريا بن بكر بن أحمد الغساني¹.

و هناك بعض العلماء الذين جلبوا مختلف العلوم من المشرق العربي إلى الأندلس، حيث أدخل الغازي بن قيس الأندلسي "الموطأ" من مالك بن أنس، و زياد بن عبد الرحمن اللخمي أدخل الموطأ و قراءة نافع، و عباس بن ناصح أدخل شعر أبي النواس²، و من المؤكد أن العلماء في رحلتهم قد مروا بتيهرت و بالتالي مجالستهم لعلمائها لأنهم كانوا بحاجة إل الاستزادة من علم مالك، و هكذا يحدث التأثير و التأثير، كما عرفت الأندلس توافد العديد من علماء الدولة الرستمية منهم قاسم بن عبد الرحمن التيهرتي و بكر بن حماد التيهرتي و أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التيهرتي³.

هذا التواصل الثقافي أدى إلى انتشار مذهب الخوارج بالأندلس، و ظل مذهب الإباضية موجودا و تركز في جزيرة "يابسة" التي كانت كلها إباضية إلى غاية القرن السادس الهجري، مما يعني أن الفكر الإباضي قد أخذ طريقه إلى الأندلس، سواء عن طريق العلماء أو التجار، و ظل الأندلسيون على اتصال بعاصمة الرستمين فيما يتعلق ببعض القضايا، لكن هذا التأثير لا يظهر بشكل واضح نتيجة للسيطرة المطلقة للمذهب السني⁴.

إن التأثير و التأثير في العلاقات بين تيهرت و الأندلس يظهر في كون الرستمين أفادوا كثيرا الإمارة الأندلسية، فقد اعتبرت تيهرت بمثابة الوسيط الثقافي بين المشرق و الأندلس⁵ في الاطلاع

1- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 168.

2- نفسه، ص 169.

3- نور الدين عسال: الخلدونية، المرجع السابق، ص 79.

4- محمود عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 237.

5- محمد علي: المرجع السابق، ص 73.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

على التيارات الثقافية و الفكرية في المشرق من خلال المؤلفات و المخطوطات، و من جهة أخرى فإن الثراء المعرفي الذي ميز الأندلس، بازدهار العلوم بمختلف أنواعها نتيجة اتصال علمائها و فقهاءها بالمشرق قد أفاد الرستميون الذين عملوا على نقل هذه العلوم إلى تيهرت.

اتجه الرستميون إلى توثيق علاقاتهم الثقافية مع مختلف البيئات العلمية، و الاحتكاك بالحواضر الثقافية في المغرب و الأندلس، و القيروان، و فاس و قرطبة، و بغداد و البصرة، و مصر، مما يؤكد الانفتاح الثقافي لتيهرت و الحرية الفكرية التي كانت موجودة آنذاك، فلم يقتصر تأثير العلماء على الناحية المذهبية، بل نجد أن الرستميون اهتموا بمختلف نواحي الحياة العلمية و الفنية، فقد نقل بقي بن مخلد من المشرق كتاب لخليفة بن خياط "كتاب الطبقات" و حمل معه كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز، و نقل آخرون علوم اللغة كأبي عثمان سعيد بن الفرج، و أبي عبد الملك عثمان بن المثنى القيسي القرطبي، و أبي محمد عبد الله بن بكر بن سابق الكلاعي، و جابر بن مغيث¹.

ثانيا- العلاقات الثقافية مع السودان

لقد خلفت العلاقات التجارية الواسعة بين السودان الغربي و الدولة الرستمية، أثارا عميقة الأصول و الفروع و لعل حملة العلم و رواده، الذين قطنوا بلاد السودان، أمثال الشيخ عبد الحميد الفزائي و كذلك أبي يحيى أبي القاسم الفرستائي الذي قتل أبوه، و هو في معركة مانوا 283هـ، حيث كانت له رحلة إلى بلاد السودان، و التقى فيها بملكها، فدعاه إلى دخول الإسلام، و بعد أخذ و رد قال أبو يحيى " ما زلت أذكره بنعم الله و آلائه، حتى أسلم و أحسن إسلامه، و أسلمت من بعده رعيتة، ما دام الناس على دين ملوكهم² و قد بقيت هذه العلاقة حتى بعد سقوط دولتهم تيهرت، لعل ما يبرز أيضا هذا التمازج الرستمي السوداني تلك الهندسات التي كانت في المساجد السودانية

1- جودت عبد الكريم : المرجع السابق، ص 176.

2- الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 328.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيمرت

والتي كانت متشابهة مع الهندسات الإباضية، كالمحراب المستطيل الشكل و المئذنة، ذات الشكل المستطيل المخروطي¹.

و من بين الآثار الثقافية التي تركتها هذه العلاقة الثنائية، تعريب جزء كبير من تلك المناطق و نتجت نظرا للاحتكاك الدائم و المستمر بالإباضية، عن طريق التجارة و منه كانت هذه العلاقة واسعة، و لا يمكن إجمالها كلياً.

ثالثاً- العلاقات الثقافية مع المشرق

كان الأئمة أنفسهم يبعثون بعثات إلى المشرق، فيرجعون مزودين بالعلوم و أنفس الكتب، مثلما قام به عبد الوهاب كما ذكرنا سابقاً، كما قام الإمام أبو اليقظان برحلة إلى الحج و سجن ببغداد² بالإضافة إلى بكر بن حماد الشاعر الذي رحل إلى المشرق، سنة 217هـ، ودخل البصرة و بغداد، و كانت له علاقات بعلماء بلده³ و من الذين لهم رحلة إلى المشرق عبد العزيز بن الأوز، فقد رحل إلى البصرة و بغداد ليس بنية الحج، و إنما طلباً في العلم، ولعل هناك آخرون أمثال نفاث بن نصر النفوسي⁴ الذي ارتحل إلى بغداد⁵ هو الذي استنسخ ديوان جابر بن زيد الأزدي، و قد زار تيهرت، و جبل نفوسة، عدد كبير من المشاركة أمثال العالم الخراساني أبو عانم بشر بن غانم، الذي استنسخ له مدونته عمروس النفوسي⁶ و لعل ما أبرز تلك العلاقة بين الدولة الرستمية وبلاد المشرق

1- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 390.

2- للمزيد أكثر عن قصة سجن أبي اليقظان، ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 55-56، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص 289.

3- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 153-154.

4- سماه الإمام أفلح بالنفاث، لأنه كان ينقد شيخه و ينفث عنه أخبار باطلة، و اسمه الحقيقي - فرج- ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 85.

5- ابن الصغير: المصدر نفسه، ص 59.

6- الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 223.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

زيارة اليعقوبي المؤرخ و الجغرافي العربي، إذ زارها و نقل مشاهداته في كتبه " التاريخ والبلدان"، و نذكر أهم المناطق و طرقها و منافذها¹.

و اعتبرها مركزا استراتيجيا من وجهة نظر عسكرية و هو الذي حمل الأمير عبد القادر على الإقامة فيها في العصور الحديثة².

و لعل العديد من المشاركة توجهوا إلى تيهرت هروبا، من بطش العباسيين، و قبضتهم فنشطت حركة الهجرة إلى العاصمة تيهرت، رغبة في العيش في كنف الدولة و بالتالي حدث الامتزاج الثقافي بين المشرق و المغرب و تجسدت هذه العلاقات الثقافية في شكل مقالات و كتب و رسائل و جوابات بين الطرفين³.

و لم تنقطع صلة خوارج المشرق بالمغرب و استمرت بشكل دائم⁴. فكانوا كلما نزلت نازلة بهم لم يترددوا في إرسال الكتب إلى علماء المشرق، يستفتونهم فيها مثلما كان يفعل علماء القيروان للإمام مالك بن أنس بالمدينة أو أبو يوسف القاضي ببغداد، و لعل من بين الكتب التي وصلت إلى المغرب كتب محبوب بن الرحيل وابنه في الفقه و الكلام و العقائد و الأخبار، و كانت تعرف عنه نفوسة " بسيرة ابن محبوب إلى أهل المغرب"، و هو في سبعين جزء و لم تصل إلى المغرب إلا الجزء السادس فقط⁵.

و مما يدل على ثراء الرصيد المعرفي، و كثرة كتب أهل المشرق بالدولة الرستمية يقول الإمام أفلح: " عليكم بدراسة كتب الدعوة و لاسيما كتاب أبي سفيان⁶ و كذلك تلك المناظرات الفقهية و الكلامية"⁷.

1- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص- ص 195- 198.

2- ماريا خسوس فيغيرا: المرجع السابق، ص 76.

3- مهنا السعدي: الموقع الإلكتروني السابق.

4- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 219.

5- نفسه، ص 220.

6- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 58.

7- نفسه، ص- ص 149-164.

الباب الثالث — الأوضاع الثقافية و الفكرية في القيروان و تيهرت

و ختام القول أن العلاقة بين المشرق و المغرب لعبت دورا كبيرا في تغذية الفكر الإسلامي بالمغرب، كما أسهمت العلاقات الثقافية التي ربطت تيهرت بغيرها من الدول كالقيروان وسجلمانة والأندلس والسودان في إثراء ذلك الفكر النير المتوقد لهذه الدولة، و إعطاء صورة مشعة للأئمة الرستميين، و دورهم في تفعيل الحركة العلمية و الفكرية.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الفصل الأول: أوجه الاختلاف و نقاط التباين بين المدينتين

لقد أشارت المصادر إلى موضع تأسيس المدينتين و ذكرت تقريبا نفس الرواية، و هي كما يقول منحي الكعبي أنها خيال أسطوري لكنه خيال إيماني و مشهد بياني أشبه بمشاهد الإعجاز في القرآن الكريم¹، و تقول الرواية الخاصة ببناء مدينة القيروان: "أتى عقبة بهم إلى موضعها، و هو إذ ذلك شعاري لا تسلك و قال: شأنكم، فقالوا له: إنك أمرتنا بالبناء في شعاري لا تسلك و لا ترام، و نحن نخاف من السباع و الحيات و غير ذلك من حشاش الأرض، و كان عقبة مستجاب الدعوة فدعى الله عز و جل و جعل أصحابه يؤمنون على دعائه، و كان في عسكره ثمانية عشر رجلا من أصحاب الرسول صلى الله عليه و سلم، فجمعهم و نادى: أيتها الحيات، أيها السباع نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، ارحلوا عنا إنا نازلون، و من وجدناه بعد ذلك قتلناه، فنظر الناس في ذلك اليوم إلى سباع تحمل أشبالها والذئاب تحمل جراءها و الحيات تحمل أولادها، فأسلم كثير من البربر، و نادى عقبة في الناس: كفوا عنهم حتى يرحلوا عنا، فلما خرج ما فيها من ذلك جمع عقبة وجوه أصحابه و دار بهم حول المكان، و أقبل يدعو الله و يقول: اللهم املاها علما و فقها وأعمرها بالمطيعين و العابدين، و اجعلها عزا لدينك و ذلا لمن كفر بك، و أعز بها الإسلام و المسلمين، وامنعها من جبايرة الأرض..."².

و لقد انبهر البربر لما شاهدوه من تصرف عقبة، فاعتنق الكثير منهم الإسلام³، أما عن قصة بناء مدينة تيهرت فمفادها أن موضعها كان مليئا بالأشجار الكثيفة يسكنها أنواع السباع والوحوش⁴، حيث يذكر الدرجيني أنهم لما أرادوا عمارتها أمروا مناديا ينادي بسباعها و وحوشها

1- منحي الكعبي: القيروان، المرجع السابق، ص 13.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 7، ابن كثير: البداية و النهاية، المصدر السابق، ج 8، ص 257.

3- عبد الحميد حسين حمودة: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 55.

4 - الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 139، محمود السيد: المرجع السابق، ص 147، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 37، أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 20، و أيضا: Abdallah laroui : L'histoire du magreb (un essai de synthese) tome1, petite collection maspero, paris 1976, p104.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

وهوامها أن اخرجوا فإننا أردنا عمارة هذه الأرض فأجلوها ثلاثة أيام و بلغنا أنهم رأوا وحوشها تحمل أولادها خارجة بها منها¹، و الأمر المقبول أن الإباضيين قاموا بتنظيف المكان فأشعلوا النيران من أجل حرق الأعشاب و الأشجار و ربما كان ذلك سببا معقولا لهروب السباع والحيوانات المفترسة، فأحرقت الأشجار و جعلوا في جذورها الحيس فجاءتها الخنازير ليلا مقتلعة لتلك الجذور من أجل أكل الحيس، و هكذا حضرت أرضا لعمارتهما².

إن تشابه الروايتين لا ينفي وجود التباعد و التباين من حيث التأسيس و التمصير و التخطيط والتوسع العمراني و هذا ما سنوضحه في النقاط التالية:

المبحث الأول: اختلاف الموضع و الموقع الجغرافي

أولاً- استراتيجية الموقع و جغرافية المكان

من خلال خريطة موقعي³ القيروان و تيهرت يتضح الفرق جليا بين موقع المدينتين، فالقيروان تقع في المغرب الأدنى على سهل منبسط (سهل قمونية)⁴، و هو سهل فسيح شبهه أحمد صالح العلي بالبصرة بقوله: "و نلاحظ أرضا مستوية مكشوفة متصلة بالصحراء"⁵، و من الثابت كما يقول محفوظ الغديفي: "أن مدينة القيروان بنيت في سهل رسوبي خصب أي بتراكم الرواسب التي تجلبها أودية زرود و مرق الليل و نبهانة"⁶.

و يجد هذا السهل من الغرب جبل وسلات و شمالا منطقة سهلية ارتفاعها لا يزيد عن 100 متر و من الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي مجموعة من السباخ منها سبخة الكالبية التي

1 - الدرجميني: المصدر السابق، ص140، أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص39، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص139.

2 - البكري: المصدر السابق، ص67.

3- ملحق رقم 18، ص رقم 794.

4- و هذا ما توضحه خريطة سهل القيروان، ملحق رقم 3، ص رقم 779.

5- أجمد صالح العلي: خطط البصرة، المرجع السابق، ص58.

6- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص17.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

ينتهي إليها واد زورود و مرق الليل، و سبخة سيدي الهاني و سبخة الشريطة، و جنوبا سهل ومرتفعات (ارتفاعها ما بين 100 و 200 متر) تعتبر امتدادا لجبال شراجيل التي تقع غرب و شمال قرية سيدي علي بن نصر الله¹.

أما تيهرت فهي تقع في المغرب الأوسط فوق هضبة، و هذا ما أكده عبد القادر دحدوح بقوله: "وهي تحتل موضعا جغرافيا هاما فوق هضبة ضمن سلسلة جبل جزول التي يتراوح ارتفاعها على مستوى سطح البحر بين 800 و 1000م²، لكن رغم وجودها في مكان مرتفع إلا أنها تطل على أراضٍ مستوية خصبة وصالحة للزراعة تكثر فيها كما ذكرنا مصادر المياه المتمثلة في وادي مينة والعديد من العيون³.

أما مناخ القيروان فهو شبه جاف قاري، و تعرف المنطقة تساقطات غير منتظمة تتراوح بين 250 و 300 ملم في السنة، و هي أمطار عنيفة في أيام قليلة و تتسبب بفيضانات مدمرة ذكرتها المصادر وتشهدها المنطقة دوريا⁴.

و يتميز مناخ تيهرت بالبرودة شتاء و كثرة الضباب و الجفاف صيفا، و هو عموما معتدل تساقط الأمطار حوالي 500 ملم سنويا، و معدل الحرارة يبلغ 14.44⁵°، و يمكننا هنا إعطاء حالة حالة المناخ الحالية حتى يتسنى لنا أخذ معلومات و لو بسيطة عن مناخ المنطقة بصفة أكثر علمية من خلال الجدولين التاليين الذين يتضمنان كميات التساقط و درجات الحرارة في المنطقة⁶:

1- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص14، أنظر خريطة رقم ، ص رقم

2- عبد القادر دحدوح: استحكامات، المرجع السابق، ص57.

3- نفسه، ص 58.

4- Dispois, la tunisie orientale, op.cit, p131, (H) sethom et (A) Kassab, géographie de la tunisie, le pays et les hommes, tunis, 1980

5- تقرير الوكالة الوطنية لهيئة الأراضي، 1994 بأرشيف بلدية تاقدامت.

6- التقرير نفسه.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

كميات التساقط:

الشهور	جان	ماي	أفريل	مارس	فيفري	جانفي
كمية التساقط بالملم	14.94	40.92	52.9	66.92	66	66.85
الشهور	ديسمبر	نوفمبر	أكتوبر	سبتمبر	أوت	جويلية
كمية التساقط	60.59	60	14.16	15	9.1	2.14

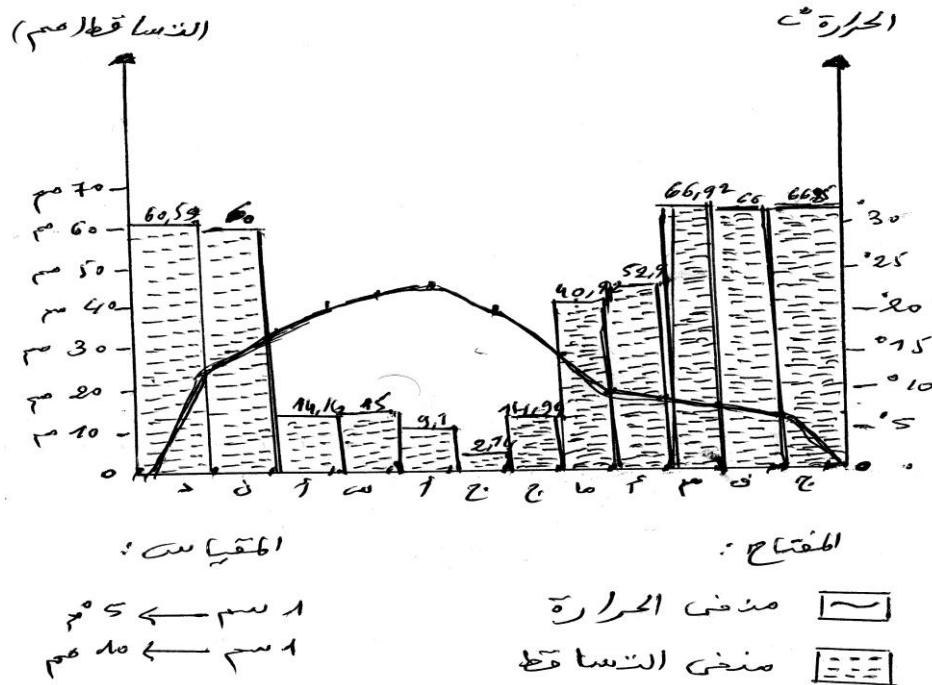
درجات الحرارة:

الشهور	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جان
درجة الحرارة °C	6	7.4	9.25	10.66	14.33	20.24
الشهور	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
درجة الحرارة °C	25.27	24.45	23.15	16.28	10	8.31

و إذا حولنا هذه المعطيات إلى تمثيل بياني يكون على الشكل التالي:

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

تمثيل بياني يمثل متوسط الحرارة والتساقط في مدينة تيهرت.



من خلال هذا التمثيل البياني نسجل الملاحظات الآتية:

- مختلف درجات الحرارة تعطينا معدلا سنويا يقدر بـ 14.44°C والتي تعكس لنا برودة المنطقة.
- أما متوسط حرارة منطقة القيروان في شهر جانفي يتراوح بين 9°C و 11°C ، و متوسط حرارتها في شهر جويلية يتراوح بين 25°C و 28°C ، هذا إلى جانب كونها خالية من الصقيع و هواؤها متشبع بالرطوبة التي تخفف من التبخر¹.
- كميات التساقط ما بين 40 ملم إلى 66 ملم خلال 7 أشهر بداية من سبتمبر إلى فبراير، فمعدل التساقط يتعدى 500 ملم في السنة، أما في القيروان فالكمية لا تتعدى 300 ملم و هي غير منتظمة.
- يتناسب التساقط مع الحرارة تناسباً عكسياً، فكلما ارتفعت درجات الحرارة انخفضت كميات التساقط و العكس صحيح، و هذا ما نلاحظه في الشهور (مارس، أبريل، ماي، جوان، جويلية).

1- جموعي مشري : المرجع السابق، ص 258.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

- إن الفصل الذي يمتد من أكتوبر إلى نصف شهر ماي هو فصل رطب بينما الفصل الذي يمتد من نصف شهر ماي إلى شهر سبتمبر هو فصل جاف، كل هذه المعلومات المناخية تعطينا لمحة رغم التغيرات التي عرفتتها المنطقة.

و يظهر تأثير المناخ جليا على آثار تيهرت خاصة من الناحية العمرانية حيث رأينا وجود خزانات عديدة وقنوات صرف المياه ساعد على نمو المنطقة و غنائها الزراعي جلب إليها الكثير من الناس، كما أن للمناخ أثر في تهديم ما بقي من آثار بانجراف التربة و البرودة الشديدة و الأمطار الغزيرة التي أسقطت كثيرا من البقايا و صعبت بذلك مهمة الباحثين.

ثانيا- أهداف اختيار الموقع

- اختلاف أهداف اختيار الموضعين و خاصة الهدف الرئيسي، فبالنسبة للقيروان هو في جعلها قاعدة عسكرية لاستقرار الجند الفاتحين لبلاد المغرب، و تسمى عوامل و أهداف اختيار العرب لموقع القيروان بالمبررات و يصنفها إلى ثلاثة و هي:

* المبرر العسكري:

كان موقع القيروان بعيدا عن البحر مسافة تمكن من التفطن للعدو و الاستعداد له، والمقصود بذلك البيزنطيون الذين بإمكانهم الخروج من صقلية أو المجر من عاصمة الامبراطورية، كما أنه يمكن العرب من الارتداد بسرعة إلى مواقعهم بالصحراء إذا داهمهم العدو و هي على مقربة من أودية كثيرة الأشجار ومن سياخ تمكن دوابهم و إبلهم من المرعى¹.

* المبرر الاقتصادي:

تقع القيروان في اقليم قمونية و هي منطقة غنية بتجهيزاتها المائية القديمة و بانتشار السهول والأراضي الزراعية التي كانت محالا للملكيات رومانية²، و قد شهدت تراجعا في العهد البيزنطي أمر

1- عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق، ج1، ص 184 - 185.

2- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص 19 - 20،

(A) Mcharek, Dezama à Kairouan, La thusca et la Gamonia, Frontière et limites géographiques de l'afrique du nord antique, in hommage a pierre salama, actes de

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

يؤكد وجود الشعراء الكبرى من الشجر و الأعشاب على أنقاض الموضع الأثري الروماني الذي أشار إليه المالكي ب "حصن لطيف للروم يسمى قمونية"¹ أخطأ حسين مؤنس في فهم المقصود به حيث حرفه إلى قصر لطيف للكروم²، و لكن المعنى هنا هو "حصن صغير للروم" و "لطيف" في اللغة تعني الصغير³، و لعل هذا الموضع هو الذي أعطى اسم الكوره "قمونية" و قد أثبت أحمد مشارك أن هذه التسمية قديمة و هي تمثل وحدة إدارية- ترابية، علاوة على ذلك فإن موقع القيروان يراقب إقليم الساحل الغني بزيتونه (السواد) و هو مصدر الخراج و الجباية و لا تختلف القيروان في ذلك عن بقية المدن التي وقع تمصيرها حيث كانت هذه المدن على مقربة من أراضي خراجية هامة مثال البصرة و الكوفة.

* المبرر النفساني:

يتمثل في أن إقليم القيروان يشبه من حيث المناخ و الأرض منطقة نجد و الحجاز التي كانت موطن أغلب العرب القادمين إلى القيروان (قرشيون و القبائل المحيطة بمكة و المدينة) فالعربي بإمكانه تربية إبله و غنمه و بناء خيامه، فالبدوي لا يغير بسهولة طباعه و نمط معيشته، فالمناطق شبه القاحلة و الحارة أقرب الأماكن إلى نفسية العربي⁴.

أما فيما يخص تيهرت فقد ذكرت الرواية الإباضية: "ثم أن تاهرت كانت حرزا و حصنا لجماعة المسلمين، و سميت بأمر العسكر و عسكر المبارك"⁵، و عند البكري: "سمي الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم"⁶، و تستوقفنا هذه التسمية لما لها من مدلول واسع، فالعسكر في اللغة العربية

la table ronde réunies a paris les 2 et 3 mai 1997, publications de la sorbonne 1999, p- p 139- 183.

1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص32.

2- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص142.

3- ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، م5، ص500.

4- أحمد الأسود: المصدر السابق، ج1، ص131.

5- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص84.

6- أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص68.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

هو الجيش، و الموضع منه معسكر¹، و هو ما يتوافق إلى حد بعيد و معنى المحطة السالف الذكر من جهة، و يضفي خصوصية على موقع المدينة و الدور السياسي المنوط به من جهة ثانية.

كما روعي في اختيار موقع تيهرت أيضا مثلها مثل القيروان، فتيهرت تقع في قلب المغرب الاسلامي، فلا هي في أقصى شرقه و لا هي إلى أقصى غربه، و في الوقت نفسه تتوسط ما جاورها من حواضره، فالمسافة بينها و بين قيروان الأغلبة ما يقارب اثنين و ثلاثين مرحلة (من القيروان إلى سطيف اثنا عشرة مرحلة و من سطيف إلى تيهرت عشرون مرحلة) و بينها و بين فاس حيث الأدارسة خمسون مرحلة، و منها إلى بني مدرار أصحاب سجلماسة نحو خمسين مرحلة²، و بذلك فهي تقع في منطقة داخلية، هذه الميزة التي تعني قبل كل شيء البعد عن بؤرة التوتر السياسي³.

و على صعيد آخر، فموقعها فيما بين الريف و الصحراء⁴، يجعلها بعيدة عن الخطر البيزنطي القادم من الساحل الشمالي⁵، من جهة و سهل بسط سيطرتها على القبائل البدوية الصحراوية المتاخمة لها⁶ من جهة أخرى.

و لم تقتصر المنعة الأمنية على بعدها عن الخطر العباسي من الشرق و البيزنطي من الشمال وحسب، بل إن تمركزها بين جبال و أودية⁷ جعل الوصول إليه شاقا صعب المسلك، و في السفح القبلي⁸ لأحد هذه الجبال تريض المدينة محتمية بجدار طبيعي يصعب اقتحامه، اختلفت المصادر في تحديد تسميته، فورد مرة "جزول"⁹، و مرة "كزول"¹⁰، و تارة "قرقل"¹، و أخرى "قزول"²، و يعرفه

1- ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ص2945.

2- الاصطخري: المسالك و الممالك، المصدر السابق، ص46.

3- لخضر سيفر: التاريخ السياسي لدول المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص40.

4- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص126.

5- لخضر سيفر: المرجع السابق، ص40.

6- ابراهيم مجاز بكير: المرجع السابق، ص89.

7- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص140.

8- نفسه، ص نفسها.

9- أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص66.

10- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص159.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

يعرفه اليعقوبي على أنه جبل متصل بالسوس، يسميه أهل السوس "درن"، و يسمى بتاهرت جزول، ويسمى بالزاب أوراس³، فجزول و حسب تسمية التيهرتيين، عزز أمن المدينة و كان حصنها الحصين ضد هجمات أعدائها.

أما المبررات الاقتصادية و الاجتماعية فقد روعيت هي الأخرى في اختيار موقع تيهرت ومنها:

* جودة الهواء:

اتسمت مدينة تيهرت ببرودة مناخها و وفرة أمطارها و ثلوجها⁴، قد روي عن بعض سكانها

أنه لما سئل عن عدد أشهر فصل الشتاء في السنة أجاب مستظرفا: ثلاثة عشر شهرا⁵.

* القرب من المراعي و مراكز الاحتطاب:

بفضل طبيعة موقعها التلية المشرفة على الصحراء، جمعت تيهرت بين خاصيتين أساسيتين، تتأتى الأولى من كونها غيضة⁶، أو غياطيل⁷ باختلاف المصادر، غير أن معناها واحد، فالغيضة هي مغيض الماء يجتمع فيتنبت فيه الشجر، و الغياض و الغيطل هو الشجر الملتف، أما الغيضة الأشبه، فهي الشديدة الالتفاف حتى لا مجاز فيه⁸، و لا بد أن هذه الغياض بمدينة تيهرت أسهمت في جعلها مركزا للاحتطاب مهما، و أما ثانيهما فتقتزن بطبيعة الصحاري الرعوية و هو

1- مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص178.

2- الحميري: المصدر السابق، ص126.

3- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص149.

4- البكري: المصدر السابق، ص67، ابن عذارى المراكشي: البيان، المصدر السابق، ج1، ص196، الحميري: المصدر السابق، ص126.

5- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ص198.

6- البكري: المصدر السابق، ص68، أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص81.

7- الشماخي: المصدر السابق، ص43.

8- ابن منظور: المصدر السابق، ص3327.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الأمر الذي أهلها لأن تكون مقرا لتربية المواشي حتى أصبح بها من نتاج البراذين و الخيل كل شيء حسن، و بها البقر و الغنم كثير جدا¹.

* المبرر الاقتصادي:

يتمثل في وقوع تيهرت في منطقة تربط التل بالصحراء، و تربط المغرب ببلاد السودان.

المبحث الثاني: التأسيس و التوسع العمراني

أولا- التأسيس و النشأة

مما لا شك فيه أن القيروان المصير الإسلامي الأول في بلاد افريقية، ارتبط موقعها بظروف الانتشار العربي، فمثلت بذلك قاعدة لانتشار الاسلامي، فطمح عقبة من وراء بنائها إلى التأسيس لمرحلة جديدة تتمثل في إدخال افريقية في الدولة الاسلامية و تركيز حامية بها تضع حدا لنقض البربر لعهودهم كلما عاد جيش الفتح إلى الفسطاط أو المشرق، فجمع إليه من أسلم من البربر و ضمهم إلى الجيش الوارد من معاوية (عشرة آلاف) و سار إلى افريقية و نازل مدنها فافتتحها عنوة و وضع السيف في أهلها و أسلم على يديه خلق من البربر².

و هذا ما نفهمه من قول ابن ناجي: "أن عقبة قتل من بها (افريقية) من الروم و أصناف البربر والأفارقة و قال لأصحابه: إن افريقية إذا دخلها أمير تحرم أهلها بالإسلام، فإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر، و إني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكرا و قيروانا، تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"³.

1- الحميري: المصدر السابق، ص126.

2- ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص420.

3- ابن ناجي : المعالم، المصدر السابق، ج1، ص7.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

فالقيروان بنيت لهدف الفتح و الاستقرار و الانتشار العربي الاسلامي، فقد عدد ابن الحكم وابن عساكر مختلف القبائل التي استوطنت مصر و هي في أغلبها قبائل يمنية¹، و انتقلت بصفة متفاوتة إلى

افريقية²، فقد اصطحب حسان بن النعمان عناصر شامية مثل الحميريين و الغسانيين والكليبيين³، واستدرجت حملة موسى بن نصير و انتصاراته الكثير من عرب مصر و منهم خاصة القحطانيون⁴، فبعد بناء القيروان حث التوطن و الاستقرار العربي⁵.

لا شك أن القيروان أسست لتكون قاعدة ارتكاز للجيش العربية في أرض المغرب، و قد كان غالبية ولائهم ممن تولوا حكم مصر قبل كعبيد الله بن الحبحاب و حنظلة بن صفوان و غيرهما، بل أن منهم من جمع بين مصر و افريقية مثل مسلمة بن مخلد الأنصاري⁶، و استمرت هذه العلاقة حتى قيام دولة الأغالبة والتي كان لنشأة مؤسسها ابراهيم بن الأغلب و تلقيه علومه في مصر إثر استمرار هذه العلاقات الطيبة⁷.

كان تأسيس القيروان مبكرا و هي من المدن المستحدثة (الأمصار) و أولى المدن المؤسسة في بلاد المغرب، و تندرج في إطار حركة التمهير الأولى، ارتبطت بالسلطة السياسية بالمشرق و بطروف الفتح، فهي لا تختلف عن البصرة والكوفة و الفسطاط، فبناء البصرة المربعة الشكل كان أول تجربة

1- ابن عبد الحكم : فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص- ص 78- 143، ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج2، ص 169- 170.

2- الكندي: كتاب الولاة و كتاب القضاة، المصدر السابق، ص76، النويري: نهاية الأرب، المصدر السابق، ج24، ص61.

3- ابن عساكر: تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج12، ص 452- 453.

4- نفسه، ج12، ص نفسها.

5- أحمد الأسود: افريقية في عصر الولاة، المرجع السابق، ص595.

6- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، القاهرة، ج1، ص134، ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص305، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص- ص 28- 32.

7- حسن حسيني عبد الوهاب: الآثار الفاطمية بين تونس و القاهرة، في المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، تونس 18- 29 مايو 1953، القاهرة، 1955، ص350.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

لتخطيط المدن في العصر الاسلامي الأول استفاد منها المسلمون لما قاموا بتخطيط الكوفة بشكل مربع أيضا¹.

لقد عرفت مدينة القيروان مراحل عديدة عند نشأتها نذكر منها:

* **تمصير القرن:** اتخذها معاوية بن حديج قاعدة للسيطرة على حصن جلولاء و سائر الحصون الساحلية، وبقيت قرية أهلة زمنا ما، ذكرت أثناء هزيمة الخوارج سنة 124هـ / 742م، و في أواخر القرن الثاني هجري انتمى إليها أبو خالد عبد الخالق، ثم انثرت فيما بعد.

* **تمصير القيروان:** سنة 50هـ / 506م، لم يستغ عقبة موقع القرن، و يبدو أن ذلك يمكن تفسيره بعدم الحاجة إلى هذا الموضع الجبلي بعد السيطرة على جلولاء، و قلة توفر المياه فيه مقارنة مع موضع القيروان، فركب في جماعة من أصحابه يبحث عن مكان أليف يتخذة عاصمة لولايته، فوقع اختياره بعد أخذ و رد على مكان القيروان اليوم، أي على منبسط من الأرض يليق أن يكون معسكرا بعيدا عن مباغثات البحر و مراكز لانطلاق الجند لتمهيد ما فتح من البلاد و فتح ما لم يفتح بعد منها.

و خلال هذه الفترة (50-55هـ) لا تذكر المصادر لعقبة غزوات، و لا شك أنه قد هادن الروم والبربر، و قضى وقته في ترتيب شؤون ولايته و تنظيم عاصمتها، و هو ما أشارت إليه رواية ابن عبد الحكم: "قال عقبة لمعاوية: فتحت البلاد و بنيت المنازل و مسجد الجماعة و دانت لي، ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلي"².

* **إنشاء تاكروان:** كره أبو المهاجر أن ينزل في الموضع الذي اختطه عقبة و مضى حتى خلفه بميلين فابتنى و نزل حسب ابن عبد الحكم، و أضاف ابن عذارى أن ذلك كان مما يلي طريق تونس³،

1- هشام جعيط : الكوفة، المرجع السابق، ص- ص 162- 178.

2- ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص 197.

3- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، 20.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

وتتماشى هذه النقلة مع سياسة أبي المهاجر في التعامل مع البربر بلين، و الدليل على ذلك ما ذكره المالكي من أنه: "انصرف فنزل بتاكروان مدينة البربر بالقرب من موضع القيروان"¹.

و لكن عاصمة عقبة لم تعد مجرد معسكر يمكن تحويله بيسر بل مدينة حقيقية، و تمثل تسمية هذه المدينة بتاكروان برنامجا سياسيا في حد ذاته تلخص في التقارب مع البربر، و يذكر المالكي أنه صالح بربر افريقية لكن ولاية عقبة الثانية (62هـ / 681م) وضعت حدا لهذه السياسة و أرجعت القاعدة إلى مقرها الأول².

و بالتالي فإن تأسيس القيروان لم يكن دفعة واحدة بل تم على مراحل بعد تردد طويل اختار البعض مرتفعا و الآخر منبسطا فاسحا و رجح ثالث أن تكون العاصمة في بيئة بربرية لتأليف قلوب الأهالي.

* إن موضع القيروان كان في وسط سهل قمونية التابع للسلطة، فهو لا يطرح إشكالية الملكية الخاصة، أي أن المسألة العقارية في نشأة القيروان لم تكن مطروحة إذ جمعت النصوص على كونها انتصبت في سهل أطلق عليه قديما قمونية، و وجد به حصن لطيف للروم، و قد تبين أن قمونية تتطابق مع موضع ضيعة دولية رومانية استقر فيها المعمرون القمونيون، و هو ما يعني أن العرب مصررو القيروان في سهل كان ملكا للدولة الرومانية ثم البيزنطية، و لم يحتاجوا في ذلك إلى إذن من القبائل البربرية أو ابرام إتفاق معهم.

و إذ امتدت قمونية على مسافة تناهز الثمانين كلمترا من ناحية مكثرت إلى سهل القيروان، فإن سهل قمونية التي انتصبت وسطه مدينة عقبة، اقتضت حدوده على سهل القيروان الحالي، فهو لا يتجاوز غربا الجبل الممطور³ كما ذكر المالكي، و قد يكون جبل وسلات، بل إنه لا يتعدى جبل

1- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص- ص 12- 32.

2- محمد حسن: الجغرافية التاريخية، المرجع السابق، ص- ص 71- 73.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 32.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

القرن، قال ابن عبد الحكم: "فانتهى ابن حديج إلى قمونية و هي موضع مدينة قيروان افريقية، ثم مضى إلى جبل يقال له القرن"¹.

و تكاد تتفق جل المصادر على كونها مجرد موضع القيروان القديم، فقد ذكر ابن خرداذبة أن مدينة قمونية من موضع القيروان²، و دقق ياقوت الحموي الأمر عند قوله إنها موضع القيروان قبل أن تمصر³.

و تقرنا بعض المصادر من حدود هذا المجال الذي لا يتعدى السهل فتبدو لنا قمونية موضعا بيزنطيا، جاء عند المالكي: "موضع القيروان حصن لطيف للروم يسمى قمونية، و كان فيه كنيسة وفيها الساريتان الحمراءان التان هما اليوم في المسجد الجامع، كانت عليهما حنيتان مبنيتان أقامتا إلى أيام زيادة الله بن الأغلب فهدهما و حملهما إلى المسجد فجعلهما في المكان الذي هما فيه اليوم. كما اقترنت تسميتها القديمة بالحصن و الكنيسة الواقعة مكان القيسرية في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، فإنها أصبحت ملتصقة بمعالم مدينة عقبة، إذ تحدث ابن عبد الحكم عن جامع قمونية.

و الحويلة أن مجال قمونية قد يكون شهد تقلصا في آخر العهد البيزنطي و بداية الحقبة الإسلامية حتى أضحي متطابقا مع سهل القيروان، و قد ذكرت المصادر في هذا الصدد ساحل القيروان تارة و ساحل قمونية تارة أخرى⁴.

و رغم وجود آثار قديمة حول المدينة و العثور على مقابر رومانية قرب رقادة و شمال القيروان، فإن هذه الأخيرة هي مدينة مستحدثة أنشئت عند مفاصل الطرقات المتجهة نحو الجهات الأربعة، وذلك بعد تردد طويل و دراسة معمقة للمجال و المسالك و المناخ و الغطاء النباتي⁵.

1- ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص 496.

2- ابن خرداذبة: المسالك، المصدر السابق، ص 674.

3- ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ص 92.

4- محمد حسن: الجغرافية التاريخية، المرجع السابق، ص 71.

5- محمد حسن: الجغرافية التاريخية، المرجع السابق، ص 71.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

* أما القاعدة البشرية فكانت عربية فهي انجاز عربي محض¹ و خارجية تمت عن طريق الاستيطان والاستقرار العربي في ثلاثة أشكال هي الاختطاط، و توطن الجند و توطن القبائل (و هذا ما ذكرناه في الباب الأول).

و الجدول التالي يعطينا بصورة واضحة القبائل العربية التي اختطت و سكنت في القيروان:

المصدر	انتماء (الأصل أو الجذور)	إسم القبيلة (أو العمارة أو البطن أو الفخذ أو الفصيلة)
- الرقيق القيرواني: ص 102، 103 - ابن عذارى المراكشي: ج 1، 47 المالكي: الرياض، ج 34، 1، 62، 111 - البكري: 11، 673 - المالكي: الرياض، 1، 132 - المالكي: 1، 115 - المالكي: 1، 108، أبو العرب: 86 - المالكي 323، 11، 461 - المالكي 1، 142، 188 - المالكي 1، 239 - المالكي 1، 77، 206		- أهل الراية في مصر (وقد يكون أيضا في إفريقية) - قريش وموالي قريش (من الفرس وغيرهم) في القيادة ساهمت في كل الغزوات: * فهر * المخزومي * فهري * بنو أمية * بنو نوفل * بنو تيم * بنو جمح * بنو سهم
- المالكي: 1، 80، 81، 106، 135، 147، 252، 323	(قحطانيّة)	- الأنصار (الأوس والخزرج) ومواليهم (من الفرس وغيرهم)

1- و قد أكد اليعقوبي وجود مختلف القبائل العربية بقوله: "و في مدينة القيروان أخلاط من الناس من قريش و من سائر بطون العرب من مضر و ربيعة و قحطان..."، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 348، محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص 516.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

357، 11، 411 - المالكي: 1، 107		- جامع الأنصار، محرس الأنصار
204، 118، 118، 146، - المالكي: 1، 119، 146، 300، 238، 175	من كهلان (قحطانية)	<u>بقية القبائل</u> - لحم
405، 1، 1، 209 - المالكي: 1، 405 - أبو العرب: 209	(قحطانية)	- مهرة
الرقيق: 82 أبو العرب: 105، 128 المالكي: 1، 102، 422، 11، 281 128، 240، 175، 174، 1 الخشبي: 234	من كهلان (قحطانية)	- تجيب (من كندة)
أبو العرب: 95، 150 المالكي: ج I، 99، 110، 143، 152، 168، 188، 232، 253	(قحطانية)	- معافر
أبو العرب: 116، 139 المالكي: 167، 200، 215، 296 الخشبي: 234، 235	(قحطانية)	- رعين
أبو العرب: 150 المالكي: 96، 124، 137، 174، 275 أبو العرب: 159، 177	مضر (عدنانية) (عدنانية)	- كنانة وبعض بطونها - لبث

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

المالكي: 69 و 123، 192.		
أبو العرب: 166 المالكي: 241، 461	عدنانية	- غافق
أبو العرب: 157 الرياض: 89 الرياض: 251 الخشني: 151، 166	من كهلان (قحطانية)	- خولان
المالكي: 121، 130	(قحطانية)	- سبأ
المالكي: 176، 290	(قحطانية)	- حضر موت
القبائل التي ذكرها كتب الطبقات ولم ترد في فتوح مصر		
أبو العرب: 156، 183 المالكي: 283، 295، 470	من كهلان (قحطانية)	- أزد وبعض بطونها
المالكي: 150	(قحطانية)	- حجر
أبو العرب: 139 المالكي: I، 230 المالكي: II، 118	من كهلان (قحطانية)	- همدان
أبو العرب: 196 المالكي: I، 251	من كهلان (قحطانية)	- كندة
أبو العرب: 184 المالكي: I، 110، 345 المالكي: II، 152 الخشني: 233	(قحطانية)	- تنوخ
المالكي: I، 16، 76 أبو العرب: 163 المالكي: I، 16، 254	من طابخة (عدنانية) من قيس عيلان (عدنانية)	- مزينة (400 أو 800) - بنو سليم وموال لهم

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

198، I: المالكي	(عدنايية)	- قيس
210 أبو العرب:	من هديل (عدنايية)	- لحبان
68، I: المالكي	من قضاة (قحطانية)	- جهينة
178، II القفطي	من قضاة (قحطانية)	- خشين
104، I ابن الآبار	(عدنايية)	- ربيعة
112، I: المالكي 178، II: المالكي	من كهلان (قحطانية)	- جذام
122، I: المالكي 265، II: المالكي	مضر (عدنايية)	- هذيل
376، 231، I: المالكي	من تجيب (قحطانية)	- صمادح
234، I: المالكي	غطفان (عدنايية)	- عبس
385، I: المالكي	أزد (قحطانية)	- خزاعة
388، I: المالكي	قضاة (قحطانية)	- أسد
479، I: المالكي 306، 278، 197، II: المالكي و414	طابخة (عدنايية)	- تميم
186، 10، II: المالكي	من كهلان (قحطانية)	- بنو يجلة
203، 17، II: المالكي	(قحطانية)	- كلب (بطن من بجيلة)
193، 57، II: المالكي	من الأزد (قحطانية)	- غسان
455، II: المالكي الحشني: 142	(قحطانية)	- صدف (حي من حضر موت)
الحشني: 177	(قحطانية)	- بنو غنم

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

المالكي: I، 149 أبو العرب: ص 225	(قحطانية)	- كلاع
الحشني: 220	من غطفان (عدنانية)	- فزارة (من ذبيان)
المالكي: I، 129	من حمير (قحطانية)	- شعبان
المالكي: I، 34، 84، 93، 167، 136	قضاة (قحطانية)	- بلي
المالكي: I، 86	من كهلان (قحطانية)	- صدى

أما مدينة تيهرت فقاعدتها البشرية كانت محلية بربرية، فالرعية كما ذكر ابراهيم بحاز ظلت بربرية في غالبها طيلة حكم الرستميين¹، و من الدوافع التي ساهمت في اختيار عبد الرحمن بن رستم موضع تيهرت دوافع سياسية و مذهبية، فلجوؤه إلى قبيلة "لماية" كان بدافع مذهبي، إذ تعد هذه القبيلة من أهم القبائل الإباضية في المغرب الأوسط آنذاك و لسابق حلف معها، أما الذي ارتحلوا معه إلى جانب أهله و ابنه عبد الوهاب فكانت غالبيتهم من زناتة و هوارة و طرابلس و الأوراس².

أما القبائل الإباضية فلجأت بعد فرار عبد الرحمن إلى المغرب الأوسط إلى الكتمان حتى كونت لنفسها قوة خاصة في طرابلس حيث توجد قبيلة نفوسة³، و لكن بعد مقتل إمامهم أبي حاتم يعقوب بن حبيب سنة 155هـ / 772م⁴، عادوا من جديد إلى الكتمان و توجه العديد منهم إلى المغرب الأوسط حيث يوجد عبد الرحمن بن رستم الذي كان يعد أبرز شخصية إباضية بعد مقتل أبي

1- ابراهيم بحاز: الطبيعة العامة للحكم عند الرستميين، الخلدونية، المرجع السابق، ص46.

2- محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص117.

3- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص184.

4- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص295.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الخطاب و أبي حاتم¹، و لما كثر عدد الإباضيين بالمغرب الأوسط فكروا في بناء عاصمة تكون حصنا لهم تحميهم من الأخطار الخارجية التي كانت تهددهم، فكان بذلك الشروع في بناء المدينة تيهرت².
كما كان عبد الرحمن بن رستم يرغب من خلال اختياره لهذا الموقع في السيطرة و التحكم في القبائل الصحراوية البدوية³، خاصة و أن تيهرت تقع في قلب منطقة تسكنها قبائل إباضية متعددة⁴، و حول جبل جزول انتشرت قبائل بربرية شديدة الصلة بالمذهب الإباضي⁵، و على حد تعبير جورج مارسى فإن مدينة تيهرت كانت تتوسط بلاد البربر⁶، فقبليها لواطه و هواره في قرارات، و بغربيها زواغة و بجوفيها مطماطة و زناتة و مكناسة⁷، فضلا عن أن الموقع نفسه كان ملكا لقوم مستضعفين من مراسمة و صنهاجة اتفق معهم ابن رستم على خراج يؤدونه للأسواق مقابل أن يبيحوا لهم بناء المساكن⁸.

فكان هذا دافعا و حافزا قويا لعبد الرحمن بن رستم و أصحابه في اختيار تيهرت عاصمة لدولتهم المنتظرة، أي عاصمة لدعم الحكم المنتقل، و مواجهة الحكم المركزي في بغداد و التي أصبحت حرزا و حصنا لجمعية المسلمين و سميت بأمر العسكر و العسكر المبارك⁹.

أقدمت جماعة من الإباضية بالمغرب الأوسط على خطوة قد تكون الأصعب من نوعها على مر تاريخها عندما قررت بناء مدينة تكون مركزا لإمامتها، و عقدوا العزم على ذلك، و هم مدركون تمام الإدراك أن مثل هذا القرار سيجر معه و لا بد أعداء يتربصون بها، و من الحكمة بمكان إحاطتها

1- ابن الأثير : الكامل، المصدر السابق، ج5، ص601، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص136.

2- ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص70.

3- نفسه، ص89، A. Laroui, histoire du magreb, op.cit, p104

4- CH. Bekri, Le karijisme, op.cit, p- p 64- 65.

5- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص86.

6- جورج مارسيه : بلاد المغرب و علاقاتها بالشرق الاسلامي في العصور الوسطى، تر. محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الانتصار لطباعة الأوفست، ص121.

7- البكري: المسالك و الممالك، المصدر السابق، ص67، الحميري: المصدر السابق، ص126.

8- البكري: نفسه، ص68.

9- ابن الصغير: المصدر السابق، ص54.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

بدرع أمني يمنعها إذا ما بادروا و يقيها إذا ما هاجموا، فجعلوا هذا الأخير من شقين يعتمد أولهما على الطبيعة التضاريسية، ويرتكز ثانيهما على التحالفات القبلية.

فتمركز في منطقة داخلية تنصدر قلب المغرب الأوسط جغرافيا من جهة و محاطة بالقبائل البربرية من جهة ثانية، من شأنه أن يمنح الجماعة الإباضية فترة استرخاء و راحة عسكرية تمكنها من إعادة بناء قوتها¹، لا سيما بعد أن باءت محاولاتهم السابقة لإنشاء حاضرتهم بالفشل في كل طرابلس و القيروان و طبنة، لقرىها من الشرق و سهولة المواصلات في هذه النواحي²، إن هذا الوضع ينم و بوضوح عن الدور السياسي المنوط بالمدينة منذ اختيارها لتكون مركزا لإقامة الجماعة الإباضية، لا سيما و أن فكرة الإقامة الدائمة دون المعسكر المؤقت كانت حاضرة في ذهن مؤسسها منذ الوهلة الأولى لنزولهم بموقعها، و هو ما يعكسه معنى تسمية تيهرت في حد ذاتها.

و زيادة في الحرص على أمنهم، عمد بناء المدينة على اتخاذ جبل جزول جدارا طبيعيا يعزز أمنها، وهو الجبل نفسه الذي اعتصموا فيه لأول أمرهم بعد قدومهم إلى القيروان فيما بعد³، كما أن بناء المدينة في منخفض من جبل يولد شعورا بالأمن و الاستقرار الذي يكفل بدوره وحدة المجتمع الجديد و رغبته في التعايش بين البدو الرحل الوافدين عليها و سكانها⁴.

و الجدول الموالي يوضح التواجد المبكر للبربر في تيهرت و مكانتهم و دورهم فيها:

اسم القبيلة	الانتماء أو النسب	دورها ومكانتها في تيهرت	المصدر أو المرجع
-------------	-------------------	-------------------------	------------------

1- لخضر سيفر : المرجع السابق، ص40.

2- سليمان داوود بن يوسف: المرجع السابق، ص82.

3- نفسه، ص نفسها.

4- ليزيك دابوفسكي: تاهرت، ملاحظات حول تطور فن العمران الاسلامي في المغرب الاسلامي (القرن السابع- الحادي عشر)، محاضرات و مناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الاسلامي، وارجلان، 26 صفر 1397هـ، 06- 15 فبراير 1977، م4، منشورات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة 1984، ص298.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

<p>* ابن خلدون العبر ج6، ص246. * محمد بن عميرة دور زناتة، ص- ص 115-117، احسان عباس، المجتمع التاهرتي، الأصالة ص 26</p>	<p>* استقبل أفرادها بنو رستم، واجتمعوا إليه، وبايعوه بالأمامة، ثم سارعوا وشرعوا في بناء تيهرت. * هذه القبيلة هي التي نشرت المذهب الإباضي إلى جنوب تيهرت ونشرته بين جيرانها من قبيلتي لواته وهوارة.</p>	<p>بترية وهي بطن من ولد فاتن بن تاصمين بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبت</p>	<p>قبيلة لماية</p>
<p>* ابن خلدون العبر ج6، ص 117، 118. * ابن الصغير ص- ص 88، 52 * محمد علي ديوز تاج المغرب، ج3، ص 253، 254. * محمد بوركبة، البنية الاجتماعية الخلدونية ص- ص 122، 133.</p>	<p>* دعمت ووطدت أركان الدولة الرستمية وحافظت على كيانها السياسي. * قضت على ثورة محمد بن مسالة الهواري الإباضي في عهد الإمام أبي اليقضان. * بذلت جهدا كبيرا في القضاء على الغزو الخارجي والفتن الداخلية، مما دفع الإمام عبد الوهاب إلى مصاهرتها.</p>	<p>بترية- من أكبر بطون البربر البتر، تنتسب إلى لو الأكبر بن لو الأصغر</p>	<p>قبيلة لواتة</p>
<p>* ابن خلدون العبر ج6، ص 117. * أحمد الزاوي تاريخ الفتح العربي ص 21. * سليمان الباروني ج2، ص 133، 134. * محمود اسماعيل عبد الرزاق الأغالبة 184</p>	<p>* كانت السياقة إلى اعتناق المذهب الإباضي والدفاع عنه. * استنجدت بالإمام عبد الوهاب في ثوراتها ضد العباسيين في طرابلس فلم يتردد في نجدها، وضرب حصارا شديدا على المدينة سنة 196هـ/811م انتهى بالصلح في الأغالبة.</p>	<p>بطن من البرانس تنسب إلى هوارين أو زيغ بن برنس جد البرانس.</p>	<p>قبيلة هوارة</p>

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

<p>296هـ سياستهم الخارجية، ط2، مكتبة وراق، جامعة فاس المغرب، 1978، ص105، 106.</p>	<p>* وفي عهد الامام أبي بكر بن أفلق ضعفت القبيلة وانقسمت على نفسها إلى قسمين (بني الأوس وترهنة) فهذأت الأوضاع بعد ذلك، فلا حرب ولا نزاع ولا خروج عن طاعة الإمام.</p>		
<p>* ابن خلدون العبر ج6، ص264. * أحمد الزاوي تاريخ الفتح ص22. محمد بوركبة، البنية الاجتماعية الخلدونية ص 222. * ابن الصغير ص47. محمد اسماعيل، الخوارج ص134.</p>	<p>* كان لها دور في مبايعة الإمام يعقوب بن أفلق بأرضها غربي طرابلس سنة 282هـ/895م ضد أين أخيه أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان هذا الأخير التي عادت إليه الامامة بعد حرب دامت اربع سنوات، أتت على الحرث والنسل، أما الامام يعقوب فرجع إلى قبيلة زواغة حتى شهد سقوط الدولة الرستمية ثم رحل إلى وجلان سنة 296هـ، وكان دورها سلبيا عندما قانت بحماية الطيب بن يخلف بن السمح بعد أن شق عصا الطاعة عن الإمام، وبعد الحرب كان الانتصار حليف الرستميين والهزيمة لزواغة، وهروب بن السمح إلى جربة أين تم إلقاء القبض عليه.</p>	<p>بتربية، تنسب إلى دمر بنو زواغ وبنو وطيل بن زجيك وبنو زواغ وبنو ماحزين تيفون بن زواغة.</p>	<p>قبيلة زواغة</p>
<p>* البكري المغرب ص55.</p>	<p>* فبحكم ثراء هذه القبيلة مثلت</p>	<p>بتربية، وبطن من</p>	<p>قبيلة مزّانة</p>

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

<p>*ابن الصغير ص 47. *احسان عباس المجتمع التاهرتي الأصالة ص 26. *محمد بوركبة البنية ص 123.</p>	<p>سندا قويا للدولة الرستمية، فقال عنها الإمام عبد الوهاب "ما قام هذا الدين (الحكم) إلا بسيوف نفوسة وأموال مزاة". *كان لشيخها أبي يعقوب المزاتي دخل كبير في فض النزاعات والصراع الذي دار بين الإمامين يعقوب بن أفلح وابن أخيه أبي حاتم يوسف حيث تدخل في إقرار الصلح بينهما وعادت الإمامة لأبي حاتم كما ذكرنا سابقا.</p>	<p>بطون لواته وهي إباضية المذهب</p>	
<p>*البكري المغرب ص 55. *سليمان الباروني الأزهار، ج 2، ص 273. ابن الصغير ص 78.</p>	<p>*وصفت هي الأخرى بالثراء، قال عنها ابن الصغير وعن مزاته: "كانوا ينتجعون من أوطانهم ... في أشهر الربيع إلى مدينة تيهرت... دخل وجوههم ورؤسائهم المدينة فيبرون ويكرمون، ثم يخرجون إلى أشياهم وبعيرهم فيقيمون بها إلى ظعنهم". *كان لهم دور أيضا في اصلاح المجتمع الرسمي حيث طلبوا من الإمام عبد الوهاب تغيير القاضي وصاحب الشرطة وصاحب بيت</p>	<p>بترية، وبطن من بطون لواته البريرية، وهي إباضية المذهب</p>	<p>قبيلة سدراة</p>

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

	المال.		
<p>قبيلة نفوسة</p> <p>بترية من أكثر القبائل البربرية انتشارا وهم قوم عجم الألسن إباضية كلهم، موطنهم من طرابلس غربا حتى جبل نفوسة ومناطق القيروان، ومازالت جماعات منهم تسكن الجبل حتى الآن.</p>	<p>المال.</p> <p>كانت هي المحرك الاساسي والمهم للحكم الرستمي¹ اعتمد عليها الامام عبد الوهاب كليا في سياسته الداخلية والخارجية وبفضلها قضى على الحركة النكارية.</p> <p>*شاركت أيضا في محاربة المعتزلة (الواصلية) وتغلبت عليها، وكانت نفوسه تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال، وانكار المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق، وبلغت في تأييد السلطة الرستمية مبلغا عظيما لم يبلغه غيرهم في بلاد المغرب.</p>	<p>* ابن خلدون العبر، ج6، ص 229، 230.</p> <p>*الوسياتي: ص 44.</p> <p>*الحموي ج5، ص 296، 297- احمد الزاوي تاريخ الفتح، ص 22.</p> <p>*Negre, la fin op,cit, P 20,21.</p> <p>* اليعقوبي: صفة المغرب ص 7، ابن الصغير ص 43، 45، أبو زكرياء يحيى: ص 150، الدرجيني: الطبقات ج1، ص 87.</p> <p>*محمد بوركبة البنية الاجتماعية ص 124، 125.</p>	
<p>قبائل أخرى عديدة ذكرتها المصادر</p> <p>ومنها قبائل دمر الزناتية، قبيلة بني يفرون الزناتية ومكناسة</p>	<p>اختلفت أدوارها ومكانتها في الأحداث السياسية وكذا الجوانب الاجتماعية والاقتصادية في الحاضرة تيهرت بصفة خاصة</p>	<p>*محمد بن عميرة: ص 18.</p> <p>(E) Gautier, op.cit, P 371.</p>	

1- للمزيد أكثر عن دور حياة القبيلة في تدعيم حكم الرسمية، ينظر، ابراهيم بحار: الطبيعة العامة للحكم عند الرستميين، الخلدونية، المرجع السابق، ص 46-47.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

<p>*الدرجيني:ج1، ص 65. *محمد عيسى الحريري ص 129. *سليمان الباروني ج2، ص 137، 188. (G) marçais, les arabes op,cit P 50 (G.H) Bousquet, les berbères, presse universitaire de France. Paris 1957,p53.</p>	<p>والدولة الرسمية بصفة عامة ، وهذا ما يذكره لنا بالتفصيل محمد بوركة¹.</p>	<p>ومطماطة ونفزاوة ومطغرة وقبائل قسطيلية وقفصة، ونفطة وغيرها كثير.</p>
---	---	--

و الجدول التالي يوضح لنا أهم القبائل البربرية التي وجدت في عاصمة الرستميين، و كان لها دور بارز في تفعيل الأحداث السياسية في المجتمع الرستمي²:

و من خلال هذا يتأكد لنا ما أثبتته المصادر التاريخية و هو عدم مشاركة العرب في بناء مدينة تيهرت، و لكن هذا لا يعني أنهم لم يسكنوا تيهرت، بل كان لهم الفضل في نشر اللغة العربية و الدين الاسلامي الحنيف، الذي أصبح عنصر الخلاص للبربر من العبودية و القهر، و ازدهرت بوجودهم الحضارة و العمران في تيهرت³.

1- محمد بوركة: البنية الاجتماعية، الخلدونية، المرجع السابق، ص- ص 122- 126.

2- للتفصيل أكثر في دور و مكانة هذه القبائل البربرية، ينظر محمد بوركة: البنية الاجتماعية في العهد الرستمي، مجلة الخلدونية، المرجع السابق، من ص-ص 121- 126، ابراهيم بحاز: الطبيعة العامة للحكم عند الرستميين، الخلدونية، نفسه، ص 46- 47.

3- محمد بوركة : البنية الاجتماعية، المرجع السابق، ص126.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

أما القيروان فهي انجاز عربي محض كما ذكرنا قامت على أكتاف قبائل عربية، لكن هذا لا ينفي وجود القبائل البربرية و استقرارها بالقيروان، فقد أثبتت المصادر هذا الوجود، حيث تحدث ابن الأثير عن اسلام قبيل من البربر في ولاية عقبة بن نافع¹، و ذكر الرقيق القيرواني محاصرة القيروان من طرف عكاشة الفزازي (الهوري) و عبد الواحد الهواري²، كما أن أخبار ثورة البربر في 124هـ في افريقية تمكننا من افتراض وجود قبيلة هواة في الجبال المحيطة بالقيروان³، كما أشار الرقيق إلى قبائل بربرية تحالفت مع زناتة و هواة جاءت من طرابلس قاصدة تخليص القيروان من النفزاويين⁴، و أشار أحمد الأسود أن سكان جزيرة شريك طردوا البربر(و قد يكون هؤلاء من الهواريين)⁵ الذين كانوا إلى جانبهم فالتحقوا بأبي يزيد في القيروان⁶.

و ما يمكن استنتاجه من قائمة بن سلام عن شيوخ الإباضية في افريقية أن أكثرهم استوطنوا الساحل و المناطق المحيطة بالقيروان، فمنزل أبي الأزهر الهواري يقع شرقي القيروان، و منزل أبي عبد الله الفضل غربي القيروان في وسط سوق الأحد⁷.

إن تأسيس مدينة تيهرت كان متأخرا بالنسبة إلى القيروان، فإذا كانت القيروان قد تأسست في منتصف المائة الأولى (50- 55هـ) فإن بناء تيهرت تأخر إلى منتصف المائة الثانية (144هـ) حسب البكري⁸ أو 154هـ حسب الرقيق القيرواني¹، أو 160هـ حسب ما أكدته جل المصادر،

1- ابن الأثير: المصدر السابق، ج2، ص484.

2- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 116- 117.

3- (Y) Moderan, Debellis, op.cit, p794.

4- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص- ص 39- 72.

5- أحمد الأسود: المصدر السابق، ج2، ص630.

6- ابن الأثير: المصدر السابق، ج2، ص 483- 484.

7- لواب ابن سلام: بدء الاسلام، المصدر السابق السابق، ص133- 134.

8- حيث يقول البكري: في صفر سنة أربعة و أربعين و مئة هرب عبد الرحمن بأهله... و اتفقوا على تقديمه و بنيان مدينة تجمعهم، فنزلوا موضع تاهرت اليوم"، البكري، المصدر السابق، ص68، ذكر أن عبد الرحمن بن رستم قد وصل تيهرت منهزما بعد حصار طينة سنة 154 هـ/ 771 م، و هذا يعني إما أنها كانت قائمة في هذا التاريخ أو أنه يقصد أن عبد الرحمن وصل إلى حيث قامت تيهرت فيما بعد، و هذا ما نفهمه من خلال كلام البكري، البكري: المصدر السابق، ص189.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

أي السنة التي تم فيها انتخاب عبد الرحمن بن رستم إماما على رأس الدولة الرستمية²، حيث كانت هذه المبايعة بداية حقيقية لحكمه في المغرب الأوسط، و كان الشرط الذي تم على أساسه البيعة هو العمل بكتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و أثر الخلفاء الراشدين، و يؤكد الشماخي ذلك بقوله: "فقبلها على ذلك و قام بأمر الله و زاهد الدنيا بعد أن تمكن منها"³.

إن إشكالية الملكية الخاصة و المسألة العقارية كانت مطروحة في بناء مدينة تيهرت، فقد تساءل العديد من المؤرخين عن سبب إهمال عبد الرحمن بن رستم المدينة العتيقة الواقعة قريبا من تيارت الحالية والتي كانت محصنة بقلعة و جدارين ضخمين، و كانت تتمتع بموقع حصين ممتاز ويستقر على مسافة ثمانية كلمترات غربي المدينة القديمة، و قد أحاب البكري عن هذه التساؤلات وعن سبب عزوف عبد الرحمن بن تيهرت القديمة التي توفر له وقتا أقل و موقعا محصنا، حيث أرجعه بالدرجة الأولى إلى مقاومة سكانها لقوله: "فكانوا كلما بنوا شيئا في الليل وجدوه قد تهدم و انهار في الصباح، فعزفوا عن ذلك الموضع و قاموا ببناء تيهرت الحديثة التي تقع على بعد خمسة أمسال من تيهرت القديمة غربا"⁴.

ثانيا- تباين التخطيط و النسيج العمراني

إن التطرق إلى خصائص التمصير بالقيروان و عناصرها التخطيطية يدفعنا إلى إبداء الملاحظات التالية:

- 1- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص143.
- 2- الدرجيني: الطبقات، المصدر السابق، ج1، ص40، و يذكر السلاوي أنهم بايعوه بالخلافة سنة 144هـ، السلاوي: الاستقصا، المصدر السابق، ج1، ص115.
- 3- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص140.
- 4- البكري: المصدر السابق، ص67، مختار حساني: المرجع السابق، ص287، و قد ذكر لنا أن موقع تيهرت كان ملكا لقوم مستضعفين من مراسمة و صنهاجي اتفق معهم بن رستم على خراج يؤدونه للأسواق مقابل أن يببوحوا لهم بناء المساكن.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

1- خضعت هذه المدينة إلى تخطيط مسبق وفق نموذج تمصيري عرفته الكوفة و البصرة و الفسطاط، وشاركت فيه القبائل العربية النازلة بالموضع، و قد كانت جملها مستقرة بالفسطاط من قبل، و أهمها: قريش و كنانة و مزينة و سليم و قيس و لحيان و عبس و تميم من العدنانية و الأنصار و أسلم و لحم و مهرة و تجيب و معافر و رعين و يحصب و حولان و حضرموت و أزد و همدان و كندة و تنوخ و وجهينة و أسد و كلب و غسان و صدف و كلاع و بلي و طي من اليمانية، و هو ما أكده اليعقوبي بعد نحو قرنين من الزمن في قوله: "بها أخلاط من الناس من قريش و من سائر بطون العرب من مضر و ربيعة و قحطان"¹.

مما يفسر أن التخطيط و تقنيات البناء و مواد خضعت إلى حد كبير إلى هذه التأثيرات الخارجية، سيما أن عقبة بن نافع كان ضمن الجند الذي مصر الفسطاط.

2- عرف تخطيط القيروان هذه الثنائية: الحرم- الخطط، وفق الكيفية التالية، فقد بدأ الاختطاط بالحرم الأوسط، فاختط عقبة أولاً دار الإمارة، و يقدم لنا المالكي توضيحاً هاماً حول مكان دار الإمارة إذ يقول: "و بنى دار الإمارة التي في قبلي الجامع"²، و هذا يؤكد التواصل في تخطيط المدن الإسلامية من الكوفة إلى القيروان، تركيز مؤسستي السلطة الدينية و المدنية و هو ما يمثل مركز المدينة الجديدة، و هذا المركز كان مربعاً³.

ثم أتى إلى موضع المسجد الأعظم، فاختطه و لم يحدث فيه بناء، وكان يصلي فيه هو كذلك، و من المعلوم أن دار الإمارة تقع قبلي الجامع حسبما أشار إلى ذلك المالكي⁴، و لا شك أن تحديد جدار القبلة له مغزاه، في رسم بقية المجالات المتوازية و المتعامدة معه.

1- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 48.

2- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص97، و قد أصبح مكانها في القرن 9هـ/ 15م يسمى المخزن، ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج1، ص166.

3- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص26.

4- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص97.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

و هكذا فإن المرحلة الثانية من التمصير تمثلت في التقسيم إلى خطط، قال المالكي: "أمرهم (عقبة الناس) أن يقتطعوا و يختطوا"¹، و هو ما فصله ابن عبد الحكم في قوله: "و أمر الناس بالتنقية و الخطط، ونقل الناس من الموضع الذي كان فيه معاوية بن حديج نزله إلى مكان القيروان اليوم، وركز رحه و قال: هذا قيروانكم"².

و من جهة أخرى عرف هذا التخطيط على غرار الأمصار الأولى تطورا تدريجيا، و لم تكن المنازل في البداية سوى خيام أو خصوص، و المسجد سور محيط مع بناء بسيط باللبن، و يبدو لنا أن خطة المدينة تطورت نوعيا على إثر بناء سورها سنة 146هـ / 763م، و خصوصا تنظيم أسواقها على طول السماط وحدوه ابتداء من سنة 155هـ / 771م، على أن هذا التطور لا يمكن أن يخفي بقاء مؤشرات دالة على نوعية التخطيط الأول طيلة العهد الأغلبي.

3- تميزت هذه الخطة بالتقاء المحاور الكبرى في زاوية متعامدة عند المسجد الجامع، و تفرعها باتجاه الأبواب، و لا مناص من الافتراض أن شكل الحرم مربع، على غرار مثيله في الكوفة، و هو ما يتضح من ذكر الرحبة الوسطى التي تلتقي فيها الطرقات المتعامدة، تحت عبارة "مربع السماط" الذي تفرغت منه مسالك قسمت المدينة على أربع مجالات، و قد انقسم كل مجال بدوره إلى شوارع و سكك تفضي إلى رحبة متوسطة.

و لئن لم تتضح معالم السماط الواقع شرقي الجامع إلا بعد بناء السور سنة 146هـ، وخصوصا بعد أن رتب يزيد بن حاتم أسواق القيروان و جعل كل صناعة في مكانها سنة 155هـ، فإنه شهد تطورا كبيرا ابتداء من تلك الحقبة، و خصوصا بعد هدم السور سنة 209هـ / 824م.

و صفوة القول، خضع تخطيط القيروان إلى نموذج التمصير المتميز بالتخطيط الهندسي وبالتناغم بين المجالات المبنية و غير المبنية من مناهج و سكك و رحبات، و عرفت المدينة طيلة ثلاثة قرون من الزمن تطورا متناسقا في تشكيلها المورفولوجي، و مجالها الحضري، فتعددت الأبواب في ارتباط

1- نفسه، ص نفسها.

2- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص 196.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

مع امتداد المدينة الحضري و ازدياد مراكزها الثانوية و نشأة مدن أميرية جديدة (العباسية ثم رقادة ثم صبرة المنصورية)، وكذلك في علاقة مع ناحيتها و كورتها.

أما تيهرت فهي الأخرى خضعت إلى تخطيط عمراني طبقت فيه أحكام الشريعة الإسلامية لذا فأول ما شيد فيها هو المسجد الجامع الذي تم اختيار مكانه عن طريق القرعة، و هذا ما أكده لنا أبو زكرياء يحيى بقوله: "قصدوا إلى اختيار محل ليؤسسوا فيه المسجد الجامع قبل كل شيء، فانتخبوا أربعة أماكن و رموا القرعة عليها، فجاءت على المكان الذي أصلحوه للصلاة أيام إقامتهم في تنقية الأشجار¹، و يقول ابن عذارى: "فنزّلوا بموضع تيهرت... فبنوا مسجداً من أربع بلاطات"².

و ما نلاحظه و يمثل وجه للاختلاف مع القيروان هو عدم بناء دار للإمارة، فقد بنوا المسجد حقا لكن ابن الصغير لا يشير إلى وجود دار الإمارة في تيهرت حيث ذكر أن عبد الرحمن بن رستم كان يصرف أمور الرستميّين في الجامع³.

و اختلاف آخر بين تيهرت و القيروان في وجود السور بتيهرت منذ البداية، و هذا ما ذكره لنا صاحب الاستبصار: "مدينة تاهرت مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور و لها قسبة منيعة تسمى المعصومة"⁴، أما القيروان فكما رأينا لم تكن مسورة و لعل موقعها الجغرافي جعل المؤسسين لا يرون ضرورة تشييد سور لأن الموضع وحده يكفي لدرء الأخطار و يسمح بمراقبة المسالك التي قد تأخذها الجيوش المعادية باتجاه المدينة و يسمح كذلك بإمكانية الاستعداد في الوقت المناسب لمواجهة الخطر، و لم تنفرد القيروان بهذه الصفة مثلها مثل البصرة، و الكوفة لم يكن بها⁵.

و اختلاف آخر نسجله من حيث صمود المدينتين في وجه العبيديين في القيروان لما قدم يقربها عبد الله المهدي تلقاه أهلها و سلموا عليه فرد عليهم ردا جميلا، فأمن أهلها و ولى عليها الحسن بن

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص53، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص139.

2 - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص203.

3 - حين قدم وفد من البصرة قال لهم عبد الرحمن: "نخرج إلى المسجد الجامع، نضلي و الناس، و نعلمهم بما جئتم به، و تم ذلك"، ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص12.

4 - مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص66.

5 - محمد سعيد المرجع السابق، ص43.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

أحمد بن علي بن كليب المعروف بابن أبي خنزير و أمره بقتل من خرج ليلا أو شرب خمرا¹، و ولي القضاء محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي²، بينما نجد عبد الله الشيعي يخرج من رقادة ويعسكر على مقربة من تيهرت فيقضي على الرستميين دون مقاومة تذكر³، و كان الشيعي قبل دخوله المدينة قد بعث إلى اليقظان يأمره و أسرته بالقدوم إليه، فلما جاءه و مثل أمامه سخر منه وقتله و جميع أبنائه و لم ينج من الأسرة إلا من هرب متجها نحو وارجلان⁴.

و هكذا تسقط المدينة و ينتهي خبر الرستمية بتيهرت، هذه المدينة التي بنتها القبائل البربرية بزعمارة رستمية إباضية أصبحت تحت قبائل متناحرة فيما بينها، فكان لا بد أن يأتي على خرابها، ولا يمكن لقبائل تشتت شملها أن تعيد بناء مدينة تجمعها⁵، و تضيف و داد القاضي عامل كثرة الأموال في أيدي الناس في المدينة حيث أصبحت عاملا من عوامل إذكاء نار الصراع فيها لأن أصحابها استسلموا إلى الرفاهية والتنافس على جمعها و من ثمة سوء استعمالها⁶.

المبحث الثالث: تباين نظام و أجهزة الحكم و الإدارة

لقد اختلف نظام الحكم في المدينتين، و هذا ما أكده ابراهيم بحاز الذي رأى أن الاختلاف في سياسة الأشخاص في الدولة الواحدة أمر بديهي من سنن البشر، إن لم يقصده الحاكم قصدا مباشرا اضطر إليه اضطرارا بسبب اختلاف الظروف و الملابسات و اختلاف الزمان و المكان⁷، فضلا أن الدول و بصفة عامة تشهد الارتباك مباشرة بعد وفاة حاكمها الأول، أو لنقل مؤسس

1- ابن عذارى : البيان، المصدر السابق، ج1، ص151.

2- و قال عنه القاضي النعمان: "كان له تشيع قدم"، القاضي النعمان: المصدر السابق، ص246-247، و للمزيد عن هذا القاضي ينظر، فاطمة بلهوارى: الفاطميون، المرجع السابق، ص32-33.

3- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص71-72.

4- ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص128.

5- R. Bourouiba, op.cit, p- p 41- 42.

6- و داد القاضي: المرجع السابق، ص248.

7- ابراهيم بحاز: الطبيعة العامة للحكم عند الرستميين (160-296هـ/777-909م)، مجلة الخلدونية، المرجع السابق، ص48.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

فلسفتها، و هذا ما حدث في الدولة الاسلامية بعد وفاة الرسول صلى اله عليه و سلم عندما اختلف الصحابة حول الخليفة الأنسب، ثم دولة الأمويين بعد وفاة معاوية، كما اضطرت الأمور أيضا في دولة العباسيين بعد وفاة السفاح، و في دولة الأدارسة بعد وفاة ادريس الثاني، و هكذا كان الأمر بالنسبة للرسامين في تيهرت بعد وفاة إمامهم الأول خاصة و أن التجربة كانت جديدة في الاستخلاف، فقد ترضي بعض المؤسسين الأوائل للإمامة، و قد يرفضها البعض الآخر¹.

فقد أسس نظام الحكم في تيهرت في البداية على مبدأ الشورى أي الانتخاب²، و هو ما يمكن تسميته الجمهورية الاسلامية³، و لقب حاكم الدولة بالإمام⁴، و هو مصدر للسلطة الدينية والسياسية لما تقتضيه دلالة اللقب الذي استمد من صبغة البيعة التي ذكرها ابن الصغير بقوله: " و نحن الآن نرضى بك و نقدمك على أنفسنا، فقد علمت أن لا يصلح أمرنا إلى إمام نلجأ إليه"⁵.

بينما نظام الحكم في القيروان على الأقل في العهد الأغلي كان وراثيا، لقب الحاكم فيه بالأمير⁶، و سلطته منفصلة عن الخليفة العباسي، و هو رأس السلطة، لهذا عرف أيضا بلقب السلطان⁷، يقوم بتسيير الإمارة في السلم و الحرب و يساعده الوزير الذي يرأسه مجموعة من الكتاب

1- ابراهيم مجاز : الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص48- 49.

2- عمار بوحسون: التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص33.

3- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص21، محمد عليي: المرجع السابق، ص19.

4- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص223.

5- ابن الصغير: المصدر السابق، ص29- 30.

6- الأمير ذو أمر أي الأمر و الأمير، تعني الملك لنهاذ أمره و جمعه أمراء، ابن منظور: المصدر السابق، ج5، ص- ص 86- 88.

7- السلطان مشتق من السلاطة و التي تعني القهر..، و السليط عند عامة العرب الزيت، و عند أهل اليمن دهن السمسم..والسلطان يعني الحجة و البرهان، و السلطان إنما سمي سلطانا لأنه حجة الله في أرضه..و السلطان اشتق من السليط، و السليط ما يضاء به، و من هنا قيل للزيت سليط..و لذلك قيل للأمراء سلاطين لأنهم الذين تقام بهم الحجة و الحقوق، ابن منظور: المصدر السابق، ج9، ص 192- 193.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

يشرقون على الدواوين مثل ديوان الخراج و ديوان البربر¹، فالأمير هو ممثل الخليفة و قائد الجيش وإمام الصلاة و رئيس الجهاز الإداري بالسلطة القضائية².

و كان الجهاز القضائي تابعا للإمامة في تيهرت، فالإمام هو الذي يقوم بتعيين القضاة بالمشورة بناء على الاستقامة و النزاهة و الصلاح، أما في القيروان فيبدو أن القضاء تمتع بالاستقلالية بعيدا عن تدخل الأمراء أو الولاة و القضاة كانوا على المذهب المالكي و المذهب الحنفي³.

أما بخصوص الجيش فقد اتخذ الرستميون جيشا نظاميا، اقتصرت وحداته على المتطوعين من القبائل و خاصة من جبل نفوسة، أما الأغلبة فقد كان لهم جيش نظامي يتكون من عناصر البربر، و العرب، و العجم، و العبيد السود⁴، كما اهتم الأغلبة و من بعدهم الفاطميون بالأسطول الحربي البحري، و هذا انطلاقا من إدراكهم للمخاطر التي يشكلها الروم على سواحل افريقية، و كذلك لإخماد ثورات الإباضية على طرابلس⁵.

لقد وصف الكثير من الدارسين حكومة تيهرت الرستمية بالحكومة التيقراطية⁶، و يؤكد ابراهيم مجاز على ذلك باعتبار اعتماد هذه الحكومة الدين كسلطة عليا، و كان أئمتها علماء دين و من ورائهم فقهاء الإباضية، يراقبون أعمال الإمام و موظفيه رقابة شديدة⁷.

فحكام تيهرت حسب جورج مارسيه يختلفون عن حكام القيروان لكون الحكم في تيهرت حكم تيقراطي، و يقول في موضع آخر بأن حكمهم حكم مثالي¹، و هذه المثالية تنطلق من أن الحكم في تيهرت الرستمية يبدأ من الدين الاسلامي و ينتهي إلى الدين الاسلامي².

1- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص74-75.

2- (H) Djahit, l'afrique, op.cit, p602.

3- محمد علي: المرجع السابق، ص20-34.

4- حسن حسيني عبد الوهاب: وراقات، المرجع السابق، ص78.

5- عبد العزيز و أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية، المرجع السابق، ص99.

6- (G) Marçais, La berberie op.cit, p105, andre negre, la fin, op.cit, p10.

7- ابراهيم مجاز: الطبيعة العامة للحكم، مجلة الخلدونية، ص47.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

و عموما فلا مجال للمقارنة بين أئمة تيهرت المتمسكين بأهداب الدين و بين ملوك رقادة المتحررين و المتحمسين في مباحج الحياة³، و يضيف عبد الحميد زغلول قائلا: "هكذا اختلفت صورة أئمة فاس، فبينما شرف الأدارسة بانتمائهم إلى البيت العلوي العظيم، علا شأن الرستميين بفضل تمسكهم بأهداب الدين و عملهم بتعاليم الكتاب و السنة و انتصارهم للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فكان الدين حسبهم و العمل في سبيل الله نسبهم..."⁴.

إن الرستميين لم يحكموا البلاد و العباد بحق الملك الذي يخول التصرف في الأموال و الولايات و الرجال و الجيوش بحرية مطلقة، و إنما حكموا بحق الأفضلية علما و خلقا⁵.

إن الرعية في تيهرت كانت و ظلت بربرية في غالبيتها طيلة حكم الرستميين، و ليس من السهل حكم البربر و الإمامة في أغلبية رعيته بربرية، و هؤلاء لا يتم حكمهم إلا بأسلوبين على طريقي نقيض: "فإما بالفتوة البالغة و الاستبداد و الاضطهاد، و هذا الأسلوب الذي سار عليه العديد من الولاة اتجاه البربر و منهم كما رأينا يزيد بأبي مسلم، عبيدة بن عبد الرحمن السلمي، عبيد الله الحبحاب و غيرهم⁶، كما حكم به البربر أنفسهم في بعض الأحيان، و إما بالتسامح و العدل⁷، و هذا ما تبنته الإباضية كخيار و شعار لحكم دولتهم و عزمت على تطبيقه منذ بيعة عبد الرحمن بن رستم، و هذا الذي نفهمه من قول ابن الصغير: "...قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام عادل، نرجع إليه في أحكامنا و بنصف مظلومنا..."⁸.

-
- 1- (G) Marçais et (D) lamare, Tiaret, p24.
 - 2- ابراهيم بحاز: طبيعة الحكم، مجلة الخلدونية، المرجع السابق، ص48.
 - 3- عبد الحميد زغلول : المرجع السابق، ج2، ص509.
 - 4- نفسه، ج2، ص521.
 - 5- ابراهيم بحاز: طبيعة الحكم الخلدونية، ص45.
 - 6- للمزيد عن سياسة الاضطهاد و انعكاسات الممارسات السلبية عن البربر، ينظر، أم كلثوم بن يحيى، قراءة في الأوضاع، المرجع السابق، ص 113-123.
 - 7- ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص132.
 - 8- ابن الصغير: المصدر السابق، ص29.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

و صفوة القول أن طبعة الحكم في تيهرت اختلف عنه في القيروان فقد وصف بالمملكة الوراثية¹ لبقاء السلطة في أسرة واحدة، بحيث يخلف الابن أباه بشكل منتظم و لكن ليس بحق الميلاد و ليس بولاية العهد و إنما بالانتخاب²، و تميزت الرعية فيها بالتنوع و إن غلب عليها طابع البداوة³، فبدأوتها في التزامها بالدين و الحكم العادل و الراشد⁴.

المبحث الرابع: التباين الاجتماعي و الاقتصادي

أولاً- البنية و التراتب الاجتماعي

يبرز لنا من خلال دراسة البنية الاجتماعية للمدينتين ذلك التباين و الاختلاف في أعلى هرم الطبقة الخاصة الممثلة في شخص الأمير و الوالي بالنسبة للقيروان و الإمام بالنسبة لتيهرت⁵، ليس فقط من جانب التسمية و إنما في مدى تبعية هذه الفئة للخلافة بالمشرق، فالأمير أو الوالي في القيروان هو ممثل للخليفة، و يجمع بيده كل عناصر السيادة، يقود الجيش و يؤم الصلاة و يرأس الجهاز الإداري و يمسك بالسلطة القضائية⁶، و يقيم الوالي في دار الإمارة¹، ثم في العباسية حيث انتقل إليها إليها ابراهيم بن الأغلب ثم رقادة حيث أقام ابراهيم بن أحمد و ابنه أبو العباس و حفيده زيادة الله².

1- (G) Marçais, La berberie, op.cit, p106, Gautier, les siècles, op.cit, p34.

2- Gautier, ibidem.

3- محمد عيسى الحري: المرجع السابق، ص229، Dengel, l'imamat, op.cit, p104

4- للمزيد عن طبيعة الحكم العادل و الراشد في تيهرت الرسمية و مقارنته بأنظمة الحكم في القيروان و باقي الدول الإسلامية، الإسلامية، ينظر، ابراهيم بحاز: طبيعة الحكم، الخلدونية، ص30-43، بلحاج طرشاوي: مناهج الحكم الراشد في دولة بني رستم، مجلة الخلدونية، المرجع السابق، ص52-59، الصديق ثياقة: الدولة الرسمية، نظامها الحكومي و مرجعيتها الدينية، الخلدونية، المرجع نفسه، ص101-103.

5- و هنا يبرز الاختلاف في نظام الحكم بين الإمارة أو الولاية في القيروان و الإمامة في تيهرت.

6- Djahit : l'afrique arabe, op.cit, p602.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

أما إمام مدينة تيهرت فسلطته منفصلة عن الخليفة و لا يقيم في دار الإمارة لأنها كما استنتجنا أنها غير موجودة و إنما يقيم بداره أو قصره.

و يظهر التباين و الاختلاف أيضا في الفئات التابعة لسلطة الإمام، نذكر منها فئة الرؤساء، و فئة المشايخ و فئة الشراة، هذه الفئات وجدت في مدينة تيهرت حيث كانت مقربة من الإمام و محل استشارته، و هذا ما أكده لنا ابن الصغير عندما ذكر عن الإمام عبد الوهاب أنه جمع رجاله و رؤساء قبائله فاستشارهم³، و عن أبي حاتم أن مشايخ البلد من إباضية جمعهم أبو حاتم و استشارهم⁴، كما ظهرت فئة وجوه البلد⁵ في تيهرت، و كانت منفصلة عن فئة المشايخ و الرؤساء، و كانت تمثل أعضاء مجلس الجماعة و هو أهل الحل و العقد، كما وجدت فئة الشراة الذين سماهم الشماخي بالأخير⁶، و الباروني بجماعة الاستشارة حيث اجتمع هؤلاء إلى الإمام أفلح بن عبد الوهاب و اشاروا عليه بتولية محكم الهواري القضاء⁷، هذه الفئات إذن هي محل استشارة الإمام فهي بمثابة مجلس استشاري و هذا حسب رأينا بحكم مبدأ الشورى الذي تبنته إباضية تيهرت الرستمية على الأقل في عهد الإمام الأول عبد الرحمن بن رستم، عندما اقتدى بما فعله عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وذلك باختيار ستة من أصحابه لينتخبوا من بينهم خليفة و هم أصحاب الإمام يعرفون بأهل الشورى، يستشيرهم الإمام في كل أمور الإمامة، و إذا توفي وجب عليهم اختيار الإمام الجديد⁸.

1- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، المصدر السابق، ص- ص69-187.

2- نفسه، ص187، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص- ص117-292.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص44-54.

4- نفسه، ص30.

5- نفسه، ص30-31.

6- الشماخي: السير، المصدر السابق، ج1، ص192.

7- سليمان الباروني: الأزهار الإباضية، المصدر السابق، ج2، ص275-276، الشماخي: نفسه، ص نفسها، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص57-61.

8- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص54-55.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

إن فئة الجند تظهر لنا الاختلاف أيضا لأنها صنفت في تيهرت ضمن الطبقة الخاصة، أما في القيروان فجعلها محفوظ الغديفي في مقدمة الطبقة العامة¹.

و هذا سبب أخذ ابراهيم بن الأغلب في شراء العبيد فقد اشترى عبيدا لحمل سلاحه²، مما قلل من سيطرة الجند العربي على جيش افريقية و دور هذا الجند القادم من الشرق و ابنائه و أحفاده في الحياة العامة، و ازداد اعتماد الأمراء الأغالبة على الحرس الأسود و الموالي و هي عناصر ستملاً بها ثكنات العباسية و رقادة³.

أما في تيهرت فقد عرفنا أن عبد الرحمن بن رستم كان يهتم بأمور الجند من كراع و سلاح و زاد الاهتمام بالجند في عهد عبد الوهاب بسبب تعدد الخصوم و الفتن، ضف إلى ذلك أن الجيش كان ينقسم إلى قسمين، قسم دائم يضم خاصة القواد الذين كانوا ينتمون إلى الطبقة الخاصة في القيروان، أما القسم الثاني فهو احتياطي يضم أفرادا عاديين يمارسون أعمالهم الخاصة في وقت السلم، و هو جنود وقت الحرب⁴، و هذا سبب كاف لتصنيف طبقة الجند ضمن الطبقة الخاصة، لأنها تضم تضم قواد الجيش و الذين يمثلون بدورهم حتى الحرس الخاص أي جند السلطان و الذي يتقاضى عطاءه من بيت المال⁵.

ثانيا- وضعية المرأة و الأسرة

فمثلا في نظام الزواج كانت المرأة في كلا المدينتين تتمتع بالحرية في اختيار الزوج إذ يقع استشارتها في هذا الأمر إما التوجه إليها مباشرة أو اللجوء إلى أولياء إلا أن الاختلاف نلاحظه في عقد النكاح و تقديم المهر، بحيث لا تذكر المصادر الإباضية وجود قاضي أنكحه تولى إبرام عقود

1- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص372.

2- الرقيق القيروان: المصدر السابق، ص187، و ذكر البلاذري خمسة آلاف، البلاذري: المصدر السابق، ص328.

3- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص- ص 93-123.

4- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص283.

5- نفسه، ص نفسها.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الزواج عند الرستمين، و هذا خلافا لما جرت عليه العادة بالقيروان التي كان بها قاضي أنكحه¹، وبخصوص المكان الذي كان يتم فيه عقد النكاح فالمصادر لا تقدم أخبارا تتعلق بالإطار المكاني الذي خصص لهذا الغرض، لكن الاعتماد على ما ذكرته بعض الدراسات نستنتج أن عقود النكاح كانت تتم بالمسجد و بحضور الزوجين أو وكيليهما وبحضور المؤذن الذي كان يعوض الإمام، و كان يتم تسجيل عقود النكاح في دفتر معد لذلك².

و ما يمكن الإشارة إليه أيضا و يبرز لنا الاختلاف بين القيروان و تيهرت هو نظام تعدد الزوجات الذي كان ساري العمل به في تيهرت الرستمية فقد أباحه المذهب الإباضي³ وفقا لإقرار التشريع الاسلامي لهذا التعدد، و قد بارك الشيوخ و العجائز هذا الزواج المتعدد، بينما نجد موقفا مغايرا بمدينة القيروان تمكن أهل المدينة من إيجاد نظام أحادي للزواج يضمن لبناتهم قدرا أكبر من الاستقرار، و ذلك انطلاقا من القرن الثاني للهجرة، إذ تم وضع ما يسمى بالعقد القيرواني⁴، و لقد اعتاد أهل القيروان منذ هذا التاريخ، أن يشترطوا على الزوج في عقد النكاح أن لا يتخذ زوجة ثانية ولا سرية، و إن هو أخل بهذا الشرط فأمر الزوجة الأولى بيدها، أي أنها تملك على حد سواء مع الزوج حق تطليق نفسها و استرجاع حريتها، كما قد تشترط أيضا حق تطليق كل زوجة دخيلة عليها و عتق كل جارية يتخذها زوجها للفراش، كما أن هناك شروطا أخرى تحمي المرأة في غياب زوجها عنها غيابا طويلا، كما قد تشترط عدم إخراجها من بلدها و لقد ألزمت المرأة القيروانية أحد أكبر ساسة العرب على التقيد بهذا العقد القيرواني، إذ أن أبا جعفر المنصور لما تزوج امرأة من القيروان تدعى أروى أم موسى، فقد شرط لها بأن لا يتزوج عليها و لا يتسرى، و كتبت عليه بذلك كتابا فعذب به عشر سنين على حد تعبير ابن الأبار، و لم تنقذه من ذلك إلا وفاتها، كما روى ابن ناجي

1- الهادي روجيه إدريس : الدولة العثمانية، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ج2، ص188، شعلاء بن عثمان: المرجع السابق، ص47.

2- الجعبري : نظام العزابة عند الإباضية الوهبية، تونس 1975، ص- ص 92- 94، شعلاء بن عثمان: نفسه، ص49.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص11.

4- محمد الطالبي: أمة الوسط، سراس للنشر، تونس، د.ت، ص-ص 142- 161.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

في معالم الإيمان، نادرة ثانية تتمثل في زواج الوالي عبد الرحمن بن حبيب بقيروانية و عقد عليها على طريقة النكاح القيرواني، إلا أنه لم يلتزم بشروط ذلك العقد، فرفعت في ذلك قضية للقاضي جميل بن كريب سنة 122هـ / 739م¹.

فهذا العقد يعبر عن اهتمام أهل القيروان خلال الفترة الوسيطة إلى حلول تحمي المرأة و لو نسبيا و توفر لها حياة زوجية فردية، و لقد تواصل العمل بهذا العقد إلى حدود القرن الرابع الهجري. كما أن المرأة الرستمية لم يكن لها الحق في تطليق نفسها رغم ما بلغته قساوة المعاشرة الزوجية في بعض الحالات، و بقي حق الطلاق حكرا على الرجل الذي مارسه بدون قيود، و أوجب الرجل على المرأة قبول زواجه المتعدد و اتخاذ الإماء دون أن تمنح المرأة الحق في المطالبة بالطلاق²، و هذه الوضعية تبدو مختلفة تماما عن ما كانت عليه المرأة بالقيروان إذ أن العقد القيرواني كما ذكرنا كان خير ضمان لاستقرار المرأة القيروانية و تحديد قدر أدنى من السعادة لها إذ يضمن جملة من الشروط توجب على الرجل عدم التزوج ثانية و عدم اتخاذ الجوارى، و إذا ما أحل بهذه الشروط، فإن للمرأة الأولى حق تطليق نفسها، كما منحت بعض الحالات حق تطليق كل دخيلة عليها³.

ثالثا- التجارة الداخلية و الخارجية

أ/ الاختلاف في الأسعار:

و يبدو أن الأسعار في مواد تيهرت كانت منخفضة بسبب وفرة المنتوجات المعروفة في هذه الأسواق و إلى ذلك أشار البكري بقوله: " و قنطار الزيت و غيره عندهم قنطاران غير ثلث إلا المجلوب من الفلفل وغيره فإنه قنطار عدل، و رطل اللحم عندهم خمسة أرطال"⁴، و ما تعدد أسواق تيهرت إلا دليل على الكميات الهامة من البضائع التي كانت ترد إليها و منها المنتجات المحلية

1- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ص ، حسن حسيني عبد الوهاب: شهيرات التونسيات، تونس، المطبعة التونسية، 1934، ص 14- 15.

2- شعلاء بن عثمان: المرجع السابق، ص64.

3- أحمد الطويلي: شهيرات القيروان، المرجع السابق، ص- ص 67- 70.

4- البكري: المصدر السابق، ص250.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

المختلفة مثل الحبوب و بخاصة القمح و الشعير و الذرى¹ و البقول مثل الحمص و الفول و العدس والفواكه المختلفة و الرياحين²، إضافة إلى الثروة الحيوانية مثل الغنم و البقال و البراذين الفراهية³، والمنتجات الحيوانية مثل العسل و السمن و غيرها⁴، و لكن للأسف لم تحدد لنا المصادر أسعار هذه المواد على خلاف القيروان التي ذكرت المصادر الأسعار سواء في أوقات الرخاء، أو أوقات الاضطرابات و القحط و الفتن، فمثلا سعر الخبزة كان خروبة⁵، و بلغ سعر خبز سلت درهم⁶، ووجه سحنون ربع درهم فاشترى به أربع ثردات فطبخها و أخطر عليها⁷، و اشترى اسماعيل به رباح بدرهم شعيرا و بدرهم زيتا و بدرهم تينا، ثم عمل من ذلك بسياسة⁸، و بلغ سعر القفيز من القمح في عهد زيادة الله الدنانير الكثيرة و يبدو أن هذا السعر كان في أيام غلاء⁹، و ذكر الزركشي أن سعر سعر قفيز القمح بلغ سنة 267هـ ثمانية دنانير¹⁰، و كانت الأسعار ترتفع في سنوات الشدة في القيروان فكانت الرمانه بدرهمين للمريض في ذلك الوقت، و الفروج بثلاثين درهما¹¹، و حتى في سنوات الرخاء لم تكن كل المواد الغذائية رخيصة فقد تكلفت غسانية بدينارين¹²، و هو أجر راعي غنم لمدة سنة¹³.

- 1- الباروني: المصدر السابق، ج2، ص17.
- 2- القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص107.
- 3- ابن حوقل: المصدر السابق، ص86.
- 4- الحميري: المصدر السابق، ص126.
- 5- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج3، ص156، و الخروبة نصف ثمن الدرهم، و الدرهم أيضا له نصف يسمى بالقيراط، المقدسي: المصدر السابق، ص240.
- 6- القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص202.
- 7- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص360-361.
- 8- نفسه، ص338، أبو العرب: المصدر السابق، ص147.
- 9- الحبيب الجناحي: المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص72.
- 10- نجة باشا: التجارة في المغرب الاسلامي، منشورات الجامعة التونسية تونس، 1976، ص93.
- 11- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص257.
- 12- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج2، ص448، و الغسانية من الحلويات: سميد و عسل، محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص302.
- 13- القاضي عياض: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج2، ص199.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

و الجدول التالي يوضح الأسعار في القيروان في الفترة المدروسة:

المادة	السعر	التاريخ	الملاحظات	المصدر
خبز سلت	1 درهم	النصف الثاني من القرن 3 هـ / 9م		القاضي عياض: المدارك، ج2، ص202.
4 ثردات	¼ درهم	منتصف القرن 3 هـ / 9م	فترة رخص	المالكي: الرياض، ج1، ص371.
قفيز قمح	دنانير كثيرة	بداية القرن 3 هـ / 9م	فترة غلاء	الجنحاني: المغرب الاسلامي، ص72.
قمح	ديناران	النصف الأول من القرن 3 هـ / 9م	لا نعرف الكمية	الزبيدي: الطبقات، ص252.
زيت	ديناران	القرن 2 هـ / 8م	لا نعرف الكمية	أبو العرب: الطبقات، ص331.
كباش	دراهم	أواخر القرن 3 هـ		المالكي: الرياض، ج2، ص40.
غلام جارية أدبية نظيفة	10 دنانير 80 دينار	القرن 3 هـ / 9م القرن 3 هـ / 9م		ابن ناجي: المعالم، ج2، ص465، القاضي عياض: المدارك، ج2، ص200.

- قفيز القيروان = 82 ثمنًا و الثمن 6 أمداد بمد النبي صلى الله عليه و سلم.

- القيراط = نصف الدرهم و هناك ربع و ثمن

- الخروبة نصف ثمن الدرهم¹.

فالقيروان تميزت برواج التجارة الداخلية و خاصة الواردات، كانت فيها الداخلية رائجة، فكانت تزود بالحبوب من فحص القيروان (فحص الدرارة، و من الساحل و من منستير و ممس و سببية و زغوان و باجة (القمح و الشعير)، و مجانة و الأريس (شمال تونس الحالي و شرق الجزائر) فكانت ترد القيروان من كل الجهات.

1- المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص240.

المباج الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

و العسل أيضا جلب لها من جلولاء¹، و من ضواحي تونس و جزائر بني مزغنة²، و جلبت الفواكه والثمار من جزيرة شريك³ و من تونس و قفصة⁴، و التمور من قسطيلية و قفصة و توزر والجريد⁵، و جلب السمن من تونس و قرطاج و حتى من جزائر بني مزغنة⁶.

و هذا ما يوضح لنا ارتباط القيروان بالمدن المحيطة بها من جهة، و من جهة أخرى عدم كفاية المدينة لحاجياتها الكبيرة بسبب توسعها و تضخمها السكاني، لهذا فهي في حاج ماسة إلى الاعتماد على الواردات من مختلف البضائع و حتى المواد الصناعية.

و مما ساعد على رواج التجارة الداخلية و سهلها، تطور الطرق و المسالك و كثرتها، ربطت القيروان بكل الكور المحيطة بها (طريق الجادة العظمى، قمودة، طريق القيروان سببية، طريق القيروان-تونس، وغيرها⁷).

ضف إلى ذلك وجود القيروان في منطقة تكثر فيها السهول و يسهل فيها التنقل، و مهد الأغلبة الطرقات و وفرو الأمن مما ساعد على ازدهار التجارة المحلية و حتى البعيدة.

أما في تيهرت فنلاحظ عليها هيمنة النشاط التجاري الخارجي و رواج المبادلات و التجارة الخارجية و خاصة التجارة الصحراوية.

1- البكري : المصدر السابق، ص 685.

2- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 75.

3- نفسه، ص نفسها.

4- البكري: المصدر السابق، ص - ص 698 - 707.

5- أبو العرب: المصدر السابق، ص 138.

6- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 77.

7- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص 293.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

ب/ التجارة الخارجية:

و تعد تيهرت أولى المدن الإسلامية في المغرب الأوسط التي أقامت علاقات اقتصادية وسياسية مع افريقيا جنوب الصحراء، فقد كانت تسيطر على معظم منافذ الطرق المؤدية إلى السودان¹، و ذكر البكري أن تيهرت اتجهت نحو الجنوب حيث لا يوجد حدود جغرافية و لا سياسية، و أن حركة الذهب و الإياب بين تيهرت و السودان كانت مستمرة²، و ابرز ابن الصغير ذلك في العبارة: "استعملت السبل إلى بلاد السودان"³، و زودتنا كتب السير و الطبقات بأسماء مجموعة من التجار الذين سافروا إلى السودان الغربي لغرض التجارة⁴، و يفسر مسعود خالدى سبب عدم ذكر تجار المذاهب الأخرى و خاصة تجار المالكية و هو عدم اهتمام المسلمين بالتجارة الصحراوية خلال هذه الفترة المبكرة للعصر الاسلامي في المغرب و انشغال المسلمين بإتمام الفتح الاسلامي، ثم التصدي للثورات الداخلية و خاصة الخارجية في القرنين الثاني و الثالث الهجريين، الثامن و التاسع الميلاديين⁵، ضف إلى ذلك فتوى علماء المالكية في القيروان التي تجعل التجارة مع بلاد السودان مكسبا غير طيب و يتحرزون منه⁶.

و يذهب بن أبي زيد القيرواني في رسالته إلى مساواة التجارة مع بلاد السودان بالتجارة مع أرض العدو⁷، رغم أن البلاد السودانية لم تكن أرض حرب لا يجد المرء لموقف المالكية القيروانيين في

1- مسعود خالدى : العلاقات الاقتصادية و الدبلوماسية، بين المغرب الأوسط و السودان الغربي و أثرها على الحياة الثقافية بين القرنين الثاني و الثالث الهجريين، مجلة كان التاريخية، العدد عشرون، جوان 2013، ص85.

2- البكري: المصدر السابق، ص10.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص13، أنظر خريطة ملحق رقة، ص رقم

4- و ذكر الدرجيني منهم تاجرا يدعى فلحون بن واسين الذي قام بزيارة غانة عن طريق سحلماسة حيث توفي هناك، و يضيف يضيف أن تاجرا آخر يسمى تملي الوسياني كان فقيرا في بداية حياته، و عندما سافر إلى تادمكة أصبح غنيا جدا بسبب التجارة، فمن هناك بعث ست عشرة صرة من الذهب تحتوي كل منها على خمسمائة دينار من الذهب إلى بلدة القصور التي كان بها، و أمر بتوزيع هذه الأموال كصدقة على فقراء المسلمين في بلدته، الدرجيني: الطبقات، المصدر السابق، ج2، ص87..

5- مسعود خالدى: المرجع السابق، ص86.

6- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ص- ص 118- 338.

7- ابن أبي زيد القيرواني: الرسالة، المصدر السابق، ص- ص 296- 318.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

ذلك الوقت تفسيراً عبر محاولتهم ضرب المصالح الاقتصادية لجماعات الخوارج التجارية للجماعة السنية، ثم تختفي مثل هذه الفتاوى في مطلع القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي مع سيطرة الجماعات السنية على الصحراء و تجارتها بقيام حركة المرابطين التي بها و معها بدأ انتصار السنة في المغرب و الصحراء و البلاد السودانية جميعاً¹.

بالمقابل نمت تجارة تيهرت نحو بلاد السودان و الجنوب الصحراوي عموماً بفضل عدة عوامل

منها:

- كانت التجارة حرة يقوم بها كل فرد تنزع نفسه إليها خاصة و أن أئمة تيهرت سمحوا للمجموعات المختلفة التي استقرت بتيهرت و حتى لبعض الخواص بإقامة أسواق خاصة بهم²، كما سمحوا أيضاً بتعدد هذه الأسواق في المدينة تيهرت، فمنها من كان ملكاً لمجموعة بشرية أجنبية كالفرس و القرويين و الكوفيين و البصريين، و منها ما كان ملكاً لأشخاص معينين مثل سوق ابن وردة الفارسي، وكانت هذه الأسواق عامرة و نشطة³، و منها ما كان يجلب من السودان من عبيد و تبر و عاج و ريش نعام و جلود حيوانات و غيرها⁴.

- كانت الدولة هي التي تمهد لتجارها الطرق و تحرسهم في السبل حيث كان الأئمة أنفسهم يسهرون على سلامة و أمن التجار، بإقامة الرباطات و المنازل و حفر الآبار و إرسال الجند معهم ليحتازوا بهم المراحل غير الآمنة و ترعاهم في الصحراء الكبرى التي يقطعونها⁵، فقد كان الإمام عبد

1- عز الدين موسى: انتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن 6هـ/12م، ندوة العلماء الأفارقة و مساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، الخرطوم 28/07/1983، ص50.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص62، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص8.

3- القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص106.

4- السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص573، صفي الدين محي الدين: حرفة التجارة في تيهرت الرسمية، مجلة الناصرية، العدد الرابع، جوان 2013، مخبر البحوث و الدراسات الاجتماعية و التاريخية، جامعة معسكر، مكتبة رشاد للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، د.ت، ص393.

5- محمد علي دبو: المرجع السابق، ج3، ص244.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الوهاب بن عبد الرحمن أحد كبار التجار في تيهرت¹، و كان أبو حاتم بعد وفاة أبيه الإمام أبي يقظان يخرج في مهمة حماية القوافل التجارية القادمة من المشرق من اعتداء قبائل زناتة².
تمرد القبائل البربرية المغربية و ذلك منذ الوجود القرطاجي ثم الروماني على اختراق الصحراء الكبرى، ولعب دور الوسيط التجاري بين السودان و المحطات التجارية للساحل الجنوبي للمتوسط، و بعد إنشاء الدول الإسلامية الأولى في المغرب الاسلامي، حافظ البربر و بخاصة قبيلة هواة³ على هذا النشاط و طوروه⁴.

1- سليمان الباروني : المرجع السابق، ج2، ص137.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص62.

3- الإدريسي : المصدر السابق، ص135.

4- LEWIKI Tadeuz, traits d'histoire du commerce transsaharien, Marchands et missionnaire ibadites en Soudan occidental au courdes 8- 12ème siècle, ethnogra fia wroclan- wars3awa krakow polska, 1964, p296.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الفصل الثاني: أوجه التشابه و نقاط التقارب و التطابق

المبحث الأول: اختيار الموقع و بناء المدينتين

أولاً- أسباب و عوامل اختيار الموقع

ذكر رشيد بورويبة أن عبد الرحمن بن رستم اختار موقعا بكرا جديدا لم يسبق إليه ليؤسس عاصمته الجديدة، و ذلك من أجل تخليد ذكراه كما صنع سلفه من قبل عقبة بن نافع مؤسس القيروان و إدريس الأكبر مؤسس فاس¹، فإن جورج مارسيه يربط هذا الاختيار بالعوامل الجيولوجية والمناخية، و هذا ما يوضح لنا التشابه بين المدينتين خاصة رغبة التقرب إلى الماء، فقد أكدت جل المصادر غنى تيهرت بهذا العنصر، فهي على نهر يأتيها من الغرب يسمى منة، و نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تاتش...²، ويقول اليعقوبي: "...و بها مياه متدفقة و عيون جارية"³.

و بخصوص القيروان فيذكر محفوظ الغديفي: "و دون الدخول في نقاش بين المؤرخين عن مكان القيروان هل هو صحراء⁴ أم كان واديا كثير الشجر كثير القطف تأوي إليه الوحوش و السباع و الهوام"⁵، نعتقد أن المكان كان معمورا مطروقا لكن أدركه الخراب في أوائل القرن السابع للميلاد وهجره أهله⁶.

و الماء بالمدينة لم يكن لتغيب أهميته عن عقبة عند تأسيس القيروان، و لم يكن ليغفل هذا الفاتح هو و صحبه عن موضوع الماء لمدينته، و في هذا الصدد يرد منحي الكعبي على من يتصور ذلك بقوله: "ومخطئ من يتصور ذلك متعللا بمشكل الجفاف بالقيروان و ندرة مصادر المياه حديثا بها، و لم تكن تلك البئر التي وجدوها بالمكان من مخلفات الروم فيما أخبر الرواة أو احتفروها لأول

1- رشيد بورويبة و آخرون : المرجع السابق، ج25، ص79.

2- البكري: المصدر السابق، ص66، مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص66.

3- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ص149.

4- محفوظ الغديفي : المرجع السابق، ص20.

5- ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص20.

6- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص142.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

قدومهم، هي التي حددت موقع المدينة أصلا و إن يكن فرما دخلت في تخطيط مبانيها، كبر أم عياض المتوسطة بين الجامع و بين دار الإمارة أو بئر الجنان و بمكانها الصومعة الآن¹.

فكل ما جاء في كتب الجغرافيين و المؤلفين يؤكد وفرة مجاميع المياه الكامنة بالمكان مما لم يكن أمره خافيا على الفاتحين، حيث وصف هؤلاء موقع القيروان بالوادي و وصفوه بالغياض و السباح، وما من شك في إن انخفاض الموقع مقارنة بما حوله من ربي و مرتفعات و بوجود جبال تبعد بأقل من مسيرة يوم شمالا و غربا و جنوبا، كلها كانت تقوي الظن بأهمية ما تتوفر عليه أرض القيروان من مياه سطحية وجوفية، و ما تحمله أوديتها من سيول و طمي لتخصيب التربة و ترشيع ملوحتها².

و من أودية القيروان الكبرى وادي زرود و وادي مرق الليل و هما الواديان الكبيران اللذان يلتقيان جنوبي المدينة بدون رحمة أحيان، و خاصة إذا اجتمع إليهما وادي نبهانة في الشمال منها. و أودية زرود و مرق الليل و نبهانة كلها سيول جارفة غير منتظمة السيالان تنطلق من الظهرية التونسية وتنصب في سبخة الكالبية (تونس الوسطى)، أما وادي مرق الليل فينبع من الهضبة العلوية لمكثر و يستمر حتى يصل إلى الجليل، ثم ينقسم إلى فرعين يسمى أحدهما وادي مرق الليل و يتجه نحو الجنوب الشرقي ليمر عبر السفح الجنوبي لجبل وسلات و الهوارب، إلى أن يصل إلى سهل القيروان.

و لم تكن لتخلو دار في القيروان من ماجل على الأقل لتجميع مياه السماء، و من النادر أن تجد بيتا بالقيروان و إلى جانب الماجل بئر يستسقى منها إذا كان مأوها عذبا. و بإمكان من تعوزه مصادر المياه في بيته التزود منها لدى أقرب مسجد أو جامع، و تشير المصادر إلى وادي السراويل قبله المدينة الذي كان دائم جريان و الذي كان يقصده الناس لاستعمالاتهم المنزلية المختلفة.

1- منحي الكعي : المرجع السابق، ص29.

2- نفسه، ص نفسها.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

أما الصهاريج و المواجل الكثيرة التي أحدثها الولاية منذ وقت مبكر لتلطيف جو المدينة وللفرجة ولسقاية الناس، و هذا ما نوه به كل من زار القيروان من الرحالة و منهم البكري الذي يقول: "إن هشام بن عبد الملك أمر عبيد الله بن الحبحاب عامله على القيروان بإنشاء خمسة عشر ماجلا خارج سور المدينة تكون سقاية لأهلها¹.

و هذا ما يؤكد الإدرسي أيضا بالنسبة لتيهرت عندما قال: "و بمدينة تاهرت الحديثة مياه متدفقة و عيون جارية تدخل أكثر ديارهم، و يتصرفون فيها..."²، و يذكر سليمان الباروني أن سكان تيهرت شقوا القنوات و أوصلوها بالدور و البساتين و وضعوا أنابيب لهذا الغرض³.

إن مدينتي القيروان و تيهرت تميزتا بهندسة عالية في توفير مصادر المياه الضرورية تجاه المدينة، و تسديد النقص و اعتنى الحكام فيهما بالري، انشاء المساقى و الآبار، فقد أقام حكام تيهرت مثلا خزانات و أحواض و كانت محكمة التصميم و الهندسة، بحيث يحافظ على الحياة في أيام الصيف، و أثناء الجفاف، و توصل إلى المناطق المرتفعة في أحواز تيهرت و هي موجودة بكثرة⁴.

على أن الفسقية الكبرى الباقية من عصر الأغالبة ضمن فسقيات و صهاريج مياه أخرى كثيرة اندثرت، تدل على تقدير صائب لديهم و نظر بعيد و هندسة عالية، و تلك الفسقية الضخمة التي لم يخطئ من سماها بجرا هي معجزة بكل المقاييس، بما تمثله في ذاتها من تحد واضح للعواصم ذات الأنهار الكبرى أو الواقعة على ساحل البحر⁵.

و عموما فالتأمل لهندسة القنوات يحكم أن موضعها كان في غاية الاتقان من الناحية المعمارية والفنية⁶.

1- البكري: المصدر السابق، ص 51.

2- الإدرسي : زهرة المشتاق، المصدر السابق، ص 87.

3- سليمان الباروني: الأزهار الرياضية، المصدر السابق، ج 2، ص 22، و هاذ ما أكده ابن الصغير بقوله: "ثم شرعوا في العمارات... وشقوا الترع"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 31.

4- ابراهيم مجاز : الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 156.

5- منجي الكعبي: القيروان، المرجع السابق، ص 31- 32.

6- منجي الكعبي : نفسه، ص 33.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

ثانيا- البنية العمرانية

أما شكل مدينة القيروان فالمصادر كما ذكرنا أكدت على أنها مدينة مربعة على شكل مسجدها المربع و الذي يؤثر باعتباره يقع في وسط المدينة على بقية مكوناتها، و نرجع الشكل المربع للمدينة لعدة اعتبارات منها: وجود أربعة أبواب أصلية¹، و اعتمادا أيضا على الأمصار التي سبقتها كانت مربعة أو مستطيلة².

أما مدينة تيهرت فالنواة الأولى لها و المتمثلة في المسجد الجامع و التي تتحكم في استعمال التخطيط و توجيه باقي المرافق المعمارية للمدينة و توزيعها، بقيت مجهولة، و ستظل مجهولة حسب فاطمة جلجال ما دامت طبقات الأرض بموقع المدينة تحتفظ بأسرارها الدفينة³، فالمبنى الذي يحتضنه الموقع الأثري اليوم و الموصوف بالمسجد، لا يمت بصلة في واقع الأمر للمسجد الجامع للمدينة أيام تأسيسها و لا بعدها، فتخطيطه لا يكاد يتفق مع الوصف السابق للمسجد، فلا وجود للبلاطات ولا للسواري الحاملة للسقف، و هو لا يزيد عن كونه قاعة مستطيلة الشكل مغطاة بسقف قبوي، فضلا عن غياب المدخل الشمالي أو البحري كما يسميه ابن الصغير، و من المحتمل أن يكون مصلى للجناز كونه يبعد عن أسوار المدينة بمسافة قدرها 578 مترا من جهة، و تمركزه بالقرب من المقبرة من جهة ثانية.

و يؤكد لنا البكري شكل المدينة المربع بقوله: "و نزل عبد الرحمن بن رستم موضعا مربعا لا شعراء فيه، فقال البربر: نزل تاقدمت و تفسيره الدف، شبهوه بالدف لتربيعة"⁴، فتاقدمت هي إحدى إحدى تسميات المدينة تعكس لنا بدورها موقع المدينة المربع الشكل، ثم وجود الأبواب الأربعة التي ذكرتها المصادر، و المسجد حسب فاطمة جلجال يتوسط الهضبة الشمالية من الموقع، متجها من

1- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص27، خريطة الأبواب، ملحق رقم 5، ص رقم 781، أو ملحق 6، ص 782.

2- فاطمة جلجال: المرجع السابق، ص40.

3- نفسه، ص نفسها.

4- البكري: المصدر السابق، ص68.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الشرق حيث قبلة تيهرت إلى الغرب حيث انتهاء آخر بلاطة من البلاطات الأربعة الموازية لجدار القبلة، على أن يكون مدخله في الواجهة الشمالية¹.

إلا أنه و بعد امتداد مساحة المدينة و توسعها العمراني خاصة في الناحية الغربية حيث أحواض المياه دفع كل من مارسية و لامار إلى وضع التخطيط الافتراضي للمدينة و هو ذو شكل مستطيل غير منتظم طوله من الشرق إلى الغرب 1100 متر²، و تمتد من الشمال إلى الجنوب عرضه ما بين 700 و 800 متر³.

التشابه من خلال توسع المدينة و تضخمها العمراني، فالقيروان لم ينته بها التجديد و التوسع سواء في عهد الولاة أو الأغالبة، فمن مآثر حسان الجليلة تجديده بناء الجامع الكبير بالقيروان و تنظيم ديوان الخراج و غيره من الدواوين، على نحو ما هو جار العمل به في دار الخلافة بدمشق، و تمكينا للقيروان من بسط نفوذها فيما وراء البحر أسس ميناء مدينة تونس و بنى دارا للصناعة لإنشاء الأسطول فكان أول أسطول إسلامي في افريقية و جلب لها فيما قيل ألف أسرة من أقباط مصر من العارفين بشؤون بناء السفن و الملاحة.

و عرفت القيروان من عناية واليها عبد الله بن الحبحاب في باب التنظيم و تجديد البناء و الزيادة من المنشآت الصناعية و المائية، و تدين القيروان بالكثير في معالمها الشامخة للأغالبة، فالجامع الكبير نفسه تم تجديده في عهدهم من أساسه (عدا المحراب)، و تم توسيعه أضعاف مساحته الأولى، و يرجع الفضل في ذلك إلى اثنين من أشهر أمرائهم، هما زيادة الله الأول، و أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب بناء الجامع و حفر الماغل الكبير و جدد قنطرة أبي الربيع.

1- فاطمة حلجال: المرجع السابق، ص 41.

2- (G) Marçais et (D) lamare, op.cit, p31. -2

Ibid, p32. -3

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

كما ابتنى الأغالبة مدنا و قصورا مثل مدينة العباسية المعروفة بالقصر القديم و كذا مدينة رقادة¹.

أما مدينة تيهرت فقد شهدت نشاطا عمرانيا قويا بعد الوفدة الأولى لأهل البصرة، و هذا ما صوره لنا ابن الصغير بقوله: "ثم شرعوا في العمارة و البناء... و اتسعوا في البلد و تفسحوا فيها"²، وفي هذا النص يبرز لنا التعديل الذي مس تخطيط المدينة الأول في الجانبين التنظيمي و العمراني، ففي الجانب المعماري تم استحداث مرافق معمارية جديدة سواء كانت خاصة أو عامة فأما العامة فاقتربت بوصول أولى الوفود المهاجرة إلى المدينة، و المتمثلة أساسا في القرويين و الكوفيين و البصريين، و هو الذي نشأ عنه تعددا في المساجد و الحمامات و الأسواق تبعا و تعدد تلك الفئات، باعتبار أن كلا منها استقلت في حي خاص بها، فكانت مدينة تيهرت عامرة بالناس و مقسمة إلى أحياء اختطت كل قبيلة من قبائلها حيا باسمها، مثلما جرت العادة في المدن الاسلامية عامة³، فأصبح للقرويين رحبتهم و مسجد خاص بهم، و للكوفيين و البصريين مثلهم، و قبيلة نفوسة في العودة درب باسمهم⁴، و كان للعجم حي خاص بهم مجاور للقرويين و وللعرب مثلهم مجاور لمدينة الجند⁵، وللمسيحيين كنيستهم في أعلى مدينة تيهرت⁶، و لليهود حي يدعى الرهادنة⁷.

و أما الخاصة فتمثلت في تشييد القصور التي ظهرت في هذه الفترة، فالوفد الذي زارهم قبل زمن يسير انبهر لما وجد الأمور قد تبدلت، و أحوال المدينة و الأشياء قد حالت، و أصبحت الدور قصورا، بل إن صاحبهم الذي قصدوه سابقا في داره، قصدوه هذه المرة في قصره⁸، ففي إمامة أفلح

1- البلاذري: المصدر السابق، ص235، يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص348، عبد الحميد فينة: المرجع السابق، ص35.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص31.

3- محمد بوركية: النمط العمراني لمدينة تيهرت في العهد الرستمي، مجلة منبر التراث، المرجع السابق، ص144.

4- رشيد بورويبة: الفن الرستمي، الأصالة، المرجع السابق، العدد 41، ص- ص 180- 186.

5- (G) Marçais et (D) Lamare, Tihert Tagdemt, Revue Af, op.cit, p.p 24- 57.

6- رشيد بورويبة: الفن الرستمي، الأصالة، المرجع السابق، ص- ص 180- 186.

7- البكري: المغرب، المصدر السابق، ص66.

8- نفسه، ص33.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

بن عبد الوهاب تنافس الناس في البناء حتى ابنتوا القصور¹، فبنى رجل يدعى عبد الواحد قصرا كبيرا²، و كان للإمام أبي بكر بن أفلاح قصر ضخم بتيهرت، و لأبي اليقظان قصر في تاسلونت، وكان لأبي حاتم قصر بنهر مينة، و حتى لكبار الشخصيات قصورهم و المحاطة بالبساتين والأشجار³، والأشجار³، فضلا عما رافق ذلك تنظيم لتوزيع المياه و إيصالها للدور و البساتين على حد سواء.

كما عرفت تيهرت بالمنتزهات و الحدائق و البساتين مثلها مثل القيروان، و هي ظاهرة توحى عن سمو في الذوق و رقة في الشعور، و يبدو أن ظهورها في العاصمة تيهرت رافق تطورها الحضاري والعمراني والاجتماعي و الاقتصادي، فكانت المنتزهات صورة عن حياة الترف و البذخ و الرفاهية التي بدأت تدب في المدينة⁴، فكانت العائلات الغنية تقطن الدور الواسعة و الضياع الكبيرة والفسيحة، و لكل دار منها طابقان أو أكثر، و عندما تتوسع الأسرة و يكبر الأبناء يلجؤون إلى شراء دار أخرى أو بنائها⁵، و كانت تحتوي مساكن أهل الحضر على حمامات عائلية خاصة بأفراد الأسرة، مع وجود الحمامات العامة داخل أحياء المدينة يخصص لها وقف محدد للرجال⁶.

بينما تحكم الجانب التنظيمي بالاستراتيجية المتبعة في توزيع تلك الهياكل الجديدة على المساحة التي شغلها المدينة في هذه الفترة، و أغلب الظن أن الأحياء الثلاثة الناشئة قد انتشرت خارج سور المدينة خاصة و أن الصورة المأخوذة بواسطة الأقمار الصناعية تظهر عددا من الهياكل المعمارية القريبة من السور وعلى امتداد انحدار الهضبة الشمالية في الناحية الغربية.

في حين تبقى النواة الأولى للمدينة محافظة على تنظيمها المعماري بما أن المسجد نفسه بقي بتخطيطه الأول إلى عهد البكري ما عدا بناء القصور التي نرجح أنها بنيت داخل الأسوار بما أن

1- سليمان الباروني : المرجع السابق، ج2، ص230.

2- ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص241.

3- موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي: الأصالة، العدد 41، ص- ص 51- 59، محمد عمرو الطمار: الروابط، المرجع السابق، ص94.

4- محمد بوركية : النمط العمراني، مجلة منبر التراث، المرجع السابق، ص145.

5- ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص278.

6- الادريسي: القارة الافريقية، المصدر السابق، ص60.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

إمامهم كان أحد ساكنيها، و ربما جاز لنا القول أن العنصر الإباضي بقي داخل الأسوار في الوقت الذي استقلت فيه بقية الأحياء خارجها¹.

و لاحظنا أن المدينة بلغت ذروة ازدهارها في عهد الإمام الرستمي الثالث و هو أفلح بن عبد الوهاب حيث انتقلت المدينة في عهده إلى مرحلة التضخم العمراني، فسرت معه الدنيا، و انتشرت القبائل وعمرت العمائد².

فبالإضافة إلى النواة الأولى للمدينة و الأحياء الثلاثة الأولى التي أنشأتها العناصر المهاجرة، ظهرت وحدات عمرانية جديدة، أصبحت تشكل وجها مختلفا عما كانت عليه سلفا، و نخص بالذكر الأحياء الثلاثة التي برزت للوجود في هذه الفترة و أتينا على ذكرها سابقا و التي تمثلت في: حي الأجناد، حي العدو و منطقة القصور و الضياع.

كل ذلك من شأنه أن يوحي بامتداد المدينة جنوبا باتجاه واد مينا حيث حي العدو، شاغلا في ذات الوقت الفضاء المحصور بين هضبتي الموقع وصولا إلى الجنوبية منهما، حيث أقيمت على الأغلب معصومة بني رستم التي أتت على ذكرها المصادر التاريخية، و وضع كل من مارسيه و لامار مخططها السابق.

و بما أن المعصومة تشرف على السوق حسب تلك المصادر فمن المحتمل حسبما ذكرت فاطمة جلجال أن يكون السوق المركزي للمدينة شغل جزءا من هذه المساحة، و هو ما قد يوحي بدوره إلى تحول مركز المدينة إلى هذا الفضاء، أين استقر الأجناد القادمون من افريقية³.

و على صعيد آخر فقد أسفرت الأسبار التي قام بها Cadenat إلى الشرق من الموقع على نتائج جد إيجابية توحى بشغل الفضاء الممتد إلى هذه الناحية، في الوقت الذي تبقى فيه طبيعة المرافق الممتدة على هذه المساحة مجهولة فيما عدا الخزان المقبي الذي أتى على ذكره دي فرانس في وصفه لرفع أنقاض هذا الأخير من قبل عمال الأمير عبد القادر و هو يقع على بعد خطوات إلى الشرق من

1- فاطمة جلجال: المرجع السابق، ص42.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص33.

3- فاطمة جلجال: المرجع السابق، ص42.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

القصة و ذلك ما يوافق موضع بناء الهيكل المعماري المقي الذي تغيرت وظيفته في هذه الفترة فأصبح حصنا أو معقلا و ذلك ما يصفه ذات المصدر: "كان العمال يحفرون خندقا حول مساحة قدرها أربعون مترا و كانوا يطرحون التراب في المكان الذي أقيم فيه المعقل تماما كما نفعل عندما نبني حصنا صغيرا...وضع هذا المعقل في سطح مائل تشرف عليه أنقاض القلعة القديمة و قلعة صغيرة تنفذ منها الأبصار إلى داخله"¹.

و أما في الجهة الغربية، حيث أحواض المياه، دليل آخر على امتداد مساحة المدينة في هذه الناحية أيضا، و ذلك ما يتوافق و إلى حد بعيد و التخطيط الافتراضي الذي وضعه مارسيه و لامار للمدينة و هو ذو شكل مستطيل غير منتظم كما ذكرنا سابقا.

إن هذا الامتداد الواسع للمدينة مقارنة بنواتها الأولى المتمركزة شمالا، ربما رافقه امتداد لأسوارها، خاصة و أن اتخاذ الإمام أفلق لباب من حديد قد يوحي بإعادة بناء لباب أو أبواب للمدينة.

و بالرغم من أن عمران هذه الفترة بلغ ذروته من التطور و التضخم، إلا أن الفترات اللاحقة له شهدت تعديلا على مستوى الهيكل التنظيمي للمدينة عندما برزت للوجود الحصون السابقة الذكر في عهد الإمام أبي بكر.

أما الاختلاف الذي نسجله هنا في النمط العمراني للمدينتين هو وجود مرافق التسلية والملاهي في القيروان، فرغم حرصها على أن تكون وسائل التسلية فيها مما يبيحه الشرع الحنيف، إلا أنه وجد في قصور الأثرياء بعض الأثر للهو و المجون لوجود الغلمان و الجوارى²، بل كان من حكام الأقاليم من يحذق الغناء³، أما في مدينة تيهرت فعلى حد قول محمد بوركبة لم تشر المصادر التاريخية

1- رشيد بورويبة : تاقدمت، المرجع السابق، ص128.

2- الحبيب الجنحاني: القيروان، المرجع السابق، ص180.

3- ابن الأبار: الحلة، المصدر السابق، ج1، ص185.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

التي تناولت تاريخ الدولة الإباضية الرستمية إلى وجود هذه المرافق الاجتماعية كالمجالس الترفيهية والملاهي في المجتمع الرستمي¹.

و هذا لا يعني أن هذه المرافق كانت تعم المجتمع القيرواني، فقد ذكر منجي الكعبي أن أهل الفضل و العلم و التقوى بالقيروان كانت لهم من المنتزهات الكثيرة و المعارض و المجالس الدينية ما يملأ نفوسهم أنسا و سرورا، من ذلك أنه كان للأغالبية أرض للاستعراضات الكبرى تدعى أرض الملعب².

ثالثا- مواد البناء

و بمقارنة المواد المستعملة في المدينتين نجد أن ملامح التشابه تكاد تكون متطابقة ففي القيروان لم تكن المنازل في البداية سوى خيام و خصوص، و المسجد سور محيط مع بناء بسيط باللبن، و قد ظل الأمر كذلك إلى حد حلول موسى بن نصير سنة 79هـ، فكانت عامة بيوتها الخصوص و أفضلها القباب، و بناء المسجد يومئذ شبيه بالحظير، غير أنه سقف ببعض الخشب، و قد كان ابن النعمان بنى القبلة و ما يليها بالمدنر، بناينا ضعيفا³.

و كانت الدور في البداية ذات أشكال بسيطة في مظهرها تأدبا مع آداب الاسلام في باب العلاقات الاجتماعية و من ذلك حرمة الجار و اجتناب الرياء و كف الأذى⁴.

و كان التوجه نحو القبلة في تأسيس البيوت، كلما أمكن هو التوجه الأفضل، و أكثر ما يكون ذلك في أبواب غرف الجلوس و غرف النوم، فالقبلة مقصودة لتحديد ناحية القبلة للصلاة وللذبيحة، فضلا عن استقبال أشعة الشمس طلبا للدفع في الشتاء و طردا للبرد القارس و رطوبة الهواء، و لاتقاء الرياح بأنواعها و خاصة المحملة بالأتربة الرملية، و كانت الجهة الغربية تتقي للرياح الغربية الباردة عادة القادمة من ناحيتها، بعكس النسيم القبلي الذي إذا هب يهب عليلا رقيقا.

1- محمد بوركية: النمط العمراني، مجلة منبر التراث، المرجع السابق، ص145.

2- منجي الكعبي: القيروان، المرجع السابق، ص132.

3- محمد حسن : المرجع السابق، ص76.

4- منجي الكعبي : القيروان، المرجع السابق، ص28.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

و من الطبيعي أن يكون قد صحب التخطيط الأول للمدينة تحديد مقبرة، و ربما أخرى لغيرهم من الأقباط غير المسلمة في البلد، و كانت للقبائل عادة مقابر بأسمائها يفضلون الدفن فيها للقرب و الزيارة و كان يراعى في ذلك إشراف المكان على ربوة أو تلة توتقيا للسيل و اعتبارا بالموت، كما هو مشاهد اليوم بالنسبة للمقبرة البلوية و مقبرة الجناح الأخضر، و مقبرة أولاد فرحان و غيرها. و غالبا ما توجد المقبرة خارج سور المدينة، و كذلك الأمر بالنسبة لمصلى الجنائز و صلوات العيدين و الاستسقاء و شبهها حتى لا يشق على الكبار قطعها ذهابا و غيابا، و ظلت بعض المقابر لا تراوح مكانها القديم لحرمتها و شرف من دفن فيها، و أحيانا لقلة الحيلة في نقلها إلى مكان آخر حتى مع ازدحام البناء من حولها¹.

أما المساكن في تيهرت فكل ما جاء في شأنها أن واضعي النواة الأولى للمدينة أخذوا في انشائها و عمارتها فجعلوها ديارا و قصورا²، و قد وردت عند ابن عذارى "مساكن" دون التفصيل في أنواعها، و من المستبعد أن تكون القصور قد شيدت في هذه الفترة³، فإمامهم عبد الرحمن بن رستم نفسه كان يسكن دارا يصلحها بنفسه و ليس بها من الأثاث إلا أبسطه، و إن كان هذا حال الراعي فما بالك بحال الرعية، و من جهة أخرى فإن قبوله بالمساعدات المالية التي قدم بها وفد البصرة، و جعل ثلثها في الفقراء، ينمى عن المستوى المعيشي في بداية التأسيس و أغلب الظن أنهم سكنوا الدور البسيطة دون القصور الضخمة⁴.

أما من حيث المواد المستعملة في البناء فكانت بسيطة تتركز على ما توفرت عليه المنطقة، تمثلت في الحجارة باعتبارها المادة الأساسية التي بنيت بها جل المرافق المعمارية بالمدينة، و ليس ذلك

1- منحي الكعبي : القيروان، المرجع السابق ، ص- ص 28- 29.

2- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص82، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص41، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص44.

3- فاطمة جلال : موقع تيهرت الأثري، المرجع السابق، ص41.

4- نفسه، ص نفسها.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

بالأمر الغريب ما دامت هذه الأخيرة تتوسط منطقة جبيلة ربما استغلت كمحجر لتوفير هذه المادة¹، و عرف هذا النوع من الحجارة بالدبش الذي يستعمل في تبليط المنشآت المعمارية و رفع الواجهات الأساسية، و هذا ما اكتشفه كل من كدنا Cadenat في تبليط غرف الحمام و الأمين عمر في بقايا أسوار تيهرت و أبراجها و واجهات الحمام و أحواض المياه²، كما استعمل في بناء تيهرت مادة الآجر لكن بشكل محدود و كمادة ثانوية في البناء بعد الدبش، و استعمل الآجر في رفع الجدران، أحواض المياه، الحمام، بناء المدخل³، مختلفين الأحمر و الوردي و شكلين مختلفين لحكم فيهما سمكه المتراوح بين 3 إلى 4 سم، استعملت أيضا مادة الطين أو ما يعرف بالملاط⁴، و هذا ما ذكره ابن الصغير في وصفه للغلام الذي كان يعجن الطين و يمهده للإمام عبد الرحمن المتواجد أعلى الدار بغرض إصلاحها⁵، و من خلال المصادر التاريخية يمكن ملاحظة مواد بناء أخرى مكملة و منها: الخشب باعتباره مادة متوفرة بالمنطقة لخصوصية موقعها الغني بالأشجار، و استعمل عموما في عملية التسقيف لورود ذلك عند ابن الصغير من استعمال عبد الرحمن بن رستم الخشب في عملية إصلاح السقف⁶، فضلا عن استعماله في إنشاء المسجد خشب الشعراء المتوفرة في المنطقة، كما استعمل على الأرجح في بناء شرفات القصور⁷، كما استعمل الحديد، و قد سبق و ذكرنا أن أفلاح بن عبد

1- و قد استعمل في بناء تيهرت نوعان من الحجارة، الكلسية و الرملية، و يتفرع هذان النوعان إلى حجارة مصقولة و أخرى منحوتة، للمزيد عن مجال استعمال هذه المادة، ينظر، الأمين عمر: مواد البناء و تقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين 4-6هـ/10-12م للفترتين الزيرية و الحمادية (أشير قلعة بني حماد ببيحاية)، ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، ص81.

2- الأمين عمر: نفسه، ص- ص 98-100، (p) Cadenat: op.cit, p396

3- للمزيد عن هذه المادة من حيث اللون و الشكل و مجالات استعمالها، فاطمة جلجال: المرجع السابق، ص47، ملحق رقم 13، ص789،

(G) Marçais et (D) lamare : op.cit, p- p 44- 46.

4- هو الخليط الذي يشكل لاحقا مادة صلبة تربط بين مختلف أجزاء البناء، يتكون من الطين فقط أو أضيفت إليه مواد مثل الجير و الفخار، الأمين عمر: المرجع السابق، ص104.

5- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 10- 11.

6- نفسه، ص نفسها، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص140.

7- فاطمة جلجال : المرجع السابق، ص49.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الوهاب اتخذ بابا من حديد للمدينة، و في ذلك إشارة لاستعمال الحديد في البناء، و تذكر فاطمة جلجال أنه لا يمكننا الجزم ما إذا كان استعماله بشكل واسع أو على نطاق محدود¹.

و في الأخير نعتزف بصعوبة المقارنة بين المظاهر العمرانية للمدينتين خاصة في جانب التنظيم والأشكال المعمارية بين أهم نواة المدينة في القيروان و مثلتها في تيهرت، فجامع القيروان وصفته المصادر وصفا دقيقا من حيث مكوناته و تأثيراتها المعمارية، من محراب و صومعة و زخارف حتى أن ياسر اسماعيل عبد السلام نعتها بمدرسة القيروان المعمارية²، فصومعة جامع القيروان مثلا تعد أقدم صومعة باقية معلومة التاريخ (105هـ) في العمارة الإسلامية³، و قد اتخذت هذه الصومعة النموذج التي شيدت وفقه مآذن مساجد افريقية مثل مئذنة صفاقس (345هـ)، و مئذنة جامع الحضرة بتوزر (412-418هـ)، و نموذج الصومعة المربعة هو نفسه الذي شيدت على منواله مآذن مساجد المغرب و الأندلس سواء من حيث الموقع أو من حيث التخطيط و الهيئة المربعة⁴، و لم يقتصر تأثير صومعة جامع القيروان على مساجد المغرب والأندلس فقط بل امتداد هذا التأثير إلى مآذن مصر⁵.

ضف إلى ذلك أن هذه الصومعة كانت بمثابة مراقب حربي يستكشف من خلاله أي هجوم

محمّل على مدينة القيروان⁶.

1- فاطمة جلجال : المرجع السابق، ص49.

2- و يقصد بمدرسة القيروان تخطيط جامع القيروان و ما يضمه من وحدات و عناصر معمارية و زخرفية تميزت بطابع فريد و متميز كان له الأثر الواضح على الكثير من العمائر في أقاليم العالم الإسلامي في الشرق و الغرب، ياسر اسماعيل: مدرسة القيروان، الندوة العلمية الدولية الثانية، ص91.

3- عن تاريخ مئذنة القيروان و الآراء حولها ينظر: البكري: المصدر السابق، ص23-24، المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص24، سليمان مصطفى زيبس: الفنون الإسلامية في البلاد التونسية، تونس، 1978، طاهر مظفر العميد: آثار المغرب والأندلس، بغداد، 1989، ص73، الرماح: مدرسة القيروان، المرجع السابق، ص105، السيد عبد العزيز سالم: التأثيرات المتبادلة بين مصر و المغرب، بحوث في التاريخ و الحضارة و الآثار الإسلامية، بيروت، 1992، ص435.

4- فقد أقيمت مآذن تلمسان و أجادير و الرباط و قروين و قرطبة و إشبيلية المربعة على محور مساجدها بمنتصف جدارها الشرقي في مواجهة محاريبها كما هو الحال في جامع القيروان، محمود فكري: مسجد القيروان، المرجع السابق، ص112.

5- ياسر اسماعيل : المرجع السابق، ص105.

6- و هذا ما أشار إليه ليزين من أن مئذنة القيروان تصطبغ بصبغة عسكرية من خلال عمارتها و التي أبرزوا تلك النوافذ التي تضيء السلم الداخلي و التي تأخذ هيئة أشكال النصف دائرية بطابعها الأول و الثاني، Lezine, op.cit, p 51- 52.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

أما جامع تيهرت فهو عبارة عو موقع أثري افتراضي موصوف بالمسجد، و كما ذكرنا سابقا هناك من ينفي هذا الافتراض¹، لعدم توافق تخطيطه مع الوصف السابق للمسجد الجامع و غياب البلاطات و السواري و المدخل الشمالي أو البحري كما ذكره ابن الصغير.

لكننا نؤكد ما ذكرته الكتابات في أن عمران و عمارة مدينة تيهرت تكون قد تأثرت بمثلتها في القيروان و إن اختلفت في بعض الأساليب أو الأشكال أو القياسات التي ترتبط بالموقع و ارتفاع المنطقة أو انخفاضها خاصة و أن القيروان امتد تأثيرها إلى المشرق و أن عبد الرحمن بن رستم كان واليا على القيروان و كان ينوي إقامته عاصمة دولته فيه فليس بعيدا أنه يتأثر بطريقة بناء و تعمير و تخطيط هذه المدينة.

المبحث الثاني: الميدان الاجتماعي و الاقتصادي

أولاً- تشابه عناصر السكان و الطبقات الاجتماعية

أما عناصر السكان فبحكم أن المدينتين تنتميان لبلاد المغرب الاسلامي، فقد ضمت نفس العناصر البشرية من عرب و بربر و روم و أفارقة، و أهل الذمة من يهود و نصارى.

و فيما يخص فئات و طبقات المجتمع فقد وجدت الطبقتان الخاصة و العامة في كلا المدينتين و نفس الفئات تقريبا التي شملتها الطبقتان، ففي الخاصة نجد مثلاً قادة الجيش و إن كانت هذه الفئة في تيهرت تسمى بالمقدمين و الذي كان يختار من طرف الإمام²، و المقدم في تيهرت كان يقود الجيش في المعركة كقائد للميسرة و الميمنة³.

* **فئة القضاة:** و لما كانت خطة القضاء من الخطط الدينية الشرعية لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات، فقد فوض فيها أهل العلم و التدريس و اشترط فيها العلم بالكتاب و السنة⁴، ففي

1- فاطمة جلجال: المرجع السابق، ص40.

2- نفسه، ص نفسها.

3- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص273.

4- ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص325.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

تيهت تقلدها في البداية عبد الرحمن بن رستم خاصة و أنه قد تولى القضاء في سرت في عهد الإمام أبي الخطاب¹، و في القيروان بلغت هذه المهنة بفضل ابن غانم و سحنون و ابن طالب أعلى مستوى من الاستقلالية حيث أسس سحنون لقضاء مستقل و لقاض يقف حتى في وجه الأمراء في سبيل ما يراه حقا².

وجدت أيضا ضمن الطبقة الخاصة فئة التجار في كل من القيروان و تيهت، فقد مارس التجارة فقهاء كبار منهم ابن فروخ³، في القيروان، و الإمام أفلح بن عبد الوهاب في تيهت، و وصل في تيهت إلى حد امتلاك شخص بمفرده سوقا خاصا و هو ابن وردة⁴، و كان هؤلاء التجار في كلا المدينتين يقومون بفعل الخير و تقديم الصدقات و بناء المساجد و الفنادق للضيوف و الطلبة مثل مسجد و فنادق ابن خيرون و قصر زياد⁵، و تدرج ضمن فئة العلماء أو أهل العلم، و لم يكن العلم مقتصرًا على المذهب المالكي فقط في القيروان، أو المذهب الإباضي في تيهت، بل تعايشت المذاهب الصفرية و الإباضية و المعتزلة في المدينتين⁶.

ثانيا- فئة الرقيق و دورهم في المجتمع

أما بخصوص وجود الرقيق في المدينتين فجل المصادر و الدراسات أكدت على وجود طبقة الرقيق في وقت مبكر بالنسبة للقيروان أي منذ تأسيسها، حيث فرض عقبة على كل واحد من ملوك ودان و جرمة و كوار 360 عبدا، و تبارى ولاية بني أمية في تقديم البربريات السنيات إلى الخلفاء بالمشرق و الذين كانوا يستحبون طرائف المغرب⁷، أما مصدر استقدامهم و استيرادهم فكان من السودان و الأندلس، فكانت أهم البضائع التي تدخل أسواق مدينة تيهت الرقيق و ذهب السودان،

1- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 276 - 277.

2- ابن ناجي: المعالم، المصدر السابق، ج2، ص 90 - 91.

3- المالكي: الرياض، المصدر السابق، ج1، ص182.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 27 - 54.

5- محفوظ الغديفي: ص370.

6- أبو العرب: الطبقات، المصدر السابق، ص184، الشماخي: السير، المصدر السابق، ج1، ص- ص 195 - 198.

7- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، المصدر السابق، ص194 - 195، ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج1، ص52.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

فقد راحت تجارة العبيد في أسواق تيهرت إلى حد أن أصبح ضبط عددهم صعباً¹، وكانت الجواري السودانيات تباع في أسواق تيهرت، و منها اشترى أهلها جارية صفراء لخدمة القاضي محكم الهواري بدار القضاء²، و ذكر ابن حوقل أن القيروان و تيهرت و بلاد المغرب عامة أصبحت محطة هامة في تجارة الرقيق في القرنين الثاني و الثالث بقوله: "فأما ما يجهز من المغرب إلى المشرق الخدم المجلوبون من بلاد السودان و الخدم المجلوبون من أرض الصقالبة على الأندلس"³.

أما دورهم و مكائنتهم الاجتماعية و الاقتصادية فكانت فعالة و أساسية، فكثرة اشتغال العبيد في الميادين الحرفية و التجارية و الفلاحية جعل الحبيب الجنحاني يصنف الحضارة الاسلامية بأنها "حضارة رقيق"⁴.

لقد تم استغلال الرقيق في الجيش و في شتى ضروب النشاط الاقتصادي داخل القيروان⁵، كما كما تضيف لطيفة بشاري إقحام العبيد في الحياة السياسية في مدينة تيهرت الرستمية حيث كانت لهم أدوار ثانوية أحيانا و أساسية أحيانا أخرى⁶، كالمجهود الذي بدله العبد الذي كان يملكه عبد الرحمن بن رستم بحمل سيده أثناء فراره من القيروان إلى تيهرت صحبة ابنه عبد الوهاب طلبا للنجاة، جزءا من حياة العبيد في الحياة السياسية⁷، ذلك أن بن رستم فقد فرسه و أجهد و كاد يموت⁸، كما كما كان الإمام عبد الوهاب يملك عبيدا كثيرين يستخدمهم عيونا له⁹، فكان الرقيق جزءا من حاشية حاشية الأئمة والوجهاء في المدينة، فقد أحاطوا أنفسهم بالعبيد في منازلهم و عند خروجهم، فهذا محمد بن عرفة صهر الإمام أبي بكر كان يمشي وسط عدد كبير من أرقائه عندما يخرج من بيته، و

1- لطيفة بشاري: دور الرقيق في المجتمع الإباضي بتيهرت، مجلة الخلدونية، المرجع السابق، ص 141-142.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 51-52.

3- ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص 95.

4- الحبيب الجنحاني: المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص 28.

5- نفسه، ص 92.

6- لطيفة بشاري: دور الرقيق، المرجع السابق، ص 142.

7- نفسه، ص نفسها.

8- الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 31، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 81-82.

9- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 68.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

انخرط العبيد في الشرطة و استعان بهم الرستميون لحراستهم، حيث استعمل الإمام عبد الوهاب عبدا حارسا له¹.

ثالثا- التجارة الداخلية و تنظيم الأسواق

يبرز أيضا في تنظيم الأسواق، و الاعتناء بنظافتها، فيحكم التطور التجاري و كثرة الحيل والغش، حيث انتشرت في القيروان أنواع البيوع المحترمة و المكروهة، من بيوع بالآجال و بيوع فاسدة و مراحة و بيوع الغرر²، و انتشرت أيضا المزاينة³ و المساومة و المبايعة و تلقي الركبان رغم نهي الرسول صلى الله عليه و سلم⁴، و هذا ما استدعى إلى ظهور حرفة صاحب السوق أو المحتسب، و بسبب ارتفاع الأسعار و تغير الحالة الاقتصادية خاصة في آخر العهد الأغلبي⁵، تطورت هذه الحرفة، و دليل ذلك ظهور مؤلف "أحكام السوق" ليحيى بن عمر الذي تضمن أسئلة كثيرة حول الغش و التطفيف و التسعير و غيرها و جاد فيه أكثر من 130 صفحة حول دور المحتسب في مراقبة أهل الحرف من حناطين و خبازين و فرانين و جزارين و خرازين⁶.

إضافة إلى مسائل أخرى تهم عامة الناس مثل حماية العامة من تصرفات الجزارين و البقالين و الآداب العامة و غيرها⁷، كما ألف بعض الفقهاء في مسائل السماسرة⁸، كما تجاوزت الحسبة أحكام السوق إلى مسائل أخلاقية مثل الحكم في دور الأذى و الفجور، و قطع النبيذ و الخمر⁹،

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص68.

2- سحنون: المدونة، المصدر السابق، ج3، ص- ص 188-244.

3- المزاينة: و هي بيع التمر بالتمر كيلا، مالك: الموطأ، المصدر السابق، ص402.

4- و قد نهي بقوله صلى الله عليه و سلم: "لا تلقوا الركبان للبيع، و لا يبيع بعضكم على بيع بعض..." مالك: نفسه، ص443.

5- محمد الحبيب بن عبد الجليل: المجتمع الافريقي من خلال كتاب طبقات أبي العرب، مذكرة لنيل شهادة الكفاءة في البحث، البحث، جامعة تونس، 1986، ص26.

6- يحيى بن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص- ص 31-94.

7- نفسه، ص- ص 99-135.

8- محفوظ الغديفي: المرجع السابق، ص308.

9- يحيى بن عمر: أحكام السوق، المصدر السابق، ص- ص 76-133.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

وكذا أحكام البنيان و النظافة و أهل الذمة، و الصيارفة، و قد تعرض ابن عمر إلى أغلب المسائل التي تناولها السقطي¹.

و في مدينة تيهرت أولى الأئمة الرستميون عناية خاصة بنظافة الأسواق و تنظيم الحركة فيها، و منع أنواع الغش و الفساد، فعندما آلت الإمامة إلى أبي اليقظان، سعى إلى تنظيم أسواق المدينة حيث يقول ابن الصغير: "أمرقوها من نفوسة بالمشي في الأسواق، فيأمرون بالمعروف، و ينهون عن المنكر، فإن رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه، و إن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها، و إن رأوا قدرا في الطريق أمروا من حول الموضوع أن يكسه..."².

و كانت هذه مهام يشترك فيها المحتسب و صاحب الشرطة الذي تعدت مهنته مراقبة الأسواق و محاربة أنواع الغش، و مظاهر التدليس و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و غير ذلك من الأعمال³.

و يمكن أن نلاحظ جليا أهمية هذين المنصبين "المشرف على السوق" أو "المحتسب" و "صاحب الشرطة"، و دورهما في تنشيط و تطوير حرفة التجارة من جهة و نشر الأمن داخل المدينة، و خصوصا في تيهرت حيث استطاع ابن زكار و ابراهيم بن مسكين في مدة وجيزة من إخماد نار الفتن و إعادة الأمن والنظام داخل المدينة⁴، و أصبحت بذلك أسواق تيهرت قمة في التنظيم والأمن و النظافة⁵.

1- السقطي: في آداب الحسبة، محفوظ الغديفي: المرجع السابق، هامش 6 ص 312.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 88.

3- موسى لقبال: الحسبة، المرجع السابق، ص 33، ابراهيم بحاز: القضاء في المغرب الاسلامي، من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الخلافة الفاطمية، دار البياقوت للطباعة و النشر، ط 1، الأردن، ص 401.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 117، و للمزيد أكثر عن دور الشرطة و المحتسب، ينظر، قدور وهراني: تطور نظام الشرطة الشرطة في العهد الرستمي، الخلدونية، المرجع السابق، ص - ص 106 - 111.

5- محمد بوشناي: مقومات النشاط الحربي و تنظيمه على عهد الرستميين، مجلة الناصرية، المرجع السابق، ص 160 - 161.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

رابعاً- مواد و مناطق التبادل

مما لا شك فيه أن القيروان و تيهرت تميزتا برواج تجارتهما الخارجية و اتساع علاقتهما ومبادلاتهما مع باقي دويلات المغرب و المشرق و الأندلس، فالجدولان التاليان يوضحان لنا مناطق التبادل التجاري وأنواع المبادلات بالنسبة لمدينتي القيروان و تيهرت:

القيروان:

المناطق	الصادرات	الواردات
تيهرت	الفسنق، الزيتون، مواد مصنعة، آلات حديدية، سيوف، سروج، منتجات حريرية	السمسم، الزعفران، الفواكه المجففة، الحبوب، العسل، الأغنام و مواد مصنعة كالجلود والصوف
الأندلس	مواد غذائية كالحبوب و الغلال، الأغنام، الخيول، المنسوجات الصوفية، التمور، بعض سلع بلاد السودان كالعبيد و العاج	الحديد، الرصاص، النحاس، قصب السكر، الحرير، الياقوت الأحمر، الزئبق، القطن، الخدم، الصقالبة، والجواري الروميات والأندلسيات
السودان الغربي	منتجات صوفية و قطنية و كتانية، أواني زجاجية، فخار، خزف و ملح	الذهب، العاج، جلود الحيوانات، العبيد، سلاسل نحاسية
فاس وسجلماسة	المنتجات الزراعية كالحبوب بسبب فقر سجلماسة زراعيًا	الأقمشة و بعض المعادن، منتجات حريرية
دول المشرق	العبيد، الحبوب، الشيوخ، الزيوت	المنسوجات الرفيعة، التوابل، الأسلحة

تيهرت:

المناطق	الصادرات	الواردات
القيروان	السمسم، الزعفران، الفواكه المجففة، الحبوب، العسل، الأغنام و مواد مصنعة كالجلود والصوف	الفسنق، الزيتون، مواد مصنعة، آلات حديدية، سيوف، سروج، منتجات حريرية
الأندلس	مواد غذائية كالحبوب و الغلال، الأغنام، الخيول، المنسوجات الصوفية، التمور، بعض سلع بلاد السودان كالعبيد و العاج	الحديد، الرصاص، النحاس، قصب السكر، الحرير، الياقوت الأحمر، الزئبق، القطن، الخدم، الصقالبة، والجواري الروميات والأندلسيات
السودان	منتجات صوفية و قطنية و كتانية، أواني زجاجية، فخار، خزف و ملح	الذهب، العاج، جلود الحيوانات، العبيد

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الأقمشة و بعض المعادن، منتوجات حريرية	معظم منتوجات السودان الغربي كجلود الحيوانات و المنتوجات الزراعية كالحبوب بسبب فقر سجماسة زراعي	فاس وسجماسة
منسوجات قطنية و كتان...	معظم السلع الرستمية كالمنتوجات الزراعية والحيوانات	دول المشرق

من خلال الجدولين يتبين لنا التشابه في المواد و البضائع المتبادلة باعتبار المنتجات الزراعية و الحيوانية تخضع لنفس المقومات و العوامل الطبيعية و الجغرافية، و حتى البشرية و المادية، كما يبرز التشابه أيضا في المناطق و الدول التي يتم معها التبادل التجاري، وذلك راجع كما عرفنا لعدة عوامل على رأسها استراتيجية موقع المدينتين و تعدد الطرق و المسالك التجارية.

المبحث الثالث: التشابه في المجال الثقافي و الفكري

أشارت العديد من الدراسات إلى ذلك الازدهار الفكري الذي عاشته مدينتا القيروان وتيهرت، حيث أصبحتا مركز إشعاع ثقافي كبيرين¹، و ذلك بحكم تمتعهما بنفس العوامل المساعدة على ازدهار الحياة الفكرية و الثقافية و العلمية بداية من الحكام و تشجيعهم على التعلم و المعرفة، ورعايتهم لأهل العلم، وشارك الأمراء و الأئمة أنفسهم في التعليم، مثلا الإمام عبد الوهاب الذي كان يجلس للتعليم في مسجد تيهرت و مسجد جبل نفوسة²، و كان لعبد الرحمن بن رستم ديوان خطب³، و كان الإمام أفلق عالما بالحساب و الفلك و التنجيم و أدبيا و شاعرا، له عدة مؤلفات⁴، و كان ابراهيم بن الأغلب فقيها حافظا للقرآن و أدبيا شاعرا و خطيبا⁵، و كان ابنه زيادة الله شاعرا،

1- دراسة محمد عليلي المعنونة ب: الاشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستميين خلال القرنين 2-3هـ / 8-9م.

2- الشماخي : المصدر السابق، ج1، ص159.

3- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص98.

4- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص192.

5- أحمد الطويلي: ملوك القيروان الشعراء، المرجع السابق، ص12.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

شاعرا، يقول عنه ابن الأبار أنه: "كان أفصح أهل بيته لسانا و أكثرهم بيانا...و يصوغ الشعر الجيد"¹، وكان أخوه أبو عقاب الأغب بن ابراهيم يصوغ أيضا الشعر².

في الحقيقة لم ينفرد أئمة تيهرت بالتسامح الديني و المذهبي، بل يبدو أنه كما ذكرت فوزية لزغم أن العصر بأكمله كان عصر تسامح³، و هذا ما نستنتجه إذا ألقينا نظرة على أحوال الإباضيين في الدول غير الإباضية المعاصرة لهم، خاصة في دولة الأغالبة حيث عاش الإباضيون بكل حرية، و عقدوا حلقاتهم في مساجد افريقية و في جامع القيروان ذاته، و دأب فقهاء الإباضية على تدريس تعاليم مذهبهم و مناظرة مخالفهم⁴، فقد أدى التسامح المذهبي في كل من القيروان و تيهرت إلى تعدد المذاهب و كثرة مجالس المناظرة بين معتنقي مختلف المذاهب في جو من الحرية إلى جانب جلوس طلبة العلم و العلماء الإباضيين إلى حلقات مخالفهم في المذهب و قراءتهم عليهم بعض العلوم، كما جلس بعض المخالفين عند الإباضيين لدراسة بعض العلوم عنهم، و هذا ما رواه ابن الصغير المالكي عن نفسه من أنه جلس إلى أبي عبيدة الأعرج الإباضي الذي كان عالما بالنحو و اللغة و قراءة عليه كتاب "اصلاح المنطق" لابن قتيبة في جلسات عديدة⁵.

كما أخذ عن الإباضيين في دراسة الفقه بأخذه مثلا كتاب مسائل نفوسة للإمام عبد الوهاب عند بعض الرستميين فدرسه و وقف عليه⁶، كما كان يجلس إليهم، فاعتمد بعض تاريخه عليهم فقال: "أخبرني غير واحد من الإباضية...أخبرني بعض الإباضية"⁷، كما كان الإباضيون يأخذون العلم عن غيرهم من ذلك أخذ قاسم بن أصبغ الإباضي الحديث الشريف عن أبي عبد الرحمن بكر

1- ابن الأبار: الحلة السيرة، المصدر السابق، ج1، ص163.

2- نفسه، ج1، ص168-169، لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص20.

3- فوزية لزغم: التسامح المذهبي في الدولة الرستمية، الخلدونية، المرجع السابق، ص70.

4- نفسه، ص نفسها، محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص220.

5- ابن الصغير : المصدر السابق، ص95-96.

6- نفسه، ص45-46.

7- نفسه، ص94.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

بن حماد بن سمك بن اسماعيل الزناقي التيهري المالكي المذهب¹، فالحلقات كانت تعقد في جو من التسامح الفكري و هو ما يؤكد ابن الصغير بقوله: "و من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه كان سبيله كذلك²، فالتسامح المذهبي³ إذن كان عاملا مشتركا في المدينتين و كان له أثر إيجابي على على الاشعاع الفكري و الازدهار الثقافي.

و نسجل أيضا التشابه في أصناف العلوم المتداولة سواء كانت علوما نقلية أو علوما عقلية، فقد ازدهرت العلوم الدينية من فقه و حديث و تفسير بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية و دخول أقوام أعجمية في الاسلام، مما تطلب تفسير القرآن الكريم، و تعليم اللغة العربية لأداء الفروض الدينية بشكلها الصحيح، بينما تطور علم الحديث بشكل كبير في القيروان، و بالخصوص في عهد الدولة الأغلبية لما له من علاقة وطيدة بالفقه، ذلك أن الفقه يستند في إصدار الفتوى على النصوص القرآنية و الحديث⁴، إلى جانب احتضان القيروان عددا كبيرا من الفقهاء كانوا رواة للحديث و قد سمعوا من كبار المحدثين في المشرق و على رأسهم أكبر المحدثين و هو علي بن زياد الذي يقال بأنه هو أول من أدخل موطأ مالك إلى افريقية⁵، أما في تيهرت فلم يول الرستميون اهتماما كبيرا للحديث عكسه ما كان عليه الفقه إذ تكاد تخلو المصادر و المراجع الإباضية من ذكر المحدثين، و ذلك راجع إلى تعدد المذاهب، فحظي الفقه بالاهتمام الكبير في بيئة تميزت بالمنازرات الفقهية و الكلامية⁶، أما علم الكلام فقد ارتبط في كلتا المدينتين بمسألة شغلت العلماء و الفقهاء مدة طويلة و هي مسألة خلق

1- عيسى بن الذيب و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007، ص56.

2- نفسه، ص- ص32- 51.

3- للمزيد عن سياسة التسامح و التعايش و أثرها على المجال الفكري و الثقافي ينظر، محمد عليلي: تاهرت مدينة التعايش المذهبي في العهد الرستمي خلال القرنين 2- 3هـ / 8- 9م، الخلدونية، المرجع السابق، من ص 90 إلى ص 94، فوزية لزغم: التسامح المذهبي في الدولة الرستمية، الخلدونية، المرجع السابق، من ص 62 إلى ص 71.

4- محمد عليلي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص120.

5- عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الاسلامي، تفسير الكتاب، البلدة، الجزائر 1990، ص- ص 90- 94.

6- محمد عليلي: الاشعاع الفكري، المرجع السابق، ص91.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

القرآن، و يبدو أن زيادة الله الأول تأسى بالخليفة العباسي المأمون ونحى مذهب المعتزلة في القول بخلق القرآن¹، و في تيهرت قال بها الأئمة و منهم الإمام أبو اليقظان².

و على هذا الأساس شهدت القيروان معارك كلامية بين الفريقين، و كان الإمام سحنون واحدا ممن تعرضوا لمحنة شديدة، كما رأينا في عهد أحمد بن الأغلب بسبب معارضته و تصديه لمن يقول بخلق القرآن في جامع القيروان³، و ابنه محمد أيضا تصدى لمن يقول بهذه الفكرة⁴، فالظروف في بعض الأحيان كانت في صالح الفريق القائل بخلق القرآن (أي المعتزلة) و لعل استعمال الحجج العقلية كان عاملا في انتصارهم، أما في تيهرت فقد استعان مثلا الإمام عبد الوهاب بأحد أشهر علماء الكلام النفوسي الوغوي في مناظرة المعتزلة حيث تحولت المناظرة مع أحدهم بعد انتصار مهدي النفوسي إلى مبارزة أفضت إلى مقتل المعتزلي⁵.

و في الانتاج التاريخي يظهر التفاوت بين المدينتين حيث نشط تدوين التاريخ في تيهرت، وكان في بداية الأمر مرتبطا بمعرفة الأنساب، و دراسة سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و الصحابة والأئمة الإباضيين، و كان سبب هذا الاهتمام حرص الإمام أفلح بن عبد الوهاب على دراسة أئمة المذهب الأوائل⁶، كما أولى الإمام أبو بكر بن أفلح أيضا اهتماما كبيرا بالتاريخ، و كان يجب أخبار الماضين⁷، أما في عهد الدولة الأغلبية فكان الانتاج التاريخي قليلا جدا و يفسر ذلك بقلة المؤرخين، إلا أن المؤلفات الفقهية و التي تعد هي الأخرى في حد ذاتها تدوينا تاريخيا غطت هذا النقص، ومنها مؤلف محمد بن سحنون "طبقات العلماء"⁸.

1- Abdallah Laroui, l'histoire, op.cit, p110.

2- محمد بلغراد: المرجع السابق، ص212،

3- الدباغ: المصدر السابق، ص87، محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص254.

4- الدباغ: نفسه، ص134.

5- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص 57- 63، محمد بلغراد: المرجع السابق، ص114.

6- ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص296.

7- ابن الصغير: المصدر السابق، ص62.

8- محمد بلغراد: المرجع السابق، ص114، سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص108.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الفصل الثالث: تقييم و استنتاجات

من خلال هذا العرض لنقاط التشابه و الاختلاف في المظاهر الحضارية بين مدينتي القيروان وتيهرت نقف عند بعض النتائج نذكر منها:

- على الرغم من وجود نقاط تباعد و اختلاف بين المدينتين فإنه يوجد أيضا عدة مظاهر و معالم تداخل و توافق و تأثير و تأثر بينهما لا سيما في المجال الحضاري، و يظهر ذلك جليا في تلك العلاقات و المبادلات التجارية و التواصل الثقافي و السياسي، و بالتالي حدوث تقارب بين المدينتين في المجالات الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية و حتى السياسية.

و لابرز الوجه الحقيقي لتلك الروابط و العلاقات التي نتجت بين المدينتين تحقيقا للمصالح والأهداف المشتركة نذكر منها:

المبحث الأول: العلاقات السياسية بين المدينتين

سعى الإباضيون بعد تأسيسهم لحضرتهم إلى تحسين علاقاتهم مع الدول المجاورة لهم، رغم الاختلافات المذهبية أو النزاعات المسلحة السابقة، مثل الدولة الأغلبية و الدولة الأموية في الأندلس، فقد قام عبد الرحمن بن رستم بموادعة الوالي العباسي في القيروان روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب '171-174هـ/ 787-790م)، و حتى مع الدولة العباسية التي كانت تعتبر ألد أعداء الخوارج، فلم يسجل للرسامين أي رد فعل بعد أن ألقى الخليفة العباسي الواثق بالله (227-232هـ/ 842-847م) القبض على محمد بن أفلح الملقب بأبي اليقظان في عهد إمامة أبيه أفلح بن عبد الوهاب، و بعد تولي المتوكل (232-247هـ/ 847-861م) أمر الخلافة العباسية، أطلق سراحه فعاد إلى تيهرت و تولى الإمامة (261-281هـ/ 875-864م)، و استمرت بين الحاكمين العلاقات الودية التي نمت بينهما في السجن.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

و في إطار التعايش السلمي بين المدينتين، نهض كل من الرستميين و الأغالبة للوقوف في وجه العباس بن أحمد بن طولون عندما هدد الحدود الأغلبية سنة 265هـ/878م¹، و لم يكن اشتراكهما معا في وجه أطماع العباس إلا نتيجة تعاون و تحالف مشترك تم بينهما، بل نتيجة لما أحاط بالجانبين من خطر في وقت واحد، و لأن هزيمة أي واحد منهما على يد العباس قد تعرض الآخر إلى هزيمة مماثلة تغير من طبيعة الوضع السياسي لمنطقة طرابلس، و الثابت أن كلا من الرستميين و الأغالبة قد نال قسطا من تهديدات العباس و اعتداءاته، و في الأخير و بفضل التعاون المشترك تمكنا من إلحاق الهزيمة بجيوش ابن طولون².

و كثير هم من أثنوا على تلك العلاقات³ وخاصة في العهد الأغلبي، ويستدلون على مواقفهم مواقفهم ببعض الأحداث خلاصتها، أن هذه العلاقات لم تصل إلى حدّ القتال المستمر والعداء الدائم، ومن ذلك أن وجود يزيد بن حاتم⁴ على أفريقية كشخصية قوية دفع عبد الرحمن بن رستم، إلى إلى اتباع سياسة مسالمة بعيدة عن العنف، ومن جهته يزيد بن حاتم لم يكن في صالحه إثارة المشاكل في تلك الظروف التي كانت تعرفها القيروان من ثورات واضطرابات⁵ ولا شك أن كلاهما كان يفضل حسن الجوار⁶ وبعد عبد الرحمان بن رستم أقدم الامام عبد الوهاب على تحديد معاهدة السلم، وهذا ما ذكره السلاوي بقوله: "أن روح بن حاتم رغب في موادة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم

-
- 1- ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص324، ذكر ابن عذارى أن الفتنة حدثت سنة 267هـ/880م، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 117-118، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص337.
 - 2- بلخير ليديري: العلاقات، المقتطف المصري، المرجع السابق، ص37.
 - 3- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 73 وما بعدها.
 - 4- أبو العرب الطبقات، ص 218.
 - 5- جودت عبد الكريم، ص 74، ليبيري بلخير، العلاقات السياسية، المقتطف المغربي، ص 37.
 - 6- ليبيري بلخير، نفسه ص نفسها.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

صاحب تيهرت فوادعه¹ وأكد هذا القول لسان الدين بن الخطيب بقوله: "ورغب الإباضيون منهم في موادعته"².

وكانت كل من القيروان وتيهرت تميل إلى السلم والاستقرار، ومن المحتمل... ليبحري أن تكون هناك زيارات متبادلة تمت بين العامتين فهو ما يعتبر حسن العلاقات بينهما³، وقد تعدت العلاقات الحسنة بين المدينتين بلوغ الوافدين إلى تيهرت مكانة اجتماعية مرفوقة، محمد بن عرفة الوافد من القيروان، وقد أشار بن الصغير أن الامارة كانت باسم أبي بكر وفي الحقيقة كانت لمحمد بن عرفة⁴، وقد ذكره الدرجيني من أعيان تيهرت⁵ وهذا كله يجسد الحرية التي عرفتها تيهرت خلال هذه الفترة.

و خلاصة القول أن العلاقات بين تيهرت و القيروان كانت مستقرة و مبنية على الاحترام المتبادل وحسن الجوار، و هناك تأكيد أن الرستميين لم يقوموا بعمل عدواني ضد جيرانهم، لما اشتهروا به من التقوى و البسالة وعدم الاهتمام بما يدور خارج حدودهم و انصرافهم إلى شؤونهم الداخلية.

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية بين القيروان و تيهرت

عمل التجار القيروانيون على توطيد علاقاتهم بتيهرت، لا سيما الإباضيون الذين ظلوا على اتصال مستمر بعاصمة إمامهم، فسيروا قوافلهم قاصدين تيهرت أو مارين عليها اتجاه سجلماسة ومن هناك نحو أودغست⁶.

ربطت تيهرت بالمدن الأغلبية مسالك و طرقا منها البرية التي تأخذ مسلكين، مسلك غير

1- السلاوي، الاستقصاء، المصدر السابق، ج1، ص 30.

2- لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 10.

3- ليبدري بلخير، المرجع السابق، ص 37.

4- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 72.

5- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 79.

6- ابن الصغير : المصدر السابق، ص 31- 32.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الهضاب العليا يمر بمدينة سطيف، و منها نحو القيروان¹، و المسلك الثاني صحراوي يمر بورقلة عبر جبال عمور و منها إلى القيروان²، و طريق بحري و يمتد من تيهرت إلى تنس و منه إلى طبرقة ثم إلى تونس، و هناك توزع برا نحو المدن الأغلبية الداخلية³.

لقد ازدهرت القيروان اقتصاديا خاصة في عهد الأغالبة⁴ حيث انتشرت الزراعة، من حبوب خاصة القمح⁵ و زيتون و نخيل و استخراج المعادن مثل الفضة و الزجاج والنسيج، هذه العوامل جعلت القيروان تلعب دورا بارزا في الحركة التجارية المغربية⁶ و في نفس الوقت تمتعت تيهرت بموقع تجاري هام⁷ و كان هذا مشجعا لممارسة التجارة فسارت القوافل من القيروان إلى تيهرت أو مرورا بها نحو سجلماسة، كما مارست المدينتان تجارة برية مارست أيضا تجارة بحرية حيث كان للقيروان أسطولها التجاري، و تيهرت مراكب ترسو بمرسى فروخ⁸ وكان التجار يسلكون ثلاثة طرق مختلفة: الطريق الأول: هو الطريق البحري فكانت القوافل تنقل السلع من تيهرت إلى تنس و منها إلى برقة ثم إلى ميناء تونس ثم تقوم القوافل البرية بنقلها إلى داخل إفريقية كالقيروان⁹.

الطريق الثاني: يخترق منطقة الهضاب العليا إلى الزاب ثم إلى القيروان عبر جبال الأوراس و عبر مدينة

1- الاصطحي: المصدر السابق، ص- ص 82-84.

2- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 118.

3- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 353.

4- حسن محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط1، مطبعة المدني، ص 418.

5- المقدسي: المصدر السابق، ص 227.

6- حيث يذكر صاحب الاستبصار: "أن قوافلها سارت إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي و السودان"، ينظر: مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 224.

7- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 115.

8- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 353، و يقع هذا الميناء بين مستغانم و ارزيو و يعرف حاليا بمرسى الحجاج، ينظر: ينظر: عبد العزيز قباللي: العلاقات بين الدولة الأموية، المرجع السابق، ص 100.

9- و يقول يعقوبي: " كانت هذه المراكب تسير مسلحة غير موعلة " ينظر يعقوبي: البلدان، المصدر نفسه، ص نفسها، ويذكر أن هذا الطريق لا يسلكه إلا الأقوياء ممن لا يخشى ركوب البحر بحيث كانوا عرضة لأخطار القرصنة. " ينظر المالكي: المصدر السابق، ص 348.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

سطيف و تستغرق الرحلة مسير شهر على الإبل¹.

أما الطريق الثالث: يخرج من تيهرت إلى ورجلاى عبر جبال عمور و من ثم إلى القيروان و هو طريق صحراوي حافل بالمتاعب. و هكذا فإن المدينتان كانت ترتبط بعلاقات تجارية مباشرة أو غير مباشرة² مباشرة² و كانت تيهرت تصدر من المنتوجات الزراعية مثل:

السمن و الزعفران و الكتان و الفواكه المجففة و الحبوب و العسل و الحيوانات كالأغنام³ مصنعة من الصوف و الجلود أما الواردات من القيروان منها: الفستق من قفصة و الزيتون و مواد مصنعة مثل الآلات الحديدية و السيوف و سروج الخيل و المنسوجات الحريرية⁴. لقد ازدهرت القيروان اقتصاديا خاصة في عهد الأغالبة⁵ حيث انتشرت الزراعة، من حبوب خاصة القمح⁶ و زيتون و نخيل واستخراج المعادن مثل الفضة و الزجاج والنسيج، هذه العوامل جعلت القيروان تلعب دورا بارزا في الحركة التجارية المغربية⁷ و في نفس الوقت تمتعت تيهرت بموقع تجاري هام⁸ و كان هذا مشجعا لممارسة التجارة فسارت القوافل من القيروان إلى تيهرت أو مرورا بها نحو سجلماسة ، كما مارست

-
- 1- و هناك فرع آخر يتجه من سطيف إلى بسكرة و منها إلى القيروان عبر بلاد الجريد، و يذكر القاضي النعمان أن هذا الطريق الطريق سلكه المهدي إلى سلجماسة، ينظر القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 129-152.
 - 2- أي تتم في مراكز تجارية أخرى مثل زويلة و سلجماسة، و يكون التبادل بسلع محلية أو مستوردة أي قيام كل منها بدور الوسيط التجاري، ينظر أرشيبالد: المرجع السابق، ص 188.
 - 3- الحبيب الجناحي: تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد 40-43، تونس 1975، ص 35-40.
 - 4- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 118، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 418.
 - 5- حسن محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط1، مطبعة المدني، ص 418.
 - 6- المقدسي: المصدر السابق، ص 227.
 - 7- حيث يذكر صاحب الاستبصار: "أن قوافلها سارت إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي و السودان"، ينظر: مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 224.
 - 8- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 115.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

المدينتان تجارة برية مارست أيضا تجارة بحرية حيث كان للقيروان أسطولها التجاري، و تيهرت مراكب ترسو بمرسى فروخ¹ وكان التجار يسلكون ثلاثة طرق مختلفة:

الطريق الأول: هو الطريق البحري فكانت القوافل تنقل السلع من تيهرت إلى تنس و منها إلى برقة ثم إلى ميناء تونس ثم تقوم القوافل البرية بنقلها إلى داخل إفريقية كالقيروان².

الطريق الثاني: يخترق منطقة الهضاب العليا إلى الزاب ثم إلى القيروان عبر جبال الأوراس و عبر مدينة سطيف و تستغرق الرحلة مسير شهر على الإبل³.

أما الطريق الثالث: يخرج من تيهرت إلى ورجلان عبر جبال عمور و من ثم إلى القيروان و هو طريق صحراوي حافل بالمتاعب. و هكذا فإن المدينتان كانت ترتبط بعلاقات تجارية مباشرة أو غير مباشرة⁴ مباشرة⁴ و كانت تيهرت تصدر من المنتوجات الزراعية مثل: السمسم و الزعفران و الكتان و الفواكه الفواكه المجففة والحبوب و العسل و الحيوانات كالأغنام⁵ مصنعة من الصوف و الجلود أما الواردات من القيروان منها: الفستق من قفصة و الزيتون و مواد مصنعة مثل الآلات الحديدية و السيوف و سروج الخيل والمنسوجات الحريرية⁶.

1- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 353، و يقع هذا الميناء بين مستغانم و ارزو و يعرف حاليا بمرسى الحجاج، ينظر: عبد العزيز قيلالي: العلاقات بين الدولة الأموية، المرجع السابق، ص 100.

2- و يقول اليعقوبي: " كانت هذه المراكب تسير مسلحة غير موعلة " ينظر اليعقوبي: البلدان، المصدر نفسه، ص نفسها، و يذكر أن هذا الطريق لا يسلكه إلا الأقوياء ممن لا يخشى ركوب البحر بحيث كانوا عرضة لأخطار القرصنة. " ينظر المالكي: المصدر السابق، ص 348.

3- و هناك فرع آخر يتجه من سطيف إلى بسكرة و منها إلى القيروان عبر بلاد الجريد، و يذكر القاضي النعمان أن هذا الطريق الطريق سلكه المهدي إلى سلجماسة، ينظر القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص- ص 152-129.

4- أي تتم في مراكز تجارية أخرى مثل زويلة و سحلماسة، و يكون التبادل بسلع محلية أو مستوردة أي قيام كل منها بدور الوسيط التجاري، ينظر أرشيبالد: المرجع السابق، ص 188.

5- الحبيب الجناحي: تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد 40- 43، تونس 1975، ص 35-40.

6- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 118، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 418.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

المبحث الثالث: العلاقات الثقافية و الفكرية

مما لا شك فيه أن تيهرت تعد مركز إشعاع قوي للإباضية، بحكم مركزها المتوسط في بلاد المغرب، حيث كانت تربط عواصم المغرب بعضها ببعض و مما سهل ذلك هو طرق التجارة، حيث كانت تحمل معالم الثقافة في بضائعها، و في رحال التجار و كثيرا ما كان ينتقل العلماء مع قوافل التجارة و غالبا ما يمتهن العلماء هذه الحرفة، و منه فقد واكبت التجارة، الحياة الفكرية.

إن وجود القيروانيين في تيهرت ساهم في تفعيل الحركة العلمية و ذلك عن طريق مساجدهم، و ما كانوا يقومون به من مناظرات مع علماء الإباضية و الكوفة و البصرة¹.

كانت تربط تيهرت بالقيروان علاقات ثقافية، و مما يدل على ذلك وجود شخصية يوسف الفتاح، الذي درس بتيهرت، وانتقل إلى القيروان ليعلم إباضيها ما كان قد أخذه من العاصمة الرستمية، و قد توفي سنة 260هـ²، لقد كانت القيروان مثابة للإباضيين الواردين من مختلف بقاع المغرب، ليعلم العربية و آدابها و التعلم بيت الحكمة للتفقه في الدين، و تعلم العربية، و من طلبة العلم الذين وفدوا إلى القيروان من تيهرت بكر بن حماد التيهرتي الذي ولد و نشأ في تيهرت ثم رحل إلى القيروان و منها إلى المشرق لطلب العلم 217 هـ/832³.

إن الاختلاف السياسي و كذا المذهبي بين القيروان و تيهرت باعتبار أن الأولى ذات غالبية مالكية و الثانية ذات غالبية إباضية لم يكن حائلا دون إقامة جسر التواصل الفكري و الثقافي بين الحاضرتين، لوجود مساحة ثقافية مشتركة صنعها العلماء و التجار في حركة انتقالهم بين المدينتين، فإذا كانت هناك حدود سياسية بين الدولتين بالمعنى المتعارف عليه في العصر الوسيط بين الإمارات الإسلامية، فإن الفضاء الفكري و الثقافي كان واسعا.

1- محمد الطمار: الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص 93.

2- إبراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 383.

3- نفسه، ص 384، جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 112، يقول الدباغ أنه: " سمع من سحنون... ثم رحل إلى البصرة"، ينظر، الدباغ: المصدر السابق، ج 2، ص 281.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

كان للرحلة العلمية دور بارز في تنشيط و تفعيل الحركة الفكرية و الثقافية، و في مد أواصر التواصل والتبادل الثقافي بين القيروان و تيهرت و فاس و الأندلس و المشرق، فكان الهدف من تنقل العلماء والفقهاء بين هذه الحواضر هو الاستزادة من الفقه و العلوم الأخرى أو لنشر علمهم، فالعلماء و طلاب العلم دأبوا على الانتقال من مدينة إلى أخرى و من قطر إلى آخر بغية التحصيل العلمي، فقد استمرت رحلة العلماء وطلبة العلم بين القيروان و تيهرت، و كانت تشد الرحال إلى المشرق قصد الحصول على العلم و الفقه من منابعه الأصلية، و ممن صاحب الأئمة الكبار و كانت العراق و الحجاز بجواضرها منتهى من يرغب في التحصيل العلمي و التفقه من أهل المغرب كل متحمس لمذهبه، فالقيروان و تيهرت هي المحطة الأولى لتلقي المراحل الأولى من العلم، ثم تكون وجهته إلى المشرق و غالبا ما تكون مناسبة الحج فرصة للتزود بالعلم (الحج العلمي)¹.

و لقد فتحت الحضرة تيهرت أمام أتباع المذاهب المختلفة و سمح لهم بالاستقرار فيها ومزاولة نشاطهم بكل حرية.

و تشير المصادر إلى وجود خمس فرق مذهبية في تيهرت، على رأسها و التي تبرز العلاقات بينها وبين القيروان نذكر:

المالكية: انتقل المذهب المالكي إلى تيهرت عن طريق الحج و التجارة، و بواسطة علماء مالكيين قدموا إليها للإقامة أو مروا بها، و قد وجد فيها العرب و الجند القرويون منذ عهد الإمام الرستمي الأول عبد الرحمن بن رستم، و لا شك أن أغلبهم كانوا ينتحلون المذهب المالكي، و يبدو أنهم كانوا يشكلون نسبة كبيرة من السكان²، و قد أشار ابن الصغير إلى هذه الوفرة فقال: "حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، و هذه لفلان البصري، و هذه لفلان القروي، و هذا مسجد القرويين ورحبتهم"³، و ظل المالكية يحافظون على وجودهم في تيهرت حتى سقوطها.

1- عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص59.

2- عبد الكريم جودت: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص99.

3- ابن الصغير: أخبار الأئمة، المصدر السابق، ص36.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

الأحناف: وجد الأحناف بتيهرت منذ عهد عبد الرحمن بن رستم، و يبدو أن عددهم كان وافرا حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، لأن الكوفة كانت موطن المذهب الحنفي، و لم يكن عددهم يقل عن الأربعين، و هذا واضح من بنائهم لمسجد خاص بهم و هو مسجد الكوفيين، و إطلاق هذا الاسم على مسجد من مساجد تيهرت يدل على أنهم كانوا مجموعة مميزة بمذهبها الحنفي في عاصمة الرستميين، و لم يكن هؤلاء جميعا من العامة، بل كان منهم التجار و العلماء كأبي مسعود و أبي دنون¹.

و مما يلفت الانتباه أنه لم يشر أي مؤرخ إلى خروج الأحناف مع الجماعات المعارضة للرستميين، عند وصول أبي عبد الله الشيعي إلى تيهرت.

و في الدولة الأغلبية و التي اجتمع فيها مذهبان سنيان، المذهب الحنفي مذهب الحكام، والمذهب المالكي مذهب السكان، و هو السائد في تلك المنطقة، فقد قرب الحكام إليهم معتنقي المذاهب الأخرى ومنهم علماء الإباضية، نظرا للخلاف بين الحكام الأغلبة و بين فقهاء البلد المالكيين، و عاش الإباضيون بكل حرية بافريقية، و عقدوا حلقاتهم في مساجد افريقية بل في جامع القيروان ذاته، حيث دأب فقهاء الإباضية على تدريس تعاليم مذهبهم، و مناظرة مخالفهم، و ظلوا على ذلك حتى ولي الإمام سحنون قضاء افريقية (234-240هـ)، فحظر عليهم ذلك، و بدد حلقاتهم، و درج من جاء بعده من القضاة المالكية على اضطهاد الخوارج في افريقية²، و مع ذلك لم نسمع بقيام الإباضية برد فعل مماثل، أي باضطهاد المالكية بتيهرت.

لقد دأب العلماء الإباضيون على دعوة علماء المالكية للمناظرة في مسائل العقيدة و الشريعة، و يبدو أن الجدل بينهم كان حادا بسبب التقارب المذهبي، و ليس أدل على تسامح الإباضية مع المذهب المالكي مما يرويه ابن الصغير، و هو مالكي عاصر أئمة بني رستم الأواخر عن الحرية التامة

1- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص- ص 95-98.

2- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص220.

الباب الرابع — المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي القيروان وتيهرت

التي تتمتع بها المالكية في ممارسة شعائرهم، و يحكي ابن الصغير كثيرا عن محاوراته و مساجلاته مع مشايخ الإباضية في كثير من المسائل الفقهية و المذهبية دون أن يتعرض لإرهاب أو بطش.

و العلوم التي كانت مجالا للمناظرة: الفقه، التفسير، و الحديث الشريف، فقد تناظر ابن الصغير المالكي مع سليمان الهواري المكنى بأبي الربيع، و هو إباضي في قضية فقهية¹.

كما اختلف بكر بن حماد الزناتي التيهرتي عالم الحديث المالكي المذهب مع قاسم بن أصبغ الإباضي في كلمة في حديث نبوي، و لما تحاكما إلى شيخ كان موجودا بالجامع الذي وقع فيه الحديث، و ظهر خطأ بكر بن حماد و إصابة قاسم بن أصبغ، أخذ بكر بأنفه و راح يقول: "رغم أنفي للحق"، و علق المقرئ على هذه الرواية بقوله: "هذه الحكاية دالة على عظم قدر الرجلين"².

و قد أسفرت الحرية الفكرية، و تعدد حلقات المناظرة و الجدل عن نشاط حركة التأليف، فكثرت وضع الكتب للرد على المخالفين³، و ممن ساهم في هذا النوع من التأليف الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح (261-281هـ) الذي كان له في الرد على المخالفين كتب كثيرة بليغة شافية⁴.

و ما يمكن استنتاجه في الأخير هو أن ذلك الاختلاف و التباين في الطبقات الاجتماعية، و تنوع أدوارها السياسية و الاقتصادية و الفكرية، و تشابه النشاطات الثقافية و الاقتصادية إنما يعكس المستوى الحضاري للمدينتين و الدور الذي لعبته كل منهما في تحضر المغرب الاسلامي عامة والمغربين الأوسط و الأدنى خاصة.

و رغم احتفاظ كل مدينة ببعض خصوصياتها الحضارية، إلا أنهما ضمتا نفس المكونات والأساسيات التي ميزت المدن الاسلامية الأخرى، فكانت بذلك كل واحدة منهما نموذجا للمدينة الاسلامية في بلاد المغرب.

1- ابن الصغير : المصدر السابق، ص- ص 118- 120.

2- ابن الذيب عيسى و آخرون: المرجع السابق، ص50، فوزية لزغم: التسامح، المرجع السابق، ص69.

3- عبد الكريم جودت: المرجع السابق، ص109.

4- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص98.

مما لا شك فيه أن المغربين الأدنى و الأوسط أسهما بالقسط الأوفر في ترسيخ المبادئ الإسلامية والحضارية في القرنين الثاني و الثالث، و ذلك من خلال المنجزات والمنشآت الحضارية التي شهدتها كل من مدينة القيروان في عهد الولاة العباسيين، ومدينة تيهرت في عهد الرستميين، حيث عرف المغرب الإسلامي في هذه الفترة تطورا شاملا للمجالات الفكرية و الاقتصادية والعمرانية أصبح يضاهي التطور الذي كان يحدث في المشرق الإسلامي.

و بعد تطلعنا على حضارة المدينتين و وقوفنا على أوجه الاختلاف و التشابه بين منجزاتهما ومظاهرها الحضارية، نخلص إلى مجموعة من الملاحظات و المظاهر البارزة نذكر منها:

- بدأت مدينة القيروان في شكل معسكر للجند ثم تحولت إلى مدينة هامة و كبيرة جدا خلال القرون الثلاثة الموالية لتأسيسها.

- انتقل سكان القيروان من بضعة آلاف من الجنود (بطون لقبائل يمنية في معظمهم) إلى عشرات الآلاف من مختلف الأجناس من عرب و بربر و روم و سودان خاصة، و كذلك فرس و أندلسيين، وغيرهم كثير.

- تطورت العمارة في القيروان من مبان بسيطة استعمل فيها الطوب إلى منشآت تعتبر من روائع الفن المعماري الإسلامي كجامع عقبة و جامع الثلاثة ببيان و فسقية الأغالبة.

- و رغم الحروب المتواصلة مع الحركات الخارجية، فإن ازدهار المدينة تواصل بشكل بارز خلال القرن الثاني للهجرة، خاصة في عهد المهالبة، و بلغت أوج تطورها في عهد الأغالبة، حيث بدأت بمؤسستين ضروريتين لكل مدينة: جامع عقبة الذي يمثل السلطة الروحية، و دار الإمارة التي تمثل السلطة السياسية، و دور للسكان و مساجد قبلية، ثم أضيفت منشآت مدنية أخرى كالحمامات و الفنادق و عسكرية كالأسوار والحصون، و منشآت دينية غير إسلامية، ثم ظهرت الأرباض و الأسواق والقصور.

- إن القيروان كانت مدينة عربية إسلامية تميزت بكل خصوصيات المدن الإسلامية، و فيما يخص الحياة العلمية و الثقافية نسجل أن هذه الفترة كانت بمثابة بناء الذات لأن القيروان لم تتجاوز فيها مرحلة التقليد حتى في الأصناف التي برزت فيها، و لم يأت بعد العصر الذهبي للقيروان الذي ساهمت الفترة المدروسة في التحضير له.

- ارتبط المذهب المالكي بالقيروان عفوياً، لم يأت الوقت بعد ليفرض ذاته، فالفترة كانت مليئة بالصراعات بين المذاهب المختلفة و التي حسم فيها الأمر ظرفياً لصالح المذهب الشيعي.

- ساعدت التجارة على إشعاع حضارة القيروان شرقاً و غرباً، و يتجلى هذا التأثير في المنارات والقباب والعقود و الزخرف، كما تجاوز تأثير القيروان الناحية المعمارية ليشمل الناحية الفكرية، فكان أغلب طلبة القاضي سحنون من الأندلسيين مثل يحيى بن عمر و محمد بن خيرون المعافري و غيرهم، كما أثرت في العمارة الإسلامية في صقلية و الأندلس و المغرب، فقد بنت جامع القرويين بفاس سيدة قروية ورثت ثروة عن أبيها، و مثل هذا الجامع مع الزيتونة و الأزهر أقدم الجامعات الإسلامية.

- إن الجماعة الإباضية كانت تهدف أساساً إلى تأسيس مركز عسكري محصن طبيعياً و بشرياً، غير أن زعيمها عبد الرحم بن رستم ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير عندما فكر في بناء حاضرة مزدهرة، ووجد أن الحصانة الأمنية وحدها لن تكون كفيلاً بتحقيق ذلك، و من ثم قرن منعة مدينته و أمنها وازدهارها وتحضرها، و عمد إلى اختيار موقع يبعد بثمانية أميال عن تيهرت القديمة بحثاً عن الأنهار ومنابع المياه.

- إن تيهرت الرستمية عاشت فترة طويلة في استقرار سياسي و اقتصادي ساعد أئمتها على سلوك سياسة التعايش السلمي، و احترام مبدأ الحرية و الرأي و العدل و المساواة بين الرعية، وبالتالي الارتباط بكل المذاهب رغم اختلافها مع المذهب الإباضي و المحافظة على حسن الجوار.

- لم تدخل هذه المدينة في حروب مع جيرانها، مما ساعدها على إقامة علاقات طيبة مع جيرانها كسجلماسة، و بلاد السودان و غيرها، و هذا لا يعني أن جميع علاقاتها الخارجية كانت حسنة باستمرار بل كانت تتخللها علاقات عداء مثل خلافها مع الأقاليم و غيرها.

- إن الطابع المذهبي كان الميزة الأساسية في النهضة الفكرية عند الرستميين، فقد حظي المذهب الإباضي بقبول أهل المغرب، فاعتنقه عدد كبير من القبائل البربرية و تمسكوا بمبادئه، لا بل دافعوا عنها في أحلك الظروف، و لأنه أقرب إلى المذاهب السنية من حيث اعتدال مبادئه السياسية والمذهبية، مما جعله يستمر ويتعايش مع المذهب المالكي إلى يومنا هذا.

- ارتبطت النهضة الفكرية بمدينة تيهرت التي احتضنت كل الفئات و كانت مقصدا للفقهاء والعلماء من كل الأمصار، كما أن التنافس العلمي الذي عرفته الدولة الرستمية ساهمت فيه عدة عوامل على رأسها سياسة الأئمة في تشجيع العلم و تعريب البربر و بالتالي إنتاج فكري ضخم في كل المجالات العلمية.

- إن التسامح الديني كان هو القاعدة التي يبنى عليها أي حوار، مما جعل الاختلاف المذهبي يؤدي إلى تلاقح الأفكار و ينميها و بالتالي التطور الفكري و الثقافي.

- مساهمة المغرب الأوسط في ترسيخ مبادئ الحضارة الإسلامية في إطار الانجازات الضخمة للرستميين على المستويين التاريخي و الحضاري مما حدد موقع و مكانة المغرب الإسلامي بشكل عام.

- إن الموقع الأثري الذي احتضن مدينة تيهرت في سالف أيامها، و بالرغم من أنه ما يزال يعاني من التهميش و الإهمال و ما تزال طبقات الأرض تخفي كثيرا من أسراره، فإن لأطلاله الباقية اليوم أهمية بالغة تتجلى في التعرف على نوع المنشآت المعمارية بالمدينة و الطرز المعمارية المستعملة في تجسيدها وأهم المواد الخام و طرق استغلالها، و هو ما يساهم في كشف النقاب عن بعض الحقائق العمرانية، ومن ثم الحضارية لمدينة تيهرت من خلال عمرانها خاصة و أنها تعتبر النموذج الأول للمدن الإسلامية في المغرب الأوسط، وهو ما يعني بالمقابل البحث في المعالم المعمارية و الحضارية الأولى التي عرفها هذا الأخير من جهة و مدى مساهمتها في تأصيل النموذج الإسلامي من جهة أخرى في الفترات اللاحقة.

- لقد ظهر واضحا خطأ الاشكال القائم حول بناء المدينتين و موقعهما، و ذلك بالوصول إلى أن المدينتين هما إنتاج إسلامي جديد لا علاقة له بالمواقع الرومانية القديمة.

- لقد شهدت مدينتنا القيروان و تيهرت مميزات و خصائص خلال الفترة المدروسة و تجلت أساسا في المنشآت العمرانية و تعدد المراكز الثقافية و الفكرية و تنوع المنتجات الاقتصادية و أيضا اختلاف الطبقات والفئات الاجتماعية، و هو ما يعكس المستوى الحضاري للمدينتين، و الدور الذي لعبته

- كل منهما في تحضر المغربين الأوسط و الأدنى على وجه الخصوص و المغرب الاسلامي على وجه العموم من خلال دورهما السياسي و مكانتهما و مركزهما التجاري، و إشعاعهما الفكري و الثقافي.
- و رغم احتفاظ كل مدينة بخصائصها و مميزاتها الحضارية إلا أنهما احتوتا على نفس المكونات التي ميزت المدن الاسلامية الأخرى مع وجود منشآت دينية غير إسلامية، مما يدل على تسامح حكام المدينتين مع الديانات و المذاهب الأخرى، و استعانتهم بالأقليات في العديد من المهن و الحرف.
- و عموما فقد اشتملت المدينتان على كل ما تتطلبه مدينة عظيمة في العصر الوسيط من منشآت مدنية و منشآت عسكرية و أخرى سياسية و ثقافية.
- و ما يمكننا الوقوف عليه أيضا، أن كلا المدينتين شهدت تعديلات و تطورات حضارية بالتدرج بداية من القرن الثاني الهجري، ارتبطت ارتباطا وثيقا بكثافتها السكانية المتزايدة، و هو ما أدى بدوره إلى تغير شكل المدينتين و تنوع مرافقهما، من دينية و مدنية و حربية، و لأن تركيبتهما السكانية الجديدة أصبحت تمثل أجناسا مختلفة، و مذاهب و فرقا متنوعة، أصبح لكل فئة منها مسجدها الخاص، و سوقها الخاص، إلى أن تشكلت أحياء مترابطة جنبا إلى جنب لكل منها طابع معماري خاص به يختلف عن الطابع المعماري لباقي الأحياء الأخرى و المدينة.
- فالتشابه في شكل المدينتين و عمرانهما و مرافقهما الاجتماعية و الثقافية و الحضارية دفع محفوظ الغديفي إلى مقارنة و تشبيه مدينة القيروان بتيهت مستندا لقول ابن الصغير: "...و اتسعوا في البلد، وتفسحوا حتى لا ترى دارا إلا قيل لفلان الكوفي و لفلان البصري، و لفلان القروي، و هذا مسجد القرويين و رحبتهم، و هذا مسجد البصريين، و هذا مسجد الكوفيين، و استعملت السبل إلى بلد السودان و إلى جميع البلدان من مشرق و مغرب بالتجارة و ضروب الأمتعة..".
- و آخر ما نسجله كنتيجة لهذه الدراسة هو ذلك التواصل الحضاري و روابط التأثير و التأثير بين الحاضرتين القيروان و تيهت، فقد مثلتا فعلا نموذجا رائعا للمدينة العربية الاسلامية في بلاد المغرب.
- و مجمل القول نذكر ثانية ما ذكرناه في مذكرة الماجستير عن مدينة تيهت، هذه المدينة العريقة التي قدمت الشيء الكثير للدولة الاسلامية حيث أنها شكلت إرثا حضاريا راقيا، و بعدا تاريخيا بارزا ترك أثره على مر الأجيال و قدمت إنجازات ضخمة للأمة الإسلامية، إلا أن الحاجة إلى إسكان الجزائريين و هذا واجب السلطات الجزائرية و من حق الجزائريين أدى إلى استغلال جانب (حيز) من المنطقة الأثرية لبناء القرية الفلاحية "ناقدت" و ذلك سنة 1976 مع العلم أنها تدخل في إطار الألف قرية فلاحية لبرنامج الحكومة في السبعينات، إن هذا الخطأ في اختيار موقع القرية أثر و يؤثر سلبا على

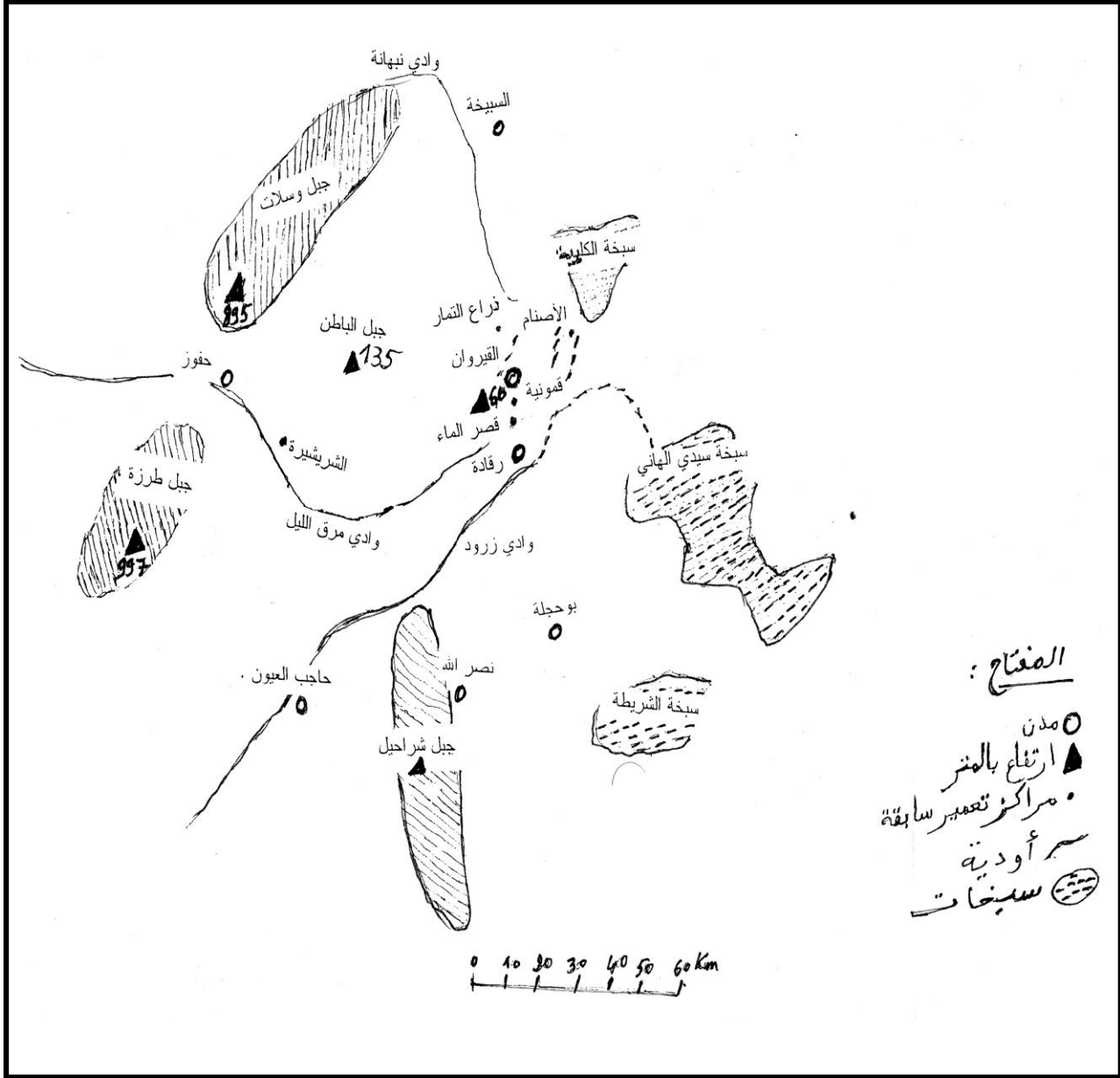
تاريخ المنطقة من جهة وتجاهل البعض مدى أهمية تاريخ و حضارة الجزائر من جهة أخرى، فإننا هنا لا ننكر الفائدة من أهمية الإسكان في الجزائر و لا أهمية المشروع في حد ذاته و لكننا نتأسف لوجود هذه القرية على أنقاض أول دولة إسلامية مستقلة بالمغرب و هذا يكفي للاعتزاز بها.

- إن أول ما أدركناه أثناء زيارتنا الميدانية لموقع تيهرت الأثري هو أنه لا يوجد مجال للمقارنة بين مدينة الدال على وجودها مجرد أطلال و ما تزال طبقات الأرض تخفي كثيرا من أسرارها، و مدينة أخرى لا تزال حاضرة بتراتها الحضاري و منزلتها في الحضارة العربية الاسلامية مما جسد اختيارها كعاصمة للثقافة الاسلامية ما بين سنتي 2009 - 2010.

- و نستغل هذه الدراسة كفرصة لناشد أهل الاختصاص و على رأسهم علماء الآثار للقيام بتطوير الحفريات و تنظيم حفريات أثرية منظمة للكشف عن خبايا المدن الاسلامية و معالمها المدفونة و منها على وجه الخصوص مدينة تيهرت.

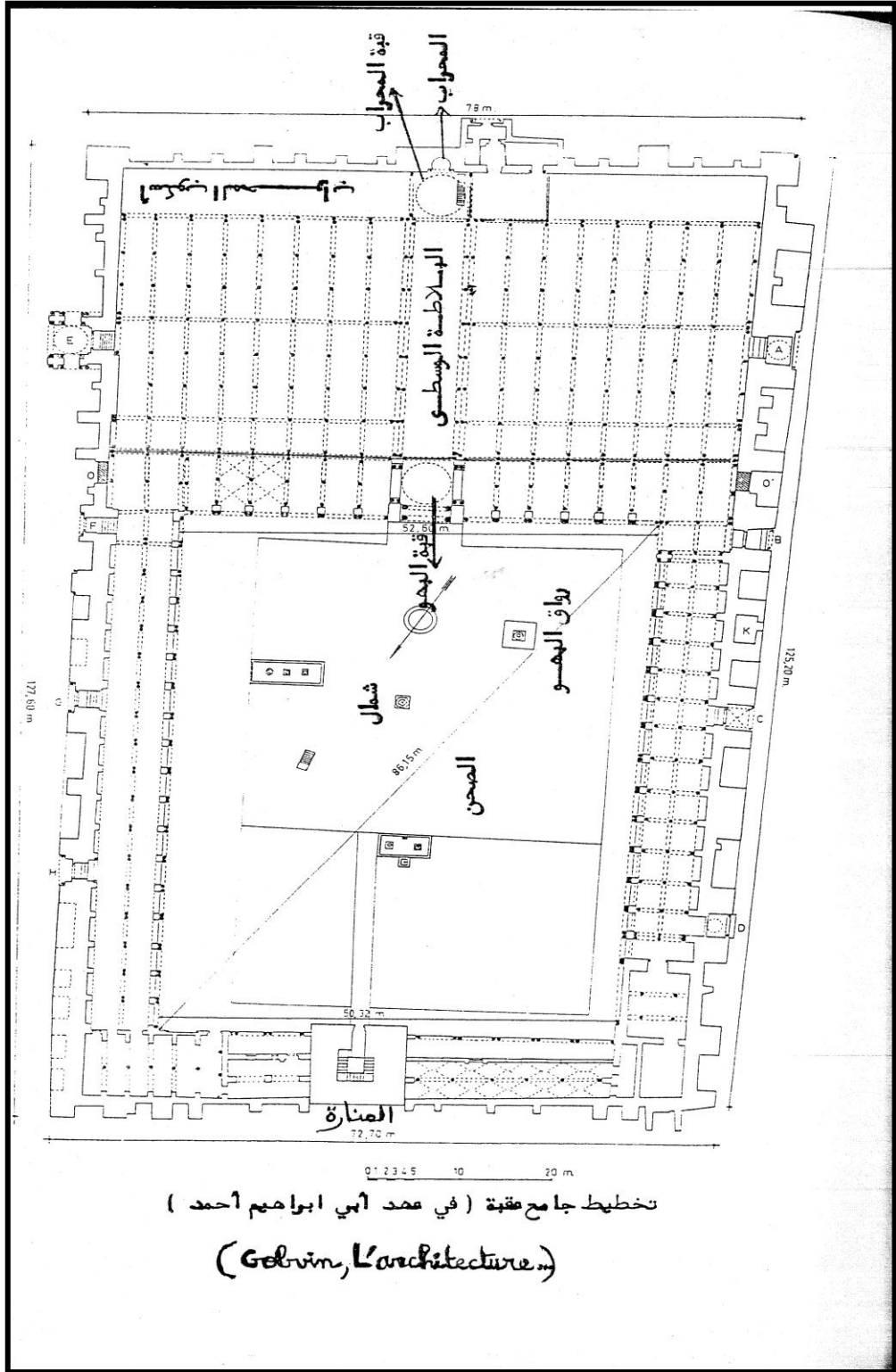
- و كذا استغلال ما يسمى بالمصادر المغيبة في دراسة تاريخ المدينة للمغرب الاسلامي و نعني بها كتب النوازل أو الفتاوى و كتب الحسبة، و التي كانت في وقت قريب تعد كتبا فقهية دينية فقط، هذه المصادر التي تقدم معلومات مستفيضة عن جوانب مختلفة للمدينة المغربية كالأسوار و الأرباض والأبواب و القلاع و المساجد و المدارس، و العلاقات الاجتماعية و البيوتات و الأسر العلمية و مختلف أشكال الحياة داخل المدينة المغربية، فهي إذن تتضمن معلومات دقيقة عن الحياة اليومية للمجتمعات الاسلامية في مختلف المجالات السياسية و الاقتصادية و الفكرية خاصة و أن المصادر الكلاسيكية من جغرافية و تاريخية و أدبية أصبحت غير قادرة اليوم كفاية حاجة الباحثين لدراسة الجوانب المختلفة من تاريخ المدينة في المغرب الاسلامي لأنها تفتقد للدقة و الموضوعية أحيانا، و أتت في شكل انطباعات تنقصها الحقيقة التاريخية.

الملحق 3

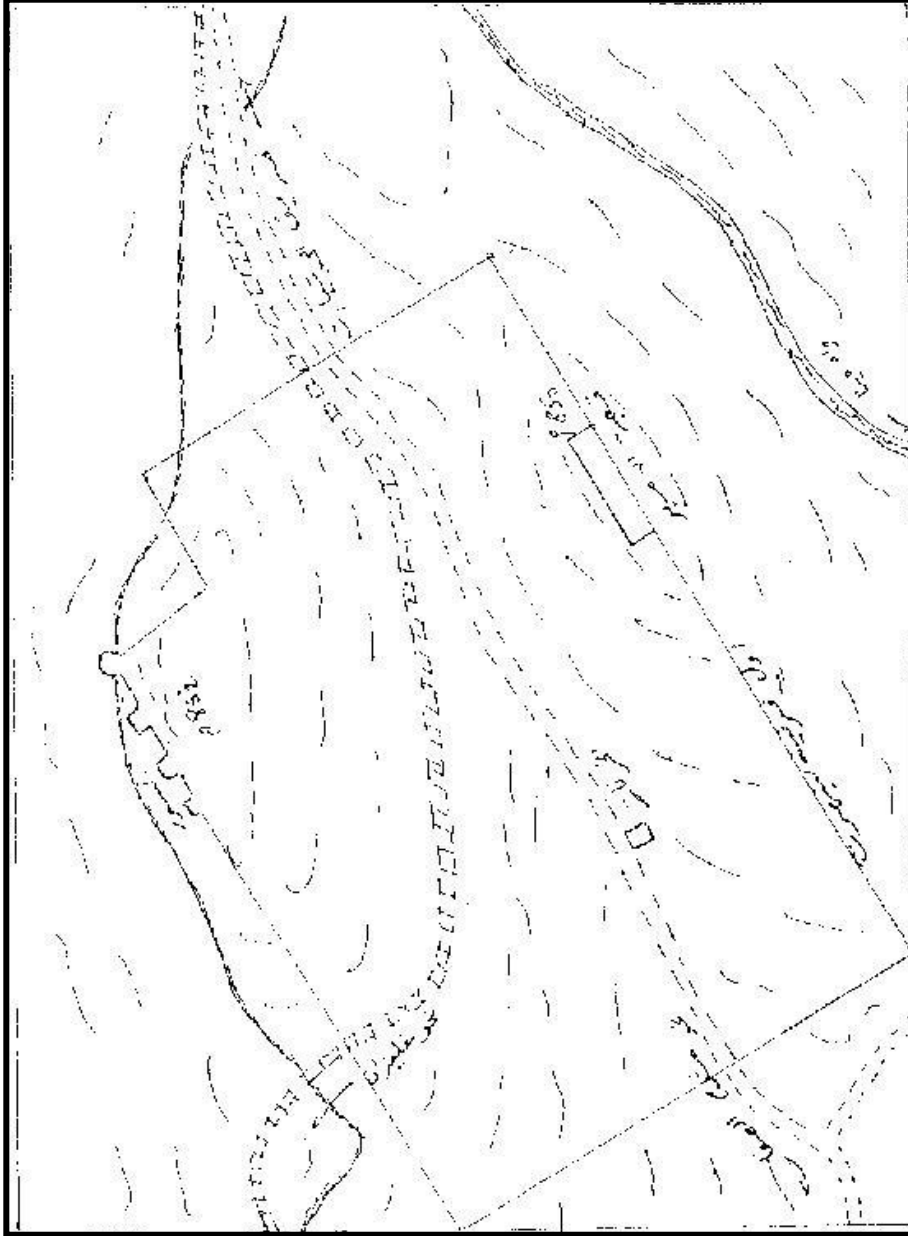


سهل القيروان

الملحق 4



الملحق 2



[Tapez une citation prise dans le document, ou la synthèse d'un passage intéressant. Vous pouvez placer la zone de texte n'importe où dans le document et modifier sa mise en forme à l'aide de l'onglet Outils de dessin.]

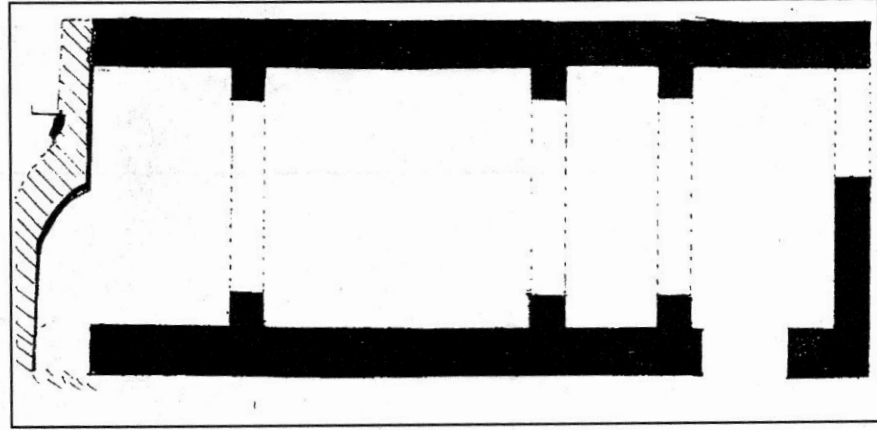


تخطيط افتراضي لحدود مدينة تيهرت

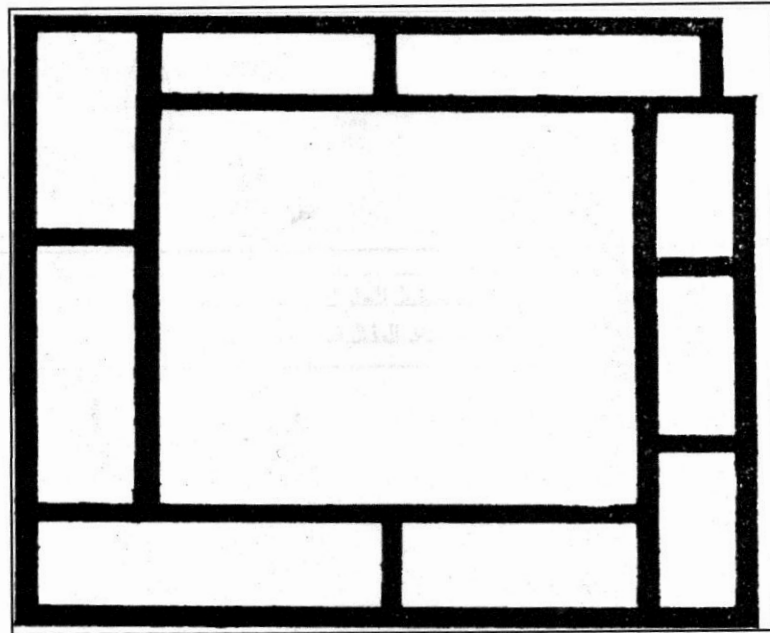
G.Marcais et L.Dessus, op.cit, p29.

(بتصرف)

الملحق 17

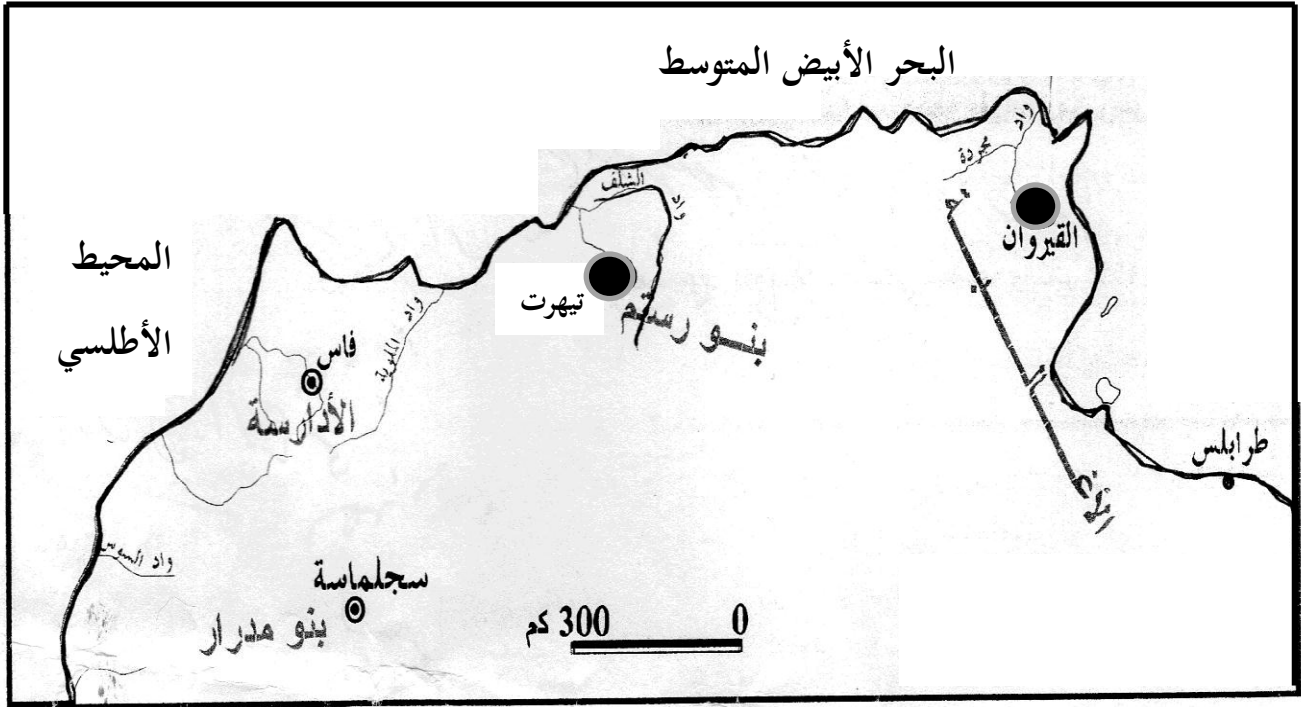


المخطط العام للهيكلمقبى
- عن عبد القادر دحدوح -



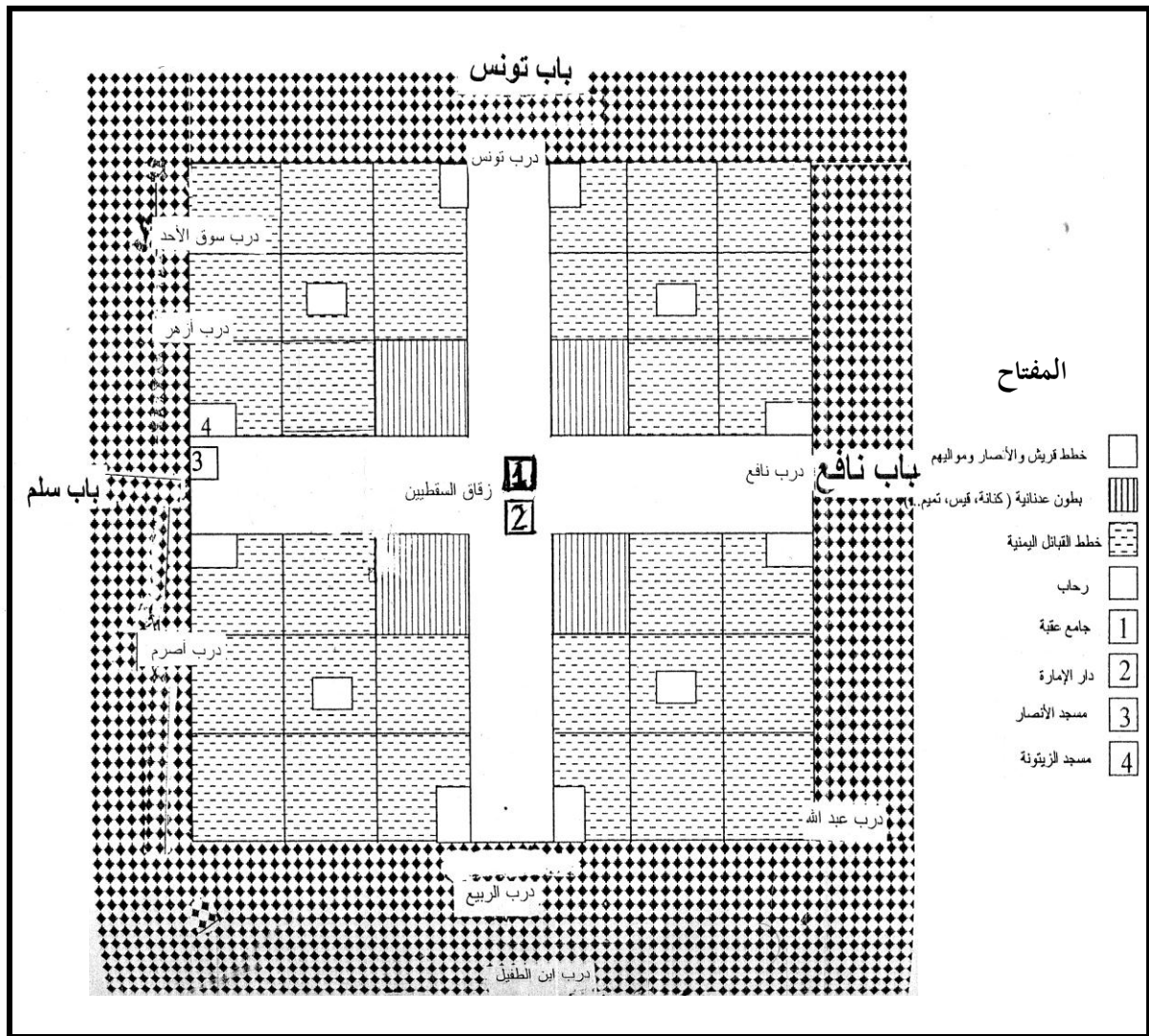
مخطط الطابق العلوي للهيكلمقبى
- عن عبد القادر دحدوح -

الملحق 18



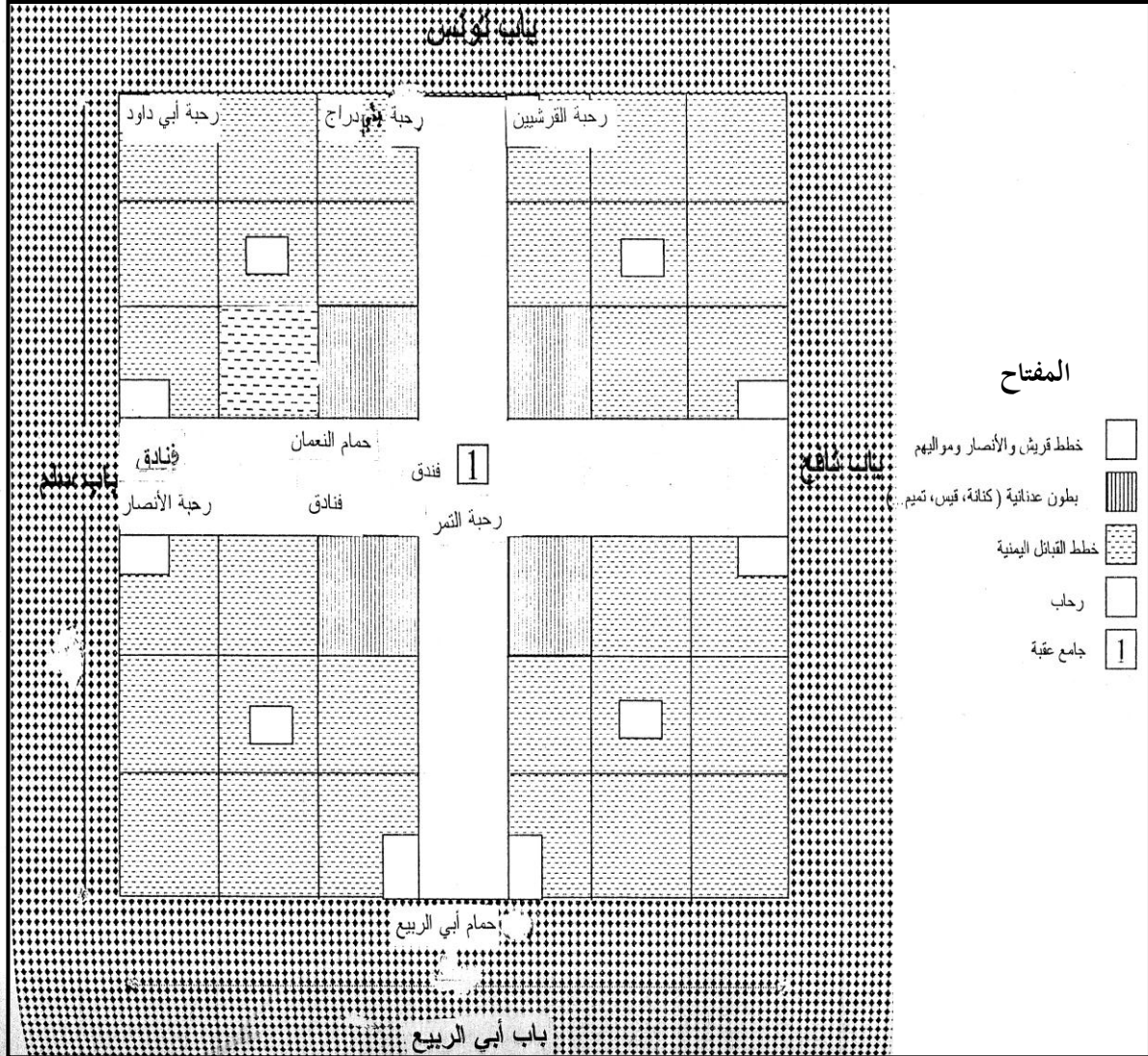
مقارنة موقعي القيروان و تيهت

الملحق 5



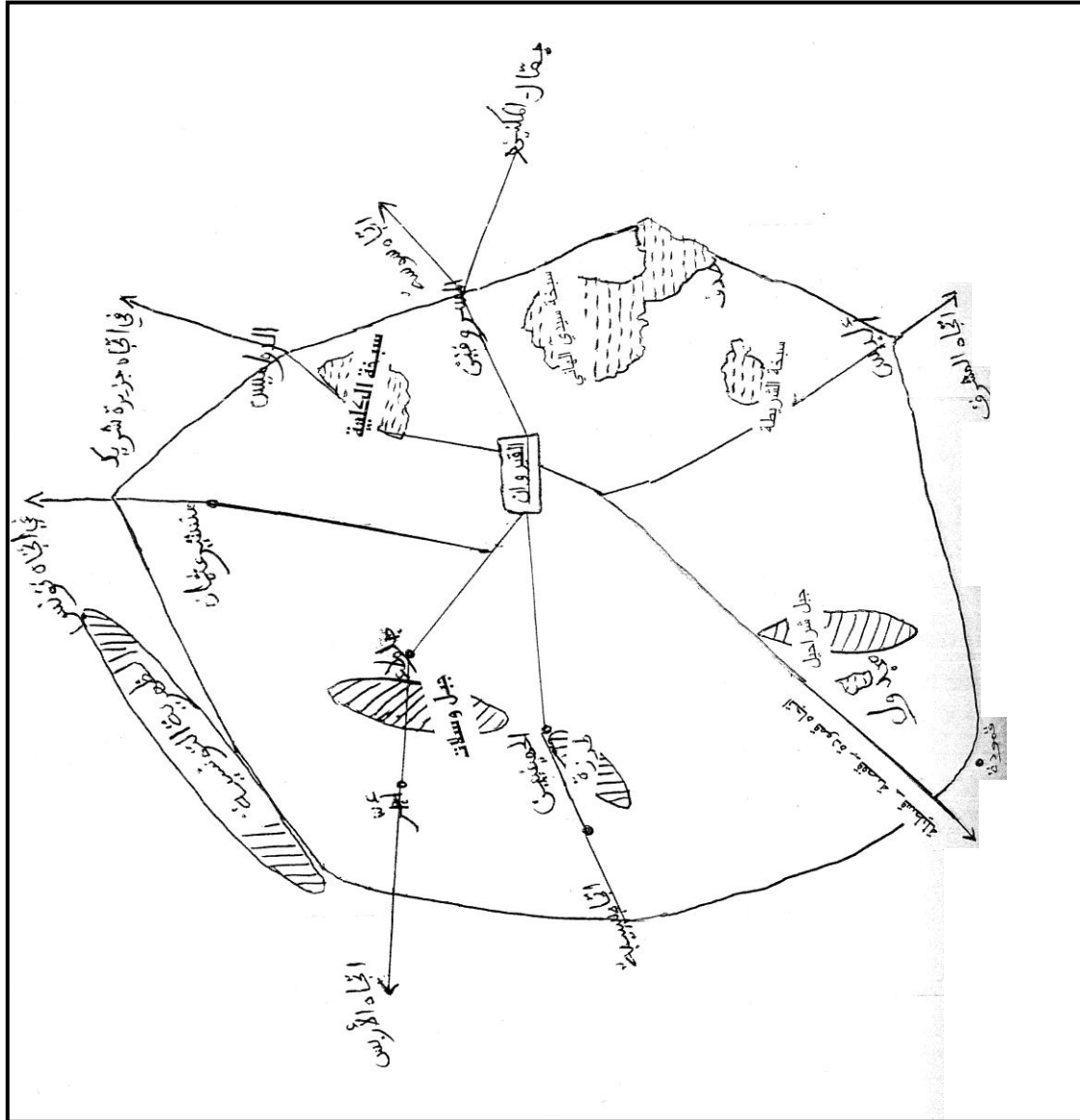
خريطة الأزقة و الدروب و الأبواب

الملحق 6



مواقع الحمامات و الرحاب و الفنادق

الملحق 1



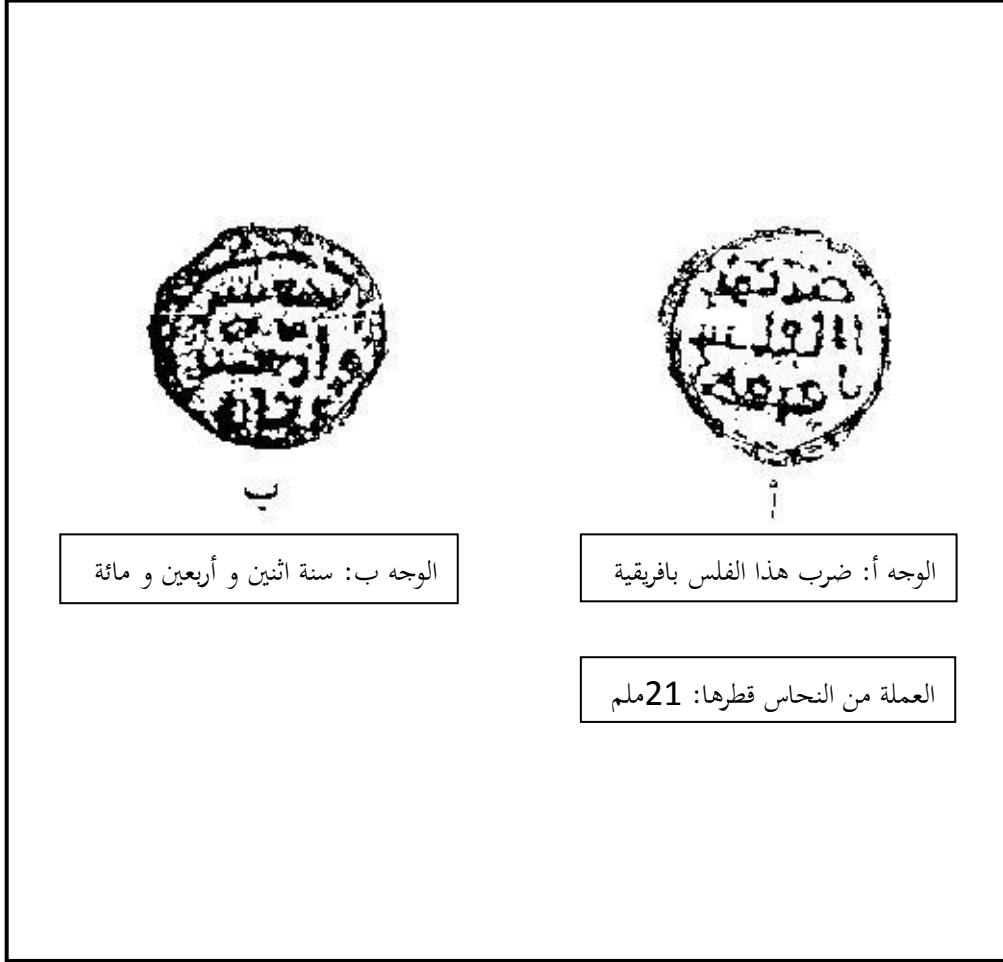
حدود كورة القيروان

الملحق 8

رسالة الإمام أفلح إلى الرعية ينصحهم بالتقوى و الصلاح

(بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم، من أفلح بن عبد الوهاب إلى من بلغه كتابنا هذا من مسلمين، أما بعد، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمد عليه الصلاة و السلام و أبقانا بعد تناسخ الأمم، حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمة وسطا شاهدة لنبئها بالتبليغ و مصدقة لجميع الأنبياء، و شاهدة على جميع الأمم بالبلاغ من الأنبياء... فعليكم معشر المسلمين بتقوى الله العظيم و القيام له بحقه فيما وافق هواكم أو خالفه و تقربوا إلى الله بالقيم بطاعته، و طلب مرضاته لتنالوا بذلك ما وعد به من جزيل الثواب و كرم المآب... و اعلموا أن الله قد أوجب عليكم أن تقوموا لله بالعدل في عباده و بلاده، و لا تأخذكم لومة لائم... ثم أحذركم أهل البدع، الذين لم يعرفوا حقا فيتبعوه، و لن يلقوا أهل العلم فيقتبسوا منهم الدين، عاشوا مع أهل الجهل فخلا بهم الشيطان... فعليكم معشر المسلمين باتباع الآثار والعمل بما عمل به أسلافكم المتقدمون قبلكم، فقد سنوا لكم الهدى، ففي اتباعهم كل رشد و في مخالفتهم كل غي، و الرشد خير من الغي...).

الملحق 7



فلوس إباضية

عن ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 183.

الملحق 9

نموذج من الكتابة البربرية

النص البربري:

"أغرتمزيد ائم آيصيل تجد ويتمتتان ولا أدغ ويتلالن مك تصریط آن أزن آتووشنين ايو يعجدن تمزيد ان يوشن يتصلاً الشغل اذ يدغغن احاتين أنغاظ تسفار آنجنين و رنتت تصكيد الشغل اذ يدفار سمطين آتلسط تملسان ديد نين ورتنرطيط تلطن أسد أمان ضقلنين آد أم زرن دمج الميزان أم تقيراطين".

النص بالعربية:

"أمضي مسجذك يا اصل و دعي من يموت و من يولد لو رايت الثواب الذي يتلفى من يزور مسجد الله للصلاة لا تشتغلي بالاحجار الذي ! يغترها ! تدخل ! البيوت العالميات لم تبناها ! لا تشتغلين ! بالسبرات و البرد تلبسي ثيابا رفاقا لم تنسجيهن تبكين اليوم ماء حارا يوزن لك في الميزان كالقراريط".

المعنى بالفرنسية:

- « Va à la mosquée, o Asil, laisses ceux qui meurent aussi bien que ceux qui naissent; si tu voyais les récompenses qui sont données à celui qui visite la mosquée de Dieu pour y prier, tu ne t'occuperais pas assurément, des pierres qui l'entourent. Tu entreras dans de grandes demeures que tu n'a pas construites; ne t'inquiètes pas des fraîches matinées et du froid, tu reveteras des habits fins que tu n'as pas tissée. Tu pleure aujourd'hui une eau chaude (des larmes chaudes) qui te seront pesées dans la balance comme des Kirats ! »

عن صالح باجية: المرجع السابق، ص- ص 161 - 162.

الملحق 12

منظر عام لواجهة و مدخل مسجد تيهرت



منظر عام للمسجد من الداخل



تم التقاط هذه الصور من طرف الباحث يوم الجمعة 2014/12/25 بالموقع الأثري بتيهرت تاقدمت

الملحق 14

الغرفة رقم 3 من الحمام



الغرفة رقم 4 من الحمام



تم التقاط هذه الصور من طرف الباحث يوم الجمعة 2014/12/25 بالموقع الأثري بتيهت تاقدمت

الملحق 13

الغرفة رقم 2 من أحواض المياه في تيهرت



الغرفة رقم 3 من أحواض المياه



تم التقاط هذه الصور من طرف الباحث يوم الجمعة 2014/12/25 بالموقع الأثري بتيهرت تاقدمت

الملحق 15

الواجهة الغربية لبقايا السور المحيط بالمدينة



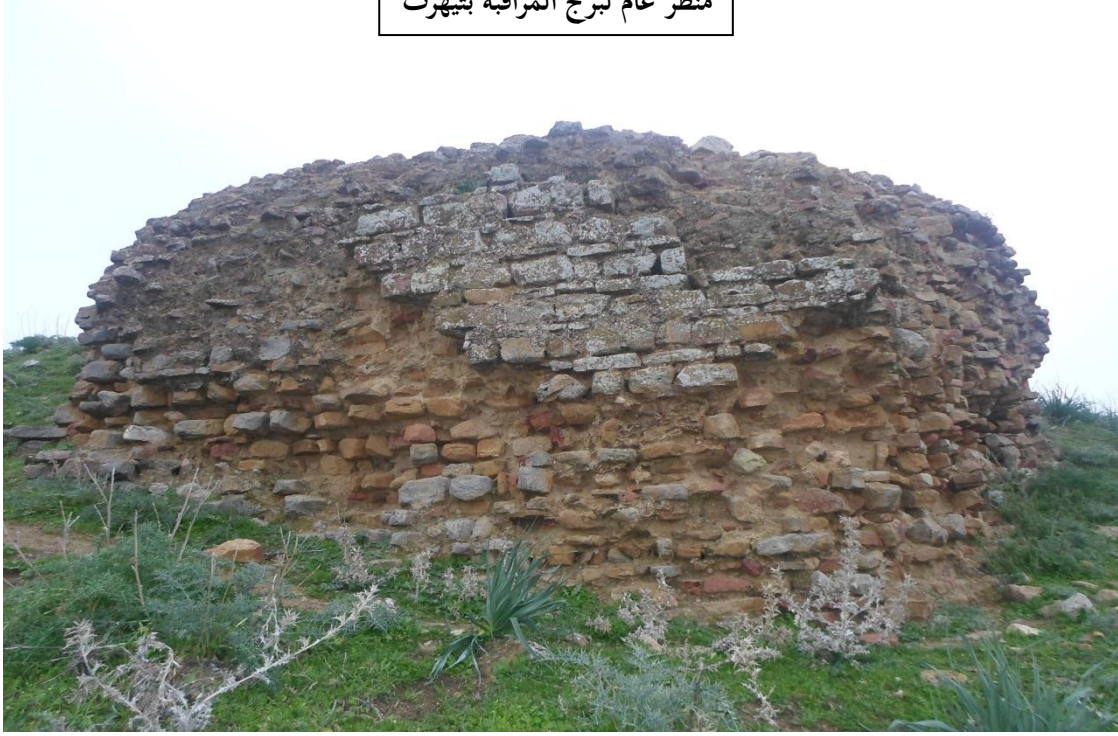
الواجهة الشرقية لبقايا السور



تم التقاط هذه الصور من طرف الباحث يوم الجمعة 2014/12/25 بالموقع الأثري بتيهت تاقدمت

الملحق 16

منظر عام لبرج المراقبة بتيهت



بقايا السور الجنوبي للقصة



تم التقاط هذه الصور من طرف الباحث يوم الجمعة 2014/12/25 بالموقع الأثري بتيهت تاقدمت

الملحق 19

الهيكل المستطيل الأول (تقنية البناء بالحجارة)



تقنية البناء بالآجر



تم التقاط هذه الصور من طرف الباحث يوم الجمعة 2014/12/25 بالموقع الأثري بتيهت تافدمت

الملحق 11

منارة جامع القيروان



فسقية الأغالبة



تم التقاط هذه الصور من طرف الباحث يوم السبت 2015/06/21 بالقيروان

الملحق 10

جامع عقبة بن نافع



سور الجامع و المقبرة



تم التقاط هذه الصور من طرف الباحث يوم السبت 2015/06/21 بالقيروان

أولاً: المصادر

• القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم)

• المصادر المخطوطة:

1. ابن أبي زمين: منتخب الأحكام، مخطوط، دار الكتب الوطنية، رقم 4863.
2. ابن شباط (محمد بن علي التوزري ت 684هـ/1282م): شرح الشقراطسية، مخطوط، دار الكتب الوطنية، رقم 1859.
3. (— ، —): صلة السمط و سمط المرط، مخطوط، دار الكتب الوطنية، رقم 5605.
4. أبو عبد الله (محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن الربيع محمد القيسي الغرناطي): تحفة الألباب، مخطوط.
5. البراذعي (أبو القاسم خلف بن أبي القاسم الأزدي): شرح تهذيب المدونة، مخطوط، دار الكتب الوطنية، رقم 1748.
6. البرزلي (أبو القاسم بن أحمد بن اسماعيل البلوي): جامع مسائل الأحكام، مخطوط، دار الكتب الوطنية، رقم 4851.
7. الجاحظ (عمرو بن بحر): كتاب التبصر بالتجارة، مخطوط، د.ك.و، رقم 672.
8. الجودي (محمد بن محمد): تاريخ قضاة القيروان، مخطوط، د.ك.و، رقم 18397.
9. الداود (أحمد بن ناصر): كتاب الأسئلة و الأجوبة، مخطوط، د.ك.و، رقم 8292.
10. اللخمي (أبو الحسن علي بن محمد الربيعي): التبصرة، صورة عن ميكروفيلم الزاوية الحمزية، مخطوط الخزانة العامة (الرباط) قسم الوثائق، ج3، و 4.
11. مؤلف مجهول: تقديم الأقاليم في نشر المعارف والصنائع والتعاليم، دار الكتب الوطنية تونس رقم 265.

• المصادر المطبوعة:

1. ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت 1958.
2. ابن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة و تحقيق ناجي التكريتي، منشورات عويدات بيروت، ط1، 1978.
3. ابن أبي الضياف (ابن عمر ت1291هـ/1845م): إتخاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس، 1976.
4. ابن أبي الفداء (اسماعيل ابن علي): المختصر في أخبار البشر، تعليق محمود دبوب، ج1، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
5. ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعييني ت1110هـ/1698م): المؤنس في أخبار افريقية و تونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1957.
6. ابن أبي زرع (علي بن عبد الله أو عبد الحليم بن صالح ت726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط 1972.
7. ابن أبي زيد، أبو محمد عبد الله: الرسالة، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت 1990.

8. (— ، —): النوار والزيادات على ما في المدونة وغيرها من الأمهات، تحقيق محمد الأمين بوخبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999.
9. ابن أبي شيبة : المصنف في الأحاديث والآثار، طبع الدار السلفية، ط1، بومباي، الهند، 1403هـ.
10. ابن أبي عذاري المراكشي (أبو الحسن أحمد كان حيا سنة 712هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق ج.س. كولان و إ. ليفي برونسسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، الطبعة2، 1980.
11. ابن آدم يحيى: كتاب الخراج، تقديم الفضل شلق، دار الحداثة، بيروت1990.
12. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ت630هـ): الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة و النشر، ج3 ج4، ج5، ج6، ج10، بيروت، 1979.
13. (— ، —): اللباب في تهذيب الأنساب، دار الصادر، بيروت د.ت.
14. (— ، —): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق الشيخ خليل مؤمنون شيحا، ج1، ج2، ج3، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1997.
15. ابن الأزرقي: بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، 1988.
16. ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي): صفوة الصفوة، المجلد الثاني، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992.
17. (— ، —): تلبيس إبليس، تحقيق محمود مهدي اسطنبولي، 1976.
18. ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني ت776هـ/1374م): تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق و تعليق، أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.
19. (— ، —): كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2003.
20. ابن الصغير (كان حيا في القرن 3 هـ) : أخبار الأئمة الرستمين، تحقيق و تعليق محمد الناصر و ابراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986.
21. ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ت327هـ/977م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957.
22. ابن القيم الجوزي: سيرة و مناقب عمر بن عبد العزيز، منشورات دار مكتب الهلال، مصر 1988.
23. ابن أنس، مالك، الموطأ، رواية يحيى بن كثير الليثي، دار الفكر، بيروت 1989.
24. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي ت770هـ/1368م): تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تقديم محمد سويدي، الجزائر، 1989.
25. ابن تيمية: المنتقى، الرئاسة العامة لإدارات البحوث و الارشاد و الافتاء، السعودية، ج2.
26. (— ، —): مجموع الفتاوى، دار الفضاء بالمنصورة، مكتبة العبيدات، الرياض، ج3، ط1، 1418هـ/1998م.
27. ابن جعفر، قدامة: كتاب الخرج، دار صادر، بيروت، عن طبعة ليدن 1889.

28. ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت 852هـ): هدى الساري في مقدمة فتح الباري، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة، د.ت.
29. (— ، —): الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة و تحقيق و تعليق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.
30. (— ، —): فتح الباري، ج2، المطبعة السلفية، ط2، القاهرة، دون تاريخ.
31. (— ، —): لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، بيروت، 1390هـ.
32. ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد ت 456هـ/1063م): الفصل في الملل و الأهواء و النحل، الجزء2، المطبعة الأدبية، مصر، 1320هـ.
33. (— ، —): جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي برفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948، ص315.
34. ابن حماد، محمد بن علي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة و عويس، دار القلم، تونس 1987.
35. ابن حوقل (ت 367هـ/977م): صورة الأرض، دار صادر بيروت، 1928.
36. ابن خردادبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت في حدود 300هـ): المسالك و الممالك، بريل ليدن، 1989.
37. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808هـ/1405م): كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخير في أيام العرب والعجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد الأول و الثاني، دار ابن حزم للطباعة و النشر، ط1، بيروت، 2003.
38. (— ، —): المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2007.
39. ابن خلكان (أبو العباس أحمد ابراهيم ت 681هـ/1282م): وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970.
40. ابن خياط، خليفة العصفري: التاريخ، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت 1993.
41. ابن رشيق، الحسن القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تحقيق محمد العروسي المطوي والبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس 1986.
42. ابن سحنون محمد: كتاب آداب العملين، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر 1981.
43. ابن سحنون: كتاب الأجوبة، تحقيق حامد العلوي، دار سحنون تونس 2000.
44. ابن سعد محمد: الطبقات الكبرى، ج7، دار صادر للطباعة و النشر، 1958.
45. ابن سعيد المغربي (علي بن موسى ت 685هـ/1274م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، 1980.
46. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق و نشر شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1953.
47. ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي و السير، ج1، تحقيق نخبة حفظ التراث، بيروت، 1980.

48. ابن طبطا (محمد بن علي المعروف بابن الطقطقة): الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
49. ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله ت 257هـ/881م): فتوح افريقية و الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.
50. (— ، —): فتوح مصر و المغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1961.
51. ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن ت 571هـ/1175م): تاريخ مدينة دمشق، دراسة و تحقيق مجد الدين أبي سعيد عمر بن غلام العمروي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1998.
52. ابن عمر، يحيى: أحكام السوق، الدار التونسية للنشر، تونس 1975.
53. ابن فرحون (برهان الدين ابراهيم بن علي ت 799هـ/1403م): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق برهان الدين ابراهيم، مطبعة الفحامين، مصر، 1351هـ.
54. ابن قنفذ القسنطيني (أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ت 810هـ/1407م): كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة، دار النشر، بيروت، 1982.
55. ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ/1372م) : تفسير القرآن العظيم، المجلد 3 و 4، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، ط2، بيروت، 2006.
56. (— ، —): البداية و النهاية، دار الريام، ط1، 1988.
57. ابن مخلوف (محمد ابن محمد): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1949.
58. ابن منظور الإفريقي المصري (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، المجلد1، 2، 3، 4، دار صادر للطباعة و النشر، ط1، بيروت، دون تاريخ .
59. ابن ناجي، أبو القاسم بن عيسى: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان المكتبة العتيقة، الطبعة الثانية، تونس 1993.
60. أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، الجزء1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دون تاريخ.
61. أبو الحسن الملطي : التنبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع، مكتبة المثنى، بغداد، 1968.
62. أبو العرب بن تميم (محمد بن أحمد القيرواني ت 333هـ/944م) : طبقات علماء افريقية، تحقيق محمد بن أسد الحشني: دار الكتاب، بيروت.
63. أبو حنيفة النعمان (ابن محمد بن حيون ت 363هـ/973م): رسالة افتتاح الدولة، تحقيق و داد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1970.
64. أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي: طبقات الأطباء و الحكماء، تحقيق سيد فؤاد، القاهرة 1955.
65. أبو زكرياء (يحيى بن أبي بكر ت 471هـ): سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979.
66. أبو عبد الله (محمد بن سحنون التنوخي): كتاب آداب المعلمين، تقديم و تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، الرغاية، الجزائر، 1981.

67. أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري: الوزراء و الكتاب، تحقيق مصطفى السفا، ابراهيم الأبياري، و عبد الخفيظ شليبي، ط2، القاهرة، 1980.
68. أبو علي الحسن بن رحال المعداني: كشف القناع عن تضمين الصناعات، تحقيق محمد أبو الأحفان، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985.
69. أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم المتوفي سنة 214هـ: الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين رواية ابنه أبي عبد الله ممد المتوفي سنة 268هـ، تحقيق أحمد عبيد، مراجعة و تعليق أحمد عبد الثواب عوض، دار الهدى للطباعة و النشر، عين ميلة، الجزائر.
70. أحمد بابا التمبكتي (أبو العباس أحمد بن محمد ت1036هـ/1624م): نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة.
71. أحمد بن أبي راس الناصر: عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تقديم و تحقيق محمد غالم، ج1، منشورات مركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، وهران، دون تاريخ.
72. أحمد بن زكريا التلمساني: غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محمد أو إدير مشنان، المجلد الأول، ط1، دار التراث، دار ابن حزم، الجزائر، 2005.
73. إخوان الصفاء: رسائل إخوان الصفاء، دار بيروت للطباعة و النشر بيروت 1983.
74. الإدريسي (محمد بن عبد الله الحمودي السبتي ت560هـ/1164م): المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، حققه و نقله إلى الفرنسية، محمد بلحاج صادق، المؤسسة العامة للنشر والإشهار، حيدرة، الجزائر، 1983.
75. الإصطخري (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي ت بعد 340هـ/951م): المسالك و الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، دار القلم، القاهرة، 1381هـ/1961م.
76. الإمام البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل): صحيح البخاري، ج2، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين ميلة، 1992.
77. (— ، —): فضائل الصحابة من فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق خالد عبد الفتاح شبل، الشركة العلمية للكتاب، بيروت، ط1، 1990.
78. الإمام مسلم: صحيح مسلم، ج2، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت، 1972.
79. بحشل: تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1986.
80. البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت487هـ/1094م): المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، نشر ديسولان، باريس 1965.
81. (— ، —): المسالك و الممالك، حققه و قدم له أدريان فان ليفن و أندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس 1992.
82. البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى): فتوح البلدان، دار و مكتبة الهلال، بيروت، 1988.
83. البيهقي (أبو بكر بن علي الصنهاجي): أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق و تعليق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1974.
84. الثقفي، الشيخ المرجي: كتاب الحيطان تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار الفكر المعاصر، بيروت 1994.

85. حسن الوزان (بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت 956هـ/1549م): وصف إفريقية، ج 2، ط 2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت 1983.
86. الحموي (ياقوت شهاب الدين أحمد أبو عبد الله محمد ت 626هـ/1228م): معجم البلدان، ج 1، ج 2، ج 3، ج 4، ج 5، ج 9، دار صادر بيروت، 1995.
87. الحميري (محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، ط 1، بيروت، 1990.
88. الخشني، محمد بن الحارث بن أسد، طبقات علماء إفريقية، لأحمد بن محمد الطلمنكي، نشر محمد بن أبي شنب، باريس 1915.
89. الداودي، أبو جعفر أحمد بن نصر، كتاب الأموال، تحقيق رضا محمد سالم شحادة، مركز إحياء التراث، الرباط، د.ت.
90. الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري) : معالم الإيمان في معرفة أصل القيروان، ج 1، تحقيق، محمد ماضور، ومحمد الأحمد أبو النور، مكتبة الخانجي، مصر، المكتبة العتيقة.
91. الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد ت 670هـ) : طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق و طبع ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974.
92. الدمشقي، أبو الفضل، في محاسن التجارة ميديا كوم، تونس 1955.
93. الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود): الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر و مراجعة جمال الدين الشيبان، دار المسيرة، بيروت، دون تاريخ.
94. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت 748هـ/1347م): ميزان الاعتدال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ج 1.
95. الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية و المغرب من أواسط القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثاني الهجري، تحقيق وتقدم المنجي الكعبي، توفيق السقطي، تونس، 1968.
96. الزبيدي، محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1954.
97. زكي الدين عبد العظيم: مختصر صحيح مسلم تحقيق محمد ناصر الدين الالباني، ط 1، دار بن عفان، السعودية، المكتبة الإسلامية، عمان، قصر الكتاب البلدة، 1411هـ.
98. الزمخشري (أبو القاسم) : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.
99. الزهري محمد بن أبي بكر: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
100. سحنون (بن سعيد التنوخي ت 240هـ/854م): المدونة، نشر محمد ساسي المغربي التونسي، مطبعة السعادة، مصر، 1905.
101. سعود الخزاعي علي محمد: تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم من الحرف والعمالات الشرعية، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
102. السقطي، أبو عبد الله محمد، في آداب الحسبة شرح س. كولان وليفي بروفنسال، باريس، دون تاريخ.

103. السلاوي (أحمد بن خالد الناصري ت1315هـ/1867): الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب بالمغرب، الدار البيضاء، 1954 - 1956.
104. السمهودي : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج2، تحقيق محمد محي الدين، بيروت، 1971.
105. الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد ت928هـ): كتاب سير المشائخ، طبعة حجرية، ج1، ج2، قسنطينة.
106. الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد) : الملل و النحل، المجلد1، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، 1980.
107. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الأمم و الملوك، الجزء 6، مكتبة خياط، بيروت، دون تاريخ.
108. عبد الواحد المراكشي (أبو محمد بن علي التميم ت647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب أثناء صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م.
109. الفضل شلق : الخراج و الإقطاع و الدولة، تقديم التراث الاقتصادي الاسلامي، دار الحداثة، بيروت 1990.
110. الفيروز (أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ت817هـ): بصائر ذوي التمييز لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، ج1، المكتبة العلمية.
111. الفرستائي: القسمة و أصول الأرضين، تحقيق و تقديم، بكير بن محمد الشيخ بلحاج، محمد صالح الناصر، المطبعة العربية، جمعية التراث القرارة، ط2، غرداية، 1997.
112. القابسي، أبو الحسن علي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1986.
113. (— ، —): الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين المتعلمين، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للنشر و التوزيع، تونس، 1986.
114. القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى، ترتيب المدارك و تقريب المسالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.
115. القلصادي (علي بن محمد القرشي الأندلسي ت891هـ/1486): رحلة القلصادي، دراسة و تحقيق محمد أبو الأجنان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978.
116. (— ، —): رحلة القلصادي، دراسة و تحقيق محمد أبو الأجنان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978.
117. القلقشندي (أحمد بن علي ت821هـ/1418م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1991.
118. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، القاهرة 1963.
119. القيسي (أبو المهلب هيثم بن سليمان): أدب القاضي والقضاء، تحقيق فرحات الدشراوي، الدار التونسية للنشر، تونس دون تاريخ.
120. الكندي (عمر محمد بن يوسف): كتاب الولاة وكتاب القضاة، مؤسسة قرطبة، القاهرة، دون تاريخ.

121. المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد ت في القرن 5هـ/11م): رياض النفوس في طبقات علماء القبروان و إفريقية وزادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم، ج2، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
122. (— ، —): تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، الطبعة 5، بيروت، لبنان، 1983.
123. المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): الكامل، ج3، دار نهضة، مصر، دون تاريخ.
124. محمد بن العربي : أحكام القرآن، تحقيق علي محمد الجاوي، ج2، مطبعة الباي الحلي، القاهرة، 1957.
125. محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة و النشر، ج7، بيروت، 1958.
126. محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير: المجلد1، ج2، المكتب الاسلامي، بيروت، ط3، 1979.
127. المرجي النقفى: كتاب الحيطان، أحكام الطرق و السطوح و الأبواب و مسيل المياه و الحيطان في الفقه الاسلامي، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
128. المسعودي : مروج الذهب و معادن الجواهر، تحقيق مصطفى السيد بن أبي ليلي، ج2، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ.
129. المقديسي (شمس الدين أبو عبد الله): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دار صادر بيروت، 1909.
130. المقرئ (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت1041هـ/1631م): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ط2، بيروت، 1998.
131. مؤلف مجهول (كاتب مراكشي من القرن 6هـ/12م): الإسبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958.
132. مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمانة، الدار البيضاء 1979.
133. مؤلف مجهول: كتاب مجهول منسوب للبلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقي المحمودي، طبعة بيروت 1974، ج2.
134. النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق): الفهرست، ضبط و شرح يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.
135. النسائي : خصائص من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، تحقيق، أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المحلا، الكويت، 1986.
136. النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت732هـ/1331م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج22، تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.
137. الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوغ، دار الآداب، الطبعة الثالثة، بيروت 1983.
138. هود بن محكم الهواري: تفسير كتاب الله العزيز 4 أجزاء، تحقيق شريف بلحاج، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت.
139. (— ، —): تفسير كتاب الله العزيز 4 أجزاء، تحقيق شريف بلحاج، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، و يذكر الشيخ سليمان داود بن يوسف أنه رغم ضياع كتب الإباضية فإنني وجدت نسخة كاملة من هذا الكتاب في خزنة جدي الشيخ أحمد ابن أيوب التجينتي، كتبه بخطه سنة 1050هـ، و هو بصدد التقديم للطبع، و قد وجدت بعض الأجزاء من الكتاب متفرقة في وادي مزاب و جربة.

140. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح): التاريخ، قدّم له وعلّق عليه محمد صادق بحر العلوم، مكتبة الحيدرية، الطبعة الرابعة، النجف 1974.

141. (— ، —): البلدان، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

142. (— ، —): تاريخ اليعقوبي، م2، دار صادر بيروت، دون تاريخ.

ثانياً: المراجع

• المراجع العربية:

1. ابن ميلاد أحمد: تاريخ الطب العربي التونسي في عشرة قرون، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، تونس 1980.
2. ابراهيم بحاز بكير: الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، ط2، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1993.
3. (— ، —): القضاء في المغرب الاسلامي، من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية، دار الياقوت للطباعة و النشر، ط1، الأردن.
4. (— ، —): شخصيات تاريخية، عبد الرحمن بن رستم مؤسس أول دولة إسلامية مستقلة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
5. ابن بصال: كتاب الفلاحة، معهد مولاي الحسن، تطوان 1955.
6. ابن حمادى، عمر: كتب الطبقات ومشاكل استغلالها في أبحاث الديمغرافية التاريخية، ندوة نوفمبر 1991.
7. أبو الأعلى المودودي: الحضارة الإسلامية، أسسها و مبادئها، دار الأنصار، القاهرة، دون تاريخ.
8. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
9. إحسان حقي: تونس العربية، دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ.
10. إحسان عباس: تاريخ ليبيا، دار ليبيا للنشر و التوزيع، بن غازي، ليبيا، ط1، 1967.
11. أحمد ابراهيم العدوي: بلاد الجزائر، تكوينها الإسلامي و العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، 1970.
12. أحمد الشتيوي: مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة و الأندلسيين و ثقافتهم بين القرنين 6-12هـ/12-18م، أطروحة دكتوراه، إشراف علي الشنوفي، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 1988.
13. أحمد الطاهري: عامة قرطبة، منشورات عكاظ، الرباط 1988.
14. أحمد الطويلي: شهيرات القيروان و معالم حضارية، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس 2013.
15. أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، ج2، بيروت، دون تاريخ.
16. (— ، —): ظهر الاسلام، مكتبة النهضة العربية، ط2، 1966.
17. (— ، —): فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط11، 1979.
18. أحمد بن النعمان: هذه هي الثقافة، شركة دار الأمة، الجزائر، 1996.

19. أحمد بن ميلاد : تاريخ الطب العربي التونسي في عشرة قرون، شركة ديميتير، تونس 1980.
20. أحمد حسن محمود و منى حسن محمود: تاريخ المغرب و الأندلس، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1999.
21. أحمد علي عبد اللطيف: الإمبراطورية الرومانية، طبعت بمكتب كريدية إخوان، 1976.
22. أحمد فكري : عوامل دراسات في الآثار الإسلامية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، القاهرة 1979.
23. أحمد فؤاد الأهواني : التربية في الإسلام و التعليم في رأي القابسي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955.
24. أحمد محمد الصاوي المالكي: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، ج1، مطبعة مصطفى محمد مصر، 1934
25. أحمد مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في عصري الموحدين و المرينيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ.
26. أحمد ناريمان عبد الكريم: مجتمع إفريقية في عصر الولاة، هيئة المصرية للكتاب، القاهرة 2000.
27. أحمدو تال ديالو: الصناعة بالقيروان من خلال مدونة سحنون و نوار ابن أبي زيد، منشورات وحدة بحث تاريخ القيروان، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 2007.
28. إدريس الهادي روجي: الدولة الصنهاجية، تعريب حمادى الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
29. إسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
30. إسماعيل العربي: دولة الأدراسة، ملوك تلمسان و فاس و قرطبة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983.
31. إسماعيل محمود: الخواص في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، دار الثقافة، الدار البيضاء 1976.
32. آمنة تشيكو : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و آرنولد توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
33. أمين الخولي: مالك بن أنس، ب.ط، دار الكتاب، دون تاريخ.
34. أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته و نظمه، دار الفكر، ط2، دمشق 1982
35. الباهي أحمد: مفهوم قومونية في المصادر العربية، الكراسات التونسية، عدد 178، الثلاثة الثالثة، 1997.
36. برنشفيك روبا: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تعريب حمادى الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.
37. بروفنسال ليفي: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.
38. بشار قويدر: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المطبعة الجزائرية للمجلات، بوزريعة، الجزائر 1993.
39. بلقاسم مصباحي: هبة الرحمن في تجويد القرآن، دار الهدى، عين ميله، الجزائر، 2006.
40. بوتشيش إبراهيم القادري: أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي، منشورات عكاظ، الرباط 1992.
41. (— ، —): تاريخ الغرب الإسلامي، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت 1994.
42. (— ، —): مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت 1998.
43. (— ، —): مباحث في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب و الأندلس، دار الطليعة، بيروت، 1998.
44. بوركية محمد: البنية الاجتماعية في العهد الرستمي، الخلدونية، مجلة العلوم الإنسانية وعلوم الاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، عدد خاص 2009.
45. بوزيانى الدراجي : دول الخواص و العلويين في بلاد المغرب و الأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
46. (— ، —): القبائل البربرية، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2000.

47. بوشناقى محمد: مقومات النشاط الحرفى وتنظيمه بتيمرت على عهد الرستميين (160-296هـ/777-909م) الناصرية الدراسات الاجتماعية والتاريخية، مخبر البحوث التاريخية والاجتماعية، جامعة معسكر مكتبة الرشاد للطباعة والنشر الجزائر، العدد الرابع، جوان 2013.
48. البوطي محمد سعيد رمضان : منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر، ط1، سوريا، 1984.
49. توفيق حمد عبد الجواد: العمارة الاسلامية فكر و حضارة، المكتبة الأنجلو مصرية، 1987
50. جعيط هشام: الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت 1991.
51. (— ، —): الكوفة، نشأة المدينة العربية الإسلامية، دار الطليعة، الطبعة الثانية، بيروت 1993.
52. جموعي مشري: الجغرافيا بالمغرب العربي، ترجمة الأخضر الادريسي، مراجعة لجنة من الأساتذة، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، دون تاريخ.
53. الجنحاني الحبيب: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية، الدار التونسية، تونس 1968.
54. (— ، —): المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3-4هـ/9-10م)، الدار التونسية للنشر، تونس 1978.
55. (— ، —): دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986.
56. (— ، —): دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، 1990.
57. جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3-4هـ/9-10م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
58. (— ، —): العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
59. حسان علي الحلاق : الادارة المحلية الاسلامية، المحتسب، الدار الجامعية، بيروت، 1980.
60. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، مكتبة النهضة، القاهرة، 1964
61. حسن أحمد محمود: الاسلام و الثقافة العربية في افريقية، دار النهضة المصرية، دون تاريخ.
62. (— ، —): دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، 1990.
63. تاريخ المغرب و الأندلس، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، دون تاريخ.
64. حسن الحسنى عبد الوهاب: شهيرات التونسيات، مكتبة المنار، الطبعة الثالثة، تونس 1985.
65. (— ، —): بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن الرشيق، مكتبة المنار، الطبعة الثانية، تونس 1970.
66. (— ، —): خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، تونس 1983.
67. (— ، —): ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، 3 أجزاء مكتبة المنار تونس 1981.
68. (— ، —): مجمل تاريخ الأدب التونسي، مكتبة المنار، تونس، 1968
69. حسن محمد: التجار والحرفيون بإفريقية بين القرنين السادس والتاسع (XII-XVم) من كتاب "المغيبون في تاريخ تونس الإجماعي، بيت الحكمة، قرطاج 1999.
70. (— ، —): الجغرافية التاريخية لإفريقية في العصر الوسيط (IXIهـ/VII-XVم) دار الكتاب الجديد، بيروت 2003.
71. (— ، —): القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الريال الأربع للنشر، تونس 1986.

72. (— ، —): المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس 1999.
73. (— ، —): حركات العامة بمدن إفريقية في العهد الحفصي، من كتاب "المعتمون في تاريخ تونس الاجتماعي، بيت الحكمة، قرطاج 1999.
74. حسن محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط1، مطبعة المدني.
75. حسن ملحوم: التفكير العلمي و المنهجية، مطبعة دحلب، حسين داي، الجزائر.
76. حسونة محمد أحمد: أثر العوامل الجغرافية في الفتح الاسلامي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة 1960.
77. حسين أحمد فراج: تاريخ الفقه الإسلامي، الدار الجامعية، القاهرة، 1989.
78. حسين مؤنس: التاريخ و المؤرخون، دار المعارف، القاهرة، 1984.
79. (— ، —): تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، ج1، ط1، دار الحديث للنشر و التوزيع، بيروت، 1996.
80. (— ، —): معالم تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية، 2003.
81. (— ، —): تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، الألكسو ومكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة 1986.
82. حقي إحسان: تونس العربية، دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ.
83. حنا فاخوري و خليل العجر: تاريخ الفلسفة العربية، ج1، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993.
84. خالد مودود: نقائض أغلبية جديدة (3هـ/9م)، دراسة تاريخية و أثرية، من كتاب النقائض و الرسوم الصخرية، الألكسو، تونس 1997.
85. الدوري عبد العزيز: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، الطبعة الرابعة، بيروت 1982.
86. رابح بونار: المغرب العربي، تاريخه و حضارته، ط3، دار الهدى، عين ميله، الجزائر، دون تاريخ.
87. رحيمة عيساني: الميسر في أحكام الترتيل، مراجعة و تصحيح رمضان يخلف و صالح فريوي، دار الهدى عين ميله، الجزائر، 2000.
88. رشيد بورويبة و آخرون: الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.
89. الرماح مراد: ملاحظات حول تاريخ المنشآت المائية بإفريقية في العهد الإسلامي المبكر، من كتاب "النقائض والرسوم الصخرية في الوطن العربي" الألكسو، تونس 1997.
90. زريق قسطنطين: معركة الحضارة، دار العلم للملايين، بيروت، 1964.
91. زهير أحداون: شخصيات و مواقف تاريخية، دار التراث للنشر و التوزيع، طبع بمؤسسة الشروق للنشر و الإعلام.
92. السامرائي (نعمان عبد الرازق): في التفسير الإسلامي للتاريخ، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، دون تاريخ.
93. سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، القاهرة، 1960.
94. سعد فهمي: العلامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة، دار المنتخب العربي، بيروت 1993.

95. سعيد محمد رعد : العمران في مقدمة بن خلدون، دار طلاس للدراسات وللدراسات و الترجمة و النشر، ط1، سوريا، دمشق، 1985.
96. سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، ج2، دار البعث، ط3، قسنطينة، 2002.
97. سليمان الخطيب : أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ.
98. سليمان داود بن يوسف : الخوارج هم أنصار الإمام علي، ج1، مكتبة البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، 1983.
99. سليمان عشراطي: الشخصية الجزائرية الأراضية التاريخية و المحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 2002.
100. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية و عمرانية و أثرية، ج2، دار النهضة.
101. (— ، —): التأثيرات المتبادلة بين مصر و المغرب، بحوث في التاريخ و الحضارة و الآثار الإسلامية، بيروت، 1992.
102. سير توماس أرنولد: (مع جمهرة من المستشرقين) تراث الاسلام، عربي وعلق حواشيه جرجيس فتح الله، دار الطبعة، الطبعة الثالثة، بيروت 1978.
103. الشابي محمد: أضواء على الآثار الاسلامية، الدار التونسية للنشر، تونس 1966.
104. (— ، —): تقرير حول الحفريات بقيادة أفريكا، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس 1968.
105. (— ، —): الأغلبة، نظامه الإداري والسياسي، الدار التونسية للنشر، تونس 1970.
106. شريك مكسمليان: خطط بغداد وأثار العراق القديمة، ترجمة خالد اسماعيل علي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1986.
107. الشريف محمد الهادي: تاريخ تونس، دار سراس للنشر، تونس 1980.
108. شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، م1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.
109. شهاب الدين عبد الرحمن: إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، ب.ط، المكتبة الثقافية، دون تاريخ.
110. الشيخ قاسم بن أحمد بلحاج : الظروف السياسية لنشأة الفرقة الإباضية، المطبعة العربية، غرداية، 1998.
111. صالح باجية: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى، الجامعة التونسية، الزيتونة للشريعة و أصول الدين، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، تونس 1976.
112. صالح بلعيد: في المسألة الأمازيغية، دار هومه، الجزائر، 1999.
113. صبري فارس الهيتي: التخطيط الحضري، دار البازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان، الأردن 2009.
114. (— ، —): جغرافية المدن، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2002.
115. الصغير بن عمار: الفكر العلمي عند بن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر، 1984.
116. (— ، —): دراسات في التاريخ افريقية وفي الحضارة الإسلامية في عصر الوسيط، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1982.
117. الطاهري أحمد: الطب والفلاحة في الأندلس بين الحكمة والتجريب، جامعة الحسن الثاني، المحمدية 1997.
118. (— ، —): عامة قرطبة في عصر الخلافة، الرباط 1989.
119. طه حسين: فلسفة بن خلدون الإجتماعية، نقله إلى العربية محمد عبد الله عنان، مطبعة الإعتمار بمصر، ط1، 1925.

120. طه عبد الواحد ذنون: دراسات في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط1، ليبيا، 2004.
121. عباس بدر محمد : قبة الصخرة، ضمن كتاب دراسات في الآثار الإعلامية، مطبعة القاهرة، 1979.
122. عبد الباقي ابراهيم: المنظور الاسلامي للتنمية العمرانية، مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية، مصر الجديدة، د.ت.
123. عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام أنواعها و آدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996م
124. عبد الحميد حسين حمودة: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008
125. عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، وكالة المطبوعات دار القلم، الكويت بيروت، ط4، 1980.
126. عبد العزيز النعالي: تاريخ شمال إفريقية، تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم و مراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
127. عبد العزيز فيلاي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1982.
128. (— ، —): تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية و ثقافية)، ج1 و 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002.
129. عبد الله العروي: تاريخ المغرب، ترجمة ذوقان قرقوط، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1977.
130. عبد الله بن ادريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، السعودية، 1982
131. عبد الله شريط: الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، الجزائر، 1981.
132. عبده عبد الله كامل: الأمويون و آثارهم المعمارية، مطبعة القاهرة، 2003.
133. العبدوي محمد المختار: الحياة الأدبية في عهد الأغالبة، مركز الدراسات الإسلامية و دار سحنون، تونس 1994.
134. عثمان الكعاك: موجز في التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقدم أبو القاسم سعد الله، محمد البشيري التستيني، نصر الدين سعيدوني، ابراهيم مجاز، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
135. عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982.
136. عثمان نجوى: مساجد القيروان، مطبعة دار عكرمة، دمشق 2000.
137. العدوي ابراهيم: الأمويون و البيزنطيون، المكتبة الأنجلومصرية، الطبعة الثانية، مصر 1963.
138. العربي اسماعيل: دولة الأدارسة ملوك تلمسان و فاس و قرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
139. العروي عبد الله: تاريخ المغرب، محاولة في التركيب، ترجمة ذوقان قرقوط، بيروت 1977.
140. عطا الله دهينة: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984.
141. عفيف البهتسي : العمارة و المعاصرة، دار الشرق للنشر، دمشق، 2005.

142. علي الشابي و حسن أبو لبابة و عبد المجيد النجار: المعتزلة بين الفكر و العمل، الشركة التونسية للتوزيع، 1986.
143. علي الشابي : مباحث علم الكلام، الطبعة الأولى، دار بوسلامة، تونس، 1977.
144. علي الوردي: منطق بن خلدون في حضارته و شخصيته، مطبعة جامعة الدول العربية- معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1992.
145. علي جفال : الخوارج، تاريخهم و أدبهم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990.
146. العلي صالح أحمد: خطط البصرة و منطقتها، مطبعة المجتمع العلمي العراقي، بغداد 1986.
147. علي عائض ناصر: عقيدة أهل السنة و الجماعة في الصحابة الكرام، ج3، مكتبة الرشد، ط1، 1999.
148. علي كريم العمار: مفهوم الادارة الحضريّة في فلسفة الحضارات القديمة و الفكر المعاصر، بحث بالمعهد العالي للتخطيط الحضاري و الاقليمي، جامعة بغداد، 2007.
149. علي محمد الصلابي: فكر الخوارج و الشيعة في ميزان أهل السنة و الجماعة، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، ط1، الفسطاط، 2005.
150. علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج2، مكتبة وهبة، القاهرة، دون تاريخ.
151. عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962، مراجعة عبد العزيز بو شعيرات، ج1، دار المعرفة، باب الواد، الجزائر.
152. عمر رضا كحالة: دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1973.
153. عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الاسلامي، تفسير الكتاب، البلدة، الجزائر 1990
154. عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية و الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 7 و 8 الهجريين، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1417هـ/ 1996م.
155. عوض الشرفاوي: التاريخ السياسي و الحضاري بجبل نفوسة في القرنين الثاني و الثالث هجريين، منشورات مؤسسة تاولة الثقافية، المغرب، 2011.
156. عيسى بك أحمد: تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ط2، دار الراشد العربي، بيروت، 1981.
157. عيسى بن الذيب و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007.
158. عيسى علي ابراهيم: جغرافية المدن، بداية منهجية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2007.
159. الفاضل محمد بن عاشور: المحاضرات المغربيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس، دون تاريخ.
160. فاطمة بلهواروي: الفاطميون و حركات المعارضة في المغرب الاسلامي، دار المسك للطباعة و النشر، د.ت.
161. فرحات الجعبري : البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، نشر جمعية التراث، القرارة، 1987.
162. فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاية، القاهرة، 1980.
163. فكري أحمد: آثار تونس الإسلامية و مصادر الفن الإسلامي، دار المعرفة، تونس 1949.
164. فكري أحمد: المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف بمصر، القاهرة 1936.

165. فيصل شكري: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1981.
166. (— ، —): حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، دار العلم للملايين، بيروت، دون تاريخ، عبد المنعم ماجد، التاريخ للدولة العربية، عصر الخلفاء الأمويين، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، 1966.
167. فيصل شكري: حركة الفتح الإسلامي في القرن 1، دار العلم للملايين، بيروت.
168. قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج : الظروف السياسية لنشأة الفرقة الإباضية، المطبعة العربية، غرداية، 1998.
169. قاسم علي سعد : تراجم جمهرة الفقهاء المالكية، ج1، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، ط1، 2002
170. كحالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، دار العلم للملايين، بيروت 1968.
171. كرو أبو القاسم وعبد الله شريط: عصر القيروان، دار المغرب العربي تونس 1977.
172. الكعبي منجي: القيروان مطبعة وراق دار الشباب تونس، الطبعة الثانية 2009.
173. كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي، مركز الاسكندرية للكتاب، 1418هـ / 1997م.
174. كمال صيفوري: الفكر البيئي في الحضارة الإسلامية، مجلة كان التاريخية، دار ناشري الأرشيف العالمي، العدد 20، السنة السادسة، جوان 2013.
175. لطيفة البكاي: حركة الخوارج نشأتها و تطورها إلى نهاية العهد الأموي (132هـ / 749م)، رسالة دكتوراه، جامعة تونس الأولى للأداب والفنون والعلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، سبتمبر 1995.
176. ليديري بلخير: العلاقات السياسية بين الدول الرستمية ودول المغرب خلال القرن الثالث المحجري، التاسع ميلادي، مجلة المصري التاريخية، السنة الثانية، العدد الخامس، يونيو (جوان) 2010.
177. ليسنر يعقوب: خطط بغداد في عهد العباسية الأولى، ترجمة صالح أحمد العلي، مطبعة المجتمع العلمي العراقي، بغداد 1984.
178. مالك بن نبي : تأملات، دار الفكر للطباعة و النشر، ط5، دمشق، سوريا، 1991.
179. (— ، —): فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ.
180. مبارك ميلي : تاريخ الجزائر في القدم و الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.
181. مجموعة من المؤلفين : دراسة في تاريخ العلوم عند العرب، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العراق، 1986
182. (— ، —): قصر الماء، قصر العباسية، القصر القديم: تعددت الأسماء والموضع واحد، إفريقية العدد، المعهد الوطني للتراث.
183. محمد أبو القاسم: العالمية الإسلامية الثانية، دار المسيرة، لبنان، ط1، 1979.
184. محمد أحمد حسونة: أثر العوامل الجغرافية في الفتح الإسلامية، مكتبة تحضة مصر بالفحالة، 1960.
185. محمد أسعد طللس : التربية و التعليم في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1957
186. محمد السويسي : مسائل الري و الفلاحة، من كتاب "إسهامات العرب في علم الفلاحة، الكويت 1988

187. محمد الطاهر المنصوري: ملامح بعض الفئات الاجتماعية بافريقية في العهد البيزنطي، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، بيت الحكمة، تونس، 1999.
188. محمد العروسي المطوي: سيرة القيروان، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس، 1981.
189. محمد الفاضل بن عاشور: محاضرات المغريبات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دون تاريخ.
190. محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبد التاريخ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، د.ت.
191. محمد المختار العبيدي: الحياة الأدبية بالقيروان في عهد الأغالبة، نشر مشترك عن مركز الدراسات الاسلامية بالقيروان و دار سحنون للنشر و التوزيع بتونس 1994.
192. محمد بن رمضان شاوش و الغوتي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى آثار أدياء الجزائر من الفتح العربي إلى عصرنا، ج1، حي داود بريكسي للإشهار، الكيفان، ط1، تلمسان 2001.
193. محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
194. محمد جمال الدين القاسمي: اصلاح المساجد من ابداع و العوائد، نشر المكتب الاسلامي، ط4، 1399هـ.
195. محمد حسن: التجار و الحرفيون بافريقية بين القرن السادس و التاسع هجري، ضمن كتاب "المغيبون في تاريخ تونس"، بيت الحكمة، تونس، 1999.
196. محمد حسن: المدينة و البادية بافريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، تونس 1999.
197. (— ، —): الجغرافية التاريخية لافريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجري (7- 15م)، فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، دار الكتاب الجديد المتحدة، تونس، دون تاريخ.
198. محمد حمزة اسماعيل الحداد: الجمل في الآثار و الحضارة الإسلامية، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006.
199. محمد سراج: مدخل لدراسة تاريخ الفقه، د.ط، 1955.
200. محمد صغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979.
201. محمد عبد الحكيم: ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، ط1، 1991.
202. محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة 1999.
203. محمد عبد الصمد رزار و عبد المالك تشريفت: مدينة شرشال تراث تاريخي عالميا و ذاكرة الجزائر، حوليات التاريخ والجغرافيا، الملتقى الوطني الثالث حول المدن الجزائرية عبر العصور، مخبر التاريخ و الحضارة و الجغرافيا التطبيقية، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة العدد 5، جوان 2012.
204. محمد عبد الله عدنان: تراجم اسلامية شرقية و غربية، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1972.
205. محمد عفت الشرفاوي: فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة، بيروت، ط2، 1981.
206. محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي، دار المعرفة الجامعية، ط4، ص1986.
207. محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، 1963.
208. محمد عمرو الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1984.
209. (— ، —): الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.
210. محمد عوض خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، دون تاريخ.

211. محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس، دار القلم للنشر و التوزيع، الكويت، ط3، 1987.
212. محمد لعروسي المطوي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986.
213. محمد هيشور : سنن القرآن في قيام الحضارات و سقوطها، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، سنة 1991.
214. محمود أحمد حسن: تاريخ المغرب و الأندلس، دار الفكر العربي، دون تاريخ.
215. محمود اسماعيل: الخواج و قضية التحكيم، المجلة التاريخية المصرية، المجلد 20 سنة 1973.
216. محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي في المغرب العربي، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1966.
217. مصطفى شاكر: المدن في العالم حتى العصر العثماني، ط1، الكويت، 1988.
218. مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة و تطور المدن العربية الاسلامية، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982.
219. المطوي محمد العروسي: تأسيس القيروان بين الواقع والأسطورة، مجلة الهداية، العدد 2، السنة 9، نوفمبر - ديسمبر، 1981.
220. (— ، —): سيرة القيروان، رسالتها الدينية والثقافية في المغرب العربي، الدار العربية للكتاب، تونس 1981.
221. موسى سلامة : الصراع في الوجود، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.
222. موسى لقبال : تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة للنشر و التوزيع، ط4، الجزائر، 2001.
223. (— ، —): المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى نهاية ثورات الخواج سياسة و نظم، المؤسسة الوطنية للكتاب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.
224. (— ، —): الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها و تطورها، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 1971.
225. الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها و تطورها، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 1971.
226. موسى لقبال و آخرون: الجزائر في العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
227. ناصر العقل: الخواج، دار الوطن، الرياض، ط1، 1995.
228. ناصر بن عبد الله القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، دار الرضا للنشر و التوزيع، الجيزة، مصر، 1418هـ/1998م.
229. ناصر علي عائض : عقيدة أهل السنة و الجماعة في الصحابة الكرام، ج3، مكتبة الرشد، ط1، 1999.
230. نصر الله سعيدون: تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة 20-640هـ/788-1492م، دار النهضة العربية، بيروت، دون تاريخ.
231. نكولا زيادة: الجغرافيا و الرحلات عند العرب، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت، 1962.
232. نوال عبد الرحمن الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون، الأردن، 1429هـ/2008م.

233. الهادي بن وزدو: أحمد مو و محمد حسن: قانون المياه و التهيئة المائية بجنوب افريقية في العصر الوسيط، مركز النشر الجامعي، تونس 1999.
234. هاشم العلوي: مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن 4هـ منتصف القرن 10م، وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، الرباط، 1995.
235. وديع أبو زيدون: تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة في قرطبة، دار الأهلية للنشر و التوزيع، ط1، بيروت، 2005.
236. يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج1 (الجزائر القديمة و الوسيطة)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، وهران، الجزائر، 1995.
237. يوسف علي بدوي: عصر الدويلات الاسلامية في المغرب و المشرق من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الجزائر، 1431هـ / 2010م.

• المراجع المعرّبة:

1. ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دون تاريخ.
2. جان فونتان : من كتاب فهرس تاريخي للمؤلفين التونسيين، تعريب حمادى صمود، نشر بيت الحكمة، 1986
3. جورج مارسيه : بلاد المغرب و علاقاتها بالشرق الاسلامي في العصور الوسطى، تر. محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الانتصار لطباعة الأوفست
4. دوزي: تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة حسن حبشي، ج1، الحروب الأهلية، دار المعارف، 1963.
5. ستانلي لين بول: الدول الإسلامية، تصحيح، بارتولد و خليل أدهم، نقله من التركية إلى العربية محمد صبحي فرزات.
6. شارل أندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، ج2، (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى 1830، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط2، تونس، 1983.
7. فان برشم، مارجریت، واوري، سولانج: القدس الإسلامية في أعمال ماكس برشم، ترجمة عطى الله دهينة و آخرين، دمشق، 1994.
8. كارل ماركس: إنجلترا، لينين : المادية التاريخية، دار الفارابي، بيروت، 1975.
9. محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، 184 - 296هـ/800 - 909م، التاريخ السياسي، ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985.
10. موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول (القرن 2 - 5هـ/8 - 11م)، ترجمة و تعليق اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1979.
11. الهادي روجيه إدريس : الدولة العثمانية، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، ج2، بيروت، لبنان، 1994.

12. هوبكنز، ج.ف.ب : النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، نقله عن الإنجليزية أحمد توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس 1980.

13. ولهاوزن يولبوس: تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد الهادي، أبو ريدة، القاهرة 1968.

• الأطروحات و الرسائل الجامعية:

1. أحمد الأسود: افريقية في عصر الولاة، دراسة سياسية اجتماعية و اقتصادية، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس، 2007-2008.

2. الأمين عمر: مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين (4-10/هـ-12م) للفترتين الزيرة والحماذية (آشير- قلعة بني حماد - بجاية)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر.

3. الباهي أحمد: الجغرافية التاريخية في إقليم الساحل، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 2002.

4. (— ، —): فهرست أسماء الأماكن بمقاطعة البيزاسين في العصر الوسيط، شهادة الدراسات المعمقة، تونس 1995.

5. بن سعيد محمد الهادي: مشكلة المياه في المغرب و الأندلس من خلال المعيار، شهادة الكفاءة في البحث، تونس 1977.

6. حبيب خنفار: عمارة المساجد في منطقة تيارت، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2007-2008.

7. السعداوي أحمد: الآفات والكوارث الطبيعية بالمغرب الوسيط منذ منتصف القرن الخامس الهجري إلى منتهى القرن التاسع هجري (VI-XVم) شهادة الكفاءة في البحث جامعة العلوم الإنسانية والاجتماعية) تونس 1982.

8. سعيد محمد: الحياة العلمية والثقافية بالقيروان خلال القرون الأولى للهجرة (شهادة الكفاءة في البحث جامعة العلوم الإنسانية والاجتماعية) تونس 1989.

9. شعلاء بن عثمان: المرأة بجبل نفوسة منالفتح إلى بداية القرن السادس الهجري، الحادي عشر الميلادي، ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة تونس، كلية الآداب 2005-2006.

10. عبد الرحمن بلاغ: قبيلة مكناسة البربرية و دورها المذهبي و السياسي في بلاد المغرب من القرن 2 إلى 4هـ (8-10م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، المركز الجامعي بشار، 2006-2007م.

11. عرعار: مراد: الأريس وناحيتهما إلى حدود القرن I/هـ XIIم، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة جامعة العلوم الإنسانية والاجتماعية) تونس 1999.

12. فاطمة جلدجال: موقع تيهرت الأثري (160-296هـ/ 777-909م)، دراسة أثرية، ماجستير في علم آثار المغرب الإسلامي، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة تلمسان، سنة 2012-2013.

13. فريد داودي: الأصوات اللغوية في اللهجات البربرية القبائلية نموذجاً، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2000-2001.

14. الفهري نافع: شبكة الطرقات بإفريقية خلال القرن الخمسة الأولى للهجرة، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة، جامعة العلوم الإنسانية والاجتماعية) تونس 2000.
15. لخضر عبدلي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان (633- 962هـ/1236- 1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004-2005.
16. مبخوث بودواية: العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2005.
17. محفوظ الغديقي: مدينة القيروان و ناحيتها إلى نهاية القرن الهجري، دراسة في العمران و المجتمع، رسالة دكتوراه، جامعة تونس الأولى قسم التاريخ، 2001-2002.
18. محمد الحبيب بن عبد الجليل: المجتمع الافريقي من خلال كتاب طبقات أبي العرب، مذكرة لنيل شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس، 1986
19. محمد سعيد: الحياة العلمية و الثقافية في القيروان خلال القرون الأولى للهجرة(1- 2- 3)، مذكرة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، شعبة التاريخ، جامعة تونس، 1988-1989.
20. محمد عليلي : الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستميين خلال القرنين 2-3هـ/8-9م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007-2008.
21. المشري أسماء: الحسبة في الدولة الرستمية و تأثيراتها الاقتصادية و الاجتماعية، ماجستير في تاريخ المغرب الأوسط الحضاري في العصر الوسيط، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2013-2014.
22. معروف بلحاج: العمارة الدينية الإباضية بوادي ميزاب، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2002.
23. هوارية بكاي: العلاقات الثقافية بين الزينيين و المرينيين، ماجستير، قسم التاريخ، تلمسان، 2007-2008.

• الدوريات و المجلات و الملتقيات:

1. إدريس صالح الحرير: العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام هناك، مجلة البحوث الإسلامية، السنة الخامسة، العدد الأول، يناير 1983م، منشورات جامعة الفتح مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي.
2. بوركية محمد: النمط العمراني لمدينة تيهرت في العهد الرستمي (160-296هـ/777-909م)، مجلة مثير للتراث الأثري، مخبر التراث الأثري و ترميمه، جامعة تلمسان، العدد الأول، 2012.
3. الجنحاني الحبيب: نظام الملكية الأرض في تونس والمغرب من القرن الأول إلى السادس هجري، تاريخ العرب والعالم، "عدد خاص عن تونس" السنة الرابعة، العدد 41، مارس 1982.

4. حسن محمد: حول إحدى القبائل البربرية: نفوسة مجلة أوراق يصدرها المعهد الاسباني العربي للثقافة، العددين 5-6، 1983-1982.
5. وهراني قدور: تطور نظام الشرطة في العهد الرستمي، الخلدونية، مجلة العلوم الإجتماعية، جامعة ابن خلدون تيارت عدد خاص 2009.
6. الطالي محمد: دائرة المعارف التونسية، الكراس عدد 4، بيت الحكمة، قرطاج 1994.
7. الشابي محمد: رقاد، دائرة المعارف التونسية، الكراس عدد 1، بيت الحكمة قرطاج 1990.
8. إبراهيم زروقي: المذاهب الإسلامية في عهد إمامة تاهرت أول دولة إسلامية في الجزائر، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانه، الجزائر، النصف الثاني، من سنة 1982م.
9. إبراهيم فخار: دور الرستميين في وحدة مغرب الشعوب، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، المجلد 4، ورجلان، من 6 إلى 15 فبراير، 1977.
10. ابن سهل: النوازل، نشره التهامي أزموري، تقدم كلود كاهن بمجلة Hesperis Tamuda، المجلد 14، سنة 1973.
11. ابن مامي محمد الباجي: أسواق مدينة تونس، مجلة افريقية (تونس)، عدد 12، المعهد الوطني للتراث، 1998.
12. إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، المجلد 1، 1977.
13. أحمد الطاهر الزاوي: شخصيات إسلامية، عبد الرحمن بن رستم، روضة الجندي، العدد 1، مؤسسة الإتصال والإعلام.
14. أحمد توفيق المدني مدخل الدراسة الدولة الرستمية واسهامها في التطور الفكري والحضاري، محاضرا ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورجلان 17-26 صفر 1397هـ-06-15 فبراير 1977م، المجلد الرابع، منشورات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، 1984م.
15. الباهي أحمد: مفهوم قمونية في المصادر العربية، الكراسات التونسية، عدد 178، الثلاثية الثالثة 1997.
16. بحاز إبراهيم بكير: الطبعة العامة الحلم عند الرستميين، 160-296/777-909م، الخلدونية مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية تيارت عدد خاص 2009.
17. (—، —): السياسة العسكرية عند الرستميين 160-296/776-909م، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة، العدد التاسع، محرم 1429هـ/جانفي 2008م، المطبعة العربية 11 نهج طالي أحمد، غرداية، 2008م.
18. بويحيوي عز الدين: معطيات جديدة حول تاهرت تاقدمت، الملتقى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخية والأثرية، أدرار 05. 25 إلى 06.02.1994، وزارة الإتصال والثقافة، مديرية التراث الثقافي والفنون التقليدية، الجزائر.
19. جمال الشيال: العلاقات الثقافية بين المغرب و الاسكندرية، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 1951، مجلد 15.
20. الحاج سعيد عيسى: المذهب الإباضي و علاقته بالمذاهب الأخرى، محاضرات الملتقى الخامس للفكر الإسلامي، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية من 27 جمادى 1 إلى 10 جمادى 2، 1391هـ/7/20، إلى 1971/8/10
21. الحبيب الجحجاني: تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد 40-43، تونس 1975
22. حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، يناير، 1981، ص 83.

23. حمزة أبو فارس: مدونة الإمام سحنون، مراحل تدوينها- منزلتها بين الأمهات- شروحها و اختصارها، محاضرات ملتقى الإمام سحنون، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، 7- 8- 9 جمادى الثانية 1412هـ / 13- 14- 15 ديسمبر 1991، 1993
24. خالد بلعربي: العلاقات الثقافية بين تيهرت و مراكز الفكر في المغرب الإسلامي حتى القرن 5هـ/11م، مجلة القضاء المغاربي، العدد2، خاص بالملتقى الوطني الثاني، مخبر الدراسات الأدبية و النقدية في المغرب العربي، تلمسان، 2004.
25. خالد مسعودي: العلاقات الاقتصادية والديبلوماسية، مجلة كان التاريخية، السنة السادسة، العدد العشرون، يونيو 2013.
26. الدولاتي عبد العزيز: المدينة العربية بين الأصالة والمعاصرة، المستقبل العربي، بيروت جانفي 1981.
27. رشيد الزواوي: التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1، 1993.
28. رشيد بورويبة: الفن الرستمي، تاهرت و سدراتة، مجلة الأصالة، العدد 41، جانفي 1977.
29. (— ، —): تاقدمت عاصمة الامير عبد القادر، مجلة الثقافية، السنة الرابعة عشر، العدد 82، شوال دو القعدة 1404 هـ، المؤسسة الوطنية الفنون المطبعية، الجزائر، 1984.
30. رشيد زواوي: التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1، 1993.
31. سعيدة مفتاح: تأثير الحضارات القديمة في التخطيط العمراني للمدن، آراء و دراسات في التاريخ و الآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية المنعقدة في المدرسة العليا، بوزريعة، الجزائر، 23 / 24 / 2012.
32. (— ، —): مآثر تشريع المخططات العمرانية للمدينة العربية الإسلامية، مجلة الحكمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 2، السداسي الأول 2013.
33. سلفادور غومث نوغاليس: الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر و الأندلس من خلال الإباضية، العدد 46، رجب 1977، الملتقى الفكري الحادي عشر للفكر الإسلامي، وارجلان.
34. سلمان قطاية: (أحمد بن ابراهيم الجزائر القيرواني) مجلة المورد، المجلد 9، العدد 1، دار الحرية للطباعة، بغداد 1980.
35. سليم النعيمي: ظهور الخوارج، مجلة المجتمع العلمي العراقي، عدد 15، سنة 1967.
36. سليمان داود بن يوسف: مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها، محاضرات ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورجلان 17- 26 صفر 1397هـ/ 06- 15 فبراير 1977م، المجلد الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، 1984م.
37. السويسي: مسائل الري و الفلاحة في المغرب العربي عبر العصور، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، الكويت، ديسمبر 1983.
38. السيد الحسيني: المدنية، دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط 1، القاهرة، 1994- 1995.
39. الطالبي محمد: تأسيس القيروان وتمصيرها، الحياة الثقافية العدد 2، نوفمبر 1977.
40. طرشاوي بلحاج: ملامح الحلم الراشد في دولة بني رستم، الخلدونية، تيارت عدد خاص 2009.
41. طه الولي: التعليم عند المسلمين في بدايته و تطوراته عبر مراحل و مناهجه و مؤسساته، مجلة الفكر العربي، العدد 20، معهد الانماء العربي ليبيا، لبنان، مارس و أبريل، 1981.

42. عبد الجبار ناجي: مفهوم العرب للمدينة الاسلامية، مجلة المدن العربية، نشر المنظمة العربية للمدن، العدد 14، السنة 3، 1984.
43. عبد الحميد حسين حمودة: أسواق القيروان في عصر الأغالبة، مجلة الدراسات الافريقية، معهد البحوث و الدراسات الافريقية، 2001.
44. عبد الرزاق الهمامي : صورة المرأة في مدونة بعض الفقهاء، مجلة الحياة الثقافية، العدد 62، تونس 1991
45. عبيد بوداود: ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي و تداعياتها، مجلة المواقف، عدد خاص، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، أفريل 2008.
46. العربي بوجلال: الأمازيغية و الشخصية الوطنية، في جريدة الخبر، العدد 2049، أوت 1997، الجزائر.
47. علي الوردي: منطق بن خلدون في حضارته و شخصيته، مطبعة جامعة الدول العربية- معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1992.
48. فاطمة بلهوارى: الصناعة في المنظور المغربي بين التنظير و الواقع التاريخي، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي (مصادر و تراجم)، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، العدد 6-7، جوان ديسمبر 2005م/ 1426هـ.
49. (— ، —): النص النوازي للمغرب الاسلامي، أداة لتحديد البحث في تاريخ الحضارة الاسلامية، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي (مصادر و تراجم) كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، العددان 16-17، جوان-ديسمبر، 2010-2011
50. فوزي بودقة: المدينة تطور رهانات و تحديات، حوليات التاريخ و الجغرافيا، مخبر التاريخ و الحضارة و الجغرافيا التطبيقية، العدد 5، بوزريعة، الجزائر، جوان 2012.
51. فوزية لزغم: التسامح المذهبي في الدولة الرستمية، الخلدونية مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة زين خلدون، تيارت عدد خاص 2009.
52. كلثوم ميدان: التطور العمراني في مدينة الجزائر، حوليات التاريخ و الجغرافيا.
53. كلود كاهن و محمد الطالبى: الحسبة، دائرة المعارف التونسية، كراس عدد 4، بيت الحكمة 1994.
54. ليزيك دابروفسكي: تاهرت، ملاحظات حول تطور فن العمران الاسلامي في المغرب الاسلامي (القرن السابع- الحادي عشر)، محاضرات و مناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الاسلامي، وارجلان، 26 صفر 1397هـ، 06-15 فبراير 1977، م4، منشورات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة 1984.
55. لطيفة بشاري: الرقيق في المجتمع الإباضي بتيهت، الخلدونية، مجلة العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، لجامعة ابن خلدون تيارت، عدد خاص، 2009.
56. مارييا خيسوس فيغيرا: محمد بن عبد الرحمن بن رستم في قرطبة، مجلة الأصالة، العدد 41، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، 1977.
57. محفوظ فوزي: المنشآت المائية بإفريقية في العصر الوسيط، مجلد المدار، العدد 1، (عدد خاص) 1993.
58. (—، —): رهادنة القيروان وإفريقية، إفريقية العدد 16، المعهد الوطني للتراث تونس 1998.
59. محمد بلقراذ: الحركة الإباضية في تيهت و سدراتة، مجلة الأصالة، العدد 41، 1977.

60. محمد حسن: القيمة الفنية و التاريخية للكتابات الشاهدية الافريقية (مثال القيروان) الحياة الثقافية، العدد 25، السنة الثامنة، جانفي - فيفري 1983.
61. محمد سويس: نماذج مما قدمه المغرب العربي للعلوم و الحضارة الانسانية، محاضرات الملتقى 13 للفكر الاسلامي، الجزائر، 1979
62. محمد علوات، فوزي بودقة: المدينة الحاضرة، آراء و مفاهيم، مجلة حوليات التاريخ و الجغرافيا، مخبر التاريخ و الحضارة والجغرافيا التطبيقية، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، العدد4، 2011.
63. محمد فؤاد شبل: منهج توينبي التاريخي، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، سلسلة الثقافة، العدد 968، 209.
64. محمد مكويي : المؤسسات التعليمية في العهد الزياني القرن 8هـ / 14م، مجلة الفكر الجزائري، مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي و النقدي، العدد الرابع، الجزائر، 1430هـ / 2009م.
65. محي الدين صفى الدين: خرفة التجارة في تاهرت الرسمية، الناصرية الدراسات الاجتماعية والتاريخية، مخبر البحوث التاريخية والاجتماعية، جامعة معسكر مكتبة الرشاد للطباعة والنشر الجزائر، العدد الرابع، جوان 2013.
66. مسعود خالدي : العلاقات الاقتصادية و الدبلوماسية، بين المغرب الأوسط و السودان الغربي و أثرها على الحياة الثقافية بين القرنين الثاني و الثالث الهجريين، مجلة كان التاريخية، العدد عشرون، جوان 2013.
67. معروف بلحاج: الإنتاج الفكري في عهد الدولة الرستمية، مجلة الفضاء المغاربي، العدد2، مجلة دورية يصدرها مخبر الدراسات الأدبية و النقدية، و أعلامها في المغرب العربي، كلية أبو بكر بلقايد، تلمسان، أبريل 2004.
68. المهدي بوعبدلة : مراكز الثقافة و خزائن الكتب بالجزائر، مجلة الأصالة، العدد 11، أبريل 1972.
69. موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، مكتبة المعصومة بتاهرت هل أحرقت؟ أم نقلت عيونها إلى سدراتة؟ في حوار بني ورجلان؟ مجلة الأصالة، العدد44، 1977.
70. نبيل سليمان: إعادة بث مدينة قسنطينة و دورها التاريخي كعاصمة للشرق الجزائري، حوليات التاريخ و الجغرافي.
71. وداد القاضي: ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، محاضرات ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورجلان 17-26 صفر 1397هـ 06-15 فبراير 1977م، المجلد الرابع، منشورات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، 1984م.
72. وداد القاضي: ابن الصغير، مجلة الأصالة، الملتقى 11 للفكر الإسلامي بوارجلان، العدد45، قسنطينة، 1977.
73. وهراني قدور: التحضيات الدفاعية في بناء المدينة المغربية، مجلة منير للتراث الأثري، مخبر التراث الأثري وتثمينه، جامعة تلمسان، العدد الأول، 2012.

• المعاجم و الموسوعات:

1. أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي، الدولة الأموية و الحركات الثورية و الفكرية خلالها، ج2، مكتبة النهضة الإسلامية، ط9.
2. جمعية التراث: أعلام الإباضية منذ القرن 1هـ إلى العصر الحاضر، مجلد1- 2- 3، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1999.
3. حسن الحسني عبد الوهاب: الآثار الفاطمية بين تونس و القاهرة، في المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، تونس 18- 29 مايو 1953، القاهرة، 1955.
4. ر.بودون و ف.بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1986.
5. علي كبريت : موسوعة التراث الشعبي لتيارت و تيسمسيلت، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
6. مجموعة من اللغويين: المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم، 1989.
7. الموسوعة الفقهية وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالكويت، 1992.

• المواقع الإلكترونية:

1. الموقع: www.univ-tiaret.org 2004- 2005.
2. معجم المصطلحات العلمية و الفنية، تصنيف يوسف خياط، دار صادر، بيروت 1988.
3. بلحاج بن عدون قشار: موقعة مانوا و ما رافقها من أحداث www.ibadhiyah.net
4. مهنا السعدي: الدولة الرستمية دولة جهلها التاريخ، على موقع www.FRWLA.com ، نظر يوم، 11- 02- 2006، 10:45.
5. <http://fr.wikipedia.org/wiki/civili>

• المراجع الأجنبية:

Les ouvrages :

1. (A.L) Hermassi, Etat et société au Maghreb, édition anthropos, 1975 Brahim Zerouki, l'imamat de teher, premier état musulman du maghreb (144/296 de l'hegrie), Tomel, histoire politico-socio-religieuse, publié avec la participation du C.N.R.S, edition l'Haemattan, Pari 1987.

2. **Chikh Bekri** : Le royaume rostemide, Le premier etat Algerien , edition, ENAG, Alger, 2005.
3. (____,____):Le kharijisme berbere, annales de l'institut d'etudes Orientales, Universite d'Alger, tome XV, Alger, 1957.
4. **CRESWELL, K.A.C**,N SHORT ACCOUNT of EARLY MUSLIM ARCHITECTURE ? RENGUIN BOOKS, firsy published , Great Britain, 1958.
5. **D, Goitein**, la tunisie du 11^{ème} siècle à la lumière des documents de la Geniza du caire, dans etudes d'orientalisme dédiées à la mémoire de E.Lévi- provençal, paris, maisonneuve et larose, 1962
6. **D.sourdel et J.sourdel** : La civilisation de l'islam classique, les edition Arthand, paris, 1983, p139.
7. **David POWERS**, fatwas as sources for legal and social history, dans Al Quantara, vol 11, fasc2, 1990
8. **DECRET FRANCOIS / FANTAR Med**, L'Afrique du Nord dans l'anitiquité, des origines au Vsiècle, Payot, Paris 1981.
9. **DESOIS , jean** Tunisie Orientale Sahel et Basse Steppe, P.U.F, Paris 1995.
10. **DJAÏT , Hichem** , La wilàya d'Ifriqiya au Ile/VIIIe siècle : étude institutionnelle, STUDIA ISLAMICA, N° 27, p77-121 et N°28, p79-107, Maisonneuve, paris 1967 et 1968.
11. **Dominique sourdel et Jamine sourdel** : La civilisation de l'Islam classique, les edition Arthand, paris, 1983.
12. **Dominique Sourdel** : reflexims sur la diffusion de la madrasa en orient du 11^{ème} et 12^{ème} siècle in l'enseignement en islam et on orient en moyen age, Colloques internationaux de la Napoule, paris 1977.
13. **Emile Felix Gautier**:le passe de l'afrique du nord:les siecles obscurs,edition payot, paris,1964.
14. **Ernest Mercier** : histoire de L'afrique septentrionale (berbèris) depuis les temps les plus recules jusqu a la conquete Française, T1, Ed Ernest leroux, 1888.

15. **Fournel (H)** : Etude sur la conquête de l'Afrique de Nord par les arabes, Paris, 1927
16. **Fournel(H)**:les berberes, etudes sur conquete de l'afrique du nord par les arabes,paris,1927.
17. (____,____), Funéraire berbères de la région de frenda O.P.U.1983.
18. **G ssel**, histoire ancienne de l'afrique du nord, otto zell en velag, osnabauck 1972, tome5
19. **George Marcais** :L'architecture Musulmane d'occident , Paris, 1955.
20. (____,____) :la berberie Musulmane et l'orient au moyen age, Paris, 1946.
21. (____,____), Fouilles à Abassiya, près de kairouan, Bulletin archéologique, 1952.
22. (____,____), les FAIENCES à relfets métalliques de la grande mosquée de Kairouan, Libraire Orientaliste Paul GEUTHNER, Paris 1928.
23. (____,____), Manuel d'art musulman, éditions Auguste PICARD, Paris 1926.
24. (____,____), Tunis et Kairouan, Librairie Renouaed, H.Laurens, Paris 1937.
25. **Gibb HAMILTON**, A.R, studies on the civilisation of Islam, edeted by stanford j.shard and william R, pork london 1969
26. **Golvin, Lucin**, Essai sur l'architecture religieuse musulmane, T.III, edition KLINCKSIECK, Paris 1974.
27. **GRABAR, Oleg**, La formation de l'art islamique, Flammarion, Paris 1987.
28. **Guichard (p)**, structures sociales et orientales et occidentale dans l'Espagne musulmane, paris, 1977.
29. **HARRAZI, Nourreddine**, Chapiteaux de la grande Mosqué de Kairouan, I.N.A.A, Tunis 1982.
30. **Henri Laoust**: Les schismes dans l'islam, edition payot, paris, 1965.
31. **J. SHACHT**, introduction au droit musulman, trad. Paul Kempt et Abdel Magid turki, paris, 1983
32. **Levi. Provençal** : Histoire d'Espagne Musulmane, Ed. G.p, Maisonneuve, Paris, 1950, T.Lewicki.

33. **LEWIKI Tadeuz**, traits d'histoire du commerce transsaharien, Marchands et missionnaire ibadites en Soudan occidental au courdes 8- 12ème siècle, ethno-
gra fia wroclan- wars3awa krakow polska, 1964
34. **LEZINE , Alexandre, et SEBAG**, Sur la population des villes africaines, Anti-
quités africaines, T.3, 1969.
35. **LEZINE , Alexandre**, Architecture de L'IFRIQIYA, Librairie C.KLINCKSIECK,
1966.
36. **LIVE-PROVENCAL, E**, Un nouveau récit de la conquête de l'Afrique du Nord
par les Arabes, ARABICA, Année 1954, E.J.BRILL, LEIDEN 1954.
37. **Louis Gardet** : Les hommes de L'islam, edition hachette, 1971.
38. **M.Fabre** : note sur la ville romain de tiaret, société géographique
d'archéologie la province d'oran, fondée en 1878, tome22, 1902.
39. **MAHFOUDH, Faouzi**, la ville de Sfax : recherches d'archéologie monumen-
tale et évolution urbaine,Thèse sous la direction de Mme janine sourdel – Tho-
mine, Paris IV, 1988.
40. **MAHFOUDH, Faouzi**, les sources Arabes et l'Architecture Musulmane de
l'IFRIQIYA (VIII-XIIe se), Textes et contextes, F.S.H.S, Tunis 2000.
41. **MAHJoubi ,Ammar**, « Nouveau téloignage épigraphique sure la commu-
nauté chrétienne de kairouan au XLe, Africa, I, 1966, p85-96.
42. **MAOUDOUD, Khaled**,kairouna, inivtovié de la ville et de ses inonuments,
Agence Nationale du Patrimoine, 1991.
43. **Mas.latrie** : traités de prix et de commerce et document divers concernant
les relations chretiens avec les arabes de l'Afrique septrionale au moyen age,
paris 1872.
44. **Moderan, yves**, létablissement des vandales en afrique, in antiquités tar-
dives, 10, 2002
45. **Pellegrin .A** : Essai Sur Les Noms des Lieux D'Algerie, place de la sorbonne,
paris, 1972.

46. POINSSOT, P. et ROY,B, Inscription arabes de Kairouan, Paris 1950.
47. **Rachid bouruiba**, Cites disparues, Taher, Sedrata, Achir, Klaa des béni-Hammad, Art et culture, Ministère de l'information, Alger.
48. **RAMMAH, Mourad**, « Kairouan » in « IFRIQIYA : siècles d'Art et d'Architecture en Tunisie » DEMETER Tunis 2000 p151-167.
49. **Robert Conevin**: histoire de l'afrique de,tome1desorigines au XVI siecle,nouvelle edition.
50. **Sabag, paul**, la Grande Mosquée de Kairouan, Paris 1963.
51. **SOLIGNAC** , Marcel, Remarques de méthode sur l'Etude des Installations Hydrauliques, Ifriqiennes au Haut Moyen-Age, C.T, N°74-48, 12^e année, 3^e et 4^e trimestres 1964, p 25-36.
52. **Strabon**, géographie, traduction amédée tandiew, 2^{ème} édition, paris, hachette, 1894, tome3, livre 14
53. **TALBI Mohammed**, Etudes d'Histoire Ifriqienne et de la civilisation médiévale musulmane, Publications de l'Université de Tunis, 1982.
54. (____,____), quelque donnés sur la vie sociale on occident musulman d'après un traité de Hisba du xve siecle, ARABICA, 1954,p.294-306.
55. **Tribuzi.s et autres** : Les places fortes de L'Algerie mediévale, centre de recherche en architecture et en urbanisme, Alger, 1978- 1979.

Les thèses :

1. **(S.D) Goitein**, Mediterranean trad in the eleventh century, some facts and problems, in studies in the economic history of the middle east, edited by M.A Cook, London, 1957
2. **(Y)Moderan**,Debellis libycis et bysantins en Afrique du 6^{ème} siècle, these de doctorat d'histoire, université de paris 5, Nauterre 1990, place de la sorbonne, paris, 1972

3. **Dangel.G** : L'imama Ibadite de tahert (781-909) these de doctora 3^{eme} ciècle universite des science humaines starsbourg 1977.
4. **Triki, Fathi**, l'esprit historien dans la civilisation arabe et islamique, Faculté. Des Sciences Humaines et Sociales, M.T.E, Tunis, 1991.
5. **Wiliam Didier** :Recherches sur quelques grande Mosques du M'zab et du sahel central, Etude realisee dans le cadre d'un D.E.A en Etudes Islamiques, Institut D'histoire de l'art et archeologie, paris, IV – Sorbonn, Annee Academique 1990- 1991.

Les revues et les anaales :

1. **Andre negre**, :la fin de l'etat rostumide, revus d'histoire et de civilisation du magureb, faculte des lettres d'Alger, 1967.
2. **Brahim Fekhar** : Les institution Ibadites Magrebines Au Moyen- age, Actes 3^{eme} cingres D'Histoire et de la Civilisation du Maghreb, Oran, 26-27 Novembre 1983.
3. **DJAIT , Hichem** , L'Afrique arabe au VIIIe siècle, Annales E.S.C , N° 3,28^e année, mai-juin 1973, p601-621.
4. **George Marcais et Dessus Lamar** : Tahert Tagdamt, Revue Africaine, tome XI , 9^{eme} année, Alger, 1946.
5. (___,___), recherche d'archeologie musulmane, Tihert-Tagdempt (Aout-septembre 1841) in **revue africaine** n 90, 1946
6. **J-canal**, Tiaret monographie ancienne et moderne bulletin de la societe de geographie et d'archeologie de la province d'Oran (B.S.G.A.O), Tome 20,1900.
7. **LEZINE , Alexandre, et SEBAG, Paul**, Remarques sur l'hstoire de la Grande, Mosquée de Kairouan, I.B.L.A, 25^e Année N°99,3^e trimestre 1962
8. (___,___), Notes d'Archéologie ifriqienne, Rrvue des Etudes Islamiques, N°35, paris 1967.

9. **M'CHAREK, Ahmed** , Dezama à Kairouan, La thusca et la Gamonia, Frontière et limites géographiques de l'afrique du nord antique, in hommage a pierre salama, actes de la table ronde réunies a paris les 2 et 3 mai 1997, publications de la sorbonne 1999
10. **P. Cadenat**, recherche a Tihert-Tagdemt 1958-1959 in bulletin d'archeologie Algerienne, Tome VII, Fas II 1977-1979, P : 394. **CAMBUZAT, Paul-Louis**, L'évolution des cités du Tell en Ifrikiya du VIIe au Xie siècle, 2T. office des publications universitaires, Alger, sans date.
11. (____,____), recherche à Tihert Tagdemt, Bulletin d'archeologie Algerienne, T. VII, 1977- 1979.
12. **Robert Mamtran** : L'expansion Musulmane VII-XI siècle , presses universitaires de France , 1^{ere} edition.
13. **SOLIGNAC, Mercel**, Recherches sue les installations hydrauliques de Kairouan, Annales de l'Institut des Etudes Orientales TX, Alger 1952.
14. **TALBI Mohamed**, droit et économie en Ifriqiya au 3ème/ 4ème siècle, études d'histoire ifriqienne et de la civilisation musulmane médiévalen tunis, 1982
15. (____,____), intérêt des œuvres guridiques traitant de la guerre pour l'historien des armées médiévales ifriqienne, Cahiers de tunisie, n° 15, 3ème trimestre, 1956
16. (____,____), Les courtiers en vêtements en Ifriqiya au 9- 10^{ème} siècle d'après les Masa'il al- samasira d'al- ibyani, Etudes d'istories ifriqienne, publication de l'université de tunis, 1982

Les encyclopédies et les dictionnaires :

1. **Alein Rey**, dictionnaire historique de la langue française, dictionnaire Robert, tome 1, paris 1992,
2. **G.pascal** : Nouvelle Encyclopédie Bordas, T.2,Ed, Bordas, paris, 1985.

فهرس الأعلام

أ

- أبا الأسود موسى القطان 528 ,
 أبا الربيع سليمان بن سالم الكندي القطان 350 ,
 أبا العباس السفاح 47 ,
 أبا ربيع سليمان بن علي بن يخلف 639 ,
 أبان بن الصمصامة بن الطرماح 565 ,

ا

- ابراهيم ابن غانم 138 ,
 ابراهيم اسحاق بن نعمان 560 ,
 ابراهيم الدميني المتعبد 144 ,
 ابراهيم الزاهد الأندلسي القيرواني 322 ,
 ابراهيم الكوفي 308 ,
 ابراهيم بن أبي الأغلب 150, 418, 423 ,
 ابراهيم بن أبي مسلم 560 ,
 ابراهيم بن أحمد الأغلي 284 ,
 ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب 251 ,
 ابراهيم بن الأغلب 52, 110, 130, 150, 168, 189, 192, 239, 240, 241, 243, 244, 245, 247, 249, 257, 321, 354, 393, 398, 414, 417, 418, 426, 432, 433, 436, 497, 537, 545, 569, 572, 573, 673, 700, 725, 726, 755
 ابراهيم بن حبشي 418 ,
 ابراهيم بن عبد الرحمن التنسي 628 ,
 ابراهيم بن قطن المهري 566 ,

- ابراهيم بن محمد الضبي 423, 560 ,
 ابراهيم بن مسكين 462, 753 ,
 ابراهيم بن يونس الحشاش 425 ,
 ابن أبي دريس 633 ,
 ابن أبي روح 560 ,
 ابن البناء المراكشي 655 ,
 ابن الحداد 545, 567 ,
 ابن الصباغ 560 ,
 ابن القباس ابن فرحون 463 ,
 ابن بصال الأندلسي 305 ,
 ابن عاصم اللؤلؤي 567 ,
 ابن عباس 3 ,
 ابن عمر الأزدي الفراهدي 606 ,
 ابن غانم القاضي 438 ,
 ابن وردة 220, 226, 452, 460, 464, 733 ,
 750

أ

- أبو ابراهيم أحمد بن أبي العباس 249 ,
 أبو ابراهيم بن الأغلب 131, 184 ,
 أبو الأسود الدؤلي 632, 640 ,
 أبو البشير زيد بن بشير الأزدي المصري 664 ,
 أبو الحسن الدارقطني 592 ,
 أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري 49, 60 ,
 606
 أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي 626 ,
 أبو الربيع سليمان بن عمران 546 ,
 أبو الربيع سليمان بن موسى 380 ,
 أبو السميذع 567 ,

- أبو العباس ابن السندي 560 ,
أبو العباس إسحاق بن ابراهيم الأزدي 399 ,
أبو العباس الضرير 166 ,
أبو العباس بن عبدون 546 ,
أبو العباس عبد الله أحمد بن طالب 560 ,
أبو العباس عبد الله الأول 247 ,
أبو العباس عبد الله الثاني 255 ,
أبو العباس محمد الأول بن الأغلبن ابراهيم 249 ,
أبو العباس محمد بن حيون المعروف بالبريدي 571 ,
أبو الغرائق 251 ,
أبو الغصن نفيس السوسي 406, 422 ,
أبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن التيهري 649 ,
أبو الفضل عباس بن محمد العواف الغدامسي 627 ,
أبو المنيب يانس 380 ,
أبو الموفق سعدوس بن عطية 274, 629 ,
أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهري 566 ,
أبو اليقظان محمد بن أفلح 280, 769 ,
أبو بكر بن أفلح 279, 653, 758 ,
أبو بكر محمد بن اللباد 142 ,
أبو بكر محمد بن محمد اللباد الفقيه 425 ,
أبو بلال مرداس بن حدير التميمي 59, 601 ,
أبو جعفر أحمد بن زياد 560 ,
أبو جعفر أحمد بن موسى التمار 560 ,
أبو جعفر أحمد بن نصر الهواري 666 ,
أبو جعفر المنصور 19, 49, 98, 189, 237 ,
266, 267, 273, 416, 452, 496
أبو جعفر بن خيرون 166 ,
أبو حاتم يوسف بن محمد 282 ,
أبو حبيب نصر الرومي التونسي 406 ,
- أبو حسان عامر بن عاصم السدراقي 627 ,
أبو حميد دواس اللهيبي 286 ,
أبو خليل نصال الدركلي 380 ,
أبو داود القبلي النفزاوي 606 ,
أبو ذر إبان بن وسيم 631 ,
أبو زكرياء الهرقلي 670 ,
أبو زكرياء يحيى بن سليمان الخراز الحفري 588 ,
أبو زمعة البلوي 397, 483 ,
أبو سعيد بن غورك 567, 673 ,
أبو سعيد بن محمد التيمالي 141 ,
أبو سليمان النحوي 556 ,
أبو سهل النفوسي 630, 639 ,
أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان 536 ,
أبو عبد الله البجلي محمد بن علي 560 ,
أبو عبد الله الصنعاني 257 ,
أبو عبد الله القيسي الغرناطي 5 ,
أبو عبد الله بن يزيد المعافري 484 ,
أبو عبد الله عكرمة 528 ,
أبو عبد الله محمد بن أحمد السوسي 407 ,
أبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق 143 ,
أبو عبد الملك المهري ابن قطن 640 ,
أبو عبيد القاسم بن سلام 632 ,
أبو عبيد الله الشيعي 286, 290, 586 ,
أبو عبيدة الأعرج 521, 624, 629, 630, 641 ,
أبو عبيدة بن عقبة 46 ,
أبو عبيدة عبد الحميد الحناوي 659 ,
أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة 604 ,
أبو عثمان سعيد بن محمد 142, 545 ,
أبو علي الضرير 166 ,

أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال الأثع 515 ,
 أبي حنيفة , 531, 510, 494, 493, 492, 82 ,
 534, 536, 537, 541, 546, 547, 549,
 551, 635
 أبي خفاجة محمد بن اسماعيل 251 ,
 أبي راشد نافع بن الأزرق الحنفي 62 ,
 أبي زمعة 181, 144, 143 ,
 أبي عبد الرحمن الحبلي 143 ,
 أبي عبد الله الأعرج 463 ,
 أبي عبد الملك عثمان بن المثني القيسي القرطبي 684 ,
 أبي عبيد الله الشيعي 514 ,
 أبي عبيدة الأعرج التيهري 380 ,
 أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي 264 ,
 أبي علي القالي 628 ,
 أبي عياش الفقيه 144 ,
 أبي غانم بشر بن غانم الخرساني 613 ,
 أبي غانم بشير الخرساني 631 ,
 أبي غانم بشير بن غانم الخرساني 659 ,
 أبي محمد عبد الله بن بكر بن سابق الكلاعي 684 ,
 أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز القرشي 538 ,
 أبي مسلم الخرساني 50, 19 ,
 أبي موسى الأشعري 529 ,
 أبي نوح سعيد بن زنجيل 629 ,
 أبي هريرة رضي الله عنه 86 ,
 أبي يحيى أبي القاسم الفرستائي 684 ,
 أبي يزيد مخلد بن كيداد 293, 149 ,
 أبي يونس وسيم النفوسي 377 ,
 أتخفه 25 ,

أبو قاسم سدرات بن الحسن اليعقوبي 631 ,
 أبو قدامة بن يزيد اليفريزي 629 ,
 أبو قرة اليفريزي الصفري 50 ,
 أبو محرز محمد بن عبد الله 536 ,
 أبو محمّد المكفوف 567 ,
 أبو محمد المكفوف النحوي 566 ,
 أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي 484 ,
 أبو منصور مولى سعد بن أبي وقاص 528 ,
 أبو موسى الأشعري 88 ,
 أبو يزيد مخلد بن كيداد 680 ,
 أبو يسر الكاتب 572 ,
 أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراني 629 ,
 أبي ابراهيم أحمد بن أبي العباس محمد 191 ,
 أبي اسحاق ابراهيم بن أحمد الجبنياني 147 ,
 أبي إسحاق ابراهيم بن حسن المعافري 542 ,
 أبي اسحاق الفارسي 228 ,
 أبي الأزهر الهواري 715 ,
 أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري , 265,
 382, 612, 650
 أبي الفضل عباس السدري 165 ,
 أبي المهاجر دينار 24, 23 ,
 أبي اليقظان بن أفلح 650, 509 ,
 أبي أيوب سليمان بن يسار 498, 480 ,
 أبي بكر بن أبي عقبة 146 ,
 أبي بكر محمد بن عرفة القيرواني 218 ,
 أبي جعفر أحمد بن أبي سليمان داود الصواف 144 ,
 أبي جعفر القصري 147 ,
 أبي حاتم يوسف بن محمد بن أبي يقظان بن أفلح 652 ,
 أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح 625 ,

أ
 أسد بن الفرات, 146, 244, 393, 420, 486,
 493, 494, 499, 508, 535, 536, 537,
 540, 549, 550, 559, 665, 670, 671
 أسلم, 41, 42, 44, 55, 59, 113, 155,
 157, 178, 487, 496, 516, 684, 698,
 717

ا
 اسماعيل بن أبي المهاجر, 407,
 اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقي بن علي زيد
 العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب, 513,
 اسماعيل بن درار الغدامسي, 625,
 اسماعيل بن رباح, 142, 323, 356, 409, 442,
 528, 529, 596

اسماعيل بن عبد الله الأعور, 484,
 اسماعيل بن عبيد الأنصاري, 141, 174, 183,
 432, 484
 اسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر, 532,
 اسماعيل به رباح, 729,
 اسماعيل تاجر الله, 301, 358, 396, 532

آ
 آشور بانيبال, 75

أ
 أفصح بن العباس, 284, 377, 460,
 أفصح بن عبد الوهاب, 229, 231, 249, 278,
 279, 280, 380, 388, 390, 457, 471,

أ
 أحمد بن ابراهيم المعروف بابن الجزائر, 587,
 أحمد بن الأغلب, 286, 538, 557, 574, 758,
 أحمد بن الجزائر, 332,
 أحمد بن حمزة الحرون, 419,
 أحمد بن خنزير, 259,
 أحمد بن زياد الفارسي, 528,
 أحمد بن سوادة التميمي, 672,
 أحمد بن فتح المعروف بابن خراز التاهري, 648,
 أحمد بن مغيث بن أبي الأزهر, 528,
 أحمد بن موسى بن جرير الأزدي, 399,
 أحمد بن يحيى بن طيب المتطبب, 332, 423,
 أحمد محمد ابن شهر, 560

إ
 إدريس بن عبد الله, 513, 515, 675

أ
 أروى ابنة عبد الرحمن بن رستم, 678,
 أروى أم موسى, 727

إ
 إسحاق الطائونة, 144, 166,
 إسحاق بن أبي عبد الملك الملقب بالملشوني, 581,
 إسحاق بن سليمان الإسرائيلي, 332, 411, 585,
 586, 587

إسحاق بن عمران, 254, 332, 411, 415, 584,
 585, 586, 587, 589, 599, 664
 إسحاق بن محمد بن عبد الحميد, 513

297, 347, 475, 492, 513, 526, 593,
 595, 608, 619, 621, 690, 752
 , الزركشي 729
 , السيوري 168
 , الشافعي 82, 139, 492, 507, 510, 531,
 545, 550, 560
 , الطزري 567
 , العباس بن أحمد بن طولون 761
 , العمشاء 560
 , الفراء 427, 559, 565
 , الفزاري 560
 , الفضل بن سالم البجائي 628
 , القمودي 560
 , الليث بن سعد 244, 245, 426, 494, 495,
 497, 508, 535, 549
 , المأمون 51, 325, 390, 490, 516, 553,
 556, 569, 573, 574, 583, 584, 597,
 663, 758
 , المتوكل 281, 760
 , المعز بن باديس الصنهاجي 189
 , المعمر بن سنان التميمي 578
 , المغيرة بن أبي بردة 176, 417, 423
 , المنصور بن نصر الطنبذي 189
 , النعمان بن حمير بن سبأ 14
 , الوليد بن عبد الملك 32, 42, 128, 135, 403,
 488
 , اليسع بن أبي القاسم 678, 679
 , اليقظان بن أبي اليقظان 284, 286, 290

502, 504, 615, 617, 620, 624, 626,
 630, 639, 642, 650, 653, 656, 681,
 682, 725, 742, 743, 748, 750, 758,
 760
 |
 , الأغلبن بن سالم التميمي 192, 238
 , الأغلبن بن سالم بن عقال التميمي 49, 50
 , الأغلبن بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي 240
 , الأقرع بن بكار 147, 157, 159
 , الأمير عبد القادر 196, 197, 207, 225, 686,
 743
 , البهلول بن راشد 142, 180, 240, 242, 321,
 407, 420, 494, 533, 535, 537, 538,
 549, 564
 , الجعثل بن هاعان 527
 , الحجاج ابن يوسف الثقفي 3
 , الحجاج بن يوسف الثقفي 603
 , الحزقن 567
 , الحسن البصري 515, 516, 620
 , الحسن بن أحمد بن علي بن كليب المعروف بابن أبي خنزير ,
 258, 720
 , الحسن بن جرب الكندي 50
 , الحسن بن محمد القلانسي 323
 , الحسن بن منصور المنحجي 582
 , الخليل بن أحمد الفراهدي 632
 , الربيع بن حبيب 606, 630
 , الرسول صلى الله عليه و سلم 69, 79, 80, 81,
 82, 83, 84, 85, 86, 87, 97, 135,

حسان بن النعمان, 29, 30, 34, 35, 37, 38,
40, 41, 128, 143, 150, 152, 159,
160, 236, 297, 352, 399, 405, 416,
553, 563, 699

حماد بن يحيى السجلماسي, 422,
حمدون النحوي, 566, 567,
حمدون النحوي (المعروف بالنعجة, 566),
حنش الصنعاني, 26,
حنش بن عبد الله الصنعاني, 143, 175, 353, 430

خ

خالد بن يزيد الفارسي, 422,
خفاجة بن سفيان, 418,
خلف الطرابلسي, 567,
خلف الفتى, 418

د

داورد القبلي النفاوي, 625,
داوود عليه السلام, 14,
دحمان بن معاني, 331,
دعبل الخزاعي, 644, 646

ر

راشد الأسود, 418,
رياح بن يزيد بن رياح اللخمي, 180,
ربيع القطان, 147, 423,
رسول الله صلى الله عليه وسلم, 57, 69, 85, 483,
رملة بنت الحارث الأنصارية, 85

أ

أم الربيع, 39,
أم الربيع الوريورية, 659

ب

بشر بن أرطأة, 404,
بشر بن صفوان الكلبي, 42,
بكر بن حماد, 282, 365, 407, 422, 463,
631, 645, 647, 648, 667, 675, 677,
683, 685, 757, 766, 769

بكر بن سواده بن ثمامة الجذامي, 484,
بن أبي نصر, 142,
بن عطف الأزدي, 47

ث

ثابت الصنهاجي, 47

ج

جابر بن زيد الأزدي, 602, 606, 631, 632,
685
جالوت, 14,
جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة الصديفي, 399,
جميل بن كريب, 728

ح

حبيب بن أبي عبدة بن عقبة, 358,
حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة, 417,
حبيب بن نصر بن سهيل التميمي, 399,
حسان بن أبي جبلة القرشي, 484

س

ساباط ابن العزبي 156, 159 ,
 سحنون, 123, 125, 141, 142, 144, 159,
 161, 162, 165, 168, 178, 179, 181,
 182, 185, 190, 239, 243, 249, 298,
 301, 304, 306, 307, 308, 309, 311,
 315, 316, 319, 320, 324, 325, 326,
 328, 329, 331, 332, 333, 337, 339,
 340, 342, 345, 346, 347, 349, 350,
 355, 356, 357, 359, 399, 402, 407,
 409, 410, 411, 413, 419, 420, 424,
 425, 429, 432, 433, 434, 437, 438,
 443, 486, 492, 494, 499, 507, 508,
 509, 510, 526, 528, 529, 530, 532,
 533, 535, 537, 538, 539, 540, 541,
 542, 543, 544, 545, 546, 547, 548,
 549, 551, 554, 556, 557, 559, 560,
 571, 573, 576, 581, 582, 588, 589,
 591, 592, 593, 594, 595, 596, 611,
 626, 631, 632, 664, 665, 666, 668,
 669, 671, 672, 675, 729, 750, 752,
 758, 766, 768
 سعد بن العاص 84 ,
 سعدون الوريحي 577 ,
 سعيد البكاء 166 ,
 سعيد بن الحداد 147, 499, 557, 560, 567,
 سعيد بن حبيب التنوخي, 399, 507, 530, 537,

542

روح بن حاتم, 51, 148, 149, 180, 239,
 273, 277, 415, 416, 440, 444, 534,
 565, 760, 761

روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب 51 ,
 رويغ بن ثابت الأنصاري 141, 395 ,

ز

زرارة بن عبد الله 327 ,
 زرعة بن أبي مدرك 417 ,
 زكريا بن بكر بن أحمد الغساني 683 ,
 زهير بن قيس البلوي 27, 24 ,
 زياد بن أبي سفيان 133 ,
 زياد بن الأصفر 63 ,
 زياد بن أنعم المعافري 144, 535 ,
 زياد بن خلفون المتطبب 332 ,
 زيادة الله, 130, 133, 137, 138, 151, 182,
 185, 186, 189, 193, 239, 244, 247,
 248, 249, 250, 255, 256, 257, 259,
 286, 324, 342, 354, 390, 393, 396,
 411, 413, 414, 415, 417, 445, 498,
 517, 536, 544, 556, 558, 569, 573,
 574, 575, 582, 584, 585, 586, 665,
 673, 702, 725, 729, 740, 755, 758

زيد بن بشر 420 ,

زيد بن سنان 182, 298, 322, 323 ,

زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط 513 ,

زيديت الملوشية 660 ,

ع

عابد بن سواده 157 ,
 عباد بن عبد الصمد التميمي 420 ,
 عباس بن عيسى 560 ,
 عبد الجبار السري 142 ,
 عبد الحميد الفزائي 684 ,
 عبد الخالق بن عبد الوارث 542 ,
 عبد الرحمن الفهري 359, 571 ,
 عبد الرحمن بن القاسم 508, 540, 541, 543 ,
 عبد الرحمن بن أنعم 536 ,
 عبد الرحمن بن حبيب 46, 47, 48, 52, 129 ,
 162, 188, 358, 405, 409, 728
 عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن حبيب الفهري ,
 46
 عبد الرحمن بن رافع التنوخي 423, 484 ,
 عبد الرحمن بن رستم 10, 49, 50, 61, 91, 134, 195, 207, 208, 210, 211, 215, 217,
 260, 261, 262, 263, 264, 265, 266,
 267, 268, 269, 270, 271, 273, 274,
 275, 276, 361, 370, 371, 373, 374,
 375, 448, 450, 457, 461, 463, 467,
 472, 473, 501, 509, 511, 600, 605,
 611, 616, 617, 650, 652, 654, 658,
 676, 678, 681, 682, 696, 707, 708,
 716, 719, 724, 725, 726, 736, 739,
 746, 747, 749, 750, 751, 760, 761,
 767, 768

سعيد بن واشكل التيهري 648 ,
 سفيان الثوري 492, 494, 535, 548, 551 ,
 سفيان بن عيينة 492 ,
 سكر بن صالح الكتامي 629 ,
 سلمان الفارسي 86 ,
 سلمان بن عصفور الفراء 560 ,
 سلمة بن سعيد 61, 263, 264 ,
 سليم 15, 57, 151, 508, 536, 706, 717 ,
 سليمان ابن عبد الملك 488 ,
 سليمان بن زرقون 626, 652, 680 ,
 سليمان بن عبد الملك عبد الله بن موسى بن نصير 33 ,
 سليمان مولى محمد بن عبد الله 652 ,
 سواده بن محمد بن خفاجة التميمي 418 ,

ش

شروس 469, 654 ,
 شقران بن علي 180, 588 ,
 شقران بن علي الهمداني 180 ,

ص

صالح بن جنون بن بصريان 289 ,
 صالح عليه السلام 69 ,
 صقلاب بن زياد الهمداني 180 ,

ط

طارق بن زياد 3, 33, 38 ,
 طاووس بن كيسان 492 ,
 طلق بن حيان الفارسي 484 ,

عبد الله بن الزبير, 62, 114, 144, 156, 179, 569
 عبد الله بن الصفار, 63
 عبد الله بن اللمطي, 521, 636
 عبد الله بن المغيرة الكوفي, 174, 421
 عبد الله بن سعد, 103, 114, 128, 144, 152, 182, 527
 عبد الله بن سعد بن أبي سرح, 144, 182
 عبد الله بن سهل القبرياني, 159, 182, 407, 672
 عبد الله بن طالب التميمي, 329
 عبد الله بن عامر, 88
 عبد الله بن عباس, 57
 عبد الله بن عبد الله بن نافع, 543
 عبد الله بن عقيب على كتامة, 268
 عبد الله بن عمر بن غانم الرعيبي, 180
 عبد الله بن غانم, 168, 397, 402, 419, 438, 534, 536, 537, 549, 565, 567
 عبد الله بن فروخ, 298, 420, 492, 493, 495, 533, 536, 549, 551, 669
 عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ, 626
 عبد الله بن مسلم بن قتيبة, 630, 641
 عبد الله بن وهب, 58, 59, 495
 عبد الله بن وهب الراسبي, 58, 59
 عبد الله بن يزيد الفزاري, 636
 عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي, 175
 عبد الله بن يزيد المقرئ, 664
 عبد الملك بن أبي الجعد, 48
 عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي, 49
 عبد الملك بن الضبي, 560

عبد الرحمن بن زياد, 180, 421, 424, 491, 494, 535, 544, 548, 551, 566, 567, 584
 عبد الرحمن بن زياد بن أنعم, 180, 491, 535, 544, 551
 عبد الرحمن بن عوف, 85
 عبد الرحيم الرعيبي, 170, 421
 عبد السلام بن سعيد, 507, 530, 537, 542
 عبد العزيز بن الأوز, 463, 521, 625, 629, 685
 عبد العزيز بن مروان, 32, 40
 عبد العزيز بن يحيى الرعيبي, 664
 عبد العزيز بن يحيى المدني, 420, 543
 عبد العزيز بن يحيى المدني الهاشمي, 420
 عبد الله ابن العباس, 527
 عبد الله الشيعي, 255, 256, 258, 286, 287, 288, 290, 352, 476, 517, 613, 656, 679, 720, 768
 عبد الله اللمطي, 463
 عبد الله بن ابراهيم, 353, 448, 529
 عبد الله بن أبي حسان, 142, 165, 169, 180, 249, 340, 396, 421, 447, 543, 544, 549, 567, 575, 579
 عبد الله بن أبي حسان اليحصبي, 142, 165, 180, 249, 340, 396, 421, 543, 544, 549, 567, 575, 579
 عبد الله بن أحمد بن طالب, 346, 347, 350, 354, 545
 عبد الله بن الأشج, 560
 عبد الله بن الخير, 625, 658

- عكاشة الفزازي 715 ,
 عكاشة بن أيوب الفزازي 45, 61 ,
 علي ابن إسحاق بن عمران 332 ,
 علي بن أبي طالب 3, 53, 55 ,
 علي بن حضرمي 567 ,
 علي بن رباح اللخمي 143, 175 ,
 علي بن زياد 420, 535, 537, 540, 541 ,
 550, 555, 757
 علي بن ظفر العراقي 331 ,
 علي بن عبد الله القطان 307 ,
 علي بن محمد الربيعي المعروف باللخمي 542 ,
 علي بن منصور الصفار 560 ,
 علي بن يونس الليثي 664 ,
 علي كرم الله وجهه 3, 18, 54, 55, 57, 58, 59 ,
 عمر بن الخطاب 14, 19, 87, 94, 107, 121, 122, 153, 155, 157, 180, 243, 382, 397, 415, 483, 488, 591 ,
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه 87, 94, 382, 488 ,
 عمر بن عبد العزيز 61, 128, 134, 174, 176, 236, 394, 420, 423, 483, 487, 488, 489, 490, 527, 532, 604, 605, 653, 684 ,
 عمر بن عبد الله المرادي 44 ,
 عمران بن حطان 639, 646 ,
 عمران بن حطان الشاعر 639 ,
 عمران بن مجدالد 189, 419 ,
 عمران بن مروان الأندلسي 274, 453, 629 ,
 عمرو بن العاص 22, 88, 113, 122, 153, 163, 175, 191, 483, 547 ,
 عبد الملك بن مروان 27, 29, 30, 31, 89, 301, 515, 563, 601, 602, 607 ,
 عبد الواحد الهواري 336, 715 ,
 عبد الواحد بن يزيد الهواري 45 ,
 عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم 761 ,
 عبد الوهاب بن عبد الرحمن 195, 260, 262, 274, 275, 380, 501, 617, 619, 634, 657, 681, 734 ,
 عبيد الله بن الحبحاب 44, 47, 61, 237, 407, 416, 417, 663, 738 ,
 عبيدة بن عقبة 417 ,
 عبيدة بن عبد الرحمن السلمي 43 ,
 عتبة بن غزوان 87 ,
 عثمان ابن عفان 261 ,
 عثمان ابن مروان الأندلسي 385 ,
 عثمان رضي الله عنه 55 ,
 عجيسة 15 ,
 عدنان 15 ,
 عذرة 85 ,
 عروة بن الوليد الصديقي 47 ,
 عطاء بن أبي رباح 492 ,
 عطية بن الأسود الحنفي 62, 63 ,
 عقبة بن الحجاج السلولي 44 ,
 عقبة بن نافع 5, 21, 22, 23, 24, 25, 38, 40, 46, 89, 92, 103, 105, 111, 113, 114, 116, 117, 120, 126, 128, 130, 147, 150, 155, 178, 200, 202, 203, 205, 208, 237, 358, 416, 481, 483, 525, 581, 594, 715, 717, 736

قيصة بن المهلب 50, 267, 273, 760
 قتيبة الجعفي النحوي 565 ,
 قتيبة بن مسلم 22 ,
 قتيبة بن مسلم الساهلي 22 ,
 قيس غيلان 14 ,

ك

كلثوم بن عياض 44, 45, 46, 52, 159
 كلثوم بن عياض القشيري 45 ,

ل

لواب بن سلام بن عمر 650 ,
 لواب من سلام التوزري المزاتي 620 ,

م

مازيغ بن كنعان 14 ,
 ماطوس بن هارون 627 ,
 مالك بن أنس 243, 421, 493, 507, 516,
 535, 538, 543, 544, 548, 549, 683,
 686

مجاهد الشركاء 560 ,
 مجبر بن ابراهيم بن سفيان 418, 441 ,
 مجبر بن سفيان 576, 672 ,
 محكم الهواري 380, 462, 521, 620, 621,
 626, 629, 725, 751
 محمد ابن زرزور 567 ,
 محمد الرقادي 560 ,
 محمد العنقل 166 ,
 محمد المعروف بالعقق 567 ,

عمرو بن حفص الصفري 416 ,
 عمرو بن حفص بن قبيصة بن أبي صفرة الأزدي 50 ,
 عمرو بن يانس 380 ,
 عمروس بن فتح المساكني النفوسي 625 ,
 عون بن يوسف الخزاعي 142, 181, 298, 422,
 551

عياش بن أخيل 417 ,
 عياض بن عوانة الكلبي 565, 567 ,
 عيس 151 ,
 عيسى بن عجلان الخرساني 49 ,
 عيسى بن فرناس النفوسي 625, 629 ,
 عيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر 582 ,
 عيسى بن مسكين 147, 350, 422, 543, 576,
 عيسى بن موسى الخرساني 238 ,

غ

غلبون 147, 418, 574, 575 ,
 غلبون بن الحسن بن غلبون 147, 574 ,
 غنم 151, 340, 359, 707, 730 ,
 غيلان الدمشقي 553, 555 ,

ف

فاتن بن تمصيت 451 ,
 فارق بن يبصر بن حام 14 ,
 فتوح الرومي 412 ,

ق

قاسم بن أصبع الإباضي 756, 769 ,
 قاسم بن عبد الرحمن 463, 628, 631, 683 ,

محمد بن نصر بن حضرم 560, 672 ,
 محمد بن هشام بن الليث اليحصبي 670 ,
 محمد بن يانس الدركلي النفوسي 620 ,
 محمد بن يزيد القرشي 42, 47 ,
 مدارار بن اليسع 678, 679 ,
 مدلج بن زكرياء 418 ,
 مراسيل جابر بن زيد 631 ,
 مراکش 4 ,
 مروان بن الحكم 27 ,
 مروان بن عبد الرحمن اليحصبي 664 ,
 مزوز بن عمران الهواري 380 ,
 مسدد بن مسرهد 631 ,
 مسعود الأندلسي 274, 275, 385, 453, 629 ,
 680
 مسلم بن خالد 492 ,
 مسلمة بن عبد العزيز بن مروان 409 ,
 مسلمة بن مخلد 22, 113, 122, 699 ,
 مسلمة بن مخلد الأنصاري 22 ,
 مصالة بن حبوس 292, 293 ,
 مصالة بن حبوس المكناسي 292 ,
 مصعب بن سلمان 629 ,
 معاوية 3, 20, 21, 22, 24, 57, 85, 103, 104, 105, 112, 113, 116, 117, 118,
 120, 121, 122, 128, 133, 154, 179,
 180, 182, 205, 273, 300, 336, 384,
 398, 419, 492, 542, 551, 670, 699,
 700, 718, 721
 معاوية بن أبي سفيان 20, 21, 22, 57 ,
 معاوية بن حديج 114, 122 ,

محمد بن ابراهيم بن عبدوس 544 ,
 محمد بن أبي حميد 444, 528 ,
 محمد بن أحمد بن الأغلب 251, 416 ,
 محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب 191 ,
 محمد بن أفلح بن عبد الوهاب 260, 502 ,
 محمد بن الأشعث 19, 49, 129, 187, 188,
 191, 266, 398, 452, 536
 محمد بن الأشعث الخزاعي 129, 188, 398 ,
 محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي 190, 266 ,
 محمد بن الحسن الشيباني 536 ,
 محمد بن الكلاعي 560 ,
 محمد بن بشار الزريني 142 ,
 محمد بن جرنبي 366, 464 ,
 محمد بن حمزة 418 ,
 محمد بن خيرون 144, 161, 177, 184, 258 ,
 محمد بن خيرون الأندلسي المعافري 144 ,
 محمد بن سحنون 420, 434, 542, 582 ,
 محمد بن عبد الرحمن بن يسوت 422 ,
 محمد بن عبد الله الفهري 667 ,
 محمد بن عبدون بن أبي ثور القاضي 328 ,
 محمد بن عرفة 218, 280, 388, 460, 461,
 462, 464, 465, 751, 762
 محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي 258 ,
 720
 محمد بن فرج بن البنا البغدادي 331 ,
 محمد بن كامل القطان السويسي 307 ,
 محمد بن محبوب 560, 667 ,
 محمد بن مقاتل العكي 51 ,
 محمد بن موسى الطرسوسي 664 ,

, 43, 44, 45, 124, 129, هشام بن عبد الملك
237, 334, 349, 401, 484, 571, 738
هيرودوث13 ,

و

, واصل ابن عبد الله146 ,
وحدليش بن في البجلاتي380 ,
وشاح بن عامر110 ,
وعبد القيس85 ,
وكيع بن الجراح551 ,
وموهب بن جبير المعافري484 ,

ي

, يحصب , 142, 151, 165, 396, 421, 567,
717

, يحيى بن زكريا بن محمد بن الحكم التجيبي180 ,
يحيى بن سلام549, 147 ,
يحيى بن سليمان الخراز الحفوي420 ,
يحيى بن عمر , 144, 145, 158, 166, 246,
321, 322, 328, 329, 331, 341, 345,
346, 350, 351, 380, 420, 422, 443,
529, 545, 596, 669, 670, 752
يحيى بن محمد بن حشيش357, 316 ,
يزيد بن أبي حبيب153 ,
يزيد بن أبي مسلم , 3, 42, 47, 162, 416, 487,
570

, يزيد بن حاتم , 50, 129, 135, 150, 159,
169, 180, 188, 191, 238, 267, 298,
303, 331, 335, 340, 349, 402, 407,

, معاوية بن حديج السكوني20 ,
معاوية رضي الله عنه3 ,
مهدي النفوسي الوغيوي635 ,
موسى بن عبد الرحمن القطان331 ,
موسى بن نصير , 16, 32, 34, 38, 39, 40, 41,
42, 47, 104, 127, 160, 162, 175,
183, 236, 263, 297, 303, 321, 336,
345, 353, 406, 416, 423, 426, 563,
570, 593, 699, 745

, ميسرة الصفري407 ,
ميسرة المطغري44 ,
ميمون الحبشي418 ,
ميمون بن عبد الوهاب262 ,

ن

, نافع قطري بن الفجاءة المازني62 ,
نجدة بن عامر الحنفي63 ,
نشخ عمرو بن فتح النفوسي613 ,
نصر بن العمامة254 ,
نصر بن الفتح التسوري331 ,
نصر بن حمزة418, 407, 177 ,
نمرود75 ,

هـ

, هارون الرشيد597, 583, 569, 241, 240, 51 ,
هرثمة بن أعين142, 52, 51 ,
هزار مرد50 ,
هشام بن حاجب174 ,

ا
ازداجة 15 ,
آ
آسيا 19 ,
ا
اشبيلية 748, 262, 91 ,
ا
افريقية , 4, 89, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 110, 113, 115, 116, 117, 118, 120, 121, 122, 123, 125, 127, 128, 129, 130, 131, 138, 141, 142, 148, 149, 150, 151, 152, 153, 155, 157, 159, 162, 163, 164, 165, 166, 168, 170, 172, 173, 175, 176, 177, 178, 180, 181, 182, 183, 184, 188, 192, 193, 194, 200, 203, 205, 219, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 243, 244, 245, 248, 249, 252, 253, 258, 263, 264, 265, 266, 267, 268, 270, 271, 277, 293, 297, 298, 300, 301, 303, 305, 306, 307, 309, 310, 312, 313, 314, 315, 317, 321, 324, 325, 326, 327, 330, 334, 335, 336, 337, 339, 340, 344, 350, 352, 353, 357, 358, 359, 360, 384, 391, 393, 394, 396, 397, 399, 400, 401, 402, 403, 404,

409, 416, 535, 537, 565, 572, 584,
663, 719, 761
يزيد بن حاتم المهلي 572, 129, 135, 238 ,
يزيد بن خالد القيسي 31 ,
يزيد بن فندين 274, 276 ,
يزيد بن محمد الجمحي 426 ,
يزيد بن مسروق 417 ,
يعقوب بن أبي يعقوب 652 ,
يعقوب بن أفلح , 99, 217, 231, 283, 285 ,
289, 365, 381, 470, 628, 636, 658,
711, 712
يوحنا 31 ,
يوحنا بن ماسوية 584 ,
يوسف الفتاح 675, 766 ,

المدن و الأماكن

أ
أتحفه 25 ,
إ
إجدانية 16 ,
أ
أرية 202 ,
أربص 314 ,
أربغ 612 ,

البصرة, 3, 49, 59, 61, 62, 64, 87, 88, 89,
94, 100, 104, 106, 115, 117, 119,
121, 122, 125, 126, 127, 155, 169,
175, 187, 214, 215, 230, 263, 264,
353, 389, 400, 416, 493, 496, 549,
565, 600, 601, 605, 606, 616, 633,
640, 644, 646, 662, 664, 667, 675,
684, 685, 691, 695, 700, 717, 719,
720, 741, 746, 766

البيقيع 83,

الجريد 5, 7, 19, 37,

الجزائر, 3, 4, 5, 9, 10, 12, 14, 15, 18, 36,
37, 42, 45, 49, 57, 59, 61, 62, 63,
70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 79,
89, 93, 94, 98, 134, 196, 197, 198,
206, 209, 211, 213, 222, 232, 254,
258, 263, 264, 266, 270, 274, 277,
300, 337, 358, 369, 381, 384, 415,
470, 471, 489, 499, 501, 504, 505,
514, 519, 532, 536, 550, 581, 584,
591, 602, 607, 611, 621, 631, 632,
634, 641, 645, 646, 647, 678, 682,
690, 731, 733, 747, 757

الحجاز, 18, 94, 263, 280, 446, 481,

488, 491, 492, 509, 521, 531, 536,
550, 668, 696, 767

الرقعة 56, 136,

الزباب, 5, 16, 17, 25, 32, 36, 37, 52,

105, 188, 203, 204, 209, 238, 241,

405, 406, 407, 408, 409, 410, 411,
414, 415, 416, 417, 419, 420, 421,
422, 423, 424, 426, 427, 428, 436,
440, 441, 444, 447, 481, 482, 483,
484, 485, 486, 487, 489, 490, 491,
492, 493, 494, 496, 508, 509, 526,
527, 532, 533, 534, 535, 536, 537,
538, 547, 550, 551, 552, 553, 557,
558, 563, 564, 566, 567, 570, 572,
574, 578, 579, 580, 582, 586, 587,
588, 592, 595, 598, 600, 605, 650,
663, 664, 665, 669, 670, 671, 675,
676, 698, 699, 701, 702, 703, 715,
722, 725, 726, 740, 743, 748, 756,
757, 761, 763, 765, 768

!

إفريقية, 3, 4, 5, 9, 13, 16, 17, 20, 21, 22,
24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32,
33, 34, 35, 36, 37, 38, 40, 42, 43,
44, 45, 46, 48, 49, 50, 51, 61, 64

!

الأريس, 165, 256, 310, 330, 337, 342,
423, 441, 731

الأصنام 7, 45, 64, 110, 193, 336,

الأوراس, 17, 24, 27, 30, 31, 209, 266,
360, 639, 707, 763, 765

383, 408, 423, 473, 481, 493, 494,
 502, 516, 521, 531, 534, 543, 554,
 562, 564, 565, 569, 583, 598, 603,
 669, 767
 الفحيج 7 ,
 الفرات 56, 57 ,
 الفسطاط 55, 88, 100, 103, 113, 117,
 119, 121, 122, 123, 127, 155, 163,
 172, 175, 177, 191, 334, 359, 665,
 698, 700, 717
 القاهرة 3, 32, 35, 53, 54, 56, 63, 69,
 75, 84, 87, 88, 90, 99, 100, 117,
 131, 150, 152, 160, 177, 187, 209,
 240, 256, 260, 265, 270, 279, 296,
 365, 384, 396, 415, 489, 491, 508,
 510, 536, 553, 559, 585, 586, 599,
 665, 681, 699, 700
 القرن 3, 6, 10, 12, 13, 14, 15, 31, 45,
 59, 60, 64, 89, 103, 104, 105, 106,
 108, 109, 110, 111, 114, 122, 123,
 126, 130, 138, 140, 141, 143, 144,
 146, 147, 158, 159, 160, 161, 162,
 170, 171, 172, 174, 179, 181, 183,
 188, 189, 190, 192, 193, 200, 201,
 213, 215, 220, 262, 264, 293, 297,
 299, 306, 313, 314, 317, 321, 322,
 324, 333, 336, 337, 339, 345, 349,
 350, 359, 361, 366, 390, 393, 402,
 404, 407, 408, 409, 411, 412, 425,

242, 251, 254, 286, 404, 417, 763,
 765
 السودان 9, 210, 211, 221, 243, 278,
 293, 314, 315, 321, 342, 358, 359,
 367, 371, 381, 384, 386, 387, 388,
 389, 390, 391, 394, 419, 426, 432,
 433, 464, 467, 474, 519, 653, 674,
 684, 698, 732, 733, 734, 750, 754,
 755, 763, 764
 السوس 25, 37, 39, 131, 137, 209, 697
 الشام 3, 14, 33, 61, 79, 94, 122, 154,
 164, 253, 298, 359, 398, 400, 403,
 486, 490, 507, 537, 549, 565, 571,
 598, 664
 الشلف 11, 36, 39, 209, 226, 362
 الصين 22 ,
 الطارف 360 ,
 الطائف 80 ,
 الظهر 7 ,
 العباسية 19, 46, 52, 90, 109, 136, 162,
 177, 179, 192, 239, 241, 242, 245,
 246, 248, 249, 252, 259, 268, 273,
 274, 293, 305, 321, 324, 384, 393,
 414, 415, 418, 518, 569, 583, 663,
 676, 681, 682, 719, 725, 726, 741,
 760
 العراق 3, 33, 51, 58, 68, 78, 94, 133,
 135, 155, 223, 238, 253, 261, 262,
 271, 272, 280, 331, 342, 353, 359,

238, 239, 240, 241, 242, 245, 246,
 247, 248, 249, 250, 251, 252, 253,
 254, 255, 256, 257, 258, 259, 263,
 265, 266, 267, 268, 271, 273, 274,
 276, 284, 286, 290, 296, 297, 298,
 299, 300, 301, 302, 303, 304, 305,
 306, 307, 308, 309, 310, 311, 312,
 313, 314, 315, 316, 318, 319, 321,
 322, 324, 325, 326, 327, 328, 330,
 331, 332, 333, 334, 335, 336, 337,
 338, 339, 340, 341, 342, 343, 344,
 346, 347, 348, 349, 350, 351, 352,
 353, 355, 356, 357, 358, 359, 360,
 383, 391, 393, 394, 395, 396, 397,
 398, 399, 401, 402, 403, 404, 405,
 406, 407, 408, 409, 410, 411, 412,
 413, 414, 417, 418, 419, 421, 422,
 423, 424, 425, 426, 427, 428, 429,
 430, 431, 432, 433, 434, 435, 436,
 437, 439, 440, 441, 442, 443, 444,
 445, 446, 447, 448, 449, 458, 479,
 480, 481, 482, 483, 484, 485, 486,
 490, 491, 493, 495, 496, 497, 498,
 500, 504, 507, 508, 509, 511, 520,
 521, 524, 525, 526, 527, 529, 530,
 531, 532, 534, 535, 536, 537, 538,
 539, 540, 541, 542, 545, 547, 548,
 549, 550, 551, 553, 554, 555, 556,
 557, 558, 559, 562, 564, 565, 566,

426, 427, 437, 442, 444, 446, 449,
 450, 471, 474, 476, 486, 490, 497,
 505, 507, 508, 516, 518, 519, 522,
 531, 532, 540, 542, 547, 548, 549,
 554, 555, 559, 560, 563, 565, 566,
 567, 568, 577, 578, 587, 588, 589,
 590, 591, 593, 595, 597, 600, 610,
 612, 624, 626, 628, 629, 630, 636,
 639, 640, 648, 649, 651, 652, 659,
 665, 668, 670, 673, 674, 676, 677,
 678, 683, 700, 702, 709, 717, 727,
 728, 730, 733, 736

القسطنطينية³³ ,

القيروان , 2, 3, 5, 6, 7, 18, 21, 22, 23, 24,
 25, 26, 27, 28, 29, 32, 35, 36, 45,
 46, 48, 49, 50, 51, 52, 61, 67, 89,
 91, 92, 98, 100, 103, 104, 105,
 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112,
 114, 115, 116, 117, 118, 119, 121,
 122, 123, 124, 125, 126, 127, 128,
 129, 130, 131, 133, 134, 135, 140,
 141, 142, 143, 144, 145, 147, 148,
 150, 152, 154, 155, 156, 157, 158,
 159, 160, 161, 162, 163, 164, 165,
 166, 167, 168, 169, 170, 172, 173,
 174, 175, 176, 177, 178, 179, 180,
 182, 183, 184, 185, 186, 187, 188,
 189, 190, 191, 192, 193, 194, 203,
 205, 207, 208, 209, 227, 236, 237,

, 195, 207, 219, 220, 228, 230, المعصومة
 286, 500, 504, 613, 720, 743
 , 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 9, 10, 11, 12, المغرب
 13, 14, 15, 16, 17, 18, 19, 20, 21,
 22, 23, 24, 25, 26, 28, 29, 30, 31,
 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40,
 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 49,
 50, 52, 56, 60, 61, 62, 63, 64
 , الموصل 100

أ

, 384 ألميرية

ا

, 100 النجف

, 55, 58, 59 النهروان

, 59, 94, 507, 569, 583, 597, 656 الهند
 , 78 الوركاء

, 14, 18, 80, 94, 154, 178, 211, اليمن
 276, 298, 305, 387, 408, 490, 722

أ

, 75, 78 أور

, 15 أورابة

, 16, 25 أوربة

إ

, 3, 33 إيران

567, 568, 569, 570, 572, 573, 574,
 575, 577, 578, 581, 582, 584, 585,
 586, 587, 588, 589, 590, 591, 592,
 593, 594, 595, 596, 597, 598, 599,
 600, 629, 631, 632, 644, 662, 663,
 664, 665, 666, 667, 668, 669, 670,
 671, 672, 673, 674, 675, 684, 686,
 690, 691, 692, 694, 695, 696, 698,
 699, 700, 701, 702, 703, 709, 713,
 715, 717, 718, 719, 720, 721, 722,
 723, 724, 726, 727, 728, 729, 730,
 731, 732, 736, 737, 738, 739, 740,
 742, 744, 745, 746, 748, 749, 750,
 751, 752, 754, 755, 756, 757, 758,
 760, 761, 762, 763, 764, 765, 766,
 767, 768

, 55, 58, 59, 88, 89, 94, 100, 104, الكوفة
 111, 117, 119, 121, 122, 123, 125,
 126, 127, 133, 149, 154, 155, 156,
 169, 175, 187, 215, 391, 400, 416,
 449, 493, 494, 496, 511, 549, 565,
 640, 644, 675, 695, 700, 717, 718,
 720, 766, 768

, 108, 112, 114, 424 المزاق

, 3, 4, 19, 23, 24, 26, 33, 40, 45, المشرق
 46, 52, 60, 64

, 25 المصامدة

, 46 المضرية

تاكروان 104, 481, 701 ,
 تلمسان 4, 5, 9, 13, 23, 34, 39, 40, 45, 48, 58, 70, 195, 202, 206, 213, 215, 216, 218, 222, 226, 228, 230, 277, 385, 468, 520, 522, 638, 654, 655, 656, 674, 675, 676, 677, 748
 تلموذة 25 ,
 تنس 9, 11, 233, 385, 648, 763, 765
 تھوذة 26, 29 ,
 توزر 19, 37, 293, 314, 339, 404, 731
 تونس 4, 5, 6, 18, 20, 24, 32, 35, 36, 37, 39, 46, 47, 49, 57, 62, 92, 103, 104, 105, 106, 107, 110, 114, 120, 124, 125, 130, 143, 145, 149, 151, 152, 157, 163, 164, 170, 171, 172, 174, 175, 177, 178, 180, 181, 182, 183, 184, 186, 187, 190, 191, 195, 220, 226, 236, 237, 239, 242, 247, 248, 249, 253, 255, 263, 284, 296, 300, 301, 303, 305, 308, 312, 313, 316, 317, 318, 319, 320, 322, 326, 329, 330, 331, 334, 337, 339, 340, 341, 342, 343, 344, 349, 350, 356, 359, 402, 409, 412, 417, 419, 423, 431, 432, 437, 441, 446, 456, 496, 497, 498, 520, 526, 536, 538, 539, 541, 553, 557, 564, 569, 572, 574, 578, 584, 599, 662, 668, 700, 701,

ب

بابل 75, 121 ,
 باجة 329, 330, 337, 342, 448, 547, 671, 731
 باغاية 19, 24 ,
 بجاية 5, 241, 252, 293, 360 ,
 بحلة 151 ,
 برغواطة 48 ,
 برقة 16, 19, 20, 22, 26, 28, 29, 30, 36, 37, 105, 113, 155, 179, 251, 265, 360, 389, 648, 763, 765
 بسكرة 5, 25, 242, 360, 581, 764, 765 ,
 بغاية 202 ,
 بغداد 54, 58, 90, 98, 99, 106, 120, 121, 124, 130, 136, 137, 158, 172, 279, 281, 296, 325, 326, 389, 391, 408, 413, 414, 417, 443, 507, 520, 544, 552, 569, 583, 585, 588, 603, 632, 633, 644, 663, 667, 684, 685, 708, 748
 بنزرت 6, 20, 29 ,
 بنغازي 36 ,
 بھراء 154 ,
 بيت المقدس 70, 81, 238, 408 ,
 بيزسان 115 ,
 بيزنطة 19 ,

ت

تازة 360 ,

674, 675, 676, 677, 679, 680, 681,
683, 684, 685, 686, 687, 690, 691,
692, 694, 696, 697, 698, 707, 708,
709, 710, 712, 713, 714, 715, 716,
719, 720, 721, 722, 723, 724, 725,
726, 727, 728, 731, 732, 733, 734,
736, 738, 739, 740, 741, 742, 744,
746, 747, 748, 749, 750, 751, 753,
754, 755, 756, 757, 758, 760, 762,
763, 764, 765, 766, 767, 768

ج

جلولا 193, 302, 307, 700,
جلولاء 114, 304, 306, 308, 309, 330,
339, 341, 343, 731

ح

حضر موت 151, 152, 705, 707,
حلب 389,
حمص 154, 176, 395, 399, 486, 537

خ

خاوار 119,
خراسان 22, 60, 258, 398, 429, 486, 536,
خرسان 19, 216, 272, 452, 507,
خبيبر 168, 320, 408

د

درن 5, 675, 697,
دکور 104, 106, 110

727, 728, 729, 731, 737, 740, 748,
752, 763, 764, 765
تيفاش 256, 337,
تيكروان 23, 24,
تيهت 2, 8, 9, 11, 25, 36, 64, 67, 91,
92, 99, 100, 103, 134, 195, 197,
198, 199, 200, 201, 202, 203, 204,
205, 206, 207, 208, 209, 210, 211,
212, 214, 215, 216, 217, 218, 219,
221, 222, 223, 225, 226, 227, 228,
230, 232, 233, 234, 236, 239, 260,
267, 268, 269, 270, 272, 274, 276,
277, 278, 280, 281, 282, 283, 285,
286, 287, 288, 289, 290, 291, 292,
293, 296, 359, 360, 361, 362, 363,
364, 365, 366, 367, 368, 370, 371,
372, 373, 376, 378, 379, 380, 381,
382, 383, 384, 385, 386, 387, 388,
389, 390, 391, 393, 422, 448, 449,
450, 451, 453, 454, 455, 457, 459,
460, 461, 462, 463, 464, 466, 467,
468, 470, 471, 472, 473, 474, 476,
500, 503, 504, 505, 506, 509, 511,
517, 519, 521, 522, 559, 569, 582,
599, 610, 611, 612, 613, 615, 617,
618, 620, 622, 625, 626, 627, 628,
629, 630, 633, 634, 635, 636, 637,
638, 640, 644, 646, 648, 649, 650,
651, 652, 653, 654, 666, 667, 668,

سجلماصة, 5, 39, 64, 286, 287, 316, 383,
386, 387, 391, 422, 624, 668, 677,
679, 680, 696, 732, 754, 755, 762,
763, 764, 765
سجومة32, ,
سدراة, 219, 231, 282, 286, 290, 366,
377, 450, 470, 474, 500, 582, 628,
712
سرت, 36, 49, 377, 389, 394, 422, 462,
572, 605, 640, 750
سردينيا52, 48, ,
سطيف765, 763, 764, 765, 201, ,
سيرات11, ,

ش

شرشال9, ,
شريك, 24, 26, 340, 342, 344, 359, 715,
731

ص

صبرة36, ,
صطفورة344, 341, 296, 29, ,
صفاقس, 61, 125, 179, 337, 338, 341,
344, 444, 542, 748
صقلية, 2, 20, 29, 39, 42, 48, 52, 194,
244, 248, 255, 258, 314, 315, 316,
327, 338, 342, 358, 393, 426, 441,
484, 499, 508, 536, 576, 598, 662,
670, 671, 672, 673, 674, 695

دله25, ,
دمشق, 24, 29, 33, 41, 43, 46, 52, 69,
74, 104, 117, 140, 154, 164, 165,
178, 220, 274, 414, 480, 485, 491,
500, 504, 552, 585, 644, 663, 699

ر

راديس37, ,
رأس الطيب6, ,
رقادة, 110, 162, 172, 192, 252, 257,
259, 286, 287, 305, 308, 309, 319,
332, 342, 347, 352, 354, 394, 415,
418, 423, 425, 436, 441, 444, 445,
500, 577, 703, 719, 720, 723, 725,
726, 741

ز

زرود, 7, 107, 110, 111, 303, 314, 338,
342, 691, 737
زغوان731, 32, 40, 336, 339, ,
زويلة765, 764, 314, 113, 99, 36, ,

س

سامراء136, ,
سبأ705, 151, 191, 320, 511, ,
سبنة25, 3, 5, ,
سببية, 112, 202, 256, 310, 336, 342,
343, 355, 401, 731
سبيطة115, 112, ,

676, 684, 696, 710, 723, 736, 754,
755, 767
فرندة 201, 202 ,
فزاارة 707, 151, 85 ,
فزان 36, 113, 119, 199, 265, 384, 394,
406, 613
فلسطين 14, 93, 154 ,
فهر 129, 147, 183, 397, 703 ,

ق

قابس 30, 36, 61, 179, 276, 306, 314,
315, 330, 357
قرطاج 112, 341, 731 ,
قرطاجة 2, 13 ,
قرطبة 4, 45, 91, 133, 158, 160, 220,
262, 299, 304, 383, 384, 385, 389,
432, 666, 668, 670, 681, 684, 748
قرطوفة 199 ,
قسطيلية 37, 179, 242, 293, 296 ,
قسطيلية 113, 182, 308, 330, 339, 354,
394, 400, 404, 406, 407, 422, 652,
713, 731
قسنطينة 9, 16, 24, 36, 57, 71, 99, 216,
226, 293, 709
قفصة 5, 107, 113, 119, 179, 296, 314,
330, 339, 340, 394, 405, 407, 422,
542, 731, 764, 765
قلشانة 161, 308, 314, 330, 339, 342,
355, 445

صنهاجة 15, 32, 50, 292, 708
صوصو 278 ,

ط

طبرقة 31, 341, 763 ,
طبنة 19, 25, 36, 37, 50, 204, 238, 242,
306, 357, 463, 499, 709, 716
طرابلس 3, 4, 5, 9, 16, 20, 29, 36, 37,
49, 51, 61, 63, 112, 113, 155, 241,
244, 247, 250, 252, 255, 257, 265,
266, 267, 271, 276, 277, 284, 342,
398, 420, 462, 494, 503, 605, 643,
652, 707, 709, 710, 711, 713, 715,
722, 761
طرزة 6 ,
طنجة 3, 16, 25, 33, 37, 38, 39, 40, 44 ,

غ

غانا 386, 388 ,
غدامس 119, 394, 406, 613 ,
غزناطة 91, 400 ,

ف

فارس 14, 19, 21, 38, 60, 62, 74, 94,
154, 260, 261, 273, 336, 441, 452,
475, 518, 540
فاس 4, 23, 45, 90, 99, 158, 195, 208,
230, 233, 251, 307, 343, 384, 386,
391, 432, 449, 506, 647, 648, 667,

44, 45, 49, 53, 54, 59, 68, 69, 70,
 79, 84, 88, 89, 92, 93, 94, 103,
 105, 109, 110, 113, 114, 117, 118,
 119, 120, 122, 127, 128, 150, 151,
 152, 153, 155, 162, 163, 164, 175,
 177, 182, 183, 194, 209, 240, 243,
 245, 252, 253, 256, 257, 265, 266,
 267, 298, 334, 335, 338, 342, 355,
 360, 384, 389, 391, 394, 395, 397,
 398, 400, 403, 406, 416, 420, 427,
 431, 446, 481, 488, 491, 494, 507,
 508, 510, 512, 519, 534, 535, 536,
 537, 538, 540, 541, 543, 549, 550,
 553, 559, 565, 577, 586, 598, 619,
 665, 684, 699, 701, 702, 703, 705,
 717, 718, 736, 740, 748, 750
 , مغمدااس 119
 , مكة 78, 81, 82, 84, 167, 231, 277,
 320, 342, 488, 491, 492, 664, 675
 , مكنااسة 15, 290, 676, 678, 679, 708
 , ملشون 666
 , ملوية 5, 24, 28, 36
 , منف 79
 , ميزاب 58, 470, 476, 624, 630
 , ميلاة 24
 , مينة 10
 ن
 , نبهانة 7, 111, 338, 691, 737

, قمودة 103, 107, 179, 186, 296, 308,
 314, 336, 342, 343, 401, 422, 432,
 731
 , قمودية 6, 103, 104, 107, 108, 109, 401,
 691, 695, 701, 702
 , قنطرار 612
 ك
 , كاشغر 22
 , كتامة 15, 32, 259, 287, 343, 354, 514,
 577, 620
 , كندة 151, 152, 154, 704, 705, 717
 , كهلان 153, 704, 705, 706, 707
 , كوار 36, 113, 119, 403, 431
 ل
 , لبيرية 386
 م
 , ماطر 6
 , ماطوس بن هارون 627
 , مالي 76, 254, 278, 386, 389
 , مجانة 24, 220, 310, 316, 337, 404, 499,
 731
 , مجردة 6, 7, 8
 , مزنة 82
 , مستغام 9, 11
 , مصر 4, 10, 13, 14, 19, 20, 21, 22, 29,
 30, 32, 33, 36, 37, 38, 40, 41, 42,

القبائل و الأقوام

أ

أسد, 53, 55, 146, 151, 165, 244, 343, 393, 420, 486, 493, 494, 499, 508, 535, 536, 537, 540, 541, 549, 550, 559, 600, 665, 670, 671, 706, 717
أسلم, 41, 42, 44, 55, 59, 113, 155, 157, 178, 487, 496, 516, 684, 698, 717

إ

الأحباش, 160
الأدارسة, 4, 45, 267, 513, 667, 675, 676, 677, 696, 721, 723
الأغالبة, 34, 37, 52, 100, 126, 150, 159, 166, 172, 176, 177, 181, 184, 185, 186, 190, 192, 194, 237, 239, 240, 242, 243, 244, 246, 248, 250, 256, 267, 284, 286, 301, 304, 316, 329, 331, 358, 360, 398, 402, 414, 416, 417, 419, 426, 441, 443, 495, 497, 499, 510, 511, 514, 517, 521, 522, 532, 534, 546, 558, 564, 568, 572, 573, 577, 581, 585, 586, 587, 588, 597, 598, 663, 664, 665, 666, 681, 696, 700, 710, 722, 726, 731, 738, 740, 741, 755, 756, 761, 763, 764, 768

نفطة, 404

نفوسة, 15, 36, 61, 64, 219, 232, 266, 271, 277, 278, 279, 281, 284, 290, 291, 376, 377, 384, 437, 449, 450, 460, 464, 467, 468, 469, 474, 501, 502, 611, 612, 613, 614, 620, 624, 625, 626, 627, 635, 639, 642, 643, 654, 659, 685, 686, 707, 712, 713, 722, 741, 753, 755, 756
نوميديا, 105, 114, 201
نينوى, 75

و

وارجلان, 289, 290, 384, 387, 470, 472, 500, 607, 628, 709, 720
ورجلان, 9
ورقلة, 360
وسلات, 6, 106, 108, 691, 702, 737
وهران, 5, 9, 12, 204, 234, 328, 384, 385, 471, 581

الرستميين 9, 11, 34, 37, 60 ,
 الروم 17, 19, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 31, 32, 34, 38, 39, 72, 113, 115, 156, 179, 202, 203, 204, 205, 244, 266, 334, 335, 338, 353, 355, 358, 393, 394, 395, 404, 405, 406, 422, 433, 576, 597, 675, 699, 700, 722, 737
 الرومان 5, 13, 17, 79, 200, 202, 299, 301, 405, 408
 الزيريين 105 ,
 الساسانيين 260, 313 ,
 الساميون 14 ,
 السعديين 4 ,
 السيوريين 174 ,
 الصقالبة 192, 256, 385, 419, 433, 450, 452, 467, 751, 754
 الصنهاجيين 588 ,
 العباسيين 49, 52, 100, 129, 150, 239, 242, 246, 266, 277, 281, 384, 497, 569, 583, 645, 665, 666, 676, 677, 686, 710, 721
 العبيديين 236, 253, 351, 472, 587, 634, 720
 العجم 19, 150, 204, 219, 220, 226, 243, 297, 335, 394, 402, 403, 429, 450, 452, 460, 464, 671, 722
 العرب 2, 3, 5, 9, 12, 13, 14, 15, 16, 17, 18, 19, 20, 22, 27, 28, 29, 30, 31,

الاغريق 5 ,
 الأفارقة 17, 30, 46, 113, 202, 204, 395, 401, 403, 411, 452, 487, 492, 548, 552, 564, 733
 الأمازيغ 18, 629 ,
 الأنباط 155 ,
 البتر 15, 150, 283, 406, 450, 710
 البرانس 15, 23, 25, 28, 150, 406, 451, 710
 البربر 5, 9, 13, 14, 15, 16, 17, 18, 19, 20, 21, 23, 25, 26, 27, 30, 31, 32, 34, 35, 37, 38, 39, 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 49, 50, 51, 52, 63, 64, 110, 111, 113, 114, 115, 118, 122, 127, 128, 129, 150, 151, 155, 159, 196, 203, 205, 222, 233, 236, 240, 243, 247, 259, 271, 293, 297, 335, 353, 357, 358, 367, 377, 393, 394, 399, 401, 403, 404, 405, 406, 407, 409, 411, 418, 419, 422, 429, 439, 450, 452, 465, 476, 483, 486, 487, 489, 490, 496, 505, 506, 521, 525, 563, 564, 573, 606, 638, 639, 640, 676, 690, 698, 699, 701, 708, 710, 715, 722, 723, 734, 739
 التوارق 14 ,
 الحفصيين 105 ,
 الحواريين 140, 172 ,
 الرستميون 8, 9 ,

572, 573, 576, 578, 579, 581, 582, 583, 584, 588, 591, 593, 594, 595, 596, 619, 638, 643, 662, 663, 664, 665, 666, 667, 669, 694, 695, 696, 701, 703, 704, 705, 706, 707, 714, 717, 722, 727, 729, 730, 731, 736, 750, 752, 761, 767 العماليق 199 , الفاطميين , 100, 149, 267, 292, 586, 588, 653 الفرس , 19, 62, 72, 155, 182, 260, 261, 262, 287, 320, 415, 422, 452, 472, 569, 583, 597, 640, 703, 704 الفرنجية 24 , الكتعانيين 222 , الكوفيين , 215, 451, 511, 622, 628, 733, 741, 768 المرابطين 4 , المزاييون 18 , المصامدة 25 , الموحدين 4, 45 , النورماندين 682 , الهاشميون 60 , الوندال 17 , بنو جمع 703, 151 ,	34, 35, 36, 37, 38, 39, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 52, 55, 56, 64, 68, 87, 91, 94, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 111, 112, 113, 115, 116, 119, 120, 121, 122, 123, 125, 127, 128, 129, 133, 135, 138, 142, 144, 148, 149, 151, 152, 153, 154, 155, 156, 160, 161, 162, 163, 164, 165, 167, 168, 170, 171, 172, 173, 174, 175, 180, 181, 182, 189, 190, 192, 194, 202, 203, 204, 230, 236, 240, 243, 251, 260, 261, 270, 298, 300, 301, 304, 305, 311, 312, 313, 315, 317, 319, 322, 323, 326, 327, 328, 329, 331, 335, 336, 339, 344, 345, 350, 352, 354, 357, 360, 367, 393, 394, 395, 396, 397, 399, 400, 402, 403, 405, 406, 407, 408, 412, 415, 416, 417, 418, 419, 420, 421, 422, 423, 424, 426, 427, 429, 430, 432, 433, 435, 436, 439, 442, 444, 447, 448, 450, 451, 452, 454, 460, 464, 470, 471, 479, 481, 482, 483, 484, 486, 487, 490, 491, 492, 496, 497, 505, 507, 508, 510, 519, 521, 524, 525, 527, 528, 529, 530, 533, 534, 535, 539, 541, 543, 548, 549, 550, 551, 552, 555, 556, 558, 559, 561, 562, 564, 565, 567, 568, 569, 570,
---	--

تنوخ 151, 152, 705, 717 ,	بنو سهم 703 ,
تهودة 5 ,	بنو ليث 151 ,
تهودة 26, 29 ,	بنو مسلية 151 ,
ث	بنو نوفل 703 ,
	بنو يلي 151 ,
	بني الذهبيل 82 ,
	بني الليث بن بكر 82 ,
ج	بني أمية 41, 47, 60, 61, 64, 159, 164 ,
جرمة 119, 431, 750 ,	218, 236, 384, 398, 414, 489, 490 ,
جهينة 82, 152, 706 ,	603, 750
جيان 669 ,	بني ثعلبة 85 ,
ح	بني جمح 151 ,
	بني حماد 16 ,
حذام 152 ,	بني حنيفة 62, 85 ,
حميرين 395 ,	بني زيان 4, 9 ,
خ	بني سلول 44 ,
خراسانيين 395, 398, 399 ,	بني عمرة 82 ,
خزاعة 151, 706 ,	بني قريظة 85 ,
خشين 152, 706 ,	بني ليث 151 ,
ر	بني مرغناي 339, 341 ,
ربيعة 62, 152, 393, 397, 409, 485, 571 ,	بني مرغنة 4 ,
703, 706, 717	بني يفرن 276, 629 ,
رحيم 166 ,	ت
رعين 151, 704, 717 ,	تامديت 337 ,
	تجيب 151, 704, 706 ,
	تقيوس 404 ,
	تميم 51, 149, 152, 240, 342, 416, 574 ,
	602, 706, 717

ف	ز
فراة 707, 151, 85 ,	زناة 15, 16, 32, 48, 50, 57, 266, 276, 282, 449, 450, 516, 676, 707, 708,
فزان 36, 113, 119, 199, 265, 384, 394, 406, 613	710, 715, 734
فهر 129, 147, 183, 397, 703 ,	زواغة 283, 284, 285, 449, 450, 676, 708, 711
ق	س
قحطان 14, 15, 153, 165, 402, 703, 717	سجومة 32 ,
قيس 14, 24, 26, 27, 28, 44, 62, 151, 152, 154, 183, 416, 480, 490, 536, 683, 706, 717	سليم 15, 57, 151, 508, 536, 706, 717
ك	ص
كتامة 15, 32, 259, 287, 343, 354, 514, 577, 620	صمادح 151, 706 ,
كلاع 707, 717 ,	ط
كلب 152, 154, 706, 717	طيء 152, 154 ,
كئانة 151, 640, 705, 717	ع
كئدة 151, 152, 154, 704, 705, 717	عبس 706, 717 ,
كهلان 153, 704, 705, 706, 707	عجيسة 15 ,
كوار 36, 113, 119, 403, 431	عدنان 15 ,
ل	عذرة 85 ,
لبث 19, 451, 480, 705	عبس 151 ,
لجش 78 ,	غ
لحيان 151, 717 ,	غافق 151, 153, 705 ,
لحم 14, 151, 152, 153, 154, 336, 416, 704	غسان 14, 29, 85, 152, 154, 416, 707, 717

هواره , 11, 16, 32, 36, 50, 232, 247,
266, 449, 450, 451, 454, 455, 707,
708, 710, 715, 734
هيت 389 ,

و

ورفجومه 417, 407, 265, 188, 49, 48 ,

ي

يلي 82 ,

يليان 25 ,

الفرق المذهبية و الأديان

ا

الإباضية , 9, 41, 49, 50, 52, 57, 58, 61,
62, 64, 99, 204, 205, 206, 210,
215, 232, 238, 244, 250, 260, 263,
264, 265, 266, 267, 268, 269, 270,
272, 273, 275, 277, 279, 280, 282,
286, 287, 288, 290, 291, 292, 380,
381, 382, 384, 389, 420, 451, 459,
460, 472, 473, 501, 502, 503, 504,
509, 514, 516, 517, 522, 531, 539,
557, 559, 582, 600, 601, 602, 604,
605, 607, 609, 610, 611, 613, 614,
615, 616, 618, 620, 621, 622, 626,

لماية , 210, 233, 266, 268, 290, 449,
451, 707, 710

لميس 203, 202, 24 ,

لواته , 15, 16, 36, 108, 232, 290, 449,
450, 454, 455, 676, 710

لواطه 708 ,

م

ماطر 6 ,

مراسه 716, 708 ,

مزاته , 15, 119, 366, 377, 406, 450, 464,
620, 712

مضر , 256, 402, 416, 573, 703, 705,

706, 717

مضريين 398, 395 ,

مطغره 15 ,

مطماطه 708, 450, 24, 7 ,

معافر 717, 704 ,

مغراوه 450, 292 ,

مغمداس 119 ,

منف 79 ,

مهرة 717, 704, 322, 152, 151 ,

ن

نخن 79 ,

نفزاوه 407, 400, 179, 61 ,

ه

همدان 717, 705, 154, 153, 151 ,

القمودي 560 ,
 , 511, 520, 521, 524, 525, 526, 527,
 529, 530, 531, 532, 534, 535, 536,
 537, 538, 539, 540, 541, 542, 545,
 547, 548, 549, 550,
 , 357, 408, 409, 413, 682 المجوس
 , 242, 466, 471, 475, 514, 515, المعتزلة
 516, 517, 521, 531, 533, 539, 553,
 554, 555, 556, 557, 558, 559, 560,
 610, 614, 618, 620, 636, 637, 680,
 713, 758

ا

النجديّة 62, 63 ,
 , 276, 293, 501, 629, 713 النكارية
 , 276, 278, 279, 287, 471, 514, الواصلية
 515, 516, 517, 618, 627, 635, 636,
 637, 713
 , 51, 58, 501, 522, 634, 727 الوهبية

ل

لائكية 587 ,

627, 629, 630, 631, 634, 636, 638,
 650, 651, 652, 675, 678, 679, 680,
 683, 685, 696, 707, 709, 715, 722,
 723, 725, 727, 745, 750, 756, 757,
 766, 768
 , 18, 19, 20, 21, 22, 23, 24, 31, الإسلام
 34, 35, 36, 37, 38, 40, 41, 47, 48,
 52, 55, 56, 59, 60
 , 286, 513, 514, 560 الاسماعيلية
 , 513 الإسماعيلية
 , 3, 4, 18, 19, 43, 45, 47, 48, 50, الخوارج
 53, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61,
 62, 64, 89, 163, 237, 263, 264,
 268, 284, 285, 290, 293, 389, 436,
 441, 451, 511, 512, 514, 518, 531,
 533, 600, 601, 602, 639, 666, 668,
 680, 683, 700, 711, 733, 756, 760,
 768
 , 513 الزيدية
 , 513 الزيدية
 , 54, 55 الشراة
 , 55, 57, 151, 286, 292, 357, 511, الشيعة
 512, 514, 531, 560, 586
 , 45, 50, 59, 61, 62, 63, 188, الصفريّة
 237, 279, 287, 293, 436, 516, 539,
 559, 600, 621, 646, 677, 678, 679,
 680, 750
 , 61, 285, 290, 677 العلويين
 , 140 الفضوليين

الموضوع	الصفحة
شكر و تقدير	
إهداء	
مقدمة.....	أ- ر
الفصل التمهيدي: أوضاع بلاد المغرب قبل ظهور الدول المستقلة	
المبحث الأول: البيئة الجغرافية و الطبيعية و البشرية لبلاد المغرب.....	2
المبحث الثاني: مراحل حركة الفتح الاسلامي.....	19
المبحث الثالث: الأوضاع السياسية و الإدارية و أثرها في قيام الدول المستقلة.....	34
الباب الأول: نشأة مدينتي القيروان و تيهرت و بنيتهما العمرانية	
الفصل الأول: نشأة المدينة الاسلامية و تطورها.....	
المبحث الأول: مفهوم المدينة.....	67
المبحث الثاني: نشأة المدينة الاسلامية و تطورها.....	77
الفصل الثاني: تأسيس مدينتي القيروان و تيهرت و تاريخهما العمراني.....	
المبحث الأول: تمصير و تعمير مدينة القيروان.....	103
المبحث الثاني: بناء مدينة تيهرت و مظاهرها العمرانية.....	195
الفصل الثالث: أوضاع القيروان و تيهرت السياسية.....	
المبحث الأول: أوضاع القيروان منذ التأسيس حتى دخول الشيعيين.....	236
المبحث الثاني: الحياة السياسية في تيهرت في العهد الرستمي.....	260

الباب الثاني: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالقيروان و تهرت

296.....	<u>الفصل الأول: الحياة الاقتصادية في المدينتين</u>
296.....	المبحث الأول: النشاط الاقتصادي في القيروان
360.....	المبحث الثاني: النشاط الاقتصادي في تهرت
393.....	<u>الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية في المدينتين</u>
393.....	المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية في القيروان
448.....	المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية في تهرت

الباب الثالث: الأوضاع الثقافية و الفكرية في مدينتي

القيروان و تهرت

479.....	<u>الفصل الأول: عوامل ازدهار الحركة الفكرية و العلمية في المدينتين</u>
479.....	المبحث الأول: عوامل ازدهار الحركة الفكرية و العلمية في القيروان
500.....	المبحث الثاني: عوامل ازدهار الحركة الفكرية و العلمية في تهرت
524.....	<u>الفصل الثاني: مظاهر الحياة الثقافية في المدينتين</u>
524.....	المبحث الأول: مظاهر الحياة الثقافية في مدينة القيروان
599.....	المبحث الثاني: مظاهر الحياة الثقافية في مدينة تهرت
662.....	<u>الفصل الثالث: علاقات القيروان و تهرت الثقافية مع غيرهما من مراكز الفكر</u>
662.....	المبحث الأول: علاقات القيروان الثقافية
674.....	المبحث الثاني: علاقات تهرت الثقافية

الباب الرابع: المقارنة بين المظاهر الحضارية في مدينتي

القيروان و تيهرت

690.....	الفصل الأول: أوجه الاختلاف - التباعد و التباين بين المدينتين -
691.....	المبحث الأول: استراتيجية الموقع و جغرافية المكان
698.....	المبحث الثاني: تباين البنية الاجتماعية و الأوضاع الاقتصادية
721.....	المبحث الثالث: نظام الحكم و الأجهزة الإدارية و السياسية
736.....	الفصل الثاني: أوجه التشابه - نقاط التقارب بين المدينتين
736.....	المبحث الأول: أسباب و عوامل اختيار الموقع
749.....	المبحث الثاني: تشابه عناصر السكان و الطبقات الاجتماعية
755.....	المبحث الثالث: التشابه في المجال الثقافي
760.....	الفصل الثالث: تقييم و استنتاجات
760.....	المبحث الأول: العلاقات السياسية بين المدينتين
762.....	المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية بين المدينتين
766.....	المبحث الثالث: الروابط الثقافية و الفكرية بين المدينتين
771.....	خاتمة
777.....	الملاحق
797.....	المصادر و المراجع
830.....	الفهارس
861.....	فهرس المحتويات

ملخص:

يتضمن موضوع هذا البحث، دراسة مقارنة للمظاهر الحضارية لمدينة القيروان، أول عاصمة عربية إسلامية في افريقية والمغرب الإسلامي، ومدينة تيهرت أول عاصمة إباضية مستقلة في المغرب الأوسط خلال القرنين 2- 3هـ/ 8- 9م، وذلك من خلال تسليط الضوء على الخصائص والمعالم الحضارية للمدينتين ثم المقارنة بينهما، وتتجلى أساسا في المنشآت العمرانية وتعدد المراكز الثقافية والفكرية وتنوع المنتجات الاقتصادية وأيضا اختلاف الطبقات والفئات الاجتماعية، وهو ما يعكس المستوى الحضاري للمدينتين والدور الذي لعبته كل منهما في تحضر المغرب الإسلامي، من خلال دورهما السياسي ومكانتهما ومركزهما التجاري وإشعاعهما الفكري والثقافي.

إن أهم نتيجة نتوصل إليها، هي ذلك التواصل الحضاري وعلاقات التأثير والتأثر بين الحاضرتين، فقد مثلت فعلا كل منهما نموذجا رائعا للمدينة العربية الإسلامية في بلاد المغرب.

الكلمات المفتاحية: المدينة – القيروان – تيهرت – المغرب الأوسط – المغرب الأدنى – المغرب الإسلامي – افريقية – الأغلبية - الولاة – الرستميون – المذاهب – الخوارج – الإباضية – المالكية – العمران – الإشعاع الفكري والحضاري.

Résumé:

L'objet de cette recherche comprend une étude comparative, des aspects culturels de la ville de Kairouan, première capitale arabo-musulmane en Afrique et en Maghreb Islamique, ainsi que la ville de Tihert la première capitale Ibadite indépendante au Maghreb Central au cours du 2- 3H/8- 9AD, en mettant en évidence, les spécificités et les monuments caractéristiques de la civilisation des deux villes et procéder par la suite à une comparaison, Manifestée principalement dans les installations urbaines et la multiplicité des centres culturels et intellectuels et la diversité des produits économiques, en sus de la diversification des catégories et des groupes sociaux, ce qui reflète le niveau culturel des deux villes et le rôle joué par chacune d'elles dans l'urbanisation du Maghreb islamique, et cela par leur rôle politique, leur statut commercial et leur rayonnement culturel et intellectuel.

Le résultat le plus important que nous atteignons est cette interaction culturelle et ces relations de l'impact et de l'influence entre les deux civilisations, dans la mesure où elles présentaient un magnifique modèle d'une ville Arabo-Islamique au pays du Maghreb.

Mots clés: ville- Kairouan- Tihert- Maghreb Central- Maghreb Oriental- Maghreb Islamique- l'Afrique- Aghlabides- les gouverneurs- les Rostémides- doctrines- les Kharijites- Ibadite- les Malékites- urbanisme- rayonnement culturel et intellectuel.

Abstract:

The purpose of this research includes a comparative study of the cultural aspects of the city of Kairouan; the first Muslim Arab capital in Africa and the Islamic Maghreb. as well as Tihert the first Ibadite independent city in North Africa in the Maghreb of the Middle Maghreb at 2- 3AH/ 8- 9AD, highlighting the characteristics and cultural sites of the two cities and compare them, manifested mainly in urban facilities and the multiplicity of cultural and intellectual centres, and the diversity of economic products. As class diversification and social groups, reflecting the cultural level of the two cities and the role played by each of them in the urbanization of the Islamic Maghreb, through their political role, commercial status and cultural and intellectual influence.

The most important result we reached is that cultural interaction, as the connection of the impact and influence between the two civilizations, since these two had been a magnificent model of an Arab -Islamic city in the Maghreb country.

Keywords: city-Kairouan- Tihert- Middle Maghreb – Eastern Maghreb - Islamic Maghreb - Africa- Aghlabids- governors- the Rostemides- doctrines- the Kharijites- Ibadite- the Malikites- urbanism- cultural and intellectual influences.